صالح مسعود أبو بصير

جهاد شعب فلسطين

خلال نصف قرن

قدّم للكتاب

فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري
مدير جامعة الأزهر

واللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجامع اللغوية في بغداد والقاهرة والرباط

« لو أن اللوائح تعطي للماجستير درجة أعلى من الامتياز لاستحقها هذا البحث » .
دكتور عبد العزيز الشناوي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة الازهر

الطبعـــة الرابعة

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
صندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت

صالح مسعود أبو بصير

جهاد شعب فلسطين

خلال نصف قرن

قدّم للكتاب

فضيلة الشيخ احمد حسن الباقوري

مدير جامعة الأزهر

واللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجامع اللغوية في بغداد والقاهرة والرباط

« لو ان اللوائح تعطي للماجستير درجة أعلى من الامتياز لاستحقها هذا البحث » .

دكتور عبد العزيز الشناوي

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة الازهر

الناشر
دار الفتح للطباعة والنشر
صندوق البريد ٤٢٩٥ - بيروت

الطبعة الاولى
١٣٦٨ هـ – ١٩٦٨ م

الطبعة الثانية
١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م

الطبعة الثالثة
١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م

الطبعة الرابعة
١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيُّها الذين آمنُوا هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنْجيكم
من عذابٍ أليم ، تؤمِنُونَ بالله ورسُولِه وتجاهِدون في سَبيلِ
اللهِ بأموالكم وأنفُسِكُم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلَمُون . يَغْفِرْ
لكُم ذنُوبكُم ويُدخِلْكُم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار
ومساكنَ طيّبةً في جنّاتِ عَدْنٍ ذلك الفوزُ العَظيم ،
وأُخرى تُحبّونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب
وبشّرِ المؤمنين

(قرآن كريم)

الإهداء

- إلى ذكرى كلّ شهيد من شهداء أمتنا في تاريخها الطويل وفي كلّ قطر من أقطارها .
- وإلى الفدائيين الذين حملوا الأرواح على الرّاح وذهبوا يجاهدون في سبيل الله والوطن .
- وإلى كلّ شريد ذاق مرارة الهجرة ، وضيق الاغتراب .
- وإلى كلّ مخلص يحسّ بعمق النكبة وضرورة الإعداد ،

أقدّم صفحات خالدة عن شعب خالد ، جهاداً وهجرةً وتصميماً .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

(١)

كان يجب أن تكون للطبعة الثالثة من هذا الكتاب مقدمة شارحة ، لاسيا وقد صدرت في أوائل الثورة الليبية مصاحبة لأهم الأحداث في تاريخ الوطن وحياة المؤلّف ، ولكن السنة الأولى من الثورة لم تكن سنة عادية ، وكان الواجب الوطني يقضي بالتفرغ الكامل للعمل مع الثورة التي برزت عملاقة وسط عالم العرب والإسلام ، والتي غيّرت كثيراً من خطط الاستعمار في المنطقة .

ولكن الطبعة الثالثة برغم ذلك نفدت من الأسواق في عالمنا العربي بسرعة مشرّفة ، ومع هذا لم تمكّني الواجبات الوطنية من أن أستجيب لرغبة الناشر في مقدمة للطبعة الرابعة إلا الآن وأنا أمرُّ بلبنان منتهياً من مجلس الأمناء للدراسات الفلسطينية ببيروت وقاصداً مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي بدمشق ، وفي كل من هذين المؤتمرين مجال هام للقضية الفلسطينية ولجهاد شعب فلسطين الذي سار مع التاريخ سيراً لم يتوقف .

وحين أجلس لأسطر هذه المقدمة أُدرك أنه حان الوقت لأن يضم هـــذا الكتاب الصفحات الجديدة المشرقة لجهاد شعب فلسطين وما يستتبع ذلك من تطورات في القضية المصيرية التي أطلقت عليها الأحداث مسميات عديدة ، فمن قضية فلسطين وإسرائيل المزعومة إلى قضية حقوق شعب فلسطين وعودة اللاجئين ، إلى قضية إزالة آثار العدوان (١٩٦٧) إلى قضية الشرق الأوسط وقرار مجلس الأمن ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، ولكن قلقلة القضية وضرورة انتظار

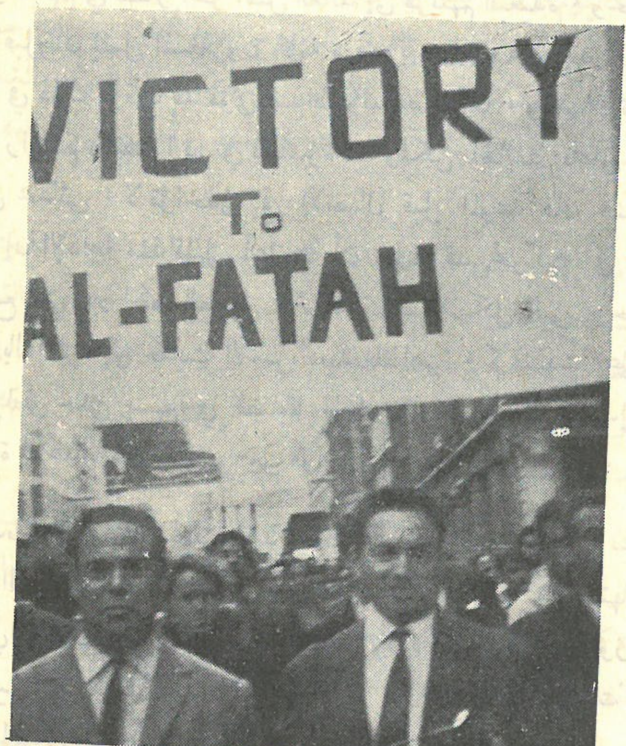
تطورات كثيرة كمستقبل العمل الفدائي بعد هذا الإرهاق المضني الذي لاقاه في الأردن حتى اضطر بعض افراده إلى اللجوء لعدوتهم إسرائيل . وكفتح قناة السويس وانسحاب العدو جزئياً إلى مواقع متـّفق عليها في سيناء وكاقتراحات أمريكا المكرَّرة والتي لا تُغضب إسرائيل ولا تقلـّل من نصرها ، ثم الدعوة الرائعة التي انطلقت بها الثورة الليبية وقائدها **العقيد معمر القذافي** بقومية المعركة وتسخير كل القدرات والإمكانات العربية ضد إسرائيل . انتظار نتائج هذه الأحداث كلها دفعني إلى تجميع دقائق الأمور وتفاصيلها والآراء العديدة حولها ، وجعلني ألتزم مع نفسي أن تكون الطبعة القادمة وهي الخامسة (بعون الله) مقسّمة إلى مجلدين وحاوية كل ما أشرت إليه مع ما سنحت لي معرفته بحكم اتصالي السياسي المباشر وما راسلني به بعض القراء بعد الطبعة السابقة للكتاب مع عديد من الوثائق التي يجب أن تخرج لأبناء الأمة العربية ولجيلنا الجديد حتى يتـّضح له المستقبل على ضوء معرفة الماضي : ظواهره وخوافيه .

(٢)

قلت في أول مقدّمة كتبتها لهذا البحث « إني عاصرت قضية فلسطين في أدوار مختلفة من حياتي كان آخرها وكالة مجلس النواب الليبي حين اضطررت عام ١٩٥٥ لمغادرة وطني الحبيب حافظاً له الولاء ، معتزاً بتاريخه وفخوراً به ، وها أنا ذا أعيش وقد ذقت طعم التشرُّد واللجوء » .

وحين سطـَّرت ذلك كنت أشعر تماماً بآلام المُبعَد عن وطنه ، وبالحرقة القاتلة التي تشتعل في الضمير مُذكية حرماني من تراب الآباء والأجداد ، بينما ينعم به بقايا المحتلين الإيطاليين وجموع البريطانيين والأمريكان واليهود وكل من هبّ ودبّ من أرض الله ، كان ذلك في أوائل عام ١٣٨٨ هـ الموافق ١٩٦٨ م ، وخلال صيف ١٩٦٩ كنت في لندن أراجع الدوائر العلمية ومكتباتها بحثاً عن أسرار التاريخ منذ الغزو الإيطالي لوطني الأول ليبيا ، وأديت صلاة الجمعة في المسجد هناك حيث أعلن رئيس المركز وهو أخ باكستاني، كما أعلن إمامه الشيخ

شلبي أن مظاهرة كبرى ستقام عشية الأحد للتعبير عن الاستياء وإعلان الاحتجاج على تصرُّفات إسرائيل المهينة لمقدساتنا والتي أدّت إلى حريق المسجد الأقصى المعروف ، وطلبتُ إلى ابني ورفاقه في مدرسة تبعد عن لندن ثلاثمائة كيلٍ أن يحضروا للاشتراك في ذلك الطابور التاريخي ، وسلكت المظاهرة طريقها المهم طابور طوله أكثر من أحد عشر كيلا ، وبحثت عن نوادي الطلاب العرب وهي كثيرة كبيرة في لندن ، فلم أجد منهم إلا قليلا وكان الأعجام المسلمون يمثلون الكثرة الكاثرة ، وكانوا في غاية الحماس والتأثـُّر ، وكان بعض الإنجليز واليهود يقابلوننا بالإهانة والاستهزاء والتحدّي ، وكان القليل يرفع يده مؤيداً لنا ، وفي ميدان الطرف الأغرّ تحدث الخطباء بلغة انجليزية عالية



المكان : لندن ـ الزمان : ٣١ أغسطس ١٩٦٩ . مظاهرة عارمة كبرى لصالح الفداء وتنديداً بإسرائيل ، وبعد عشر ساعات كانت ثورة ليبيا العملاقة

فأرغموا المحيطين بهم والمارّين من البريطانيين أن يستمعوا إلى شيء مهم وجديد، وعدتُ مع ابني ورفاقه أحدّثهم عن ليبيا ، أترون كيف يمرُّ حريق الأقصى دون انشغال ، أترون كيف وهنت البيانات حول ذلك وهناً ظاهراً مخيفاً ، أترون أن الحكم في وطني حكم يائس وحكم بائس ، حكم يائس لا يسهم في قضايانا المصيرية إسهام المشغول والمهتم ، وحكم بائس قصرت مفاهيمه عن إدراك العدو وخطره ، وتعلّقت مراميه بالمستعمر وإطاعة أمره وخبره ، لو تحرر شعبي من قواعد الباطل وسنحت الفرصة له لكان له في هذه القضية الرأي المسموع والصوت المعلى .

وودّعتهم في قطار آخر الليل العائد إلى قريتهم البعيدة ، ونحتوا على غرف القطار قبل أن يصل المسافرون كلمة « فتح FATAH » على الجدران والممرات ، وكانت في ذلك الوقت قد قوى صداها وتباعد مداها ، وقلت : تصلون صباحاً فخذوا راحتكم واتصلوا بي في العاشرة ، ولكن الهاتف دعاني في الثامنة ، وانطلق محدّثي ، لا تؤاخذني في الاتصال قبل الموعد فان هناك ما يوجب ذلك ، إن الإذاعة منذ قليل أعلنت أن ثورة قد تحركت في ليبيا ، وطال جدلي مع ابني عبر الخط الطويل ، ثم قمت أتصل بكل ليبي يوجد في لندن ، وعدت بالذاكرة إلى حديث الأمس بُعيد المظاهرة ، كم تمنّيتُ على الله حكماً صالحاً لبلدي حتى يُسهم في قضايانا المصيرية وحتى يُعلن الصداقة للأصدقاء والعداوة للأعداء غير خائفٍ من قواعد ولا مُقراً لها .

وعدتُ إلى وطني الحبيب بعد هجرة أربعة عشر عاماً ، عدتُ بنفس الطريق الذي سلكته خائفاً من حكومة إدريس أترقّبُ ملاحقتها وكل شرها، عدت في رحاب الثورة الشابة البنّاءة وقد قلّدتني برقياً وزارة الوحدة والخارجية ، وركعتُ عند الحدود أقبّل التراب الذي حُرمتُ منه وأبلّله بدمعي المشتاق وأضمّه إلى صدري ليهدأ خفقانه ، ويستقر مع النصر بيانه وجنانه ، وسرعان ما اتضحت لي أمور كنت أحتاجها ، لقد كانت ثورتنا

الحرة تسمى « بفلسطين » ، وكانت كلمة السر ليلة التحرك هي « القدس » إذن فنحن على درب واحد في سبيل قضية واحدة هي قضية البقاء العربي والمصير القومي كله ، وترافقت مع الإخوة الثوار مكبراً روح الشجاعة فيهم ومعاني الفداء التي تضمهم بقوة صحيحة ، وكنت في أعلى لذة السعادة وأنا أنفّذ قرار مجلس الثورة فأسلّم للسفير البريطاني ثم للسفير الأمريكي مذكّرة عاجلة باعتبار المعاهدة مع كلٍّ منهم قد فقدت مفعولها وباعتبار القواعد مُقامة على غير رغبة الثورة والشعب ، وأنها تمثل جسماً غريباً مكروهاً في بلد عربي لا يُقرها ولن يتركها تهنأ بعد اليوم ،وشاركتُ في بحوث الجلاء فكان حديث رجال الثورة وسط الجدران المغلقة مع الخصوم بنفس القوة والوضوح الذي أعلن بها خارجها ، ولم يكن يقبل إلا تحديد يوم الجلاء وترك الأرض لأصحابها وإلا تحوّل الشعب كله إلى قوّة طاردة وجموع محاربة ، وخرجت القواعد وأهيل وراءها تراب الطرد والإبعاد .

وشهدت مع رئيس الثورة اجتماعات كثيرة ومؤتمرات عديدة فكان دائماً لسان الحق الشجاع ينطلق بكل صدق ، وكان صحيح العبارة قوي التعبير ينمّ حديثه عن إخلاص صافٍ وهدف محدّد هو : تحرير الأرض وطرد إسرائيل وكيانها المفروض في أرضنا وربط الأمة العربية برباط واحد ، لحمته القومية الرشيدة وسداه الإسلام العظيم .

وجالست الأعضاء جميعاً وتحدّثت معهم فكانوا على شبابهم المتوثّب أنموذجاً من الوطنية والحماس ، والشعور بقضايا العروبة والإسلام شعوراً دافقاً قوياً عظيم الأمل، كبير المرتجى، وإنها لمفخرة تاريخية أن تتميز ثورتنا بأنها لم تقم عوداً لمشنقة ولم تسفك نقطة من دم .

قلت في مقدمة الطبعة الأولى: « لَكم تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية الفلسطينية ولم يتعبوا أنفسهم ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين وكم ضحّى وكم كابد » وإني أحمد الله أن أثبتت ثورتنا أنها من أكثر العرب إدراكاً لواجباتنا

تجاه شعب فلسطين ، وأنها عميقة الفهم للقضية ولحقوق هـذا الشعب العربي المناضل ، ولقد أصبحت «فتح» في ليبيا الثورة أول من يدرك صدق ثورتنا عملياً في تأييد الجهاد الفلسطيني ضد العدو الغاصب حيث فتحت الثورة يدها في رخاء وودّ مادياً وعسكرياً مما لا يمكن تسطير تفاصيله هنا .

وهكذا خفَتَ جدلي مع السطحيين الذين أشرت إليهم ، فقد طواهم مدّ الثورة وضاعوا مع النسيان فلا صوت لهم ولا رأي، إلا صوت خافت لا يسمع، ورأي هزيل لا يقنع ، بقية من ملق للطغاة وإحناء ذليل للوجوه وللجباه .

(٣)

وقلت في تلك المقدمة : إن أوجه الشبه كبيرة بين قضيـة الاستعمار الاستيطاني المبيد في فلسطين والاستعمار الاستيطاني المبيد الذي مرّ بليبيا ، وحين عدت إلى وطني في رحاب الثـورة كان قرابة الثلاثين ألفاً من بقايا المستعمرين الإيطاليين لا يزالون يقيمون كتمثال لذلك الاستعمار الشنيع ، فهم كيان يقيم في وطني ومنفصل عنه ، وهم يستغلون بقرته الحلوب ويصدرون ثرواتهم إلى حيث ولاءهم هناك بإيطاليا ، وهم يترفّعون على شعبي ويعرضون عن كل مناسباته في صلف و كبرياء لا يعادلها إلا صلف و كبرياء إسرائيل ، وهم يملكون المزارع والمباني والثروات و كأنهم سحبوها من إيطاليا إلى ليبيا سحباً ، وما كأنهم استولوا عليها إما بثروة مبتزة من شعبي وإما بقرار ظالم غاصب في عهد حكمهم ، وكانت أعمالهم ونظراتهم لا تدلُّ على تقرُّب من وطني ولا تفهُّم لنفسية شعبي ، وكانت بلادي هي الوحيدة التي حُرمت التعويضات الحقة من إيطاليا ، وهي أكثر البلدان استحقاقاً لتلك التعويضات فقد سُجنت تحت سلطان جلادي إيطاليا اثنين وثلاثين عاماً ، حُرمت فيها العلم والتقدم ، وهذا

عمل لا إنساني لا يمكن تقديره بمالٍ مهما ارتفعت الأرقام[١] بل وفَنِيَ نصفُ شعبي في الجهاد وفي المعتقلات والصحارى وعلى أعواد المشانق وفي المهاجر والمنافي الإيطالية ، وأُذِلَّ قومي بكل قوانين العسف والظلم حتى ليكاد الإيطالي يمنُّ على العربي بإبقائه في وطنه فكأن الدخيل أصيل ، والأصيل دخيل .

وأعلنت الثورة أنه لا مكان لهؤلاء في بلد ذاق مرّهم وهو الآن يعتز بقوميته ولغته العربية ، ويقرّر أنه لا تصلح أرضنا لغير من يعتز بالعروبة والإسلام ، وقررت أن أراضيهم ومزارعهم وأملاكهم ملك للشعب الليبي الذي حُرمَ خير بلاده وبخلت عليه إيطاليا بتعويضاته .

وشهدتُ جموعهم ترحل بحراً وجواً خالية الوفاض كما وصلت ، وشهدتُ قومي يستعيدون أملاكهم ويدخلونها كما دخلوها أول مرة .

وتذكّرت أن الله يُمهل ولا يُهمل ، واتجهت بذهني إلى الأحباب في أرض فلسطين الذين شُرّدوا واغتُصبت أملاكهم ، وقارنت الأمر وقاربت وتمنيت لفلسطين التي شابهتنا في النكبة أن تشابهنا في المصير ، ورجوت لها قيادة صالحة وفداء قوياً ووحدة سليمة حتى أردد معهم قوله تعالى : ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرّوا ما علوا تتبيراً ﴾ .

(٤)

والآن تخرج (الطبعة الرابعة) والموقف العربي لا تشرق في جوانبه الابتسامات المأمولة ، فقد هدأت فكرة الحرب إلا قليلاً ، وتوقّف عملياً إطلاق النار في الجولان والسويس ، ودارت المعارك الرهيبة بين جيش الأردن والفدائيين ، وتلاحقت هذه المعارك حتى كلّ الفداء تجاه إسرائيل لأن الدفاع عن القواعد

(١) حين ألح وزير خارجية إيطاليا (ألدو مورو) على مقابلتي أثناء زيارتي لتركيا حددت له موعداً في سفارتنا بلبنان، وكان يرافقه وفد كبير ، ودارت محادثات طويلة تاريخية لم يجد الوزير ووفده جواباً لتساؤلاتي عن مقدار التعويض لمثل هذا العمل الذي لا يعرفه تاريخ حضارة الإنسان.

والحياة إنما يوجد أمام جيش عربي في الأردن . وتلاحقت المعارك بين هدأة تلحق كل اتفاقية بعمان أو القاهرة ، وبين صراع يستهدف إبعادهم عن المدن والقرى أو إخراجهم من كل أرض الأردن ، ومهما كانت الأسباب التي تذرعت بها الأردن فإن إطلاق الرصاص العربي ليحصد رجال الفداء عمل لن ينساه التاريخ الحزين . ووقفت إسرائيل هانئة آمنة ، فإن السلاح العربي إما خافت نائم ، وإما موجّه إلى قلوب أبنائه وصدورهم .

وبقي جانب مهم يُعطي الأمل ويهيء النفوس لاستقباله ، ذلك هو نداء قومية المعركة الذي نادت به الثورة الليبية وأعلنه رئيسها مرات ومرات، وبذل في سبيله جهوداً لا تكلّ ولا تملّ ، وقومية المعركة بالطريقة التي يريدها ثوار ليبيا هي أن تتجمع قدرات العرب في عطاء منظّم واضح ، وأن تجند إمكاناتهم في نظام سليم مدروس ، وألا يكون شيء قبل المعركة، ولا شيء أهم من المعركة. يقبل الجميع في إدراك كامل أن مصيرهم متعلّق بذلك ، وأنهم بين أمرين : إما أُمة تثبت وجودها فهي منصورة ، وإما أُمة متخاذلة فهي مطحونة مقهورة ، ومن أولى من أمتنا بإدراك هذا ، وإن الشجرة السيئة التي نبتت صغيرة في حماية بريطانيا ثم ترعرعت ونمت في رعاية الأمريكان قد زحفت أشواكها وجذورها حتى أفسدت زرعنا ، وخرّبت أرضنا ، وآذت شعبنا ، وعطلت نمونا ونهضتنا ، فإن لم تقطع بأسلحة صادقة حداد طمست كل ما في جوارها وأبادته ، وخربت حصوننا وكياننا وهدمته ، وهي قاطعة بذلك خط الرجعة على التاريخ ، والويل لمن يطحنه العدو الغالب والحاقد الغاصب ، فإن الكسر حينئذ لا جبر له ولا التئام ، والتاريخ شاهد لا يغفل ولا يرحم ، وإن جفت حروفه حيناً فهي لا تبيد ، وسيسجل للعمل الطيب ذكرى خالدة وتجربة تعاد ، ولن يُرحم الذين يشذون عن الأمة ويتناسون أهوالها وآلامها .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

المؤلف

بنغازي

ربيع الأول ١٣٩١ هـ

أيار (مايو) ١٩٧١ م

الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية من كتاب « **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** » تخرج للقراء بعد وقت قليل من الطبعة الاولى .

ولقد كان لهذا الكتاب اهتمام خاص في انحاء الوطن العربي ، حتى انه نفد من اسواقها خلال شهر واحد ، وكان المفروض ان نسرع بالطبعة الثانية لولا ان العزم كان منصرفا الى اضافة ما جد من احداث في القضية الفلسطينية ، وما جد لدينا من وثائق هامة ، ولكن الحاح الاخوة في الوطن العربي لم يمكننا من انجاز كل ما عزمنا عليه حتى لا يطول وقت الانتظار .

لقد شرحنا في هذا الكتاب وثائقيا ومستنديا حقائق جهاد شعب فلسطين الذي لم يلن ولم يهن امام صعاب تنوء الكواهل بها ، وتضيق لها الامم الكبرى ، فوجد شعبنا العربي سجلا احتفى به وتعمق في دراسته ، وكوّن عن شعب فلسطين المجاهد فكرة سليمة تتفق مع حاضره الجهادي العظيم وتختلف كل الاختلاف عن تلك الاختلاقات والاكاذيب التي روجتها الصهيونية ، وتلقفها الاعداء والضعفاء ، فكانت حديث المجالس ، وذكر السامرين .

وهكذا كتب لي مئات الشباب من الوطن العربي ومن اقصى الشرق فرحين بهذا البحث ، وذاكرين عنه الاستفادة العميقة، والدراسة التاريخية السليمة .

ووصل الكتاب الى اجزاء بعيدة في العالم ، فوجد فيه الاحرار بحثا يوضح كيف كانت عيون بريطانيا عمياء عن رؤية اساليبها التي تهدف الى ابادة العرب واجلائهم واحلال الصهيونية محلهم ، وكيف كانت آذانها صماء عن كل احتجاج او تحرك او جهاد في سبيل منع الهجرة والاعتراف بالعرب اصحاب حق ووطن ، وكيف تنكرت لواجبات الضمير ورضخت للصهيونية منذ اول يوم ، وسنت من القوانين ورسمت من التشريعات ما لا يصدقه عقل في حضارة القرن العشرين ، ولا في العصور المجهولة .

وهكذا كتب لنا هؤلاء الاحرار يستأذنون في ترجمته فوافقنا على ان يصدر قريبا باللغة التركية وباللغة الايطالية عسى ان يتذكر به الشعب

التركي ان العرب في فلسطين قاوموا المحتل البريطـاني مقاومـة الابطـال خمسين عامـا .

وعسى ان يتفهم الشعب الايطالي كيف كانت حقيقة قضية فلسطين، وان شعبها المكافح اجلي عنها ليحتلها شعب دخيـل ، رعـاه الاستعـمار الصليبي متعاونا مع الصهيونية الدولية .

وتقدم شباب من ابناء فلسطين يخططون لترجمته الىاللغة الانجليزية لايضاح واثبات حقائق مستندية بعد اليوم عن شعب بريطانيا واميركا ان يعلما كيف حدثت ؟ ولماذا حدثت ؟ وهل حدثت حقا ؟...

وانه لمن الواجب تقديم العذر الى الاخوة في السعودية والخليج العربي عن تأخرنا في توزيع كميات كافية من الطبعة الاولى لديهم ، حيث ان شعبنا العربي في ليبيا كان قد استحوذ على الكمية الكبرى وهو يطالع قضية هي اشبه القضايا بما مر به من ادوار تاريخية خالدة ، وهي قضية العرب كلهم، بل الاسلام والاحرار في كل ربع وقطر .

لقد روجعت هذه الطبعة مرارا * لتسلم من الاخطاء ، وليضاف اليها بعض الملحوظات والاحداث ، والامل ان يكون لها في عالمنا العربي والمسلم من الحظ ما للطبعة الاولى من شأن واهتمام . وهي حديث عـن شعب بطـل مجاهد شرفت به الامة العربية، وخيرها يعود الى الاخوة المجـاهدين عـلى تراب الارض المقدسة والتي تستنهض كل هممنا وامكاناتنا .

والله الموفق والمعين .

القاهرة في ١٩٦٩/٦/٢٨ **المؤلف**

* شكرا للصديق الكريم الدكتور احمد الشرباصي الذي بذل جهـدا كبـيرا في دراسة الكتاب ولفت النظر الى ما سهي عنه من اخطاء .

تقديم الكتاب

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ احمد حسن الباقوري
مدير جامعة الازهر
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

- ١ -

يقولون ان الانسان كلما تقدمت به سنه الى امام ، تراجعت به ذاكرته الى وراء ، حتى ليكاد يدرك الصور التي عاش فيها ابان صباه ، بله ابان شبابه .

ولست اراني في حاجة الى من يؤكد لي صحة هذه المقالة ، وذلك انني في هذه اللحظة التي أتناول فيها القلم ، محاولا كتابة تقدمة لرسالة الاستاذ صالح مسعود ، اكاد أتمثله جالسا امامي مع اخوانه طلاب الازهر ، قبل ربع قرن ، واكاد أتمثل قسمات وجهه وهو يتلقى عني دروس الادب العربي التي كنت مكلفا اداءها يومذاك .

واحب ان اشير الى انني لم اكن اتقيد في التدريس بالمنهج الازهري الخالص في علوم اللغة أو علوم الدين ، بل كنت أمزج السياسـة بالعلـم ، والحاضر بالتاريخ ، وأتناول الدين بروح الدنيا ، والدنيا بروح الدين . كما كنت حين أجد وسيلة للحديث عن الاستعمار البريطاني ، أحاول استقصاء سيئاته ، وتحليل العناصر الخطيرة الكامنة فيه وتحديد الغايات البعيدة التي يتغياها في بلاد العروبة والاسلام .

وليس يخفى أن الاستعمار البريطاني كان كالأفعى ، تكون قاتلة السم على مقدار ما تكون ناعمة الملمس ، خلاف استعمار الآخرين من الاوروبيين فانهم في اكثر الاحيان ، كانوا أجلافا قساة ، يتناولون مقدسات الشعوب التي يستعمرونها تناول الحاقد المغيظ ، الذي لا يبالي يقظة الضغائـن ، واضطرام الأحقاد ، وثورات الشعوب .

والذين يقرأون تاريخ استعمار فرنسا للجزائر ، وايطاليا لليبيا

وبلجيكا للكنغو ، وهولندة لأندونيسيا ، وما الى ذلك ، يرون اللف والدوران واللجأ الى سعة الحيلة والليإذ بالأساليب الخفية الماكرة في الاستعمار البريطاني ، على قدر ما يرون الخشونة والجلافة ومواجهة الصعاب والاستخفاف بعواطف الشعوب في ألوان الاستعمار الاخرى .

واني لأكاد اتمثل في هذه اللحظة وجه الطالب الليبي صالح مسعود ، يوم كنت أتحدث حديثي ذاك ، وهو بين يدي يستمع ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الدهشة مما اقول ، ولعل ذلك لأنه كان لا يرى استعمارا افظع من الاستعمار الايطالي الجاثم على وطنه ، ولأن خواطره كانت أسيرة خيالات مفزعة ، لا تجرى في وهم صورة أبشع منها ولا ادخل في باب الوحشية والاجرام .

ولعله من أجل ذلك كان يرى أستاذه مبالغا ، أو متحاملا ، أو غير مستوعب لما يجري على أيدي المستعمرين في شعوب كثيرة نكبت بالاستعمار وذلك هو ما جعل وجهه يتراءى يومذاك ، مغمورا بالشك وعدم الاقتناع بما يسمع من كلام وينساق الى اذنيه من حجج وبراهين .

- ٢ -

اقول هذا وبين يدي الآن صورة مجملة للبحث الذي نال به الاستاذ صالح مسعود درجة الماجستير من جامعة الازهر ، وهو البحث الذي رجونا ان يخرج في كتاب ينتفع به الظامئون الى المعرفة من شباب العروبة والاسلام.

تضمن هذا البحث الصور البطولية لجهاد شعب فلسطين ، كيف قاوم مؤامرة القوتين الكبيرتين الصليبية الاستعمارية ، والصهيونية العالمية ، وكيف ثبت ضد جور تلك القوانين الغريبة الشاذة ، وكيف بذل الارواح على مر التاريخ ، فلا يكاد تهدأ له ثورة ، حتى يبدأ ثورة جديدة ، وكيف كان محتاجا لعون اخوانه ـ الذين منعهم عنه جور الاستعمار ومشاكله ـ فبقي وحيدا في معركته المرة عشرات السنين . واحاط المؤلف بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، احاطة يحتاجها شبابنا اليوم ليسيروا مع تاريخ قضية المصير العربي ، في جميع مراحلها ، وكلها دروس وعبر، ومعالم جهاد ، وثبات وتضحية .

وقد تضمن هذا البحث ايضا الصورة الافعوانية للاستعمار البريطاني الذي كان يتجهم لها من قبل صالح مسعود الطالب ، ثم لم يلبث أن امتلأ بها ذهنه وجرى بها قلمه بعد ان درس وبحث بعقل ثاقب وبصر نافذ وتجربة مريرة وصبر طويل .

وأحب أن أعطي قارىء هذا الكتاب صورة مجملة له تتجلى فيها الآراء التي كنت ادين الله عليها منذ عرفت الطريق الى السياسة وأخذت نفسي بالنظر الفاقه فيها والدراسة المستوعبة لها .

وفي هذه الصورة المجملة ، تناول الاستاذ المؤلف الاحداث التاريخية، منذ ثار الحسين بن علي على الدولة العثمانية ، من حيث كانت هذه الثورة هي التي فتحت الباب لدخول الانجليز فلسطين عام ١٩١٧ . وقد التزم الجانب العلمي في بحثه ، فدرس أسباب تلك الثورة ، وتصرفات جمعية الاتحاد والترقي، التي اندست فيها جماعات من اليهود «الدونما» تعاونوا مع الانجليز على تحطيم الروابط في الدولة المسلمة بين العرب والاتراك وهم الاخوة الذين جمعتهم كلمة الاسلام ، وبذلوا دماءهم قرونا طويلة في سبيل الأمة الاسلامية .

وقد تحدث المؤلف عن فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، وأثبت أن اليهود سعوا جاهدين لجعل بريطانيا هي الدولة المنتدبة ، بعدما اتفقوا معها على صك الانتداب ، وضمنوه وعد بلفور ، ليصدر بعد ذلك على أنه صك دولي يقضي على فلسطين أن تصير على وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي ، تتحول به الى وطن قومي لليهود .

كذلك أوضح افعوانية السياسة البريطانية في تلك البقعة العزيزة على العرب جميعا مسلمين ومسيحيين ، وكيف أدار الانجليز سياسة هذه البقعة الطهور خلال ثلاثين عاما ، ادارة جعلتها أسيرة الأوضاع التي تضمنها صك الانتداب ، وخاضعة لقوانين خبيثة تستهدف سلب حق العرب في أرضهم واقتصادهم ، وتسليط الظلم عليهم ، وانزال اقسى العقوبات بهم .

- ٣ -

والذين يدرسون القوانين التي سنتها بريطانيا لفلسطين ، يجد في ثنايا سطورها أن بريطانيا كانت تعتبر فلسطين بلدا بلا شعب ، وتستهدف الا يكون شعبها الا من اليهود . فقد سنت قانون الهجرة اليهودية الذي فتحت بها أبواب فلسطين لجميع اليهود من جميع بقاع الدنيا وسائر انحاء الارض .

ولقد بلغت أفعوانية الاستعمار البريطاني ذروتها حين نصت في دستور فلسطين هذا النص العجيب :

« انه ما دام الشرع الاسلامي يبيح لسلطان تركيا حق التصرف في الارض ، وما دام المندوب السامي البريطاني حل محل السلطان ، فان من حقه

أن يتصرف كيف شاء في ارض فلسطين » .

وفي مادة أخرى من مواد الدستور تقول السياسة الافعوانية التي لبست جلد النمر بدلا من جلد الافعى :

« ان المندوب السامي البريطاني غير مكلف بتطبيق العدالة والمساواة ومبادىء التشريع العام في فلسطين ، الا حيث تسمح له الظروف » .

ويعرف العقل والمنطق والعاطفة وكل الناس أن الظروف لا يمكن ان تسمح بحال ، لأن اهل فلسطين يواصلون جهادهم ضد صك الانتداب وضد وعد بلفور ، وبذلك يكون المندوب السامي غير مكلف تطبيق العدالة والمساواة في فلسطين .

وتمضي السياسة البريطانية مرتدية جلد النمر وناضية جلد الثعبان فتقول في أحد القوانين :

« ان اصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء على أي ارض تخص مشاريعهم اذا لم يوافق مالكها على بيعها ، ولصاحب المشروع ان يودع الثمن المحكمة بأمر المندوب السامي » .

ولا يجهل احد أن أصحاب المشاريع كلهم من اليهود ، وأن ملاك الارض كلهم من العرب .

والعجيب أن هذه القوانين الافعوانية ، لا يكاد المرء يظن انه رآها في كتاب عربي من قبل ، ولا أنه سمعها من زعيم عربي من قبل ، مع اليقين الذي لا يرقى اليه الشك ، أن كثرة كثيرة من زعماء العرب وقادتهم لم تكن تخفى عليه هذه القوانين .

— ٤ —

ان الذين يغضون أبصارهم عن جريمة الانجليز في اقامة دولة اسرائيل وتشريد العرب ، هم من ذوي النظر القصير أو الفكر التافه أو الوطنية المريضة . فان هذه الجريمة من الظهور والاستعلان بحيث لا تخفى على دارس يبتغي الطريق الى الحق ، ليقيم مشاعره وأحاسيسه على أسس صحيحة لا يرقى اليها الوهم ولا ينفع معها الخداع .

ولقد اذكر أنه حين انتهى الى مجلس لنا صغير ، نبأ استشهاد الشيخ عز الدين القسام في المعارك التي كانت ناشبة بين الانجليز واليهود من جانب والعرب من جانب آخر قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع أسن القوم في ذلك المجلس الصغير ، أن يحبس الدموع في عينيه ، فراح يبكي كما يبكي الطفل الصغير ، لا يبالي أن يستخفه المصاب ، مع كبر سنه

وعظم قدره وجلال وقاره .

ولما استطاع أن يكفكف دموعه وأن يهيمن على مشاعره ، قيل له :

« فأين الصبر ، ولم تبكي عز الدين القسام ؟ وقد لحق بالرفيق الاعلى وصار الى جنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين » .

وعوض أن تكون هذه الكلمات وسيلة تهدئة ، كانت مسعرا يؤجج نيران حزنه ، فازداد نحيبه ارتفاعا ودمعه تدفقا ، حتى اذا سكت عنه الحزن ، ورقأ الدمع ، وهدأ النشيج ، راح يقول في نغمة آسية أسيف :

اني لا آسى على القسام رضي الله عنه ولا على الذين يلحقون به من خلفه . ولكني أبكي لأنني أرى ما لا ترون ، وأتصور ما لا تتصورون .

ان الاستعمار البريطاني فيما اعتقد كانت له غايتان كبيرتان في دنيا العروبة والاسلام . وقد ظفر بالغاية الاولى على أتم وجه يتهيأ به الظفر . وبقيت له الغاية الثانية . واذا كان تحقق غايته الاولى نذيرا بتحقيق غايته الثانية ، فان دولة اسرائيل لا بد أن تقوم ولو لفترة من الزمان ستكون عصيبة جدا على العالم العربي جميعه .

فأما غاية الاستعمار الاولى فهي القضاء على الخلافة الاسلامية . قضاء تتفرق به كلمة المسلمين وتتشعب وحدتهم ويملأ اليأس نفوسهم . حتى تخلو للنفوذ البريطاني دنيا العروبة والاسلام .

لقد سلك الاستعمار البريطاني في تقويض الخلافة الاسلامية وقتل ثقة المسلمين بعضهم في بعض ، سبيلا يعيا بسلوكها الشياطين . وساسة بريطانيا أهدى من القطا بسبل الشحناء والبغضاء ، وفصم العرى ، وتقطيع اواصر الود ، التي احكمتها الاخوة بين الاخوة على مر الزمن وتعاقب العصور .

فقد لجأت السياسة البريطانية الى التشنيع بما كانت تسميه الستار الحديدي المضروب على تركيا ، سلطانا وحكومة وشعبا ، وراحت تزعم للشعوب في مختلف أنحاء العالم ، أن هذا اللون من العزلة ، هو تغطية للاستبداد القاتل الذي يعانيه الشعب التركي من حكامه المستبدين ، وما زالت تلح في هذا المعنى ، وتنشره على الناس في كل مكان حتى اصطنعت داخل تركيا أنصارا من حزب الاتحاد والترقي لتجريح الخلافة والخليفة ، واصطنعت في خارج تركيا ومن أبناء الامة العربية والامة الاسلامية الانصار الذين يأخذون بوجهة النظر الاستعمارية ، فيتنكرون اشد التنكر للخليفة ويعلنون على الناس في كل مكان سيئاته في صورتها الحقيقية أو في صورة مضاعفة آلاف المرات .

ولقد اشترك في هذه السياسة كثير من زعماء الفكر ، بعضهم بنية سيئة غاية السوء وبعضهم بنية حسنة ممن يقول فيهم رجال علم مصطلح الحديث : مغفلون أو بتعبير أدق وارق ، تدركهم غفلة الصالحين . واظن أن التاريخ لا يعرف دولة كدولة الأتراك بذلت في سبيل الاسلام من دمها ومالها وزهرات شبابها ما بذلت ، ثم لقيت من الجحود ما لقيت .

انني في هذه الكلمات لا احاول تبرئة تركيا العثمانية من المظالم البشعة التي كانت تقترفها ضد رعاياها في كل مكان . ولا احاول أن انفي عنها العنجهانية العنصرية التي كانت تعتنقها وتؤمن بها وتسلطها على العرب بوجه خاص ، ولكنني اريد أن أقول أن ها هنا خدائع صليبية استعمارية تأثر بها العرب كما تأثر بها الأتراك العثمانيون ، ولو قد كان لهؤلاء وهؤلاء ان ينتبهوا لتربص السياسة الغربية بهم وبالدولة التي كانوا ينتسبون اليها ، لما وقع ما وقع من الفتن والاضطرابات والهزائم التي لم تأكل نارها تركيا العثمانية وحدها بل اكلت معها بلاد العرب وبلاد المسلمين في كل مكان. ولا شك ان كمال أتاتورك نفسه كان خديعة استعمارية كبرى وان انتصار جيشه ذلك الانتصار الرائع الذي صوره الشاعر احمد شوقي وهو يقول مخاطبا مصطفى كمال :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

أقول أن هذا الانتصار الذي أحرزه كمال أتاتورك كان انتصارا هيأ الاسلام أسبابه حيث استطاع أتاتورك ان يعبىء بروح الدين نفوس الشعب التركي فخاض معه معركة حاسمة وفاصلة ، ولكن أوربا التي قبلت هذا النصر استطاعت ان تسخر مصطفى كمال بعد ذلك فيما تريد من ازالة الخلافة والقضاء على الدولة وانتهاب مخلفاتها من شعوب واقطار وكفور .

ولست أشك في أن الحسين بن علي رحمه الله كان رجلا تلفه غفلة الصالحين ، وهو يطعن الجيش التركي من الخلف ، ويدع أولاده يظاهرون الجيش الصليبي الاستعماري الزاحف على الاتراك ، والمتربص بهم في كل مكان .

وان مما يأكل القلب حسرة وأسى ، أن نرى الأمير فيصل الذي ولي ملك العراق بعد ذلك يعمل في جيش اللورد اللنبي قائد جيش الحلفاء في منطقة الشرق الاوسط .

ووجه الغرابة ان الشريف حسين والمحيطين به والمنتصرين لدعوته والقائمين معه في تأسيس الدول العربية شقا لعصا الطاعة على الخلافة

التركية ، كان من اكبر ما يتذرعون به الى السخط على دولة الخلافة ان جمعية الاتحاد والترقي كانت تتنكر للاسلام وتظاهر الملحدين وتعتنق فكرة الحادية واضحة المعالم بين الشعب التركي ، وان خروج الشريف ومن لف لفه ودعا بدعوته انما خرجوا على الخلافة من أجل ذلك .

اقول ان من الغرابة بمكان مكين أن يكون احترام الاسلام والغيرة عليه سببا من اسباب خروج الشريف على الدولة ثم يكون هو ومن معه مناصرين للسياسة الاستعمارية الصليبية وان يكون احد اولاده ضابطا في جيش تعلو راسه راية الصليب الاستعماري .

وايا ما كان الامر فان من حق هذه النظرات ان تجد لها من يبسطها بسطا واضحا ومن يتناولها بمعرفة مستوعبة وعلم غزير وفقه للاساليب الاستعمارية عظيم ، حيث يستبين غاية الاستبانة أن السياسة البريطانية الافعوانية هي قائد هذه الحملات المظفرة وعذيقها المرجب وجذيلها المحكك على حد التعبير العربي القديم .

— ٥ —

ذلك حديث عن احدى الغايتين الكبيرتين للاستعمار البريطاني ، فأما الغاية الاخرى : فهي ان تقوم لليهود دولة في منطقة الشرق الاوسط وان قيام دولة لليهود في منطقة الشرق الاوسط لأمر تنشده السياسة البريطانية كما تنشده المطامع اليهودية على قدر سواء، فقدكان البريطانيون يرون قناة السويس دائما سبيل حياة دولتهم العظيمة ، فقد كانت طريقا الى الهند واوستراليا ونيوزيلندة، وكانوا يرون انمصر اذا قويت واتحدت مع اخواتها العربيات اتحادا قائما على اساس قوي وسليم ، فان من الممكن ان يكون لها موقف زعامي عظيم تهدد به نفوذ بريطانيا وحياة السياسة الاستعمارية البريطانية في كل مكان .

ومن اجل ذلك اعانت وحرضت وظاهرت قيام دولة اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط لتكون ملجأ لها ومفزعا تفزع اليه لتقلم اظافير القوة المصرية حين تصبح خطرا على الاستعمار والمستعمرين .

وقد بدا هذا التفكير واضحا في حرب ١٩٥٦ ، حين اجتمعت انجلترا وفرنسا واسرائيل على حرب الشعوب العربية ممثلة في مصر التي وقفت — في تلك الفترة — موقف الزعيم المفدى المقذور .

ومن اجل ذلك اراني دائما شديد الحذر في النظر الى بريطانيا وتصرفاتها ، فانها دولة تمتاز بالصبر العظيم ، ذلكم الصبر الذي يصفه الشاعر العربي بأنه اعظم نفوذا من العقل كذلك حيث يقول:

لا يبلغ العقل والدنيا تساس به   ما يبلغ الصبر في الاحداث والنوب

ثم ذلكم الصبر الذي حاول المصريون ان يتخذوا حوله ملحة بارعة في الحرب العالمية الثانية ، حين اجتمع روزفلت وستالين وتشرشل في مؤتمر يالتا . فقد روى ظريف مصري عن المناقشات التي دارت في هذا الاجتماع الثلاثي فقال : حين انتظم عقد الاجتماع قال ستالين ان هذه المعركة بيننا وبين النازية والفاشية تحتاج الى اصول ثلاثة ، الى العَدَد ، والى العُدَد ، والى الصبر .

ثم راح الثلاثة يتوزعون هذه الاصول ، فقال ستالين : ان على روسيا العَدَد لأن فيها خلقا كثيرة ، وقال روزفلت : ان على امريكا العُدَد فان فيها صناعة راقية وغنا طائلا. وقال تشرشل : فأما ما على بريطانيا فهو الصبر.

انني حين أسوق هذه المضحكة لا اكاد اجد للضحك سبيلا الى نفسي لأن الحقيقة أن بريطانيا شديدة الصبر على المكاره ، بعيدة الهمة في تحقيق الآمال، ولهذا لا ينبغي لنا أن نغتر بمواقفها السطحية منا، فان في سياستها السم القاتل .

- ٦ -

وهكذا يظهر ان صالح مسعود حين كان طالبا قادما من بلد ضاق بظلام الاستعمار وظلمه واكتوى بسياسة الابادة والطلينة ، وشهد تضحيات شعبه الكبيرة ، كان ينظر الى السياسة الايطالية على انها اشد الوان السياسة عنفا ، واخلقها بغيظ الناس وحنقهم ، واولاها بالمقاومة والدفاع، غير انه حين مضى به الزمن الى امام ، درس ما لم يكن درس ، ورأى ما لم يكن رأى ، فصور للناس في رسالته هذه السياسة البريطانية الاستعمارية، صورة قبيحة اشد القبح ، مؤلمة اشد الايلام . وهو بهذا يكون قد التقى مع استاذه ولو بعد زمن طويل .

اما بعد : فانه ليسعدني ابلغ السعادة ، ويكسبني أعظم الفخر ان أقدم الى العالم العربي والعالم الاسلامي والعالم الانساني هذا الجهد العلمي المخلص الذي بذله في هذه الرسالة لله ثم للحقيقة والتاريخ ، تلميذي المخلص وابني البار الاستاذ صالح مسعود ، حفظه الله وادام عليه نعمة التوفيق .

احمد حسن الباقوري

القاهرة ٥ ربيع الاول ١٣٨٨
١ حزيران ١٩٦٨

جهاد الفلسطينيين

بقلم
اللواء الركن محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي ببغداد
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو اللجنة المجمعية بالرباط

- ١ -

كنت ضابط ركن جحفل اللواء الرابع الذي كان في مدينة (جنين) الحبيبة خلال حرب عام ١٩٤٨ ، فمكثت فيها سنة كاملة .

واتاحت لي الظروف ان أتولى منصب الحاكم العسكري لمدينة (جنين) بالاضافة الى منصبي في جحفل اللواء ، فأصبح اتصالي مباشرا بأهل المدينة وبالنازحين اليها من منطقة (حيفا) من الفلسطينيين المدنيين .

وكنت أعرف قسما من الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، فقد كنت على اتصال وثيق بالمجاهدين الفلسطينيين منذ عام ١٩٣٨ حين كان الشهيدان البطلان : العقيد الركن صلاح الدين الصباغ والعقيد الركن محمد فهمي سعيد ، يمدان الثورة الفلسطينية بالسلاح والعتاد سرا ، وكنت يومها اسلم السلاح والعتاد لهؤلاء المجاهدين الفلسطينيين في منطقة (ابي غريب) من ضواحي بغداد .

ولما اشتبك الجيش العراقي بالقوات البريطانية في ثورة عام ١٩٤١ ، كان المجاهدون الفلسطينيون في عون الجيش العراقي في حربه ضد بريطانيا. هؤلاء المجاهدون من جماعة مفتي فلسطين الاكبر، وقد كنت على اتصال وثيق بهم

كانت معلوماتي الأولية عن الفلسطينيين انهم رجال ابطال مقاتلون من الدرجة المتميزة ، يتلقون الأوامر بتفهم عجيب ، وينفذونها عن طيبة

خاطر ، ويقدمون حين يحجم الناس ، ويستبسلون في المعارك ، ويستقتلون في الحرب .

وكنت بالاضافة الى اتصالي الشخصي المباشر بقسم من الفلسطينيين، اقرا كل كتاب يصدر عن القضية الفلسطينية ، واتابع بشوق غامر اخبار ثورة فلسطين واخبار الثوار الأبطال ، واستوعب كل ما يقع بيدي عن فلسطين ، واصغي بانتباه شديد الى كل ما يمت بصلة قريبة او بعيدة بفلسطين وبرجالها وبتاريخها وبجغرافيتها ، واقتني كل خريطة عسكرية أو مدينة لفلسطين .

وقبيل دخول الجيوش العربية فلسطين ، كنت اتابع جهاد رجالها في الأرض المقدسة ، واتلقف انباء المجاهدين الفلسطينيين باعجاب شديد .

- ٢ -

لم أكن غريبا على اهل فلسطين عندما قدمتها مع الجيش العراقي الذي استقر في المثلث العربي : نابلس – طولكرم – جنين .

ولكنني بعد مكوثي فيها سنة كاملة ، ازددت علما بها ، فربطتني بأهلها – خاصة اهل جنين الكرام – روابط من الصداقة والثقة المتبادلة والحب الصادق ، تلك الروابط التي لا تزداد مع الأيام الا قوة ومتانة ، فكنت أتصل بهم بالرسائل ، وارعى أولادهم من التلاميذ والطلاب الذين يدرسون في مدارس العراق ومعاهده وجامعاته .

كانت رسائلهم تردني تباعا كل يوم تقريبا قبل نكبة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكان اكثرهم يحل ضيفا في داري ببغداد كلما زاروا العراق ، وكان اولادهم ولا يزالون أولادي ، يزورونني وازورهم ، ويعرضون علي مشاكلهم كلما حز بهم امر من الامور ، فاذا غابوا عني فترة من الزمن فتشت عنهم في مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم اسائلهم عن دروسهم ، واتسقط اخبار اهليهم ، فأفرح لفرحهم وأحزن لحزنهم ، وما أكثر احزانهم واقل أفراحهم اليوم !

ذكرت ذلك ، لأنني اريد أن انبه الى ما طوقني به وطوق به اهل (جنين) الأكارم كل العراقيين من فضل لا ينسى ابدا .

كان اهل (جنين) يرعون العراقيين رعاية لا توصف : بيوتهم مفتوحة للجميع ، يتلقونهم فيها بالاحضان ، ويغدقون عليهم من كرمهم وأريحيتهم ، فكانوا بحق أهلهم بعد اهلهم ، وقد انسوهم بما بذلوه من كرم ولطف انهم

بعيدون عن وطنهم ، واشعروهم بأنهم بين ذويهم الأقربين .

اذكر انني كنت اتناول الطعام في منازلهم اكثر مما كنت اتناوله في مطعم الضباط ، وقد تدخلوا حتى في أبسط شؤوني الادارية ، وكنت اذا مرضت عادوني ، واذا غبت عنهم سألوا عني .

لقد كانوا اهلي ، وكانت (جنين) بلدي ، ولا ازال حتى اليوم أتحسر على تلك الأيام التي قضيتها بين اهلي اهل جنين وفي بلدي (جنين) . وما يقال عني ، يقال عن العراقيين الآخرين .

- ٣ -

تلك هي لمحات من انسانية اهل فلسطين ممثلة بأهل (جنين) .

فماذا عن جهادهم الذي لمسته فيهم يوم كنت مع الجيش العراقي في الأرض المقدسة ؟

منذ حلت ارض فلسطين ، كانت افواج الفلسطينيين تتقاطر على المقرات العسكرية تطالب بالسلاح وبالتدريب العسكري وبالقاء مهمات عسكرية على عاتقها للنهوض بها .

وكانت اسرائيل قد احتلت (جنين) في شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٨، فاستطاع الجيش العراقي طرد الصهاينة من (جنين) بمعاونة المتطوعين الفلسطينيين .

وقد جرت معارك طاحنة بين جيش اسرائيل والجيش العراقي لاستعادة قرية (عارة) وقرية (عرعرة) وقرية (صندلة) من قرى (جنين) ، وكان للمتطوعين الفلسطينيين اثر اي اثر في انتصار الجيش العراقي على القوات الاسرائيلية، واستعادة هذه القرى وغيرها الى العرب.

وكان للمتطوعين الفلسطينيين جهاد مشكور في منطقة (طولكرم) وفي المناطق الفلسطينية الأخرى .

وكان لجماعة الجهاد المقدس جهاد عظيم في منطقة القدس ، اذا نساه الناس ، فلن ينساه رب الناس .

وكان للشهيد عبد القادر الحسيني عليه رضوان الله جهاد عظيم في منطقة القدس ، حتى قدّم حياته الغالية في معركة (القسطل) .

وقد نظم الجيش العراقي في منطقته اربعة افواج من الفلسطينيين

اطلق عليهم اسم : المناضلين الفلسطينيين ، وكان لهؤلاء جهاد مشرف في قطاع جنين وقطاع طولكرم .

وقد انخرط في فوج صلاح الدين وفوج خالد بن الوليد وفوج الكرمل وفوج سعد رجال دين واساتذة ووجهاء وطلاب جامعات وفلاحون وعمال وكسبة ، فاتقنوا التدريب العسكري وفنون القتال في فترة قصيرة ، ووصلوا الى درجة عالية من الضبط والنظام والتدريب والتنظيم .

لقد استطاعوا ان يتقنوا التدريب العسكري بمدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر ، وكان منهج تدريبهم يطبق على غيرهم من العرب خلال سنتين .

انني أسجل هذا التفوق في التدريب العسكري للفلسطينيين فخورا بهم معتزا بمقدرتهم العقلية وقابلياتهم العسكرية .

ولست انسى يوم جرى استعراض عسكري في (جنين) للمناضلين الفلسطينيين ، وكان ذلك في شهر ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٨ ، ثم اعقبه تمرين تعبوي بالعتاد الحي في منطقة معسكر (حلبة) ، فقد كان ذلك الاستعراض باهرا حقا، وكان التمرين متميزا ناجحا الى ابعد الحدود.

واشهد ان الفلسطينيين كانوا جنودا بكل ما في الجندية من معاني الضبط والنظام ، والتضحية والفداء ، وكانوا ملء العين قدرا وجلالا ، وبطولة وشجاعة .

لقد كانوا رجالا في مزاياهم الانسانية والعسكرية على حد سواء .

– ٤ –

وفرضت الهدنتان الأولى والثانية على العرب عام ١٩٤٨ ، وجمدت الجيوش العربية في الأرض المقدسة ، وانقلبت خطط تلك الجيوش من خطط هجومية هدفها انقاذ الأرض المحتلة من فلسطين واستعادتها الى أصحابها العرب ، الى خطط دفاعية هدفها المحافظة على ما تبقى من ارض فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ، لم تتبدل خطط الجيوش العربية ، فهي خطط دفاعية مستكنة(١) لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا !!!

---

(١) الدفاع المستكن : هو الدفاع الجامد الذي يكتفي بتلقي الضربات ثم لا يفعل شيئا غير صد تلك الضربات اذا استطاع الى ذلك سبيلا ، دون ان يهاجم عدوه ليكيل له الصاع صاعين . ولن يؤدي الدفاع المستكن الى النصر مطلقا .

وتقبل الفلسطينيون الهدنتين على مضض ، وكانوا يقولون علنا : « اننا كبدنا يهودا خسائر فادحة ، حين كنا وحدنا في الميدان قبل دخول الجيوش العربية ارض فلسطين ، وكان يهود يخشوننا فهم دائما مدافعون ونحن دائما مهاجمون ، فكيف يصح ان نتقبل خطة الدفاع والجيوش العربية معنا ؟؟ » .

وذهبت صرخاتهم الملتهبة هباء ، وتبددت احتجاجاتهم في الهواء ...

وكان الاتجاه الرسمي للجيوش العربية حينذاك هو قبول الهدنة ، ولكن قسما من ضباط الجيوش العربية تجاوبوا مع الفلسطينيين ، فكانوا يرخون لهم العنان ، ويشجعون تسللهم الى داخل ارض العدو ، ويمدونهم بالسلاح والعتاد سرا ، ويغضون النظر عن حركاتهم الهجومية ، وينظمون معهم الخطط الهجومية لضرب العدو في عقر داره .

في منطقة الجيش العراقي في (جنين) مثلا ، كان للفلسطينيين نشاط كبير في ضرب قوات العدو كل يوم تقريبا .

كانوا يتغلغلون في الارض المحتلة ، فيقاتلون دوريات العدو ، ويقطعون خطوط مواصلاته ، ويقضون مضاجعه ، ويعودون غالبا بالغنائم من السلاح والعتاد والمواشي والاسرى .

وقد استطاع احد المجاهدين الفلسطينيين (٢) قبيل عودة الجيش العراقي من فلسطين الى العراق وعودة الجيوش العربية الاخرى الى اوطانها في منتصف عام ١٩٤٩ ، استطاع هذا المجاهد وحده ان يعود بأكثر من مائتي راس من الغنم مع راعيها اليهودي من الارض المحتلة الى فلسطين العربية في منطقة (جنين) ، وكان هذا المجاهد البطل يردد كل يوم : « اتركونا وحدنا لنقاتل الصهاينة ، فحرام ان نراهم يسرحون ويمرحون دون رقيب او حسيب » .

ولست انسى ما حييت منظر المجاهدين الفلسطينيين ، وهم يطاردون فلول الصهاينة المنسحبين عن مدينة (جنين) البطلة وعن قراها العربية .

لقد كانوا يسابقون رجال الجيش العراقي في مطاردة شديدة جدا للعدو ، ويومها كان هتافهم يتعالى :

سيف الدين الحاج امين   نحن بالله منصورين *

---

(٢) هو المجاهد مصطفى الاسمر عليه الف تحية وسلام .

* كان هذا هزج باللغة العامية الفلسطينية الدارجة لذلك فهو لا يستقيم مع نحو اللغة العربية الفصحى ، فليذكر ذلك القراء الكرام عند قراءة هذا البيت ويقصد المجاهدون بكلمة : الحاج امين ، سماحة مفتي فلسطين الاكبر المجاهد البطل الاستاذ الجليل الشيخ الحاج امين الحسيني .

وكان في نية قطعات (جنين) العسكرية من الجيش العراقي ، القيام بهجوم ليلي باتجاه (العفولة) في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، وكان العراقيون يريدون خمسمائة مناضل فلسطيني للتعاون مع الجيش العراقي المهاجم .

وما كاد الفلسطينيون يتسامعون بخطة الهجوم العراقية ، الا وتوافدوا على مقر جحفل اللواء الرابع بأعداد ضخمة بلغت خلال ساعتين فقط ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل ، كان من بينهم شيوخ يزيد عمرهم على السبعين سنة ، وكان من بينهم شباب لم يبلغوا الحلم ، وكان بينهم سيدات وآنسات (٣) .

ولقد بكيت يومها لمنظر الشيوخ والشباب والنساء وهم يصرون اصرارا عنيدا على الجهاد في الخطوط الامامية .

لقد كان منظرهم لا ينسى ابدا .

- ٥ -

ومضت الجيوش العربية عائدة الى بلادها ، ونجحت اسرائيل في توطيد اركان دولتها ، واصبحت القضية الفلسطينية كقميص عثمان بالنسبة للدول العربية ، يذكرونها دائما ، ولا يكادون يفعلون من اجلها شيئا .

ومضى (اللاجئون) الفلسطينيون ينتظرون يوم العودة الى ديارهم التي اخرجوا منها بغير حق ، فكانوا كل يوم يسمعون (تصريحا) رنانا ، وكانوا كل ساعة يقراون خبرا يبشرهم بالعودة .

وكان قائلهم يقول : أما آن لهذا الليل من آخر ؟! فيجيبه من هناك اخ له عربي بقوله : لقد أوشك الصبح ان ينجلي ...!

ومضت السنون ثقيلة الخطى مليئة بالاحداث الجسام ، حتى جاء حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، فلم يتحقق أملهم بالعودة ، بل تضاعف عددهم ، فكانوا مليونا قبل تلك الحرب فاصبحوا مليونين بعدها !!!

لقد حصل اللاجئون على شيء واحد فقط خلال عشرين عاما كلها وعود واماني ...

ذلك هو انهم كانوا يسمون : (اللاجئون) ، فاطلق عليهم اسم (العائدون) (٤) ...

تبدل اسمهم فقط خلال تلك الفترة الطويلة من عمر الزمن ، ولم يتبدل من امرهم شيء غير الاسم ... اصبحوا رجالا بلا غد .

(٣) لم تنفذ الخطة في اللحظة الاخيرة لتدخل السياسة في القضايا العسكرية .

(٤) اللاجئون والعائدون هنا مبنيتان على الحكاية .

- ٦ -

وكان الدرس الاول الذي تعلمه الفلسطينيون من هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، انهم يجب ان يعتمدوا على انفسهم اولا وقبل كل شيء لتحرير وطنهم السليب .

لقد نفضوا عن انفسهم غبار (التخدير) الذي عاشوا في بحرانه عشرين عاما ، فحزموا امرهم وازمعوا على ان يثبتوا للعالم كله انهم اولاد الفاتحين الاولين وابناء خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني وصلاح الدين .

وكان طريقهم الى اثبات رجولتهم هي الدماء والعرق والدموع .

لقد نجحت منظمة (فتح) في ان تخرج القضية الفلسطينية من ركودها الزمني ، وتهز ركائزها بعد ان اجهزت عليها نكبات ثلاث .

وفي هذا المجال ، ظفرت (فتح) باعادة القضية الفلسطينية الى مكانها الطبيعي ، حيث وضعتها بين ايدي اصحابها وبنيها وهم شعب فلسطين .

واستطاعت (فتح) خلق قيادة فلسطينية اصيلة قادرة ، تقود ركب الجهاد بالدماء لا بالأقوال .

لقد اعادت (فتح) للفلسطينيين احساسهم بوجودهم وثقتهم بانفسهم ، وهيأت لهم الشروط والظروف اللازمة لتنظيم صفوفهم ، بعد ان طعنت كرامتهم ووصموا بالتقصير والتقاعس في الدفاع عن فلسطين .

وشقت (فتح) وحدها الطريق امام الفلسطينيين ليتحرروا من الوصاية والتبعية والاتكال ، فأعادت اليهم ارادتهم بعد ان كادوا ان يضيعوا في التيه ويغلبوا على امرهم في ارض اخوانهم العرب .

وعاد الناس في العالم كله يقولون : ان شعب فلسطين هنا ...

وما دامت منظمة (فتح) قد نجحت في جهادها ، فلا بد من ان يلتف اهل فلسطين حولها ، وان يجتمعوا تحت رايتها صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد .

وليس عربيا من يضع العراقيل في طريق شعب فلسطين .

وليس مسلما من لا يؤيد شعب فلسطين في جهاده المقدس .

وليس عربيا مسلما من لا يزج بكل طاقاته المادية والمعنوية لتأييد شعب فلسطين .

ان نجاح ثورة اهل فلسطين ، هو نجاح للعرب من المحيط الى الخليج وللمسلمين من المحيط الى المحيط .

واسرائيل لا تفهم غير لغة واحدة ، هي لغة القوة وحدها .

وكل ادعاء يخالف ذلك هراء .

ان الله سبحانه وتعالى يغار على المسجد الأقصى أن ترتفع عليه اعلام اسرائيل .

ويغار على مسرى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنتهك حرماته .

والله سيأخذ بأيدي العرب والمسلمين لانقاذ الأرض المقدسة من ايدي الصهاينة المجرمين .

وقد بدا النور بالعمل الفدائي لمنظمة (فتح) ، والله يأبى الا ان يتم نوره على الرغم من اسرائيل ومن وراء اسرائيل .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

***

حين كتبت مقدمة الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، كنت اعرف الاستاذ صالح مسعود من خلال كتابه ، فكان انطباعي عنه انه كاتب حرص على انصاف شعب فلسطين وقدره حق قدره ، وهو شعب حري بالانصاف والتقدير .

ولكن مقامي في القاهرة رئيسا للجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، اتاح لي فرصة التعرف اليه انسانا بعد ان عرفته كاتبا ، فوجدت فيه العقيدة الراسخة والعمل الدائب من اجل ثورة فلسطين ، وابناء فلسطين داخل الارض المقدسة وخارجها .

وجدته في كتابه باحثا منصفا ، يتحرى الحقائق ويغوص اليها ، فاذا استخلصها ابرزها باسلوب منهجي رصين، فيه اشراق الكلمات ونور الحقائق .

ووجدته انسانا رفيعا ، يقول الحق فيما يكتب ويقول ، ويدافع عن الحق في كل مكان فهو رجل حق ، ومثله اليوم قليل .

تحية تقدير للاستاذ صالح مسعود على جهوده المشكورة الموفقة في كتابه القيم « جهاد شعب فلسطين » .

وتحية تقدير للمجاهد صالح مسعود على جهاده دفاعا عن فلسطين واهل فلسطين بالمال والنفس .

وآمل ان يقرأ هذا الكتاب كل عربي وكل مسلم ، ليطمئن الى ان شعب فلسطين ادى واجبه امس، ويؤدي واجبه اليوم ، وسيؤدي واجبه غدا .

وآمل ان يقتدي كل عربي وكل مسلم بجهاد الاستاذ صالح مسعود ماديا ومعنويا ، وبذلك وحده يمكن انقاذ فلسطين وشعب فلسطين .

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله – سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين الصادقين وخاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

محمود شيت خطاب

القاهرة في ١٦ ربيع الاول ١٣٨٩
١ حزيران (يونيو) ١٩٦٩

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وأصحابه المجاهدين

وبعد، فقد كنت طالبا يافعا عام ١٩٣٨ م حين كانت المظاهرات تخرج من الأزهر الشريف هاتفة «فلسطين للعرب لا لليهود» ، وكان منبر الأزهر يهتز تحت نبرات الخطباء يندّدون بطغيان الانجليز ومظالمهم ، ويشيدون بشعب فلسطين العربية ، ولم أكن أستطيع الاحاطة بما يقولون ، فسني لم تتجاوز الثلاثة عشر عاما . ولكني تابعت في شغف واهتمام أخبار فلسطين .

اني لقادم من ليبيا حيث يجثم آنذاك الاستعمار الايطالي ، مباعدا بين الشعب العربي فيها وسائر شعوب الامة العربية ، وقاطعا كل صلة له بأوطان الأمة العربية وتطور قضاياها ، ومثقلا روح المقاومة في الشعب الليبي ، وحائلا بينه وبين الثقافة والتاريخ والاحاطة ، الا أن تكون ثقافة ايطالية ، وتاريخا رومانيا ، واحاطة فاشستية ، ولهذا كان تتبعي لما أسمع من الخطباء تتبع الظمآن المتلهف،ذلك الذي يريد ان يفهم وأن يعلم وان يحيط.

كنت قادما من بلد أرغم على القاء سلاحه آنذاك منذ ست سنوات ، فسمعت أن شعبا عربيا ما زال يكافح حاملا سلاحه في وجه الأعداء .

كان قلبي يفيض كرها لايطاليا التي احتلت بلدي ، وقتلت قومي ، وشردت جموعهم ، ونصبت المشانق في كل قرية ومنتجع ، فسمعت أن الانجليز يهدمون القرى العربية في فلسطين ، ويفرضون الغرامات الجماعية. ويرفعون على أعواد المشانق كل من حمل سلاحا أو شبه سلاح .

كنت أحمل بين جنبي حقدا مريرا للايطاليين الذين اغتصبوا أراضي قومي ، وجاءوا بجموعهم تسكنها وتحتلها ، ورموا بأصحاب الأرض في الصحارى ، فسمعت أن الانجليز فتحوا أبواب فلسطين لليهود وحاربوا العرب في حياتهم وأراضيهم وحقوقهم .

كنت أدرك الألم الذي يحيط بالجموع العديدة من شعب ليبيا ومجاهديها المشردة في ريف مصر وصعيدها ، وقرى فلسطين وسوريا والعراق ، والذين وصلوا الى كل مكان في الوجود هربا من جور الاستعمار وطغيانه ، والذين حاربوا ايطاليا ثم ارغمتهم الظروف على هجر الوطن ، واستبدلوا التشرد والفقر والجوع والفاقة بحياة العزة والسيادة .

وكنت لذلك أشعر بالمرارة القوية لما يفعله الانجليز بفلسطين ، حين

اتخيل أنهم يهدفون الى خلق هجرة فلسطينية تشبه هجرة قومي من ليبيا امام جحافل الاستعمار ومظالمه .

كنت أفخر بأبطالنا الذين ذهبوا في ليبيا الى الله على أعواد المشانق ، او في لهيب المعارك ، وأعيد في زهو وافتخار أسماء عيسى الوكواك ، وسعدون السويحلي ، وعمر المختار ، ويوسف بو رحيل ، والفضيل بو عمر ، وعوض العبار ، ومئات الالاف غيرهم في ليبيا الواسعة ، فسمعت آنذاك أن أبطالا آخرين قادوا الثورة في حيفا العربية والقدس والخليل ويافا وجبال نابلس ، من أمثال عز الدين القسام ، وفرحان السعدي ، وموسى كاظم الحسيني وعبد الرحيم الحاج محمد وغيرهم ... وغيرهم ، فازددت بقومي العرب كلهم فخرا ، وأخذني الاعتزاز بأنهم في كل مكان يدفعون الارواح في سبيل الوطن ويدافعون بصدق من أجل المقدسات .

ومضت سنوات ، وتتابعت أحداث ، حتى حل عام النكبة ١٩٤٨ م ، وكانت أحوال وطني الصغير قد تغيرت ، وجلت ايطاليا منهزمة في الحرب العالمية الثانية ، وأصبح لليبيا قضية وجيش وعلم ، وأمكن الشعب العربي فيها ان يرفع صوته في وجه الانجليز ، اننا لن نستبدل سيدا بسيد ، وان **شهداءنا انما ذهبوا في سبيل الحرية لا في سبيل الوصاية ولا من اجل الاحتلال.**

وبدأت جموع قومي النازحة تعود الى الوطن ، فاتحة أو راجعة ، وأمكن قومي أن يبعثوا برعيل من أبنائهم المتطوعين والفدائيين الذين رافقوا البطل الشهيد أحمد عبد العزيز ، والذين اسهموا بقسط من واجب الدم فوق أديم الارض المقدسة .

ووسط الاعتزاز والفخر تنادى العرب لطرد عصابات صهيون ، وفي



بعض المتطوعين الليبيين

في فلسطين ١٩٤٨

***

غمرة من ثقة بالنصر تبدل كل شيء وتهاوى عديد من المفاهيم .

اصبح لليهود دولة تجلس في الامم المتحدة ، متخذة مقعدها فوق اشلاء الشعب العربي في فلسطين ، وواضعة ثقلها فوق كرامة كل عربي بل كل مسلم في الوجود ، وأصبح شعب فلسطين موزعا وشريدا في أكبر نكبة

حلت بالعرب في قلب وطنهم منذ أن وحدّهم محمد الرسول العظيم ، ومنذ أن ساروا في دروب العالم يقدمون رسالة الخير ، ويبنون الحضارة الصادقة في وثوق وتصميم .

وقد عاصرت نكبة شعبنا في فلسطين وانا أمر بأدوار مهمة في حياتي ، عاصرتها وانا رئيس لتحرير « برقة الجديدة » في بنغازي ، وذقت عنت الانجليز وهم يتحكمون ويقاومون ما نسطر لتجميع الرأي العام العربي لصالح القضية الفلسطينية .

وعاصرتها والانجليز يمنعون مجلتي (الفجر الليبي) من شرح نكبتنا في فلسطين ودورهم فيها .

وعاصرتها وأنا اشترك مع شبابنا من جماعة عمر المختار ورابطة الشباب الاسلامية ، في تعبئة ومعاونة المتطوعين من وطني ومن شمال افريقيا وارسالهم لاداء الواجب المقدس .

ثم عاصرتها حين كنت عضو المعارضة بمجلس النواب البرقاوي خلال سنتي ١٩٥٠ / ١٩٥١ م وبدت محاولات استعمارية فاشلة لتصدير شيء من بلدي الى اسرائيل ، وكان صراعا قويا مثل الحرية والقوة والعروبة الاصيلة . ثم عاصرتها صاحبا لجريدة « الدفاع » التي اتخذتها منبرا حيا لكل قلم شريف وكل قضية مصيرية وكانت فلسطين رأس كل موضوع .

وعاصرتها وكيلا لمجلس النواب الليبي خلال سنوات ١٩٥٥/٥٤/٥٣ ، ثم اضطررت لمغادرة وطني الحبيب ، حافظا له الولاء ، معتزا بتاريخه ، وفخورا به (*) .

وها أنا ذا أعيش وقد ذقت طعم التشرد واللجوء ، فأحسست عن تجربة ومع الفارق بآلام ذلك الشعب الكريم الذي ابعد عن وطنه ، واخرج من دياره ومزارعه ، والذي اضطر مكرها ان يعيش في مختلف البقاع عيش اللاجىء الكسير ، وان يبقى في اكواخ المشردين يرنو بأبصاره الى ارضه ومقدساته ، وينتظر اليوم الحق .

ان اوجه الشبه بين قضايا الجهاد العربي كبيرة ، ولكن الشبه بين مراحل الصراع الذي خاضه الشعب الفلسطيني العربي في فلسطين ومراحل الصراع الذي خاضه الشعب الليبي العربي في وطني ليبيا كان اكثر انطباقا واشد التصاقا .

فلم يكن اسم ليبيا زمن الاستعمار الايطالي الا « الساحل الرابع »

(*) الى الاخوة الذين كاتبوني من طرابلس يستغربون اهتمامي بجهاد شعب فلسطين ، وأنا الذي اوذيت من مقدسي منحرف ، رافق جيوش الاحتلال واحتفظ بهوانه ، تطوع بدسيسة كاذبة حرمتني من وطني ، وبقي هو يرفل في نعيمه قرير البال والضمير ! اقول ان انحراف فرد أو قلة لا يجعلني انسى واجبي تجاه فلسطين وشعبها العظيم ، وأحيل الاخوة الى بحثي في صفحة (٥٠١) .

لايطاليا . ويسمي الاعداء فلسطين اليوم « اسرائيل » .

ولم يكن فوق ترابنا الطاهر في ليبيا من علم الا العلم الايطالي ، وفوق فلسطين الآن علم الصهيونية .

ولم تكن لغتنا الرسمية في ربوع الوطن الغالي الا لغة روما ، ويتخذ الاعداء اللغة العبرية الآن هي الرسمية في فلسطين .

ولقد استحوذ المستعمر على الارض والمدن والقرى في ليبيا ، وهذا ما تفعله اسرائيل منذ قيامها .

ولقد شهدت بلادنا معسكرات الاعتقال الجماعية حتى كان الموت اليومي قتلا بالجملة ، وكان القبر الواحد معدا للمئات ، ولا تفعل اسرائيل وان اختلف الاسلوب اقل من هذا .

وانتشر الليبيون تحت كل سماء مهاجرين ، حتى جددوا ثورتهم وكتب لهم النصر ، ويعيد شعب فلسطين ذات التاريخ المشرق الشجاع ، وعلى اكتافهم يسطر المجد ، وعلى الامة العربية كلها مسئولية استمرار الثورة الفلسطينية او عرقلة جهادها .



المؤلف يتحدث
الى المتطوعين الليبيين
خارج مدينة بنغازي
وهم في طريقهم
الى فلسطين ١٩٤٨

ولكم تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية الفلسطينية ، ولم يشعروا يوما بأيام الجفاء في حياتهم الرخية ، ولم يتعبوا انفسهم ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين العربي وكم كابد ، وكم ضحى في صراع مرير دام ، وكان محور الجدل دائما دور عرب فلسطين في قضية بلادهم ، قضية المصير العربي ، وعمق تلك الفرية التي أطلقها الصهيونيون والانجليز فلاقت آذانا صاغية لدى مجموعة كبيرة من العرب ، وأصبحت حديثا مرجعا لدى شبابهم الذين لم يطلعوا ، ولدى سطحييهم الذين لم يلموا ، ولم يدركوا ان هذه

الاثقال والنكبات التي يعانيها العالم العربي اليوم، انما بدأت بشعب فلسطين، فقاومها وبذل في سبيلها الكثير، واستمرت ثوراته وامتد جهده وجهاده مع تعاقب السنين حتى يوم الناس هذا.

ان اولئك السطحيين ليقولون: كان على شعب فلسطين ان يثور ايام الانتداب ثورة مدوية كما حدث في الجزائر، وان يتمسك بأرضه فلا تتسرب لاعدائه، وان يعزف عن الهجرة فلا تغادر جموعه بلادها، وان يعزف عن السلبية كلما سنحت فرص التفاهم مع الانجليز.

ولعل اولئك القائلين بهذا يقصدون ان شعب فلسطين كان سيحول دون قيام دولة الصهاينة لو سلك ما يرددون، وان هذا الخطر الذي يهدد العرب كلهم اليوم، ما كان ليوجد حينئذ.

وبحثي هذا يستهدف تصوير الواقع الصحيح الذي مرّت به منذ اول يوم تلك المؤامرة الخطيرة بأثقالها واجراءاتها ومظالمها، وتعاون دولي ضد شعب صفير اعزل، استطاع ان يصمد ثلاثين عاما، ثم اخذ يواصل نضاله ويقدم ضحاياه مع مر السنين حتى الآن، لا يأبه بدول مفروضة، ولا تشغله ارواحه التي يقدمها على مذبح الحرية في سبيل وطنه، وفي سبيل عالم العرب والاسلام.

ترى هل يحيط الشباب العربي بتلك المراحل المريرة الدامية التي مرت بشعب فلسطين خلال انتداب الانجليز الكريه؟

ترى هل مضت السنون الثلاثون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين، حتى سنة ١٩٤٨ حين هيأوا كل سبب لانتصار اليهود والفتك بالعرب؟

ترى هل كان سهلا على عرب فلسطين ان يغادروا بلادهم؟

ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والألم والكفاح الذي تحمله شعب فلسطين وحده، خلال مجابهته للصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطنا قوميا لليهود؟ فسنوا لذلك القوانين الجائرة الغريبة يرهقون بها العرب وينمون اليهود ويسلطون جيوشهم ومحاكمهم لتنفذ تلك القوانين.

ترى هل يدرك قومي العرب في مختلف ديارهم الفرق الزمني، والتطوري، بين السنوات التي صاحبت جهاد الشعب الفلسطيني والسنوات التي صاحبت نضال الجزائر المظفر؟

ترى هل يعلم شعبنا العربي الموزع بين المحيط والخليج، ان دولة الصهاينة انما تقام الآن فوق أرض لم تتمكن برغم برنامج الانجليز وطفيانهم ان تملك فيها مستنديا اكثر من ٨ ٪، وان الباقي هو ملك لشعب فلسطين

العربي حتى هذا التاريخ (١)؟

واخيرا هل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما، لا في سبيل فلسطين وحدها، وانما كانوا يمثلون الخط الأمامي لكل الامة العربية ومقدساتها، وان الخطر اليوم ليهدد كل العرب، ويهدد ايضا اكثر دولهم اهمية ومكانة، بل انه ليهدد موطن الهجرة المحمدية الطاهر، ومثواه المقدس الكريم؟

هذه هي الأسئلة التي اعرض اجابتها في هذا الكتاب، غير متهم بالدفاع عن نفسي، فانني احد افراد الشعب العربي في ليبيا، وعلاقتي بفلسطين والفلسطينيين، هي الشعور بالمسئولية الحتمية على كل عربي، والادراك كامل الادراك لوحدة القضية العربية، وحدة نصرها، ووحدة فجرها، ووحدة اقطارها، ووحدة اخطارها.

لقد قدم الفلسطينيون كثيرا من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية، وهم اليوم لا يكادون ينصفون لدى الشعب العربي، الذي يتحمل وزر النكبة والذي عليه أن يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة، وان يدرك أن تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للأمة العربية مجال العمل والثورة واصلاح دولها اصلاحا طور كل شيء في وجودها (٢).

هذا هو مجمل للخطوط الرئيسية في هذا البحث (٣)، وأرجو ان اكون قد وفقت فيه، وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت واليه أنيب.

المؤلف

---

(١) انما نعني التملك الشرعي المستندي، لا الاحتلال في عامي ١٩٤٨ او ١٩٦٧ وكان هذا الكتاب معدا للمناقشة بجامعة الأزهر للدرجة الماجستير منذ اوائل عام ١٩٦٥.

(٢) اكرر ان هذا سطر قبل النكبة الاخيرة (١٩٦٧) بثلاث سنين وقد أثبتت الاحداث التي نحياها الان ان التاريخ يكرر نفسه ونحن نرى الشعب الفلسطيني يواصل ثورته على الاحتلال الصهيوني ويقدم شهداءه الابطال كل يوم، شجاعا في لقائه، كما حدث طوال سنوات الانتداب البريطاني التي نفصلها هنا.

(٣) قدم هذا البحث لجامعة الأزهر، وقد أشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الشناوي رئيس قسم التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة وبذل لي جهدا كريما طيبا وتكونت لجنة المناقشة منه ومن الدكتور ابراهيم شموط استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الازهر ومن الاستاذ الدكتور محمد رفعت رمضان استاذ التاريخ بآداب القاهرة وعميد كلية آداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم. واني لاسجل شكري لمناقشتهم التاريخية الخالدة ولقرارهم بدرجة الامتياز الذي اعتبره اقرارا علميا واشادة جامعية بجهاد شعب فلسطين العظيم.

عهد ... وعهد

• « ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش الى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وآباؤهم مرابطون الى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة » .

الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يخاطب الصحابي معاذا رضي الله عنه

• « هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ... لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ... ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود ».

من عهد سيدنا عمر لمسيحيي القدس ٦٣٦ م

• « اياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط الله عليهم عدوهم »

من خطاب الخليفة عمر في جموع المسلمين المنتصرين بالقدس عام ٦٣٦ م

• وتذكرت طارق بن زياد   وابن سرح وعقبة الخالدينا
وتراءى رويفع وزهير   في ليوث الانصار والتابعينا
شيعوا الشمس للغروب الى فا   س وراحوا للهند مستقبلينا
أورثونا مجدا تليدا اضعنا   ه وزدنا عليه عارا وشينا

الشاعر الليبي رفيق المهدوي

مدخل الى البحث

العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود :

هل لليهود علاقة بفلسطين ؟ هل لهم واقع تاريخي يسمح لهم بأن يطالبوا بها ؟ هل يحفظ لهم التاريخ ذكرى تسبق ذكرى العرب وتاريخهم ، او تستطيع ان تزحزح من واقع العرب في فلسطين ؟

لنبدأ الموضوع من حيث واصله الانجليز عام ١٩١٧ .

فلسطين جزء صغير من بلاد الشام (سوريا — لبنان — الاردن — فلسطين) ولقد عرفت دائما على تعاقب التاريخ بأنها القسم الجنوبي من تلك البلاد ، هكذا سماها المؤرخون العرب ، وهكذا تحدث عنها هيرودوت المؤرخ اليوناني منذ قديم الزمان ، وبنفس هذا الاسم وردت لدى مؤرخي الحروب الصليبية .

وفلسطين هذه التي هي الجزء الجنوبي من بلاد الشام تخضع لسلطان الخلافة العثمانية ويسكنها حوالي ٧٥٠ الف ، منهم نحو ٥٥ الف يهودي بواقع لا يتجاوز ٧ ٪ من مجموع السكان العرب .

وكان التاريخ حتى هذا العهد يدرس في حواضر العالم بالشرق وبالغرب أن بيت المقدس الاسلامي وكنيسة القيامة المسيحية ومولد المسيح عليه السلام ، توجد كلها في جنوبي الشام (فلسطين) ، وان هذا القسم مر بادوار تاريخية واضحة تبدأ منذ أن عرف بأرض كنعان عام ٢٥٠٠ ق . م وان هؤلاء الكنعانيين العرب استمروا سادة البلاد ، يحكمونها ويعمرونها الفا وخمسمائة سنة حتى سميت باسمهم حين. تحدثت توراة اليهود عن عبورهم نهر الاردن واستقرارهم جنوبي القدس بأرض كنعان .

كان اول من عبر ذلك النهر النبي ابراهيم مع مجموعة من قومه ، واشترى حفيده اسرائيل مزرعة فتملكها كما يتملك اي فلاح لاجيء غريب، تملكها في ظل الكنعانيين العرب وكون مع قومه ما يشبه جالية اجنبية صغيرة

في عرف التعبير الحديث (٤) .

وعندما تاه موسى باليهود اربعين عاما في صحراء سيناء سنة ١٢٩٠ ق . م حسب الف حساب لعرب كنعان ، فلم يغزهم بجموعه التائهة ، وبقي بعيدا يحذر دخولها ، لقد كان وضعه يختلف عن وضع ابراهيم فلقد كان موسى مع قومه الهاربين من سلطان فرعون مجموعة كبيرة من الناس، لا يمكن ان تدخل ارضا معمورة دون ان تلفت الأنظار ، وتضيق بها الاماكن ولهذا حين صمم خليفته يوشع بن نون على دخول فلسطين عام ١١٨٦ ق . م قاد البدو الرعاة الأجلاف من اليهود الذين توالدوا في الصحراء أثناء التيه ، واحتل بهم فجاة مدينة اريحا العربية الكنعانية ، وهدمها وأجرى السيف في سكانها ، فأسال دماءها انهارا ، واهلك اغلب من فيها ، تماما كما فعل اللاحقون من اليهود في قرية دير ياسين بعد ذلك بثلاثة آلاف عام في ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ م ، وهكذا بدات فكرة التجمع اليهودي منذ ذلك التاريخ مبنية على الأشلاء والدماء وهياكل العظام .

وبرغم هذه الغزوة الشريرة الفاجئة التي استحل فيها القتل ، وابيحت فيها الدماء فان الكنعانيين ظلوا محتفظين بأجزاء عديدة من فلسطين ، حتى ان داود لم يؤسس مملكة اسرائيل الا عام ١٠٠٠ ق . م ، بعد ان سقطت القدس (أورشليم) التي كانت تمثل آخر حصون الكنعانيين(٥) ، ولكن هذه المملكة لم تدم الا خمسة وستين عاما ، ثم انهارت بموت سليمان عام ٩٣٥ ق.م ، فانقسمت الى مملكتين مليئتين بالفتن والدسائس والقتال : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهودا ، وقد ضمت الأخيرة أورشليم (القدس) والمناطق المجاورة لها ، ولم تمض الا سنوات حتى هاجمها ملك مصر شيشق الليبي فدمرها واخذ كنوز سليمان من الهيكل عام ٩٢٠ ق . م ، وتحطمت المملكتان تحت اقدام الأشوريين والكلدانيين ، حتى دكت مملكة يهودا نهائيا عام ٥٨٤ ق . م حين حرق نبوخذ ناصر هيكل سليمان ، ثم ساق الجند والملك أسرى الى بابل ، فعادت فلسطين من جديد عربية واستقبلت هجرات العرب من الجزيرة ومن سوريا والعراق (٦) .

---

(٤) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦١ ص ١٦ — ٢١

(٥) الفريق محمد فوزي وعمر رشدي : الصهيونية وربيبتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٤ — ص ١٠ .

(٦) ورد اسم هذا الملك في التواريخ العربية مختلف النطق ، منها نبوخذ نصر وبختنصر ونبوخذ ناصر ، وقد اخترنا الاخير لتناسبه مع الاسماء التي ارتبط بها التاريخ بتطهير القدس كالناصر صلاح الدين والناصر قلاوون ...

ولكن ما فعله اليهود سنة ١٩١٧ م وقبلها من تملق للانجليز سبق ان فعلوه في عام ٥٣٩ ق . م حين تملقوا ملك الفرس « كورش » ، ولا ريب انهم كانوا له جواسيس وطابورا خامسا ، حتى استطاع ان ينتصر على بابل، فكافأ اليهود باباحة العودة الى فلسطين .

ومع هذا لم يقيموا دولة بالمعنى المعروف حتى في غابر الأزمان ،ولكنهم عاشوا يجترون ذكريات الهيكل وتاريخ دولتيهم البائدتين .

وتناولت ايدي الاسكندر المقدوني مقدرات فلسطين حين طرد منها الفرس ، واستمرت مسكونة بشعب عربي كنعاني وقلة يهودية حتى هاجمتها العرب الأنباط عام ٩٠ ميلادية ، والحقوها بالبتراء العاصمة ذات التاريخ والآثار المعروفة .

ومنذ أوائل القرن الأول الميلادي خضعت منطقة البحر المتوسط لحكم الرومان ، وكانت فلسطين ضمن هذه المنطقة ، ولكن التاريخ لا يغفل ان اليهود حاولوا عام ٧٠ م وعام ١٣٥ م القيام بحركة ثورية ، فحطمهم الرومان الذين تلقوا مساعدة قوية من العرب ، فاحتلوا القدس وقتلوا معظم السكان اليهود ، فهرب عديد منهم الى سوريا ومصر وليبيا وشمال افريقيا وغيرها من البلاد ، وبنيت مدينة جديدة في المكان الذي كان يشغله اليهود وحرم على اليهود سكناها ، ويعتبر المؤرخون ان هذا كان آخر عهد اليهود بأرض فلسطين ولم يعد لهم فيها اي نشاط سياسي او قومي .

وعلى الرغم من أن العرب ظلوا سكان فلسطين وأكبر مجتمعاتها فان السلطان السياسي ظل بيد الرومان ، ولهذا اشتعلت ثورة تقودها ملكة تدمر العربية (الزباء) ضد الرومان عام ٢٦٧ م وانزلت بالقائد الروماني «هرقليان» هزيمة ساحقة ، واحتلت فلسطين وحكمتها اعواما حتى تمكن الرومان من استرداد سلطانهم فيها (٧) .

٢ — فلسطين في ظل الاسلام :

كان العرب في فلسطين قبل اليهود ، وهم العرب الكنعانيون الذين تسمت البلاد باسمهم حتى في كتب اليهود المقدسة ، وظل العرب مستقرين فيها حتى في أثناء الفترات التي حكم فيها اليهود بقاعا صغيرة ، فلما انهارت ممالكهم توافد العرب من كل صوب الى اجزائها التي لهم فيها تراث وتاريخ

---

(٧) اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ص ٢٣ .

وذكرى ، وهكذا حدث حين تحطمت اليهودية تحت اقدام الاشوريين والبابليين ، وتحت سياط نبوخذ ناصر وهكذا حدث ايضا حين ضمها العرب الأنباط الى عاصمتهم البتراء ، ثم حين تقلعت فرق من هؤلاء الانباط تعزز الجيش الروماني الذي دانت له كل منطقة البحر المتوسط في القرن الأول الميلادي ، وكان العرب في فلسطين حين هدم هارديان الروماني هيكل اليهود وحرم عليهم سكنى المدينة التي اسسها فوق انقاض اورشليم المهدمة وعلمهم الهجرة والهرب الى كل موطن مجاور وبعيد .

وفي عام ٦٣٦ م بعد هجرة النبي محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) بخمسة عشر عاما رفع علم العرب المسلمين على القدس ، وانهارت امامهم حصون الرومان وقواهم ، وهناك خرجت القدس كلها تستقبل الفتح الاسلامي ، وتمد يدها بالسلام والأمان الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، مكبرة روح العرب في فتحهم ، وبعدهم عن اراقة الدماء ، وحفاظهم على الصغير والشيخ الكبير ، وعزوفهم عن ارهاق احد او اذلاله ، الا حاملا لسلاح ، محاربا ومقاتلا .

وطلب البطريرك صفرونيوس ممثل المسيحية في فلسطين ان يحرر شروطا مع الخليفة عمر ، ولم تكن شروطا تتسم بشيء من الامتياز للمسيحيين ، أو اعفاء من ضرائب ، أو اقامة حكم ذاتي يراسه المسيحيون وبقايا الرومان ، أو ابعاد المسلمين من سكنى القدس واقامة مساجدهم فيها ، فقد ادرك القوم سمو الروح التي كانت تشع في اولئك الأبطال الأوائل ذوي المثل والقيم .

ولكنهم كانوا يخشون تسامح المسلمين وتساهلهم ونظرتهم باحترام الى الأديان الأخرى ، فاحتاطوا لانفسهم واشترطوا ان يستمر منع اليهود من سكنى القدس ، وأن يستمر تحريمها عليهم،وذلك كله مخافة ان يعودوا فيقيموا فيها معابد وهيكلا ، ثم يتسربوا الى الحياة العامة ليشيعوا فيها المكر ، والحقد والخديعة ، كجزء من مراسم معتقداتهم ، فيفسد بذلك المجتمع الذي يريده كل من الاسلام والمسيحية حينئذ على السواء كريما معافى .

وهكذا اعطى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه العهد التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان. أعطاهم أمانا

لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود .

وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مامنهم ، ومن اقام منهم (فهو) آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان فيها (ايلياء) من اهل الارض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمس عشرة ، وشهد على ذلك خالد بن الوليد ، عبد الرحمن بن عوف ، عمرو بن العاص ، معاوية بن ابي سفيان (٨) .

ولا يزال هذا العهد الذي أعطي ارضاء واكراما لسكان القدس محفوظا لدى سدنة كنيسة القيامة فيها ، ويعتبر اقدم ميثاق دولي رفيع يدعو الى احترام الشعائر الدينية وصيانة الأماكن المقدسة (٩) .

وحين استقر الخليفة عمر في القدس القى خطبته المشهورة في جموع المسلمين الفاتحين والتي يليق بنا أن نستعيدها هنا :

« يا اهل الاسلام ، ان الله تعالى قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الاعداء ، واورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكن جزاؤه منكم الا الشكر ، واياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط

(٨) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف — القدس — ١٩٦١ ص٩١
(٩) دكتور احمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة — ١٩٥٨ ص ٤

الله عليهم عدوهم (١٠) » .

وحين اتم الخليفة خطابه اذن بلال اول اذانه منذ وفاة الرسول الكريم، وسمع الصحابة صوته فتذكروا رسولهم وقائدهم فبكوا ، وكان اكثرهم تأثرا القائد المنتصر ابو عبيدة بن الجراح .

واستمرت فلسطين عربية خالصة منذ ذلك اليوم ، وتحطمت على صخرتها جيوش الصليبية حين استغلت ضعف العرب وتوزعهم ، واقامت لنفسها دولا حطمها البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي في يومه المشهور عند بطاح حطين عام ١١٨٧ م ، ثم جلوا نهائيا امام جيوش مصر في معارك عديدة.

وكان هذا الجزء الثمين من بلاد الشام مهوى كثير من ابطال العرب المسلمين ، فقد ذكر ان آلافا من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتابعيهم قد دفنوا بها ، ومن أشهرهم القائد ابو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ ابن جبل ، والفضل بن العباس ، وسلمة بن هشام المخزومي وعبدالله بن الزبير ، وطليب بن عمر القرشي ، وابان بن سعيد العاص ، وتميم بن الحارث السهمي وقيس بن الحارث السهمي ، والحارث بن عتيك ، وهراب بن الأسود المخزومي ، وهشام بن العاص بن وائل ، ونعيم ابن عبدالله بن النحام ، وشداد بن أوس الصحابي عالم بيت المقدس ، وعبادة بن الصامت الانصاري احد نقباء الأنصار ، وغيرهم كثيرون .

وتوجد اعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارتها الأرض هناك في معارك اليرموك واجنادين ، ثم في الحروب الصليبية ، وحروب التتار (١١) .

وفي ظل الاسلام انتعشت الحضارة البناءة في فلسطين ، وأنتجت كثيرا من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، واذا كان هذا ليس موضوع بحثنا فان ذكر القليل منهم يسهم في اعطاء صورة عن هذا البلد المهم السليب ، لقد انتجت ارض فلسطين القائد الاسلامي الكبير موسى بن نصير فاتح الأندلس ، وكان من أبناء الخليل ، والى فلسطين ينسب الأديب العالم وزير الدولة للبطل صلاح الدين « القاضي الفاضل » المولود بعسقلان ، ومنها خليل ابن ايبك الصفدي الأديب والمؤرخ الاسلامي الشهير صاحب المؤلفات المديدة ، والى قيسارية بفلسطين ينتسب رئيس فن الكتابة وشيخ الدواوين وسيد الانشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموي مروان بن

(١٠) المفصل في تاريخ القدس ، ص ١٠١ .

(١١) الهيئة العربية العليا — المقدسات الاسلامية بفلسطين ١٩٦٢ — ص ١٥ وما بعدها

محمد ، والى فلسطين ينتسب العالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الأموي اول من نقل علوم الافرنج الى اللغة العربية في دولة الاسلام ، وينتسب اليها ايضا القاضي عماد الدين احمد الكركي الذي تولى منصب قاضي قضاة الديار المصرية ، والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوش الصليبيين والعالم الذي كانوا يطلقون عليه اسم المأمون الثاني ، واليها ينسب أيضا الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الافتاء في الديار المصرية بالأزهر الشريف ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدي الفقيه العالم الذي تولى الافتاء في حاضرة الشام دمشق .

والى فلسطين ينتسب مئات بل آلاف الأدباء والشعراء والعظماء والقواد وانك لواجدهم في كتب التاريخ منتهية اسماؤهم بالصفدي والطبري وما ماثل ذلك ، بل ان الامام الشافعي صاحب المذهب كان فلسطينيا وكان يردد في شوق الى بلاده بيتين شهيرين :

واني لمشتاق الى ارض غزة ... وان خانني بعد التمزق كتماني
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها ... كحلت به من شدة الشوق اجفاني

وفي تاريخنا المعاصر منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، ما فتئت فلسطين تمد الوطن العربي برجال الفكر والأدب ، ونجد انه من حق هذا الوطن الخالد أن نسجل بعض اسماء اولئك الرجال ممن وصلت الينا اسماؤهم على سبيل المثال لا الحصر ، فقد عرف من شعرائها ابراهيم الدباغ ، وعبد الرحيم محمود ومحمود سليم الحوت ، وهارون هاشم رشيد وعلي هاشم رشيد ، وابراهيم طوقان ، وفدوى طوقان ومحمد العدناني ، ويوسف الخطيب ، ومعين بسيسو ، ولكل واحد من هؤلاء ديوان او أكثر من ديوان . وعرف منهم في مجال القصة والأدب والبحث والمقالة والترجمة : اسعاف النشاشيبي ، وخليل السكاكيني واحمد سامح الخالدي ، واسحاق موسى الحسيني ، واكرم زعيتر ، ومحمود سيف الدين الايراني ، ونجاتي صدقي ، وسميرة عزام ، ومحمد عادل زعيتر ، وخليل بيدس ، واحمد خليفة ومحمد عزة دروزة ، ورفيق التميمي ، وعارف العارف ، واحسان عباس ، ومحمد يوسف نجم . ولكل هؤلاء بحوث معروفة واسماء خالدة في الوطن العربي كله بما انتجوا للفكر والأدب والتاريخ (١٢) .

على انه من المناسب ان نسجل ان شعب فلسطين واصل على الدوام

(١٢) راجع التفاصيل في كتاب الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، كامل السوافيري ، مطبعة نهضة مصر ١٩٦٤ .

تقدمه العلمي حتى ان اغلب الأوائل الناجحين في الجامعات العربية كانــوا من بين افراده، ومع الاقرار ان الجامعات تضع شروطا شديدة لقبولهم فيها بحيث يكــون مجموع النجـــاح في الثانويــة العامــة هو اعلى مجمــوع فرض على جميع ابناء البلاد العربية الذين يتقدمون للجامعات نظرا لمستوى ابناء فلسطين الرفيع واقبالهم الشديد .

اما في المجال السياسي فقد انجبت فلسطين زعامات خالدة لم تهن امام الأعداء ولم تخضع لهم وانجبت شهداء اقر العدو نفسه ببطولتهم .

وذكر المؤرخون ايضا ان سكان فلسطين ذاقوا دائما ويلات الحروب ، فقد حطم الصليبيون مساجد المسلمين (١٣) في القدس ، ثم أجروا السيف فيها فسالت الطرقات بأنهار الدماء ، كما حدث في القدس ويافا وغيرهمـا من البلدان .

ولكن هذه الدماء والضحايا التي بذلها العرب طوال تاريخهم منذ عام ٢٥٠٠ ق . م وخلال اكثر من اربعة آلاف سنة ، لم تكن كافية لدى المخطط البريطاني الذي استهدف خداع الأمة العربية ثم تجزئة وطنها ، فاعطـى من العهود للشريف حسين بن علي ما يعد بتكوين دولة عربية مستقلة موحدة كبرى لقاء ان يحارب العرب الأتراك المسلمين ، لاجلائهم عن كل ارض عربية، وسالت من جديـد دماء العرب في معاركهم الشهـيرة ، تلك المعارك التي وقعت بتأثير من خداع الانجليز وحيلهم ، في الوقت الذي كان الانجليز فيه يقتسمون سرا البلاد العربية مع فرنسا ، ويغدون اليهود بفلسطين .

(١٣) اقرا ضحايا الفلسطينيين عبر التاريخ في الفصول القادمة من هذا الكتاب .

أقوال للتاريخ

« ان فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي ، الذي رواهـا بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وان عمل المبضع في بدني لأهون علي من ان ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا أمر لا يكون » .

السلطان عبد الحميد يرد على زعيم الصهيونية هرتسل عام ١٩٠١

« ان الخطر الذي يهدد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط الذي يقيم على شواطئه شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، ويجب أن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئته وتفككه ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة في تحقيق اغراضه » .

لجنة كامبل بانرمان ١٩٠٧

« انا نصرح مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة » .

من ماكماهون نائب ملك بريطانيا الى الشريف حسين ١٩١٥

« طالعت كتابكم بكل احترام رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الأساسية اعني نقطة الحدود (أن تعتـرف انجلتـرا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، ومن البحر الاحمر والمتوسط حتى مرسين غربا) » **من الشريف حسين الى سير ماكماهون ١٩١٥**

« من المتفق عليه ان تنظر الحكومتان بريطانيا وفرنسا في الوسـائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية» . **اتفاقية سايكس ـ بيكو ١٩١٦**

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغايـة » . **بالفور وزير خارجية بريطانيا ١٩١٧**

« ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتيـاب والشك بين الحلفاء والعرب ، وهي توسوس للعرب أن الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية ، ان بريطانيا وحلفاءها ستقف بجانب الأمم العربية لتبني عالما عربيا ، وهي تكرر وعدها السابق بتحرير الشعوب العربية، وستساعد العرب لينالوا حريتهم » .

بالفور الى الشريف حسين ١٩١٨

« الانجليز ومـــا أرا ك بأمرهم غيـر العليـم
قد يستنيم اذاهـــم حينا وليس بمستقيم
كالنـار تذكيها الـريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

خير الدين الزركلي عن الانجليز مع الحسين

الفصل الأول

خديعة بريطانيا للعرب

١ ـ هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟

ان اللبنة العلنية الاولى التي وضعها الانجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بالفور ، ذلك الوعد الذي بدأ الانجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام ١٩١٧ ، حيث تبدلت على الارض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضـع في وجـهها السدود ، الى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك بأهلهـا وانزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الانجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثـورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الانجليـز في حرب الاتـراك والاضرار بهم ، مشاركة ارغمت تركيا على أن تحارب في ميدان كانت آمنة فيه معتزة به ، ومكنت الانجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنـودهم لميادين اخرى ، واطمأنوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية الى اقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية .

وليس معنى هذا اننا نستطيع ان ندين قومنا العرب في هذا الكتاب ، بأنهم أسباب النكبة وعواملها الأوائل ، فان هذا يقتضي بحثا أشمل ، ومقارنة دقيقة ، وتعمقا في دراسة مؤيدة بالأسانيد عن العلاقات التركية العربية آنذاك .

ولكن الذي نريد ان نصل اليه هو اعطاء صورة سهلـة عن الـوضع الظاهري لتلك العلائق التي ادت الى الثورة ، والتي غذاها الانجليز ، ووعدوا في سبيل قيامها وعودا مهمة ، كانوا ينوون خلفها قبل ان يسطروا نصوصها .

فلقد كانت الامبراطورية العثمانية تعيش تحت حكم السلطنة المباشر ، وكانت تتألف من أجناس متعددة ، تضم الى جانب الأتراك أنفسهم البلغار

واليونان والصرب واليوغسلاف ، كما تضم البلاد العربية ، ولا ريب ان العرب أسهموا زمنا طويلا مع الاتراك في انتصارهم وثبات دولتهم ، فقد كان الدين الاسلامي الوشيجة الأولى التي ربطت بين جنسين اخلصا لهذا الدين زمنا طويلا ، والركيزة الأساسية التي قام عليها الود والألفة ، فعاشا في دولة واحدة تستمد منهما القوة والثبات .

لقد كانت هناك شكاوى من تسلط الحكام وانعدام الحياة البرلمانية ، وكانت انظار العرب تتجه دائما الى الاساليب الحديثة في الحكم ، وهم يشعرون أن الحياة بلا دستور يضمن حق الكلمة والتعبير والمساواة ،واتاحة الفرص هي حياة بعيدة عن معناها العميق ، وحين اعلن « المشروطية »(١٤) الدستور العثماني عام ١٩٠٨ أتيحت الفرص لهم ان يسهموا في الحياة النيابية بعاصمة الخلافة ، اذ دخل كثير من العرب مجلس « المبعوثان » وهو المجلس انيابي التركي ، ومارسوا الحياة البرلمانية داخله ، وكونوا جبهة عربية فيه كان لها مواقف مشهودة في المناقشات البرلمانية (١٥) .

ولكن تلك الفرصة التي أتيحت للعرب لم تكن هي التي حمت فلسطين من تغلغل اليهود وتسلطهم في فلسطين ، فان التاريخ يثبت قبل ذلك ان السلطان عبد الحميد اشهر سلاطين آل عثمان قوة وانفرادا بالحكم ، لم ينصع لاغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة ، فقد كانوا يعرضون المساعدة على انشاء اسطول عثماني بحري ، ومساعدة السلطان في سياسته الاوروبية، وانشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس تغني عن الذهاب لأوربا ، والمساعدة في المشروعات العمرانية ، وان يعقدوا له قرضا ماليا يكفي لتنفيذ المشروعات المقررة (١٦) ، وأن يسددوا ديون الدولة العثمانية وكانت كبيرة ثقيلة ، وان يدفعوا اتاوة سنوية تساعد الدولة على اصلاح اقتصادها المنهار ، وان يكونوا لها عونا لدى الدول الغربية ، وكانت هذه الدول تعد العدة للقضاء على تركيا .

ومع هذه العروض التي كانت مهمة جدا بالنسبة للوضع العام في دولة الخلافة ، كان اليهود يصوغون طلباتهم صياغة بعيدة عن فكرة الغزو

(١٤) هذا هو التعبير الذي اطلق في حينه على معنى الدستور باعتباره وثيقة ذات شروط للحكم بين الخليفة والشعب .

(١٥) دكتور محمد انيس ولفيف من زملائه اعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة القاهرة : المجتمع العربي . القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٠٦

(١٦) عجاج نويهض مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٢٧ من ابريل (نيسان) ١٩٦٥

والاحتلال ، مظهرين ان قصدهم ينحصر في ان يجدوا ارضا يسكنونها ، ويتجمعون فيها ، تحت رعاية الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من هذه الحيل كان رد عبد الحميد عام ١٩٠١ م وقبل صدور الدستور بسبع سنوات ، وقبل ان يسهم العرب في الحياة البرلمانية العثمانية ، كان من القوة والصد بحيث سجله زعيم الصهيونية الكبير دكتور هرتسل في مذكراته (١٧) :

« انصحوا الدكتور هرتسل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع ، اني لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهي ليست ملك يميني ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم واذا مزقت امبراطوريتي يوما فانهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، اما وانا حي فان عمل المبضع في بدني لأهون علي من ان ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون . اني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة(١٨) » .

ويحدثنا التاريخ ان هذا الرفض القوي من دار الخلافة في تركيا لم يكن الأول للوقوف ضد مطامع اليهود في فلسطين ، بل لقد حدث أن حددت الولايات المتحدة هجرة اليهود اليها عام ١٨٨٢ م ، وبدأ السفير الامريكي في الآستانة يراجع وزير خارجية تركيا ويبذل لديه الجهود بشأن اسكان اليهود في فلسطين وسوريا ولكن الباب العالي الذي قبل اسكانهم في بعض المناطق رفض السماح لهم بسكنى فلسطين ، ولم يسفر تدخل بريطانيا في الأمر عام ١٨٨٧ م عن نتيجة ايجابية (١٩) .

وهناك حادث سياسي آخر له دلالته العميقة ، اذ انتهز السلطان عبد الحميد الثاني فرصة وفاة الخديوي توفيق في ٧ من يناير (كانون ثاني) ١٨٩٢ وتولية ابنه عباس حلمي فاراد اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري وكانت التقاليد تقضي عند تولي وال جديد حكم مصر أن يصدر « فرمان » من سلطان تركيا بتعيينه في هذا المنصب ، وأن ينص في فرمان التعيين على حدود الولاية التي يناط به حكمها ، وصدر الفرمان السلطاني

(١٧) احمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين : معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٤ .

(١٨) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١١ .

دون ذكر لشبه جزيرة سيناء ، وحضر المشير احمد ايوب باشا الى مصر لتلاوته في الحفل التقليدي الذي يقام في هذه المناسبة .

ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بأمر هذا الفرمان ، ثارت ثائرتها، ووقعت ازمة عنيفة حتى قررت تركيا في ٨ من ابريل (نيسان) ١٨٩٢ ترك شبه جزيرة سيناء جزءا من الأراضي المصرية (٢٠) .

وقد اختلفت آراء الباحثين في تفسير الباعث الذي حمل السلطان عبد الحميد على اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري ، ونرى انه كان هدفا لضغط صهيوني شديد وان الصهيونية كحركة سياسية هادفة قد اشتد ساعدها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وان الصهيونية قد استعانت في ضغطها على السلطان ببريطانيا وفرنسا والمانيا على السواء ، وكان يشعر بثقل هذا الضغط ، اذ كان قد مضى على توليه العرش قرابة ستة عشر عاما ، خبر فيها التيارات السياسية التي كانت تعمل سرا وجهرا لتأييد الصهيونية ، وان الصهيونية ترنو بأبصارها نحو شبه جزيرة سيناء ، وهو يعرف عطف بريطانيا على الصهيونية واهدافها . وخشي أن تستغل بريطانيا نفوذها وسيطرتها على الحكومة المصرية الواقعة تحت نير الاحتلال البريطاني ، فتقدم بريطانيا تسهيلات توطيد اليهود في هذه المنطقة فأراد ان يقضي على مثل هذا الاحتمال بابعاد شبه جزيرة سيناء من نفوذ الانجليز .

واذا كان قد اقر اخيرا حدود مصر الطبيعية بسيناء فان حركة الفصل المذكورة كانت اعلانا وتحذيرا لحكومة مصر وللشعب المصري مما يخشاه على بسيناء ولعل ذلك اثمر فعلا .

على أن اليهود وهم اصحاب المكر والحيل كانوا قد تسربوا في تركيا عن طريق طائفة الدونمة التي تظاهر افرادها بالاسلام وحملوا الأسماء التركية ، وانضموا تحت لواء « جمعية الاتحاد والترقي » . ويوم انتصر الاتحاديون على السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٠٩ ، وأوفد مجلس النواب ثلاثة من اعضائه لخلعه عن العرش ، كان أحد هؤلاء الثلاثة يهوديا يدعى « قره

(٢٠) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠ ص ٣١٥ – ٣١٧ .
دكتور حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم يناير (كانون ثاني) ١٩٦٢ ص ٦٢٤ – ٦٢٥ .

صو افندي »(٢١) سبق أن طرده السلطان من مجلسه في قصر « يلدز » حين حاول التأثير عليه لاسكان اليهود بفلسطين . وانه لمنظر مليء بالشماتة والحقد ، أن يخلع سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وأن يحمل له بلاغ الطرد أحد أبناء اليهود الذين حرم عليهم فلسطين ، وفرض عليهم الجواز الأحمر الذي لا يبيح لهم الاقامة أكثر من ثلاثة شهور .

ولكن الصهيوني هرتسل كان قد وجه انذارا قبل ذلك الى السلطان عبد الحميد ، ضمن خطابه الموجه الى يوسف الخالدي كبير النواب العرب في مجلس « المبعوثان » العثماني يقول فيه :

« قدمت الى عظمة السلطان عروضنا العامة ، واني واثق أنه بفضل ذكائه الفائق سوف يوافق مبدئيا على الفكرة على أن يبحث مستقبلا تفاصيل اخراجها الى حيز التنفيذ ، أما اذا رفض فسنواصل البحث ، وصدقني سوف نهتدي الى مكان آخر وفقا لما نريده ، وفي هذه الحالة سيضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم فيمتناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها ان من يصارحكم بهذا القول هو صديق مخلص للاتراك ، فاذكروا ذلك دوما » (٢٢) .

٢ ـ الجمعيات العربية :

وكانت الجمعيات العربية قد بدأت تعمل سرا ، يدعو أكثرها الى اثبات حق العرب لحكم أنفسهم في نظام لا مركزي ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتتابع تأسيس هذه الجمعيات لا سيما بعد أن استولت جماعة الاتحاد والترقي على حكم الامبراطورية العثمانية ، واتضح بسرعة اتجاهها القومي الطوراني الذي كان يتمثل في احياء امجاد الأتراك الأوائل وربط الاتراك المعاصرين بتراثهم الحضاري التركي الأصيل ، وتخليص الفكر التركي من المؤثرات الخارجية العربية والفارسية التي دخلت عليه .

وكان هذا الاتجاه الطوراني في لحمته وسداه دعوة سافرة لسيادة الجنس التركي في الامبراطورية العثمانية ، وانعكس هذا الاتجاه الطوراني بشكل عنيف على الولايات العربية فيما يعرف بحركة التتريك ، اي تتريك الولايات العربية ، فجعلت اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم

(٢١) أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٧ ص ١٢٠.
(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨ .

وغيرها(٢٣) .

ولا شك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي الذي تسرب اليه اليهود « الدونمة » كما أسلفنا والذي سيطر على الحكم في الدولة من سنة ١٩٠٩ حتى قيام الحرب العالمية الأولى قد استنفرت العرب، فألفوا الجمعيات السرية والأحزاب الوطنية العلنية . فكانت الجمعيات العربية على التوالي :

جمعية الاخاء العربي المؤسسة بالاستانة سنة ١٩٠٨ ، وجمعية المنتدى العربي سنة ١٩٠٩ ، والجمعية القحطانية سنة ١٩٠٩ ، وجمعية العربية الفتاة المؤسسة في باريس ثم في سوريا سنة ١٩١٢ ، وجمعية العلم الأخضر المكونة في الاستانة سنة ١٩١٢ ، وجمعية بيروت الاصلاحية سنة ١٩١٢ ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، وجمعية العهد المؤسسة بالأستانة سنة ١٩١٣ وجمعية الجامعة العربية المؤسسة بالقاهرة سنة ١٩١٠ ، ثم حزب اللامركزية المكون في مصر والذي ضم نخبة من رجالات الشام كان من أشهرهم رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي شميل وسامي الجريتلي وغيرهم ، ويتبع ذلك انعقاد مؤتمر الشبان العرب في باريس سنة ١٩١٣ وقرارهم الارتباط مع حزب اللامركزية في مصر (٢٤).

وعلى الرغم من تعدد هذه الجمعيات العربية ، لم تخرج واحدة منها عن صداقة الأتراك ، والعمل على النهوض بالعرب والدفاع عنهم في الدولة ، وتمكينهم من حكم انفسهم في نظام لا مركزي ، وضمن اطار الدولة .

ولا يستثنى من هذه المبادىء الا الجمعية القحطانية المؤسسة في مصر (٢٥) ، فقد اختلفت حولها آراء الباحثين ، يرى بعضهم أنها تنادي بمقاومة الترك وتحريض العرب على الثورة والانتفاض(٢٦)، ويرى البعض الآخر أن هدفها كان تحقيق مشروع جديد جريء ، وهو تحويل الامبراطورية

---

(٢٣) المجتمع العربي ، ص ٢٠٧ .

(٢٤) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن . ثلاثة أجزاء . مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ، د. ت ١ ج ١ ص ٢٥ .

(٢٥) عرف من أعضائها حقي العظم ، فؤاد الخطيب ، عزت الجندي ، عزيز المصري .

(٢٦) جورج انطونيوس : يقظة العرب . تاريخ حركة العرب القومية . تعريب الدكتورين ناصر الدين الأسد واحسان عباس . بيروت ١٩٦٢ ص ١٨٦ .
وأنظر أيضا جلال يحيى : المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث دار المعارف القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٨٦ — ٤٨٧ .
وانظر كذلك المجتمع العربي ، ص ٢١٣ .

العثمانية بجناحيها التركي والعربي الى امبراطورية ثنائية تشبه الامبراطورية النمساوية المجرية التي كانت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . فتؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولغتها الرسمية عربية، على أن تكون هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركيا، وبهذه الطريقة يصبح مصير العرب والأتراك أوثق التحاما على أسس ثابتة ، لأنها أسس اقرب الى تمثيل الواقع .

٣ ـ الشريف حسين بن علي :

وكان الشريف الحسين بن علي يمثل في ذلك الوقت أكبر الأسر العربية مكانة ، فهو أمير مكة والمهيمن على الحرمين الشريفين ، وكان يمثل جانبا محترما لدى الدولة العثمانية ، واليه ترنو أنظار العرب في أقطارهم المجاورة في نظرة مليئة بالاكبار والاحترام .



الشريف حسين بن علي

وكان الشريف الحسين أبا لأربعة من الأبناء هم علي ، وعبدالله ، وفيصل ، وزيد ، وكان فيصل ذا صلة بدولة الخلافة ، يتردد على الاستانة ويزورها ، ويمر في طريقه اليها بديار الشام لحاجة في نفسه هي أن يكون على اتصال وثيق مستمر بالزعماء فيها ، فكان يجتمع في دمشق وغيرها بالعديد من شباب العرب المتوثب والمليء حماسة على حقوق العرب، والدافق غيرة على بعض ما يبديه الأتراك من اهانة للعرب او اضطهاد او اهمال .

٤ ـ الانجليز يبدأون التغرير بالعرب :

لم يكن الانجليز بعيدين عن أحداث العرب وعلاقتهم بالترك واستغلال اي خلاف يبدو بينهم .

وكان الأمير عبدالله يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية في روحاته العديدة بين مكة والآستانة ، وتقابل مرارا مع بعض موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة الذين زاروه حين نزل ضيفا على الخديوي ، فأحجم عن مبادلتهم الود واخبر الممثل العثماني بذلك ثم تطور هذا الاحجام الى لقاء أكثر تجاوبا، وحدث في أثناء مقابلة تمت بالقاهرة في ٥ من فبراير (شباط) ١٩١٤ مع لورد كتشنر المعتمد البريطاني في مصر ان افاض الأمير عبدالله في شرح أسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك وسخط العرب عامة عليهم ، بسبب الاتجاهات الطورانية التي طبعت تصرفات رجال الاتحاد والترقي ، واشار عبدالله انه من المحتمل اذا عزل الأتراك والده من امارة مكة ان تندلع الثورة قوية رهيبة في اقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين ، وقرر أن والده قد بدا في الاستعداد لمواجهة مثل هذا الموقف ، وان زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد(٢٧) وانهم يئسوا تماما من اقناع الأتراك بأحقية العرب في مطالبهم المتواضعة وبحق العمل معهم في اطار الوحدة العثمانية ، وقد شهد هذه المقابلة رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني ، وقد لقي هذا التلميح العربي استجابة لدى الانجليز ومن ثم بدات بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والأتراك على السواء ، والوصول الى خلق اسفين صهيوني في قلب العالم العربي ، فسلم رونالد ستورز بالسفارة البريطانية بالقاهرة كتابا من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين في مكة كان ملخصه:

(٢٧) المجتمع العربي ، ص ٢١٩ .

أن بريطانيا تشكر الشريف على خدمته للاماكن المقدسة وسهره على راحة الحجاج ثم دست عبارة مثيرة هامة انهت بها رسالتها :

« انها لا تعارض في ارجاع الخلافة الى العرب (٢٨) »

ولا ريب أن هذه الكلمة التي أطلقتها بريطانيا في رسالتها الى الشريف حسين ، بقيت تختمر عنده وتعظم ، وتزيدها الأحداث أهمية منذ تاريخ ارسالها في الشهر الثامن من عام ١٩١٤ ، الى اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦، حيث بدات ثورة مسلحة وقوية، يحطم بها العرب المسلمون مراكز الأتراك المسلمين وحصونهم .

ولكن بين هذين التاريخين ، وخلال الاثنين والعشرين شهرا ، وقعت، أحداث مهمة لا يمكن اغفالها في الحديث عن الباب الذي دخل منه الانجليز الى جزء مهم من القضية العربية الكبرى ، والى فلسطين بنوع خاص .

فقد دخلت تركيا الحرب الى جانب دولتي الوسط في ٣١ من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٤ في أثناء الاتصالات التي قامت بين الانجليز وبين الشريف حسين ، وبدات تعد كل امكانات الامبراطورية العثمانية لمواجهة القتال والاشتراك فيه .

٥ ـ العلاقات العربية التركية :

وبينما كان الامير علي بن الحسين يرافق وهيب باشا قائد الحجاز وواليه في يناير (كانون ثاني) ١٩١٥ للاشتراك في حملة عسكرية على قناة السويس ، اذ سقطت احدى الحقائب من بين أمتعته الشخصية ، وتدل ملابسات الحادث على أن فقد الحقيبة كان مدبرا فقد لاحظ الشريف حسين تغيرا ملموسا في موقف الوالي وهيب باشا ، ومما يدل على ان الأمر كان مبيتا ان الحقيبة لم تسلم لصاحبها بل حملت الى الحسين وفحصت وعثر فيها على وثائق تتضمن الدليل على مؤامرة تدبرها الجهات الرسمية على حياته هو واولاده ، وأتخذ الحسين من هذا الحادث ذريعة لكي يرسل ابنه الأمير فيصل الى الآستانة ، ليعرض على دوائرها العليا قصة الوثائق ، ويبدي استياء والده العميق من هذا التآمر على حياته وحياة أولاده ، وفي الواقع كان الدافع لسفر الأمير فيصل هو المرور بدمشق ، والاتصال بالزعماء العرب في عاصمة الشام ، ومعرفة موقفهم من عروض انجلترا ،

(٢٨) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٢٧ .

ومدى تحمسهم لها واستعدادهم لتنفيذها(٢٩) .

لم يكن فيصل مكتفيا آنذاك بنقل الوالي المذكور ، ولكنه أبدى استعداده لقيادة قوة عربية جديدة ، والاشتراك جديا في حملة القناة الثانية ، بعد أن فشلت الحملة الأولى ، ولكنه طالب رجال الحكومة الاتحادية باطلاق سراح شباب العرب المعتقلين في عاليه بجبل لبنان ، واصفا سياسة جمال باشا حاكم الشام بأنها سياسة عداء للعرب ، وطالب باللامركزية للحجاز ، وبامارة وراثية لوالده .

ولا ريب أن تولي أحمد جمال باشا حكم الشام كان نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والترك ، لا سيما في ذلك التاريخ الذي شحنت فيه النفوس بالاستعداد للحرب ، والدفاع عن أرض الدولة العثمانية ، ذلك أن جمالا هذا صور حزب الاتحاد والترقي أشنع صورة يمكن أن تظهر لشعب محكوم ، فقد كون مجلسا عسكريا في عاليه ، وأعتقل عددا من شباب العرب ورجالهم ، وأحاط تحقيقه بسرية رهيبة مخيفة ، وانتشرت الاشاعات والأقاويل بأن تركيا تستهدف قهر العرب وتتريكهم واذابتهم .

ولهذا حين ناقش فيصل سلطات العاصمة التركية في أمر وثائق وهيب باشا المشار اليها ، أضاف الى نقاشه أيضا ، ضرورة اطلاق سراح المعتقلين ، واشعار الشعب العربي بأنه جزء مهم من الدولة ، يمثل الثقة والتعاون لا الخيانة والمروق .

وعلى الرغم من الأمل الذي خامر فيصل فان شيئا من تبدل سياسة جمال في الشام لم يطرأ .

وحين كان الانجليز يغرون الحسين بملك عربي كبير واعادة الخلافة الى العرب ، كان الحسين يحاول أن يصل مع الأتراك الى تفاهم جذري ، يصلح الأمر ، ويضمن للعرب حكما مركزيا داخل نظام الدولة العثمانية ، ومع طول الانتظار بدأ يراسل الأتراك جهرة بآرائه ويحدد مطالبه .

والآن ونحن نتجه الى الحديث عن فلسطين ومقدمات نكبتها والدور البطولي الذي قام به شعبها ، لا بد لنا من أن نرجع قليلا الى الثغرات التي تسرب منها الانجليز ، حتى نفذوا مخططهم في قلب الأمة العربية ، وزرعوا شجرة السوء الاسرائيلية في فلسطين .

فما كادت قضية المعتقلين السياسيين الذين كبلهم جمال باشا تأخذ

---

(٢٩) يقظة العرب ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

دورها الكبير لدى مجامع العرب ، حتى ارسل الحسين الى أنور باشا وزير الحربية البرقية التالية :

« ان خروج الدولة العلية منصورة من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ، والجانب الأهم من ميادين القتال في بلادهم وتأييدهم لها قلبا وقالبا في نضالها .

ويلوح لي أن ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم امام المحاكم العسكرية بالدواء التالي :

١ — اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .
٢ — انالة سوريا ما تطلبه من استقلال مركزي .
٣ — جعل امارة مكة وراثية في اولادي وبقائها على حالتها الحاضرة .

فاذا قبلت هذه المطالب فأتعهد بحشد القبائل العربية بقيادة أبنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ، واذا لم تقبل فأرجوكم الا تنتظروا مني شيئا سوى الابتهال للحق جل وعلا بأن يهب للدولة النصر والتوفيق(٣٠).

والحق ان هذه البرقية كانت مفتاحا صالحا لفتح مغلقات التفاهم بين الجانبين ، فكان من الممكن جدا أن ترد السلطات التركية بقبول بعض بنودها ، ورفض بعضها الآخر ، وكان من الممكن أيضا تأجيل النظر في استقلال سوريا الداخلي (وكانت سوريا تمثل كل الشام من حدود مصر الى حدود تركيا) وتأجيل وعد الشريف بوراثة أبنائه ولكن الجميع كان يهتم ويشغل بأمر الشبان العرب المعتقلين في عاليه ، ولهذا كان يجب على أنور باشا أن يستجيب لهذا الطلب حتى يساعد في اقامة حجة تاريخية مهمة سيما وأن موضوع المعتقلين كان قد بحث أيضا بين جمال باشا نفسه والأمير فيصل في مقابلات عديدة كان واضحا فيها اصرار جمال على سياسته الارهابية .

بل ان الشريف حسين نفسه أبرق الى الدولة يشترط لالتزامه الهدوء والسكينة ، الاعتراف باستقلال الحجاز ، والعدول عن محاكمة احرار العرب ، واعلان عفو عام عن المعتقلين ، وعاد الحسين فأبرق من جديد الى جمال باشا مختصرا طلباته وحاصرا لها في اطلاق سراح المعتقلين واعلان عفو عام .

---

(٣٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١١٠ — ١١١ .

ولكن السياسة التي كانت تسير عليها الدولة في ظل حزب الاتحاد والترقي لعبت بها الصهيونية ، وتسربت فيها سياسة الارهاب التي بداها وغذاها جمال باشا ، وكانت واضحة في الرد الذي تلقاه الشريف من أنور باشا ، كان ردا بعيدا عن اللين وسياسة الايلاف والتفاهم ، وتحديا صريحا للشريف الذي كان يتلقى العروض والخطابات من الانجليز وهو متردد في اجابتهم والسير معهم ، ولعله كان في حاجة الى أقل تقارب واكرام من دولته الاسلامية لتقوي روحه في مدافعة الانجليز ورفض عروضهم ، والوقوف الى جانب دولة الخلافة ، ولكن رد انور باشا جاء يقول :

وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة ان احراز النصر يكون باشتراك أبناء الأمة قلبا وقالبا ، ولما كان طلب اعلان عفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء امارة مكة في شخصكم السامي وفي أولادكم خارجا عن اختصاصكم ، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء ، واني أبلغكم انه لا بد من أن ينال الموقوفون عقابهم . الى آخر البرقية الشديدة اللهجة العنيفة التعبير(٣١) .

وفي العشرين من أغسطس (آب) ١٩١٥ بدا الارهاب يأخذ صورة خطيرة ، يراد بها تحطيم أعصاب الشعب العربي واذلاله ، ويرتسم في معاملة لم تعرف الا من حكومات الاستعمار والطغيان ، فقد دفع جمال باشا بنخبة من احرار العرب الى المشانق في بيروت ودمشق (٣٢) ، وكانت القافلة الاولى من الشهداء قد أعدمت في ٢١ أغسطس (آب) ١٩١٥ في بيروت، وقد بلغ عددهم اثنين وثلاثين من رجالات العرب ، وهم الأحرار الذين طالما جادل الحسين في سبيل العفو عنهم واطلاق سراحهم ، وعلى الرغم من محاولة التشنيع ببعض هؤلاء الأحرار ووصفهم بالخيانة للدولة في وثائق يدعى الحصول عليها من قنصلية فرنسا في بيروت ، فان البيانات الرسمية وكذلك مذكرات جمال نفسه لم تستطع أن تلصق بهم الا الانتماء الى الجمعيات العربية وحزب اللامركزية ، وهي هيئات لا تدعو الى ما يعاقب عليه بالاعدام ، ولكنها هادفة الى اصلاح حال العرب والنهوض بهم ، وتمكينهم من حكم مناطقهم حكما يتلاءم مع الدولة العثمانية ، ويتفق مع المصالح المشتركة بين العرب والترك ، والواضح أن تلك المشانق التي نصبت في بيروت ودمشق عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ كانت معدة قبل المحاكمة السرية الصورية التي تمت في عاليه بلبنان والتي ثبت أن الاعدام كان أمرا

---

(٣١) المرجع السابق .

(٣٢) ٦ من مايو (أيار) ١٩١٦ .

مبيتا ، ودون النظر الى ما يوجبه أو يدفع اليه(٣٣) .

على أنه من انصاف التاريخ أن نذكر أنه بينما كان المجموع الأكبر من هؤلاء الشهداء أبرياء أحرارا ، فان قلة صغيرة أعدمت في تواريخ متتابعة يقول جمال باشا أن أسماءهم وجدت في مستندات القنصلية الفرنسية حين طوح بالعرف الدبلوماسي بعيدا ، وهاجم القنصلية مفتشا عن المستندات وباحثا عنها ، وكانت تقارير القناصل الفرنسيين تشير الى اتصالات مشبوهة ، يتضح منها محاولة الاستعانة بفرنسا وانجلترا على حرب الأتراك ، ومخاطبة فرنسا باعتبارها الحامية للوطنية في لبنان وسوريا .

بل بلغ من بعضهم أن لام القنصل الفرنسي لأن زعماء فرنسا الذين يبسطون في بياناتهم حنوهم على المسيحية في لبنان يتناسون المسلمين على الرغم من ودهم لفرنسا وثقتهم بها ، وحين يثبت(٣٤) هذا قضائيا لا ينتظر من جمال باشا ولا من غيره ان يفعل غير ما حدث .

على أن حكام تركيا من الاتحاديين كانوا قد عرفوا أحرار العرب منذ أن أباح الدستور العثماني حرية الصحافة وحق الكلمة الحرة ، والظاهر انهم صمموا ان يزيلوا من طريقهم أولئك الذين أسهموا في تكوين الراي العام العربي ، والذين حملوا في مقالاتهم على سياسة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة في تركيا ، ولهذا نجد أن كثيرا من أولئك الشهداء كانوا من الصحفيين أو رجال القلم الى جانب بعض من رجال الأحزاب والهيئات العربية(٣٥) .

ولاحقت أحكام الاعدام الغيابية جمعا آخر من رجال الصحافة العرب من أبناء الشام المقيمين في مصر(٣٦) ، وغيرهم ممن يتولون الكتابة

---

(٣٣) القضية الفلسطينية ، ص ٣٨ .

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٨ — ٦٩ .

(٣٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٩ — ٣٢٢ . وهم عبد الحميد الزهراوي صاحب جريدة الحضارة الأستوائية ، عبد الغني العريسي والامير عارف الشهابي من جريدة المفيد البيروتية ، وعمر حمد المحرر بالمفيد ، والشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاصلاح البيروتية ، وسعيد عقل المحرر بها ، جرجس حداد محرر جريدة الراوي الدمشقية ، وعلى أرمنازي صاحب نهر العاصي الحموية ، وشكري العسلي صاحب القبس الدمشقية ، وبتروباولي صاحب الوطن البيروتية .

(٣٦) هم الدكتور فارس نمر صاحب المقطم ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وداود بركات محرر الاهرام ، ومحب الدين الخطيب المحرر في المؤيد ، وابراهيم سليم النجار ، وقسطنطين يني محرر جريدة دليل حمص ، وخليل زينية محرر جريدة الثبات في بيروت .

والمطالبة بالحقوق للعرب ، وصدرت احكام بالابعاد على عدد آخر من رجال القلم العرب(٣٧) .

ويأتي دور رجال السياسة والجمعيات فأعدم جمال باشا صديقه المقرب عبد الكريم الخليل أحد مؤسسي المنتدى الأدبي في الاستانة ، وأعدم أيضا سيف الدين الخطيب وتوفيق رزق سلوم ، كما أعدم كل من أمكن اعتقاله من رجال حزب(٣٨) اللامركزية أو الداعين اليها .

ويلحق بهؤلاء السياسيين بعض الضباط العرب الذين اراد بهم جمال باشا ارهاب العنصر العربي في الجيش العثماني ، فأعدم منهم الأمير سليم الجزائرلي ، وامين لطفي الحافظ وعلي النشاشيبي(٣٩) ، كما اعتقل من اعتقل من الضباط العرب في عاليه ومنهم علي رضا البيلاني ، وجميل الألشي ، ورضا الخطيب ، وسالم مظلوم ، وارسل عددا من الضباط العرب الى خطوط النار في ميادين القتال ، وقد استشهد كثيرون منهم .

---

(٣٧) منهم يوسف العيسى ، وعيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين اليافاوية ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل الحيفاوية ، محمد صبحي عقدة صاحب جريدة ابو نواس اللاذقية ، وعلي الفرا صاحب جريدة النديم الدمشقية ، وامين الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية . واعتقل ايضا الصحفي العراقي ابراهيم حلمي العمر ، ونجيب شقير صاحب جريدة بيام ، واحمد عزت الاعظمي صاحب مجلة المنتدى الادبي وتوفيق اليازجي محرر جريدة الاصلاح البيروتية .

(٣٨) منهم صالح حيدر وسليم الاحمد عبد الهادي ـ ذكر الاستاذ اكرم زعيتر بمجلة العربي مارس (آذار) ١٩٦٤ انه يحتفظ بوصية الشهيد المكتوبة بخط يده وهذا نصها :

« اكتب هذه الوصية في الساعة الثانية والنصف من ليلة السبت الموافقة ١١ شوال ١٣٣٠ عربية حيث حكم علي بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة أعني أنني أكتب هذه قبل موتي بنصف ساعة واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » .

ويؤكد الاستاذ زعيتر أنها مكتوبة بخط جميل ، يدل على استجماع عبقري للذهن في ساعة الموت الرهيبة ، ومسلم عابدين ومحمود المحمصاني ومحمد المحمصاني ونور الدين القاضي وعبد القادر الخرسا ، ومحمود العجم ، أما الشيخ سعيد الكرمي وحافظ السعيد فقد حكم عليهما بالسجن المؤبد .

(٣٩) هذا الفقيد العربي ذكر في المجلد الاول من كتاب الثورة العربية الكبرى للاستاذ امين سعيد باعتباره إحد ضباط الجيش التركي على حين ذكره الاستاذ أكرم زعيتر في عدد مارس (اذار) ١٩٦٤ من مجلة العربي باعتباره احد رواد القضية العربية الاولين الذين تفخر فلسطين بانجابهم وكان طبيبا بيطريا ، وهو أحد أقطاب الجمعية القحطانية ، وموقد جذوة الوطنية في ناشئة القدس ، وقد اتهم بأنه يشوق الى استقلال العرب على حد تعبير المحكمة العرفية .

ثم عمد جمال باشا حاكم الشام التركي الى اجلاء عدد كبير من الأسر العربية عن ديارها ، والاستيلاء على أراضيها ، وارسلها الى جبال الأناضول وأنحاء متفرقة من تركيا ، بعيدين عن ديارهم ومواقع صباهم ، وموزعين بين مجموعات جديدة لم تألفهم من قبل ، ولم يسبق لهم معها عهد ، لا سيما وقد سبقهم ما انتشر من أنباء من أنهم عرب ابعدوا ضمانا لمصلحة الأمن ، وحفاظا على الدولة ، ولا بد أن هذا خلف نظرة ساخطة لدى الأهالي والأتراك بالنسبة لهم ، فكانوا يلقون كثيرا من المتاعب والهوان لا يخففها ابدا ما أقطعوه من اراضي ، بدلا من اراضيهم المصادرة في بلادهم ، فكان هذا عملا تعسفيا جديدا أضيف الى قوافل الشهداء الذين أعدموا ، والى العدد الكبير الذي امتلأت به السجون والمعتقلات .

ولقد كان العرب ينوون مساعدة الدولة على الرغم من الخلاف السياسي ، ويحفظ لنا التاريخ ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل شكري باشا الأيوبي في ١٥ مارس (اذار) سنة ١٩١٥ وحضره الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسني وعبد الكريم الخليل وغيرهم ، وقرروا مساعدة الدولة والمحاربة الى جانبها ضد الأعداء ، وتأليف عصابات عربية لتواصل الحرب اذا اضطر الترك الى الانسحاب(٤٠) .

بل وصل الأمر لأكثر من هذا ، فبينما كان دعاة الاصلاح يطالبون باللامركزية وبمطالبهم المعروفة لصالح العرب ، تألف في دمشق حزب الاصلاح الحقيقي ، وكان يضم عددا مهما جدا من كرام العرب ورجالهم(٤١) ، وأصدر بيانا أنحى فيه باللائمة على مؤتمر الاصلاح المنعقد في باريس ، واتهمه بأنه يعمل ضد الدولة بمعاونة الأجانب ، وأن الدولة في محنتها بحرب البلقان تحتاج الى المساعدة ، وأن الجميع يطلب اصلاحا ، ولكنهم لا يكيدون للدولة ، بل هم يطلبونه مباشرة وبلا واسطة ، ودعوا الى عقد مؤتمر في الاستانة (عاصمة بلادنا المحبوبة)(٤٢) . ونادوا بتأييد

---

(٤٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤٢) كان من أشهر رجال هذا الحزب رئيسه محمد فوزي باشا العظم ، وعبد الرحمن اليوسف ، والامير شكيب أرسلان ، والشيخ أسعد الشقيري ، والدكتور حسن الامير ، وطه المدور والشريف علي حيدر باشا والشريف جعفر باشا ، والزعيم الليبي سليمان الباروني والنائب الليبي يوسف شتوان ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ صالح التونسي ، والشيخ اسماعيل نصيف وغيرهم .

الدولة في كفاحها الخارجي وعدم ازعاجها بمطالب داخلية .

على أن أولئك الذين اجتمعوا في منزل الأيوبي ، صدموا بأحكام الاعدام وتنفيذها ، فكانوا بعد ذلك من أكثر المشجعين على الثورة والمهتمين بها ، ولقد حادث بعضهم فيصل فأكدوا له استعدادهم ، وأنهم لا يطلبون الا قيادة والده الشريف حسين ، وأعطاه الشيخ بدر الدين الحسني أكبر علماء دمشق خاتمه لتسليمه الى والده في مكة دليل الاستعداد والموافقة ، فأخذه الى والده في مكة(٤٣) .

هذه صورة بيانية عن الحالة بين العرب والأتراك ، وهي صورة مليئة بالخطوط المتعارضة وبالظلال الكثيفة السوداء ، التي لا ريب ان جمالا حاكم الشام التركي والذي لقبه العرب بجمال السفاح ، يتحمل فيها الوزر الأكبر والاثم التاريخي الكبير ، فهو راسمها وطابعها ، « وهو الذي جعل أسباب الثورة العربية أكثر دفعا للعرب واشد تحمسا »(٤٤) ، وهو الذي عبد بذلك الطريق الذي سلكه الانجليز في التغرير بالشريف حسين وقومه العرب .

على أن الوثائق التي تكشفت خلال الحرب العامة ، واثناء الثورة الشيوعية أثبتت ان جمالا هذا كان يبدي عناية كبيرة بالأرمن المبعدين من تركيا ، وكان هؤلاء يفاوضونه باسم المخابرات البريطانية والفرنسية عملا على مساعدته ثائرا ضد الخلافة وحكام الاستانة(٤٥) . والرجل الذي يفاوض الأعداء ضد دولته في أثناء الحرب لا يستغرب منه أن يسير مساعدا لمخطط يعمل لهدم روح التعاون بين العرب والأتراك تجاه الأعداء .

---

(٤٣) يقظة العرب ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٤٤) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ ص ٧١

(٤٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

٦ ـ تلهف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين :

واذا راجعنا التاريخ الذي حاول فيه الحسين صرف الدولة العثمانية عن اعدام الأحرار العرب الذين اعدموا بعد ذلك بين ٢٢ من اغسطس (آب) ١٩١٥ و ٦ من مايو (أيار) ١٩١٦ ، نجد ان هذه الفترة استغلتها بريطانيا لاغراء الشريف واعداده نفسيا للثورة ، وهي تمنيه بمجد باذخ وملك شامخ ، وهي تدرك تماما انه اهتم بمراجعة الأتراك لاصدار عفو شامل واطلاق سراح المعتقلين، وأن الأتراك رفضوا هذه الوساطة بصلف وكبرياء.

وكانت بريطانيا قد أوفدت قبل ذلك مندوبا لا شبهة عليه (علي افندي أصفر) من حي الجمالية بالقاهرة ، فحمل رسالة الى الأمير عبدالله من مستر رونالد ستورز السكرتير الشرقي لدار الحماية البريطانية ، وكانت الرسالة الأولى التي يتساءل فيها رونالد ستورز هذا باسم لورد كتشنر وزير الحربية البريطانية عما اذا كان عبد الله ووالده لا يزالان على رأيهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب ويعد بأن الحكومة البريطانية عازمة على تقديم كل مساعدة للعرب ضد الأتراك الذين سوف يدخلون الحرب في زمرة الأعداء .

وعاد المندوب دون جواب ، فلم تطق بريطانيا صبرا وهي المتحرقة على فتح جبهة جديدة هامة ضد الأتراك ، عندما يحاربون ، ومن مكان كانوا يأمنونه ويركنون فيه الى الهدوء والاطمئنان ، فلم يمض أسبوعان حتى عاد المندوب من جديد ومعه رسالة موجزة ملحة تصور مبلغ القلق البريطاني والتلهف على رد الشريف حسين وكان نصها :

« ان الفرصة سانحة لكم لتحقيق مطالب العرب ، فأنا آسف لترككم كتابي بلا جواب ، وآمل الاسراع في ارسال الرد على سؤالي » .

ولكن المندوب الذي لم ينل جوابا ولثاني(٤٦) مرة عاد من جديد برسالة ثالثة ، وكان ذلك في نوفمبر (تشرين ثاني) من عام ١٩١٤ ومعه رسالة تكرر :

« اننا على استعداد لمساعدة شريف مكة في قضيته ، وتقديم كل ما يريده من مساعدة » .

---

(٤٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

وهنا جاء الرد الأول من الشريف حسين :

« ليس في استطاعتي أن أعمل شيئا قبل أن أستشير العرب ، وأسألهم رأيهم » .

كان الشريف حسين يمر ساعتئذ بأزمة نفسية حادة ، فقد كان في صراع بين الفريزة والروح ، انها أزمة الاقدام على قرار خطير ، يحارب به الدولة التي ارتبط بها العرب أربعة قرون ، واختلط أثناءها الدم العربي بالدم التركي ، وسالا في معارك طويلة ضد البلغار والروس واليونان ، وفي مختلف بقاع الامبراطورية الكبيرة .

ومضت فترة طويلة لم يحفظ فيها التاريخ مراسلات جديدة ، ولا ريب أنها الفترة التي حاول فيها الحسين أن يتفاهم مع جمال باشا ، ومع الاتحاديين بالعاصمة الكبيرة ، وهي الفترة التي قام فيها باتصالاته وبايفاد ابنه فيصل طالبا اعلان العفو عن المعتقلين ، والوصول الى تفاهم حول آمال العرب الكبري ، والظاهر انه تأكدت لديه نية جمال باشا المتجه الى القمع والاعدام ، ورمى الحسين حينئذ آخر سهم لديه كان يشده الى الأمل .

٧ ــ مراسلات حسين ــ ماكماهون :

في شهر يوليو (تموز) سنة ١٩١٥ كان الشريف حسين يبعث بمذكرته التاريخية الى سير ماكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر .

وتقتضينا امانة البحث العلمي أن ننشر هنا النص الحرفي لأولى رسائل الشريف حسين الى ماكماهون ، وهي مؤرخة في ١٤ من يوليو (تموز) ١٩١٥ :

المذكرة الأولى من الشريف الحسين الى ماكماهون(٤٧) :

تبدأ المذكرة بعد عبارات من المجاملة والنصح بالتوقف عن ارسال المناشير بالطائرات وتقول :

« لما كان العرب بأجمعهم ــ دون استثناء ــ قد قرروا في الأعوام

(٤٧) الامانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ ــ ١٩٤٦ القاهرة ١٩٥٧ وثيقة رقم ١ ص ٦ ــ ٨ .

الاخيرة ان يعيشوا ، وان يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول الى أمانيهم المشروعة ، وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ...

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن اية حكومة اخرى نظرا لمركزهم الجغرافي ، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا ...

انه بالنظر لهذه الأسباب كلها يرى الشعب العربي أن من المناسب أن يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبها أو ممثلها على الاقتراحات الأساسية التالية :

أولا : أن تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ــ ادنه ــ حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين(٤٨) غربا ، على أن توافق انجلترا أيضا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية انجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

(٤٨) جرت أغلب المؤلفات العربية على نشر الحدود المطلوبة من الشريف في مكاتباته بصيغة تحتاج الى امعان ، والنص الوحيد الذي بدا لنا سليما جدا هو التعبير الانجليزي المنشور في مجلد الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين الذي نشرته الامانة العامة للجامعة العربية ونصه كما يلي :

Great Britain recognises the independence of the Arab countries which are bounded : on the north by the line Mersin-Adana to parallel 37 on and thense along, the line Birejik-Urfe-madait-Jajirat (ibn Umer) Amadia to the Persian frontier, on the east by the Persian frontier down to the Persion Gulf; on the south, by the Indian Ocean (with the exclusion of Aden whose status will remain as at present); on the west by the Red Sea and the Mediterranean Sea back to Mersin.

ثالثا : تتعاون الحكومتان الانجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين ، ذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتامينا لأفضلية انجلترا الاقتصادية فيها ... على أن يكون هذا التعاون في كل شيء في القوة العسكرية والبحرية والجوية ...

رابعا : اذا تعدى أحد الفريقين على بلاد ما ونشب بينه وبينها قتال وعراك فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد ، على أن هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معا وأن يتفقا على الشروط .

خامسا : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة ، واذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق (والحمد لله) على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلبا أو ايجابا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح ، واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا ـ اذا لم يصل الجواب ـ أحرارا في القول والعمل من كل التصريحات والوعود التي قدمناها بواسطة علي أفندي » .

وكانت مذكرة واضحة تحدد مطالب العرب في خلق دولة كبرى مستقلة وخلافة اسلامية براسها عربي ، وتحدد وقتا للاستجابة لا يزيد عن ثلاثين يوما ، انها مذكرة من يشعر بأهمية حركته وقيمتها الكبرى ، ويتحدث في اعتزاز طالبا عهودا لم يخالجه الشك في صدق اعطائها وتنفيذها .

وجاء رد ماكماهون ردا انجليزيا واهنا مفعما بالاسراف في اضفاء القاب التمجيد والتفخيم والتزلف ، وسنرى أن الحسين استاء من هذا الهراء ، وأعرب عن استيائه في رده ، وما دامت الأحداث اللاحقة قد أوضحت لنا مقدار تعمد الانجليز للخيانة والتغرير ، وما دمنا قد تعلمنا أن الكلمة تعطي مدلول لفظها الا عند الانجليز ، فلا بد من ايراد تلك العبارات الواردة في رد ماكماهون ، لندرك في خاتمة المأساة عمق استهانة الانجليز بالألفاظ والقاب التجلة والاحترام :

من ماكماهون الى الشريف حسين(٤٩) :

« الى السيد الحسيب النسيب ، سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية ، السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ، دولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة ، قبلة العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لاظهاركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز والعكس بالعكس ، ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت الى سيادتكم على يد علي أفندي ، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

واما بخصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك ايضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الأخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين بين تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها ، وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الألمان والظالمين القدماء وهم الأتراك .

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لأن نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا ، مستنشقين رائحة

(٤٩) المصدر السابق ، وثيقة رقم ٢ ص ٩ — ١٠ .

مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام أرفع الى السدة العلية كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

المخلص

تحريرا في ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ.	(السير ارثر ماكماهون)
الموافق ٣٠ اغسطس ١٩١٥ م.	نائب جلالة الملك

الشريف يؤنب ماكماهون :

وفي رد الشريف على هذه الرسالة ، يزداد وضوحه في مطالبه ، وتقوى عباراته وتمسكه بالحدود المهمة للدولة العربية ، بل أنه يسجل أن وجود فرنسا في شواطيء بيروت لا بد ان يبحث بعد الحرب ، وان البلاد كلها عربية ، واصفا كتاب ماكماهون بالبرود والتردد والغموض ، فيقول في رسالته المؤرخة في ٢٩ من شوال سنة ١٣٣٣ هـ. الموافق ٩ من سبتمبر (ايلول) ١٩١٥ :

« طالعت كتابكم بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الأساسية ، اعني نقطة الحدود » .

وبعد بعض عبارات المجاملة يضيف :

« يجب ان أؤكد لكم ايضا ان مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم ، وان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد لنتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود ، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد ، وهذا ما جعل الشعب يعتقد أن من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ، ويعلقون عليها الآمال وهي بريطانيا العظمى » .

ويضيف في قضية الحدود قوله :

« وانا على ثقة يا صاحب الفخامة انكم لا تشكون قط بأني لست انا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب بأسره يعتقد أنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية » .

الحسين لم يفرط أبدا في الحدود :

ثم يسير في نقاش مهم ردا على رسالة ماكماهون ، ويعود الى موضوع الحدود قائلا :

« واود هنا يا صاحب الفخامة ان أؤكد لكم بصراحة ، أن كل الشعب ومن جملته هؤلاء الذين تقولون انهم يعملون لصالح تركيا والمانيا ، ينتظرون بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات ، المتوقفة على موافقتكم ، أو رفضكم ، قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمايتهم من كل اذى أو خطر » .

ثم ينتقل بعد قليل الى اشعار حليفته الجديدة ان دولته العربية المرتقبة لا توافق حتى على مجاورة فرنسا في بقعة صغيرة من الوطن العربي فيقول :

« ولذلك نرى من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست ارى حاجة لأن الفت نظركم من الآن الى ان خطتنا هي آمن على مصالح انجلترا من خطة انجلترا على مصالحنا ، ونعتقد ان وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق أفكارنا كما يقلق أفكارها . وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطروننا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة ، وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة(٥٠) .

وبسرعة وصل الرد من ماكماهون وفيه الاعتذار عما فهم الشريف من برود الرد السابق .

وانه لايضاح أساليب التغرير الانجليزية واثباتها أمام التاريخ الذي سجل نتائج تلك المراسلات ، ينبغي أن نثبت رد ماكماهون نائب ملك بريطانيا كما سجلته الوثائق الرسمية :

---

(٥٠) إن هذا الجزء الذي أثبتناه هنا من رسالة الشريف حسين القوية إلى ماكماهون نشر تحت رقم ٣ ص ١١ في مجلد الجامعة العربية عن الوثائق الرئيسية لقضية فلسطين مأخوذا عن النص الرسمي الذي وزعته بريطانيا في لندن أثناء مؤتمر فلسطين عام ١٩٣٩ وقد أثبتنا هنا أهم ما في الخطاب متعلقا بالحدود التي يطالب بها الحسين لدولته كشرط للثورة وهي حدود تشمل فلسطين دون شك.

« الى فرع الدوحة المحمدية ، وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف بن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء ، جعله الله حرزا منيعا للاسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين ، وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي ، أعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما أورثني رضاء وسرورا .

انه ليؤسفني أنكم لاحظتم في كتابي الأخير وحديثي عن قضية الحدود شيئا من البرود والتردد ، مع انني لم اكن اقصد ذلك بل كنت اود ان أقول بأن الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا منتجا ، وقد ادركت انكم تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود ، وانكم تعتبرونها من المسائل الحيوية ، فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية ، وانه ليسرني أن أرسل اليكم البيانات التالية ، والتي اثق كل الثقة بانها ستفوز برضاكم :

ان مرسين واسكندرونة ، وبعض الأقسام السورية الواقعة غربي دمشق وحمص وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود . اما الأراضي التي تستطيع انجلترا فيها العمل بالحرية ، ودون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا ، فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن اعطيكم التأمينات التالية جوابا على كتابكم :

١ ـ ان انجلترا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف باستقلال العرب ، وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة .

٢ ـ تحمي بريطانيا الأراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها .

٣ ـ تقدم بريطانيا للعرب عند الحاجة كل مساعدة ، او نصيحة تلزم ، وتعاونهم في تشكيل افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلاد العربية .

اما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد ، فان العرب يعرفون أن مركز انجلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا اداريا خاصا ومراقبة خاصة للمحافظة

على تلك الأنحاء من الاعتداءات الخارجية ، وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوحيد مصالحنا المشتركة فيها » .

ورفض الشريف حسين في رده على ماكماهون أن يوافق مطامع بريطانيا في العراق ، ووافق لها مؤقتا ببقاء جزئي نظير اجر تستعين به الدولة العربية في فترة نموها ، وتتنازل فقط عن مرسين وادنه باعتبارهما ليستا عربيتين ، ويقول عن ملاحظات ماكماهون بالنسبة لاستثناء مناطق غربي دمشق وحلب وحمص وحماه :

« اما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفة ، وليس هناك فرق بين المسلم العربي ، والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسل واحد ، وسوف يتمتع المسيحيون بما نتمتع به من حقوق بما يتفق ومصلحة الشعب أجمع » .

وتوالت مكاتبات الحسين وماكماهون في هذا الاطار ، ولم يخطر مطلقا ببال الاول انهناك نية مبيتة لتقسيم بلاد العرب بين فرنسا وبريطانيا ، وان هناك تخطيطا يمكن لليهود في فلسطين ، لا سيما بعد ان اثبت ماكماهون في رسالته المؤرخة ١٤ من ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٥ أن بريطانيا دونت طلبات الشريف حول الحدود لتراجعها مع فرنسا ، فرد الشريف انه لا يمكن ان يوافق على غير ذلك(٥١) .

٩ ـ بدء الثورة العربية :

انتهت هذه المكاتبات والحسين يحلم بملك عريض وامبراطورية عربية ، وخلافة اسلامية ، وفي صباح اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، اطلق الرصاص على القلعة التركية في مكة ، وكان ايذانا ببدء صراع مرير لم تنته آثاره حتى الآن .

لقد استطاعت الحيلة البريطانية التي فاوضت الشريف الحسين أن تجعله محاربا في صفها ، وصف حلفائها الفرنسيين والروس ، وأن تدفعه ليقاتل هو وابناؤه جنود الدولة الكبرى التي كان العرب يسعون للاصلاح فيها ، ولا يهدفون الى تحطيمها .

وهكذا هاجم الأمير علي مع ستة آلاف مقاتل « محطة المحيط » ، ثم

(٥١) المصدر السابق ، وثيقتان رقم ٦ ، ٧ ص ١٩ ـ ٢٢ .
وانظر ايضا محمد عزة دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٣٨ .

الحسا واشتبك مع فخري باشا في صراع دموي ، واختص فيصل بطريق المدينة فتولاه بجيشه العربي .

أما عبد الله فقد كان يقيم قرب الطائف التي يوجد بها الوالي التركي غالب باشا ، وكان الجدل عنيفا بين هذا الوالي وحاشيته التي تصر على اعتقال عبد الله ، وفي يوم الجمعة ٩ من يونيو (حزيران) ١٩١٦ أعلن عبد الله انه ذاهب بعد صلاة الجمعة لتأديب قبيلة التعوم وكانت قبيلة عاصية ، وطبقا للتقاليد ذهب للقاء الوالي ووداعه ، واخترق المعسكر التركي ، فاصطف الجنود والضباط الأتراك لتحية الأمير الهاشمي ، ثم خرج الوالي لوداعه أمام ضباطه وجنوده ، وتذكر الوالي ما كان يسمع من أن عبد الله ينوي مهاجمة الجيش التركي ، وظن أن من ينوي المهاجمة لا يمكن أن يأتي للوداع وبروح كلها ود واستئذان وتلطف عميق ، تذكر الوالي كل هذا فعانق الأمير عبد الله أمام الجند والضباط وتفاعلت في أحاسيسه روح الأخوة الاسلامية فبكى بكاء مرا وهو ما زال يعانق الأمير العربي وكان مشهدا مؤثرا(٥٢) .

وحين وصل الأمير خارج الطائف بادر مسرعا بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية ثم هاجم الأتراك مساء في نفس « القشلاق » الذي ودع فيه الوالي ، وتبادل معه التحية والعناق .

١٠ ــ اتفاقية سايكس ــ بيكو :

عندما أعلن الحسين ثورته ضد الدولة العثمانية ، وسارت جيوشه تحاصر المدن والموانى ، وتحطم في طريقها كل ما يمكن أن تستفيد منه دولة **الخلافة في حربها الضروس البعيدة المدى ، كان مخدوعا بتلك الوعود وآمنا للعظمة البريطانية ، وواثقا من انه يجب أن يسهم في نصر الانجليز ، وكان الشريف حسين يحلم أن اسهامه في هذا النصر سوف يقيم له دولة كبرى تخفق عليها الراية العربية من حدود تركيا الى سيناء ، ومن البحر الى ايران .**

واستمرت ثورة الحسين تعطي كل يوم لهذا الحلف نصرا جديدا ،

(٥٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

وعلى حين فجاة احتل الشيوعيون موسكو في ثورتهم الدامية ، واعلنوا تلك الاتفاقيات السرية التي عقدت ابان الحرب بين الحلفاء الثلاثة والتي وجدوها ضمن خزائن خارجية القيصر الذبيح ، ويا لهول ما أوضحت تلك الاتفاقات .

بينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف وتغريه وتعده وتمنيه طوال عام ١٩١٥ م . ، وتصدر له الرسائل من القاهرة حيث دار المعتمد البريطاني ، وبعد ان اطمأنت الى أن ثورة العرب اصبحت حتمية ، وأن سهمها التغريري قد نفذ واصاب ، وبعد آخر خطاب(٥٣) ارسله ماكماهون الى الشريف حسين في ١٠ من مارس (آذار) ١٩١٦ وهو الخطاب الذي يستجيب فيه لطلباته ويعلمه معتزا بما يلي :

« يسرني أن ابلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي(٥٤) ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الأتراك والألمان ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وقد هزمنا هذه القوات التي جمعها الدساسون ضدنا . »

وعلى التحديد في مايو (ايار) ١٩١٦ كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية ، وأشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا لتطبيق المبادىء المقررة بموجب المعاهدة الثلاثية بينهم ، ووزعت بريطانيا وفرنسا **البلاد العربية على الخرائط** ، ووقع عليها كل من « مارك سايكس » عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشئون الشرق الأدنى ، « والمسيو جورج بيكو » قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي

ووزعت البلاد العربية بين هاتين الدولتين ، والعرب سادرون في ثقتهم ببريطانيا ، وماضون في شحذ أسنة حرابهم لمحاربة الأتراك ، والشريف آمن مطمئن لما في الحافظة من رسائل ، ولما في الرسائل من عهود ومواثيق . .

ولهذا من غير الطبيعي أن يتحدث منصف عن وعود الانجليز للعرب دون أن يسجل ان النية كانت مبيتة لخلفها قبل أن تسطر نصوصها .

(٥٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ١٠ ص ٢٧ ــ ٢٨

(٥٤) هاجم الامام أحمد الشريف السنوسي بالتعاون مع الاتراك حدود مصر الغربية من ليبيا قاصدا تخفيف الضغط البريطاني على قناة السويس ، وقد احتل السلوم وسيدي براني وأنزل بالانجليز خسائر كبيرة في معركته المشهورة، وقد فشلت هذه الحملة السنوسية لعوامل اقتصادية وعسكرية ليس هنا موضع شرحها . وسوف نفصلها في بحث عن ليبيا .

وفي يوم ٩ من مايو (ايار) ١٩١٦ تلقى وزير الخارجية البريطانية من سفير فرنسا في لندن خطابا يقول فيه :

« أمرت ان ابلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جورج بيكو ، ورضيت بالمبادىء التي دارت عليها المفاوضات بينهما » (٥٥) .

ثم ارفق بالخطاب المعاهدة المشار اليها ، او التوزيع المسطر على الخريطة والمثبت في مواد تعطي لكل دولة منطقة نفوذ ، وتحصر الاستقلال العربي الخاضع لاشراف احدى الدول في مناطق داخلية ضيقة ، وتمزق بلاد العرب تمزيقا كان أشنع ما عرف منذ أن انتشر العرب في منطقتهم الكبرى خلال قرون طويلة .

وانه من المهم لمن يطلع على مراسلات الشريف حسين مع ماكماهون أن يطلع ايضا على النصوص الرسمية لاتفاقية سايكس ـ بيكو :

معاهدة سايكس ـ بيكو

في يوم ٩ من نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩١٥ عينت الحكومة الفرنسية جورج بيكو قنصلها العام في بيروت سابقا ، مندوبا ساميا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ، ولمفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية ، فلم يلبث أن شد رحاله الى القاهرة ، فاجتمع الى السير مارك سايكس النائب في مجلس العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون الشرق الأدنى ، وكانت المواد التي أسفر عنها الاجتماع هي :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في المنطقتين (أ) داخلية سورية ، (ب) داخلية العراق ، المبينتين في الخريطة الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية ، أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانجلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد الى خليج

(٥٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٨٨ .

فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالوساطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة:

المادة الرابعة : تنال انجلترا ما يأتي :

(١) ميناء حيفا وعكا .

(٢) يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة اخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى أن تنشىء وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط . ويجب أن يكون معلوما لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد ، وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال (ان وجدت) في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا ، فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بربورة ـ أم قيس ـ ملقى ـ ايدار ـ فسطا مغيار ، قبل أن يصل الى المنطقة (ب) .

المادة التاسعة : من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة اخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية (٥٦) .

(٥٦) لقد تعمدنا أن نسجل المواد المهمة في هذه المعاهدة السرية ونستغني عن بعض المواد التفصيلية غير ذات العلاقة بهذا الموضوع . انظر النصوص الخاصة بالبلاد العربية التي جاءت بها اتفاقية سايكس ـ بيكو في الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ٢٣ ص ٨٤ ـ ٨٦ وانظر النصوص الكاملة لهذه الاتفاقية في
Hureuectz Cf. C. ; Diplomacy in the Near and Middle East 2 vols New York 1956 L 2 p.p. 18-22.

ويعلق أحد الباحثين العرب على اتفاقية سايكس ــ بيكو فيقول ،انها وثيقة مروعة فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوا صوره حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدي الى الحماقة ، بل هي أيضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر (٥٧) .

والحق أن اتفاقية سايكس ــ بيكو قد وضعت عراقيل أمام الوحدة العربية ، وعملت على تفتيت الشرق العربي الآسيوي كما أنها تتعارض تعارضا صارخا مع ما كان قد تم الاتفاق عليه بين العرب والانجليز في مراسلات حسين ــ ماكماهون مما يجعل اتفاقية سايكس ــ بيكو صورة بشعة لنفاق السياسة الانجليزية تجاه العرب .

والحق أن بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الصليبية الاستعمارية ، حافظتا على روح اتفاقية سايكس ــ بيكو التي نفذت بكل اهتمام ، وأصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ، التي جزئت ليتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا .

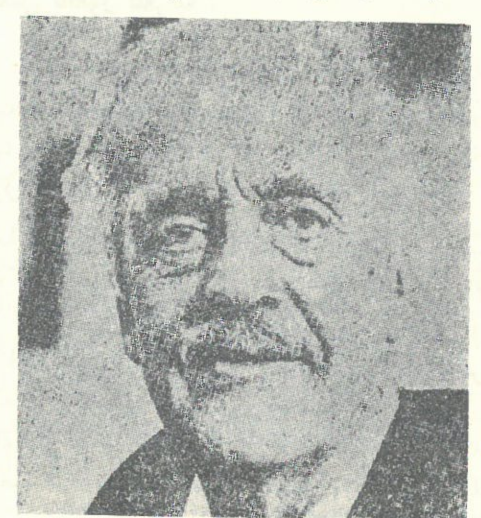
كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والاردن ،ومنع السلاح عن العرب بموجب هذه الاتفاقية ، فلم تتمكن هذه الحكومات الهزيلة التي أقيمت شكلا في بعض البلدان من التسلح ، الأمر الذي ظهرت آثاره واضحة عام ١٩٤٨ حين استطاع اليهود جلب السلاح من جميع أوربا ومن أمريكا. وحار العرب من اين لهم السلاح ؟ فقد أوصدت بريطانيا أبوابها وتبعتها فرنسا وأمريكا ، كما أوصدتها روسيا وتشيكوسلوفاكيا في ذلك الوقت ، وحين باعت بعض المصانع الايطالية كميات من السلاح للعرب ، كانت علة التساهل هو أن السلاح كان فاسدا ومدمرا لمستعمله، لا لمن يوجه اليه ، بينما أعطي لليهود بسماح وكرم على مختلف أنواعه .

وحين وقف الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ وأعلن أن احتكار السلاح قد حطم ، وأنه قد تمكن من استيراد الأسلحة الى مصر ، هاجت بريطانيا ودول المعسكر الغربي وضجوا في قلق وحيرة فقد ازعجهم ان يتمكن العملاق الذي أوصدوا عليه القمقم بالمادة ١٢ من اتفاقية سايكس ــ بيكو ، أن يحطم قمقمهم وأن يخرج حرا متجاهلا لهم متسلحا وبانيا لنفسه .

(٥٧) يقظة العرب ، ص ٣٥٣ .

١١ ــ تصريح بالفور لليهود (٢ نوفمبر ١٩١٧) :

هناك عديد من الرسائل والعهود تبودلت بين الشريف حسين وسير ماكماهون في سبيل استمالة العرب الى جانب بريطانيا ، ومحاربة الأتراك، والتلويح والتعهد باقامة دولة عربية كبرى وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، ثم تقسيم لهذه البلدان العربية بين بريطانيا وفرنسا ، ورسم خريطة توزع بمقتضاها مناطق النفوذ ، وخلق كيانات عديدة موزعة ضعيفة .



اللورد بالفور صاحب الوعد المشؤوم

كل هذا يحدث وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد ، وتستهدف بتخطيطها سلخ جزء مهم من الوطن العربي ، واقامة « اسفين » وسط البلاد العربية، وخلق نقطة ارتكاز ينطلق منها الاستعمار وتستنفد جهود العرب ، تصرفهم عن البناء والانشاء ، وتسعى لتحطيم كيانهم والتهام أوطانهم .

وبالفور وزير الخارجية الذي أرسل برقية مهمة الى الحسين والتي يتعهد فيها بحرية العرب والحفاظ على أوطانهم (٥٨) كان هو نفسه ذا الوجهين الذي أعطى وعده المشهور لليهود في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، بانشاء وطنهم القومي في فلسطين ، وكان بداية المعركة التاريخية التي خاضها شعب فلسطين وحده .

وقد صاغ وعده في العبارات التالية :

« عزيزي اللورد روتشيلد

(٥٨) انظر وعد بالفور للعرب في الصفحات التالية من هذا الكتاب .

ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوما أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها (٥٩) .

١٢ ـ تضليل بالفور للعرب :

ان اتفاقية سايكس ـ بيكو التي ابرمتها بريطانيا في مايو (ايار) ١٩١٦ لم يعلم بها العرب ، ولم تذع نصوصها ، ولا كان من المقدر أن تعرف ، لولا اندلاع الثورة الشيوعية التي أرادت أن تعلن كل أسرار الحرب والاتفاقات السرية بين الدول الثلاث .

وسرعان ما تلقفتها تركيا ، وسارع أحمد جمال باشا قائد القوات التركية في الشام الى ايفاد رسول الى العقبة في الأسبوع الأخير من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، وكان يحمل رسالتين مؤرختين في ٢٦ من نوفمبر (تشرين ثاني) احداهما مسهبة الى الأمير فيصل والأخرى موجزة الى جعفر باشا ، وقد ذكر جمال باشا في رسالتيه أن فيصل وأباه قد ضللتهما الوعود التي أعطتها بريطانيا باستقلال البلاد العربية ، وأكد أن بريطانيا وفرنسا قد وضعتا مخططا استعماريا خطيرا لاقتسام البلاد العربية وقال ان الواجب الديني يدعو فيصل وأباه الى العودة الى حظيرة دولة الخلافة الاسلامية .

ووجه الدعوة الى فيصل كي يحضر الى دمشق آمنا مطمئنا لعقد اتفاق ينص على اعطاء الولايات العربية في الدولة العثمانية استقلالا ذاتيا تتحقق به جميع الأماني القومية للعرب ، وأن سلطان تركيا وامبراطور المانيا يضمنان الاستقلال ، وأن ينضم العرب الى الأتراك في محاربة القوى الاستعمارية التي تريد التغلغل في البلاد العربية .

وخلص جمال باشا من هذا العرض الى القول بأنه جدير بالزعماء العرب الا يخدعوا أنفسهم ، والا يخونوا الأمانة ، وعليهم أن يدركوا أن التعاون مع بريطانيا وحليفتها سيجر البلاد العربية الى المذلة والمهانة ، والاستعباد ، على يد بريطانيا وفرنسا وروسيا .

(٥٩) دكتور محمد حافظ غانم : المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٥ ص ٥٨ .

ولما تلقى فيصل هذه الرسالة احالها الى والده في الحجاز فقد كان هو المرجع الأعلى في مثل هذه المسائل المهمة .

ولا ريب أن الشريف تأثر جدا بهذه الاتفاقية التى فوجىء بها ، ولكنه لم يفكر مطلقا في امكان خلع المحالفة المعقودة مع بريطانيا ، ولعله اعتقد أن خطاب الأتراك وما صاحبه ليس الا خدعة يراد بها اضعاف جانب أعدائهم .

ويظهر أن الحركة العربية آنذاك كانت حركة مرتجلة غير مدروسة ، وان الشريف كان يحتاج الى هيئة عربية مليئة بالعلم وغنية بالثقافة ، يعود اليها وتمده بالراي والمشورة ، ذلك أنه لو كانت هناك هيئة عربية عليمة أو قيادة سياسية مدركة ، لأتخذ الحسين طرقا عديدة للتأكد من صحة تلك الاتفاقية او عدمها ، ولبنى قراره على ما يتضح بعد ذلك ، ولما أقدم على بعث تلك الرسالة التركية التي تعد العرب بالدولة الاتحادية وتكشف لهم نوايا حلفائهم المخادعين الى سير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر وقتذاك ، وطلب منه تفسيرا عن هذه الاتفاقية السرية ، وشعر الأخير بحرج كبير ، ولم يجد مخرجا من هذا المأزق الا أن احال بدوره الموضوع الى وزارة الخارجية البريطانية التي ما كادت تتسلم رسالة الحسين حتى أدركت ان ذلك الميدان الحربي الكبير الذي أثقل كاهل تركيا والذي خفف عن بريطانيا وحلفائها ونصرهم ، يوشك أن ينقلب فيه ميزان القوى ، وخشيت أن يعقد العرب صلحا منفردا مع الأتراك ويقبلوا ذلك العرض المهم القوي ، فشاء وزير الخارجية ارثر جيمس بالفور صاحب الوعد المشهور أن يوغل ايغالا بعيدا في خديعة العرب ، وابرق الى الملك حسين ينكر وجود معاهدة معقودة ، بل ان ما وجده البولشفيك في وزارة الخارجية الروسية لم يكن سوى محادثات مؤقتة بين انجلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب وقبل قيام الثورة العربية ، واتهم جمال باشا بالخبث والجهل (٦٠) .

على أن بالفور لم يقنع بهذه البرقية ، بل قرنها بمذكرة رسمية حررت باللغة العربية ومؤرخة في ٨ من فبراير (شباط) ١٩١٨ عهد الى الكولونيل باست المقيم البريطاني في جدة برفعها الى الحسين ملك الحجاز ، ويحسن بنا اثبات صورتها الزنكوغرافية هنا :

(٦٠) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣٢٦ .

كتاب الكولونيل باست الى المرحوم الملك حسين

المشتمل على نص برقية اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية

جدة في ٨ فبراير ١٩١٨ - ٢٧/٤/١٣٣٦

حضرة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد بيان ما يجب بيانه من الاحترام والتوقير قد أمرني حضرة صاحب فخامة نائب جلالة الملك ان ابلغ جلالتكم البرقية التي وصلت الى فخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنونتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتكم وهذا نصها بالحرف الواحد :

ان الرغبة والصراحة التامة التي اتخذتموها جلالتكم في ارسالكم التحريرات التي ارسلها القائد التركي في سوريا الى سمو الامير فيصل وجعفر باشا الى جناب فخامة نائب جلالة الملك كان لها اعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وان الاجراءات التي اتخذتموها جلالتكم في هذا الصدد لم تكن رمزا يعبر عنه تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائما منشأ هذه العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وما الالحاح الا دليل ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياب والقاء الشك بين دول الحلفاء والعرب الذين تحت قيادة وعظيم ارشاد جلالتكم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا باعادة حريتهم القديمة ان السياسة التركية لا تقصد تغرس ذلك الارتياب بان توسوس للعرب ان دول الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية وتلقي باذهان دول الحلفاء ان يميلون ارجاع العرب عن مقصدهم ولكن اقوال الدساسين لن تقوى على ايجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد .

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها ما زالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة وهي مصممة ان تقف بجانب الامم العربية في جهادها لان تبني عالما عربيا الذي يسود فيه القانون واستبدال الظلم العثماني وتنجح التنافس الصناعي الذي احدثته الصفات الرسمية التركية . وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد ان ... غلبة تكون استقامة وتصميم بان تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين ليناولوا حريتهم (انتهى)

وفي الختام التمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحترامات والتمنيات

نائب المعتمد البريطاني بجدة

الكولونيل باسيت

ويصف أحد الباحثين العرب هذه الرسالة بأنها غادرة ويعلق عليهـا فيقـول :

« أن عرض الصلح الذي قدمه الأتراك أثار شكوكا في ذهن الملـك

حسين ، فسعى ليتحقق من أمر تلك الشكوك بالطريقة الوحيدة التي يسلكها رجل شريف ، ذلك بأن عرضها على حلفائه ، وكان الرد الذي تسلمه منهم يهدف بوضوح الى مخادعته ، لا لأنه رد حاد عن صلب الموضوع فحسب ، وتجنب الاجابة على هذا السؤال هل صحيح أن الحلفـاء عقدوا اتفاقـات سرية ذات أثر في تدبير البلاد العربية في المستقبل ؟ بل لأنه كان ردا مطويا على المخادعة والغش اذ كسا التهرب من الاجابة لغـة توحي بأن مثل تلك الاتفاقات لم تعقد أبدا ، وتقبل حسين هذه الرسالة الماكرة على ظاهرها ، وقعد مستريح البال لأن ايمانه بالمعاملة النظيفة في مقاييس الخلق الانجليزي لم يكن قد تزعزع بعد (٦١) » .

(٦١) يقظة العرب ، ص ٣٦٤ .

الوفاء ... في أوربا

« اليوم أنتهت الحروب الصليبية »

اللورد اللنبي قائد الجيش البريطاني يوم احتلال القدس ١٩١٧

« أصبحت يوم ٢٠ يونيو ١٩١٦ وأنا أمام ثورة الشريف التي كانت ضربة قاضية على حملة القناة »

مذكرات جمال باشا قائد الجيش التركي

« أشترك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، وأحتل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجراة والاقدام »

كليمنصو وزير خارجية فرنسا ١٩١٩

« ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين »

الجنرال غورو الفرنسي واضعا رجله على ضريح البطل في دمشق ١٩٢٠.

« عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها على استقلال فلسطين وجعلت وعد بالفور في حكم انه لم يصدر ، واذا لم تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن ان أقبل المعاهدة »

منشور الحسين لشعب فلسطين ١٩٢١

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ولا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع » .

من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين حين أخذته الى قبرص ١٩٢٢

« من الذي دفع اليهود وشجعهم على احتلال فلسطين وقضى على الشعب العربي ، انها بريطانيا ، هي الداء وهي البلاء الأول » .

جمال عبد الناصر – ١٩٥٣

قم تحدث أبا علي الينا ... كيف غامرت في جوار الأراقم
قد رجونا من المغانم حظا ... ووردنا الوغى فكنا الغنائم

من رثاء شوقي للشريف حسين

الفصل الثاني

بعض النتائج السريعة للثورة العربية

١ – روح صليبية صهيونية عنيفة :

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ١٩١٨ ، وكانت جيوش الانجليز قد دخلت القدس في أواخر ١٩١٧ ، وهناك ترجل اللورد اللنبي القائد البريطاني ماشيا الى قلب المدينة ، كأنه يحاول التشبه بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب منذ أكثر من الف عام ، وعندما أشرف اللنبي على كنيسة القيامة المسيحية قال :

« اليوم انتهت الحروب الصليبية » .



اللنبي القائد البريطاني يترجل في خطواته الاولى بالقدس ١٩١٧ ويعلن انتهاء الحروب الصليبية .

ولقد كشفت هذه العبارة التي ألقاها القائد البريطاني على أن ما يضمره في نفسه يخالف كثيرا ظواهر الأحوال في اتفاقيات الشريف ومكماهون ، ويخالف أيضا تلك المنشورات (١) التي كانت تلقيها بريطانيا على أراضي فلسطين وفوق مدنها ، معلنة أنه تم فعلا الاتفاق مع الشريف حسين لتحرير العرب ، وبناء دولتهم الجديدة ، ويخالف أيضا مقتضيات اللياقة والمجاملة للشعب الذي يسكن تلك البقعة ، فقد كان الشعب الفلسطيني يبلغ قرابة سبعمائة وخمسين الف (٢) نسمة منهم ٦٠٠ الف عربي مسلم ، ومائة ألف عربي مسيحي ، وخمسون الف يهودي .

وكانت واجبات الأدب والعدالة تقتضي أن يشيد اللنبي بجهود العرب التي خففت ثقل الحرب على دولته وأن يقوي أمل الشعب في حريته ، ولكن اللنبي كان يترجم عما في عقله الباطن من أن الحرب التي اشتعلت نارها عام ١٩١٤ والتي زجت دولته بالعرب فيها ليحاربوا دولة ارتبطوا معها طويلا ، وكانوا احد أركانها المهمة القوية ، انما كانت حربا تستهدف تحطيم العرب والأتراك على السواء ، مع توزيع أوطانهم وتمزيق كيانهم ، هادفة الى احتلال أراضيهم والاستيلاء على خيراتهم، وابعادهم عن ركب الحضارة عهودا طويلة.

وإذا كان وعد بلفور قد جاء اعلانا صريحا عما يبيته الانجليز متعاونين مع الصهيونية ، من عمل شرير ضد هذه المنطقة العربية ، فأنه من صدق القول أن نسجل اعتبار هذا الوعد وتحقيقه غاية ووسيلة في ذات الوقت، فهو وسيلة تترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعمارية لخلق جسم غريب في قلب ديار العرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحطيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والأتراك في وطن كبير واحد .

« فقد راع اهل الغرب عامة والانجليز خاصة ما بلغته الامبراطورية العثمانية من مكانة وشوكة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ووجدوا فيها عقبة كأداء تقف في طريق توسعهم واستعمارهم ، وكذلك هال اهل الغرب قيام الخلافة الاسلامية في استانبول ، وبعث نفوذها العظيم في ديار المسلمين التي كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها واستعمارها ، فثارت في نفوس الغربيين « العصبية الصليبية » والروح الاستعمارية ، وصار هدفهم تقويض تلك الامبراطورية والقضاء على الخلافة الاسلامية (٣) » .

(١) بحوث مؤتمر فلسطين في لندن ١٩٣٩ .
(٢) يقول السفري ٦٠٠ الف ، منهم ٥٣ الف يهودي .
(٣) اميل الغوري : المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٨ .

على أن هذا العدوان المبيت لم يكن مرتجلا ، بل لقد أسهمت كل الدول الصليبية في دراسته والاعداد له منذ تاريخ بعيد ، ولعل ذلك المؤتمر الاستعماري الذي عقد عام ١٩٠٧ ونتج عنه تقرير خطير يسمى تقرير « كامبل بانرمان » رئيس وزراء بريطانيا آنئذ ، لعل ذلك التقرير يوضح لنا صورة المؤامرة وفداحتها ، فقد تنادت الدول الاستعمارية المعروفة في تلك الأيام ، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا الى مؤتمر دولي دعت اليه الحكومة البريطانية واقترحت أن يكون على مستوى الحلقات الدراسية ، وأن تمثل فيه الدول المختلفة بخبرائها وأساتذتها الجامعيين ...

وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر : أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط والذي يقيم على سواحله الشرقية الجنوبية شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما في أراضيه من كنوز وثروات ، تتيح لأهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة .

واوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والابقاء على تفككها .. واقترح كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الأفريقي والآسيوي في هذه المنطقة أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء الجزئين ، يمكن للاستعمار أن يستخدمه أداة في تحقيق أغراضه (٤) .

وتقول اللجنة الملكية البريطانية في تقريرها المنشور عام ١٩٣٧ :

« عندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين شهر فبراير (شباط) ١٩١٧ فتح باب المفاوضات الرسمية بين الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات أخرى بينهم وبين الحكومة الفرنسية والايطالية ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيوني في باريس وروما كما تمت في لندن ، وأرجيء نشر هذه الموافقة حتى أواخر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧ » .

وكان نص تصريح بالفور قد عرض قبل نشره على الرئيس الأمريكي واقترن بموافقته (٥) .

ولقد بلغ من تجلي معنى الصليبية ان اجراس الكنائس في برلين قد

(٤) خيري حماد : التطورات الاخيرة في قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .
(٥) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٧ .

دقها حراسها فرحا يوم دخول (٦) اللنبي القدس ، وبرلين هذه هي عاصمة المانيا الحليفة العسكرية لتركيا، بل يقول محمدكردعلي أن الكنائس جميعها في قلب القدس قد أعلنت ابتهاجها ذلك اليوم ، بما في ذلك كنائس الألمان ، وهكذا ينسى الأعداء خصومتهم السياسية واندحارهم العسكري تحت لواء تمكن الصليبية الاستعمارية من القدس .

وكان البابا في روما قد دعا أتباعه في العالم بأسره وكثيرون منهم ألمان ونمساويون (في الدول المحاربة مع تركيا) أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس ، وينهاهم عن السعي لاعادتها الى تركيا (٧) .

يقول صاحب كتاب « الصليبية الجديدة في فلسطين » أن الدول الأوروبية أجمعت كلها على هدف واحد ، برغم ما بينها من تباين آراء وتضارب مصالح وهو القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وأدعوا أن الأتراك المسلمين يضطهدون المسيحيين ، وأن هذه الدولة تقوم على عنصر ديني ، وتستهدف استئصال المسيحيين من سائر القارة الأوروبية اذا تسنى لها ذلك ، وعلى هذه الصورة أمتدت أصابع الأستعمار الغربي الى صميم الشرق العربي رويدا رويدا ، وقد رأينا جيوش الصليبية الجديدة تغمر سواحل البلاد العربية ، وقد حاولت أن تستغل حركة التحرر العربي، حتى اذا تم لها الفتح وساعدها سكان البلاد كشرت عن أنيابها ، ووقفت تقول للشعوب العربية : انتم جزء من الغنائم والأسلاب ، لا شركاء في الظفر والفتح (٨) » .

ولقد كان تحطيم تركيا واخراجها من الأستانة وأوروبا هدفا لم يخفه كثير من رجال الانجليز ، يقول جيمس بالفور صاحب الوعد الصهيوني المشهور في خطاب له : « لقد زال اليوم من تركيا وهي تحت سلطة الألمان كل مظهر سلمي وظهرت للعيان أنها آلة قتال وخراب ، ونحن نؤمل أن اخراج تركيا من أوروبا لا يكون مفيدا للسلم فقط بل لتنفيذ واسترداد سائر الممتلكات التي فقدها الحلفاء (٩) .

وذلك سير وليم رمسي البريطاني المعروف يكتب مقالا أثناء الحرب يندد بالأتراك وينادي باخراجهم من أوربا ثم يقول : « ان سيادة تركيا

(٦) من بيانات الامير شكيب ارسلان الذي كان يقيم ببرلين عام ١٩١٧ – ١٩١٨ .
(٧) مجلة الكوكب القاهرة عدد ٧٤ الصادر في ٢٥ من ديسمبر ١٩١٧ .
(٨) وديع تلحوق : الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ ، ص ١٧ – ٢١ .
(٩) مجلة الكوكب عدد ٣١ الصادر في ٢٧ من فبراير ١٩١٧ ..

على الأستانة عار على المدنية يجب محوه (١٠) »

واذا كانت هذه هي صور المؤامرة الصليبية منذ بعيد ، فقد أصبح منطقيا ان يعلن القائد البريطاني انتهاء الحروب الصليبية يوم دخل القدس، أي أنه أعلن بذلك هزيمة العرب والمسلمين منذ أن انتصروا تحت لواء صلاح الدين وأمثاله من الابطال .

وهكذا تجاهل اللنبي أصحاب البلاد الشرعيين الذين عمروها قبل المسيح وبعده ، والذين لازموا تاريخها منذ أن كانت فلسطين أرضا للكنعانيين العرب ، وقبل أن تطأها أقدام اليهود العابرة في غابر الأزمان .

وهكذا دخل اللنبي القدس وهويمتطي وعد بالفور الذي أعطى لليهود بانشاء وطن قومي في فلسطين ، واليهود يومئذ أقلية ضئيلة فيها ، ذلك الوعد الذي لم يشر الى السكان الطبيعيين في فلسطين الا واصفا لهم بأنهم طوائف أخرى ، على ما في هذا التعبير من التجاهل للحقيقة والمغالطة فيها، فكأنما اليهود البالغ عددهم خمسين الفا عام ١٩١٧ هم الأكثرية في نظر بالفور وحكومته ، وكأن العرب الذين يقارب عددهم أثني عشر ضعفا لعدد اليهود هم طائفة فقط لا كيان لها ولا مكان .

ولقد كان اللنبي صادقا في تعبيره عن انتهاء الحروب الصليبية يوم دخوله القدس ، فقد كان الوعد الذي دخل القدس ، مؤتزرا به يمثل تماما تحالف الصليبية الاستعمارية مع الصهيونية العالمية ضد المسلمين والعرب في فلسطين ، بل في كل أوطانهم . فلقد ثبت أنه ما كاد يذاع ذلك الوعد الذي وصفه الرئيس جمال عبد الناصر : « وعد من لا يملك لمن لا يستحق (١١) : ما كاد ينشر بجريدة الجويش كرونيكل اليهودية في ٦ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ ، وتذيعه رويتر في العالم يوم ٨ نوفمبر (تشرين ثاني) حتى أسرعت فرنسا بتأييده .

وفي يوم ١٤ من فبراير (شباط) ١٩١٨ صدر في باريس بلاغ رسمي (١٢) يقول :

« أستقبل المسيو ستيفان بيشون وزير الخارجية المسيو سوكولوف ممثل الجمعيات الصهيونية ، فأعرب عن ارتياحه الى التضامن المشهود بين

(١٠) المصدر السابق العدد الصادر في ٦ من مارس ١٩١٧ .
(١١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر للرئيس كنيدي ١٧ من اغسطس ١٩٦١ .
(١٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٥ .

الحكومتين البريطانية والفرنسية في قضية اسكان اليهود في فلسطين » .

وفي ١٩ من مايو (ايار) ١٩١٨ اتصل المركيز امبريال سفير ايطاليا في لندن بالمستر سوكولوف ، معربا له بأسم ايطاليا عن استعدادها لتسهيل العمل الخاص باتخاذ فلسطين مقرا لليهود .

وفي ٣١ من اغسطس (آب) ١٩١٨ تقدم الرئيس ولسون صاحب مبادىء حقوق الانسان التي خدعت كثيرا من الشعوب ، فأعرب للحاخام ستيفان وايز الصهيوني الكبير عن ارتياحه الى النجاح الذي ادركته الصهيونية ، وعدّ ذلك موافقة ضمنية على وعد بالفور .

وفي ٣٠ من يونيو (حزيران) ١٩٢٢ أصدر الكونجرس الامريكي بالاجماع قراره التالي :

« ان الولايات المتحدة الأمريكية تحبذ انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، على أن يعلم بجلاء انه سوف لا يعمل شيء من شانه أن تمس الحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والطوائف غير المسيحية الأخرى في فلسطين » .

وقبل ذلك اعترفت الصرب واليونان وغيرهما بوعد بالفور هذا .

٢ ـ تفتيت الوطن العربي الآسيوي :

وهكذا بدأ الشريف حسين يشهد النتائج العملية لتلك الثورة العارمة التي قاد فيها الشعب العربي الى الحرب في جانب بريطانيا وحلفائها ، وبدأ ايضا يلمس مقدار الصدق في كلمة الانجليز ووعودهم .

ولم تمض مدة طويلة حتى رأى بعينه وسمع بأذنيه ، ما فعلوا في سوريا التي ضمنوها له ضمن ملكه الموعود .. اذ اطلقوا يد فرنسا فيها ، وشجعوها على قتل الاستقلال الوليد تطبيقا لاتفاقية سايكس ـ بيكو السرية، ولقد رضخ فيصل الملك العربي في سوريا لمطالب فرنسا وانذاراتها المرسلة له من الجنرال غورو في لبنان ، وكانت كل موافقة منه ومن حكومته السورية على مطلب فرنسي تلاحق بمطلب جديد ، امعانا من حلفاء العرب في اشاعة روح الاذلال والهوان بينهم ، وتصغيرا لاستقلال العرب واحتقارا لهم .

وابت فرنسا الا ان تتخذ الحل المبيت في مخططها ، فزحفت بجيوشها تقاتل وتدمر ، وفيصل يحاول ان يعيد السلام ، وان يستنجد براي الانجليز ويتقوى بهم ، ولكن الانجليز ينصحون بالخضوع لفرنسا والاستسلام لها ، وينصرفون عن معاونته ويسحبون قواتهم لتتمكن فرنسا من الاحتلال .

وما ان قرر الملك وحكومته الحرب حتى تحطم الجيش العربي في « ميسلون » فطاردت فرنسا فيصلا ومنعته من البقاء في اي ارض سورية ، وفي آخر معقل له في حوران تسلم انذارا موقعا عليه من الحكومة السورية التي اقامتها فرنسا « أن اخرج من سوريا » ، فغادرها مهزوما ، وبريطانيا الحليفة سادرة في برنامجها لانشاء الوطن القومي اليهودي في أرض العرب ، وحمايته بتحطيم كل حكم عربي من حوله .

ويعيد التاريخ نفس الصورة العدائية التي سجلها في القدس ، فيقف القائد الفرنسي المتعجرف جنرال غورو على قبر صلاح الدين الذي حطم الصليبية يوم حطين ، ليعلن بصوته أمام قواده واضعا رجله على ضريح البطل : « ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين » .

ومرغت فرنسا متفقة مع الأنجليز وجه حلفائهم العرب في التراب ، واصدر قائدها الذي عاد الى قبر صلاح الدين أوامره :

(١) أن ينزع سلاح الجيش السوري ، ويحول الى قوة بوليس ، وتسلم اسلحته كلها الى الجيش الفرنسي غنيمة حربية .

(٢) أن يسلم كبار المدنيين ليحاكموا أمام المحاكم العسكرية .

(٣) الغاء حكم الملك فيصل ، ونزع سلاح الأهالي ، وأن يقدموا عشرة آلاف بندقية الى الجيش الفرنسي .

(٤) أن يدفع الشعب السوري عشرة ملايين فرنك غرامة حربية الى فرنسا . ونفذت كل هذه المطالب .

ورأى الحسين ما تم في لبنان الذي سبق ان تمسك به في رسائله مع ماكماهون ، وقرر آنذاك أنه سوف يعيد النظر بعد انتهاء الحرب في بقاء فرنسا هناك ، رأى كيف أعملت فرنسا الرصاص في رجاله ، وكيف ملأت السجون بزعمائه ، عاملة على فرنسته والبقاء فيه الى الأبد ، وبريطانيا موافقة راضية ، كأنها لم تخط حرفا ، ولم تعط وعدا .

ورأى الحسين ما تم في العراق الذي سبق أن شملته رسائله مع الانجليز ، والذي رضي أن تبقى بريطانيا في جزء منه مؤقتا ، نظير أجر يساعد الدولة المرتقبة فقد دخلته جيوش الانجليز وأعلن قائدهم « ان امنية مليكه وامنية حلفائه ان يعود العراق كما كان في السابق مخصبا ، وكان

العالم يتغذى من ألبان آدابه وعلومه وحرفه (١٣) .

ولكن هذا البيان لم يكن الا اضافة جديدة لتلك الوعود المخلوفة ، فما كادت تستقر لهم الأمور حتى عسكروا فيه محتلين ، ومتناسين الاستقلال بل لم يكد يجف ذلك المداد الذي سطر به المنشور السابق حتى أعلن الحاكم البريطاني منشورا خطيرا في ١٩ من نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٨ :

« لا يمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملي في الأمور احراز كل ذلك مرة واحدة ، بل يرقون اليه تدريجيا ، وطبقا لهذه (١٤) الخطة تقرر أن ينشأ في بغداد مجلس بلدي يعين أعضاؤه بمرتبات حكومية ، وتحت رعاية الحاكم البريطاني ، ويختص بالأسعاف والمستشفيات والصحة والنظافه في ميزانية قدرها ..٥ روبية » .

ثم بدأ الانجليز الحلفاء يحاولون أخذ الموافقة من شعب العراق على تعيين السير برسي كوكس معتمد بريطانيا في الخليج رئيسا للدولة [illegible] العراقية المرتقبة ولقد كاد الانجليز أن يصلوا الى بغيتهم ، فوقع بعض ضعاف النفوس لهم مستندات تنادي بذلك الانجليزي رئيسا للدولة، ولولا يقظة عراقية كان الدين الاسلامي أهم عوامل نجاحها ، لتم لبريطانيا ما أرادت ، ذلك أنه بينما استعمل الانجليز دسائسهم وأساليبهم لأخذ التواقيع العديدة ، ووسط حيرة الشعب العراقي لهذه الجرأة الخطيرة ، أرتفع صوت الاسلام ينادي به الحجة محمد تقي الدين الشيرازي :

« ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب أو يختار للأمارة أو السلطنة على المسلم غير المسلم (١٥) »

وعلى الرغم من فشل المخطط البريطاني فقد دفع الشعب العراقي اعدادا هائلة من الشهداء قبل أن يتحقق استقلاله أو يجاب الى غايته الحرة .

وهكذا شهد الحسين في العراق خيبة الأمل التي تجسمت من قبل في ديار الشام ، فأوفد المندوبين الى بريطانيا وأرسل الخطابات والبرقيات عسى أن يثير فيها همة ، أو يعيد لها منة ، ولكن كل هذا ذهب وراح بلا طائل .

---

(١٣) الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١١

(١٤) المصدر السابق ص ١٦ .

(١٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٩ .

وتم لبريطانيا ما أرادت من تمزيق عهودها للعرب ، وتقسيم الوطن العربي بينها وبين حلفائها ، وأصبحت الدولة المرتقبة نهبا مقسما ، ولا بد لهذا الجسم المهدود من اجراء المشرط خلاله ، لا لعلاجه ، ولكن لاضعافه وتجزئته وتمكينا للاستعمار فيه .

ففصلت فلسطين عن أمها سوريا (١٦) ، وكانت تمثل جزءها الجنوبي، وقسمت سوريا الباقية الى حكومات في حلب وجبل الدروز ودمشق والعلويين ولبنان ، وأعطي لكل قسم من هذه الأقسام قدر كاف من المشكلات ليتلهى فيه ويشغل به ، وكان أكثر هذه المشكلات صعوبة وأخطرها شرا تلك التي حددت لفلسطين ، من فتح أبوابها لهجرة يهودية ، وتهيئتها بكل السبل لتكون دولة لليهود وسط بلاد العرب .

٣ ــ الحسين يصر على عروبة فلسطين :

وماذا بقي أمام بريطانيا ؟ لم يبق الا الحسين نفسه في ملكه بالحجاز، فاوفدت له في أواسط عام ١٩٢١ « لورانس » مستشار فيصل في ثورته العارمة ، يعرض على حد تعبيره تسديد الدين على مراحل ، وقد صاغت له لندن معاهدة للصداقة ، يعترف فيها بوضع خاص للانجليز في فلسطين، وبكل عهودهم فيها .

ورفض الحسين توقيعها رغم اصرار الكثيرين ، ومنهم أسرته ،وعاد لورانس يلح في الموافقة ، وعاد الحسين يجدد القسم بالرفض (١٧) .

ومضت الأيام في محاولات بريطانية عديدة بددها الحسين بآخر تصريحاته :

« لقد عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة ، وجدت في بعض موادها ما لا يتفق مع العهود المقطوعة لي ، فعدلت المعاهدة تعديلا هاما ينص فيه على استقلال فلسطين استقلالا تاما مطلقا يخول الفلسطينيين ادارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ، وبذلك جعلت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وقضي عليه بالموت ، وأؤكد أنه اذا لم

---

(١٦) يقول الوزير البريطاني الصهيوني هربرت صمويل انه هو الذي [illegible] بفصل فلسطين عن سوريا وذلك في برنامجه المقدم للوزارة البريطانية عام ١٩١٤ . انظر الصفحات التالية من هذا الكتاب .

(١٧) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ، ص ١٥٩

تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها فلا يمكن أن أوقع المعاهدة (١٨) » .

وبعد ، فقد صحا الحسين على غدر الانجليز ، وهو يرفض اقرار وعد بالفور ويتمسك بفلسطين ، اذن فهو يرفض المعاهدة مع بريطانيا الا أن تكون كما يريد .

وبدأ السعوديون يهاجمون الحجاز فقد كان الخلاف بينهما مستمرا منذ أمد ، واخذت قواعده تهوى واحدة بعد أخرى ، وتنازل الملك وسط جو مربك ، واصبح ابنه «علي» ملكا على حين كان الحسين منزويا في العقبة.

٤ ـ ابعاد الحسين الى قبرص :

وفجأة تقدمت بريطانيا لا لتحمي حليفها القديم أو تساعده ، ولا لتطبق معه نصوص المعاهدة التي حوتها المراسلات ، ولكن لتأمره بمغادرة العقبة الى خارج الحجاز ، غير قابلة نقاشا ولا سامعة رأيا ، وهنا تبدلت لهجة المخاطبة مع الحسين ، وضاعت مع ارواح قتلى العرب في سبيل الانجليز ، تلك الألقاب التي دبجها ماكماهون بأسم بريطانيا :

« الى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف ، وتاج الفخار ،وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والمكانة السامية السيد ابن السيد ، والشريف ابن الشريف ، السيد الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع ، امير مكة المكرمة ، قبلة العالمين ، ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين » .

ضاعت هذه الألقاب ، وكان خطاب الانذار موجزا موحشا :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا بلغ حكومة جلالة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة والباعث هو جلالتكم وحكومة الحجاز » الى أن يقول الخطاب :

« وفي هذه المناسبة تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة قائلة لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء اكثر من ثلاثة أسابيع »

ورست بارجتان بريطانيتان في العقبة ، ورفضت بريطانيا السماح له بالسكنى في يافا أو حيفا العربيتين (١٩) .

(١٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

(١٩) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

ومر الحسين عبر قناة السويس مأخوذا الى قبرص ، فصحبه بعض كبار العرب من السويس الى بورسعيد ، وسمعوه يحدثهم في أسى وألم :

انه كان مخطئا وانه لم يكن يعرف أخلاق الأوروبيين، وما ينطوون عليه وقال انه يشهد انه فعل ما فعله عن حسن نية (٢٠) .

وفي ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٢٢ نزل الحسين في « فاماجوستا » بقبرص منفيا شريدا ، بعيدا عن الأصدقاء ، فاقدا الملك والوطن ، مرهبا بحلفائه وخادعيه .

ووجد العرب انفسهم تحت حكم الاستعمار الفاشم ، وبدأوا كفاحهم المرير الطويل مقدمين شهداءهم في كل صقع وقطر .

أصبح الحسين ملك الحجاز وشريف مكة ، والحسيب والنسيب وتاج الفخار والشريف ابن الشريف ... ، والذي منوه بخلافة اسلامية وملك عريق ، أصبح ضيف حلفائه الانجليز وسط المنفى في جزيرة قبرص ،

وهنا تتضح الصورة من جديد ، في تحالف الصهيونية العالمية مع الصليبية الاستعمارية ، فتنفذ الثانية ما ارادته الأولى ، لمن وقف غير معترف بها .

وفي قبرص نزل الحسين ضيفا مبعدا ، ولكن حاكم قبرص البريطاني كان رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المندوب السامي بالقاهرة أثناء الحرب العظمى ، وكثيرا ما جاء مندوبا الى الحسين من حكومته ، فأجزل الحسين له العطايا ، واثقله بالهدايا ، وظن الحسين انه حتى في ابعاده ، سوف يلقى الخير من صديقه ذاك ، وسوف يحيا في منفاه مكرما ومعززا. ولكن ما رآه الحسين من ذلك الصديق البريطاني، كان قاسيا ورهيبا ، وبريطانيا تريد أن ترهب العرب وترعبهم في ذلك الوقت ، فليكن حليفها الحسين أمثولة للجميع .

برز فجأة في قبرص شخص ادعى أنه عربي من الخليج ، وادعى قضائيا انه سلم الحسين ذهبا ، وأقرضه مالا ، وانه يطلب رد ذهبه وسداد ماله ، وطلب الى الحسين ملك العرب أن يحضر الى المحاكمة ، وسعى الحسين الى صديقه الحاكم العام واني لأتصوره يقول :

« انها قضية مفتعلة مدسوسة ، وهي مع ذلك قضية مدنية ، يكفي

(٢٠) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢١١ .

في حضورها أي موكل أو محام ، فلا ضرورة لحضوري وسط المحكمة ، ثم انا الشريف الذي ناصركم ، وحارب دولتـه ، وصدق عهودكم ، وأنا بعد ذلك شيخ كبير ، لي عند قومي أسم وذكر وتاريخ ، فكيف يليق أن أقف مع رجل مجهول وسط محكمةفي ديار الغربة ؟ »

ولكن الحاكم البريطاني لا يكره اذلال ملك العرب ، فيجيب :

« انها محكمة ولا سلطان لنا عليها » .

ويتناسى ذلك الحاكم أن القضايا المدنيـة ليس حتما فيها احضار المدعى عليـه ، الا أن يكـون الشريف الحسين بن علي في رحاب ضيافـة بريطانيا . وسيق الحسين سوقا الى المحاكمة في قبرص .

وعجز المدعي أن يثبت دينه ، ولكن الهدف ليس الدين بل الاذلال ، فقال لدي شاهد ، ترى من الشاهد ؟ انها الشريفة زوجة الحسين .

قال المدعي : لقد سلمت الذهب والمال في حضورها .
واصدرت المحكمـة البريطانية في قبرص امرهـا باحضار الشريفة زوجة الحسين . وسعى الحسين منجديد الى صديقه الحاكمالعام يقول :

« يكفي يا صديقي ستورس أننـي أخذت الى المحاكمة ، لـم تراع سني ، ولم يهتم باسمي ولا بتاريخي ، واوقفت مدعى عليه ، ويكفي ذلك اذلالا وامتهانا .

ان زوجتي لم يسبق لها أن رفعت القناع عن وجهها في مجمع خارج أسرتها ، ولم يحدث مطلقا ان جالست لي ضيفا ، أو شاركت في حديث ، فكيف يعقل أن أشركها في تسلم دين ، من رجل مجهول كما يدعى الآن ضدي ، انه يقصد جر زوجتي الشريفة المخدرة الى المحاكم ، وانه اذلال ما بعـده اذلال ، وأرجوكـم التدخل والحيلولة دون سوق الحرائر الى مجالس القضاء الأجنبي ، وأمام نظر الصحفيين »

ولكن الصديق البريطاني يرفض هذا أيضا .

وهاجم الشلل الشريف ملك العرب ، واستراحت بريطانيا ، فقـد أنشغل عنهـا الملك المبعد بأمراضه ومتاعبه ، وعـاد الـى عمـان مريضـا ليدفن في المسجد الأقصى بعد ان يقول لأصدقائه :

« اياكم وتصديق الانجليز ، فكم ذقت مرا من صداقتهم التي هدمتني



وهدمت العرب والاسلام » .

٥ ـ ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الأتراك ؟

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يثر العرب على الأتراك ؟

ان الثورة العربية أسهمت بقوة وعمق في انتصار الانجليز وحلفائهم .
لقد تحول الموقف في سيناء بعـد الثورة العربية ، فان قسما مـن الجند المعـد للهجـوم عـلى قناة السويس كـان يتكون مـن متطوعـة الحجاز والقبائل العربية ، وقد تصرم حبل هؤلاء ، فأصبحوا في صفوف أعداء الأتراك ، وان عددا كبيرا من ضباط العرب الذين أسرهم الانجليز من الجيش التركي في حملة القناة الأولى ، سرعـان ما أعلن رغبته في المقاتلة الى جانب قوات العرب الثائرة .

ويقول جمال باشا حاكـم الشام ، وقائد الجيش التركـي في تلك المنطقة ، والسفاح الذي أضرم نار الحقد في نفـوس العرب بسفكه الدماء وتشريده الأسر يقول :

« كان جل همـي في ذلك الوقت فبراير (شباط) ١٩١٦ أن أعمل لحمل الشريف على ارسال كتيبة بقيـادة احـد ابنائه ، واصبحت يـوم ٢ يونيو (حزيران) ١٩١٦ أمام ثورة الشريف التي كانت ضربة قاضية على حملة القناة. واتضح بعدذلك منتاريخ آخرخطاب أرسلهالشريف الىالانجليز، ومن انشائهم الاستحكامات عند الضفة الشرقية ، أن الانجليز لـم يقرروا العبور أو بدء الهجوم على فلسطين الا بعـد أن استوثقوا مـن الشريف ، وتأكدوا أن ثورته ستضطرنا الى اتخاذ تدابير خاصة لحماية الحجاز وأن تسحب من فلسطين بعض قواتها(٢١) » .

بل ان الحلفاء انفسهم يقررون أن تلك الثـورة أسرعت بالنصر لهم ، وفي ٢٨ يوليو (تموز) ١٩١٨ قال القائد البريطاني العام اللورد اللنبي في تقريره لوزارة الحربية :

« أشكر لجلالة الحسين بن علي ملك الحجاز اخلاصه العظيم لقضية الحلفاء ، ولا أملك نفسي عن توجيه عاطر الثناء الى سمو الأمير فيصل لما ظهره من براعة في القيادة ، وعلى اخلاصه القلبي وعلى ما أبداه من بسالة ومهارة في الأعمال العسكرية التي قـام بها الجيش العربي ، وقد ساعدت

(٢١) احمد جمال باشا ، تعريب علي احمد شكري ص ٢٨٩ .

الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب(٢٢) .

وقال اللنبي في تقرير آخر :

« لقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة ، بقطع مواصلات العدو قبل القتال ، وبمنعه فرار جانب من الجيش العثماني الرابع ، وانزل بالعدو خسارة كبيرة أثناء الزحف على دمشق(٢٣) .

وتلك براءة الوسام الفرنسي الى فيصل الممنوحة له من المسيو كليمنصو تقرر :

« لقد ساعد الحلفاء ، ولازم جنوده ، ونظم الهجمات الحربية ، وادار جبهة كبيرة ، واسر عددا كبيرا من الأسرى ، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، ودخل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجراة والاقدام(٢٤) .

وذلك ان لورنس البريطاني الذي عرف في التاريخ بمرافقته للجيش العربي الثائر يقرر :

« كلنا يعرف ان فيصل بذل جهدا كبيرا في نشر الوية الثورة التي اعلنت في مكة ، وبفضل بسالته وحكمته اسدت هذه الثورة اعظم خدمة للحلفاء في ميدان فلسطين ، وقد تم للجيش العربي اسر ٣٥ الف جندي تركي ، واخرج عددا لا يقل عن هذا العدد من خطوط القتال ، واستولى على ما مساحته مائة الف ميل مربع من الأراضي ، ولقد ادى العرب هذه الخدمة في زمن كنا في أشد الحاجة اليها ، فنحن مدينون لهم(٢٥) » .

ويتحدث مدير المخابرات التركية في الجيش الرابع عن احدى المعارك فيقول :

« ومشى مشاة الترك الى الجبل تحت حماية المدفعية ، ويتقدمهم كمال بك ممتشقا حسامه ، يضرم في صدورهم نيران الحماسة ، فصمد العرب لهم ونازلوهم منازلة الأبطال ، وقد اظهر الفريقان من البسالة والبطولة ما يحير العقول ، وبدات المجزرة الكبرى حينما بلغ الترك خنادق العرب ، ودار قتال بالسلاح الأبيض ، وجرح كمال بك للمرة الرابعة

(٢٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٢٧١ – ٢٧٢ .
(٢٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧١ .
(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

عشرة ، وسقط من الترك ٢٠٠ قتيل وجريح ، واستولى العرب على مستشفى الجرحى الترك لأننا عجزنا عن انقاذه أثناء انسحابنا(٢٦) » .

ويقول المارشال ليمان فون ساندرس القائد العام للجيوش التركية في بلاد العرب وهو يشرح أسباب انهزام تركيا في مذكراته بعد الحرب :

« لقد ادت الثورة العربية خدمات عظيمة للجيش البريطاني خلال تقدمه في شبه جزيرة سيناء ، فكان الانجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاؤون ، كأنهم في داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين حاربهم اهل البلاد وملوهم ، فكانوا يسوقون جيوشهم كأنهم في بلاد معادية لهم(٢٧) » .

وقال كاتب تركي استشهد به صاحب كتاب « الثورة العربية الكبرى » :

« ولولا وجود جيش عربي وقف موقف العداء من الترك في جزيرة العرب في ساحة حربية طولها الف كيلومتر ، لما تم للجيش البريطاني احراز ما احرزه من النصر بهذه السرعة العظيمة ، والى الجيش العربي يعود الفضل في بلوغ الانجليز قلب البلاد العربية واحتلال القدس ، والمرابطة أمام السلط وجناحهم الأيسر مكشوف ، ولولا جيش العرب لالتف الترك على الجيش البريطاني ، واجبروه على التراجع(٢٨) » .

هذه بيانات عديدة تحوي بعضها الاشادة بحركة العرب الثورية ، واثرها في نصر الحلفاء ، وهي بيانات جاءت من مصادر مختلفة ، بعضها من الحلفاء الذين ناصرناهم ، وبعضها من المسلمين الأتراك الذين حاربناهم .

وهكذا نصل الى انه لو لم يثر العرب على الأتراك لاسهموا بقوة في هزيمة الحلفاء ، ولعله من المنطق ايضا ان تكون النتيجة ساعتئذ ان ينتصر الأتراك وسط ميدان ترافقوا فيه مع العرب ، فيكون النصر نصرا مشتركا، لا تبعد ثمراته المقتطفة عن شعبنا العربي .

والأمر المؤكد في هذا المجال ان ارجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة ، وسوف تبقى هذه البقعة المقدسة لأهلها ، ولن يحرم سكانها من أراضيهم ومزارعهم وبيوتهم ، ولن تتحول حياتهم الى هجرة ولجوء وتشرد،

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .
(٢٧) المصدر السابق ص ٢٦٧ .
(٢٨) المصدر السابق ص ٢٦٩ .

ولن تحدث تلك المذابح الجماعية التي أجرتها الصهيونية في قراهم ومدنهم بعد أن مكنت لها بريطانيا التي ادخلتها وأقامتها ، وقوتها ، وحمتها .

وعلى فرض أن الحلفاء كانوا سينتصرون ، حتى في حالة اشتراك العرب مع الأتراك ، فهل كان العرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري ؟ ان الجواب بالنفي ، والنفي السريع القاطع دون ريب ، واننا لنأتي بهذا النفي من النتائج التي حصل عليها العرب بعد انتصار الحلفاء ، وتضحيات العرب المغرر بهم .

فهل يمكن أن تكون النتائج حينئذ أسوأ مما حدث فعلا ؟ هل تكون أسوأ من تلك المآسي التي أوردناها في أول هذا الفصل ، من تقسيم بلادهم ، وحكمها حكما استعماريا غاشما ، بواسطة الانتداب الأجنبي ، ورزوحها عشرات السنين تجاهد في جميع بقاعها مستهدفة الاستقلال وطرد ألغزاة الأجانب .

والتاريخ يحفظ الأعداد الهائلة من شهداء العرب في العراق والشام الذين ذهبوا في معارك غير متكافئة مع الانجليز والفرنسيين ، والتاريخ ايضا يتحدث كثيرا عن خيرات العرب التي امتصها هؤلاء المستعمرون من بلادنا العربية ، فلقد تمتعت فرنسا طويلا بخيرات الشام ومصدراته ، كما أثرت بريطانيا وشركاتها من بترول العراق ومنتجاته ، ومكنت لشركاتها في هذه الثروة الهائلة تمكينا ما زال ينهب ثروات العرب حتى الآن .

انها لسنوات الثورات الطويلة تلك التي تسببوا خلالها في حرمان الأمة العربية من العلم والمعرفة حتى باعدوا بينها وبين ركب الحضارة والمجد البناء .

اذن فالنتيجة التي حصل عليها العرب بعد الحرب العالمية الأولى ، هي انهم أصبحوا وجها لوجه أمام الاستعمار الأجنبي ، يلتف برداء الصليبية الاستعمارية ، ويعمل على زرع الصهيونية العالمية في ديارهم تسومهم العذاب والارهاق .

لم يجمع العرب على حرب الأتراك :

لقد كان بين العرب عام ١٩١٦ من ينادي بمحاربة الانجليز وعدم الثورة على دولة الخلافة ، وكان الليبيون بقيادة الامام أحمد الشريف السنوسي يهاجمون الانجليز في السلوم والصحراء الغربية ، وكانت مصر المجاهدة ضد الانجليز ترنو الى هزيمتهم ، ولا تؤيد الثورة ضد الأتراك ، وهكذا كان عديد من العرب بينهم الأمير شكيب ارسلان والشيخ عبد العزيز

جاويش ، وعديد من زعماء الشام ورجالات العروبة يرون مساندة الاتراك والتعاون معهم .

بل لقد بكى الرصافي يوم سقوط بغداد بيد الانجليز ، وهو الثائر المندد بحكم الأتراك والمطالب بالاصلاح ، بكى هزيمتهم وتمنى نصرهم وأشاد بودهم :

انا ادرى بأنهم بعد هجري ... لم يذوقوا طعما ولم يرتاحوا
ان تأنوا فربضة الليث تأتي ... بعدها وثبة له وكفاح
كيف يغضون عن اغاثة واد ... زانه من ودادهم اوضاح
انا باق على الوفاء وان كا ... نت بقلبي ممن احب جراح

ولقد كان الكثيرون يصرحون لقومهم في كل مناسبة ، بان دول الصليبية الاستعمارية انما تحاول تحطيم الاسلام في أمتيه العرب والأتراك على السواء .

لقد اقيم حفل بالاستانة قبيل قيام الحرب بسنة واحدة ، وشارك فيه أمير البيان المجاهد شكيب ارسلان وهو من يعرف كل الأحرار العرب ، انه العربي الذي حمل أمانة الدفاع عن أمته طيلة حياته ، ولم يستطع الأجنبي أن يجعله عميلا ولا من الخاضعين ، فأنشد في ذلك الحفل قصيدة طويلة يحذر فيها أمته من الدسائس الدولية ويقول (٢٩) :

فيا وطني ، لا تترك الحزم لحظة ... بعصر احيطت بالزحام مناهله
وكن يقظا لا تستنم لمكيدة ... ولا لكلام يشبه الحق باطله
وكيد على الأتراك قيل مصوب ... ولكن لصيد الأمتين حبائله
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه ... فكل أخير قد نمته أوائله
اذا غالت الجلى اخاك فانه ... لقد غالك الامر الذي هو غائله
فليست بغير الاتحاد وسيلة ... لمن عاف ان تفشى عليه منازله
وليس لنا غير الهلال مظلة ... ينال لديها العز من هو آمله
ولو لم يفدنا عبرة خطب غيرنا ... لهان ولكن عندنا من نسائله
سيعلم قومي انني لا اغشهم ... ومهما استطال الليل فالصبح واصله

لقد كانت آخر معارك العرب مع الأتراك في تلك الثورة هي تلك التي خاضها الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل في سهول حلب في ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ ، واشتعلت هناك نار حامية عنيدة بين فريقين تخاصما بعد ود متين ، وكان يقود الجيش العثماني في تلك الموقعة التاريخية مصطفى كمال باشا (اتاتورك) الذي اضطر الى الانسحاب أمام الجيش

(٢٩) دكتور أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان القاهرة ج ١ ص ٨٨ .

العربي ، وبقيت ندوب تلك الهزيمة التي مني بها من العرب مقرحة في قلبه ، ولا شك أنها جروح عميقة لازمته محزنة محيرة كلما تذكر أن ذلك الاندحار كان بسبب العرب ولصالح الانجليز ، ولقد تركز في ذهنه ذلك العمل تركيزا حاد به عن جادة التفكير الطبيعي ، وحين تمت له الغلبة في انقلابه المعروف واصبح رئيسا لجمهورية تركيا ، كان أبرز أعماله ان ظهرت أعماق آلامه من العرب في قراراته التي حاول أن يقطع بها كل صلة معهم ، فحارب اللغة العربية ، وحرم الحروف العربية ، وباعد بين الدولة وبين الاسلام الذي يعتبره دين العرب وقرآنه لسانهم ، وابعد كل الضباط العرب من تركيا ، واقام حواجز سميكة فاصلة بين الشعبين الخالدين ، وحاول في سبيل ذلك محاولة بعيدة عن النظرة الصائبة فلقن التاريخ لتلاميذ المدارس وفيه شرح عميق لما أسماه خيانة العرب وتمردهم .

ولم يستثن « أتاتورك » من هذه الاجراءات العنيفة الا عرب ليبيا ، فلقد حارب معهم الطليان في عامي ١٩١١ ، ١٩١٢ في سفوح الجبل الأخضر وهضاب بنغازي ، وانه ليشعر لهم بالود والمنة ، ويذكر لهم محاولتهم لحرب الانجليز عام ١٩١٦ في صحراء مصر ، كما يذكر لهم شهداءهم في معركة الدردنيل ، وفي ضواحي أزمير ، ولهذا اقام على ودادهم ، ومكن لمن بقي منهم في تركيا ، ووصلوا في جيشه ودوائره لأعلى المناصب .

وبعد ، لماذا لا يكون السؤال هل كان العرب يثورون على الأتراك لولا عسف جمعية الاتحاد والترقي التي تسرب في ثناياها عديد من اليهود المستترين بالاسلام ؟ ، ولولا الارهاب والقتل والتشريد الذي عمد اليه جمال باشا سفاح ديار الشام ؟

وكيفما كانت الأسئلة والأجوبة ، فان الانجليز كانوا قديرين على اهتبال الفرصة لاضرام نار العداء بين الفريقين ، بل انهم لوحوا في أول اشارة لهم عام ١٩١٣ لعبد الله بأنهم لا يمانعون في ارجاع الخلافة للعرب ، وكان هذا التلويح طعما جذابا لسمك جوعان ، وكان التعبير الصحيح الذي يختفي وراء هذا هو أنهم لا يمانعون في تحريك الأطماع حتى تدفع الى حمل السلاح والثورة ، فيخرج منها الترك والعرب مغلوبين امام غالب واحد ، هو التحالف القوي المبيت بين الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، حيث كانت تلك السطور السبعة الموجزة من وعد بالفور أقوى وانفذ من رسائل ماكماهون الطويلة المسهبة الى الشريف حسين ، ورحم الله شوقي في قوله وهو يخاطب الشريف :

كلنا وارد السراب وكل   حمل في وليمة الذئب طاعم
قد رجونا من المغانم حظا   ووردنا الوغى فكنا الغنائم

أقوال منهم ...

« لقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدر له أن يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، ولعل الفرصة سنحت امامي لتحقيق واعادة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، لقد سألني وزير الخارجية عما اذا كنت أعتقد أن سوريا يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبته ليس من الحكمة ذلك لأن العدد الكبير من السكان لا يمكن تمثلهم » .

الوزير البريطاني هربرت صمويل ١٩١٤

« ان المخاوف التي تساور العرب والتي يشيرون اليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك « تركيا » ، ولذلك لم ار مندوحة من تحذير الناس من تصديق أن اليهود يرمون الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد » .

وايزمان بالقدس ١٩١٨

« ان الحكام العسكريين لايتدخلون في الشئون السياسية والحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف أن يصلوا الىتسوية تطابق رغبات الشعوب» .

رسالة اللورد اللنبي قائد الجيش البريطاني الى الامير فيصل ١٩١٨

« ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة وتتعدى عليها ، وعبثا نقول للمسلمين والمسيحيين اننا محافظون على الحال القديم ، فالحال تشهد بخلاف ذلك ، من ادخال اللسان العبري كلغة رسمية الى اقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية للجنة الصهيونية الى الامتيازات لأعضائها ، انه لا يمكن اقناع احد أننا معشر غير محابين » .

الجنرال بولس حاكم القدس العسكري ١٩٢٠

« وجه اللنبي الدعوة الى هربرت صمويل الصهيوني ليساعد على

تسوية شئون فلسطين » .

الاهرام يناير ١٩٢٠

« اني ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ أوامر حكومتي لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » .

هربرت صمويل يناير ١٩٢٠

« لقد تأكدنا بأنفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية بفلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشئون المحلية ، أن كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية .

صرح لنا الدكتور أيدر رئيس اللجنة الصهيونية وهو معتدل بالنسبة لغيره ولا يرغب نشر افكار تهيج العرب : يجب أن يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم ، يجب ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب ، يجب ان لا يسمح للعرب بحمل السلاح » .

قاضي القضاة سير هايكرت في تقرير لجنة ١٩٢٩

كذب ما شاع عن عدلكم ... أيكون العدل بغيا واجتراما
خنتم مستأمنيكم بعدما ... نصروكم ونالوكم مراما
ما عهدنا دولة من أجل ان ... تسكن الطارىء تقصي من أقاما
وتدك الدور اذ سكانها ... حاملات وشيوخ وأيامى

الشاعر امين ناصر الدين

الفصل الثالث

شعب فلسطين يواجه المحنة

١ — اليهود يمهدون لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين :

تم للانجليز ما ارادوه ، واصبح سلطانهم العسكري هو المهيمن الوحيد في فلسطين ، حين اتموا احتلال جميع اطرافها في أواخر عام ١٩١٨ ، وقد حيل بين شعب فلسطين وباقي اخوته العرب ، ففصلت فلسطين عن بقية سوريا التي احتلتها فرنسا ، وتركزت برامج الانجليز في تمكين الصهيونية في هذا الجزء العربي من سوريا الجنوبية ، وادرك شعب فلسطين انه يواجه مؤامرة خطيرة ، قد تودي به الى مصير اليم ، وانه فصل عن سوريا ليكون وحيدا في معركة مصيرية كبرى ، وليثقل كاهله بعبء كبير خطير .

وهكذا أصبح الشعب العربي في فلسطين يئن تحت الحكم العسكري البريطاني الذي بدا واضحا من اول وهلة انه ينفذ برنامج التهويد الرهيب.

ولا يحتاج الأمر الى تساؤل ، فان الوطن القومي اليهودي الذي وعدت به بريطانيا اليهود في فلسطين قد فسره اللورد كيرزون تفسيرا واضحا حين قال :

« ان الوطن القومي مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود ، ويدير شؤونه اليهود ، ويحكم وفقا لمصالح اليهود(١) » .

ولكن هذا الوطن القومي الذي يسعى له اليهود لن يكون خاصا باليهود الذين يقطنون فلسطين ، فهم قلة قليلة الى جانب السكان العرب ، ولذلك لا بد من فتح باب الهجرة اليهودية من جميع انحاء العالم ، حتى يتكاثروا ويكونوا اغلبية أو شبه اغلبية ، ولا بد من ارض يستولون عليها فهجرة دون أرض هي اغتراب لا يساعد على تنفيذ البرنامج الصهيوني ،

(١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٤٣ .

والهجرة لا بد لممارستها من دولة تحميها ، وتلك الأرض التي يسعون لامتلاكها لن تكون سهلة ميسرة ما لم تكن فلسطين واقعة تحت نفوذ دولة صدقت لهم الود ، ومدت لهم اليد .

وانطلقت الصهيونية العالمية تسعى في كل مكان ليقول مؤتمر الصلح كلمته ، ولتكون تلك الكلمة : ان بريطانيا (صاحبة وعد بالفور) هي الدولة المنتدبة على فلسطين .

فبينما يخطب وايزمان في نقابة الصهيونيين الانجليز في أواخر عام ١٩١٩ مدعيا أن حالة اليهود في أوربا سيئة جدا ، ويجب الاستعداد لترحيل مليون يهودي الى فلسطين ، ليكونوا عمالا وصناعا مهرة ، وأصحاب اموال ، بينما يقول وايزمان هذا مناديا بالهجرة اليهودية ومحددا معالمها ، كان قد صرح قبل ذلك بمدة في محاضرة اخرى بقوله :

« ان هدفنا لا يزال الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة ، بل يجري على مراحل متعددة ، واول هذه المراحل أن توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا ، لتسهل لنا الهجرة والسكنى ، وتمكننا من تحضير الجهاز الاداري اللازم لبلوغ هدفنا ، وان الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ، ومستعدة لتسهيل تنفيذها » .

وقابلت وفود اليهود اللورد سيسل وكيل الخارجية البريطانية معلنة أنها تصر على أن يكون الانتداب بريطانيا على فلسطين ، ولم يجد هذا صعوبة في أن يتناسى عرب فلسطين ، وانها الوطن الذي دفع العرب الملايين من الشهداء دفاعا عنه ، وكان سكان فلسطين هم الخطوط الأولى والضحايا المتتابعة ، واصحاب انهار الدماء في ربوعها .

لم يجد وكيل الخارجية البريطانية صعوبة في أن يتناسى كل هذا ، فرحب بالوفود اليهودية ، واوعز لها أن تحرض يهود العالم لاعلان رغبتها في انتداب بريطانيا ، وطالبهم بأن يذهب الدكتور وايزمان كصهيوني رائد الى فلسطين فورا .

وتحركت المؤامرة في كل مكان تريد تأكيد الانتداب البريطاني وجعله حقيقة واقعة ، فعقد النواب اليهود اجتماعا كبيرا في لندن ١٨ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ وأعربوا عن أملهم في الا تعدل بريطانيا عن تولي الانتداب على فلسطين ، وتحركت اللجان القومية لحزب العمال البريطاني في ٢٢ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ ، فأبرقت الى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا

الموجود آنذاك في سان ريمو وسط المؤتمر العالمي للصلح ، وطالبوه باسم المعارضة أن تقبل حكومته الانتداب على فلسطين ، لتنفيذ سياسة الوطن القومي اليهودي فيها(٢) .

واذن فقد سارت بريطانيا شوطا بعيدا في تنفيذ مخططها الاستعماري الرهيب ، الذي كانت تعده للعالم العربي ، فاستلت الموافقة على وعد بالفور من كبار الدول والعالم الصليبي ، ثم خشيت أن يكون هذا غير كاف ولا ضامن فأوعزت بالتحرك لضمان أن يكون الانتداب على فلسطين من نصيبها ، وهي بذلك تقيم لليهود وطنا وسط العرب ، فتشغلهم به وتهددهم ، وهي بذلك تفصل بين العالم العربي مشرقه ومغربه وهي بذلك تقيم دولة تشعر بفضلها ، وتعمل بوحيها ، الى جانب قناة السويس التي كانت تعتقد أنها سيدتها وحاكمتها الى أبد الآبدين .

وبينما تتحرك الصهيونية العالمية للمناداة ببريطانيا منتدبة على الأرض المقدسة ، تسير بريطانيا في داخل فلسطين بسرعة في تهيئتها للبرنامج الخطير ، وممكنة للصهيونية من العمل دون انتظار لقرار مؤتمر الصلح بالانتداب ، ودون توقف على اسناد هذا الانتداب لها .

واذا كان صك الانتداب لم يبرم الا في يوليو (تموز) ١٩٢٢ فان بريطانيا أصدرت أمرها منذ ابريل (نيسان) ١٩١٨ الى الادارة العسكرية الحاكمة أن تسمع وأن تطيع أوامر اللجنة الصهيونية التي وصلت في ذلك الحين الى فلسطين برئاسة وايزمان(٣) .

واعطيت اللجنة فورا جميع التسهيلات في تنقلاتها وتحرياتها ، وأصبحت المرجع المهم للادارة الحاكمة ، وسرعان ما فتحت ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وبدت للعيان واضحة مظاهر الاحترام والتقدير الذي تقدمه أجهزة الحكومة العسكرية لهذه اللجنة الصهيونية .

يحدث كل هذا بينما كان الشعب العربي في فلسطين قد حصر في دياره معزولا عن اخوانه في بقية ديار الشام ، مدركا ان الخطر أصبح يحيط به من كل جانب ، لا سيما وأن سلطات الاحتلال التي سهلت لليهود كل أسباب العمل والحركة والتصرف ، حرمت على العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم ، بل حرمت عليهم في تلك الحقبة الخطيرة حتى السفر أو التجول .

---

(٢) جريدة الاهرام ١٩ و ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٧٤ .

وتمت تلك الأحداث قبل أن يعلن الانتداب رسميا ، بل لقد اتم دعامة الاستعمار الانجليزي « ونستون تشرشل » زيارته لفلسطين ومناداته بالصهيونية فيها ، قبل أن تتسلم دولته زمام الانتداب الذي عملت له وهيأت له جميع الأسباب .

على أن خطاب وايزمان في القدس يوضح الكثير من محاولة التغرير والتهديد وفرض السلطان حين(٤) يقول « لا ريب أن جميع المخاوف التي تساور العرب الآن والتي يشيرون اليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية ، أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك (تركيا) ، ولذلك لم أر مندوحة عن تحذير الناس من تصديق ذلك وايهامهم أن اليهود يرمون الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد ، أن الحكم في هذا العصر هو فن من أعقد الفنون لا يتعلم في يوم واحد اذ لا بد له من اساتذةامناءمتمرنين ، والصهيونيون يصرحون علنا بانهم يطلبون أن تكون السلطة العليا في يد احدى الدول الديمقراطية التي تختارها جمعية الأمم لذلك ، وسوف نعلن رأينا مستقبلا في تلك الدولة ولكن لا يمكن أن يكون الحكم هنا دوليا او باشراف دولتين بل ان البلاد بجملتها يجب أن تكون خاضعة لحارس واحد ، ولا يصح القول اننا (قادمون) الى فلسطين بل نحن (راجعون) اليها ، أن آباءنا دافعوا عن هذه البلاد ببسالة ولم يتخلفوا عنها الا عندما شاءت الاقدار ، ولكنهم لم يتخلوا قط عما كان لهم فيها من حقوق » .

وانه لواقع مر هذا الذي حدث في فلسطين ، واقع سيء لم يحدث مثله في اي بلد عربي آخر من تلك البلاد التي نكبت بالاستعمار او الانتداب أو الحماية . لقد قررت الحماية على مصر في الحرب الأولى ، فلم تكن الا محاولة بريطانية لاستغلال خيرات مصر ، وتأخير نهضتها وابعادها عن امجادها التاريخية ، وفرض الانتداب على سوريا ولبنان ، فكان حكما أجنبيا يعترف بأهل البلاد مهما لازمه من طغيان واذلال وارهاق . وفرض الانتداب على العراق ، فكان حكما بريطانيا يتستر وراء ملك عربي ، ولكن العراق العربي بقي للعراقيين دائما .

واحتلت فرنسا بلاد المغرب وتونس ، فاستفادت من قدرة شعبيهما البشرية في عديد من حروبها ، واستنزفت خيراتها لصالح فرنسا ، واستمرت فيها صور للحكم الوطني مهما ضعف ، كان يمثل الأصل الحقيقي الواقعي لكليهما . وسارت فرنسا على سياسة الادماج في

(٤) مجلة الكوكب عدد ٩٥ الصادر في ٢١ من مايو ١٩١٨ .

الجزائر ، وسمت الوطنيين بالفرنسيين الجزائريين ، وبذلت جهدا كبيرا لطمس معالم العروبة وابعاد الاسلام عنها ، ولكن مع هذا لم تفكر في جعل الفرنسيين أكثرية في الجزائر ، وطوال ١٣٢ عاما من احتلالها الكريه لم يزد الفرنسيون عن نسبة ١٠٪ أو أقل الى أن أعاد الأحرار الجزائريون وطنهم الى حظيرة القومية ومجمع الأمة العربية .

ورزحت ايطاليا بكلكلها في ليبيا ، وحاولت أن تعتبرها الساحل الرابع الايطالي ، وسمت أهلها بالايطاليين المسلمين ، وجاهدت لتقنعنا بأننا بقايا الرومان القدماء ، وأن العرب هم المستعمرون لأجدادنا الأقدمين. وبعثت بمجموع أبنائها لتسكن وتحتل وتتملك حتى تم اجلاؤها بعد اكثر من ربع قرن ، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين مأساة ليبيا منذ عام ١٩١١ الى الحرب العالمية الثانية ، وبين مأساة فلسطين ، على الرغم من هذا فان الذي فعلته بريطانيا في البلاد المقدسة كان يمثل نكبة لا تعادلها نكبة ، نكبة أريد بها القضاء على شعب فلسطين قضاء كاملا ، واغتصاب اراضيه، واقامة حكومة يهودية في ربوعه.

ومن هنا يتضح أن الشعب العربي في فلسطين ناضل وحده طغيانا كان يمكن أن ينوء به كاهل عدد كبير من الشعوب ، ومن هذا يتضح ايضا انه لا يوجد أي شعب عربي وجهت اليه مؤامرة تضافرت فيها جهود دولية ، وسياسات عالمية وأثقال مادية صهيونية ، الا الشعب العربي في فلسطين ، الذي لا ريب أن كفاحه البطولي طوال ثلاثين عاما كان مفخرة ترفع جباه الشعب الفلسطيني .

٢ ـ الثورة الأولى ابريل ١٩٢٠ :

وبينما كان العرب يجرون احتفالهم التقليدي بالنبي موسى في الرابع من ابريل (نيسان) عام ١٩٢٠ ، اذ اعترضهم بعض اليهود محاولين خطف العلم العربي ، واهانة حامله ، ودارت معركة أصطف فيها العرب الى جانب، واليهود والجيش البريطاني الى جانب آخر ، وحاصرت قوات بريطانيا المدينة المقدسة ، واستمر القتال الى نهاية اليوم الخامس ، وصدر بلاغ بريطاني رسمي بأن القتال أسفر عن موت تسعة من اليهود واربعة من العرب و ٢٥٠ جريحا .

وكان هؤلاء الأربعة هم الطليعة الأولى لجماهير عديدة من شهداء فلسطين ، وكان استشهادهم يحمل ايضاحا بوقوف الجيش البريطاني عمليا مع اليهود ، وضد سكان الوطن الفلسطيني الطبيعيين .

وحين القت السلطات البريطانية القبض على الأمير محمود الزناتي في ٢١ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ ، هاجمت جموع العرب السجن المحروس بالبريطانيين وأخرجوا السجين عنوة وقوة ، وتجمعت قوات الانجليز من حيفا وطبريا ، ونشب قتال كبير هاجم العرب خلاله سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية التي هرب منها اليهود تحت وطأة ثورة الفلسطينيين (٥) .

كان الشعب الفلسطيني يجمع انفاسه عقب احداث الحرب العالمية الأولى ، وكانت ظروف الحرب قد انهكته كثيرا ، وما كاد شبحها يتوارى حتى نكب بنكث الانجليز لعهودهم مع العرب ، وتبين لعرب فلسطين انهم فريسة لتجمعات صهيونية ، تؤيدها وتحميها جيوش بريطانيا التي كانت تحتل مصر ، وشرق الاردن ، والعراق ، والهند ، والتي كانت صاحبة اكبر قوة ضاربة في البحر والبر وهي ذات العلم الذي لا تغرب عنه الشمس آنذاك .

ولكن هذا الشعب العربي برغم حصره في جزء ضيق من أرض الشام، ومجابهته قوة كبيرة عالمية ، كان صادق العزم في الحفاظ على وطنه ، وكان قوي التصميم في مجابهة الاعداء .

وأصدر الجنرال بولس الحاكم العسكري بلاغا مليئا بالوعيد والتهديد، وقال : « انه دعا سماحة المفتي الحسيني ، والسادة موسى الحسيني وعارف الدجاني وعارف فيض الله وراغب النشاشيبي عن العرب المسلمين، كما دعا خمسة من العرب المسيحيين ، وذكر اسما واحدا من اليهود ، وابلغهم تحذيرا شديدا من الاضطراب :

« ان في البلاد حكومة واحدة فقط ، وهذه الحكومة هي انا ، واني مجهز بقوة عسكرية هائلة لسحق كل من يعكر الأمن ، وسأستخدمها في المستقبل دون قيد » (٦) .

ولكن الجنرال بولس نفسه عاد بعد شهور وأدرك أن العدل والانسانية والصدق تتجافى كلها مع ما هو حادث في فلسطين ، ولقد كشف بنفسه أطماع الصهيونية ورضوخ دولته لها ، حين كتب تقريره المشهور الى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة يقول فيه (٧) :

« لقد لزمني أن الح في تبيان ما اعانيه من الصعوبة في ضبط أي موقف

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ص ٨٨ .
(٦) جريدة الاهرام ٩ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ .
(٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٨٠ .

كهذا الموقف في المستقبل ، اذ ركنت مضطرا الى التغاضي مع ممثل الطائفة اليهودية ، والذي يهددني باثارة هياج الغوغاء وباقامته مقام القانون ، وبرفض الرضى بسلطات القانون والنظام ، ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة ، وتتعدى عليها ... وعبثا نقول للمسلمين والنصارى اننا قائمون بما صرحنا به من المحافظة على الحال القديم ، مما عهدوه وعهدناه يوم دخول القدس . فالحقائق تشهد بخلاف ذلك ، فمن ادخال اللسان العبري كلغة رسمية ، الى اقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية التي تتألف منها اللجنة الصهيونية والامتيازات المخصوصة الممنوحة لأعضاء اللجنة الصهيونية في السفر والانتقال ، كل ذلك قد حمل العناصر غير اليهودية على الاقتناع بأننا معشر محاربون . انه ليستحيل ارضاء ذوي فكرة مخصوصة لا يطلبون رسميا الا «وطنا قوميا» ولكنهم بالفعل لا يقتنعون بما هو أقل من حكومة يهودية بمقتضياتها السياسية » .

ولكن هذا التقرير الذي قدمه الجنرال بولس ، والذي يورد فيه ادلة حاول أن يقنع بها حكومته لتنصرف عن مظهر المحاباة لليهود ، الذين يهددونه باثارة الغوغاء ، والذين يعملون بقوة لخلق حكم يهودي ، أن هذا التقرير الذي أعتقد بولس انه يثير به اذهان حكومته ، لم يحدث شيئا الا ابعاد بولس عن الحكم ، وكأن بريطانيا ترد على تقريره تقول : انك يا بولس لم تفهم أعماق السياسة البريطانية التي تهدف فعلا الى قيام وطن وحكومة يهودية وسط وطن العرب وفوق أرضهم ، وعلى أشلائهم .

ولماذا لا تفعل بريطانيا هذا ؟ ألم يصرح الصهيوني البريطاني المعروف هربرت صمويل في رسالة له الى جراي وزير الخارجية البريطانية « ان نحن أجبنا مطالب اليهود في فلسطين نكن قد اوجدنا في جوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا » .

٣ — تعيين صهيوني بريطاني مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين :

قبل أن يتقرر مصير فلسطين في مؤتمر الصلح ، وقبل أن يحدد شكل من اشكال المستقبل الذي ينتظر شعب هذه البقعة الضيقة من الأرض ، أعلن ان اللورد اللنبي القائد العام لجيوش الحلفاء ، وصاحب التصريح المعروف الموجه منه الى الأمير فيصل في ١٧ من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ والذي يقول فيه :

« ان التعليمات الصادرة الى الحكام العسكريين تمنع أي تدخل في الشئون السياسية ، واني سأعزل منهم من يخالف هذه الأوامر ، وأن

الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف أن يحاولوا الوصول الى تسوية تطابق رغبات الشعب (٨) » .

أعلن انه قد وجه الدعوة الى اليهودي البريطاني السير هربرت صموئيل ليساعد على تسوية شئون فلسطين (٩) .

وفي السادس من يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ صرح السير هربرت صموئيل انه ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومته لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولنحيط احاطة كاملة بمدى الثقل الخطير الذي وضع على كاهل شعب فلسطين العربي وحده ، في عزلته التي حددتها له بريطانيا ، ولندرك الى أي مدى كان حكم الانجليز لفلسطين يعمل في مجموعه وفي كامله لتهويد أرضنا السليب ، ولنعلم أن معركة فلسطين لم تكن صغيرة الشأن حدثت فجأة في عام ١٩٤٨ وأنهزم فيها العرب على حين أنتصر فيها اليهود ، لندرك كل ذلك يجب أن نفهم تفاصيل المعركة التاريخية المستمرة منذ أن وطأت اقدام صموئيل هذا أرض فلسطين . … نرى من هو هربرت صموئيل ؟



هربرت صموئيل

(٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٢ .
(٩) جريدة الاهرام ٢٧ من يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ .

لنترك صموئيل يتحدث عن نفسه في كتابه « ذكرى » الصادر سنة ١٩٤٥ :

« اني احتفظت بالحوادث التي أدت في النهاية الى تعييني في فلسطين، لأسردها كقصة متتابعة ، واني أطلب الى القارىء أن يرجع بذاكرته الى أوائل الحرب الأولى عندما توقعنا هزيمة دول الوسط ، ولم يخامرنا الا القليل من الشك بأنه سيفتح امام فلسطين مستقبل آخر ، وفي اللحظة التي دخلت فيها تركيا الحرب تغير الوضع تماما ، فان قدر لفلسطين أن تحظى بمصير جديد ، فان بريطانيا العظمى هي صاحبة الشأن الأول في ذلك المصير بما لها من مصالح استراتيجية هامة في الشرق الاوسط .

وأن على حكومتنا أن تولي عنايتها موضوع من سيخلف الأتراك في السيطرة على فلسطين ، ذلك البلد الذي يتاخم قناة السويس ، وبالنسبة لشخصي فقد كان لهذا الموضوع أهمية زائدة وخاصة ، فقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدر له أن يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، لقد حددت آرائي جدا في الحال ، الأمر الذي دعاني لمقابلة وزير الخارجية ، ومحادثته بشأنها ، وسجلت في مذكرتي بتاريخ ٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٤ أني تكلمت مع السير ادوار جراي حول مستقبل فلسطين ... ولعل الفرصة قد سنحت أمامي لتنفيذ أماني الشعب اليهودي القديمة ، واعادة انشاء دولة يهودية فيها . واعتقدت أن النفوذ الانجليزي يجب عليه ان يقوم بدور مهم في تأسيس مثل هذه الدولة ، لأن وضع فلسطين الجغرافي ، وقربها من مصر ، يجعل صداقتها لانجلترا أمرا له أهميته للامبراطورية البريطانية » (١٠) .

٤ ـ عزل الفلسطينيين عن العرب لاذابتهم :

ويتابع صموئيل حديثه المليء بأسرار الاعداد لاذابة الفلسطينيين وعزلهم ، وتوزيع استعمار بلاد الشام فيقول :

« ولقد سألني جراي (وزير الخارجية) عما اذا كنت أعتقد أن سوريا يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبته : كلا فان الأمر على العكس فليس من حكمة الراي ادخال أمكنة كبيروت ودمشق ، لأنها تحتوي على عدد كبير من السكان الذين لا يمكن تمثلهم .

وقلت ايضا : سيكون هناك نفع عظيم اذا ضمت بقية سوريا الى

(١٠) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٩ .

فرنسا ، اذ انه أجدى للدولة اليهودية أن تكون لها جارة أوربية من أن تكون تلك الدولة هي تركيا .

ولقد سنحت لي فرصة اليوم جرى فيها حديث موجز مع لويد جورج في نفس الموضوع ، لقد اشار في مجلس الوزراء الى مصير فلسطين النهائي ، وقال لي : « انه مشتاق جدا لأن يرى دولة يهودية قد انشئت هناك » ، لقد صفت آرائي في مذكرة وزعتها على الرئيس وعلى عدد من زملائي الوزراء ، ثم نقحت مذكرتي في شهر مارس (آذار) واعدت توزيعها، وركزت مذكرتي على احتمال مهم ، وهو فرض حماية بريطانية ، مع تشجيع استقرار اليهود ، وقد ايدت هذا البند ووافقت عليه .

ولقد حادثت (من جديد) مستر جراي في الخامس من شهر فبراير (شباط) ١٩١٤ وأعربت له عن ارتيابي عما اذا كان السكان العرب ، وهم يمثلون خمسة أسداس السكان ، يوافقون على مثل حكومة فلسطين تمثل الحكومات الأوربية والبابا وامريكا ، وتخلق مجلس شورى لليهود ، فقال : « قد يكون في بقاء السيادة التركية اذا وجدت ضرورة لذلك ، حل آخر لتأسيس حكومة قريبة الشبه نوعا بحكومة لبنان(١١) ... » فأكدت له الخطر من وجود اي دولة غير انجلترا تتصرف في فلسطين وما في اقامة ادارة دولية من مجازفة قد تنتهي بسيادة احدى الدول الأوربية .

وقد ارسل لي وايزمان الذي تعرف بالمستر بالفور في مانشستر كتابا مؤرخا في ٢١ من مارس (آذار) ١٩١٥ يقول : « لقد سنحت لي فرصة الحديث الى مستر بالفور وسيساعدنا اذا كانت الأمور قد وضحت بالنسبة لفرنسا » هكذا بدا الاتصال بين بالفور والصهيونية ، حيث ساده الاهتمام والحماس حتى نهاية حياته ، وكان مقدرا له أن تكون له نتائج تاريخية » .

ويمضي هربرت صموئيل في حديثه الذي كشف فيه مخبآت الصهيونية وسط دوائر الوزارة البريطانية ، والخطط الخطيرة التي عمل على تنفيذها حين قدر أن يكون حاكما لفلسطين ويقول :

« لقد تبلورت الآراء في ناحية ايجاد نوع من الحماية البريطانية كلما ازداد المرء ارتياحا للموضوع ...

وليس من الضروري ان نقبل الوضع بأن السكان الحاليين القلائل ـ كما هي الحال ـ يجب ان يكون لهم الحق في سد الباب أمام عودة

(١١) المصدر السابق ص ٩٠ ـ ٩٤ .

الشعب الذي سبقت علاقته بالبلاد علاقتهم هم ، خصوصا وأن علاقة اليهود بالبلاد قد انتجت آثارا روحية وثقافية ذات قيمة للبشرية بشكل يلفت النظر بمقارنته بالتاريخ المقفر للألف سنة الماضية(١٢) » .

هكذا يتحدث هربرت صموئيل الوزير البريطاني اليهودي عن فلسطين ، وبرنامج بريطانيا فيها .

واذن من العبث أن نقول ان الانجليز قد أعطوا وعدا لقوم لا حق لهم في فلسطين ، وانهم اعطوه قبل أن يكونوا الغالبين في تلك البقعة من ديار الشام ، وانهم خالفوا مبدأ تقرير المصير الذي نادوا به طوال الحرب العامة ، من العبث ان نسوق اي قول من هذا بعد ان اتضحت هذه الحقائق التي تكشف الستار عن نواياهم ، وانهم كانوا مقررين تهويد فلسطين ، لدرجة انهم اعتبروا أكثريتها أقلية ، واعتبروا سكانها الأصليين طوائف ، وسلكوا في برنامجهم كل سبيل يمكن لليهود من أن يصبحوا اكثرية وملاكا وحكاما لهم السيطرة وبيدهم المقدرات .

وهكذا نجد أن هربرت صموئيل خطط لقيام دولة اليهود عندما كان وزيرا في الوزارة البريطانية عام ١٩١٤ وقبل احتلال الانجليز لفلسطين ، وحين أعطي الانتداب لبريطانيا تحت تأثير الصهيونية العالمية ونفوذها عيّن هذا البريطاني الصهيوني مندوبا ساميا في فلسطين ، ليتم مهمة القهر المتمثل في القوة العسكرية ، وفي الصلاحيات القانونية المخولة له طبقا لصك الانتداب .

ومنذ استولت بريطانيا على فلسطين خلال عام ١٩١٨ ، بدأت تنفذ برنامج تسليم فلسطين لليهود ، ولعلها كانت تعتقد أن سكان فلسطين العرب من السهولة والسذاجة ، بدرجة انهم لن يقيموا امامها العراقيل ، وان برنامج التهويد سوف يمر في سلام ، ولكن الثورة العربية في ابريل (نيسان) ١٩٢٠ واحتجاجات العرب الدائمة ومظاهراتهم المتكررة وفي كل مناسبة ضد وعد بالفور وسياسة التهويد ، أشعرت بريطانيا أن الأمر ليس من السهولة التي تتصورها .

وما كاد مؤتمر الحلفاء في سان ريمو يخضع لبريطانيا والصهيونية ، ويقرر تضمين صك الانتداب وعد بالفور وقبل انتظار لمصادقة عصبة الامم على صك الانتداب ، حتى أسرعت بريطانيا وعينت هربرت صموئيل

(١٢) فكرة مزورة مخالفة للتاريخ ولما تقرره توراة صموئيل نفسه من أن فلسطين كانت أرض كنعان قبل اليهود .

اليهودي البريطاني الشهير والذي تحدثنا عنه في الصفحات السابقة . مندوبا ساميا لها في فلسطين ، فقد ضج الصهيونيون من حكم العسكريين وهم يطالبون بالادارة المدنية(١٣) ، وداست بريطانيا كل المبادىء الانسانية وحطمت المثل الديمقراطية ، وبدات تسلم رسميا البلاد الى حكم اليهود .

فعلى الرغم من أن الانتداب الذي قرر باحتيال منها ، وتملصا من عهودها للشريف حسين ، كان ينص في المادة ٢٢ من ميثاق الأمم « ان بعض الشعوب الصغيرة التي كانت سابقا ضمن السلطنة العثمانية ووصلت الى درجة من الرقي ، يمكن الاعتراف بها مبدئيا كشعوب مستقلة ، على أن تقدم لها المشورة أو المساعدة الادارية من جانب احدى الدول المنتدبة ريثما يصبح في استطاعتها الوقوف منفردة بنفسها ، ويجب مراعاة رغائب هذه الشعوب في اختيار الدولة المنتدبة » .

وعلى الرغم من ان الشريف حسينا رفض التوقيع على صك الانتداب بما فيه هذه المادة واعتبره مغايرا ومخالفا لما أعطي من عهود ، على الرغم من هذا ، فان الانجليز داسوا هذه المادة بالنسبة لفلسطين اذ تتضح مخالفتهم حين لم يعتبروا أن لفلسطين شعبا يسكنها ، وان مهمتهم التعاون معه حتى ينشىء دولة ويقف منفردا بنفسه ، بل اعتبروا ان جميع يهود العالم هم شعب فلسطين ومن حقهم دخولها والاقامة فيها .

وهم لم يراعوا رغبات سكان فلسطين على ما عليه اليهود من نسبة عددية ضئيلة حين تم الاحتلال ، بل اعتبروا سكانها العرب طوائف أخرى تعامل معاملة الأقلية ، مهما كان عددها ، وهم بعد كل هذا وقبل كل هذا يتخذون جميع الوسائل لتهويد فلسطين ، منذ أن احتلوها غير منتظرين صك الانتداب ولا متوقفين عليه ، ولماذا لا يفعلون ؟ ألم تؤيدهم الدول الصليبية الاستعمارية كلها معترفة بوعد بالفور لليهود منذ أن كانت نار الحرب مشتعلة مع الدولة العثمانية خلال عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ .

٥ ــ تهويد أجهزة الحكم :

ولتتم الصورة أصبح هربرت صموئيل حاكما مدنيا لفلسطين واصبحت بذلك الدولة اليهودية في الأرض المقدسة موجودة فعلا اذ أن السلطة العليا تنتهي دائما الى هذا المندوب السامي ، وسرعان ما خلق

(١٣) راجع شكوى الجنرال بولس من اليهود واقصائه عن حكم فلسطين ص ٩٠ من هذا الكتاب .

جهازا يرضي اليهود ، وينفذ اغراضهم .

وماذا يمنع قيام الوطن اليهودي اذا كان الحاكم يهوديا ، يستمد سلطانه من لندن وقواتها العسكرية ، وما هو الاشكال الذي يمكن ان يقف في طريقه ، هل يخشى ان تكون اعماله محتاجة لسند قانوني ، انه يعين المستر نورمان بنتويتش اليهودي سكرتيرا قضائيا(١٤) (نائبا عاما) في حكومة الانتداب ، ويتولى هذا وضع القوانين وسن التشريعات اللازمة لفلسطين ، وتصدر موقعة من هربرت صموئيل المندوب السامي ، وقد سنت في عهد صموئيل هذا مئات من القوانين التي حدت من نشاط العرب ، وحمت اليهود وسهلت هجرتهم ، والتي منعت تصدير الحاصلات العربية ، لتكسيد تجارة الشعب العربي ، وليئن الفلاحون العرب تحت وطأة الديون ، وتباع أراضيهم سدادا لتلك الديون .

وفتح ابواب المناصب لليهود برغم قلة عددهم حتى اصبحت اربعة(١٥) اضعاف العرب ، وسلم ادارة الهاجرة لمدير يهودي يدعى « حايمسون » ، كما سلم ادارة التجارة ليهودي آخر ولم تبق دائرة الا ويراسها يهودي او يساعد مديرها البريطاني يهودي آخر .

وإذا كان هربرت صموئيل قد وضع اللبنات الأولى للتهويد ، فان بريطانيا تنفيذا لذلك المخطط واصلت طوال انتدابها عمل صموئيل المذكور، ويكفي أن نثبت هنا الشكل العام لجهاز الحكم منقولا عن الكتاب الرسمي لحكومة فلسطين الصادر عام ١٩٣٨ ومنه يتضح ان العرب الفلسطينيين كانوا يغالبون امكانيات التاريخ في سبيل الحفاظ على وطنهم الذي حكمته فعلا حكومة يهودية فجعلت الاغلبية العظمى من كبار موظفيه يهودا هذه اسماؤهم :

هيئة الحكومة

١ ــ اسحاق ابراهام ــ المترجم الأول في الحكومة .
٢ ــ انجلو عنتبة ــ رئيس الكتبة
٣ ــ الكسندر ابشتاين ــ قائمقام تل أبيب .
٤ ــ جوزيف كوبرمان ــ قائمقام يافا .
٥ ــ باروخ بينا ــ القائمقام المالي لحيفا .

(١٤) يقول وايزمان في مذكراته ان بنتويتش هذا كان ممثلا لاتحاد الصهيونيين بلندن ١٩١٦ انظر الوثائق الرئيسية للجامعة ، ص ٩٩ .
(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٧٨ .

٦ ـ جاكوب برقمان ـ قائمقام حيفا ونابلس .
٧ ـ جاكوب كيزلوف ـ قائمقام منطقة القدس .
٨ ـ ايزكومروف ـ خلف ابشتاين بتل ابيب .
٩ ـ ازفي شمبشي ـ خلف لكوبرمان بيافا .
١٠ ـ اسحاق شيزك ـ خلف لبرقمان بحيفا .
١١ ـ ابراهيم برجمان ـ مساعد قائمقام للعفولة بالجليل .
١٢ ـ دافيد بروتمان ـ مساعد قضاء الجليل .
١٣ ـ دافيد ليبجار ـ مساعد طبرية .
١٤ جوشا جوبلرلك ـ مساعد قائمقام بحيفا .
١٥ ـ هنري كانتروفيتش ـ مساعد محامي الحكومة لشئون الأراضي وجميع هؤلاء من اليهود) .

دائرة الخزينة

١ ـ داكري هارفي ـ المساعد الاول لمدير الخزينة .

٢ ـ مستر وولف ـ مساعد لمدير الخزينة .

٣ ـ ناتاتين ديفيس ـ مساعد بالخزينة .

٤ ـ نسيم ليفي ـ مساعد لمدير الخزينة .

٥ ـ دكتور باتون ـ مراقب البنـوك (وليس بين هؤلاء الخمسة اليهود الا ثلاثة من الانجليز) .

دائرة الشرطة (البوليس)

١ ـ كولمان كوهين ـ مساعد المفتش العام .

٢ ـ اديري سيلفر ـ مساعد المفتش العام .

٣ ـ سلمون شيف ـ مساعد المفتش العام .

٤ ـ ناتان كريمر ـ مساعد المفتش العام .

٥ ـ سلمون سوفر ـ مساعد المفتش العام .

٦ ـ أدولفي ليفز ـ مساعد المفتش العام .

وكلهم يهـود مساعدون للمفتش العام وكـان معهم اكبر الضباط العرب رتبة المدعو شوقي سعد ويجمع المجاهدون الفلسطينيون انهم لم يتلقوا منه اي رحمة او مساعدة بل كان شرطيا صادق النية ضد الثورة

والثوار(١٦) .

وقد نشرنا في غـير هذا المكـان الأعضاء الموكل اليهم امـور تسوية الاراضي وامور تنفيذها وهي واضحة لا تحتاج الى تعليق(١٧) .

وبينما اخضع صموئيل المدارس العربية لاشراف المفتشين الانجليز ، اطلق لليهود حرية التعليم واستقلال المدارس بعد ان قررت لغتهم العبرية لغة رسمية مع الانجليزية والعربية في فلسطين ..

٦ ـ اخضاع اقتصاديات فلسطين لليهود :

ونقب صموئيل عن كل اسلوب يهودي لافقار العرب وابعادهم عـن الأرض ، فادرك ان اكثرية الفلاحين منهم تهتم بالزراعة الموسمية للحبوب او تعنى بالزيتون وانتـاج زيته ، فشجع الفلاحين علـى الاستدانة مـن المرابين وهم يعتمدون على الأسعار العالمية المجزية سواء في تجـارة القمح او الزيت ، وحين تم ضم المحصولات في الاسواق وعجز الفلاحون الصغار عن سداد الديـون ، اقيمت حجوزات عديـدة بيعت فيها محصولات الفلاحين الصغـار ، ثم بيعت اراضيهم نفسهـا سدادا لتلك الديون على الطريقة اليهودية العالمية حيث كان صموئيل قد اصدر امرا بمنع تصدير المحصولات فكسدت الأثمان .

وحـين وضع صموئيل اللبنات الاولى في افقـار العرب ، وسلخ اراضيهم ، اخـذ يضع اللبنات القوية في تنميـة ثروة اليهود وتمكينهم اقتصاديا من فلسطين .

والمادة الثالثة عشرة من دستور فلسطين ، انما وضعت لصالح اليهود وحدهم ، وقد برهنت كل الأحداث على ذلك ، وكان نصها كما يلي :

« للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الأراضي العمومية او اي معدن او منجم وله ان يأذن باشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط او المدد التي يراها ملائمة ، ويشترط أن تجري كل هبة كهذه

(١٦) شوقي سعد زوج لسيدة فرنسية مما خلق صداقة قوية بينه وبين سفير فرنسا بليبيا أيام ثورة تونس والجزائر ، لم تتركه بريطانيا بفلسطين فأحضرته الى ليبيا بعيد احتلالها عام ١٩٤٤ وتولى مركزا كبيرا في مباحث الشرطة هناك بطرابلس وعاصر في ليبيا حركات الوطنيين في سبيل الاستقلال ١٩٤٤ ـ ١٩٥١ كما عاصر تحركات الثوار التونسيين والجزائريين ولم يكن الشعب يرى فيه فارقا عن الضباط الانجليز قسوة وشدة وارهابا .

(١٧) راجع صفحة ٣٥٢ ـ ٣٥٣ من هذا الكتاب .

او ايجار وفقا لمرسوم أو تشريع أو قانون معمول به في فلسطين او سيعمل به فيما بعد ، أو وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالته وختمه أو بواسطة الوزير المختص تنفيذا لأحكام صك الانتداب » .

وهذه المادة تفرض على قارئها أن يعود الى المادة الثانية من صك الانتداب التي تنص على أن بريطانيا تتعهد بأن تجعل فلسطين في وضع سياسي واقتصادي واجتماعي صالح لانشاء وطن قومي لليهود(١٨) .

وكانت الخطوات التي اختارها صموئيل لبناء اليهود اقتصاديا وتمكينهم من فلسطين هي تسليمهم الأراضي ، فأقطعهم ٢٠٠ الف دونم في مرج ابن عامر واجلى ٩٠٠ اسرة عربية عن املاكها التاريخية ، وسلط الجيش والبوليس لتنفيذ امر الطرد والاستيلاء .

كما اقطعهم اراضي الكباره وعتليت وتلال قسارية(١٩) في مجموع ١٧٥ الف دونم من اراضي سكنها العرب ، وفلحوها منذ اكثر من الف عام، بل منذ آلاف السنين واقطعهم واجّر لهم بايجارات اسمية ، واغتصب من الاراضي العربية بشتى الوسائل والحيل ما سنفصله في موضعه .

وعمد الى المشروعات المهمة فسلمها الى اليهود وحدهم بتسهيلات كبيرة ، وكان من اهمها امتياز الكهرباء الممنوح في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٢١ ويكفي القليل من مواده في استيضاح اهميته وخطورته . وفضلا عن ان هذا الامتياز قصد منه تقوية اليهود اقتصاديا بتسليمهم مشروعا مهما للكهرباء وجني الأرباح الكبيرة العائدة من ذلك ، حرص المندوب السامي على أن ينص بصراحة على حق صاحب الامتياز اليهودي في نزع ملكية الأراضي .

واذا ادركنا ان تلك الأراضي كلها عربية ، اما بالتملك أو بالاستعمال والاستثمار منذ اجيال بعيدة ، ادركنا المعنى الخفي الذي كان يقصده المندوب السامي حين يشرع ويفتح باب نزع الملكية على أوسع نطاق ويقول :

« تحريرا في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٢١

بين النبيل السير هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين بمقتضى المنصب الذي تقلده من وكلاء التاج للمستعمرات فريق أول .

(١٨) راجع النص ص ١١٣ .
(١٩) القضية الفلسطينية ، ص ٨١ .

وبين بنحاس روتنبرغ من القدس مهندس مدني فريق ثاني .

مادة ٢ : يمنح المندوب السامي بمقتضى منصبه لصاحب هذا الامتياز امتيازا مطلقا لمدة ٣٢ سنة من تاريخه ... الخ .

مادة ١٣ : على المندوب السامي بناء على طلب صاحب الامتياز(٢٠) الخطي ، وعلى نفقته ان ينزع ملكية طاحونة جريشه ، واي ملك او ارض او مباني او مرافق مقتضاه لانشاء سد الهدار وبناء القنال ، ومحطة القوة في جريشه ، وبناء طاحونة الدقيق ، والمكاتب والمباني والمستودعات او المنافع ، ويدفع تعويض عادل يتفق عليه مع صاحب الامتياز ، أو يقدر وفقا لقانون نزع الملكية الساري اذ ذاك في فلسطين عند عدم الوصول الى اتفاق » .

وهكذا(٢١) وتحت سطوة قانون نزع الملكية الذي انفرد بتنفيذه المندوب السامي اخذ اليهود يستولون بقوة بريطانيا على الأراضي قطعة وراء اخرى ، وكان ذلك القانون يخول للمندوب اغتصاب الأراضي التي يرفض اهلها ثمنها او التخلي عنها وتسليمها الى اصحاب المشروعات .

وحين صدر قانون جديد لامتيازات الكهرباء عام ١٩٢٧ م. في بداية عهد المندوب السامي الجديد اللواء بلومر . تركز اهتمامهم على المياه ، يستعملونها بحرية وينظمونها ويستولون عليها ، ولهذا جاءت المادة الثالثة من ذلك القانون تنص على ما يلي :

« يمنح المندوب السامي للشركة امتيازا مطلقا باستعمال المياه الآتي ذكرها لمدة ٧٠ سنة من تاريخ هذا العقد :

ا ـ مياه نهر الأردن وحياضه ، ويشمل ذلك مياه نهر اليرموك وجميع روافد نهر الأردن وحياضه الكائنة تحت اشرافه او مراقبة المندوب السامي الآن ، والتي تكون تحت اشرافه ومراقبته في المستقبل .

ب ـ مياه نهر الأردن وحياضه وروافده ، ومياه نهر اليرموك وروافده الواقعة خارج حدود البلاد الكائنة تحت اشراف المندوب السامي التي تقرر استعمالها لفلسطين أو شرق الأردن او الاثنين معا ، بموجب الاتفاق الانجليزي الفرنسي المعقود في ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٢٠ . او بموجب اي اتفاق آخر لتوليد الكهرباء من تلك المياه ... »

(٢٠) نشرنا هنا ما يتصل بموضوع الاستشهاد تاركين تسلسل المواد .
(٢١) اقرأ بعض مواد هذا القانون في صفحة ٣٤٧ عند حديثنا عن الاراضي في فلسطين .

ولرغبة بريطانيا في تقوية اليهود ، وانجاح مشروعاتهم جاءت المادتان ٣٥ ، ٣٦ من قانون الكهرباء بالنص التالي :

« مادة ٣٥ : اذا فرضت ضرائب في فلسطين ، ووقعت هذه الضرائب على ارباح الشركة العائدة اليها من الامتياز خلال العشر سنوات الأولى ، فان ارباح الشركة المخصصة للاستهلاك ولهبوط القيمة والامتياز ، تعتبر استيفاء لهذه الضرائب انها من المصاريف وليس من الأرباح حتى تعفى من الضرائب ولا يستوفى في خلال العشر سنوات المذكورة على اية ارباح ربحتها الشركة من المشروع علاوة على المصاريف المنوه عنها ، الا اذا كان المشروع قد أعطى زيادة عن تلك المصاريف مما يكفي في السنة التي استوفيت فيها الضرائب ، وعن كل سنة سابقة للمدة المذكورة لدفع ربح متجمع معدله لا يقل عن ستة في المائة في السنة خالص الضرائب ، على راس المال المؤلف من الأسهم المتفق عليها ... واذا فرضت بعد تاريخ هذا الامتياز ضريبة على القوة الكهربائية او ضريبة اضافية .. يحق للشركة ان تزيد الرسوم التي تتقاضاها من المستهلكين بموجب المادة ٢٢ من هذا الامتياز .

مادة ٣٦ : على الشركة ان تدفع على ما تستورده من الآلات وخلافها من المواد جميع الرسوم التي تستوفى على واردات فلسطين أو شرق الأردن على أن يؤجل بناء على طلب الشركة دفع هذه الرسوم .. الى أن تصبح ارباح المشروع بعد تحديد المبالغ المطلوبة للاستهلاك والهبوط والاحتياط بالدرجة الأولى كافية لتمكين الشركة من دفع ربح لا يقل عن ثمانية في المائة بالسنة ، خالص الضرائب على رأس المال المكتتب به ، والموضوع في المشروع ، وقد تدفع الشركة بعدئذ ما تأجل دفعه من الرسوم الجمركية ورسوم الوارد المستحقة عليها ، بأقساط سنوية لا تزيد عن خمسة في المائة من مجموع المبالغ الواجب دفعها من الرسوم الجمركية وغيرها .

على ان امتيازات الكهرباء لم تكن وحدها المشروعات المهمة التي سلمت الى اليهود ، فقد سلمهم اللورد بلومر ، وكان ضالعا مع الصهيونيين **كسلفه هربرت صموئيل حسب شهادة وايزمان نفسه** (٢٢) ، امتياز استثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة عشر مليار جنيه وحرر ذلك العقد بين المندوب السامي وبين اليهوديين نوفومسكي وطولوخ لمدة ٧٥ عاما(٢٣) . وكانت التقارير تفيد أن ما في البحر الميت من املاح

(٢٢) مذكرات وايزمان ، ص ٤٠٦ .

(٢٣) القضية الفلسطينية ، ص ٧٥ .

البوتاس تقدر بألفي مليون طن ، ومن بروميد المغنسيوم بتسعمائة مليون طن عدا كميات ملح الطعام والفوسفات . واسرعت سلطات الاحتلال الى منح اليهوديين اراضي شاسعة على حدود البحر الميت كما اجرت لهما ٦٤ الف دونم بايجار اسمي ، وسلط الجيش البريطاني والبوليس على الفلاحين يطردونهم من اراضيهم ويمنعونهم حق البقاء بمجرد تغيير المالك او صدور امر الاستيلاء .

وكان صموئيل قد اصدر عفوه عن المساجين اليهود الذين جرموا في المعارك مع العرب ، واخفى تقرير اللجنة البريطانية التي ادانت الصهيونية ، واستمر صموئيل ومن جاء بعده من الحكام يتخذون كل يوم **اجراء جديدا لصالح اليهود** ، على حين تميز صموئيل بانه كان يحسن لقاء كل وفد عربي يحضر لمقابلته والاحتجاج على التصرفات الخطيرة المتخذة ، وكان يحسن ايضا توديع تلك الوفود واظهار الاحترام لهم .

والصورة الحقيقية لهذه الشخصية الخطيرة التي لعبت اكبر الأدوار في تاريخ النكبة العربية انما يرسمها زعيم الصهيونية الأكبر وايزمان حين يقول : « ان صموئيل نتاج يهوديتنا ، ونحن الذين عيناه مندوبا ساميا ، انا المسئول عن تعيين سير هربرت صموئيل في فلسطين ، ان صموئيل هو صديقنا ، ولم يقبل ان يقوم بهذه المهمة العسيرة الا نزولا عند رغبتنا ، نحن حملناه هذه الأعباء ، ان صموئيل هذا هو صموئيلنا(٢٤) » .

٦ ـ اشتداد وطأة الاضطرابات :

هكذا وجد الشعب العربي الفلسطيني نفسه محاطا بالاعداء ، ورأى ان التخطيط الانجليزي الصهيوني يقفل جميع الجوانب التي يمكن أن يسلكها في سبيل المحافظة على وطنه ، وان القوة التي امامه ليست عادية ولا سهلة .

وبينما كان صموئيل ينفذ برنامجه الخطير هذا ، كان الحكم العربي يهوي في سوريا ، وكانت فرنسا تمرغ وجه العرب في التراب ، وكان فيصل يغادر البلاد طريدا بلا مجد ولا تاج .

ان بريطانيا لم تدخل فلسطين غازية لها حتى يلام العرب على عدم

(٢٤) قضية فلسطين ، ص ٧٦ .
وانظر ايضا :
ESTELLE PLYTHE WHEN WE LIVED IN JERUSALEM, P. 337.

مقاتلتها منذ اول يوم ، فهي لم تسلك السبيل الذي سلكته في احتلال مصر ، حين خشيت استفحال الروح الوطنية ، وصممت على تحطيم الجيش المصري واخماد تلك الجذوة الحرة التي اشعلها البطل عرابي ، وهي أيضا لم تسلك مسلك ايطاليا حين احتلت ليبيا فهاجمتها في سنة ١٩١١ واطلقت عليها سيل قنابلها ، فنهض أهل الوطن يحاربونها ويعادونها، وأيضا لم تسلك مسلك فرنسا في احتلال تونس والجزائر والمغرب غازية معادية .

انها لم تفعل شيئا من ذلك ، بل جاءت مسالمة متظاهرة بصداقة العرب والتحالف معهم ، ورمت المنشورات فوق اراضي فلسطين تبلغهم أنها تعاهدت مع الشريف حسين لتوحيد الأمة العربية واعادة مجدها(٢٥) .

لهذه الاعتبارات بقي الشعب الفلسطيني السنوات الأولى بعد الاحتلال وهو يواجهها بفيض من الاحتجاجات التي صاحبتها مرارا مضاعفات جانبية حدثت حينا وحينا .

وفي الثامن والعشرين من مارس (آذار) ١٩٢١ وقف في القدس ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني يمجد قتلى الصليبيين والمياكبيين اليهود ، فتظاهر العرب ضد خطابه هذا منددين بالخيانة البريطانية للعرب ، هاتفين بسقوط بالفور ووعده وحكومته ، ولكن الجنود البريطانيين يطلقون رصاصهم فيسقط عديد من صرعى العرب ، وتتحول فلسطين الى بلدهائج ضد الوطن اليهودي لا يعرف الهدوء ولا السكون(٢٦) .

ولكن تشرشل يمضي في صهيونيته ، فيشارك اليهود غرس نخلة في مكان انشاء الجامعة العبرية ، ويأمل ان تكون هذه الشجرة في نموها رمزا الى مجهودات الحركة الصهيونية .

وكممت أفواه العرب في فلسطين ، بل كممت خارج فلسطين ، والمراجع لمجموعات الصحف العربية القديمة لا يجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الأخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين.

وفي مناسبة مفتنمة نشرت جريدة الأهرام(٢٧) خطابا مفتوحا الى تشرشل موقعا من مجهول باسم فلسطيني صميم ، يلقي ضوءا على أحوال فلسطين في تلك البرهة المهمة من التاريخ ، ويبدأ ذلك الخطاب المهم

(٢٥) بحوث مؤتمر المائدة المستديرة بلندن ١٩٣٩ .
(٢٦) جريدة الاهرام ٢٩ من مارس ١٩٢١ .
(٢٧) جريدة الاهرام العدد ١١ من مارس ١٩٢١ .

بالاشارة الى تلك الأراضي الخصبة التي باعها اناس غير فلسطينيين ويسميهم آل سرسق ، والى ان الجند طردوا الفلسطينيين من تلك الأراضي عنوة وبالقوة ، وسلموها الى اليهود برغم عظم مساحتها وعديد قراها ، ويضيف :

« ومع ان تصدير الحاصلات هو المورد الطبيعي للبلاد ، فقد وضعوا امامه العوائق السنة تلو السنة برغم وفرة المحصول ، فهبطت الأسعار ، وضاعت قيمة الأراضي الزراعية ، وزاد الأهالي فقرا على فقرهم ، مما مكن اليهود من شراء الأراضي بدريهمات معدودة .

وكان في البلاد على العهد التركي بنك زراعي ، وقام اليهود وقعدوا لعودته ، ثم استصدروا أمرا من لندن باغلاقه فأغلق ، ودهش الناس لجراتهم وباتوا يحسبون لمستقبلهم ألف حساب . ان الحكومة تصرف ملايين الجنيهات لتحسين مزارع اليهود ، ومد السكك الحديدية الى مزارعهم ومستعمراتهم ، ويضنون من جهة اخرى على نشر التعليم في البلاد ، يقولون للصحافة انك حرة ، ثم يرسلون لأصحابها الانذار تلو الانذار ، يحذرونهم من نشر ما لا يطيب لهم نشره من انتقاد او احتجاج او بيان شعور الأمة ، يصدرون القانون تلو القانون دون استشارة أحد ، حافظين لأنفسهم السلطة المطلقة في التغيير والتبديل .

فأصبح الناس غير واثقين ممن كان يدعي صداقتهم وتحريرهم من نير جمال باشا فصدقوه ، فهل من الغرابة والحالة هذه أن يصمم الفلسطينيون عامة التصميم الأكبر على مقاومة سياسة ترمي الى الحصول منهم على الرضى بوعد لو قبلوه لجنوا على الوطن جناية كبرى » .

ذهبت جميع احتجاجات العرب وتحركاتهم ادراج الرياح ، لم تهتم بريطانيا بتلك الاضطرابات التي حدثت في القدس عام ١٩٢٠ اثناء الاحتفال بعيد النبي موسى ، ولم تهتم بأحداث بيسان في أواخر ابريل (نيسان) من العام نفسه ، واشتعلت النار بين العرب واليهود بيافا في مايو (أيار) ١٩٢١ ، حيث أصدرت السلطات البريطانية بلاغا رسميا ، ذكرت فيه أن اليهود خسروا ٣٠ قتيلا و ١٤٣ جريحا بينما خسر العرب ١٠ من القتلى و ٢٧ جريحا .

واستمر المندوب السامي في طريقه المرسوم ، فقد اصدر امرا خلال ابريل (نيسان) عام ١٩٢١ بتسليم اراضي الغور للصهيونيين ، وكان هذا الغور مسجلا باسم السلطان عبد الحميد اثناء العهد العثماني ، يفلحه العرب ويعمرونه ، ويملك من يستصلح ويستقر ، وما كاد المندوب

السامي يستقر في فلسطين حتى أعلن ان الحكومة اقطعت الجمعيات الصهيونية هذا الفور لزراعته والانتفاع به ، ويقضي هذا بطرد الآلاف من الفلاحين العرب الذين توارثوا زراعته منذ مئات السنين ، وقامت المظاهرات العربية في كل مكان تعلن سخطها واستنكارها(٢٨) .

وبينما كان المندوب السامي يزور بيسان في ١٤ من ابريل (نيسان) ١٩٢١ خطب امامه الشاب العربي جبران كزما معلنا ان المندوب ينفذ اجراءات التهويد في فلسطين العربية ، ورد صموئيل ان الأرض ملك للحكومة وتدخل الأمير بشير الحسن من رؤساء القبائل معلنا ان الاراضي ملك للعرب واجدادهم ، وان الهجرة اليهودية تمكين لليهود كي يصبحوا اغلبية ، وينفذوا وعد بالفور بمساعدة الانجليز ، وطالب الشاب العربي جبران الانجليز أن تطبق المادة ٢٢ من صك عصبة الأمم ويستفتى السكان، وحينئذ سوف يتضح اذا كانت حكومة الانتداب هذه شرعية أو غير شرعية(٢٩) .

وانتشرت الاضطرابات ، فوصلت الناصرة وحيفا وطبريا والجليل ونابلس ، واصدر المندوب امره ، فألقي القبض على مئات من الشبان العرب ، وبينهم الشاب جبران الذي صرخ في وجه المندوب السامي في احتفال بيسان ، وطالب باستفتاء الشعب لاظهار تزوير الانتداب وعدم شرعيته .

٨ ـ وحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين :

وتجمع العرب من كل مكان ، واتحد المسلمون والمسيحيون ، وادرك الجميع الخطر الذي يبيت لبلادهم ، فلم تثن وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية ، العرب المسيحيين عن شعورهم بالوطنية والاخاء العربي ، واصدرت لجنة المؤتمر الاسلامي المسيحي الفلسطيني بيانا للشعب ، ضمنته احتجاجها الذي ارسلته الى دول عديدة بالاضافة الى ملك الانجليز ومختلف مجالسهم ، واستشهد هذا البيان بالتقرير الذي وضعته لجنة هايكرت عن حوادث يافا ، وطالب بوقف الهجرة اليهودية .

واذا كنا قد قدمنا الدليل تلو الدليل في بداية بحثنا عن التحالف الصهيوني العالمي مع الصليبية الاستعمارية ، فانه من صدق القول أن

(٢٨) جريدة الاهرام ١٥ من ابريل ١٩٢١ .
(٢٩) جريدة الاهرام ٢ من مايو ١٩٢١ .

نقرر ان المسيحيين العرب كانوا شركاء لاخوانهم المسلمين في الجهاد وفي النكبة ، وكانوا اعضاء عاملين في كل تحرك عربي هناك ، على ان هذا لم يكن جديدا ، فقد حفظ لنا التاريخ تلك المعاملة الكريمة الحادبة التي سنها الخليفة العادل عمر بن الخطاب في معاملة المسيحيين بعد فتح القدس ، وحفظ لنا التاريخ ايضا أن كثيرين من المسيحيين العرب تعاونوا مع البطل صلاح الدين ، وكان بعضهم يتولى مناصب مأمورية الاغاثة (التموين) ودوائر المال ، بل ان موقف المسيحيين العرب حين حاصر الصليبيون عكا ، كان ابلغ في وحدة شعورهم بوحدة المصير مع المسلمين ، اذ كان البحارة من مسيحيي بيروت يلبسون البسة الأفرنج الصليبيين ويحملون الغذاء لمعونة عكا المحاصرة من الصليبيين(٣٠) ، واثناء النضال ضد الانتداب كان المسيحيون العرب يسيرون في نفس الصف الذي يسير فيه المجاهدون العرب المسلمون ، بل ان ذلك البطل الذي نسف الوكالة اليهودية في حادث تاريخي معروف كان مسيحيا من شباب القدس .

٩ ـ اللجنة البريطانية الأولى :

كانت لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني ، اول لجنة بريطانية تشكل للبحث في أسباب اضطراب فلسطين ، وقد رحب الشعب العربي للوهلة الأولى باهتمام الحكام وتأليف لجنة تبحث اسباب الاضطراب ، ولكن ظهر مع مرور الزمن ان سياسة اللجان سياسة بريطانية ، يقصد منها تخدير الشعب ، ثم يصرف النظر عن تقريرها كلما كان ذلك في صالح العرب ، وانا لنقتبس بعض الفقرات من تقرير هذه اللجنة مما يتصل بموضوع هذا البحث :

« الشغب الحقيقي الذي نبحث عنه ، ليس شغبا اعتياديا لأنه دام عدة أيام ، وهو يقع كلما تقابلت جماعات المسلمين مع جماعات من اليهود ، وقد ازداد يوما بعد يوم ، الى أن عم قضاء يافا بأجمعه ، وهوجمت المستعمرات اليهودية القريبة من يافا بشدة زائدة ...

ولا شك ان العداء لليهود كان متأصلا في نفوس جميع الوطنيين بصورة لا تقبل الجدل ، وقد ظهر لنا ان الوطنيين ينفرون من الحكومة لاتباعها سياسة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ... وانتشر الاعتقاد في البلاد من اولها لآخرها بأن الحكومة عرضة لضغط الصهيونيين عليها ، وهي لذلك تتحزب لليهود وتساعدهم في جميع اعمالهم ومقاصدهم بالرغم

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٦ .

من كونهم اقلية قليلة ، وقد اكد لنا الكثيرون وتأكدنا بأنفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية في فلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشؤون المحلية ، ونعتقد ان كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية » . ثم قال تقرير اللجنة :

« لو ظل اليهود اقلية كما كانوا ايام الترك ، وحافظوا على ادبهم واعتدالهم لما عكر صفو عيشهم احد ، لكن العرب لما راوا ان اليهود اصبحوا اصحاب الكلمة النافذة عند الحكومة ، نقموا عليهم واضمروا لهم الشر ، وباتوا ينتظرون أول حركة تبدو منهم ليهيجوا عليهم الراي العام ، وقد ابدوا هذا الشعور مرارا عديدة بانتهاك حرمة كثير من اعيان اليهود واهانتهم شر اهانة » .

وقد نشرت اللجنة ظلامات يشكو منها العرب ، وتسببت في ثورتهم عام ١٩٢١ وانها لظلامات توضح الموقف العربي في ذلك الوقت ، ومقدار الأثقال التي وضعتها السلطات البريطانية على الشعب العربي في فلسطين، ونورد بعضها كما جاءت بنصها الرسمي فيتقرير قاضي القضاة البريطاني :

ان المظالم التي يشكو منها العرب والتي كان لها دخل عظيم في المشاغبات هي :

١ ـ لأن بريطانيا العظمى اسست الحكومة الفلسطينية بحسب رغائب الصهيونيين ، واتبعت سياسة انشاء الوطن القومي ، ولم تراع منافع سكان فلسطين الأصليين .

٢ ـ لأن الحكومة الفلسطينية استعانت بصورة رسمية تأييدا لهذه السياسة بلجنة صهيونية تساعدها في اعمالها ، فما كان من هذه اللجنة الا انها الفت حكومة ثانية في قلب الحكومة الفلسطينية واخذت تعنى بمصالح اليهود ، وتهمل مصالح الوطنيين .

٣ ـ لأن عدد الموظفين اليهود كثير بالنسبة الى عددهم .

٤ ـ لأن برنامج الصهيونيين يقول بلزوم اقحام فلسطين بأناس اقدر وامهر من العرب في تعاطي التجارة والصناعة قصد الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من ايدي ابنائها .

٥ ـ لأن قدوم المهاجرين خطر على اهل البلاد وعلى اقتصادياتهم .

ثم يستأنف قاضي القضاة البريطاني تقريره الذي نستطيع ان نأخذ منه صورة واضحة لوضع العرب في فلسطين ، رسمها بريطاني وكل اليه

أن يدرس وأن يقول :

« كان لتدخل اللجنة الصهيونية في سن القوانين وتعيين الموظفين واعادة المأمورين المعزولين الى وظائفهم وقع سيء في نفوس العرب ...

صدقنا الظلامات بعد سماع معتدلي اليهود ، ولم تعر لجنتنا اذنا صاغية ، ولا اهتمت بمثل هذه الأقوال ، ولا علمت مقدارها عند الصهيونيين ، فلما تقابلت وتباحثت مع الدكتور أيدر الرئيس العام للجنة الصهيونية الذي كان معتدلا بالنسبة الى غيره ، والذي لا يرغب في نشر افكار تهيج العرب ، سئل الدكتور « أيدر » عن بعض الأمور المهمة ، أجاب عليها بحرية زائدة واظهر آمال الصهيونيين بجراة وقال :

« انه لا يمكن الا ايجاد وطن قومي واحد في فلسطين ، وهو الوطن القومي اليهودي ، ولا يمكن المساواة بالحقوق بين العرب واليهود ، بل يجب أن يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم » .

وابى ان يعترف او يقبل عبارة « أن يكون لليهود سلطة او سلطان قومي » ، ووضع عوضا عنها عبارة « ان يكون حق التسلط والتغلب » وقال ايضا بصريح العبارة : « يجب ان يسمح لليهود لا العرب بحمل السلاح » واكد ان تسليح اليهود يحسن العلاقات بينهم وبين العرب ، وقال ايضا : « يجب ان يسمح للهيئة الصهيونية ان تعترض على الحكومة، وأن تقدم اليها أسماء الذين ترغب في ترشيحهم لمنصب المندوب السامي ، فتنتخب الحكومة منهم واحدا(٣١) » .

ثم اخذ رئيس اللجنة وهو قاضي القضاة البريطاني يقدم نصائحه ، فاقترح ان يجتمع وجوه العرب واليهود ، بشرط ان يعطي العرب عهدا مسبقا بموافقتهم على تصريح بالفور ، وان يعترف اليهود بأنهم قادمون لانشاء وطن وسط ارض مليئة بالعرب .

وعلى الرغم مما حواه هذا التقرير من عبارات واضحة تكشف نوايا الصهيونية كشفا لا لبس فيه ، اعلنه أمام اللجنة الدكتور أيدر الرئيس العام للجنة الصهيونية ، وهو الذي وصفته اللجنة بأنه أكثر اعتدالا بالنسبة الى غيره ، وعلى الرغم من ظلامات العرب التي تأيدت لدى اللجنة، بعد ان قابلت الصهيونيين وسمعت منهم ، على الرغم من كل هذا ، لم يكن لتقرير اللجنة اي تأثير في سير الأمور لدى المندوب السامي وسياسة

---

(٣١) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٨٩ – ٩٢ .

حكومته ، بل لقد استمر حكم اللجنة الصهيونية كما لو كان تحقيق اللجنة قد اوضح ظلامات اليهود ، وانه لا وجود للعرب .

ولم يجد المندوب السامي غضاضة في ان يرسل جنوده الى ميناء يافا حيث تجمع العرب لمنع المهاجرين اليهود من النزول ، وان يعلن الأحكام العرفية ويطلق رصاصه ، فيقتل عددا من أهل البلاد الشرعيين في سبيل ادخال اغراب ، هدفهم تملك البلد وتشريد أهله ، وحين تظاهر العرب في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ لمناسبة ذكرى وعد بالفور نشب قتال عنيف في طريق يافا ـ القدس ، قتل وجرح خلاله اربعون من العرب واليهود ، كل ذلك يحدث ولم يجف بعد المداد الذي سطر به تقرير لجنة قاضي القضاة ، والذي كان مفروضا أن لجنته عينت لتستكشف اسباب الاضطراب الأولى ، وعلى ضوء تقريرها يحدد العلاج ويرسم المنهج السليم .

الاغتصاب ... وحكم الغاب

« تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل فلسطين في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي » .

المادة الثانية من صك الانتداب ١٩٢٢

« على حكومة فلسطين أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة » .

المادة السادسة من صك الانتداب

« من الضروري أن يعلم الشعب اليهودي أن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة » .

تشرشل في كتابه الابيض ١٩٢٢

« يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادىء العدل والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به الظروف وأن تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة » .

المادة ٤٦ ف ٣ من دستور فلسطين البريطاني ١٩٢٢

« بما أن الشرع الاسلامي خول السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي الملك فانه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية » .

مادة اضافية بدستور فلسطين ١٩٢٣

« ومن الذي أعطى فلسطين لليهود غير الانجليز الذين كانوا قائمين بالانتداب وتركوا فلسطين ليأخذها اليهود » .

جمال عبد الناصر
٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٦٢

« أصبح اله التوراة الها انجليزيا .. وقد وضع هذا الاله لشعبه اخلاقا وقوانين تقرر أن المنفعة الانجليزية وحدها هي مقياس الخير والشر » .

غوستاف لوبون
روح التربية ترجمة عادل زعيتر ـ تلخيص طه حسين

ضاعت فلسطين لا بالسيف من يدنا ... لكن باصبع غدار ومنسحب
قد فرقتنا وما زالت تفرقنا ... عدوة الشرق والاسلام والعرب

الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي



الفصل الرابع

صور من تآمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين

١ ـ الصهيونية العالمية تضع صك الانتداب :

لم يكن الأمر في حاجة الى لجنة او الى تحقيق ، فان الأهداف المشتركة لدى الصهيونية وبريطانيا كانت قد نجحت في جعل الانتداب البريطاني على فلسطين وثيقة مهمة تستهدف تهويد فلسطين ، وتحمل هذه الوثيقة توقيعات الدول أعضاء عصبة الأمم .

ولقد جاء صك الانتداب يحمل في ظاهره صورة المستند الصادر من جمعية الأمم الملتزمة به بريطانيا ، كما لو كانت هي بعيدة عن وضعه ومجبرة على تنفيذه ، ولكن الأيام أثبتت عكس ذلك تماما .

فبينما كان الوفد الفلسطيني العربي مجتمعا برئيس الوزارة البريطانية في مايو (أيار) عام ١٩٣٠ حدثت مناقشة بين هذا الرئيس وبين المفتي أمين الحسيني الذي حمل على صك الانتداب ، واصفا له بأنه صك متحيز لصالح اليهود وحدهم ، وضار بمستقبل العرب أهل البلاد الأصليين ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية « ان عصبة الأمم هي التي وضعت صك الانتداب وان بريطانيا ملزمة بذلك » .

وفي شهر يونيو (حزيران) سافر المفتي الى جنيف وقابل اريك دراموند السكرتير العام لجمعية الامم وكان بريطانيا ، وبحث موضوع صك الانتداب بحضور الأمير شكيب ارسلان والسيد احسان الجابري ، وقد نفى السكرتير العام ما صرح به الرئيس البريطاني قائلا « ان الجمعية لم تضع صك الانتداب ، بل ان الحكومة البريطانية هي التي وضعته بالتفاهم مع اليهود(١) » .

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٣٧ .

وفي عام ١٩٤٩ وبعد انهزام الدول العربية السبع نشر وايزمان مذكراته فقال « أن اليهودي الاميركي بنيامين كوهين كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه » .

وهكذا يتضح كذب السياسة البريطانية ، وسلوكها مسلك الخداع والمغالطة في جميع مراحلها .

٢ ـ نظرات ونصوص في صك الانتداب على فلسطين :

« لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قدوافقت أيضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ ، وصادقت عليه الدول المذكورة ، بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي ، مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء بغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى .

ولما كان ذلك اعترافا بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين ، والبواعث التي تبعث اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب على فلسطين ، وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الأمم طبقا للنصوص والشروط التالية :

مادة ٢ : تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، كما جاء في ديباجة هذا الصك ، وترقية أنظمة الحكم الذاتي ، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين، بقطع النظر عن الاجناس والأديان.

مادة ٤ : يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية ، لتشير وتعاون في ادارة فلسطين في الأمور الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك ، مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ، ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ، وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد

استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

مادة ٦ : على حكومة فلسطين ــ مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي ــ ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية استقرار اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات المطلوبة للأعمال العمومية .

مادة ٧ : يترتب على حكومة فلسطين ان تسن قانونا للجنسية ، يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعوية الفلسطينية » .

اذن استطاعت الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية ان تفرض بريطانيا لتكون هي الدولة المنتدبة في فلسطين ، واعطتها في صك الانتداب حدودا اتفقوا جميعا عليها ، وهي ان تكون مسئولة عن جعل فلسطين في أحوال سياسيةوادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي فيها.

ولعل هذه المادة تحمل من الوضوح ما لا يحتاج الى تفسير طويل ، ولا يكون ايجازه الا جعل فلسطين من الناحية السياسية وطنا يهوديا يضم شعبا ثقافته يهودية وجهازه يهودي ، ونفوذه يهودي ، والا جعلها من الناحية الادارية ايضا وطنا يهوديا بحيث تكون ادارته غنية باليهود ودوائره مليئة بهم ، فيعطون من المناصب اعلاها ، ومن الرتب أقواها واحلاها . والا جعلها من الناحية الاقتصادية وطنا يهوديا ، فتسهل بريطانيا لليهود كل عمل اقتصادي يقوي من ثروتهم ، ويبني مشروعاتهم ، ويساعد في فتح بنوكهم اليهودية ، وتعطيهم امتياز الكهرباء ، وتوزع عليهم البذور مجانا .

والى جانب هذه الخطوات المهمة ، لا تنسى بريطانيا ان تضع العراقيل في وجه كل تقدم للعرب ، فتحرمهم من البنوك الزراعية ، وتحارب بقوانينها تقدمهم الاقتصادي ، وتتعمد افقارهم ، وتحارب بمختلف الأساليب كيانهم القومي أو محاولة بنائه .

وفوق هذا نجد اللغة العبرية لغة رسمية ، والمدارس اليهودية حرة لا سلطان عليها الا للجنة اليهودية ، ولتكن كما وصفها تشرشل في كتابه الأبيض :

« فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة ، وعوائدها ، وطرق معيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات توسعية ، وحتى يكون للطائفة اليهودية

عمل وطيد في تقدمها الحر ، ويفسح للشعب اليهودي مجال واف ، لكي يظهر فيه مقدرته ، كان من الضروري ان يعلم أن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة(٢) » .

وتلك الاجراءات السياسية التي لا بد من اتخاذها طبقا لصك الانتداب ، تقتضي بالنسبة للعرب العكس تماما ، فلا شيء لهم من الناحية السياسية ، ومدارسهم يجب ان تخضع للحكومة ، حتى تبعد بينهم وبين مجالهم الطبيعي للعلم ، وحتى تقف دون رغباتهم وذكائهم في التحصيل ، ولا بد ان تبعدهم عن الجهاز المهم في الميدان السياسي ، حتى تظهر فلسطين بمظهر يهودي اكثر مما هي عربية .

وهذه الاجراءات الادارية تقتضي تركيز اليهود في المناصب المهمة ، وتكثر من عددهم النسبي في الدوائر المختلفة ، وقد أسرعت بريطانيا في تنفيذ ذلك ، فلم يمض شهر يونيو (حزيران) ١٩٢١ حتى كانت نسبة الموظفين اليهود تقارب الثلث ، على حين لم يصل عددهم بالمهاجرين المفروضين ثمانين الفا ، فاذا أضيف اليهم عدد الموظفين البريطانيين واليهود البريطانيين كذلك ، وما يلحق بهم من نفوذ وسلطان ، تم المظهر المطلوب من جعل فلسطين في احوال ادارية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، بل لم تمض سنة ١٩٢٥ في ظل حكم هربرت صموئيل حتى كان عدد الموظفين من اليهود والعرب في حكومة فلسطين ٦٧٨ يهوديا و ٦٣٢ مسلما(٣) .

وهكذا دخلت بريطانيا فلسطين وهي متمنطقة بهذا الصك الخطير للانتداب ، الذي تقمص بالفور ووعده في كل بند من بنوده ، والذي حور وعد بالفور من وعد بريطاني الى صك عالمي .

وكما في وعد بالفور لا يوجد في صك الانتداب اي ضمان للعرب مسلميهم ومسيحييهم من اهل فلسطين ، الا ضمان حقوقهم المدنية والدينية ، وهي حقوق مكفولة لكل أجنبي منح الاقامة في بلد ما ، فكأن اهل البلاد هم الأجانب الوافدون ، وكأن اليهود المستجلبين هم اهل البلاد الشرعيون ، فلا يهتم الانتداب الا باليهود ينميهم اقتصاديا ، ويقويهم اداريا ، ويكونهم سياسيا .

والحق انه انتداب غريب ، يتضمن جريمة عالمية ، ويفرض على وطن

(٢) من الكتاب الابيض الذي اصدره تشرشل عام ١٩٢٢ .
(٣) رد وزير المستعمرات أورميس في مجلس العموم ، جريدة الاهرام ١٦ يونيو ١٩٢٥ .

ماهول بسكان تاريخيين ليساعد على طردهم ، وابادتهم ، واحلال غيرهم من الغرباء محلهم ، وهو يفعل ذلك بجميع الوسائل ومختلف الحيل والأساليب .

وماذا أبقى لسكان فلسطين الآخرين وهم الأغلبية الساحقة ، بل هم كل ساكنيها ؟

ما هي تلك الحقوق التي نص صك الانتداب على عدم المساس بها ما دام قد احتكر التهيئة السياسية والادارية والاقتصادية ، واعتبرها أركانا لقيام وطن يهودي ؟

ماذا أبقى للأغلبيه الا ما نص عليه من الحقوق المدنية والدينية ، بحيث لا يمنع السكان من ارتياد المساجد والكنائس ومن حتهم في أخذ رخص لقيادة السيارات مثلا ، وفتح المتاجر ومزاولة العمل اذا وجدوا عملا ، والمرور في الشوارع ، والجلوس على المقاهي ، ومثل هذه الأشياء مما يدخل ضمن الحقوق المدنية ، وهي حقوق تصطدم دائما مع آمال اهل فلسطين فانها تمارس ضمن الاطار العام لمخطط النكبة في وعد بالفور وصك الانتداب ، وبالتالي فهي تقف عند الحدود التي لا تمس هذا الوعد وذلك الصك ؟

ولم يقنع واضعو صك الانتداب بكل هذا ، بل هم أجرا على الحق واشجع ، فتنص المادة الرابعة على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتعاون في جميع الأمور التي لها علاقة بالوطن القومي اليهودي ، وبذلك ضمنت بريطانيا ورضيت لتاريخها ان تكون الدولة اليهودية موجودة فعلا منذ اعلن الانتداب ، ولم تكن هذه الجمعية الصهيونية الا الحكومة الفعلية المسيطرة والمهيمنة والآمرة والناهية في جهاز المندوب السامي ، الذي جاء ليشرف على سحق العرب وخلق دولة يهودية ، وهذه اللجنة الصهيونية التي يعترف بها صك الانتداب هي التي أشار اليها تحقيق قاضي القضاة البريطاني وقال :

« ان رئيسها لا يرغب في نشر افكار تثير العرب ، وطالب فقط بتسليح اليهود وحدهم ، وان يكون لهم حق التسلط والتغلب ، وان تكون فلسطين وطنا لليهود وحدهم(٤) » .

بل ان هذه المادة تنص بصراحة على انه يجب على الجمعية ان تتخذ

(٤) راجع النص في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

ما يلزم للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهي بذلك تكون قد نصبت منذ اول يوم في منصب من يفكر ويعمل ، أي من يشرع وينفذ في أي اجراء تراه لازما لمد المعونة للذين يحتاجون هذه المساعدة في سبيل وطن اليهود الموعود .

ولعل ذلك المستشار القانوني في ادارة الانتداب ، والذي كان من أكبر الصهيونيين البريطانيين المدعو بنتويتش كان يتفهم هذه المادة وهو يشرع كل يوم قانونا صالحا لليهود وضارا للعرب ، فاغتصاب الأراضي العربية هو عمل يدخل ضمن المعونة للذين يبغون المساعدة من اليهود . والاستحواذ على المزارع التي كان المزارعون العرب يعمرونها منذ العصر التركي في الأراضي المملوكة للدولة هو عمل يدخل ضمن تلك المعونة لصالح اليهود ، وتسهيل تحويل الأموال للملاك من السوريين واللبنانيين الذين اغرتهم الصهيونية ، أو يئسوا من البقاء في فلسطين ، ومنع المزارعين العرب من تصدير حاصلاتهم استهدافا لافلاسهم وايقاعهم تحت طائلة الديون والقروض ، وحرمان العمال العرب من العمل بالمزارع اليهودية ، وانشاء الطرق ومد السكك الحديدية الى جوار المستعمرات اليهودية ، وتجاهل القرى العربية وحرمانها من المعونات الحكومية ، بل وتسليح اليهود تسليحا رسميا وعلنيا ، بحجة الدفاع عن المستعمرات ، وتحريم السلاح على العرب تحريما كاملا والمعاقبة على حيازته وبأشد العقوبات ، كل هذه الأعمال تدخل أيضا ضمن تلك المعونة التي نص عليها صك الانتداب لصالح انشاء الوطن القومي اليهودي ، بالاضافة الى المساعدة المادية التي تنادى ارباب المال من يهود العالم لتقديمها الى جمعياتهم وهيئاتهم في فلسطين .

والان وقد ضمن صك الانتداب جعل فلسطين في وضع سياسي واداري واقتصادي يكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، ونص على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتنفذ في كل ما يتصل بالوطن اليهودي ، لم يبق لصك المؤامرة الا ان يخلق الشعب الذي لا بد منه ليلبس جلباب بريطانيا الذي خاطته ، وليقف مؤتزرا به وسط الامة العربية وفي صميم ديارها .

فتنص المادة السادسة بوجوب تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، وان يستقروا في الأراضي الأميرية والاراضي البور .

وقد جعلت هذه المادة اليهود المهاجرين من نوع خاص ، وانهم لمهاجرون ترعاهم الدولة بأسم الانتداب ، وتسكنهم في أراضي مملوكة للغير.

ولقد جاء قانون المهاجرة البريطاني الذي وضع لتسهيل هجرة اليهود

الى فلسطين قانونا يبيح ولا يمنع ، قانونا يفتح لهم كل باب ، ويسهل لهم كل صعب ، ويقدم لهم كل عون .

٣ ـ بريطانيا تصدر دستورا لفلسطين لدعم اليهود :

واذا كنا تحدثنا فيما سبق عن صك الانتداب وكيف تحايلت بريطانيا على صوغه وادعت انها ملتزمة به فكان صكا يهوديا لا يستهدف الا تهويد فلسطين العربية ، اذا كنا قد أوضحنا ذلك فان هناك فرية بريطانية أخرى لا تقل جريمة عن صك الانتداب ، بل لا تقل شناعة عن وعد بالفور ومعاهدة سايكس ـ بيكو ، ونعني بتلك الجريمة البريطانية التاريخية ما سبق ان سمي بدستور فلسطين ذلك الذي صدر ونشر خلال اغسطس (آب) ١٩٢٢ (٥) .

واذا كانت دساتير الامم العديدة ، قد عرّفت على الدوام بأن الدستور هو قانون القوانين ، يحوى المبادىء العامة ، ويهتم بوصف الدولة وكيانها والحقوق الانسانية المقررة ، وما يجب مراعاته من حقوق وواجبات للحاكم والمحكوم ، اذا كانت هذه هي الدساتير لدى جميع الأمم وفي كل البلدان ، فأن ما أسمته بريطانيا دستور فلسطين كان شيئا غير ذلك تماما ، كان قانونا قاسيا للعقوبات ، وكان لائحة مستمدة من صك الانتداب لتنظيم عملية التهويد ، وكان اطلاقا لليد الحمراء الرسمية تعمل كل ما يبدو لها من اجرام في سبيل التهويد دون رادع من دستور أو خوف من قانون ، بل في حماية دستور لا يلتزم بالعدالة في معناها المتوارث . وهذه بعض مواد ذلك الدستور الفريد :

مرسوم دستور فلسطين

« صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم الرابع عشر من اغسطس (آب) ١٩٢٢ الحضور : صاحب الجلالة الملك ، رئيس الامناء الوزير شورت ، اللورد ستامورتد هام ، المستر ماكراي .

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بادارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها من اجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

(٥) مجموعة المناشير والاوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت، دستور رقم ١ المسجل بالمكتبة تحت رقم ٥٦٩ ـ ٣٤٩ ، راجع النص الانجليزي كما صورناه مطابقا تماما للنص العربي المذكور من المتحف البريطاني بلندن . وقد اثبتنا النصين في ملحق رقم ٢ .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضا على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)١٩١٧ واقرته الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يفهم بجلاء انه لا يأتي امر من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين ، أو بالحقوق والأحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد اخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالته للانتداب على فلسطين ، ولما كان جلالته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين ،بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة أو ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة ، لذلك وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم ما يأتي (٦)

المادة ١٢ : يناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الأراضي العمومية او الحقوق المتعلقة بها ، وله أن يمارس تلك الحقوق بصفة كونه امينا من حكومة فلسطين .

المادة ١٣ ـ للمندوب السامي أن يهب او يؤجر اية ارض من الأراضي العمومية او اي معدن او منجم وله أن يأذن باشغال هذه الأراضي بصفة مؤقتة وبالشروط والمدد التي يراها ملائمة ... ويشترط في كل هذا ان تجرى كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لمرسوم أو تشريع او قانون معمول به بفلسطين، أو سيعمل به فيما بعد، أو وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالته وختمه او بواسطة الوزير تنفيذا لأحكام صك الانتداب .

المادة ١٨ : للمجلس التشريعي السلطة والصلاحية التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من اجل السلام والنظام .. ولا يجوز أن يصدر قانون يكون مناقضا او مخالفا لأحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه.

المادة ١٩ : يؤلف المجلس التشريعي من ٢٢ عضوا بالاضافة الى المندوب السامي، ويكون عشرة من هؤلاء أعضاء موظفين واثناعشر منهم أعضاء غير موظفين .

المادة ٢٠ : الأعضاء الرسميون في المجلس التشريعي هم الأشخاص الذين يشغلون اذ ذاك بصورة مشروعة المناصب التالية :

(٦) استغنينا عن مواد الدستور الاولى ، وعنينا بتسجيل بعض المواد التي تتضمن اشياء غير عادية وذات علاقة بالموضوع ، ويمكن مراجعة النصين الكاملين العربي والانجليزي لهذا الدستور ملحق ٢ .

أ ـ السكرتير العام ـ ب ـ النائب العام ـ ج ـ مدير المالية ـ د ـ مفتش البوليس العام ـ هـ ـ مدير الصحة ـ و ـ مدير الأشغال العامة ـ ز ـ مدير المعارف ـ ح ـ مدير الزراعة ـ ط ـ مدير الجمارك ـ ي ـ مدير التجارة والصناعة .

المادة ٢٥ : للمندوب السامي أن يعلن موافقته او عدم موافقته على أي قانون بمحض ارادته معمراعاة التعليمات الصادرة اليه بتوقيعالملك وختمه.

المادة ٣١ ـ على كل عضو من اعضاء المجلس التشريعي قبل أن يتبوأ مقعده ، ويحق له التصويت ، ان يقسم اليمين بالنص التالي امام الرئيس: وان يوقع على هذا اليمين بامضائه « أنا ... اقسم بالله العظيم اني سأكون امينا مخلصا لحكومة فلسطين » .

المادة ٤٦ : الفقرة ٣ : يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادىء العدل والانصاف المشار اليها في هذا الدستور في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين وأحوالها ، ومدى اختصاص جلالة الملك فيها ، وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة .

المادة ٦٨ : اذا قضت احدى المحاكم بادانة مجرم وحكمت عليه بالحبس واستصوب المندوب السامي أن يقضي المحكوم عليه مدة الحكم الصادر بحقه خارج فلسطين فيجب ان يكون المكان المرسل اليه المجرم في احدى ممتلكات جلالته خارج المملكة المتحدة .

المادة ٦٩ : اذا ثبت للمندوب السامي ببينة مشفوعة باليمين أن شخصا يسلك سلوك خطر على الأمن والنظام في فلسطين ، أو أنه يسعى لاثارة العداء بين اهالي فلسطين والدولة المنتدبة أو انه يكيد لسلطة الدولة المنتدبة بفلسطين ، فيجوز للمندوب السامي اذا استصوب تلك أن يصدر امرا موقعا بتوقيعه يقضي فيه بابعاد ذلك الشخص من فلسطين الى المكان الذي يعينه .

المادة ٧٠ : لا يستأنف امر الابعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

المادة ٧٢ : اذا تقرر نقل أي شخص او ابعاده عن فلسطين يوقف اذا دعت الحاجة الى ذلك تحت الحفظ أو في السجن بمذكرة من المندوب السامي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله او ابعاده واذا كان المراد بابعاده الى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالته الحربية واذا لم يكن ثمة سفن كهذه ، فيوضع على ظهر باخرة بريطانية أو اية باخرة ملائمة أخرى .

المادة ٨٥ : اذا كانت اية طائفة دينية او فريق كبير من سكان فلسطين

يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب ، فيحق للطائفة أو للفريق المذكور أن يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي بواسطة عضو من أعضاء المجلس التشريعي .

التوقيع الميرك فيتزروي

مرسوم بتعديل في دستور فلسطين ١٩٣٣ :

بما ان أحكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك ، وورد نص بهذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني المادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير منقولة ٣٠ مارس (اذار) ١٨٢٩ .

وبما أنه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري بفلسطين ، لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور الى « يجوز للمندوب السامي أن يحول بمرسوم يصدره اية أرض بفلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف ملك » .

١٦ اذار ١٩٣٣ م. ب. ا هانوكي
التوقيع

وهكذا لا تجد بريطانيا انها قد اكتفت بصك الانتداب قيدا مكبلا للعرب، وضامنا للتهويد ، بل يبدو حرصها على تلك الجريمة التاريخية ، وسلوك كل طريق في سبيل تنفيذها فيما تتضمنه بعض مواد هذا الدستور ، الذي يعطي للمندوب السامي حق رفض القوانين وحق التصرف في الأراضي وحق السجن والابعاد وحق قبول الشكوى اذا كانت عن تقصير في تنفيذ صك التهويد (الانتداب) وهو دستور وصل في غرابته انه أباح للمندوب السامي الا ينفذ العدل والمساواة ومبادىء القانون العام الا في حدود الامكان وحسب الأحوال بفلسطين ، وبذلك لم تجد بريطانيا ما يمنعها من ان تسجل في تاريخ البشرية ان القانون قابل للرفض ، وان مبادىء العدل والمساواة ليست ملزمة الا حيث تهدأ الأمور في فلسطين ، ويسير سبيل التهويد سيرا مرضيا لا اعتراض عليه .

ولكن هذا التفسير البريطاني ليس الوحيد في الدستور ، بل ان ذلك التعديل الذي أحدث عام ١٩٣٣ لم يجد مانعا من أن يعطي الحقوق والصلاحيات التي كان الشرع الاسلامي يعطيها لخليفة المسلمين باعتباره رئيس الأمة ، لم يجد مانعا بل حرص أن يعطيها للمندوب السامي البريطاني التي اختارته دولته والصهيونية العالمية لتهويد أرض فلسطين .

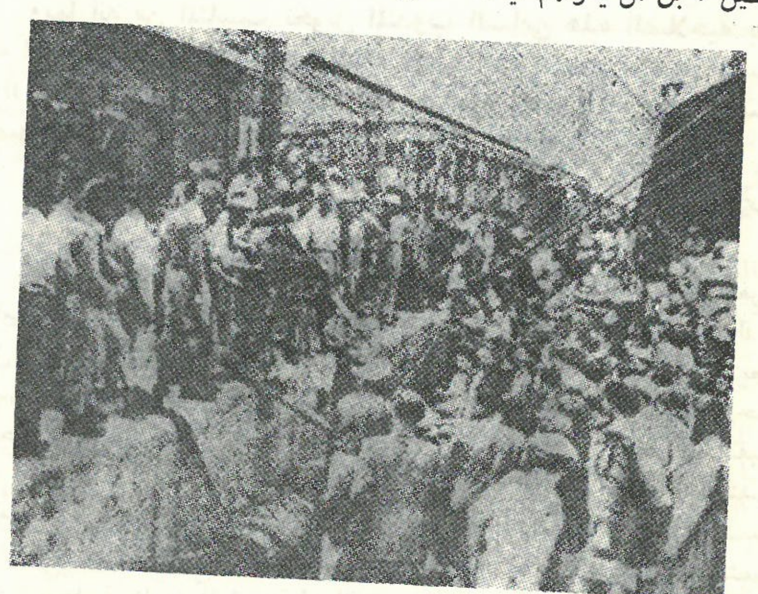
اما قصة المجلس التشريعي الذي نص عليه هذا المرسوم ، فهي قصة المحاولة البريطانية لاستلال الموافقة من عرب فلسطين على التهويد ، مما

سنفصله في بحث السلبية والايجابية في ظل الانتداب (٧) .

٤ ـ بريطانيا تصدر قانون المهاجرة لاغراق فلسطين باليهود :

ولكي يرى العربي وجه الصهيونية الحاكمة في فلسطين منذ دخلها الانجليز ، عليه أن يدرك ان المشرع هو المدعو بنتويتش اليهودي ، وان مدير المهاجرة هو المدعو حايمسون اليهودي ، ولنقرأ معا جزءا من قانون المهاجرة الفلسطيني .

بعد أن اوضح القانون أن الهجرة جائزة ، ليس فقط لمن وصل فلسطين ، بل لمن يعولهم ايضا ، قال :



هكذا كان تيار الهجرة اليهودية يتدفق على فلسطين تحت بصر الحكومة البريطانية وسمعها طوال الفترة التي قضاها البريطانيون في هذه البلاد (١٩١٧ ـ ١٩٤٧)

« المادة ٢ : تعنى لفظة المعال أي الشخص الذي تتوقف معيشته واعالته كليا ومباشرة على احد المهاجرين ، أو احد المقيمين اقامة دائمة في فلسطين، اما قبل وصوله اليها او لدى وصوله ويكون من اقارب ذلك المهاجر أو المقيم الدائم ، أي أنه زوجته أو احد والديه أو جديه أو احد والدي زوجته ، أو جديها أو ابنته، أو حفيدته او اخته او ابنة اخته او ابنة زوجته أو حفيدتها

(٧) راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب .

او اختها او ابنة اختها سواء اكانت غير متزوجة او ارملة او مطلقة ، او ابنه او حفيده او اخوه او ابنة اخيه او ابن زوجته ، أو حفيدها او اخوها او ابن اخيها اذا كانت سنه دون الثامنة عشرة او اذا تجاوز هذا السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها اعالة نفسه .

المادة ٤ : يجوز للمندوب السامي في بعض الأحوال الاستثنائية أن يمنح اذنا بالدخول الى فلسطين كمسافر الى أي شخص لا يستطيع حقيقة ان يحصل على جواز سفر أو مستند سفر ، اما لعدم اعتراف أي دولة به او لاسباب أخرى ، ولكنه حسب رايه شخص يليق دخوله الى فلسطين .

المادة ١٢ : لا تتخذ الاجراءات القانونية بشأن اي جرم ينطبق على احكام هذا القانون بعد مضي سنتين من ارتكابه .

ثم يرى المندوب السامي أن هذه التسهيلات كلها قد لا تكون شاملة، فيصدر نظاما لاحقا يضيف الى تسهيلات القرابة او انعدام جواز السفر تسهيلا يتعلق بالمال ، والمال سند اليهود وسلاحهم ولديهم ما اسهله :

المادة ٤ : ١ ـ لا يمنح احد شهادة مهاجرة او اذنا الا اذا كان ينسب الى أحد الاصناف التاليـة :

الصنف ١ ـ ذوو الوسائل المستقلة ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي :

١ ـ كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن الف جنيه ، ويشترط في ذلك انه اذا كان هذا الشخص تعاطى الزراعة فيجوز ان يشمل راس المال ثمن الأرض والأدوات الزراعية والمواشى التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اي وكالة تعتبر من قبل الحكومة ، تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي ، وأي مال تسلفه له على أن تسدد على مدار عدد من السنين ، واذا اراد تعاطي الأشغال الصناعية فيجوز ان يشمل راس المال موقع الارض الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات الميكانيكية ، وأن تحسب من قيمة الأرض التي قد تضعها تحت تصرفه أي وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية ، وأي مال تسلفه له على أن يسدده على مدار عدد من السنين .

فاذا لاحظنا أن بريطانيا أخذت على عاتقها أن تمد المؤسسات اليهودية بالأراضي ، وانها أمدتها فعلا بمئات الآلاف من الدونمات ، وسهلت استيلاءها على مقادير كبيرة من الأراضي ، اذا لاحظنا هذا ، ادركنا مقدار الهوان في المادة السابقة التي تبيح دخول كل من تقرضه مؤسسة من المؤسسات أو يملك أرضا منها .

ويستمر المندوب السامي في ملء فلسطين باليهود فيشرع :

٢ ـ كل شخص ينتسب الى احدى المهن الحرة ولديه تحت تصرفه راس مال لا يقل عن ٥٠٠ جنيه .

٣ ـ كل شخص حاذق في احدى المهن او الحرف او الصنائع ولديه وتحت تصرفه المطلق دون تحديد في الزمن راس مال لا يقل عن ٢٥٠ جنيها ويجوز لمدير المهاجرة عند حسبان راس المال ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الأدوات والمخزونات التي يملكها ، والتي لا غنى عنها لحرفته او صناعته ... الخ .

الصنف ب : الأشخاص المؤمنة لهم أسباب المعيشة وهم :

١ ـ كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة ، أو بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

٢ ـ كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

٣ ـ كل طالب امن دخوله الى معهد علمي في فلسطين ، وضمنت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف ج : الأشخاص الذين لهم أمل ثابت في الاستخدام في فلسطين

الصنف د : الأشخاص الذين يعولهم أحد المقيمين الدائمين ، او المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الأصناف ا ، ب ، ج ، د .

المادة ٥ : ٤ ـ يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين أن تبلغ مدير المهاجرة وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الأشخاص في فلسطين سواء بذكر أسمائهم او بدون ذكرها ، وأن تطلب منه أن يأذن لهم بدخول فلسطين على أن يرفق الطلب بكفالة لاعالة الأشخاص لمدة سنة على الأقل .

المادة ٨ : ١ ـ رغبة في تعيين عدد الأشخاص الذين يقعون تحت ج ويجوز ادخالهم الى فلسطين ، يعد مدير المهاجرة من حين لآخر جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها الوكالة اليهودية بذلك الشأن . ويعد جدولا واحدا عن الأشهر الستة التي تنتهي في ٣٠ مارس (آذار) ويذكر اقصى عدد من أصحاب المهن والحرف من الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات

مهاجرة » (٨) .

لقد أثبتنا سلفا بعض فقرات من قانون المهاجرة الذي كان أولى بالانجليز أن يصوغوه في الفاظ قليلة تؤدي ملخصه المنفذ وهي « أن دخول فلسطين واستيطانها مباح لكل يهودي » .

وما دامت بريطانيا دخلت فلسطين وهي متمنطقة بوعد بالفور ومؤتزرة بصك الانتداب الذي استلت له تأييد عصبة الامم عقب الحرب العالمية الأولى بانشاء وطن اليهود في فلسطين ، وجعلت كل بند من بنود ذلك الصك يتقمص وعد بالفور ويزيد من فاعليته ونفوذه . وما دامت بريطانيا قد وكلت تنفيذ هذا الانتداب الى الصهيونيين البريطانيين من أمثال هربرت صموئيل ومن أمثال بنتويتش ، وما دام العرب الفلسطينيون قد عزلوا في ديارهم ، حتى أصبحوا قلة محاصرة ، وواجهتهم بريطانيا بهذا الانتداب الخطير المميت ، فانه من واجبنا أن ندرك ذلك الموقف الأليم الذي جابهه الشعب العربي في فلسطين ، انه موقف يتلخص في مجابهة قوة خطيرة عالمية ، تسندها الجيوش والطائرات ، ويؤيدها القانون المفروض بتشريعات المندوب السامي ، وفوق كل ذلك تؤيدها اكثرية عصبة الأمم التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى .

وانه لثقل رهيب هذا الذي وضع على كتف الشعب العربي في فلسطين، ثقل مقاومة أخطر قوتين في العالم ، قوة الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، وكل ذلك سخرت له القوة الجديدة المرتسمة في عصبة الأمم التي ترعى تنفيذ صك الانتداب .

٥ ـ غفلة الجماهير العربية عن أخطار الصهيونية :

واذا كانت عصبة الأمم منذ تشكيلها بعد الحرب العالمية الأولى الى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ هي الهيئة التي تمثل العالم أجمع بما فيه دوله العديدة واركانه المترامية ، كان لنا أن نقرر أن الشعب العربي الفلسطيني كان يواجه قوة العالم التي أعماها الاستعمار البريطاني ، وضللها خداع الصهيونية، وان هذا الشعب ببقائه محافظا على تراثه ومقدساته ولغته وارضه، حتى أجلي عن بعض مدنه وقراه في فلسطين عام ١٩٤٨، انما ضرب مثلا فريدا في الجهاد والكفاح ، واثبت وجوده اثباتا سوف نذكر قليلا من صوره ومعالمه في هذا الكتاب .

(٨) مجموعة المناشير والاوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت.
وانظر ايضا : النص بملحق رقم ١ بهذا الكتاب .

أما العالم العربي من أقصاه الى أقصاه ، فقد كان اما مستقلا استقلالا شكليا ، كما كان الوضع في مصر والعراق وسوريا ، واما كان يرزح تحت حكم أجنبي سافر كما كانت الحال في جميع دول شمال أفريقيا العربية ، وكان هؤلاء وأولئك منصرفين الى قضاياهم ومشكلاتهم .

وكان من مظاهر هذه الأوضاع أن استغلت لصالح الصهيونية ، وظهر اتجاه بعض الصحف العربية لتأييد مطامع اليهود في فلسطين ، فقد أفردت جريدة المقطم وصاحبها فارس نمر باشا صفحاتها لنشر انباء النشاط الصهيوني في فلسطين ، وتحمس يهود مصر لانشاء الوطن القومي الموعود(٩). بل لقد سارعت المقطم الى نشر وعد بالفور مرتين . ووالت نشر الأنباء الصهيونية باهتمام وتفصيل حيث نشرت ابتهاج الجالية الصهيونية في الاسكندرية بصدور وعد بالفور ، وان اليهود اقاموا احتفالا كبيرا في حديقة رشيد بالأسكندرية على اثر صدور ذلك الوعد ، وقرب تحقيق آمالهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم . وقد شكر خطباؤهم لبريطانيا العظمى (هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل) ثم طاف المحتفلون بشوارع الأسكندرية الكبرى هاتفين للحلفاء ولبريطانيا العظمى بدوام النصر (١٠) ، واستمرت المقطم ناشرة لسنوات طويلة أخبار الصهيونية مهتمة(١١) بها .

وتلحق جريدة الاهرام بجريدة المقطم في هذا الموضوع ، فتنقل عن المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في القاهرة جزءا من خطة الصهيونية :

« لقد كانت خطة الصهيونية حتى الآن محددة ببرنامج « بال » وهو انشاء وطن لليهود في فلسطين ، ولقد اتخذت الوسائل لتنفيذ هذه الخطة بطريقة سلمية ، فنجحت كما تدل على ذلك المزارع اليهودية بفلسطين ، ولكننا لم نكن يومئذ الا في الخطوات الأولى ، أما الآن فقد وثقنا من استلال وطن لنا فانطلقت أمانينا ومطامعنا من كل عقال (١٢) .

وتنشر الأهرام نقلا عن المجلة الصهيونية أيضا :

« ان شعارات اليهود هي انشاء وطن قومي في فلسطين ، بحيث يستطيع اليهود ان يعودوا الى التكلم بلغتهم ، ويجددوا تقاليدهم ويتابعوا

(٩) جريدة المقطم ١٠ من نوفمبر ١٩١٧ وايضا ١٢ من نوفمبر ١٩١٧ .
(١٠) جريدة المقطم ١٣ نوفمبر ١٩١٧ .
(١١) راجع جريدة المقطم ٢٥ فبراير ١٩١٩ .
(١٢) جريدة الاهرام ٨ من مارس ١٩١٩ .

تحقيق امانيهم(١٣) » . واضافت الى ذلك ان اليهود في مصر اسهموا ماليا لمساعدة العمل السياسي في فلسطين .

واذا كان نشر هذه الأنباء في صحافة مصر العربية بعيد الحرب العالمية الأولى دون معارضة ولا نقد ، يدل على استغلال الصهيونية لبعض صحافة ذلك التاريخ وتسربها عن طريقها ، فانه يدل أيضا على أن الشعب العربي في مصر وفي غيرها لم يكن مقدرا لخطر ذلك المخطط الصهيوني ، ولم يكن مدركا بالمعنى الصحيح لوحدة الوطن العربي في اقطاره وفي أخطاره .

حتى أن تلك الصحف وهي تنشر هذه الأنباء لم تحرك ساكنا فيجموع الشعب العربي في مصر وجاراتها العربيات ، ومضت الأمور كأن الأمر سهل لا خطورة فيه .

على ان الصحافة آنذاك لم تبخل بالثناء والتأييد للانجليز انفسهم ، وهم أس البلاء واصل النكبة ، وفيما نشرته مجلة الكوكب ناعية اللورد كرومر ما يكفي ايضاحا :

« ظهر لعقلاء المسلمين والقائمين باصلاح الأزهر فضل اللورد كرومر على مشروعاتهم الاسلامية ، وتبين لهم أن السياسة البريطانية ليست عدوة للنهضة الاسلامية ، بل هي صديقتها ومحبة لها ، وفي أيام اللورد كرومر انتشرت الفكرة العربية انتشارا اقام « عبد الحميد » (السلطان) واقعده واقلق راحته ، وكان أصحاب الفكرة أو القائمون بالحركة العربية في امن واطمئنان منحكومة عبدالحميد وبطشه، النهضة (العربية) كانت أمنية **أماني اللورد لانه كان أول المستقبلين لها بالفرحوالسرور والابتهاجوالدعوة الى** تأييدها وشد أزرها (١٤) » .

وهكذا يرتفع في ربوع الكنانة صوت يقدس كرومر ، وينسب اليه العطف على الاسلام والعرب ، وكرومر هو من نعرف جميعا الحاكم القاهر لمصر المجاهدة ، وهو صاحب دنشواي ، ومدمر العلم ، وعدو النهضة .

ولقد ذهل الشعب الفلسطيني من هول المفاجأة ، فبعد ان كان يبعث بمندوبيه ونوابه الى الآستانة ، وبعد ان كان يتمتع بانتخاب مأموريه ورؤساء بلدياته ، وبعد ان كان آمنا في دياره مستقرا بها ، اذا به يواجه فجأة وعدا أعطي بخلق وطن في ارضه ليهود العالم المشردين ، وأن بريطانيا نفسها التي

(١٣) جريدة الاهرام ١٣ مارس ١٩١٩ .
(١٤) جريدة الكوكب العدد ٢٨ في ٦ من فبراير ١٩١٧ .

اغري بوعودها هي صاحبة ذلك الوعد ، وهي العاملة على تنفيذه .

وتلفت الشعب الفلسطيني يبحث عن الدولة العربية الموعودة للحسين من الانجليز ، فوجدها نهبا مقسما بين الانتداب ، والاحتلال ، والتهويد ، واستمر يرفع البصر باحثا عن الحسين القائد الثائر .. فوجده معزولا في رقعته الصغيرة بالعقبة ، ثم أسيرا فوق بارجة بريطانية تعبر به عباب البحر الى منفاه في قبرص .

٦ ـ المؤتمرات الفلسطينية الوطنية :

وجمع شعب فلسطين شمله ، وعقد مؤتمره الاول في ٥ من مارس (آذار) ١٩١٩ ، مشتركة فيه القرى والمدن والعشائر ، معلنا رفض الانتداب ووعد بالفور والهجرة اليهودية ، موضحا ان فلسطين جزء من سوريا ، متمسكا بالوحدة السورية العربية ، وكما فعل كل شعب ، وعلى النسق الذي سارت عليه شعوب عربية أخرى ، انتخب شعب فلسطين لجنة تتولى تنفيذ القرارات ومراجعة السلطات الانجليزية بشأنها .

ولكن الانجليز كانوا ماضين في برنامجهم ، فلم يعيروا مطالب العرب أي اهتمام وذهبت مراجعة الزعماء والعلماء لجهات الاختصاص هباء ،فتنادوا لعقد مؤتمرهم الثاني في فبراير (شباط) ١٩٢٠ ، ولكن بريطانيا التي عرفت اتجاه الشعب، وسبق انتسلمت مطالبه في المؤتمر الاول، والتيكانت تدرك بعمق كبير أن الحكم العربي في سوريا ما زال قائما ، وان هذه المؤتمرات الفلسطينية سوف تعرقل طريقها اليهودي (١٥) ، فأصدرت أمرها وسلطت قوتها المسلحة لمنع المؤتمر الفلسطيني من الانعقاد ، ثم أصدرت اوامرها لمنع المظاهرات ، والاجتماعات ، وفرضت رقابة على الصحف العربية ، بينما أستمرت تبيح لليهود كل ما منعته عن العرب (١٦) .

وحينما أتمت فرنسا تحطيم الحكم العربي في سوريا ، وتم احتلالها واجلاء فيصل عنها ، لم تجد بريطانيا مانعا من أن يعقد المؤتمر الثالث في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ ، وهنا طالب الفلسطينيون من جديد بالغاء الانتداب ووعد بالفور وتأسيس حكومة وطنية ، وأبرق المؤتمرون الى عصبة الأمم والى مجلس العموم البريطاني والى مجلس اللوردات ، والى كل جهة في العالم يعتقدون انها ذات صلة أو أنها صاحبة حول أو طول ،

---

(١٥) راجع تحذير اليهودي صموئيل من وحدة الشام ص ٧٠ من هذا الكتاب .

(١٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٥٦ .

ولكن قوى الأعداء كانت أقوى من صرخات الفلسطينيين ، فلم يأبه أحد لهم ولم يهتم .

وقبل أن تمضي سنتان وبضعة شهور على المؤتمر الأول ، تنادى الفلسطينيون بعقد مؤتمرهم الرابع في القدس يونيو (حزيران) ١٩٢١ ورأوا أن مطالبهم لم تأخذ باهتمام أحد ، وأن برنامج العدوان قد بدأ يتضح ، من مظالم فرنسا في سوريا ، وبرنامج الانجليز في فلسطين ، اذن فليكن لهم مع لندن لسان مباشر ، ولينتخبوا وفدا يسافر اليها ، عسى أن يكون في التفاوض المواجه سبيل للاقناع وطريق للتفاهم .

وفد فلسطين في لندن :

وسافر الوفد الفلسطيني الأول الى لندن ، حيث أجرى اتصالات عديدة ، وأستعان ببعض الصحفيين الأحرار ، وأوضح المظالم لأعضاء المجالس العامة ، ورفض مجلس اللوردات صك الانتداب لمناقضته للعهود التي قطعت للعرب في الحرب العامة ، ولكن كل هذا لم يثن الحكومة الانجليزية عن تنفيذ برنامجها الخطير ، ولم تأبه بقرار مجلس اللوردات .

كان الوفد العربي الفلسطيني يتكون من أعضاء عرب يمثلون ٩٤ في المائة من سكان فلسطين ، ولم يكن اليهود في فلسطين آنذاك يمثلون غير ستة في المائة ، ومع هذا يشترط تشرشل وزير المستعمرات آنذاك على الوفد العربي أن يفاوض الدكتور وايزمان اليهودي رئيس المنظمة الصهيونية والذي لم يكن من سكان فلسطين يوما من الأيام ، ويسرع وايزمان فينشر بالصحف استعداده لمفاوضة العرب على شرط ألا يناقش وعد بالفور ولا يسمح بمساسه .

ورفض الوفد العربي مفاوضة وايزمان ، وقدم مذكرة ضافية الى بريطانيا دون جدوى ودون اهتمام .

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت قد ألفت لجنة التحقيق الأولى والمدعوة لجنة « هيكرافت » ، والتي سجلنا بعضا من تقريرها الواضح في الفصل السابق مبينة فيه مظالم العرب والاجحاف بهم ، فان حكومة لندن لم تأبه بشيء من هذا .

وبينما كان العرب يدقون بابوزارة المستعمرات ووزيرها ونستون تشرشل ، آملين أن يجدوا شيئا من يقظة الضمير ، أو شرعة الانصاف . كان المؤتمر الصهيوني بكرلسباد يتلو برقية من تشرشل نفسه يتمنى

للمؤتمر النجاح في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (١٧) ، وهو نفس المؤتمر الذي كان قد أعلن عالميا أنه قرر انشاء فرقة يهودية مسلحة للدفاع في فلسطين ضد العرب (١٨) .

وبينما كان العرب مستمرين في محاولاتهم اليائسة ، ولمدة اثني عشر شهرا يمدون فيها يد الصداقة للانجليز ، ويحاولون تذكيرهم بثورة العرب والمواثيق المعطاة للشريف حسين ، وابناء العرب وشبابهم الذين بذلوا أرواحهم في الحرب فداء لحلف الحسين ـ مكماهون ، بينما العرب كذلك ، اذ سرت اشاعة تقول ان بريطانيا تعد كتابا أبيض رسميا توضح فيه سياستها في فلسطين ، وفيه الكثير مما يطمئن العرب ، ولكن هذا الكتاب الأبيض جاء اصرارا على الباطل محاربا الأماني الفلسطينية ، وبعد ربع قرن حين نشر وايزمان مذكراته ، اتضح أن ذلك الكتاب الأبيض الذي صدر في لندن يحمل توقيع تشرشل كان قد صاغه في فلسطين الصهيوني البريطاني المعروف هربرت صموئيل .

ترى ما هو الكتاب الأبيض الأول الذي نشره تشرشل ، وسطره هربرت صموئيل ، وكان من أخطر وثائق بريطانيا وسياستها العدائية للعرب في قضية فلسطين بعد وعد بالفور ؟

٧ ـ الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٢٢ :

بدأ تشرشل كتابه الأبيض بذكر تفصيل موجز عن مخاوف العرب ، ومخاوف اليهود ، ثم تكلم عن اليهود بالتفصيل ، فقال :

« وقد أعاد اليهود في الجيلين أو الثلاثة الأجيال الأخيرة انشاء طائفة لهم في فلسطين ، يبلغ عددها الآن ثمانين الفا ، ربعهم تقريبا مزارعون أو عملة في الأرض ، ولهذه الطائفة ادارات سياسية خاصة ، منها مجمع منتخب لادارة شئونها الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيئة تشرف على مدارسها ورئاسة حاخامين ومجلس رباني لادارة شئونها الدينية .

وتدار أعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلغتها الوطنية ، ولها صحف عبرية تفي بحاجتها ، وهي تتبع نمطا تهذيبيا يميزها عن سواها وتبدي نشاطا كبيرا في الحركة الوطنية الاقتصادية ، فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ، ولغتها

(١٧) جريدة الاهرام ١٥ من سبتمبر ١٩٢١ .
(١٨) جريدة الاهرام ٣١ من اغسطس ١٩٢١ .

الخاصة وعوائدها ، وطرق معيشتها الخاصة، لها في الحقيقة مميزات قومية. »

وبعد ان قال تشرشل أنه لا يهدف الى فرض الجنسية اليهودية على كل فلسطيني ، وشرح هذا المعنى بحماس مستغرب قال ان الفرض هو :

« زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم ، حتى تصبح مركزا يكون للشعب اليهودي فيه مقدرته ، وكان من الضروري أن يعلم أن وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة ، ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضمانا دوليا ، والاعتراف رسميا بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة » .

وتكلم الكتاب عن مطالب الوفد العربي في لندن ، وذكر أنها مطالب مستندة الى الكتاب المرسل من ماكماهون الى الشريف حسين ، وأن الوفد يدعي أن هذا الكتاب تضمن وعدا بدولة عربية تشمل فلسطين ، وأنكر تشرشل هذا الكتاب مدعيا استثناء لبنان وفلسطين (١٩) .

ثم لفت النظر الى أن الادارة الحالية قد نقلت للمجلس الاسلامي الأعلى المنتخب من الطائفة الاسلامية والمحاكم الشرعية ، وقد أعادت الادارة لهذا المجلس أيضا اختيارا منها ايرادات كبيرة لأوقاف قديمة كانت الحكومة العثمانية قد ضبطتها .

وواضح من هذا الكتاب البريطاني ان الانجليز يغالطون في سياستهم مع العرب في فلسطين ، فهو بينما يشيد باليهود وتاريخهم فيها ، يقرر أنه من الضروري أن تعتبر عودتهم حقا وليست منة ، وأن هذا هو السبب في اعطائهم ضمانا دوليا لوطنهم القومي ، بينما لا يشير الى العرب الا كطائفة في فلسطين ، ويمن على المسلمين انه اعطاهم حرية في أوقافهم ومحاكمهم الشرعية ، وهي لعمر الحق حرية منقوصة ، فقد ثبت أن اليهود كانوا احرارا في التسليح والتدريب، وانتخاب المجالس البلدية، ونظامهم الزراعي، وحركتهم الاقتصادية ، على حين لم يجد تشرشل شيئا يمن به على العرب الا حرية الأوقاف الاسلامية ، مع العلم بأنه حتى هذه الأوقاف لم تستمر حريتها بل تعرضت لاضطهاد رجالها والحد من أفعالها .

وتشرشل يتنصل من وعد دولته للشريف حسين بانشاء دولة عربية تضم وطنا عربيا كبيرا بما فيه فلسطين، ويدعي أن فلسطين كانت مستثناة، وعلى الرغم من أن قوله هذا تكذبه الخطابات الرسمية التي قدمها العرب ،

(١٩) راجع نص الكتاب الرسمي الذي يشمل فلسطين في الفصل الاول من هذا الكتاب .

والتي اضطرت بريطانيا لنشرها بعد ذلك عام ١٩٣٩ ، على الرغم من كل هذا ، فان الدولة العربية التي اعترف تشرشل بأن حكومته وعدت بها العرب والتي ادعى ان فلسطين مستثناة منها ، لم تتكون ولم تف بريطانيا بها .

ان واقع الحال في عام ١٩٢٢ حين اصدر تشرشل كتابه الرسمي المذكور ، يثبت ان الوطن العربي مزق تحت سنابك خيل الانجليز والفرنسيين وانهم حين كانوا يحتلون العراق ويهودون فلسطين كانت سوريا تترنح تحت ضربات الفرنسيين المدمرة ، تلك الضربات التي باركتها بريطانيا وأيدتها .

والذين خانوا عهودهم وأصروا على خلفها حتى فيما لا ينكرون الوعد به ، لا ينتظر أن يصدقوا فيما يصرون على انكاره .

وكان طبيعيا ان يرى العرب في الكتاب الابيض استمراراً بريطانياً للسياسة المعادية لهم ، لا سيما وقد الحقته بريطانيا بما أسمته دستور فلسطين الذي كان من ابرز ما يقضي به تأسيس مجلس تشريعي فلسطيني يتكون من اثنين وعشرين عضوا ، عشرة منهم موظفون بريطانيون يعينهم المندوب السامي ، وينتخب اثنا عشر آخرون يكون منهم اثنان من اليهود وأثنان من العرب المسيحيين وثمانية مسلمون ، وللمندوب السامي الراي الأخير في المجلس الذي ليس من شأنه البحث في الانتداب ولا وعد بالفور .

وقاطع العرب الانتخابات الخاصة بذلك ، ففشلت وطوت الحكومة مشروعها عارضة اقتراحا بمجلس استشاري لا يختلف عن سابقه ، ثم عرضت تأليف وكالة عربية على نسق الوكالة اليهودية وبنفس الاختصاصات السابقة التي رفضها العرب من جديد .

واستمر الشعب العربي يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثا حاول ان يصل الى نقاط يمكن أن يطمئن بها العرب ويعملوا بها ولها، برغم وفوده المتلاحقة الى لندن، ومحاولة خلق جو للفهم وللتفاهم .

بلغت المؤتمرات العربية من العدد سبعة ، كان آخرها ذلك المؤتمر المعقود في القدس في ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ ، وتقدم من جديد يطالب بحكومة نيابية والحد من الموظفين البريطانيين ، والاحتجاج على منح امتياز البحر الميت لشركة يهودية ، وعلى ايثار العمال اليهود بالعمل بدلا من العمال العرب ، والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف حكومة نيابية .

لقد ثار الشعب الفلسطيني عدة مرات خلال هذا التاريخ

ثم ركن الى المسالة املا ان تدرك بريطانيا تصميمه على النضال ، وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تغنت به أثناء الحرب العالمية الأولى ، وتبعد عن الخداع ونكث العهود ، وهي التي طالما شنعت في منشوراتها بالمانيا واصفة لها بعديمة العهد والمخادعة .

ولكن اليهود الذين خبروا قوتهم المستمدة من سلطات الانتداب منذ احتلال الانجليز لفلسطين بداوا يغيرون لهجتهم ، فبعد ان كانوا يحاولون خديعة العرب بأنهم لا يضمرون لهم شرا ، وانهم سوف يحيلون فلسطين الى جنة جديدة لصالح العرب واليهود ، وان رؤوس اموالهم وخبرتهم وقدرتهم العالمية سوف تتيح لشعب فلسطين العربي ، ان يخدموا بلادهم بأنفسهم ، بعد هذه اللهجة الوديعة المخادعة ، ومجرد أن أنهى اليهود مؤتمرهم العالمي المعقود في زيوريخ عام ١٩٢٨ (٢٠) ، تغيرت لهجتهم وأساليبهم ، فأعلن الحزب اليهودي الاصلاحي بلسان رئيسه جابوتنكسي الدعوة الى اليهود ليتسلحوا وان يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق أهدافهم ، وتشجع اليهود ، وطالبوا صراحة بحائط البراق الشريف ، وساروا جماعات يوم ١٥ من أغسطس (آب) ١٩٢٨ فرفعوا عليه العلم اليهودي هاتفين « الحائط حائطنا » (٢١) رافعين صوتهم بأناشيدهم الصهيونية .

واستمر صراع جدلي بين العرب واليهود على مختلف أنواع التظاهر وفوق اعمدة الصحف ، حتى اذا علم ان الميجر ساندرس البريطاني بدأ يوزع السلاح فعلا على اليهود ويجند بعضهم في الفرق النظامية (٢٢) ، انطلقت الشرارة الثورية ، وبدأ العرب معركة كانوا وحدهم في صفها يقاتلون جموع اليهود المسلحين ودولة الانتداب بجيوشها .

---

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢١) صدر عام ١٩٣١ بلاغ بريطاني سمي بمرسوم الحائط الغربي او حائط المبكى وجاء بمجموعة التأشيرة البريطانية بالجامعة الامريكية ببيروت ونصه كما يلي :

« للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف وللمسلمين ايضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير » .

(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٣ .

الحقّ ... والباطل

« ان ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين امر لا يمكن أن ينظر اليه نظرة جدية ، ولذلك يجب ان يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية»

اللجنة الامريكية لفلسطين ١٩١٩

« يجوز بيع اي أرض ارتهنها مصرف تسليف بأمر من مأمور الاجراء بلا أمر او قرار من المحكمة » .

المادة ١٠ فقرة ١ من قانون الرهونات لفلسطين ١٩٢٦

« ان الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصيا بالشئون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين فالقرويون والفلاحون هنا يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا بسياسة انشاء الوطن اليهودي ونرى أن الفلاحين العرب يهتمون بالأمور السياسية أكثر من كثير من اهالي أوربا » .

تقرير سير والتر شو قاضي القضاة البريطاني ١٩٢٩

« يا مستر ابراماسون لي عندك رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا أن تعمل حسابا في أموالنا التي تريدها لجماعتك اليهود ، توسط لنا عندهم ليقرضونا اياها بالربح الذي تراه لنتمكن من دفع ما غرمتنا به !! »

محمد علي الطاهر جريدة الشورى ١٩٢٩

« ان العمال اليهود الذين ساعدتهم حكومة فلسطين هم الذين جاءوا من آفاق العالم يمتصون كالعلق دماء الشعب العربي الفقير البائس ، الذي اهلكته الحكومة ، وأرهقته بالضرائب وسيول القوانين حتى بارت زراعته وباع ارضه ليدفع الضرائب المفروضة عليه . »

جريدة الجامعة العربية القدس ١٩٢٩

« سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول الأرض فقد اضطر البعض لبيع ارضه ، أما لتسديد ديونهم او لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول

على ما يسد به رمق العائلة » .

تقرير سير جون هوب سمبسون ١٩٣٠

« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود أراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد (اليهود) ، وهي تعلن أنه من الخطأ اعتبار الفقرات المتعلقة بالوطن اليهودي هي أساس صك الانتداب

الكتاب الابيض البريطاني اكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٠

« ان الكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك أراضي جديدة ولا يتضمن هذا المنع، وليس في النية وضعه، والحكومة لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها » .

الكتاب البريطاني الاسود نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٠

« ان خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي ، هو أن نحفظ له أرضه من الغاصبين ، ففي انجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الانجليز » .

تقرير مستر فرانشسي ١٩٣١

قوموا اسمعوا من كل ناحية ... يصيح دم الشهيد
قوموا أنظروا الوطن الذبيح ... من الوريد الى الوريد

أبو سلمى في قصيدته « ملوك العرب »

الفصل الخامس

ثورة العرب عام ١٩٢٩

١ ـ بداية الثورة :

في يوم ٢٠ من أغسطس (آب) ١٩٢٩ قامت معركة عنيفة عند ممر « البراق » في بيت المقدس لم يتمكن البوليس من انهائها الا بجهد ومشقة، ولم يجد العرب لغة يمكن أن تستعمل مع تلك القوى المتكاتفة عليهم الا لغة الاستمرار في الثورة ، فجددوا هجماتهم على مجموعات مسلحة من اليهود استمرت كل يوم ٢٣ أغسطس (آب) وجرح خلالها ١٠٧ من الفريقين ، وخسر اليهود ٢٨ قتيلا وذهب من العرب ١٣ جريحا ، وكانت المعركة تدور في شوارع القدس من ركن الى ركن .

وسرت أنباء الثورة في انحاء فلسطين ، فقامت معركة في الخليل حيث أعلن رسميا مصرع ستين يهوديا وجرح خمسين آخرين ، ولم تنم بريطانيا ولم تهدأ ، على الرغم من آلاف اليهود الذين دربتهم وجاءت بهم من مختلف انحاء العالم لتخلق لهم وطن اليهود في فلسطين ، فقد أسرعت بتوزيع السلاح على الرعايا البريطانيين ، وكان عدد كبير من اليهود يحمل الرعوية البريطانية .

وهاجم العرب مراكز البوليس ، ونشبت معركة جديدة في ضواحي الخليل ، كان قتلى العرب واليهود فيها مائة قتيل ، ونشبت يومها معركة في صفد استمرت ساعات طويلة ، قتل فيها تسعة من اليهود وجرح ٢٨ يهوديا .

ولم يكن تسليح اليهود سرا ، فقد نشرت جريدة الأهرام القاهرية برقية تعلن فيها أن الأدلة تتوافر كل يوم على أن اليهود مسلحون، وأن العرب يعتبرون عزلا من السلاح(١) .

(١) جريدة الاهرام ٢٨ من أغسطس ١٩٢٩ .

ومع هذا تمكن هؤلاء العزل من الايقاع بأعدائهم ، ومن مهاجمة المواصلات والطرق . وبينما كان الشعب الفلسطيني يتحرك ، في طول فلسطين وعرضها دفاعا عن بقائه واستماتة في خط الدفاع الأول عن الأمة العربية ، كانت الأمة العربية الموزعة مشغولة منهوكة القوى ، ولم تنل فلسطين من اهتمامها أكثر من بعض المظاهرات قامت في سوريا ، وبرقيات الاحتجاج من المهاجرين العرب في أمريكا .

واستدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها ، وجاءت بسرب يتكون من ١٣ طائرة تحلق في عنف وارهاب فوق الحرم القدسي ، حينما كان المسلمون يؤدون فريضة الجمعة في اليوم الأخير من شهر اغسطس (آب) ١٩٢٩ .

ويستمر الطغيان الانجليزي المصر- على تهويد فلسطين ، فيتعاون مع السلطات الفرنسية لتشدد قبضتها على حدود سوريا الفلسطينية حتى تمنع كل معونة محتملة ، وتسلط جيشها على العرب في «المسحة» فيستشهد منهم ٢٤ عربيا ليلة ٣ سبتمبر (أيلول ١٩٢٩)(٢) .

يفخر بذلك وزير المستعمرات فيعلن في مجلس العموم « أن حكومته استطاعت أن تقمع تجمعا عربيا حيث قتلت الطائرات البريطانية عددا كبيرا منهم ، ونشبت المعارك وامتدت الى القبائل العربية في النقب ، واعلن رسميا أن بريطانيا بدأت تسلح اليهود دفاعا عن مستعمراتهم » .

يقول كاتب عربي معاصر لهذه الأحداث : « ان الثورة استمرت خمسة عشر يوما ، قتل وجرح خلالها ٤٧٢ يهوديا وكانت ضحايا العرب ٣٣٨ بين جريح وقتيل(٣) » .

لقد كانت هذه الثورة العارمة التي خاضها الشعب العربي في فلسطين رد فعل للتحدي الصهيوني السافر ، وللخداع البريطاني المستمر، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم ، فما من معركة نشبت بين العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب ، ولقد تجاوزوا حد المعارك الى المهاجمة للبيوت العربية وتقتيل الأسر الآمنة والتمثيل بها .

(٢) برقية لرويتر من لندن في ٤ من سبتمبر ١٩٢٩ . جريدة الاهرام ٥ من سبتمبر ١٩٢٩
(٣) عيسى السفري ، فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، طبعة القدس ١٩٣٧ ، ص ١٦.

٢ ـ المندوب السامي يندد بالثوار العرب :

وجاء المندوب السامي تشانسلور عاجلا من لندن ، لم يسلك السبل الطبيعية في دراسة اسباب الاضطرابات والبحث عن علاجها ، فهو في غنى عن هذا ، وهو يعلم ان العلاج يتلخص في الحد من طغيان الصهيونية ، وتمكين العرب من الحفاظ على ديارهم واراضيهم ، ومقدساتهم ، وهو بالتالي يعلم أن هذا العلاج مستحيل ، فان وعد بالفور وصك الانتداب يدعوان ويعملان لغير هذا .

اذن فأولئك الذين ثاروا ضد اليهود مجرمون في تقديره ، وسرعان ما أعلن للعالم ان العرب كانوا وحوشا في قتالهم . وكان مما جاء في منشور المندوب السامي قوله :

« عدت من المملكة المتحدة فوجدت بمزيد الأسى أن البلاد في حالة اضطراب ، واصبحت فريسة لأعمال العنف غير المشروعة ، وقد راعني ما علمته من الأعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الأشرار سفاكي الدماء عديمي الرافة واعمال القتال الوحشية التي ارتكبت في أفراد من الشعب اليهودي ، خلوا من وسائل الدفاع بقطع النظر عن عمرهم ، وعما اذا كانوا ذكورا أو اناثا ، والتي صحبتها كما وقع في الخليل أعمال همجية لا توصف ، وحرق المزارع والمنازل في المدن وفي القرى ونهب وتدمير الأملاك .

ان هذه الجرائم انزلت على فاعليها لعنات جميع الشعوب المتمدنة في انحاء العالم قاطبة ، فواجبي الأول ان أعيد النظام الى نصابه في البلاد ، وان أوقع القصاص الصارم بأولئك الذين سوف يثبت عليهم أنهم ارتكبوا أعمال العنف ، وستتخذ جميع التدابير الضرورية لانجاز هاتين الغايتين » (٤) .

٣ ـ العرب يتحدون المندوب السامي :

وسرعان ما أصدر العرب ردهم القوي التالي :

« اطلع عرب فلسطين بدهشة عظيمة على منشور فخامتكم الصادر

---

(٤) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٢٢٣ .

في سبتمبر (ايلول) ١٩٢٩ ولم يكن احد منهم يتوقع أن يرى الحقائق التي عرفها القاصي والداني والتي اعترفت بها الحكومة وهي :

١ ـ ان أكثر اليهود كانوا مسلحين انفسهم .

٢ ـ ان الحكومة سلحت عددا منهم .

٣ ـ انه لم يوجد في قتلى اليهود أي تمثيل أو تشويه حتى في الخليل ، كما تؤيد هذا التصريح ادارة الصحة العامة البريطانية بفلسطين .

٤ ـ ان بعض قتلى العرب قد مثّل اليهود بهم .

٥ ـ ان جموع اليهود قد قتلت نساء واطفالا من العرب على انفراد .

٦ ـ أن اليهود هم الذين بدأوا قتل النساء والأطفال من العرب .

٧ ـ ان الجنود البريطانية النظامية قتلت النساء والأطفال والرجال من العرب في فراشهم في قرية صور باهر وغيرها .

٨ ـ ان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية انما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية ، التي ترمي الى افناء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها .

كل هذه الحقائق لم يكن أحد من العرب يتوقع اغفالها في منشور صادر على عجل وسابق لأوانه ، وتعلمون فخامتكم أن عرب فلسطين قد تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم ، وهم لا يترددون أن يتكبدوا أكثر من ذلك ، وكانت الجنود البريطانية تجدهم عزلا من السلاح عند أي ضربة تنزل بهم .

فاذا كان لم يزل ثمة عدالة يحق للعرب أن يطلبوا نصيبهم منها ، فهم يلحون بطلب اجراء تحقيق نزيه من أشخاص من خارج فلسطين ، لا يتأثرون أثناء قيامهم بواجبهم نحو العدالة بالنفوذ الصهيوني ، وأن التحقيقين اللذين اجريا في فلسطين في ظروف سابقة من قبل لجان بريطانية ، قد أظهرا للملأ مطالب العرب الحقة ومقاصدهم النبيلة ، كما أظهرا مصائبهم السياسية .

ان العرب يعتقدون كل الاعتقاد أن تحقيقات نزيهة كتلك ستروي للعالم حكاية حالهم الآن في هذه الاضطرابات الحاضرة ، رواية اكثر صدقا مما صورتموه للعالم في منشوركم الصادر ، قبل اعطاء العرب فرصة ليسمع صوتهم . ثم يقول البيان العربي :

وان مثل هذا المنشور كان ينبغي اصداره بعد اجراء التحقيقات التي ينشدها العرب ، وليس قبل اجرائها ، لذلك نحن نتأكد انكم لو أعدتم النظر في الحالة الحاضرة لتوصلتم الى حكم عادل(٥) .

رئيس اللجنة التنفيذية العربية
موسى كاظم الحسيني

الأمناء : مغنم الياس مغنم ـ عوني عبد الهادي ـ جمال الحسيني
في ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ.

لقد كان منشور المندوب السامي البريطاني ، منشورا سيء العبارة ، جارحا لشعور العرب ، متهما لهم بالوحشية وسفك الدماء ، ولهذا اصر العرب على وجوب اجراء تحقيق ليتضح اذا كان العرب قد مثلوا فعلا بقتلى اليهود في الخليل كما شاعت الصهيونية أن تشنع بهم عالميا .

وتحت ضغط الراي العام اضطرت بريطانيا الى ان تؤلف لجنة من ثلاثة أطباء كان احدهم بريطانيا والثاني يهوديا والثالث هو الدكتور العربي حسين الخالدي ، وقررت هذه اللجنة أنه لا يوجد تشويه ولا تمثيل في اي من القتلى اليهود الذين أخرجوا من قبورهم وعاينتهم اللجنة من جديد .

٤ ـ المندوب السامي ينكل بالعرب :

واستمر المندوب السامي البريطاني يعصف بالشعب العربي لثورته دفاعا عن وجوده ومقدساته ، فاعتقل مئات من الشباب وصدر الحكم باعدام ٢٠ عربيا (ونفذ فورا في الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي ـ وعطا الزير ـ ومحمد جمجوم) وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدا ، وحكم على ١٨٧ عربيا بالسجن بين ثلاثة أعوام و ١٥ عاما . وتنوعت الأحكام حتى بلغ عدد العرب المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيا ، وفرضت غرامة مالية على عدد من القرى العربية وحددت اقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية من فلسطين(٦) .

وهكذا أخذ عديد من شباب يافا مبعدين ، وحددت اقامتهم في الناصرة ، واخذت مجموعات من حيفا مبعدين الى صفد ، واخذت جماعات اخرى فأبعدت الى جنين ، وشرد الألوف من الشباب والرجال وحيل بينهم وبين مواصلة عملهم وحياتهم .

---

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

(٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٦٨ .

وتوالت أحكام الأعدام تصدر للارهاب دون شفقة ، على حين لم يدن يهودي بالاعدام في هذه الأحداث التي كانوا سببها باستثناء اليهودي خانكيز الذي كان شرطيا دخل بسلاحه فأباد أسرة عون العربية المكونة من سبعة أفراد ، على ان هذا اليهودي ايضا قد استبدل حكم اعدامه بالمؤبد ثم خفض الى خمسة عشر عاما ثم اطلق سراحه بعد قليل * واذاعت رويتر (٧) في السابع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني ١٩٢٩) ان محكمة حيفا ادانت تسعة من العرب بالاعدام وحكمت على اثنين آخرين بالسجن خمسة عشر عاما لاتهامهم بقتل أسرة يهودية ، كما نفذ حكم الأعدام فورا في ثلاثة من شباب فلسطين اظهروا من آيات البطولة والشجاعة ما قدسهم به الشعب واتخذهم مثلا للبطولة .

٥ ـ الأبطال الثلاثة :

حكم بالأعدام على فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم ، وتقرر يوم الثلاثاء السابع عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٠ موعدا لتنفيذ الحكم ، وتدخل رجالات العرب فأبرقوا الى صديقتهم بريطانيا العظمى ، ورفع التماس الى مجلس الملك الأعلى بلندن ، وبذلت كل المحاولات فذهبت جميعها ادراج الرياح .

وقد اظهر الثلاثة شجاعة بطولية جعلتهم مضرب الأمثال ، استوى في ذلك الشاب فؤاد حجازي الذي لم يتجاوز الأثنين والعشرين ربيعا ، ورفيقاه الآخران اللذان دخلا الحلقة الرابعة من العمر ، وحين ابلغوا بساعات التنفيذ وتاريخها ، وسمح لذويهم بزيارتهم لم يزدهم ذلك الا ايمانا ، قال فؤاد حجازي لزائريه « اذا كان اعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانجليز عن الأمة العربية الكريمة ، فليحل الأعدام في عشرات الألوف مثلنا لكي يزول هذا الكابوس عنا تماما .

وأمَّن الشهيد محمد جمجوم على قول رفيقه عطا الزير « نحمد الله على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن ، لا اولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم » ، وطلب هذان الشهيدان حناء خضبا بها أيديهما حسب عوائد أهل الخليل في أيامَ افراحهم . وتخاصم الثاني مع الاول عندما حانت ساعة اعدامه ، وأبى الا ان يسبق رفيقه الى شرب هذه الكأس رغم ان دوره كان الثالث وطلب ان تفك قيوده ، فلما رفض طلبه حطم السلاسل بقوة عضلاته ، وتقدم مبتسما بثبات الى المشنقة .

(*) من ملاحظات الاستاذ اكرم زعيتر تصحيحا للطبعة الاولى .

وقالت جريدة الزهور الحيفاوية تصف يوم الأعدام :

« لم تجتز فلسطين في أدوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو (حزيران) الرهيب لقد تصاعدت أصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمات ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتصاعد عويلها في البيوت ، وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد وانشدت الجماهير : « يا ظلام القبر خيم » وقد خيمت روعة الموت ، وسادت رهبة الموقف ، بينما وقف الجند يتبخترون ذهابا وايابا ، والمدفع معد ، والسيف مصلت ، والطيارات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كثب(٨) .

وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازي ، وفي الساعة التاسعة نفذ في الشهيد عطا الزير ، وفي الساعة العاشرة نفذ في الشهيد محمد جمجوم ، وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة والعاشرة ، ويملأ الفضاء بأصوات المؤذنين وقرعات اجراس الكنائس حزنا على الشهداء » .

وصف الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم طوقان ساعات التنفيذ الثلاث في قصيدة معبرة رددها طويلا أحرار فلسطين ، نقتطف منها هذه الأبيات :

الساعة الاولى

انا ساعة النفس الابيه … الفضل لي بالأسبقيه
انا بكر ساعات ثلاث … كلها رمز الحميه
قسما بروحك يا فؤاد … صعدت جوانحها زكيه
عاشت نفوس في سبيل … بلادها ذهبت ضحيه

الساعة الثانية

انا ساعة الموت المشرف … كل ذي فعل مجيد
بطلي يحطم قيده … رمزا لتحطيم القيود
قسما بروح محمد … تلقى الردى حلو الورود
قسما بأمك عند موتك … وهي تهتف بالنشيد
ما نال من خدم البلاد … اجلّ من أجر الشهيد

(٨) جريدة الزهور ، حيفا عدد ١٩ من يونيو ١٩٣٠ .

الساعة الثالثة

انا ساعة الرجل الصبور … انا ساعة القلب الكبير
بطلي أشد على لقاء الموت … من صم الصخور
يلقى الاله مخضب الكفين … في يوم النشور
قسما بروحك يا عطاء … وجنة الملك القدير
وصغارك الأشبال … تبكي الليث بالدمع الغزير
ما انقذ الوطن المفدى … غير صبار جسور

٦ ـ امعان في سياسة التنكيل :

لم تكتف السياسة البريطانية بالارهاب والابعاد وبالاعدام ، انها تتخذ كل أسلوب لارهاق الشعب العربي ، ومن تلك الأساليب ارهاق العرب اقتصاديا ، وفرض غرامات على القرى العربية المهيضة الجناح ، وكانت غرامات باهظة ثقيلة مفروضة على قرى أضعفتها الديون ، وأثقلت بالضرائب ، وهدتها الرهونات .

ونقب المندوب السامي عن يهودي قدير يكل اليه تحديد الغرامات على القرى العربية ، فاختار اليهودي البريطاني « ابرامسون » الذي انزل جام غضبه وحقده على القرى العربية ، مثقلا لها بالغرامات الفادحة ، قالت جريدة الشورى :

« أصدر المستر أبرامسون قرارات عديدة غرم بها مختلف القرى في فلسطين ، وكان آخرها ما فصلته برقية من القدس في ٢٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٢٩ من انه قدر الأضرار اللاحقة بمستعمرة بيار تعبيا اليهودية بالغرامات التالية التي فرضها على قضاء غزة :

ثلاثة آلاف جنيه على قرية بيت دارس ، ٣ آلاف جنيه على أسدود ، اربعمائة جنيه على برقا ، الف جنيه على ياسود ، الف جنيه على البطانة الغربي ، ثمانمائة جنيه على البطانة الشرقي ، ثمانمائة جنيه على سوافير شمالي ، الف جنيه على سوافير غربي ، اربعمائة جنيه على تل الطرس ، ستمائة جنيه على المغار .

آمر بعد موافقة المندوب السامي بفرض الغرامات المبينة أعلاه بوجه التكافل على دافعي الضرائب من أهالي القرى المذكورة (٩) .

ابرامسون

(٩) جريدة الشورى ، العدد ٣٠ شهر نوفمبر ١٩٢٩ .

واذا عدنا الى عامي ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ادركنا فداحة هذه الغرامات الكبيرة ، فقد كان الجنيه الواحد يمثل مبلغا كبيرا ، لا سيما في القرى العربية التي تعيش على زراعة الحبوب من الشعير والقمح ، وهي اذا استطاعت أن تستفيد من الأمطار وتضمن محصولا طيبا ، فانها عرضة للأوامر التي تستهدف صالح اليهود وحدهم .

وتستمر حملة ابرامسون اليهودية البريطانية تفرض الغرامات على مختلف القرى العربية ، وتشتد الوطأة على شعب فلسطين ، فكتب الأستاذ المجاهد محمد علي الطاهر رسالة الى ذلك البريطاني اليهودي في اسلوب يجمع الألم الى الجد والسخرية ، ويقول له :

« الى المستر ابرامسون ... أعاهدك يا حضرة المستر بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نعود نذكر جمال باشا وطغيانه ، وعبد الحميد واستبداده ، ولن نذكر بعد الآن الا المستر ابرامسون وغراماته . أعاهدك يا حضرة الحاكم بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نسبح الله قبل ذكرنا للوطن القومي ، ولن نصلي على رسول الله قبل ذكرنا لوعد بالفور .

لذلك ارجوك ان تطلق لقلمك العنان ، لينشر الأصفار ذات اليمين لا ذات اليسار ، ولن اتوسل اليك ان تدع عنك هذا النثر لاني متأكد انك وانت ترمي الأصفار الى اليمين تذكر انك تتحكم في حياتنا ... في حياتنا نحن فلاحي البلاد .

ولكن لي عندك رجاء ... رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا — وما اكثره — ان تعمل حسابا في اموالنا التي تريد ادخالها في جيوب جماعتك . بالله عليك اعمله وتوسط لنا عندهم من الآن ليقرضونا اياه بالربح الذي تراه لنتمكن من دفع ما غرمت(١٠) .

وكانت بريطانيا متخذة كل اسلوب ضار بالعرب ، فما كاد الفلاح في ذلك العام يتم حصاد زراعته حتى أوقفت حركة التصدير للخارج فهبط سعر الشعير ، وما كاد يتم حصاد القمح حتى ورّد اليهود الدقيق الاجنبي بكميات كبيرة فضرب المحصولات المحلية ضربة شديدة(١١) .

وتصور جريدة فلسطينية معاصرة احوال فلسطين فتقول :

« ان ادارة الأشغال بفلسطين انفقت في ٢١ شهرا نحو نصف مليون

(١٠) جريدة الشورى العدد الصادر في ٤ من ديسمبر ١٩٢٩ .
(١١) جريدة الشورى العدد الصادر في ١٠ من يوليو ١٩٢٩ .

من أموال اهالي فلسطين على عمال اليهود الغرباء العاطلين عن العمل .

نصف مليون جنيه ، وأي بطالة هذه ، بطالة العمال اليهود الذين جاءوا من آفاق العالم بالأغراء الى هذه البلاد ، يمتصون كالعلق دماء الشعب العربي الفقير البائس الذي لا يجد لقمة يتبلغ بها ، والذي أهلكته حكومة فلسطين وارهقته بالضرائب المختلفة وسيول القوانين ، حتى بارت زراعته وكسدت تجارته ، واصبح يبيع أرضه لأنه عجز عن استثمارها ، ودفع الضرائب المفروضة عليها .

الفلاح العربي البائس المعدم يضطر الى أن يبيع أرضه ، ليقدم ثمنها الى العامل اليهودي الجشع الذي اغرته بريطانيا واغراه زعماء الصهيونية على القدوم الى هذه البلاد الفقيرة ليجد فيها لبنا وعسلا ، وما هو واجد في الحقيقة الا دما ولحما ، هما دم هذا الشعب العربي المسكين ولحمه .

نصف مليون جنيه ، انه مبلغ هائل كانت تستطيع حكومة فلسطين لو كانت تنوي حقيقة اسعاد هذه البلاد او تضمر الخير لاهلها ، ان تنفقه على انشاء بنك زراعي يقرض الفلاح ويساعده على تحسين حاله وشئونه ، او على انشاء مدارس عالية تغني أهل فلسطين عن ارسال ابنائهم الى الخارج لتلقي العلوم العالية ، وعلى زيادة عدد المدارس الابتدائية ومدارس القرى التي ترفض في مفتتح كل عام مئات الطلاب بحجة عدم وجود أماكن ومقاعد لهم » * .

وموضوع الضرائب الذي يضطر العربي الى بيع أرضه كما يشير هذا المقال يمضي بالحديث الى بنوك التسليف والرهونات اليهودية التي شرعت بريطانيا من اجلها قانونا خطيرا يستهدف افقار العرب حتى يضطرهم أن يقترضوا بضمانة أرضهم تمهيدا لاستيلاء بنوك التسليف اليهودية على تلك الأراضي ، مما يحسن بنا اثبات بعض مواده هنا :

قانون مصارف التسليف :

« المادة ٧ : (١) على الرغم مما ورد في قانون الرهونات العثماني المؤرخ في اليوم الأول من ربيع ثاني ١٣٣١ هـ يجوز رهن حق الايجار في الأموال غير المنقولة ، لمدة تتجاوز خمس سنوات لمصرف تسليف ، على أن يراعى في ذلك اي اتفاق مثبت في عقد الايجار ، فيما يتعلق بالانتقال أو الرهن ، ويعقد هذا الرهن بمقتضى احكام القانون المذكور . كأن هذا الحق هو أموال

* جريدة الجامعة العربية ، القدس ، يوليو ١٩٢٩ .

غير منقولة حسب المعنى المقصود من ذلك القانون .

ويراعى في تحصيل دين المرتهن الحق المخول له بمقتضى هذا القانون ، او أي تشريع آخر اما بطريق البيع او خلافه بالمدى نفسه كرهن أي حق آخر في أموال غير منقولة .

(٢) تباشر الحقوق المخولة للمرتهن فيما يتعلق بالبيع او خلافه دون حاجة الى أخذ موافقة المؤجر .

المادة ١٠ : (١) على الرغم مما ورد في المادة ١٤ من قانون انتقال الأراضي يجوز بيع اي ارض ارتهنها مصرف تسليف ، سواء كانت واقعة في منطقة بلدية او في منطقة تنظيم مدن بأمر من مأمور الاجراء بلا أمر او قرار من المحكمة مع انذار المدين بالسداد قبل ثلاثة شهور من الاجل » (١٢) .

ومعلوم ان أولئك الذين اقترضوا بضمان اراضيهم لدى بنوك التسليف قد اتخذت كل الاجراءات الضامنة لافقارهم وكساد انتاجهم ، ولن يكون بامكانهم السداد الا ببيع تلك الأرض المرهونة التي اعتبرها القانون كأنها أموال غير منقولة .

٧ ـ لجنة شو ١٩٢٩ :

وعلى عادة بريطانيا في انتهاز سياسة المراوغة والخداع ، سارعت فأعلنت في مواجهة الثورة انها سترسل لجنة للتحقيق في أسباب هذه الثورة وعلاجها .

وجاءت الى فلسطين لجنة برلمانية تمثل الأحزاب الثلاثة ، يرأسها سير والترشو الذي كان قاضيا للقضاة البريطانيين في احدى المستعمرات ، وقد بدأت اللجنة عملها في أواخر اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٢٩ ، وعقدت ٤٧ جلسة علنية و ١١ جلسة سرية ، واستمعت الى ٦١٠ شهود من موظفين وعرب ويهود ، وقدمت تقريرها الى وزارة المستعمرات ، وكان من اهم ما جاء في تقرير تلك اللجنة :

« ان السبب الاساسي الذي لولاه في رأينا لما كانت الاضطرابات قد وقعت ، او لكانت عبارة عن فتنة محلية ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعور نشأ عن خيبة أمانيهم السياسية والوطنية ، وخوفهم

(١٢) مجموعة المناشير والقوانين الفلسطينية : الجامعة الامريكية ، بيروت رقم ٥٦٩ ـ ٣٤٩ .

على مستقبلهم الاقتصادي ، والشعور السائد اليوم يستند على خوف العرب المزدوج بأنهم سيحرمون من وسائل معيشتهم ، ويسيطر عليهم اليهود سياسيا يوما ما بسبب المهاجرة اليهودية وشراء الأراضي .

وادى هذا التفاعل في التظلمات السياسية والاقتصادية الى زيادة شعور الاستياء ، واصبح جميع الاهالي العرب خطوة فخطوة متحدين مع زعمائهم ، في مقاومة الوطن القومي اليهودي وفي طلب الحكم الذاتي .

واعيدت الى ذاكرتهم العهود التي قطعت لهم اثناء الحرب ، والمركز الدستوري الذي تتمتع به البلاد العربية الأخرى ، ودفعوا الى الاعتقاد بأنه بانشاء الحكم الذاتي في البلاد تخفض الضرائب ، وتقيد المهاجرة ان لم توقف ، وتؤمن لكل فلاح ملكيته في ارضه .

ونحن نعتقد ان شعور الاستياء الذي يسود الأهالي العرب والناشىء عن عجزهم المتواصل عن نيل اي قسط من الحكم الذاتي يزيد في خطورة مصاعب ومشاكل الادارة المحلية .

وترى اللجنة ان السير جون كامبل كان محقا بلا ريب عندما ذكر في تقريره ان أزمة سنتي ٢٧ ، ١٩٢٨ نشأت في الواقع بأن المهاجرين الذين قدموا البلاد كانوا اكثر مما تستطيع البلاد استيعابه » .

ثم تحدثت اللجنة عن مشكلة الأراضي العربية ، وطالبت بوضع ضمانة للعرب في أراضيهم ، ثم تحدثت عن الفلاح العربي قائلة (١٣) :

« الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصيا بالشئون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين ، ولا يستطيع من تجول في البلاد كما تجولنا ، وسمع اصوات الهتاف التي قاطعت عبارات كثيرة وردت في الخطب التي القاها رؤساء العرب والشيوخ ، ان يرتاب بأن القرويين والفلاحين على حد سواء يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا في نتائج سياسة انشاء الوطن القومي ، وفي مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ، ولهذا نرى ان الفلاحين العرب يهتمون في الأمور السياسية اكثر من كثير من اهالي اوربا .

انه من المحتم علينا ان نبدي ما يسود العرب في فلسطين من شعور واستياء من الحالة الحاضرة ، فبالرغم من انهم يؤلفون الاكثرية الكبرى من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين أن

(١٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٢٦ .

أقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معها ، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح تلك الأقلية فقط » .

هذه لجنة بريطانية ألفت تحت ضغط من ثورة العرب الصارمة عام ١٩٢٩ ورأت بريطانيا أن تكون مؤلفة من أعضاء برلمانيين يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة ، وأن يرأسها رجل من علماء القانون البريطاني هو « والترشو » ، وهذا هو تقريرها يقرع البريطانيين باللائمة ، على سياستهم تجاه العرب في فلسطين الذين أبعدوا عن حكم بلادهم وسياستها ، وقرّب بدلا عنهم ممثلين للاقلية اليهودية ، ويقرر أن ثورة العرب كانت بسبب شعورهم بالعداء لليهود المفروضين عليهم ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي وأن جميع العرب متحدون في دفع الخطر اليهودي ، وأنهم يهدفون الى حكم ذاتي يخفف عن كاهلهم الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، ويقيد الهجرة الخطيرة على وطنهم .

ان تقرير لجنة شو يشير بصراحة الى حاجة الفلاحين العرب لأن يؤمنوا في ملكيتهم لأرضهم ، وأن هؤلاء الفلاحين يهتمون بالامور السياسية أكثر من كثير من أهالي أوربا ، وفي هذا تلويح بما كانت تعمد اليه السياسة البريطانية من تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك ، ثم بيعها واهدائها الى المؤسسات أو الأفراد اليهود ، وهو اجراء سارت عليه بريطانيا في فلسطين طوال حكمها الكريه ، ونفذت به مخطط صك الانتداب المتحيز .

بل لقد أضافت بريطانيا مادة خاصة الى دستور فلسطين ، لتضفي شيئا من الشرعية البريطانية على فعلها ذلك ، وأنه لتعليل طريف ذلك الذي عمدت اليه بريطانيا حين قالت : « بما أن أحكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى أراضي ملك وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني، والمادة ٨ من قانون التصرف بالأموال غير المنقولة لعام ١٣٢٩ هـ ، وبما أنه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري في فلسطين لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور التي يجوز للمندوب السامي أن يحوّل بمرسوم يصدره أية أرض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف الملك (١٤) » .

ولقد نتج عن هذا حرمان الفلاحين العرب من أراض توارثوا استغلالها

---

(١٤) مجموعة المناشير والاوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ، دستور رقم ١ المسجل تحت رقم ٥٦٩ — ٣٤٩ .

قرونا طويلة ، ثم لعبت بها اليد البريطانية ، وأخرجوا منها قسرا وعنوه وسلمت الى الجمعيات اليهودية تحت أسم لجان التسوية أو بقرارات من المندوب السامي .

ورحب العرب بتقرير اللجنة برغم أنه كان أقل من طلباتهم ، وسرعان ما ألفوا وفدا من كبار رجالهم رحل فورا الى لندن ، وكان قوامه : موسى كاظم الحسيني ، وأمين الحسيني ، والفريد روك ، وراغب النشاشيبي ، وعوني عبد الهادي ، وجمال الحسيني .

ومن جديد قدم العرب الى رامزي مكدونالد زعيم حزب العمال ورئيس الوزارة البريطانية آنذاك مطالبهم الوطنية في ايقاف الهجرة اليهودية ، ومنع انتقال الأراضي وانشاء حكومة وطنية على أساس سكان البلاد ، ولكن جهود العرب الايجابية في لندن ذهبت كلها أدراج الرياح ، فقد صرح مكدونالد رئيس الوزراء بأن على بريطانيا التزاما مزدوجا نحو اليهود ونحو الجماعات غير اليهودية ، وأن بريطانيا لن تتأثر بالضغط والتهديد ، ولن تخالف صك الانتداب ، فأيقن العرب من جديد أن فكرة الحق والعدل ليست موجودة في قاموس فلسطين لدى بريطانيا ، وأذاعت دار المندوب السامي في ٣٠ مايو (أيار) سنة ١٩٣٠ « ان الدولة المنتدبة لم تقبل مطالب العرب الدستورية ، لأنها منافية لصك الانتداب ، غير أن الحكومة ستلجأ الى صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين ... وهي مصممة على عدم السماح باتباع سياسة تعرض تلك الطوائف للخطر ، ولهذا السبب ووفقا لاقتراح لجنة شو أوفد السير جون هوب سمبسون ليدرس مسائل الهجرة والاسكان والتنمية على الارض الفلسطينية نفسها ويرفع تقريرا عنها » .

وأوفدت بريطانيا سمبسون هذا ، ولم يكن ايفاده الا نوعا من سياسة اضاعة الوقت على العرب ، والاستمرار في سياسة التهويد ، اذ لم تكن بريطانيا تجهل حقيقة الأوضاع وطرق الاصلاح ، وليس بعيدا عنها تقرير اللجنتين السابقتين ، ولكنه استمرار في المخادعة والتضليل ، وكتب سمبسون الى حكومته التي كانت تصدر مراسيمها بالاستيلاء على الأرض واعتبارها ملكا حكوميا ، وتسلمها الى الجمعيات اليهودية ، كتب يقول :

« لقد أصبح أكثر من ٢٩ ٪ من العائلات العربية القروية دون أرض كما أن الأراضي الصالحة للزراعة لدى العرب لا تكفي لضمان معيشة السكان والمحافظة على مستوى المعيشة ، ونتيجة لسياسة الحكومة في موضوع الأراضي اضطر قسم كبير من الفلاحين الى أن يفقدوا عملهم

وارغموا على مغادرة اراضيهم ، ويرزح الفلاح العربي تحت عبء الديون ، مثقلا بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها ، الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق .

وقد تناقصت الأراضي التي يملكها الأفراد تناقصا مطرداً ، حتى اني سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول هذه النقطة ، وذلك أن بعض الأهالي اضطروا الى بيع أراضيهم ، اما لتسديد ديونهم ، أو لدفع ضرائب الحكومة او للحصول على ما يسد به رمق العائلة ، وعلى الحكومة حين تضع جدول العمال اليهود للهجرة الى فلسطين ان تدرس حقيقة البطالة بين العرب ، لا البطالة اليهودية وحدها(١٥) » .

واستغرب التقرير في مرارة أن يسمح لعمال يهود من ليتوانيا وبولونيا او اليمن ان يشغلوا عملا في فلسطين ، ما دام يوجد عمال قادرون على ذلك ، ولا يجدون لأنفسهم عملا ، لا سيما وأن اليهود يحرّمون بشدة عمل غير اليهودي فيما يستولون عليه من اراضي .

٨ ـ الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

تجمعت لدى الحكومة البريطانية آراء قيمة وقوية ، وجاءت كلها متساندة من لجنة سير والترشو ومن تقرير سير سامبسون ، وهي كلها آراء تنادي بوجوب وضع حد لهجرة اليهود ، وتأمين الفلاح العربي في ارضه ، واشعار العرب بأنه لا خطر على مستقبلهم ، واتاحة الفرصة امامهم لحكم بلادهم ، وعلى عادة بريطانيا اصدرت كتابها الأبيض في اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٣٠ معتمدا على تلك الآراء ، وموضحا مع ذلك أنه ليس في نية بريطانيا الاخلال بصك الانتداب ولا النكوص عن وعد بالفور ، ثم كرر نفس الفقرات المهمة لصالح اليهود والتي سبق أن وردت في الكتاب الأبيض الذي أصدره تشرشل عام ١٩٢٢ من ان اليهود حين يعودون الى فلسطين ليجعلوها مركزا يكون فيه لليهود اهتمام وفخر ، فان عودتهم تلك الى فلسطين تعتبر حقا لا منة .

وبعد أن يسهب الكتاب الأبيض في شرح مواد صك الانتداب ، وأغلبها وضع لصالح اليهود ، تتغير لهجته قليلا ويقول :

« ان سكان فلسطين على الاطلاق .. لا فئة منهم فحسب .. هم الذين يجب أن يكونوا موضع عناية الحكومة ، ان النص القائل باتخاذ

(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٩٥ ، ١٠٣ .

التدابير مع الوكالة اليهودية لاقامة او ادارة الأعمال والمصالح والمنافع العمومية هو نص اختياري فقط لا اجباري ، وليس من الجائز أن يتعارض مع مصلحة الأهالي المطلقة .

لقد حاول البعض أن يجادل تأييدا للادعاءات الصهيونية بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي الأساس الرئيسي لصك الانتداب ، وبأن الفقرات التي ترمي الى صيانة مصالح غير اليهود ، انما هي اعتبارات ثانوية تفيد نوعا ما يدعى بأنه القسم الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من أجله ، ان حكومة جلالته ما فتئت تعتبر أن من الخطأ الكلي فهم هذه الأحكام على هذا الوجه » .

ثم تحدث الكتاب الأبيض عن ثورة العرب فقال :

« ان الاضطرابات التي وقعت فيما مضى قد اخمدت فورا ، واتخذت تدابير خاصة لمعالجة اية حالة اضطرارية قد تنشأ في المستقبل

وقد قررت حكومة جلالته أن تحتفظ في فلسطين في الوقت الحاضر بفرقتين من المشاة وسربين من الطائرات ، واربع فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرق الأردن ، وقد زيدت فرقتا البوليس البريطاني والفلسطيني ، ووضع مشروع الدفاع عن المستعمرات اليهودية(١٦) » .

بعد أن تكلم الكتاب الابيض عن مشروعات المجالس والانتخابات التي اخفقت نظرا لمقاطعة العرب لها قال :

« ومما يذكر ان بريطانيا مسئولة بموجب صك الانتداب عن جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . وتأمل بريطانيا أن تنال معاونة السكان جميعا في فلسطين لتشكيل مجلس تشريعي ، وانها سوف تقمع كل محاولة يقوم بها اي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها » .

واعلن كتاب بريطانيا الأبيض :

« انه يعلن بكل حزم عدم وجود أراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ، باستثناء اراضي الوكالة اليهودية على سبيل الاحتياط ، وقد وجه فيما مضى انتقاد شديد بشأن الاراضي الاميرية القليلة المساحة التي وضعت تحت تصرف المزارعين اليهود ، الا أنه

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

من الخطأ ان يتبادر الى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحة شاسعة من الاراضي المحلولة ، التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود لاستعمارها ، ذلك أن مساحة الاراضي التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها ، فالحكومة تدعي مساحات كبيرة من الاراضي التي يتصرف فيهـا العرب في الواقع ويفلحونها ، غير انه حتى ـ ولو سلم بملكية الحكومة لها وملكيتهـا مختلف فيها في كثير من الاحوال ـ فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، بالنظر لوجودها في أيدي المزارعين العـرب ، ولضرورة ايجاد اراض اضافية اخرى لاسكان المزارعين مـن العرب الذين اصبحوا الآن بلا أراض » .

وبعد أن تكلم كتاب بريطانيا عن الفوائد التي جناها العرب من هجرة اليهود ، ومن مستعمراتهم يقول :

« ان نتيجـة الاستعمار اليهودي علـى الاهالي الحاليين تتأثر تأثرا كليا بالشروط التـي تمتلك الهيئات اليهودية المختلفـة بموجبها الأراضي وتستغلها وتؤجرها ، فقد نص دستور الوكالة اليهودية الموقـع في زيورخ « ١٤ أغسطس ١٩٢٩ » على أن الأراضي التـي تمتلك تعتبر ملك الشعب اليهودي ، وملكيتها غير قابلة للإنتقال ، وعلى وجوب مراعاة مبدأ تشغيل العمال اليهود في جميع الأشغال والمشاريع .

ويوجد أيضا تعهد يقضي على المستأجرين بأن يقوموا بجميع الأشغال المتعلقة بزراعة الأرض بواسطة العامـل اليهودي فقط ، وفرضت شروطا شديدة لتأمين مراعاة هذا التعهد ، وهناك تعهد يرتبط به اهالي مستعمرات السهل الساحلي يحتم استئجار العمـال اليهود فقط ، وجاء هذا الشرط أيضا في الاتفاقات الخاصة بمستعمرات مرج ابن عامر .

انه من الصعب ان تتفق هذه الاحكام الشديدة مـع التصريح الـذي ادلى به الصهيونيون عام ١٩٢١ في مؤتمرهم « مـن أن الشعب اليهـودي يرغب أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وأن يعمل بالاشتراك مع الشعب العربي على ترقية البـلاد المشتركـة بينهما ، بحيث تؤمن رفاهية كلا الشعبين ، ويستهدف اليهود بهذه الشروط التمكن من ادخال اكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد غـير ملاحظين أن بريطانيا ملزمة بعدم الحاق اي ضرر أو حيف بحقوق ومركز سائر طوائف الأهالي غير اليهود ...

لقد ابديت بيانات تحمل على الاعتقـاد بأن درجة البطالة بين العرب بلغت حدا خطرا ، وانها بين اليهود قد ادت الى نواح غير مرضية ، ولذلك

يجب الحكم على مقدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد ، بتفهم حالة فلسطين فيما يتعلق بالبطالة ، وكل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الأضرار بالسكان العرب في حصولهم علـى الأعمال يجب استنكاره » .

ثم يعترف الكتاب الأبيض بأنواع الهجرة المختلفة تلك التي طالما نفتها بريطانيا لدى كل احتجاج عربي ، فيقول :

« هنالك ناحية اخرى غير مرضية ، هي أن عددا كبيرا من المسافرين الذين يدخلون البلاد بالاستناد على اذن يخولهم الاقامة مدة محدودة يبقون في البلاد بدون موافقة ، ويقدر عدد الذين دخلوا من هذا الصنف في الثلاث سنوات الأخيرة ٧٨٠٠ شخصا ، ثم يلي ذلك ناحية خطيرة أخـرى ، هي عدد الذين يدخلون البلاد مجتنبين أماكن المراقبة على الحدود ...

لذلك فان بريطانيا تدعو العرب الى الاعتراف بحقائق الحالة ، والى التعاون للوصول بالبلاد الى رخاء ويسر ، يشمل جميع السكان . وبريطانيا ايضا تطلب الى زعماء اليهود أن يعترفوا بضرورة اجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلالية الانفصالية ، وأن يتمكن العرب واليهود من الرقي والتقدم بوفاق وقناعة(١٧) » .

* * *

نظر العرب الـى الكتاب الأبيض مـن زوايا تناوله لخطر الهجرة اليهودية وضرورة ايقافها ، والى أن الأراضي التي يشغلها العرب من الحق عدم حرمانهم منها ، وابعاد الفلاح عنها ، والى أن الوعد بوطن لليهود يسير الى جانبه الوعد بعدم الاضرار بغير اليهود من شعب فلسطين ، فأصدروا بيانا قانونيا وتاريخيا مهما وقالوا :

« ما دام الكتاب الأبيض يؤكد بكـل حزم أنـه لا توجد في فلسطين أراضي ميسورة للمزارعين الجدد من المهاجرين ، وما دام الوطن القومي اليهودي لا يؤسس بدون أرض وبدون رجال كما أعلن ذلك وايزمان فـي رسالته للمندوب السامي في ٢ مايو ، فلنا ان نقول بكل حزم انه لا يمكن التوفيق بين خلق وطن قومي لليهـود في فلسطين وعـدم الاضرار بالعرب فيها » .

وناقش البيان العربي تهرب بريطانيا من تأسيس حكومة في فلسطين

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .
وانظر ايضا : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٦٧ — ١٦٨ .

وفقا للمادة ٢٢ من صك الانتداب الذي يفرض وجود دولة منتدبة لحكومة منتدب عليها ، وأكد البيان العربي أن بريطانيا لم تنفذ الى الآن من مواد صك الانتداب الا القسم المتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودي .

ولم يغفل العرب عن حقيقة الأوضاع ، فأوضحوا أنه اذا كان من شأن الكتاب الأبيض أن يزيل بعض المخاوف ، ويعطي شيئا من الضمانات حول الأراضي ، والهجرة ، والبطالة ، وأن بريطانيا قد اكدت انها لن تحيد عن تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض بالضغط والتهديد ، ولن تعمل لصالح جماعة دون أخرى . فانهم يعرفون مقدرة اليهود في الدعايات الخادعة ، ويعرفون أيضا ضعف بريطانيا تجاه هذه الدعايات(١٨) ، ولم يرفض العرب الكتاب الأبيض وما تضمنه من تعديل في سياسة بريطانيا ، ولكنهم أعلنوا أن المهم ليس المبادىء والنصوص ، ولكن المهم تنفيذها ...

٩ ـ الكتاب الأسود :

ماذا يحدث عندما يحتد الخلاف في الرأي داخل الحزب الواحد ؟ ويعلن الرئيس رأيا معينا يخالفه فيه نائب الرئيس وأعوانه ، أن الذي يحدث هو أن ينسحب نائب الرئيس مستقيلا ، ويستقيل معه المؤيدون لرأيه ، ثم تقوم حملة من أنصاره تأييدا لموقفه في محاولة ليرضخ الرئيس من أجل الهدف المشترك .

وهذا ما حدث تماما في الموقف الذي أعقب الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٠ بين حكومة لندن والهيئات الصهيونية ، حدث ما أعطى صورة مكررة من ان الجميع يعملون في نطاق واحد ولمصلحة بينهما محددة مشتركة ، ففي اليوم التالي لاعلان الكتاب الأبيض ، استقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، واستقال خلفه عديد من الصهيونيين المعروفين ، وتحركت الصهيونية في أوربا وأمريكا ، وقامت المظاهرات في هذه البلدان تستنكر الكتاب الأبيض البريطاني وتؤيد الصهيوني الدكتور وايزمان ، وتسلمت عصبة الأمم سيلا من البرقيات من ٤٨ دولة حتى أن أحد أعضائها كان يتساءل هل نحن أمام مؤامرة عالمية(١٩) .

وأعلن تشرشل وسمطس وغيرهم من حماة الصهيونية معارضتهم

(١٨) المصدر السابق ص ١١٩ .
(١٩) المصدر السابق ص ١٤٠ .

للكتاب الابيض ، وقبل أن تمر عشرون يوما على الكتاب الأبيض الذي قبله العرب ، وحاربه اليهود ، وعلى التحديد في ٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٠ ، أعلن وزير المستعمرات في كتاب أرسله الى جريدة التيمس : « أنه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وأن هجرة العمال اليهود سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب » .

ولم يكن هذا الخطاب كافيا لليهود ، فأعلن رئيس الوزراء البريطاني في رسالة الى وايزمان الغاضب المستقيل ، ينسخ فيها أهم ما حواه الكتاب الأبيض ، ويتراجع عن الاتجاهات القليلة الطيبة فيه ، ويقدم للصهيونية ما يرضيها قائلا :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع حشد اليهود في أراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذها بدون الحاق ضرر بحقوق الفئات الاخرى بفلسطين .

وأن الحكومة لتقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الأميرية وغيرها الميسورة الآن ، والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة ، واعدادها لاستيطان اليهود ، وان الاجراءات التي تتخذ لمراقبة انتقال الاراضي يقصد منها تنظيم معاملات التملك لا منع ذلك ، **والكتاب الابيض لا يعني منع اليهود من امتلاك اراض جديدة ، ولا يتضمن مثل هذا المنع ، وليس في النية وضعه ، والمقصود هو عدم الاضرار بمشروع استعمار الاراضي المزمع انشاؤه .**

وان حكومة جلالته لم تقرر ، ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وسوف تستمر العادة المتبعة من حيث الموافقة على « جدول العمال » للمهاجرين الذين يدخلون البلاد للاكتساب بواسطة العمل ، وسينظر دائما الى الاعمال التي تقتضي عمالا من اليهود ، باعتبارها تقوم على رؤوس اموال يهودية ، وينظر ايضا بعين الاعتبار الى حصول اليهود على نصيب من الاعمال الميسورة على أساس ما يدفعه اليهود من الضرائب للخزانة ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في الا تستخدم سوى العمال اليهود ، وتتعهد ان تأخذ هذا الحق بعين الاعتبار عندما تحدد مقدار الهجرة وقوة استيعاب البلاد الاقتصادية (٢٠) » .

وسمى العرب هذا التصريح البريطاني الجديد بالكتاب الأسود ، ومن حقهم أن يسموه بذلك ، فقد رضخت بريطانيا وركعت على ركبتيها أمام

(٢٠) المصدر السابق ص ١٤١ — ١٤٣ .
وانظر ايضا : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٨٨ — ١٩٤ .

استقالة وايزمان ، وغضبة الصهيونية ، وتنكرت لما سبق ان نشرته على العالم قبل أيام ليست بعيدة ، من اعترافها بتضرر العرب من الهجرة اليهودية وانتشار البطالة بينهم ، وعدم استيعاب الأراضي للمهاجرين ، واستحالة اخراج الفلاحين العرب من اراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية .

وجاءت في تصريحها الجديد تعد اليهود وتسترضيهم وتتملقهم ، وتنكر انها فكرت في ايقاف سيل هجرتهم ، وتعد بتدبير الأراضي الأميرية وغيرها لهم ، وهي الأراضي الكثيرة التي لم تسجل ملكيتها وبقيت مشاعة بين العرب ، فأخرجتهم منها بريطانيا بقوة الحديد والنار ، وسلمتها للمهاجرين والمزارعين اليهود .

١٠ ـ مقارنة لوعود بريطانيا المتناقضة :

كم هي عميقة تلك الخطة التي تسلكها بريطانيا محاطة بالكذب والتضليل والخداع في سبيل حرب الأمة العربية .

قال الكتاب الأبيض البريطاني في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ :

« انه من الخطأ ان يتبادر الى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحات شاسعة من الأراضي المحلولة التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود واستعمالها ... والحكومة تدعي بمساحات كبيرة من الأراضي التي يتصرف فيها العرب واقعيا ويفلحونها ، غير انه حتى ولو سلم بملكية الحكومة لها فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، نظرا لوجودها في ايدي المزارعين العرب ، ولضرورة ايجاد اراض اضافية اخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين اصبحوا الآن بلا أرض » .

وقال التصريح الجديد في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ الذي أسماه العرب الكتاب الأسود :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية ووجوب حشد اليهود في اراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذه دون الحاق ضرر بغير اليهود » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الأبيض في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ :

« كل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الاضرار بالسكان العرب في حصولهم على الاعمال يجب استنكاره » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الأسود نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ :

« ان حكومة جلالته لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في ألا تستخدم سوى العمال اليهود » .

وقالت بريطانيا في كتابها الأبيض أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ :

« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود اراض في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين اليهود الجدد باستثناء اراضي الوكالة اليهودية التي هي على سبيل الاحتياط » .

وقالت بريطانيا في كتابها الأسود الخنوع في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ :

« ان الحكومة تقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الأميرية وغير الأميرية الآن والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة واعدادها لاستيطان اليهود » .

تم كل هذا التناقض في السياسة والمجاهرة بالأغاليط في زمن حكومة العمال البريطانية التي يرأسها رامزي مكدونالد ، ويتولى وزارة المستعمرات فيها باسفيلد من أشهر رجال بريطانيا وعلمائها ، وكان ماكدونالد يعتد ويفخر بأنه ليس خاضعا للصهيونية ، وانه شديد المراس قويه .

وحين كان الوفد العربي في لندن عام ١٩٣٠ صارحه مفتي فلسطين السيد محمد أمين الحسيني قائلا :

« لقد دلت التجارب على أن كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريده اليهود لا ينفذ ، وان كان التقرير في صالح اليهود نفذ فورا ، والدليل على هذا ازماعكم ارسال لجنة سمبسون ، ولما يجف مداد لجنة شو ، واننا لنخشى ان يؤثر اليهود على أعضائها » .

وقال ماكدونالد :

« ان هذه اللجنة فنية لبحث شئون الأراضي ومقدار استيعابها » .

وقال مازحا :

« لا يستطيع اليهود أن يؤثروا على السير سمبسون مطلقا فهو انجليزي أصيل مثلي[٢١] » .

(٢١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٣٩ ، وحقائق عن قضية فلسطين ص ٤٢ و ٤٣

وتبين وجه الزور في حديث ماكدونالد ، فمسح بنفسه سطور الكتاب الابيض، وكذب علنا وعالميا راضخا لليهود ، وقبل أن يمر شهر أو نحو شهر على الكتاب الابيض ، ولم ينج وهو « الانجليزي الاصيل » (كما صرح) من الهوان والرضوخ ، وأما الوزير العالم باسفيلد فقد حاربه اليهود في بلاده ، واستقال من الوزارة ، ولم يظهر منذ ذلك الحين على المسرح السياسي أبدا(٢٢) .

***

ها قد مضى أكثر من ثلاثة عشر عاما على دخول الجيوش البريطانية الى فلسطين عام ١٩١٧ ، والفلسطينيون يتجرعون كل يوم كأسا جديدة مليئة بالآلام والأحزان . وما من لجنة بريطانية الا رأت وجه الحق ظاهرا في صالح العرب ، وانصفتهم وأنحت باللائمة على نظم حكومتها .

ولكن بريطانيا برغم اللجان العديدة التي أرسلتها الواحدة تلو الأخرى ، وبرغم اعلانها في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أنها سوف تنفذ محتوياته بحزم مهما كانت المعارضة ، برغم كل هذا فقد كانت تنعقد نية الخلف في ضميرها ، قبل أن يجري لفظ الوعد للعرب على لسانها ، وكانت تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفتها بريطانيا خالية من السكان، وهي تفتح أبوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها .

والشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركه غير متكافئة ، يبعث بوفوده الى لندن ويقابل ويفاوض ويقدم احتجاجاته الى جمعية الأمم ، ويتظاهر في الداخل ، ويثور ويفقد الضحايا مئات وراء مئات ، ويقاتل اليهود الذين تسلحهم بريطانيا رسميا وهو أعزل الا من قطع من السلاح قليلة وقديمة مخلفة عن الحرب أو متسربة بصعوبة وقلة وندرة .

وجيرانه ، بل اخوته العرب في شغل عنه شاغل ، لكل منهم مشكلة يعانيها ، والرأي العام العالمي لا يعنى بالعرب الفلسطينيين ، وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود ، وصحافة العالم مسيرة لهم ، او مجاملة لحكومتها المتآمرة مع الصهيونية ، والشعوب تتأثر بأجهزة اعلامها المختلفة ، أو بآراء أحزابها وقادة الرأي فيها ، وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف تسابقت الدول الأوربية الى تأييد وعد بالفور ، وخلق وطن قومي لليهود في فلسطين وشايعتها في ذلك صحافتها الا قليلا ، وخطب قادة رأيها ، فنادوا بوجوب تهويد فلسطين ، ويكفي أن الأحزاب

(٢٢) المؤامرة الكبرى ، ص ٧٨ .

البريطانية الثلاثة مجمعة على ذلك برغم الخلف بينها في برامجها العامة ، والتنافس بين رؤوسها ومحركيها .

ويتضح نفس الموقف لدى الحزبين الأمريكيين حتى أن الكونجرس الأمريكي أصدر قرارا اجماعيا ، يؤيد به خلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وهكذا صدم الشعب العربي في فلسطين بخطاب ماكدونالد الى وايزمان الذي اعتبر سحبا للكتاب الأبيض .

١١ — المؤتمر الاسلامي في القدس ١٩٣١ :

وجاشت خواطر الشعب الفلسطيني ، فقامت مظاهراته في كل صقع من أصقاعه ، تدعو الى التسليح والى توجيه الثورة ضد الانجليز باعتبارهم المسئولين أولا عن أحداث فلسطين ، وهكذا تنادى الخطباء وهاجم الجند المتظاهرين وسقط مئات من الجرحى ، واكتظت السجون بالمعتقلين العرب، وتلفت الفلسطينيون الذين خاب أملهم في الرأي العام باوربا وأمريكا ، تلفتوا الى اخوانهم في الجنس والدين وتنادوا الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس .

ان القدس تمثل القبلة الاولى للاسلام وهي مسرى الرسول العربي محمد العظيم عليه الصلاة والسلام ، وفيها ثالث الحرمين الشريفين ، وفي بطاح فلسطين مئات من صحابة الرسول الكريم ، وفي ثغورها وعلى هضابها ذهب مئات الالاف من سكانها صرعى تحت سلاح الصليبيين وهجماتهم ، اذن فلتكن الدعوة الى المؤتمر الاسلامي عسى أن تكون فيه القوة التي تحسب لها بريطانيا حسابها ، لا سيما وان أكثر مستعمراتها مسكونة بالمسلمين .

وفي ليلة الاسراء والمعراج في الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١ ، انعقد المؤتمر الاسلامي الذي شهده مندوبون عن أكثر من اثنين وعشرين قطرا ، واسهم فيه عديد من كبار المفكرين والزعماء ، وأصدر قرارات مهمة دعا فيها العالم الاسلامي الى مقاطعة البضائع الصهيونية ، ونادى بوجوب وقف الهجرة اليهودية ، وقرر انشاء جامعة اسلامية في القدس ، وانشاء شركة زراعية لانقاذ أراضي فلسطين والحيلولة دون استيلاء اليهود عليها .

غير أن هذا المؤتمر الذي نجح في صوغ القرارات واحداث صدى لها

مسموع في العالم ، لم يستطع ان يخلق لها الأثر العملي ، فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء هم المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين .

وما كان ممكنا انشاء جامعة كبرى تنافس الجامعة العبرية في القدس، ولا كان ممكنا انشاء شركة زراعية تحافظ على أراضي العرب ، الا بقوة مالية تسند العرب في مشروعهم ، والا بقوة من الحكومة توافق على استعمال ذلك المال .

وذهب وفد فلسطيني يجوب العالم الاسلامي ، ويقنع زعماءه بالخطر على المقدسات الاسلامية والوجود الاسلامي ، في أرض مسرى الرسول ، واستجاب المسلمون لهذه الدعوة ، وتسابقوا يسجلون اكتتابهم بمبالغ كبيرة في انحاء الهند الشاسعة ، ولكن بريطانيا تكتب من لندن الى حكومة الهند بوجوب عرقلة هذه المساعي ومنع تحويل الأموال(٢٣) .

ان فكرة جمع الأموال من العالم الاسلامي فكرة هزت بريطانيا واقلقتها ، فان انشاء جامعة في القدس تهيىء لشباب فلسطين سبيل العلم في بلادهم دون حاجة الى الاغتراب ، وسيطرة بريطانيا على التعليم سيطرة كانت تستهدف نوايا معينة ليست في صالح العرب ، على حين هي تعطي لليهود حرية التعليم في مدارسهم وبرامجهم التعليمية ، وهم يقيمون جامعة عبرية في القدس منذ عام ١٩٢١ يضع تشرشل حجر أساسها ويباركها ، واذا اسس العرب جامعة لهم في القدس ، كان معنى هذا أن النهضة التعليمية العربية لا تقل عن النهضة اليهودية ، وهو امر تحاربه بريطانيا في برامجها السرية والعلنية، ويختلف عن المفهوم العام لوعد بريطانيا البلفوري في خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

وان انشاء شركة زراعية عربية تمول بأموال الأغنياء من مسلمي العالم ، سوف يكون عملا شبيها بالجمعيات اليهودية التي تتمول ماليا من يهود العالم كله ، وتمدهم بالملايين من أوربا وامريكا ، ولكن الأموال اليهودية تجد في رحاب القوانين البريطانية بفلسطين متسعا وترحيبا فتباع لها الأراضي الميسرة تحت اشراف الحكومة ، وتباع لها الأراضي الحكومية، وتصادر أنواع أخرى(٢٤) ، بمراسيم من المندوب السامي وتعطى للوكالات

(٢٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ١٣٩ .

(٢٤) راجع فصل الارض في أواخر هذا الكتاب .

اليهودية باعتبار ذلك يتفق مع المنفعة العامة حسب التعابير التي تتردد في تلك المراسيم .

واذا أسست شركة زراعية عربية توافرت لها القدرة المالية ونافست في شراء الأراضي التي تعلنها الحكومة أو التي يضطر اصحابها العرب لبيعها تحت وطأة قوانين بريطانيا التي نددت بها نفس اللجان البريطانية ، اذا أسست هذه الشركة كان معنى هذا أن اليهود لن يجدوا كل شيء ميسرا لهم في التملك والانشاء والانماء ، ولهذا حاربت بريطانيا جمع المال المسلم لفلسطين ، ومنعت تحويل الأموال ، وأصدرت أوامرها الى حكومة الهند لمنع تحويل المال الى فلسطين .

كان وفد المؤتمر الاسلامي الى الهند يتكون من عدد كبير من زعماء العرب المخلصين ومن بينهم مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني ، والزعيم المصري المعروف المرحوم محمد علي علوبة وشاعر الاسلام الهندي الكبير محمد اقبال ، وسرعان ما تبرع نظام حيدراباد بمليون روبية ، وتبرع سلطان البهرة وبعض أتباعه بنصف مليون ، وتعهد أمير بهوبال بأموال كبيرة، ولكن سكرتير اللجنة الاسلامية في الهند فيروز خان نون الذي كان يومئذ وزير معارف البنجاب اطلع على تعليمات واردة من حكومة لندن الى المدعو ونجتون نائب الملك في الهند ، تطلب اليه أن يعامل وفد المؤتمر الاسلامي بالاحترام ، وأن يحال بجميع الوسائل دون نجاح مهمته ، لأن من شأن نجاحه أن يعرقل سياسة حكومة جلالته في فلسطين(٢٥) .

وبالفعل منع الانجليز خروج الأموال من الهند ، واحبطوا مهمة الوفد ، وبهذا لم تنجح فكرة مؤتمر العالم الاسلامي الذي انعقد في فلسطين، لم تنجح حتى في مقاطعة البضائع اليهودية لدى المسلمين ، فلم يقف سيل التصدير من الشركات اليهودية في فلسطين ، ومن البيوت الصهيونية في العالم الى مختلف انحاء العالم الاسلامي ، الذي كان محكوما ببريطانيا وفرنسا وايطاليا ، ولم يكن لسكانه من رأي في منع التصدير الا بمقدار ما لهم من حكم بلادهم وهو قدر ضئيل تولاه التافهون في أغلب الاحوال .

١٢ — تقتير العرب وبذل اليهود :

على أنه من الصدق ان لا نبرىء أنفسنا من الشح وعدم الاكتراث ، فان اجراءات الانجليز ليست وحدها التي حالت دون تقوية أهل فلسطين

(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

ماديا ، بل كان الموقف العربي العام يسهم كثيرا في ذلك الضعف والفقر والعوز .

لقد كان عرب فلسطين يأملون العون من اخوانهم القريبين ، وكان فيهم أغنياء عديدون وملوك أثرياء وأصحاب أقطاع ومزارع .

ولطالما صدرت نداءات مؤثرة من فلسطين تستنهض الهمم وتطلب القوة والعون ، ولكن شعوب العرب كانت تقابل تلك الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ، فيتكرم القليل بارسال البرقيات ، ولربما خرجت مظاهرة صاخبة في دمشق أو بيروت ، وحين تبدأ الاكتتابات لا يزيد حجم التبرع عن فتات قليل لا يسمن ولا يغني من جوع .

أذاع عرب فلسطين بيانات عديدة أثناء أحداث عام ٢٩ ، ١٩٣٠ جاء فيها :

« أن اللجنة العليا لاعانة المنكوبين تواجه الصعاب الشداد في أداء مهمتها التي لم تنته بعد ، لا يزال في السجون عدد عظيم تركوا وراءهم اطفالهم ونساءهم بدون عائل ، وهنالك عدد كبير من القضايا بين يدي القضاء في حاجة الى العناية والانفاق ، وعدد كثير من الجرحى لم يستعيدوا قواهم ، ولم يستطيعوا الرجوع الى أعمالهم ، هذا عدا عما هناك من أيتام الشهداء ، وارامل الذين هم في أشد الحاجة الى الاستمرار في العناية بهم وسد رمقهم ، لذلك فاللجنة تعود وقد نفد ما لديها فتدعو كل كريم محسن الى مد يده الكريمة لتخفيف النكبة وسد العوز(٢٦) » .

لكن هذه النداءات كانت تنشر لا ليتحمس العرب ، بل ليتحمس اليهود ، فيسخوا بالاموال الكبيرة والآلاف الكثيرة ، فيعلن اليهودي أسحق رئيس الجمعية الصهيونية في الكاب انه تبرع بألف جنيه للجامعة العبرية في القدس .

ويكتب الأمير المجاهد المرحوم شكيب أرسلان منددا بموقف العرب والمسلمين وبخلهم ازاء نكبة الأرض المقدسة ، مقارنا بين مجموع التبرعات التي احصاها واصلة فلسطين من جميع المهتمين بها ، فكانت ثلاثة عشر ألف جنيه ، وبين النشرة الصهيونية التي تحصي تبرعات اليهود الى منكوبيهم في نفس الثورة ، فكانت أكثر من مليون جنيه ، ولا يشمل هذا المبلغ الملايين الأخرى الخاصة بالمشروعات الاقتصادية المختلفة التي

(٢٦) جريدة الشورى العدد ١٧ من يوليو ١٩٢٩ .

تنفقها الصهيونية هنالك (٢٧) .

وعلى الرغم من تلك النداءات المؤثرة الحزينة التي كانت تذيعها اللجنة العليا لفلسطين ، فان آذان حكامهم وأغنيائهم كانت مقفلة صماء ، وحين يحرجون فيتبرعون لا ترقى تبرعاتهم الى مستوى الاحداث، ولا تمثل الا نقطة ماء أمام سدود اليهود المحصنة .

كان احد ملوك العرب يمثل في بلاده الملك والوزير والحاكم ،والمحافظ وجابي المال ، وكان شعبه ملزما بتقديم الزكاة والاعشار والضرائب اليه ، فكان هو المحاسب ، وكانت ميزانية بلاده تحت يده يصرفها ويتصرف بها كما يشاء ، وتقدم خطوة ليشارك في التبرع لفلسطين فلم يزد تبرعه عن ثلاثمائة جنيه ، وحرص على أن تنشر في الصحف كما لو كانت الملايين التي توسع ضائقة العرب (٢٨) .

وتنشر الصحف قوائم من التبرعات لاعانة منكوبي فلسطين وفيها حماة المسجد الأقصى ، فتأتي مجموعة من مختلف الوطن العربي والاسلامي فلا تصل كلها نصف الالف ، ولننشر لذلك مثلا :

« نشر في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٠ كشف من أربعة أقطار مختلفة ، واشترك في كل قطر عديد من المتبرعين ، فكان المجموع واحدا وثلاثين جنيها ، وسبعة مليمات ونصف مليم اضيف الى مجموع سابق كانت قد جمعته جريدة الشورى ، فلم يزد الكل عن مائة وستين جنيها وثلاثة وسبعين قرشا ونصف قرش (٢٩) .

على أن الصهيونيين لم يحتاجوا يوما الى المال ، فهم أصحابه يجمعونه بكل الوسائل، ومن جميع بلاد العالم بما فيذلك الوطنالعربي ، ولقد نشرت المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في مصر أن يهود القاهرة ارسلوا ابان احتلال الانجليز ثلاثة آلاف جنيه تبرعا الى يهود يافا ، وذكرت أن يهود امريكا تبرعوا في عام واحد مجرد دخول اللنبي القدس بمبلغ مليوني جنيه للصهيونية في فلسطين ، كما تبرع روزلد جليوس من شيكاغو لليهود بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه .

وحين تضرر المسجد الأقصى ، وتألفت لجنة عليا في القاهرة لاعادة

(٢٧) الامير شكيب ارسلان ، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ، وانظر ايضا : حقائق عن قضية فلسطين ، ص ١٦١ .

(٢٨) كتب وكيله خبرا بذلك التبرع في جريدة الشورى القاهرية عام ١٩٣٠ .

(٢٩) جريدة الاهرام العدد ٣ فبراير ١٩١٨ .

عمارته . لم تزد التبرعات عن عدد قليل من الافراد ولم تتجاوز بضعة آلاف من الجنيهات ، ولم يجد كبار القوم من أصحاب الثروات والألقاب المفخمة مانعا من أن يتبرع أحدهم بمبالغ صغيرة لا تزيد عن العشرة أو العشرين جنيها .

بل كان التجار اليهود يعملون بحرية وقدرة ونشاط في جميع أنحاء العالمين العربي والاسلامي ، فهم في لبنان محميون بقوانين فرنسا وقد تجاوزوا التجارة فيه الى الاشراف على نظام الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وحين اكتشفت الجبهة اليهودية التي تتخذ بيروت مركزا لتسريب اليهود الى فلسطين ، غضب العرب اللبنانيون ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أكثر من الألم الدفين ينفثون آهاته في سكون ...

وهم في مصر يتمركزون في أهم البيوتات المالية ، لهم الكلمة العليا ، **وبيدهم الحول والطول ، فشيكوريل وبنزايون وقطاوي ومزراحي وهانو يتصرفون في المال والتجارة بحرية كما لو كانوا في ارضهم** وبلادهم ، وكان جاتينيو وفلكس دانا ومانيو اسرائيل وسلفاجوربعبيس وكوري ودافير محرز وليفرا وشاربيقشو وموصيري وجوزيف ليفي وأوفاديا.سالم وروفيه وجرسين يتحكمون في البورصة وتجارة القطن والبصل وشركاته والمقاولات ويتصرفون في الاقتصاد المصري كما لو كانوا أسياده وحماته (٣٠) .

وفي شمال أفريقيا بأقطارها الاربعة ليبيا وتونس والجزائر ومراكش. كان اليهود يتحكمون في تجارة السكر والدقيق والصوف ويتعاونون مع دول الاستعمار مترجمين وعملاء وجواسيس .

وفي العراق أستمر نشاط الصهيونية التجاري يسيطر مدة طويلة على تجارة العراق الخارجية في تصديره واستيراده .

ومن حصيلة نشاطهم في العالم العربي كانت تجمع أعاناتهم لليهود في فلسطين كما كان اليهود في بقية أرجاء العالم يجمعون الملايين لصالح مشروعاتهم في فلسطين . وتعتقل فرنسا لجنة التبرعات لفلسطين بالجزائر على حين يجمع العون لليهود تحت حمايتها علنا(٣١) .

ولم يكن اليهود في العالم العربي يحسبون لشعوبه حسابا ، ولقد بلغ من استهانتهم أن نشروا في مصر انهم جمعوا لصالح الصهيونية آلاف

(٣٠) فتحي الرملي ، الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ـ القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١١٧ .

(٣١) جريدة الشورى العدد الصادر في ٢٥ من اغسطس سنة ١٩٣٧ .

الجنيهات ، ونشرت **الأهرام** ذلك دون أن تثير اهتمام احد ، فقد كان الجميع مشغولا بنكبات الانجليز ، أما الأغنياء وكانوا مجموعة كبرى غارقة في خير مصر فهم في شغل شاغل من لهوهم وعبثهم عن أن يفكروا في مستقبل الشعب الفلسطيني الذي يواجه وحده صراعا خطيرا ضد الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية .

لقد أستنجد شعب فلسطين بالعالم العربى حين أتضح أن ثورته عامي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ خلفت أسرا فقدت أربابها ، واطفالا مشردين وعائلات دون مأوى هدم الانجليز بيوتها وأحرق جنودهم مزارعها .

وحين يتحدث اليوم بعض السطحيين العرب فيكيلون اللوم لشعب فلسطين مدّعين أنه لم يحافظ على أرضه ، يتناسون **عن عمد او عن جهل** أن المال العربي أو الثروة العربية لم تتحرك من عالمنا يومئذ لتقف في صف الفلاح العربي الذي حرمته بريطانيا أرضه ، فاعتبرتها أرضا حكومية، تحت نظم التسوية التي أبتكرتها ، ولم يتحرك يومئذ ليساعد الفلاح الذي أثقلته بريطانيا بالضرائب واضطرته للبيع أمام ملايين اليهود وسداد الديون (٣٢) .

١٣ ـ تقريرا جونسون وفرانش :

ما من مرة تستشعر بريطانيا حركة مهمة تدب بين العرب الفلسطينيين الا عمدت الى سلاحها التاريخي في المماطلة والتخدير والمغالطة ، ولعل النفوس الهائجة والاعصاب المتوترة وحالة القلق التي كانت بادية في فلسطين في عامي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ هي التي دفعت المندوب السامي البريطاني تشانسلور الى تعيين لجنة جديدة من موظفي حكومة فلسطين ، وعين لها المستر جونسون نائب مدير المالية رئيسا لها .

وككل لجنة عينت للتحقيق في أحوال فلسطين أصدرت لجنة جونسون تقريرها موضحة الاثقال الخطيرة التي يئن تحتها الفلاح العربي ، ولا سيما تلك الضرائب الفادحة التي أوصلت المزارع العربي الى حالة من الفقر خطيرة .

وأعلن التقرير في وضوح مسئولية الحكومة عن مساعدة الفلاح الذي زاد شقاؤه عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩ بالمئة الى ٣٣ بالمئة ، وفضحت هذه اللجنة البرنامج الحكومي الذي استهدف في

(٣٢) تقرير مستر فرانش ، الخبير البريطاني عام ١٩٣٨ ، ص ٣٧ .

فلسطين خلق وضع يحمي الانتاج اليهودي ، فيمنع استيراد كل ما يمكن ان تنتجه المصانع اليهودية ، على حين ترك باب التجارة مفتوحا بالنسبة الى الانتاج العربي ، فمن حق اليهود أن يستوردوا القمح والشعير كلما شاءوا ذلك ، مهما كان هذا الاستيراد ضارا بمصالح العرب مفلسا لهم ، وليس للعرب أن يستوردوا شيئا من تلك الأشياء التي ينتجها اليهود في فلسطين .

وذهب تقرير جونسون أدراج الرياح ، كما ذهب كل تقرير مماثل ينصف العرب ، ولكن بريطانيا لا تمل هذه السياسة التسويفية المعرقلة ، فكلفت من جديد المستر لويس فرنشي لدراسة الوسائل الكفيلة لتنفيذ مشروعات التنمية ، وكان ذلك في صيف ١٩٣١ ، ونشر فرنشي تقريرا مهما انحى فيه هو أيضا باللائمة على بريطانيا وقال :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم » .

وأضاف فرنشي الذي كان يعتقد أن حكومته صادقة في تكليفه للبحث عن الحقيقة ، أضاف يقول :

« يجب على الحكومة المنتدبة أن تعمل بجد في الحال على ايقاف انتقال الاراضي للصهيونية ، ففي أنجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الانجليز ، وأذا كنا نريد أن نحفظ وان نحمي حقوق الاغنياء وأصحاب النفوذ اليهود ، فمن باب أولى يجب علينا حفظ وحماية حقوق الضعفاء والفقراء ، وبديهي أن خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي هو أن نحفظ له أرضه من الغاصبين ، ولقد عرض كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة المطالبة ، أراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربقة هذه الديون » (٣٣) .

ولم تكن تلك الديون التي يعنيها فرنشي الا المبالغ التي أضطرت السياسة البريطانية الفلاح العربي الى أن يستدينها في سبيل اصلاح أرضه وزراعتها ، ثم كسدت محصولاته تحت تأثير اللوائح والقوانين البريطانية، فوجد الفلاح نفسه مدينا مطالبا منهار الاقتصاد وواهن القوى .

---

(٣٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٨ .

١٤ ـ اصوات الحق العربي لا تسمع في بريطانيا :

باءت بالفشل كل تلك المحاولات التي بذلها الشعب العربي في فلسطين، من ارسال للوفود تعبر الأجواء الى لندن، تفاوض حكومتها وتحدث صحافييها، وتباحث اعضاء مجالسها ، وتظهر لهم وجه الحق ، وتستنهض هممهم للوقوف الى جانب العدالة العربية في فلسطين، وتسربت الى الهواء وأهملت كل تلك التقارير التي دبجتها اللجان العديدة، وأوضحت فيها ظلامة العرب على تعاقب السنين .

أهمل تقرير اللجنة الامريكية التي جاءت الى فلسطين عام ١٩١٩ ، وبعد جولة كبيرة اعلنت في وضوح ان اخضاع شعب لهجرة يهودية غير محدودة ، ولضغط اقتصادي واجتماعي من شأنه أن يجبره على تسليم البلاد ، يعتبر خرقا صريحا لمبدأ ويلسون الذي اعلن في الرابع من يوليو (تموز) ١٩١٨ الذي ينص على ضرورة تسوية كل قضية على أساس قبول السكان لتلك التسوية ، بحرية لا اساس فيها للمصلحة المادية لشعب مراعاة لنفوذه الخارجي ، ثم أن ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين أمر لا يمكن أن ينظر اليه نظرة جدية، ولذلك يجب أن يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية (٣٤) .

وأهمل أيضا تقرير لجنة هيكرافت لعام ١٩٢١ الذي أعلن « أن استياء العرب ناتج عن أن بريطانيا راعت في تشكيل الحكم بفلسطين رغائب الصهيونيين متناسية حقوق السكان الاصليين ، وأن اقحام فلسطين بأناس أقدر من العرب على التجارة والصناعة عمل يقصد به الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من أيدي أبنائها » .

وأهمل أيضا تقرير شو القاضي البريطاني الشهير الذي قال :

« انه من المحتم علينا أن نبدي ما يسود العرب في فلسطين من استياء عن الحالة الحاضرة ، فبالرغم من انهم يؤلفون الأكثرية الكبرى من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين أن أقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معها ، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح الأقلية فقط » (٣٥)

وأهمل أيضا تقرير سمبسون الخبير البريطاني الشهير والذي قال :

---

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ — ٦٢ .
وانظر : يقظة العرب ، ص ٤٤٣ .
وانظر وثائق رئيسية من تاريخ قضية فلسطين ص ١١٦ — ١٢١ .
(٣٥) راجع بحثنا حول هذا التقرير ص ١٤٦ من هذا الكتاب .

« ان الفلاح العربي يرزح تحت عبء الديون ، مثقل بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق ، ان قسما من الشعب اضطر الى بيع أرضه ، اما لتسديد ديونه ، أو لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول على ما يسد به رمق العائلة(٣٦) » .

واهملت بريطانيا ايضا كتابها الأبيض لعام ١٩٣٠ الذي يقول :

« ليس في استطاعة الحكومة وضع الأراضي تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، وذلك لوجودها فعلا بيد العرب ، ولضرورة ايجاد اراض للمزارعين العرب الذين أصبحوا بلا أراضي (٣٧) » .

واهمل أيضا تقرير جونسون الذي أبان ظلم حكومة فلسطين للفلاح العربي الذي أصبح يدفع ٣٣٪ ضريبة ثابتة ، فأوقع العرب تحت طائلة الديون المرهقة ، والافلاس الشنيع بالاضافة الى حماية الانتاج اليهودي وفتح السوق لمزاحمة الانتاج العربي .

واهمل ايضا تقرير لجنة فرانش الذي فضح سياسة حكومته في تسليم الأراضي لليهود قائلا :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم ، وعلى بريطانيا أن توقف فورا انتقال الأراضي الى اليهود ففي انجلترا نفسها يوجد قانون لحماية الفلاحين الانجليز » .

١٥ ـ اشتداد النضال الفلسطيني :

وعلى ما في هذه التقارير من تعبيرات مقنعة لسلطات الانتداب ، فان السياسة البريطانية التي ترمي الى تهويد فلسطين لم تتغير ، وصمم العرب على أن يوجهوا اهتمامهم الى الانجليز انفسهم ، وقد كانوا في معظم حركاتهم يحاربون الصهيونية ، ولكنهم تأكدوا ان أولئك الذين سحبوا الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذين ساروا على طريقة اللجان تبحث وتنشر تقاريرها ثم تذهب ادراج الرياح ، ان أولئك هم الانجليز أنفسهم ، وهم الذين بيدهم الحكم وفي استطاعتهم الاستماع لو شاءوا الى نداء الضمير ومنطق الصدق ، ولهذا لم يجد العرب بدّاً في مؤتمرهم المنعقد في القدس عام ١٩٣٣ من مواجهة سلطات الانتداب بمطالبهم واعلانهم عدم التعاون معها ، والامتناع عن قبول دعوات حفلاتها ، وانهم سوف يعطون لتلك

(٣٦) راجع نص هذا التقرير ص ١٤٩ في هذا الكتاب .

(٣٧) راجع ما كتب عن هذا الموضوع ص ١٥٠ ـ ١٥٢ من هذا الكتاب .

السلطات شهرا آملين أن تتخذ من الاجراءات ما يمنع تدفق المهاجرين اليهود ، وتسرب الأرض الى أيديهم ، وحاولت السلطات منع العرب من اجراءاتهم ، ولكن الشعب أعلن اضرابه في جميع أرجاء البلاد في مارس (آذار) ١٩٣٣ .

وفي مدينة يافا اجتمع العرب من جديد ، معلنين انه لم يعد هناك أمل في ان يراجع الانجليز موقفهم ، أو يحيدوا عن أسلوبهم الخطير في البلاد ، وقرر المؤتمرون مقاطعة الحفلات الحكومية واللجان الرسمية والبضائع الانجليزية والصهيونية ، كما قرروا تأليف لجنة من جميع الأحزاب للاشراف والمشاركة في تنفيذ المقاطعة وأن تبذل الجهود لدى الاهلين لشراء أسهم شركة انقاذ الأراضي .

لم يكن في جهد شعب فلسطين غير هذا ، فان مبدأ المقاطعة للحكومة ومنتجات بريطانيا والصهيونية كان مبدأ يستطيع العرب تنفيذه ، ولهذا عمدوا اليه برغم انه ضعيف التأثير ، لأن شعب فلسطين ليس من العدد الكبير الذي تتأثر به صناعة بريطانيا ، ولو أن العرب في العالم كانوا يستطيعون المساهمة في ذلك الوقت لأحدثوا حدثا مؤثرا مهما ، والقادة الفلسطينيون حين يحاولون حث الشعب على شراء أسهم انقاذ الأراضي ، انما يحاولون جمع مبالغ ايهامية فقد استطاعت بريطانيا بسياستها خلال انتدابها أن تحرم الفلسطينيين من الثروات ، واذا كان أغلب الشعب الفلسطيني من المزارعين ، فان في تلك التقارير الرسمية التي أوردنا نصيبا منها في الصفحات السابقة ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الفلاح العربي كان فقيرا مثقلا بالديون مرهقا بالضرائب ، وان الحاصلات العربية التي يشترك في خيرها الفلاح أو الممول أو التاجر كانت دائما عرضة للخطر ، لا حماية لها ولا اهتمام بها .

لقد كان الهدف هو بذل محاولة لمنافسة اليهود في شراء الأراضي التي تعرضها الحكومة للبيع ، سواء بعد معاملة التسوية(٣٨) ، أو بفعل الديون والافلاسات او سدادا للضرائب الكبيرة ، وكان يمكن أن يكون هذا العمل مثمرا لو أن العالم العربي والاسلامي أسهم في خلق هذه المحاولة وغذاها ومد لها يده ليستطيع عرب فلسطين أن يقفوا أمام أموال اليهود التي ترد من جميع انحاء العالم ، وسياسة الانتداب التي تعهدت باعطاء الأراضي لليهود ...

(٣٨) راجع بحثنا عن الارض في الفصول الاخيرة من هذا الكتاب .

على ان الموقف ازداد حرجا حين أعلن ان عشرة آلاف يهودي دخلوا فلسطين بطرقهم الخاصة مهربين ، وانهم باقــون بها ، وان آلافا أخرى أعطيت لها تأشيرات الدخول على التوالي ، وبينما تندد الصحف العربية بسياسة بريطانيا وتهاجمها ، أعلن مؤتمر الصهيونية في براغ ضرورة فتح فلسطين للهجرة اليهودية دون تقييد ولا تحديد .

وكانت بريطانيا تحرّم على العرب التظاهر ، وتمنــع حمل السلاح ، على حين انها تسلح اليهــود ، وكانت تبيــح التظاهر لليهود وتعطيهــم الترخيص بذلك كلما طلبوه ، ولم يعد للعرب ـ بعد أن أعلنوا عن سياسة المقاطعة ـ حاجة لأن يطلبوا منها تصريحا بالتظاهر ، فأعلنوا أنهم متظاهرون في تواريــخ يحددونها دون ترخيص ولا استئذان ، وجن جنــون سلطات الاستعمار ، وأعلنت انها لن تسمح بأي مظاهرة .

وفي يوم الجمعة الموافــق ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٣ غــادر المسجد الأقصى المبارك آلاف عديدة من المسلمين ، وانضم اليهم جمع كبير من المسيحيين ، وتقدمهم الزعيــم موسى كاظم الحسيني وتعرض الجند البريطاني للمظاهرة الساخطة طالبا تفرقها ، ثم استعمل سلاحه فخرّ ٣٥ جريحا عربيا وعدد قليل من رجال الامن .

وفي تلك الليلة نفسها حيث كانت خمس وثلاثون أسرة عربية تضمد جراح فتيانها ، أعلن الزعماء العرب أنهم سيقيمون مظاهــرة اخرى دون تصريح حكومي في مدينة يافا ، وطالب المندوب السامي بعــدم التظاهر ، ولكن العرب لم يكونوا معترفين بتلك المطالبة ، ولا مصغين لرئيس دائــرة التهويد ، وفي الموعد المحدد الجمعة ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) كان الشعب العربي يتجه من القدس والخليل وحيفا وكــل أنحاء فلسطين الى يافا ، وأمام باب الجامع الكبير في يافا وقع اصطدام مع الجند الذين كانوا يمثلون قوات كبيرة من مشاة الجيش البريطاني وخيالته ومدرعاته ، وبينما كان الشباب العربي ينادي بسقوط بريطانيا وحياة الأمة العربية ، اُطلقت النار على جموع المتظاهرين ، فاستشهد من العرب اثنان وثلاثون شابا ، وجرح ١٦٧ عربيا ، وضرب الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني في راسه فرجع جريحا جرحا لم تفارقه آلامه حتى توفي شهيــدا في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٣٤ .



مشهد من مظاهرة جرت في يافا ، وفيها يبــدو الزعيم
موسى الحسيني ، وقد انهال الجنود البريطانيون عليه ضربا

وقرر أن تقام مظاهرة أخرى أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ولكن المندوب السامي أصدر أمره فاعتقل الزعماء العرب الذين كانوا يعقدون اجتماعهم في مقر الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ، وأخذهم الى سجن عكا بعد أن أشبعهم اهانة وضربا . وعمت المظاهرات المدن الفلسطينية ، وتحرك الفلاحون يشاركون أهل المدن مظاهراتهم في الرملة والقدس وعكا وحيفا ونابلس والخليل ، وكان البوليس يفرقها مستعملا الرصاص في جموع العرب .

وأعلن شعب فلسطين الاضراب لجميع قطاعاته اسبوعا كاملا ، احتجاجا واظهارا لسخط الشعب العربي على السياسة البريطانية .

ولئن تميزت هذه الفترة بالمظاهرات والاضطرابات من الشعب الذي أعلن مقاطعته للحكومة وعدم التعاون معها ، فان ذلك لم يكن هو كل العمل المجدي الممكن القيام به ضد سياسة الانجليز في فلسطين ، لكن القوانين التي اصدرها الحكام البريطانيون ارغمت الشعب العربي على أن تطول فترة استعداده للثورة ، وهي فترة قضاها يبحث عن السلاح مهما كان شانه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته قديما ، ومهما كان مفعوله ضعيفا، وهو حين يبحث عن السلاح لا بد له من الاتصالات السرية مع قومه العرب في شرق الأردن وسوريا والعراق ، وللانجليز في جميع تلك البلدان القول الأعلى ، ولهم فيها مخابرات فطنة تحصي حركات الفلسطينيين وتتبع اتصالاتهم .

ولهذا لم يكن سهلا على شعب فلسطين أن يتسلح من العراق وأغلب وزاراته في ذلك الحين محكومة بوزارة الخارجية البريطانية ، أما بعض وزاراته التي كانت في مستوى وطنية الملك غازي المعروف بتأييده لفلسطين فقد ساعدت الثورة ببعض السلاح.ولم يكن ميسرا لشعب فلسطين التسلح من سوريا ولبنان وكلتاهما تعاني مظالم فرنسا ووحشيتها ، وتقع حدودها تحت الرقابة الصارمة المتفق عليها بين الانجليز والفرنسيين ، ولم يكن يسهل عليه أن يتسلح من شرق الأردن ، وجهاز الحكم فيه في تلك الفترة يمثل مظهرا لامارة عربية يدير افكارها مندوب بريطاني ، ويتحكم في جيشها ويفرض وجوده واحترامه على الجميع ، ولم تكن مصر في حساب من يمكن الاستعانة بهم لعرب فلسطين ، فالمعسكرات الانجليزية تحتل مواقعها في القاهرة وعلى ضفاف القنال ، وهي الاحتياطي القوي الذي كثيرا ما أستعين به لمحاربة تحركات العرب في فلسطين ، ولم يكن ممكنا أن يتسلح عرب فلسطين مباشرة ، فان الجمارك والسواحل والحدود محكومة أما بضباط بريطانيين او بضباط من اليهود ، ولم يكن للعرب شأن يذكر في مجال مهم من تلك المجالات .

وعاد عرب فلسطين الذين أعياهم التظاهر والاضراب

عادوا يبحثون في باديتها ولدى فلاحيها عن السلاح القديم ، هذا مزارع أخفى منذ احتلال الانجليز سلاحا عثمانيا وقليلا من رصاص ، وهذا عامل استطاع أن يستولي على بعض القطع من جيش الاحتلال في أثناء وصوله ، وذلك تاجر كان قد خشي مصيبة القوانين البريطانية فأخفى ما أمكن اخفاؤه حتى ليكاد ينسى مكانه ، وسرت روح قوية بين الشعب العربي كل يتنادى الى السلاح ، وكل يعمل على جمعه ، ولكن السلاح نادر ، عزيز ، قليل .

*

كان كثير من المهتمين يعتقدون أن الاجراءات التهويدية التي اتخذها هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني ، جاءت مدفوعة بعقيدته اليهودية ، وعلاقته التاريخية مع الصهيونية التي اعترف بها هو نفسه ، والتي أشرنا الى تقريره عنها في الفصول السابقة(٣٩) ، ولكن ثبت ان كل حاكم بريطاني سار على الدرب نفسه مما يدل على انها سياسة مرسومة . وقد تابعه في نفس خطواته كل من خلفه من المندوبين الآخرين ، وقد خلفه بعد ذلك عام ١٩٢٥ المدعو تشانسلور وعلى الرغم من انه لم يكن يهوديا فان سياسته كانت طبق الأصل لسلفه(٤٠) ، وفي عهده حدثت ثورة ١٩٢٩ وفي عهده أيضا سلب كثير من الأراضي من أيدي العرب وسلم الى اليهود .

وتولى الجنرال ارثر واكهوب ادارة فلسطين في أواخر عام ١٩٣١ وكان رجلا عسكريا يتولى قيادة القوات البريطانية في ايرلندا ، فاعتقد البعض أنه بعيد عن التأثيرات اليهودية ، ولا بد أن يحدث تغييرا في سياسة حكومة فلسطين ، ولم يلبث هذا الأمل أن تبدد ، ففي سنوات حكمه اكتشف السلاح اليهودي المهرب ، والمغمضة عنه عين الحكومة ، وفي أيامه بلغت الهجرة اليهودية ذروة نشاطها ، فبينما كان عدد اليهود في أواخر عام ١٩٣١ لا يزيد عن ١٧٠ الفا بلغ عددهم ٢٣٤،٢٦٧ في أواخر عام ١٩٣٦ بمعدل ٤١،٠٦٨ شخصا سنويا ولم يزد معدلهم السنوي قبل ذلك عن ٣ آلاف(٤١) ، بل لقد ثبت أنه أغمض العين خلال حكمه عن الهجرة غير الشرعية ، ويقصد بها هنا تلك الهجرة التي تتم دون اذن من سلطات الانتداب البريطاني ، حتى قدرت الأعداد التي تسربت الى فلسطين بنحو ستة وعشرين الفا لعام ١٩٣٣ و ٣٦،٤٠٠ لعام ١٩٣٥ ، وقد اعترف بذلك

(٣٩) راجع ما كتبناه في صفحات ٦٨ ، ٦٩ من هذا البحث .
(٤٠) WEIZMANN TREAL AND ERROR., LONDON, 1949, P. 406
(٤١) جامعة الدول العربية ، الهجرة الفلسطينية ، ص ١٥ .

واكهوب نفسه قائلا في خطاب له :

« ان عددا كبيرا من اليهود يدخلون البلاد تهريبا بصورة غير مشروعة دون علم الحكومة أو باذنها ومراقبتها ، وعددهم لا يقل في الواقع عن عدد اليهود غير المهربين » .

وفي عهد واكهوب هـذا تم استيلاء اليهود علـى مستنقعات الحولة التي كانت مقطعة لأسرة سلام البيروتية(٤٢) منذ العهد العثماني ، لاستغلال الأرض المجففة ، وتوزيعها بثمن معقول علـى الفلاحين العرب ، ولم ينفع اعتراض المزارعـين الفلسطينيين واعتبارهم البيع باطـلا ، واستجاراتهم بالحكومة، لم ينفعهم هذا بل سلطت الحكومة جنودها وشرطتها، وأخرجت عنوة واقتدارا ١٦ ألف عربي وهدمت أكواخهم واستولت علـى بيوتهم ، وأطلقت النار على جموعهم ، فقتلت وجرحت الكثيرين ، وسلمت لليهود قرابة ١٥ ألف متر مربع في منطقة الحولة .

وبروح العنف والشـدة نفسهـا سلط واكهوب جنـوده المدججين بالسلاح على الفلاحين العرب في وادي الحوارث فأخرج المزارعين العرب من ديارهم حيارى ، سيقوا مع مواشيهم بالقـوة ، وأبى بعضهم أن يترك أرضه ومرابعه فسقط شهيدا برصاص السلطة .

حقا لقد كان واكهوب البريطاني الأصيل يمثـل الصورة الصحيحة للسياسة البريطانية التي تحدث عنها مفتي فلسطين في كتابه « حقائق عن قضية فلسطين » ، والذي ذكر فيه أن رسلا بريطانيين اتصلوا به وبغيره من الفلسطينيين عام ١٩٣٤ وعرضوا أن ينقـل عرب فلسطين الى شرق الأردن ، على أن يعطوا ضعف مساحة الأراضي التي كانوا يملكونها ، وأن يقدم اليهود جميع الأموال المطلوبة لذلك ، ولم يكن هذا غريبا على بريطانيا التي شرحنا في الفصـول السابقة اوجه خداعها وصور مواقفها العدائية العديدة للشعب العربي في فلسطين وللامة العربية جمعاء .

ويتفق هذا مع ما ذكره وايزمان في مذكراته من أنه اتفق مع بريطانيا على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب(٤٣) .

وفي هذا الجو الملبد المشحون بالعواطف الثائرة المتأثرة ، دعا المفتي زعماء الأحزاب الستة لتناسي الخـلاف وللوقوف صفا واحـدا تجاه

---

(٤٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٤ .
(٤٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٣٠ .

السياسة البريطانية ، وقدم رؤساء الأحزاب مذكرة الى المندوب السامي مطالبين بانشاء حكومة وطنيـة ووقف الهجرة ، ومنع انتقـال الأراضي لليهود ، ولم تأبه بريطانيا بالمذكرة العربية ، ولم تخش شيئا مما تضمنته من انذار .

١٦ ـ مؤتمر العلمـاء :

ومن جديد وتحت ارهاب واكهوب المندوب السامي الجديد ، انعقد مؤتمر العلماء برئاسة مفتي فلسطين وحضره مئات من قادة الدعوة الاسلامية والقضاة والمدرسين وغيرهم ، وأصدروا قرارات حول الاراضي والهجـرة وضرورة أباحة وقف الارض لصالح المسلمين ، ولكن هذا المؤتمر الدينـي الفلسطيني لم ييأس من عون العرب والمسلمين ، أنه ما زال كالغـريق الوحيد الذي يأمل النجاة متعلقا بأوهى الاسباب واضعف الوسائل ، انه يذيع نداء الى ملوك المسلمين والعرب وأمرائهم وزعمائهم عن حالة فلسطين والأخطار التي تتهددها ، وذهب نداء العلماء أدراج الرياح ، فقد كان الملوك والرؤساء والزعماء كما يصفهم ابو سلمى الشاعر الفلسطيني :

قالـوا الملـوك وانهـم   لا يملكـون سـوى الهبيد
دكت عروش زينوهـا   بالسلاسـل والقيـود
المجد أن يحمي الرصاص على   المدى حمـر البنـود
قوموا اسمعوا من كل ناحية   يصيـح دم الشهيـد
قوموا أنظروا الوطن الذبيح   من الوريـد الى الوريـد

ولكن احدا منهم لم يقم لينظر مذابح الشعب العربـي في فلسطين ، وضاع صوت عرب فلسطين في قصور العواصم العربية ، ولم يلتفت احد من الحكام العرب لنجدة شعب فلسطين .

ولم يعد أمام شعب فلسطين الا ما صوره شاعرهم المرحوم ابراهيم طوقان :

أمامك أيها العربـي يـوم   تشيب لهوله سود النواصي
فلا رحب القصور غدا بباق   لساكنها ولا ضيق الخصاص
مناهـج للابادة واضحات   وبالحسنى تنفذ والرصاص

١٧ ـ ثورة الشهيد عز الدين القسام :

كان الشيخ عز الدين القسـام داعيـة من دعاة الاسلام ، وبطلا مـن أبطالـه ، اشترك مـن قبل في الثورة العامة التـي قامت في سوريا ضد

الفرنسيين ، وحمل سلاحه حتى قدر لتلك الثـورة أن تقف ، فجاء الى حيفا متخذا منهـا مقاما ومستقرا ، وكـان « القسام » رجلا عالما مؤمنا صادقا ، فكان يلتقي بتلاميذه في مسجد حيفا الكبير تحت ستار الدروس الدينية ، وما كان درسه موقوفا على البحث عن فتوى الزواج والطلاق ،

الشهيد الشيخ عز الدين القسام

ولا عن افتراضات الفقهاء في عصور التأخر ، ولكنه كان درسا من دروس اعلام المسلمين الذين يؤمنون بأن الجهاد العملي والقتال الصادق هو خير منطق يجابه به الاعداء الذين يهاجمون ارضنا ويدنسون مقدساتنا ، وانه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء او يعاملهم او يصادقهم او يطمئن اليهم ، وما انتهى يوما من الايام من درسه الا وختمه بقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » وكان الشباب والرجال يلتفون حول الشيخ عز الدين القسام ، وحين يعودون الى بيوتهم يتحادثون حـول الوطن ، ويستعيدون دروسه

وتعاليمه ، وابتدات المنطقة تشهد أعمالا بطولية عظيمة ، فمنذ أوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربي « جنين ، نابلس ، طولكرم » سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز ونسفت القطارات ، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني ، وقتل اي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالا مريبا .

وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفي فترات متعاقبة غاية في الدقة والتنظيم والسرية ، وسرت روح الجهاد بين الشعب ، فتتابع تنظيم التشكيلات السرية، وزادت متاعب البريطانيين وارهابهم. ولقد كان القسام صادق الراي مخلص العقيدة ، فربأ بنفسه ان يدعو الى الجهاد ولا يجاهد ، وأن يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، وأن يكون قائد الجهاد قابعا وراء احد اعمدة المساجد ، او بعيدا عن الميدان كما يفعل عديد من قواد المعارك أو الدعوات ، ربأ بنفسه عن هذا وأعلن في قوة عن معاداته لسلطات الانتداب ، وعزمه على منازلة الجنود البريطانيين في سبيل عروبة فلسطين .

وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة « يعبد » بمنطقة جنين ، انتهت يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٥ باستشهاد القائد وبعض رفاقه، واسر الباقون من عصبته المؤمنة، ليسجنوا ويعذبوا طويلا في سجون الاستعمار ، وذهب القسام البطل المجاهد الى ربه شهيدا ، فجدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالبطولة ، وقوى من عزائم شعب فلسطين الأبي برغم قلة العتاد وضآلة الزاد .

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب فقال :

اولت عمامتك العمائم كلها ... شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة ... غير الزعامة والطريق أمان
ما كنت احسب قبل شخصك انه ... في بردتيه يضمها انسان
يا رهط عزالدين حسبك نعمة ... في الخلد لا عنت ولا أحزان
شهداء بدر والبقيع تهللت ... فرحا ، وهش مرحبا رضوان

صُوَرٌ ... مَكتوبَة

اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، انهم يكافحون انجلترا (اكبر امبراطورية في العالم) واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد ، أما انتم فان المانيا كلها من ورائكم » .

رسالة هتلر الى ألمان السوديت — ١٩٣٦

« ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح » .

الجنرال ولسون ، وكان قائدا بريطانيا في بعض معارك فلسطين

« لقد يئسنا من عدالة بريطانيا ، قلنا لها يا صديقة الاسلام والعرب احذري أن تفجعينا بفلسطين الأقصى وفلسطين القيامة فلم تسمع ، أيها الانجليز ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام فاختاروا ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا أقسمنا ان تظل فلسطين لنا أو نطوي شهداء » .

الحرس الوطني الفلسطيني — ثورة ١٩٣٦

« اذا لم تتوقفوا (عن الثورة) فلن يكون هناك اعفاءات من الضرائب، ولا اعانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو أنتم وقريتكم — . — قبل ثلاثة أشهر كان التاجر العربي والفلاح العربي يفيد عائلته ويؤمن راحتها ، واليوم أصبح التاجر والفلاح في فقر ، ان المداومة على أعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

فقرات من المناشير البريطانية التي القتها الطائرات
على معاقل المجاهدين الفلسطينيين — ١٩٣٦

« يجوز للمندوب السامي أن يأمر بزيادة قوة البوليس في أي منطقة اضطراب ويلزم المكلفون من سكان المنطقة بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة ، ولحاكم اللواء بموافقة المندوب السامي أن يأمر بفرض غرامة

مشتركة على جميع المكلفين من سكان المنطقة التي ارتكب فيها الهجوم » .

قانون العقوبات المشتركة بفلسطين ، مادة ٤ و ٥

« ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب قانون منع الجرائم اثبات أن المتهم ارتكب فعلا معينا أو أفعالا معينة من شأنها أن تظهر غايته » .

المادة ٥ فقرة ٥ ، قانون منع الجرائم بفلسطين

« لقد عاد اليهود الى بلادهم وشكرا لمن رفضوا اقتراح كينيا ، لو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة لأعطيناه اليوم » .

وزير المستعمرات البريطانية — ١٩٣٥

« اني أطالب العالم العربي والاسلامي أن يدرك فلسطين قبل أن تصبح اندلسا ثانية » .

أمين الحسيني — ١٩٣٦

« ندعوكم للاخلاد الى السكينة معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وسنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

نداء الملوك العرب لشعب فلسطين — ١٩٣٦

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون »

قرآن كريم

يا جهادا صفق المجد له ... لبس الغار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به ... وبناء للمعالي لا يداني
قم الى الأبطال نلمس جرحهم ... لمسة تمسح بالطيب يدانا
قم نجع يوما من العمر لهم ... هبه صوم الفصح هبه رمضانا
انما الحق الذي ماتوا له ... حقنا ، نمشي اليه حيث كانا

الاخطل الصغير
عن ثورة فلسطين ١٩٣٦

الفصل السادس

ثورة العرب الكبرى [١]

١٩٣٦

١ ـ الاضراب الشامل :

كان لثورة الشهيد عز الدين القسام التي ابتدأت سرية ، ثم أعلنت ن نفسها في ذكرى وعد بالفور ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٥ ، صدى بعيد المدى في نفوس البريطانيين ، فقد هالهم ان يستطيع شعب فلسطين الثورة المسلحة ، ويحاول مقاومة الجيوش البريطانية اسابيع طويلة ، برغم تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها بريطانيا ضد التسلح ، وبرغم سياسة الافقار والتجويع والحصار التي سنتها في فلسطين منذ احتلالها .

ولم يمر شهر على استشهاد القسام حتى أعلن المندوب السامي انه عازم على تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين يتكون من اربعة عشر عضوا عربيا واربعة عشر عضوا من اليهود والبريطانيين والأجانب ، وانه سوف يضع قانونا يمنع انتقال الأرض في بعض المناطق ، ويحتم استبقاء جزء كاف لاعالة الأسرة .

ولكن هذا المشروع على ضعفه الذي أراد به الانجليز تهدئة ثائرة العرب ضدهم ، لم يعش الا أياما ، فقد رفضه اليهود بعنف وقوة ، وتحرك أساطين الاستعمار بعد ذلك فأعلنوا معارضتهم له ، لم يتخلف عن ذلك المدعو (سنل) زعيم المعارضة العمالية ، ولا (تشرشل) وامثاله من المحافظين ، ولم تتقدم بريطانيا بعد معارضة اليهود خطوة واحدة في صالح العرب ولم يجرؤ المندوب السامي على تنفيذ شيء مما أعلنه ، وكان شعب فلسطين يدرك لسوابق الأحداث أن بريطانيا لن تحيد عن طريق التهويد الذي سنت من اجله صك الانتداب وجعلته متمما لوعد بالفور .

وبينما كانت نفوس الشعب العربي تغلي لهذا الموقف البريطاني

المرير ، وبينما ردد الجميع قصص الثورة المجيدة التي تحركت في قضاء جنين ، تتقدم سلطات فلسطين لاغتصاب اربعمائة الف متر مربع من أرض المدرسة الزراعية العربية بطولكرم لتسلمها الى اليهود(١) ، فيتظاهر الطلاب ، وينتشر السخط بين السكان ، ثم أقدمت بريطانيا على اعطاء مقاول يهودي بناء ثلاث مدارس في قلب يافا العربية ، وحرم هذا العمل على العمال العرب واختص اليهود وحدهم ، وحين تظاهر العمال العرب هاجمهم الجند ، واعتقل عديدا منهم ، وترك قسما من قواته تحمي العمل اليهودي(٢) .

ويعلن اليهود رسميا انهم فتحوا اكتتابا في أمريكا لجمع سبعمائة الف جنيه ، حتى يتم لهم نقل الف شاب من المانيا الى فلسطين .

وتستمر مناقشات مجلس العموم البريطاني ، وتنشر وتقرأ في فلسطين ، وكلها مليئة بالفكر اليهودي والمحاربة للعرب حتى أواخر مارس (آذار) من نفس العام .

وتظاهر العرب معلنين سخطهم على سلطات الانتداب ، وتتابعت أحداث واضطرابات طوال شهر ابريل (نيسان) .

وفجأة ظهرت جماعة عربية مسلحة ، واعترضت سيارات كانت تعبر الطريق الى يافا ، فسلبت أموالها وقالت للركاب العرب اننا نأخذ أموالكم لكي نستطيع أن نحارب العدو وندافع عنكم ، وقتلت يهوديا ، وهاجم اليهود عربيين فقتلوهما عند مستعمرة بتاح تكفا اليهودية ، واستمرت الحوادث وتطورت الى قتال بين العرب واليهود ، فلم يحن يوم ٢٠ من ابريل (نيسان) ١٩٣٦ الا وكان قد قتل ١٢ يهوديا وجرح ٦٥ منهم ، وجرح ٤٧ عربيا واستشهد ٦ أشخاص ، وعمت الاضطرابات القدس والخليل وحيفا ، ومن حيفا ابتدات الدعوة للاضراب العام تعبيرا عن السخط ضد السياسة البريطانية .

ولم يحن اليوم العشرون من ابريل (نيسان) حتى كان الاضراب يعم فلسطين كلها ، ولكنه لم يكن اضرابا جزئيا ولا محدودا ، بل كان عاما شاملا مؤثرا مستمرا ، كان اضرابا وحيدا في نوعه لم يعرف له مثيل في التاريخ ، ابتدأ في ابريل واستمر ستة اشهر حتى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٦ .

لقد شاهدنا اضطرابات سياسية عديدة في منطقتنا العربية ، التي

---

(١) جريدة الاهرام ١٥ فبراير ١٩٣٦ .

(٢) جريدة الاهرام ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .

بليت بالاستعمار وهددها الطغيان الاجنبي ، وكان الاضراب يستمر يوما او يومين ، ولربما بدات شكاوى عديدة من الاضرار بالمصالح او فساد الحاجيات ، وتوقف دولاب العمل ، أما ان يستمر الاضراب شهرا كاملا ثم يمتد حتى يتم شهوره الستة، فهذه صورة رائعة نادرة من صور البطولة العربية التي رسمها شعب فلسطين ، وهكذا استمع الشعب لنداء الحزب العربي الفلسطيني ، بأن يستمر اضرابه ، وكان هذا الحزب طليعة من طلائع الحركة المنظمة للجهاد ، حتى تكونت اللجنة العربية العليا وضمت كل أحزاب فلسطين .

وواجهت هذه اللجنة المؤتلفة التي تم تشكيلها من جميع الأحزاب على ما بينها من تفاوت(٣) في التفكير والأسلوب ، واجهت الأحداث بشجاعة ، واجمعت كلها على ضرورة مقاومة السياسة البريطانية مقاومة عملية ، لم يشذ عن ذلك حتى حزب المعارضة الذي يمثله راغب النشاشيبي ، والذي يتهم بالاعتدال ، ويرى الفائدة في التفاهم السلمي مع الانجليز ، وأعلنت اللجنة انها سوف تستمر تدعو الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب مطالبه التي حددتها في :

١ ـ وقف المهاجرة اليهودية نهائيا .

٢ ـ منع انتقال الأراضي الى اليهود .

٣ ـ انشاء حكومة وطنية في حياة برلمانية .

ومن جديد تلفت عرب فلسطين الى ملوك وأمراء ورؤساء العرب والمسلمين ، آملين أن يعملوا على انقاذهم وتحرير المقدسات ، ولكنهم لم يجدوا أحدا ... وبدت فلسطين بلدا توقفت فيه الحركة تماما ، فقد كان اليهود برغم سيل هجرتهم لا يمثلون الأكثرية ولا ما يقاربها ، وظهرت الصورة الحقيقية لفلسطين العربية أمام العالم أجمع ، وأخذت الصحف العالمية تنشر تحقيقاتها اليومية متابعة أيام الاضراب المتواصلة ، وانك لتجد فيها تلك الأيام الخالدة الشجاعة مسطرة بعناوين مثيرة : « اليوم التسعون لاضراب فلسطين » « اليوم المائة لاضراب فلسطين » « اليوم المائة والعشرون(٤) » ... وهكذا .

(٣) كانت هذه اللجنة تتألف من السيد امين الحسيني والفرد روك ، والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الغصين ، وجمال الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، وأحمد حلمي باشا ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج ، وعبد اللطيف صلاح ، ومحمد عزة دروزه ، وفؤاد سابا .

(٤) راجع مجموعات الصحف العربية بدار الكتب بالقاهرة ، وبمكتبة الجامعة العربية .

واستمع شعب فلسطين لنداء اللجنة ، ونفذ قراراتها ، اضرب طلاب المدارس ، وتوقف المحامون عن حضور المحاكمات ، واغلقت الغرف التجارية في القدس وحيفا ويافا ونابلس وجميع ارجاء فلسطين ، وامتنع عن العمل رؤساء المدن والمناطق ومديرو البلديات ، وأغلق المجلس الاسلامي دوائره العديدة ، وامتنع السجناء العرب عن العمل التي اعتادت السلطة تكليفهم به ، وأصر رجال البوليس العربي في طولكرم ويافا والقدس على الاضراب ، واعلن الأطباء العرب أنهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الاضراب ، وشاركت المرأة رجال الوطن وأسهمت بجهودها في استمرار الاضراب ، واضرب سائقو السيارات والموظفون والمدرسون ، وأغلقت المتاجر الكبيرة والصغيرة ، وامتنع القرويون عن انزال محصولاتهم الى الأسواق ، وأغلق بائعو الخضروات متاجرهم ، ولم تبق الا الصيدليات والأفران توزع الخبز تحت ارشاد من زعماء الاضراب .

٢ ـ اشتعال الثورة :

وفي مطلع شهر مايو (ايار) بدات انفعالات الاضراب العربي تتحول الى جهد مسلح ، وصدر في الثالث منه بلاغ رسمي من دائرة المندوب السامي ، يعلن وقوع حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية ، فقد أشعل العرب حريقا هائلا في ساحة الأخشاب بميناء يافا ، والقيت القنابل في عديد من المدن ، واعتقلت السلطات اثني عشر عربيا في مدينة حيفا . وكانت قد بدات الاعتقالات بحجز السيدين اكرم زعيتر ثم الشيخ صبري عابدين بمعتقل عوجا الحفير . وتوالت جموع المعتقلين .

وبدا الفلسطينيون يكتلون الرأي العام ، وتوزع المسلمون والمسيحيون العرب يخطبون في الكنائس والمساجد ، ويحاربون سياسة بريطانيا في بلادهم ، ونادت اللجنة العربية العليا بالامتناع عن دفع الضرائب ، وتابع العرب جهادهم ، فأشعلوا حرائق جديدة في أنحاء مختلفة من فلسطين ، وقتل أحدهم برصاص البوليس ، وقطعت المواصلات بين يافا وتل أبيب.

ولم يفت في عضد العرب تكرار سلطات الانتداب لانذارهم في الخامس والسادس من مايو (أيار) بأنهم سوف يقمعون الاضراب والاضطراب بشدة وعنف ، ولم يزدهم هذا الانذار الا تمسكا وتصميما(٥) .

واعلنت بريطانيا أن كل قرية أو مدينة يخل فيها النظام ستعين فيها مجموعات من البوليس على حساب تلك القرية(٦) . ونفذت ذلك في جنين

(٥) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٥ من مايو ١٩٣٦ .

(٦) جريدة الاهرام العدد ٤ من مايو ١٩٣٦ .

التي رشق أهلها بعض السيارات بالحجارة ، وكان يراد من هذا الاجراء البريطاني ارهاق الشعب العربي ووقفه عن مواصلة الكفاح .

وطبقت(٧) بريطانيا على مدن فلسطين وقراها العربية المادة الرابعة من قانون العقوبات المشتركة :

« اذا رأى المندوب السامي ان منطقة أو قسما منها في حالة خطر أو اضطراب فيجوز له أن يعلن ذلك بأمر أو مرسوم يصدره ، وأن يأمر بزيادة قوة البوليس التي تقيم عادة في تلك المنطقة ، والى الحد الذي يراه ضروريا ، وللمدة التي تعين في الأمر أو المرسوم ، ويلزم المكلفون من سكان تلك المنطقة ، أو ذلك القسم بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة(٨) » .

وكانت بريطانيا قد أثقلت كاهل الشعب الفلسطيني بهذا القانون وتلك المادة طوال مدة انتدابها منذ ان شرعته في ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٦ .

وفي السابع من مايو (أيار) والاضراب مستمر قوي عنيد ، اجتمعت اللجنة العربية في مؤتمر عام بالقدس ، واشترك المندوبون من القرى والمدن ، وقد اعلن السيد أمين الحسيني رئيس لجنة الاضراب المؤتلفة ، « أن العرب لم يعودوا يثقون في الانجليز » واهاب بالأمة ان تثبت الى النهاية ، مستعرضا أحداث فلسطين وعهود بريطانيا للعرب ، وطالب العالم العربي والاسلامي « أن يدركوا فلسطين قبل ان تصبح اندلسا ثانية(٩) » .

لقد كان هذا الانذار الموجه للأمة العربية التي سقت عبر التاريخ ارض فلسطين بدمائها ، وللأمة الاسلامية التي تهفو قلوبها الى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، منبثقا من صميم الاحساس المدرك للخطر ، ولكن العرب والمسلمين لم يكونوا قد استطاعوا أن يفكروا بحرية حتى يدركوا الخطر المحدق بفلسطين ، والذي سوف يحيلها الى اندلس ثانية ، ثم تصبح محتلة بالاعداء ، شوكة في جنب الأمة العربية وقاسما لشطريها ، ومانعا من وحدة أراضيها .

واصدر المؤتمر قرارات أهاب فيها بالأمة أن تقف صفا واحدا في وجه العواصف المبيتة للوطن ، وأن تتوقف عن دفع الضرائب بتاتا ، وان

(٧) جريدة الاهرام العدد ٧ من مايو ١٩٣٦ .
(٨) مجموعة القوانين والمناشير الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ، بيروت .
(٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية .

يستمر اضرابها الى اجل غير مسمى ، وبدا الطلاب والشباب والعمال يطوفون أطراف القدس قبل الفجر ويمنعون أي بائع يصل المدينة بأي شيء من الخضار أو اللحوم أو الفاكهة .

وواصلت دار المندوب السامي اصدار بلاغاتها الرسمية ، فأعلنت في التاسع من مايو (أيار) (١٠) أن النار اطلقت على سيارة يهودية كانت بين الرملة ويافا ، وان الحرائق اشتعلت في معمل الظروف بقرية عتليت قرب حيفا ، واستمرت من الصباح الى الرابعة مساء . وتصف البرقيات الصحفية الواردة من القدس فلسطين بأنها تظهر شاحبة الوجه بسبب الاضراب وكأنها تقترب من عاصفة لا يعلم احد متى تبدأ بالهبوب .

ولم تتراجع بريطانيا عن سياستها تجاه شعب فلسطين ، واعلنت عن وصول امدادات عسكرية كبيرة قادمة من مصر ، وهي التي سبق أن أعلن كتابها الأبيض انها تحتفظ في فلسطين بفرقتين من المشاة وسربين من الطائرات واربع فرق من السيارات المسلحة من قواتها العسكرية .

ان تحرك الشعب العربي في فلسطين ، برغم قلة عدده متسلحا بالشجاعة والايمان بحقه ، ارغم الامبراطورية العجوز ان تستعين بقوات جديدة ، غير مكتفية بما في فلسطين من فرق أعدتها لتحارب العرب ولتهود فلسطين ، وفي اليوم الثاني لاعلان وصول القوات العسكرية الكبيرة من مصر اعلن المندوب السامي أن الحكومة قادرة في كل وقت على اخماد كل حركة خارجة على القانون .

وسلط المندوب السامي جنوده وشرطته ، يعتقل الشباب العربي لأتفه اشتباه ، وقد بلغ عدد المعتقلين الى اليوم العشرين من الاضراب ستمائة عربي(١١) .

وتشير البرقيات الصادرة من القدس في التواريخ الواقعة بين اليوم الثالث عشر واليوم الثلاثين من مايو (أيار) ١٩٣٦ الى ان حالة الهياج في فلسطين تبدو شديدة مقلقة ، وان مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق ، ففي حيفا القيت قنبلة على مركز الشرطة وحطمت ثلاث سيارات نقل يهودية ، وفي يافا أشعلت النار في مدرسة يهودية ، واسفرت الاضطرابات الدموية عن جرح ١٧ عربيا . وفي القدس أعلن منع التجول من الثامنة مساء حتى السادسة صباحا ، وقد قتل من العرب واليهود

(١٠) جريدة الاهرام العدد ٨ و ١١ من مايو ١٩٣٦ .
(١١) جريدة الاهرام ١٢ و ١٨ من مايو ١٩٣٦ .

سبعة افراد ، وجرح كثيرون .

واضطر الموظفون اليهود الى الاضراب لعدم تمكنهم من اداء أعمالهم ، كما اضطر اليهود القاطنون في القدس القديمة الى النزوح عن مساكنهم خوفا من ثورة العرب ، وهجر اليهود مستعمراتهم الى القدس الجديدة ، وتصادم المساجين العرب مع حراسهم بينما هاجم العرب المستعمرات اليهودية واطلقوا عليها الرصاص . وأعلن الكناسون العرب انضمامهم الى الاضراب ، فاضطربت بلدية القدس اضطرابا كبيرا ، واستعانت الحكومة بالشرطة لأعمال الكناسة .

وخرجت المظاهرات في جميع المدن ، وحطمت الأنابيب التي تسقي القدس بالمياه ، وقطعت الاسلاك التليفونية بين مدن فلسطين ، وقطعت أسلاك الاذاعة في القدس ، وانتشر الجنود البريطانيون يحرسون دار المندوب السامي ودوائر الحكومة والسكك الحديدية ، واستشهد عربي تبادل اطلاق النار مع كونستابل بريطاني ، والقيت قنبلة أخرى على مبنى الشرطة في يافا ، واعلن رسميا أن تعزيزات بريطانية أرسلت الى بئر السبع ، وبينما كان منع التجول مستمرا ، قررت حكومة فلسطين دفن القتلى ليلا لكي لا تقع أحداث دموية أثناء تجمهرات الدفن ، وبلغ عدد القنابل التي القيت في الثالث والعشرين من مايو (أيار) بنابلس على الجنود البريطانيين ١٥ قنبلة .

وبينما زحف عرب قرية بلعا الى طولكرم اصطدموا مع الجنود ووقعت معركة كبيرة ، وتكرر الصدام بين العرب والجنود في يافا ، وأصبحت مساجد يافا الاسلامية تحت اشراف الجنود الانجليز ، وأعلنت يافا عصيانها قانون منع التجول الذي فرضه المندوب السامي ، فحدثت معارك طاحنة بين الشعب والجنود البريطانيين ، وأعلن المندوب السامي أن الجيش البريطاني احتل نابلس عسكريا ، ثم عاد وأعلن ذلك بالنسبة لطولكرم أيضا ، وبينما تجري مصادمة بين الجند البريطاني والمتظاهرين في القدس ، أقيمت المتاريس والحواجز في شوارع المدينة كجزء من اقامة العوائق أمام تحركات العرب .

واعلن رسميا (١٢) أن الطائرات البريطانية اكتشفت تجمعا لعصابات عربية في الجبال وانها طاردتهم بقنابلها ، وأعلن أن الاضطرابات والاضرابات تحولت الى ثورة مسلحة ، وقد هاجمت مجموعة من الشباب العربي معسكرا

(١٢) جريدة الاهرام ٢٤ من مايو ١٩٣٦ .

للجيش البريطاني واستولت على البنادق والذخيرة .

ونصب الجيش المدافع الرشاشة على الأسطح ، وبرغم منع التجول فان صوت الرصاص لم ينقطع طول الليل (١٣) . وارشدت الطائرات البريطانية عن أماكن تجمعات المجاهدين العرب في جبال نابلس ، فخرجت القوات البريطانية ، ونشبت معركة شديدة قرب قرية « توزا » واستمرت ساعتين ، وهاجم المجاهدون مستعمرة « مليس » اليهودية واحرقوا مخازن البرتقال فيها ، واستمر دوي الرصاص وانفجار القنابل طول ليل السابع والعشرين في يافا ، وقطع المجاهدون الطريق الى القدس ونشبت معركة حامية بينهم وبين الجنود البريطانيين .

وفي اليوم الثامن والعشرين أسفرت الثورة عن وجهها بوضوح اكبر، وتقول البرقيات « لا تزال الحالة على أشدها في جميع انحاء فلسطين ، فالجبال غاصة بالعصاة (المجاهدين) والمدن والقرى مضربة ومتمردة على قوانين الحكومة ، والطرق غير مأمونة ورجال العصابات (المجاهدون) يهاجمون المستعمرات والمزارع اليهودية بلا انقطاع ، والمصادمات وحوادث القتل والتدمير تتوالى في كل مكان ، واسلاك التليفون والتلغراف تقطع مرة او مرتين في اليوم ، والخواطر قلقة والافكار مضطربة » (١٤) .

وفي اليوم الثلاثين من مايو (ايار) أعلن أن المجاهدين هاجموا مستعمرة كينوتس هايجار واشعلوا النار في الممتلكات اليهودية بجوار يافا ، وسمع دوي الرصاص والقنابل في الرملة ونشبت معركة بين المجاهدين والشرطة ، وقد أسر احد أفراد الشرطة لدى الثوار العرب ، وسقط تسعة عشر جريحا عربيا في مظاهرات غاضبة ، واضرب العمال العرب في شركة البوتاس واستقال أفراد من الشرطة العربية فقدموا الى المحاكمة ، وهوجمت مستعمرة يهودية ، واحرق المهاجمون خمسمائة والفين من شجر البرتقال، واتلفوا المحصولات الزراعية اليهودية ، وهاجم فدائيان عربيان أثنين من الكونستبلات الانجليز وقتلا احدهما ، كما نسف الجسر الممتد شمال أريحا (١٥) ،

وهكذا انقضى شهر مايو (ايار) من سنة ١٩٣٦ وفلسطين العربية كلها ثائرة مجاهدة . لقد كان سكان فلسطين العرب يقاربون السبعمائة الف نسمة ، وكانوا يكافحون بريطانيا بجيوشها واساطيلها وطائراتها ،

(١٣) جريدة الاهرام ٢٧ من مايو ١٩٣٦ .
(١٤) جريدة الاهرام ٢٩ من مايو ١٩٣٦ .
(١٥) جريدة الاهرام ٣٠ من مايو ١٩٣٦ .

ويكافحون معها الصليبية الاستعمارية متمثلة في فرنسا وامريكا ، وايطاليا وهولندا وبلجيكا واليونان وكلها دول أسرعت بتأييد وعد بالفور ، والعمل على تهويد فلسطين ، ويكافحون أيضا الصهيونية العالمية التي سيطرت على دول أوربا وأمريكا ودوائر المال فيها فسيرتها لمصالحها . وأصبحت صاحبة الحول والطول لدى أحزابها ورجالها .

واشتطت سلطات الانتداب البريطاني من جديد في تطبيقها التعسفي لقانون العقوبات المشتركة ، وارهقت الشعب مستهدفة افقاره واعوازه ، فطبقت المادة الخامسة من ذلك القانون ، والتي نصها :

« اذا ارتكب جرم ، أو الحق ضرر بالاموال في منطقة ، وكان لدى حاكم اللواء ما يحمله على الاعتقاد بأن سكان تلك المنطقة :

أ ــ ارتكبوا ذلك الجرم ، أو تسببوا في ايقاع التلف أو الضرر .

ب ــ تواطئوا على ارتكاب ذلك الجرم ، أو على ايقاع التلف والضرر. أو ساعدوا على ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر بأي وجه من الوجوه .

ج ــ تخلفوا عن تقديم ما في وسعهم من مساعدة لاظهار الجرم أو المجرمين أو للقبض عليهم أو عليه .

د ــ تواطئوا على فرار او ايواء اي مجرم أو شخص يشتبه انه اشترك في ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو بأن له ضلعا في ذلك .

هـ ــ تعاونوا على اخفاء بيانات جوهرية ، تتعلق بأرتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر .

فيجوز له بعد أجراء التحقيق بموافقة المندوب السامي ان يأمر بفرض غرامة مشتركة على جميع المكلفين من سكان تلك المنطقة » (١٦) .

وكانت بريطانيا قد أعلنت منذ أوائل مايو (ايار) قانون الطوارىء الذي جاء رهيبا عنيفا ، وقد أعطى للحكومة حق انزال العقوبات الصارمة لمن تقتنع أنه مخل بالامن ، وان للسلطة ان تضع يدها على اي منزل او بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة او مواد متفجرة قد اطلقت منه ، وللمندوب السامي أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما يشاء (١٧) .

---

(١٦) راجع نص القانون في مجموعة اللوائح والقوانين الفلسطينية بمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت تحت رقم ٥٦٩ ــ ٣٤٩ .

(١٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين .

وكعادة بريطانيا في سياستها التقليدية ذات الوجهين ، بينما كانت اجراءاتها التعسفية تستمر ضد الشعب العربي بشدة وعنف ، كانت تحاول تهدئتهم وانهاء اضرابهم وثورتهم بطرق الترغيب والخداع .

ووصل نوري السعيد يحاول التوسط ، وعاد دون جدوى ، وسعت بريطانيا للايقاع بين العرب المسيحيين والمسلمين ، وأسندت الى عدد كبير من المسيحيين مناصب استحدثتها للغرض المذكور والفت في البرلمان البريطاني لجنة برئاسة المدعو ونترتون ادعت صداقة العرب والدفاع عنهم بقصد تضليلهم وتهدئة ثورة نفوسهم واقناعهم الا يقطعوا آمالهم في الانجليز.

وظهر الأمير عبدالله (١٨) على مسرح الاهتمام ، وسعى لوقف الثورة وأنهاء الاضراب، ولكن الشعب الفلسطيني الممثل في مؤتمر القدس قرر الاستمرار في الكفاح حتى النهاية، واستمر جهاد شعب فلسطين، وعلى طلقات الرصاص ودوي القنابل وأنين الجرحى وسلاسل المعتقلين أصدر الحرس الوطني منشوره التالي :

« أيها الشعب الباسل :

بأسم الحرس الوطني نوجه اليك هذا النداء ، فقد رأينا أن نغير اساليب كفاحنا قبل أن نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم ، ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الآن كفاح عملي شريف ، هم الأصل في قضيتنا واليهود فرع ، هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء أبنائنا دفاعا عن هذه الحركة الآثمة ،

ايتها الأمة الشريفة .

سيري في اضرابك العظيم الى النهاية ، الرجوع قتل لوطنيتنا انه انتحار ، مضيا الى أن تنال البلاد حقها ، واذا الانجليز أستكبروا صمدنا لهم الى النهاية فأما فلسطين عربية وأما كل عربي فيها شهيد .

الى الانجليز :

لقد يئسنا من كل شيء اسمه عدالة بريطانيا ، رجونا ، طلبنا ، استعطفنا ولكن ذهبت كل محاولاتنا عبثا ، قلنا لها ــ يا صديقة الاسلام والعرب ــ أحذري أن تفجعي العرب والاسلام بفلسطين الأقصى والقيامة

---

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

فلم تسمع ، حقنا داسوه ، شرفنا تعرض للشتيمة ، بلادنا كادت تصبح للعدو بالمرة ، اذن سماعا أيها الانجليز : لا مهادنة بيننا وبينكم، حتى تجاب مطالبنا الحقة ، وهذه لا تحتاج الى ذكرها لكم ، يدركها الطفل في مهده ، والشيخ على حافة قبره، ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام ، فاختاروا الذي تريدون ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا اقسمنا مع ذلك أن تظل فلسطين لنا او نطوي شهداء » (١٩) .

وعادت بريطانيا سيرتها الأولى ، سيرة ارسال اللجان والتحقيق حتى اذا ظهر وجه الحق واعلنت وفود بريطانيا تقاريرها أستمرت في باطلها الثقيل .

فقد اعلنت في ١٨ مايو (ايار) أنها سوف ترسل لجنة ملكية لبحث اسباب الثورة ، وبدأ المندوب السامي يلح على اللجنة العربية العليا ، ويقابلها مرات كل يوم محاولا اقناعها بايقاف الاضراب وتهدئة الخواطر ، ولكن العرب كانوا قد ملوا اللجان والتقارير واستنفدوا كل وسيلة سلمية يمكن ان تؤدي الى الحق مع بريطانيا ، ولقد سبق لهم أن اسمعوا وسمعوا ، وقابلوا اكثر من سبع لجان فأعلنوا مقاطعتهم للجنة الملكية المقترحة (٢٠) .

ووسط معاقل الثوار تساقطت المنشورات البريطانية تدعو المجاهدين الى وقف الثورة ، وعلى ما في هذه المنشورات من محاولة التغرير والخداع ، فان العرب لم ينسوا سوابق اللجان والمحققين ، ولهذا لم تجد المنشورات لدى عرب فلسطين الا اعراضا .

وجاء شهر يونيو (حزيران) ١٩٣٦ والثورة تأخذ شكلها الجدي .

هاجم المجاهدون فصيلة من الجنود البريطانيين وقتلوا ضابطا وجنديين ، وقتل يهودي في مستعمرة « كيزال شاول » (٢١) وهاجم العرب مستعمرة « هاتفكا » اليهودية ، وأحرقوا عدة منازل ، والقوا قنبلة على دار الحكومة في القدس ، واشعلوا حريقا كبيرا في يافا ، فأحدثوا خسائر كبيرة جدا ، ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا ، ووزع المجاهدون منشورات دعوا فيها الشعب الى الثورة (٢٢) .

وتحت الضربات العربية أضطر اليهود الى هجر مستعمراتهم الى

---

(١٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية . ص ٨٢ .
(٢٠) جريدة الاهرام ٢ يوليو ١٩٣٦ .
(٢١) جريدة الاهرام ٢ من يوليو ١٩٣٦ .
(٢٢) جريدة الاهرام ٣ من يوليو ١٩٣٦ .

مدينة القدس ، وقد نشرت برقيات الصحف في الرابع من يونيو (حزيران) ان مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين اليها من المستعمرات اليهودية ،وأصبح أمر اعاشتهم عسيرا جدا .

وقد طالبت الهيئات اليهودية حكومة الانتداب وضع حد لهذه الاضرابات ، ورفض أهالي بني مالك دفع الضرائب للحكومة استجابة لنداء رئيس اللجنة العربية العليا ، وأنفجرت قنابل عديدة في اللد وعكا وطبريا ، واطلق المجاهدون الرصاص على مركز الشرطة في بيت دجن ، ونسفوا الجسرين الواقعين بين القدس والخليل وقتلوا يهوديين ، وتعرضت دوريات الجنود البريطانيين لهجمات عديدة من الثوار المجاهدين .

وبينما تتحرك نابلس فترسل لها الدبابات والطيارات يهاجم المجاهدون مستعمرتي الكركور وعين شمس .

وأعلن أن خسائر اليهود حتى الرابع من يونيو (حزيران) بلغت مليونين من الجنيهات ، وجرح ثمانية من اليهود حيث القيت قنبلة على سيارة كانوا يستقلونها ، وهاجم المجاهدون مستعمرتي بيت الفا وخابوري، وقطعت أشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، واشتبك المجاهدون في معركة مع الجنود البريطانيين في الخليل ، وهوجمت قافلة من السيارات اليهودية ، وهاجم العرب خفيرا يهوديا فقتلوه ، ونسفوا الجسر الواقع بين حيفا واللد .

ونشبت معركة بجوار نابلس ، وهاجم المجاهدون المستعمرات اليهودية بجوار القدس وأحرقوا ١٨ الف شجرة برتقال ، وحطموا أعمدة التليفون ، ولم يستطع الجنود البريطانيون التحرك اذ نسف المجاهدون جسور الطرق العامة .

وبينما يعلن في القدس عن وصول امدادات كبيرة من الجند البريطاني في مصر يهاجم المجاهدون الحرس العسكري في محطة اللد ، ويهجمون على القطار الذي يقل الجنود البريطانيين ، وعلى دورية بريطانية بجوار تل ابيب ، كما هاجموا مستعمرة الخضيرة ، ونسفوا جميع جسور السكك الحديدية (٢٣) .

ووزعت المنشورات في جميع المدن والقرى تدعو الى الثورة ، كما هاجم المجاهدون قوة من رجال الشرطة فسلموا لهم سلاحهم ، وقتلوا كونستبلا عربيا لعدم تعاونه مع الثورة ، وهاجموا معسكرات الشرطة

---

(٢٣) جريدة الاهرام ٤ و٨ و ٩ من يوليو ١٩٣٦ .

في الجنوب ، واستمر قطع أشجار اليهود ، فقطعت ٢٨٠٠ شجرة برتقال في مستعمرة يهودية ، واحرقوا سيارتين يهوديتين ، وأحرقوا غابة بالفور ، وتوقفت السيارات اليهودية عن السير في طريق القدس ـ حيفا ـ نابلس لشدة تربص المجاهدين بها ، وظهر جنود البحرية البريطانية يحرسون محطات السكك الحديدية .

واطلق الرصاص على المندوب السامي في اليوم الحادي عشر من يونيو (حزيران)،وأعلن عن مهاجمةالعرب للمستعمرات اليهودية في يافا،وعن مهاجمتهم الجند البريطاني في طريق بيت لحم والمخيمات البريطانية في جوار نابلس ، وأطلق الرصاص على المدعو « سيكرست » مفتش البوليس البريطاني في القدس ، فنقل في حالة خطيرة الى المستشفى ، وحدثت معركة بين المجاهدين والجنود البريطانية عند قرية «دير شرف» وهاجم أحد الثوار في يافا شرطيا بريطانيا فطعنه بخنجره في صدره ، وأستشهد الثائر برصاص الجند البريطاني ، وانفجرت قنبلة في طريق حيفا اللد ، وأعلنت الحكومة جوائز مالية للارشاد عن الثوار ، وأصدرت قانونا لمصادرة أموال الاعانات .

ولكن الثوار لم يهدأوا ، فهاجموا سيارة تقل جنودا بريطانيين وسيارات يهودية بين القدس ـ يافا ، كما هاجموا مستعمرة كفار عصيون، وأتلفوا الوفا من الاشجار ، ونبادلوا الرصاص مع الجند البريطاني ،وأحرقوا معملا يهوديا في القدس ، وهاجموا مركز البوليس في عكا وأتلفوا كثيرا من اشجار البرتقال في مستعمرة أنثيا (٢٤) .

ودارت معارك بين الثوار والجند البريطاني بجوار جنين ، وهاجم المجاهدون قوة من الجند بين سيلة الظهر وجنين حيث وقعت معركة كبيرة ، وقطعت أسلاك التليفونات بين القدس وأريحا ، وأطلقوا النار على القطار الحديدي ، وهاجموا مركز الشرطة في بيت لحم ، وأحرقوا بعض الاكواخ في محطة طيران اللد .

وهاجم المجاهدون العمال الذين يعملون في الخط الحديدي الجنوبي ، وقطعوا أسلاك التليفون عند خان البن ، وأتلفوا أشجار البرتقال والكروم بالقرب من مستعمرة « زهرون يعقوب » وفجروا قنبلتين في دار بلدية حيفا ، وأطلقوا النار على جبال كنعان وأشعلوا حريقا في مستعمرة منحا .

وفي الثاني والعشرين من يونيو (حزيران) أعلنت السلطات عن نشوب أعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب ، وقد أشتركت فيها الدبابات

(٢٤) جريدة الاهرام العدد ١٨ و ١٩ و ٢٣ من يونيو ١٩٣٦ .

والطيارات على خط طوله عشرون كيلو مترا ، وقد عززت القوات البريطانية أثناء المعركة بنجدات من فرقة السيفورت ، مع عدد من الدبابات والطيارات، وقد أنقسم الثوار الى فريقين أحدهما تحصن في جهة الشمال واحتشد القسم الأكبر في الجنوب ، وقد استؤنفت المعركة بشدة في ميدان أزداد طوله الى ثلاثين كيلومترا وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية في « رامان هاكوتش » و « مال لنفسكي » و «مجول» كما هاجموا حاميات القطارات.

وتستمر البلاغات الرسمية البريطانية تعلن عن الحوادث اليومية ، ويتضح أنها كانت ثورة شاملة قوية موزعة .

وقد أجرينا احصائية للاحداث التي أعترفت بها حكومة فلسطين في بلاغاتها الرسمية الصادرة من الرابع والعشرين من يونيو الى الثلاثين منه سنة ١٩٣٦ ، فبلغت ستة عشر بلاغا رسميا عن سبعة أيام مما يدل على أنها أضطرت الى أصدار أكثر من بلاغ واحد في بعض الايام .

وتفيد بلاغاتها الصادرة بين التاريخين المذكورين وقوع اربعين حادثة من الحوادث المختلفة ، كمهاجمة المستعمرات اليهودية ، وأتلاف أشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، وتعطيل المواصلات التليفونية ، ونسف الجسور بين المدن المختلفة ، والايقاع بالقوافل اليهودية ، ومهاجمة محطات السكك الحديدية ، ونشوب معارك مختلفة متنوعة بين المجاهدين العرب والشرطة البريطانية تارة ، وبينهم وبين الجنود البريطانيين تارة اخرى، وفي مختلف البقاع من نابلس وجنين الى القدس وبيت لحم الى الخليل ويافا وبمستعمرات تل أبيب على ساحل البحر .

وجن جنون المندوب السامي ، فأصدر أمره بابعاد امين سر اللجنة العربية العليا الى الحفير ، ثم أمر بابعاد رئيس لجنة أضراب السيارات ، ثم أمر بابعاد رئيس بلدية يافا ، وأستمر المندوب ينزل جام غضبه على شعب فلسطين العربي حتى شرد من كل بيت عددا وأبعد من كل أسرة قسما ، وكانت بريطانيا قد أعدت لذلك الأمر تشريعها المشهور « قانون منع الجرائم» الصادر في ٢٢ من ديسمبر (كانون أول) ١٩٣٣ ، والذي نثبت هنا بعضا من مواده تسجيلا لأساليب بريطانيا في تهويد فلسطين :

« المادة ٥ فقرة ٤ ب : ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب هذا القانون اثبات أن المتهم ارتكب فعلا معينا أو افعالا معينة من شأنها أن تظهر غايته ، أو تنم عن نيته ، أو أخلاقه ، ويجوز اصدار قرار بحقه ليستمر الاعتقال أو التعهد أو أطلاق السراح اذا ثبت لحاكم اللواء أو لرئيس المحكمة المركزية من ظروف القضية أو من أخلاقه المعروفة وجوب

اصدار قرار بحقه ، ويحظر على من طبق عليه هذا القانون أن :

١ ـ ينقل مكان اقامته الى اي قضاء أو مدينة أو قرية أخرى .

٢ ـ أن ينقل مكان اقامته الى اية منطقة بوليس أخرى .

٣ ـ أن يغادر القضاء أو المدينة او القرية ويجب عليه أن :

١ ـ يعلم مدير بوليس اللواء الذي يقيم فيه عن حركته أو مسكنه .

٢ ـ ان يحضر الى أقرب مركز بوليس كلما كلف بذلك .

٣ ـ أن يبقى داخل مسكنه من غروب الشمس الى شروقها ، وللبوليس ان يزوره في مسكنه في اي وقت يشاء .

وكل مخالف يعاقب بالحبس او الغرامة (٢٥) .

٣ ـ صور من الفدائية والبطولة :

ومن واقع الجرائد اليومية التي واصلت نشر البلاغات البريطانية خلال عام ١٩٣٦ احصينا حوادث شهر يوليو (تموز) ١٩٣٦ فكانت كما يلي :

اشعل الثوار ثلاث حرائق كبيرة في انحاء مختلفة من فلسطين ، والقوا حوالي ثلاثين قنبلة لاتلاف الخطوط الحديدية ، وفي الطريق بين المدن والقرى والمستعمرات اليهودية وتحت الجسور وبجوار منازل الحكام البريطانيين وعلى مراكز الشرطة .

وشنوا اثني عشر هجوما على مستعمرات اليهود ومخازن بضائعهم في مختلف انحاء البلاد ، واتلفوا ثمانية واربعين الف متر مربع بما فيها من أشجار مثمرة في مستعمرات اليهود وبساتين الحكومة ، وقطعوا اسلاك التليفون ثلاث مرات بين عديد من المدن والقرى ، وقامت اربع وعشرون معركة بين المجاهدين والجيش البريطاني في نابلس وصفد وطرطوف وعكا والخليل ومستعمرة بن شيمان وغزة وبجوار اللد وطولكرم وكفر سابا وكفر عشبون ، واعترفت البلاغات الرسمية خلال هذا الشهر بثمانية وعشرين قتيلا وجريحا من البريطانيين واليهود ، وتم اعتقال ستة وثمانين عربيا وانزلت الغرامات المالية على تسع من المدن والقرى العربية (٢٦) .

(٢٥) مجموعة المناشير والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية بيروت ، رقم ٥٦٩ ـ ٣٤٩

(٢٦) احصائية عن جريدة الاهرام، الاعداد الصادرة من ١ يوليو الى ٣١ يوليو ١٩٣٦ .

ورفع اليهود شكواهم الى سلطات الانتداب البريطاني راجين حفظ الأمن ، وبدات جموع منهم تغادر فلسطين ، الامر الذي أثار قلق بريطانيا خوفا على انهيار برنامجها الخطير فيها ، وأستمر اعلان الأحكام العرفية وفرض منع التجول في جميع انحاء فلسطين من السابعة مساء الى السابعة صباحا ، ثم أستعان المندوب السامي بالطائرات تلقي قنابلها على معاقل المجاهدين يوما ، وتلقي المنشورات تدعوهم فيها الى انهاء الاضراب والثورة يوما آخر ، واذاع المندوب السامي بيانا طويلا طالب فيه العرب بالهدوء والاقلاع عن الاضراب واعمال العنف ، ولكن المجاهدين أتلفوا أنابيب بترول العراق ثلاث مرات متوالية برغم التعزيزات العسكرية التي صدرت بلاغات رسمية تفيد القيام بها لحراسة تلك الانابيب ، وبلغ من سيطرة المجاهدين ان البلاغات كانت تعترف بدخولهم الى قلب المدن والقرى واحداثهم التفجيرات في عديد من الأماكن ، واضطربت حال اليهود اضطرابا خطيرا فهجروا مستعمراتهم وتجمعوا في تل أبيب وهددتهم المجاعة فتظاهروا يطالبون بالخبز (*) .

ولكن الأحداث كانت تتوالى بسرعة كل يوم منبعثة من تصميم شعب فلسطين وشجاعته ، فلم يلتفت احد الى المنشورات ولا الى النداءات ، وهكذا وضح لسلطات بريطانيا في فلسطين الموقف الحازم الذي اتخذه الشعب العربي هناك ، وحارت في ذلك الاجماع الذي وحّد صفوفه حتى لم يشذ احد عن الكفاح ، فأتجهت الى محاولة جديدة عسى أن تصل بها الى الافساد بين صفوف الشعب المتحد ، فهي قد يئست من ارضاخ اللجنة العربية العليا ، وهي قد ارتبك موقفها في فلسطين أمام انظار العالم ، فأخذت تلقي بمنشوراتها على معاقل الثوار وفوق القرى والجبال عسى أن يجدوا فيها مطمعا يبعدهم عن مشقة الجهاد .

ولنظهر صورة صادقة لعجزها في مقاومة الثورة ، وحيرتها امام الجهاد العربي ، نثبت فقرات من تلك المناشير العديدة :

المنشور الأول :

« من الذي يخسر بسبب الأعمال الخارجة عن القانون القائمة الآن ؟

ان الرجل الفني يعيش مرتاحا في المدينة ، وهو لا يعرّض أسباب معيشته للخطر .. أن الذي يخسر هو ذلك التاجر الصغير الذي اجبر على

(*) جريدة الاهرام اعداد ٨و٩و٢١و٢٥و٢٧و٣١ من يوليو ١٩٣٦ .

اغلاق دكانه . ان الذي يخسر هو ذلك البائع الصغير التي تتلف بضائعه فيما لو حاول بيعها . ان الذي يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع أن يبيع محصولاته في السوق .

أليس بصحيح ؟.. الزموا الهدوء والسكينة ودعوا التحقيق يبدأ » (٢٧)

واستمر عرب فلسطين في جهادهم ، فلم يكن المنشور يحوي أبلغ ولا أقوى من العبارات التي سبق أن تضمنتها وعود بريطانيا للشريف حسين ، فعمدت بريطانيا الى التهديد والوعيد وتبذر بطائراتها منشورا جديدا .

فقرات من المنشور الثاني :

« في أوقات العنف عندما أمسكت السماء عن المطر ، وأمحلت مزروعاتكم اعفتكم الحكومة من دفع الضرائب ، ولكنها تنفق أموالها الآن على توقيف الاعمال الخارجة عن القانون ، فاذا لم تتوقفوا عن الأعمال الخارجة عن القانون وتحافظوا على النظام ، فلا يكون هنالك اعفاءات من الضرائب ، ولا اعانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو أنتم وقريتكم » .

ولم ينفع هذا المنشور أيضا في وقف الثورة العربية ، ولم يخش العرب ارتفاع الضرائب ولم يطمعوا في اعانات بريطانيا ، فسلكت هذه لغة جديدة ملؤها اللوم والوعود ، فألقت منشورا جديدا .

فقرات من المنشور الثالث :

« لماذا الاستمرار علىأعمال العنف والاضطراب ؟ ما دمتم لا تجنونمن ذلك سوى تأخير الوقت الذي ستسمع فيه ظلامات العرب ، لقد وعدت حكومة جلالته أن تكون اللجنة الملكية حيادية وذات سلطة ، ولكنها لن تأتي حتى يعود النظام الىنصابه، ضعوا حدا للشقاء الذي تسببه أعمال العنف، ودعوا اللجنة الملكية تبدأ عملها في الحال »

ولم يكن مصير هذا المنشور بأحسن من غيره ، فعمدت الى التهديد من جديد ، تحاول به انزال الرعب بسكان القرى العربية واستغلال تخويفهم ، فألقت طائراتها منشورا جديدا * .

* لقد كان وصول القائد فوزي القاوقجي الى ميدان القتال عاملا مفيدا في شمول الثورة ، لما عرف عنه عامها من شجاعة ودراية أعطت مثلا حيا لوحدة الكفاح العربي متعاونا مع القادة الفلسطينيين .

(٢٧) فلسطين بين الانتداب والصهيونيه ص ١١٨ — ١٢٠ .

فقرات من المنشور الرابع :

« لقد أحضرت الجنود البريطانية الى فلسطين لمساعدة الحكومة على توطيد القانون والنظام ، وواجبهم هو القبض على العصابات التي تقوم بارهاب البلاد ، وتجريد هذه العصابات من السلاح ، عندما تأتي الجنود لتفتيش قرية تضرب حولها نطاقا من العساكر لمنع العصابات من الفرار... واذا حاولتم الفرار يظنكم الجند من افراد العصابات ... فلا تمدوا اذن يد المساعدة الى العصابات ولا تدعوها تدخل قريتكم . حالما يستتب النظام، ولكن ليس قبل ذلك سيجري تحقيق شامل في جميع ظلاماتكم » .

ولحق المنشور الرابع ما سبقه من منشورات ، والسياسة البريطانية لا تيأس ، وهي تدرك أن الثورة ليست لبنا وعسلا ، وأن العرب وهم ثائرون ومضربون لا بد أنهم يقاسون مر التضحية ويدركون متاعب الحياة ، فلتأتهم من هذا الباب ، وجاء بيانها الجديد في المنشور الخامس .

فقرات من المنشور الخامس :

« كيف أصبحت حال فلسطين اليوم ؟ قبل ثلاثة أشهر كانت فلسطين ترتع في رخاء ، وكان التاجر العربي يبيع بضائعه ويفيد عائلته ، ويؤمن راحتها ، وكان الفلاح يجلب محصولاته الى السوق ويبيعها ويربح ، وكان لدى الحكومة أموال تصرفها على تحسين احوال القرى ، فكيف أصبحت حال فلسطين اليوم ؟ لقد أصبح التاجر العربي في حالة فقر ، وأصبح مديونا وليس لدى الفلاح سوق ليبيع محصولاته وأموال الحكومة تصرف على القوات المسلحة ، فما الفائدة من كل هذا ؟ ان اللجنة الملكية ستقوم بالتحقيق الوافي في ظلامات العرب بدون تحيز أو محاباة ، المداومة على أعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

ولم تفد هذه المنشورات الخمسة في وقف الجهاد العربي ، فقد مضت تسعة عشر عاما والعرب لا يتلقون كل يوم من الانتداب البريطاني الا طعنا لقضيتهم ، وحرمانا من حقوقهم ، وعملا بريطانيا صليبيا بأن فلسطين بلد لليهود ، سواء الذين يسكنونها أو الذين يقيمون في مختلف الأقطار الأخرى مهما بعدت أوطانهم في غرب الارض أو شرقها .

فقرات من المنشور السادس :

« لا تعيروا أذنا صاغية للاشاعات الكاذبة ، ولا تصدقوا أولئك الذين

يقولون لكم ان في امكانكم أن تجنوا شيئا مـن الاستمرار في الاضطرابات ، كلما طال استمرار أعمال العنف ازداد ما ينشأ عنه من الضيق لكم ولقريتكم بدون أن تسفر عـن أي فائـدة بتاتا ، انما تؤخر اليـوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

ولحق هذا المنشور بكل المنشورات السابقة ، ولم يعره الثوار أذنا ولا اهتماما .

واستمرت الثورة قوية عارمـة ، واستمرت بريطانيا تتخذ كل يوم شكلا جديدا من أشكال محاربـة العرب لصالح اليهـود وقهرهم واثقالهم وارهاقهـم ، فالى جانب المعتقلات المكتظة بالمسجونين والى جانب المنافي التي أبعدت اليها آلاف الشباب والرجال ، الى جانب كـل هذا تفننت في تنويع الغرامات على القرى والمدن ، حتى اذا ادركت ان العرب استطاعوا جمع المال المفروض ، قررت على قرية أخرى غرامة عينية ملزمة كنوع من التعجيز ، فاذا تكاتف العرب لجمـع تلك الغرامة لجأت الـى هدم القرى واحياء كبيرة من المدن ، وبينما تفرض غرامة خمسة آلاف جنيه على مدينة اللد لمهاجمة دورية عسكرية فيهـا ، تفرض غرامـة أخرى قدرها ثلاثمائة جنيه على قرية بيسان ، ثم تنوع العقوبة فتفرض خمسة وعشرين كيسا من الحنطة على نفس القرية ، كل ذلك خلال أسبوع واحد ، ثم تعمد الى جنين فتهدم جانبا منهـا ، وتذهب الى يافا فتهدم جميـع حيها العربي القديم(٢٨) .

لقد شهدت تلك الثورة معارك خالـدة ما زال شعب فلسطين يؤرخ بها عديدا من الاحداث ، وهي معارك يجب أن تنحني الرؤوس لذكراها ، فقد كانت تدور بين شعب لا يكاد يتسلح الا بجهد قليـل ، وبين جيوش الامبراطورية البريطانية المدربـة ، وعمدت بريطانيا فـوق قواتها العادية المقيمة بفلسطين الى استعداد عسكري كبير ، وكان جيشها يقوم بمناورات عسكرية في « الدرشوت » قرب لندن سنويا ، ولم تلغ تلك المناورات الا عند قيام الحرب العامة الأولى ، ولكن الثورة الفلسطينية أرغمت الانجليز على الغاء مناوراتهم التقليدية ، وارسلت قواتها بقيادة الجنرال « جون ديل » لتحارب ثورة العرب هناك ، ووزعتها على الأماكن التالية :

١ ـ مركز قيـادة الجيوش البريطانيـة في فلسطين وشرق الأردن (القدس) .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٢ ـ الفرقة الاولى بقيـادة الماجور جنرال ارمتياج منطقتها الأنحاء الجنوبية ومركزها القدس وتضم :

أ ـ لواء المشاة الأول بقيادة اللواء موون منطقته القدس .
ب ـ لواء المشاة الثاني بقيادة اللواء كار منطقته يافا .
ج ـ لواء المشاة الثالث بقيادة اللواء ماسي منطقته القدس .

٣ ـ الفرقة الخامسة بقيادة الماجور جنرال هوارد منطقتها الأنحاء الشمالية مركزها حيفا وتضم :

أ ـ لواء المشاة الثالث عشر مع قوة حدود شرق الأردن بقيادة اللواء بريتني منطقته الناصرة .
ب ـ لواء المشاة الخامس عشر بقيادة اللواء يومان منطقته حيفا .
ج ـ لواء المشاة السادس عشر بقيادة اللواء اكيفنس منطقته نابلس.

وفي منطقة حيفا فرقة « الهوسار » الحادية عشرة وجيوش السكك الحديدية بقيادة اللفتننت كولونيل « اترسوف » وثلاث كتائب أخرى .

وفي القدس مركز لقوات الطيران الملكيـة في فلسطين وشرق الأردن بقيادة كومودور الطيران « هيل » .

وكانت هذه القوات البريطانية المنتظمة الكبيـرة مضافة الى القوات الأخرى التي كانت تعسكر قبلا في فلسطين ، والى قوات البوليس البريطاني وقوة حـدود شرق الاردن ، كانت كلهـا معـدة لمحاربة الثورة العربيـة الفلسطينية التي طال الصراع معها في قوة وفي عنف ، وقد كان العديد منها معارك كبيرة فعلا .

معركة بلعا :

في الثالث مـن سبتمبر (ايلول) ١٩٣٦ صـدرت الاوامر لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند ، وطلب منها ان ترابط على الطريق بين طولكرم ونابلس للحفاظ علـى القافلة اليهودية اليومية ، وعلمت بهذا قيادة الثوار من مخبريها الذيـن يعملون مع العدو ويخلصون للثورة ، فبثت الألغام في طريق السيارات ، وحين نزل الجند مفزوعين من الانفجارات ، أطلق الثوار رصاصهم وابتدأت معركة كبرى ، وكان الثوار يرابطون على جبلين متقابلين ، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الاشجار وخلف الدبابات .

ووصلت اثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس ، واصبح عدد الجند

يقارب خمسة آلاف جندي ، واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة ، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان ، فحطم صخور الجبال وعصف بأثمار الأشجار ، وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين ، وكانت النسوة يزغردن لهم ويساعدنهم بالعتاد والماء والطعام .

واستمرت هذه المعركة يوما كاملا من الصباح حتى غروب الشمس ، وأسقطت فيها طائرتان للعدو ، واحرقت اثنتان واستشهد عشرة من المجاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام ، وفقد الانجليز باعترافهم الذي لا يذكرون فيه الحقيقة الكاملة ضابط الطيران « هنز » والطيار « لتكوني » وضابطين آخرين والاونباشي « ولكس » ولم يكن بد أمام القيادة البريطانية من أن تعترف بهؤلاء بعد أن أحرقت الطائرات بطياريها ، أما الخسائر الأرضية فلم تذكر عنها شيئا .

معركة ترشيحا :

وفي معركة ترشيحا التي حدثت على طريق نهاريا ـ ترشيحا قرب عكا ، رابط ستون عربيا واشتبكوا مع الجند ورجال الشرطة الذين جاءت الطائرات تعززهم ، ودامت المعركة من منتصف النهار حتى عم الظلام ، وانتهت باستشهاد نصف هؤلاء الأبطال تقريبا ، اذ استشهد منهم ٢٩ بطلا وجرح ثمانية حملوا جميعا من ميدان المعركة .

وفي عصر اليوم نفسه اطلق المجاهدون النار شمال الجاعونة على سيارات شرطة بريطانية فأحرقوها وقتلوا كل من فيها الكونستبلات « بار ، كتل ، فلتشر ، موريون » وأخذوا رشاشاتهم ومسدساتهم وسلاحهم وعشرة آلاف رصاصة ، ووصلت القوات البريطانية تساعدها الطائرات ، فأصيب عدد منهم وانتهت المعركة بفعل الظلام الدامس .

معركة جبع :

قامت هذه المعركة في سهل قرية جبع في قضاء جنين ، حيث تجمعت القوات البريطانية من جنين ونابلس تؤيدها سبع طائرات وعدد من مدافع الميدان ، وطوّق الثوار من جميع الجهات فاستعملوا سلاحهم الابيض وهاجموا الجنود ، وكاد الثوار يهزمون ، ولكن اخوانهم في الجبال أسرعوا لنجدتهم ، وطوقوا الجند وانقذوا الثوار المحاصرين ، وفي الليل تبين ان احدى وأربعين اصابة بالثوار نتجت عن قنابل الطائرات وان ثلاث عشرة اصابة نتجت عن المعركة مع الجند ، وقد أسقطت طائرة وجرح قائدها « ستيوارت » وفجرت مصفحة مرت فوق لغم اثر عودتها الى نابلس .

وقتل البريطانيون الأربعة بها .

ولكن هذه المعركة لم تكن الوحيدة في سهل قرية جبع بل عمد الثوار الى ربك قوات بريطانيا ربكا أفزعها وأخل بنظامها ، فلم تكد تمضي نصف ساعة على انتهاء المعركة حتى هاجم الثوار جميع مراكز الشرطة في نابلس ، وقسموا انفسهم سبع فرق ، وفي وقت واحد هاجم كل فريق المكان المحدد له ، فهوجم الجنود البريطانيون المرابطون في الجهة الشرقية من نابلس ، وهوجمت القوات المرابطة في ساحة سكة الحديد ، وهوجم الجند المرابط في النادي الرياضي ، وهوجمت القوات المرابطة في المحكمة الشرعية ، وهوجم الجند المرابط في المدرسة الغزالية ، وهاجم الفريق السادس سراي الحاكم ، وبقيت الفرقة السابعة في سفوح الجبال تراقب المعركة وتحمي ظهور المقاتلين .

وتحولت مدينة نابلس الى ساحة قتال ، وعم الخوف والفزع جميع ارجائها ، وخرجت المصفحات تجوب الشوارع وتقاتل الثوار ، ولم تذكر البلاغات الخسائر البريطانية ، ولكنها كانت دون ريب كبيرة في هجوم شامل منظم ومفاجيء .

ان قائد القوات البريطانية كان خائفا مفزوعا ، ولم يجد اجراء يتخذه أمام قوم يهاجمونه في عقر المدينة ، ويضربون جنوده في كل مكان ، الا ان يبعث بقواته الى رئيس بلدية نابلس سليمان عبد الرازق قائلا :

« ان رجالكم أطلقوا النار على قواتي ، واحضرتك لتكون ضيفي وستنام على ظهر السطح مع حرس الرشاشات الذين كانوا يتبادلون اطلاق النار مع الثوار » .

واخذه لينفذ فيه هذه الضيافة ، وفي الصباح رمى رئيس البلدية بالوسام البريطاني الممنوح له الى المندوب السامي واستقال أعضاء المجلس البلدي احتجاجا(٢٩) .

وسد الثوار الطريق العام عن منطقة الخليل ، ووضعوا فيه الحجارة الكبيرة ، وقطعوا أسلاك التليفون على مسافة كيلومترين ، وعندما وصل الجند البريطاني نزلوا لرفع الحجارة فاستقبلهم الثوار بالنيران ، فاحتموا بالخنادق على جانبي الطريق ، واستعملوا سلاحهم ورفعوا شارات الاستنجاد ، وبعث الثوار بفريق الى طريق القدس ، وبآخر الى طريق

(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

الخليل لعرقلة هذه النجدات التي بلغت ١٥٠٠ جندي ، وامد القرويون الفلسطينيون الثوار بسلاحهم وعتادهم ومؤنهم ، واستمرت المعركة عشية ٢٤ سبتمبر (ايلول) وطوال الليل ، وفي الصباح كانت الدماء تبدو واضحة في كل مكان ، على طول خمسة عشر كيلومترا ، وهو الميدان الذي نشب فيه القتال بين الثوار والجند البريطاني ونجداتهم .

٤ ـ المعارك تتوالى :

ولحقت هذه المعارك الكبيرة معارك أخرى تشبهها أو تعظمها ، مثل معركة بيت جبرين التي انتشر فيها الجنود البريطانيون في جبل برقة ، وبيت جبرين شمال غربي نابلس ، وسرعان ما ظهر ثوار آخرون يكمنون في الكهوف والمغاور بين أشجار الزيتون ، ودارت معركة مريرة ، وجاءت الطائرات تساعد الجيش البريطاني وتمده بالذخائر ، وجاءت النسوة العربيات يحملن قرب الماء ، ويزغردن مع طلقات الرصاص ، وتجاوبت الأصداء ، ودام القتال خمس ساعات ، ولم تفصح الحكومة الا عن اصابة ضابط وجنديين و ٢٢ مجاهدا بين قتيل وجريح .

وهناك كثير غير هذه المعارك مثل معركة الخضر التي استشهد فيها البطل السوري القائد سعيد العاص وجرح فيها الشهيد عبد القادر الحسيني ، ومثل معركة كفر صور التي اشتركت فيها عشر دبابات فغنم الثوار واحدة منها في جبل طولكرم وعطلوا أخرى .

ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية ، ففي نفس الوقت التي كانت تدور فيه هذه المعركة طيلة النهار كان عربي يطلق النار على مساعد مدير الشرطة في حيفا واصابه بجراح خطرة ، وخربت مزرعة طماطم قرب مستعمرة ناثانيا كما يقول البلاغ الرسمي البريطاني ، وعندما كانت تدور معركة الخضر التي اشرنا اليها سابقا كان المجاهدون الفدائيون يقطعون الأشجار المثمرة في ضواحي القدس ، ويتبادلون الرصاص مع الشرطة .

وجاء شهر اكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٦ والمعارك تستعر نارها في جميع ارجاء فلسطين المجاهدة ، يقول البلاغ الرسمي البريطاني :

« اهتدت دورية من الجنود بمعونة الطائرات الى مواقع صغيرة مسلحة من العرب بالقرب من بيت جبرين شمالي نابلس ، فتبادلت معها اطلاق النار حتى دخول الليل ، وقد اسفرت عن اصابة جنديين وضابط بريطاني بجراح طفيفة ، ويعتقد ان أضرار العصابة بلغت ٢٢ اصابة ، وعثر

البوليس على ذخيرة واسلحة في قضاء الناصرة ، واطلقت النار على سيارات بالقرب من بيت دجن فقتل سائق السيارة الأولى. ويجري البوليس تحقيقا لمعرفة المعتدين ، واطلقت النار على دورية عسكرية بالقرب من قرية بيت دجن ، وقبض خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة على أربعة عرب بتهمة اطلاق النار على الجنود ، وعلى عربي آخر لحيازته أسلحة بصورة غير قانونية(٣٠) » .

وتستمر الصادمات واعمال التخريب في فلسطين فتحدث معركة بين الثوار والجند في بيت لحم دامت نحو ساعة استخدم فيها الجنود المدافع الجبلية ، وقد قطعت أسلاك التليفون بين مدن أريحا والقدس وبيت لحم ، وهاجم جماعة من الثوار مستعمرة شجرة في الشمال(٣١) .

وقبل يوم واحد من تدخل ملوك العرب وهم يدعون الشعب الفلسطيني لانهاء الاضراب والثورة كانت معارك فلسطين تدور بشدة وشجاعة ، فقد دارت معركة كبيرة في جبل الكرمل طول النهار ، واخذت النهار بطوله واشتبكت فرقة من الجنود تابعة للهيلاندرز مع جماعة عربية واسفرت المعركة عن قتل عربي وجرح اثنين القي القبض على احدهما ، واطلق المجاهدون النار في حيفا على مساعد مدير الشرطة فأصيب بجراح خطرة ، وضرب المجاهدون مزرعة طماطم بالقرب من ناثانيا وقبض على عربي لحيازته سلاحا بصورة غير قانونية(٣٢) .

وبعد تدخل ملوك العرب وقبل يوم واحد من فك الاضراب استجابة لتدخلهم ، اعلنت برقيات القدس أن مصادمات شديدة جرت في الطريق بين يافا والقدس ، وان السلطة فرضت غرامة الف جنيه على مدينة الخليل .

ولقد حملت اقاصيص شعب فلسطين حقائق مشرفة عن ابطال خاضوا هذه الثورة ، واسهموا في تلك المعارك بصلابة وايمان فهذا هو الشيخ قاسم محمد الشايب من علماء الاسلام الذي استشهد يوم بلعا ، لم يوجد بين ثيابه الا مصحف كريم و١٢ مليما لا غير ، كان هذا كل رأس ماله .

وتلك المرأة القروية تقف الى جانب جثث الشهداء فتشير بيدها الى احدى الجثث « انه يشبه ابني » ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهي تزغرد فقد تبين لها ان الشهيد كان ابنها .

---

(٣٠) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٧٣ ، جريدة الاهرام ٢ من اكتوبر ١٩٣٦ .

(٣١) جريدة الاهرام ٤ من اكتوبر ١٩٣٦ .

(٣٢) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٩٣ ، جريدة الاهرام ١٠ من اكتوبر ١٩٣٦ .

وحين تدهور القطار بين كفرجنس ومحطة اللد كان الفاعل الشهيد « حافظ صقر » واقفا أمام القطار المتدهور يشاهده ، فأطلق عليه جندي النار فأصابه اصابة قاتلة ، ولما جاء رجال الشرطة يسألونه عن الذين اشتركوا معه في انتزاع قضبان الخط أجاب : « لم يشترك معي احد ، بل أنا وحدي قمت بهذا الواجب الوطني اسقوني ماء .. » ثم أسلم الروح .

وبينما كان العالم المسلم عبد الحفيظ أبو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند ، واشتبك معها في معركة، فلما سدد بندقيته اليهم لم ينطلق رصاصها لفساده ، فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين الذين عاجلوه برصاصة ذهب معها شهيدا .

وتلك العروس الشابة التي لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك الثوار بها أمجادهم ، فباعت بيتها الموروث عن أبيها ، واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحا ، وشجعت زوجها محمود شحادة النابلسي على اللحاق بالثورة واسهم بشجاعة وبطولة ، حتى استشهد في معركة وادي الطواحين يوم ١٣ يوليو (تموز) ١٩٣٦ .

٥ ـ الوصف البريطاني الرسمي للثورة :

تحدثت الوثائق الرسمية عن الثورة في بيان بريطاني صدر أثناءها وفي الشهور الأولى منها قال :

« ابتدأت الاضطرابات في فلسطين في شهر ابريل (نيسان) من هذه السنة ، وعقب وقوع بعض حوادث الشغب في يافا ، وفي أماكن أخرى اخمدت في الحال اتخذت هذه الاضطرابات شكل اضراب عام ، أعلنته لجنة من وجهاء العرب ، يصطبغ بصبغة سياسية معينة ، ويرمي الى تحقيق مأرب لا يتفق والانتداب ، واستعملت في مواصلته وسائل هي بمثابة تحد مباشر للسلطة القائمة .

وقد وقعت حوادث قتل وأعمال مستنكرة أخرى في مختلف انحاء البلاد ، من قبل عصابات مسلحة من الارهابيين ، فعدا عما وقع من حوادث التعدي التي ادت الى خسارة في الأرواح بين الجنود البريطانيين ورجال الطيران والبوليس ، وقضت على حياة كثيرين من العرب واليهود على السواء ، فقد اشتملت أعمال هذه العصابات المسلحة على محاولات متكررة في شل وسائل المواصلات وقطع خطوط البرق والتليفون ، واخراج القطارات عن الخط ، وعلى محاولات لمنع حركة السير على الطرق العامة .

وقد سببت أضرارا مادية عظيمة الحقت ضررا فاحشا باقتصاديات

البلاد ، ووقعت محاولات عديدة لاتلاف خط انابيب البترول بين حيفا والعراق واشعال النار في المتدفق منها ، وثمة نتيجة مهمة أسفر عنها الاضراب هي اقفال مرفأ يافا اقفالا فعليا ، وان كان مرفأ حيفا لم يتأثر لغاية الآن الا قليلا لحسن الحظ .

وقد عمدت ادارة فلسطين في الحال الى اتخاذ تدابير فعالة لحماية الأرواح والأموال وقمع الاضطرابات ، وفي أثناء الاشهر التي تلت نشوب الاضطرابات عززت الحامية الفلسطينية تعزيزا وافيا ، غير أنه بالرغم مما أظهرته السلطات البريطانية من رحابة الصدر الأمر الذي حاز الموافقة التامة من حكومة جلالته ، التي كان جل اهتمامها اعادة السلام بين مختلف الطوائف في فلسطين باتخاذ تدابير تنطوي على أقل ما يمكن من الآلام والخسائر في النفوس ، فقد استمر الاضراب السياسي مصحوبا بأفعال مستنكرة ، وبمناوشات حربية واستعمل التخويف على مجال واسع من قبل أولئك المسؤولين عن مواصلة هذه الاضطرابات ، بقصد ارغام كافة الأهالي العرب على التعاون الضمني .

على كل حال وبالايجاز فقد اصبحت الحالة التي أوجدت في البلاد بمثابة تحد مباشر لسلطة الحكومة البريطانية في فلسطين(٣٣) » .

كان وزير المستعمرات قد صرح في الثامن عشر من شهر مايو (أيار) في مجلس العموم ، أن حكومته رأت أن من المرغوب فيه القيام بتحقيق محلي شامل ، على أن تكون الخطوة الأولى في ذلك السبيل اعادة توطيد القانون والنظام ، وصرح أيضا « ان نية حكومة جلالته بعد اعادة النظام الى نصابه ان تتقدم بتوصية الى جلالة الملك كي يعين لجنة ملكية تقوم بالتحقيق في أسباب الاضطراب وفي ظلامات العرب أو اليهود المزعومة **بدون التعرض لنصوص الانتداب الأساسية** . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو (تموز) أعلنت أسماء أعضاء اللجنة الملكية في مجلس العموم مع شروط صلاحيتها وهي كما يلي :

« أن تتثبت من الأسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر ابريل (نيسان) وأن تتحقق في كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود ، وأن تتثبت بعد تفسير نصوص صك الانتداب تفسيرا صحيحا مما اذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلامات مشروعة ناجمة عن الطريقة

(٣٣) فلسطين بين الانتداب والصهيونية .

التي اتبعت فيما مضى ، او المتبعة الآن في تنفيذ التواصي ، لازالة تلك الظلامات ومنع تكرارها ، وستتولى اللجنة الملكية القيام بواجباتها في أقرب وقت ممكن ، غير انه كما ذكر فيما سبق يجب اعادة النظام في فلسطين الى نصابه ، قبل أن تبدأ اللجنة تحقيقها في هذه البلاد .

هذا هو الشرط الضروري لتمكن اللجنة من القيام بواجباتها بصورة فعالة ، ولسوء الحظ اتخذ الزعماء العرب موقفا ينطوي على عدم انهاء الاضراب ، ما لم تدخل الحكومة البريطانية تغييرا اساسيا على سياستها المتعلقة بفلسطين ، وبالرغم من اعلان أسماء أعضاء اللجنة وصلاحيتها ، استمر الاضراب مصحوبا بأعمال مستنكرة ، تتفاوت درجة شدتها في أنحاء كثيرة من البلاد ، وفشلت جميع المساعي التي بذلت لغاية الآن لايجاد جو ملائم للتفاهم .

وقد تقدم أصحاب النوايا الحسنة من الملوك والامراء العرب ، وذوي المقامات العالية في البلاد المجاورة ، فأعربوا من حين الى آخر عن رغبتهم في استعمال نفوذهم لمحاولة الوصول الى مسالمة ، فعرض صاحب الجلالة ملك المملكة السعودية العربية وساطته ، بالاشتراك مع ملوك وأمراء العرب الآخرين اذا كان في الامكان تأمين تعاونهم ، ولسوء الحظ استمرت الأحوال تسير في مجرى جعل من المتعذر التقدم تقدما موفقا فيهذا السبيل.

وقام صاحب السمو أمير شرق الأردن أيضا ، ومؤخرا قام الجنرال نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق بمسعى آخر من هذا القبيل ، غير أن المحادثات المطولة التي جرت بينه وبين الزعماء العرب المشار اليهم انتجت انهم اصدروا في اليوم الحادي والثلاثين من شهر اغسطس (آب) بيانا صرحوا فيه مداومتهم على الاضراب الى أن تتحقق مقاصدهم ، وبالرغم من تدخل الجنرال نوري باشا ، استمرت الأفعال المستنكرة وغيرها من حوادث الاضطرابات الجسيمة تقع يوميا دون توقف ، وبعد امعان النظر الدقيق في الحالة من جميع نواحيها ، اقتنعت حكومة جلالته أن حملة العنف والتهديد بالعنف التي يحاول الزعماء العرب التأثير بواسطتها على سياسة حكومة جلالته ، لا يمكن السماح بدوامها ، وأن من الواجب الآن اتخاذ اجراءات أسرع وأكثر فاعلية لوضع حد لحالة الاضطراب الحالية بأقل ما يمكن من التأخير وتحقيقا لهذه الغاية وجد من الضروري ارسال نجدات كبرى اخرى الى فلسطين وبناء على ذلك تتخذ التدابير الآن لارسال فرقة من الجنود الى فلسطين .

وبالنظر لكثرة النجدات وما يترتب عليها من المسؤوليات الاضافية تقرر أن يعهد للقيادة بزمام الرقابة العسكرية العليا في البلاد الى لفتننت

جنرال ، ووقع الخيار على اللفتننت جنرال ج.ج ديل. دي. أس. أو . مدير العمليات والاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية سابقا .

ان حكومة جلالته تأسف كل الأسف لاضطرارها الى اتخاذ هذه القرارات ، فبريطانيا العظمى قبلت الانتداب على فلسطين بناء على شروط تنطوي على مسؤولية تأمين رفاهية جميع أهالي فلسطين وهي تعتبر هذه المسؤولية كأمانة لا خيار لها في أدائها ، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن لجنة الانتداب الدائمة كانت قد ذكرت في تقريرها الذي رفعته الى مجلس عصبة الأمم في سنة ١٩٣٠ ان من رأيها أن التأكيدين التاليين يعربان اعرابا صحيحا عما اعتبرته روح الانتداب على فلسطين :

١ — ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب على فلسطين نحو فريقي السكان هي ذات قيمة متساوية .

٢ — وان الالتزامات المزدوجة المترتبة على الدولة المنتدبة ليست غير قابلة للتوفيق بحال من الأحوال .

ان حكومة جلالته لعلى اتفاق تام مع روح هذا التصريح الذي اعطي في جنيف ، وهي شديدة الرغبة في السير على سياسة تنطوي على تأمين العدالة بلا محاباة لكل من العرب واليهود ، والعمل على توطيد السلام وتقدم هذه البلاد التي لها مكانة خاصة لدى كلا الشعبين . ان الهدف الدائم للسياسة البريطانية هو تأكيد وصيانة العلاقات الودية والثقة مع الشعوب الاسلامية ، ولهذا السبب بقطع النظر عن كافة الأسباب الأخرى كانت حكومة جلالته تود أن تجتنب بكل الوسائل الممكنة خطة العمل التي ارغمت الآن على اتخاذها ، غير انه لا يمكن لحكومة من الحكومات ، وبخاصة اذا كانت مضطلعة بمسؤوليات الانتداب ، أن تبيح لنفسها الحيد عن طريقها بأعمال العنف والأفعال المستنكرة .

ومع هذا لا تزال الحكومة البريطانية تأمل أنه عندما يدرك أولئك الذين يقومون بتكدير صفو السلام في فلسطين ، أن أعمالهم الحاضرة مضرة بالمصالح الحقيقية لجميع فئات السكان وبالبلاد بأجمعها ، وان الدولة المنتدبة مصممة على ممارسة سلطاتها بلا تحيز وبروح العدل ، يصبح عندئذ في الامكان التثبت مما اذا كان لدى العرب او اليهود اية ظلامات مشروعة أو مخاوف من جهة المستقبل ، وتقديم التواصي لازالتها بغية تأسيس علاقات ودية وسلمية بين جميع ذوي العلاقة . أن حكومة جلالته مقتنعة أن هذه الغايات يمكن الوصول اليها ضمن نطاق الانتداب الذي لا تنوي التخلي عنه ، وحكومة جلالته وطيدة الأمل أن اللجنة الملكية ستقدم

تواصي تمكنها من القضاء نهائيا على حالة الشكوك والمخاوف التي يشعر بها كلا الطرفين وان سوء التفاهم والاضطرابات المفجعة التي سادت البلاد خلال الخمسة الأشهر الماضية ستنجلي عن تسوية دائمة(٣٤) .

٦ ـ تدخل الملوك والرؤساء العرب :

وعلى الرغم من هذا البيان الخطير الذي أرادت به بريطانيا ادخال الفزع الى عرب فلسطين ، وتهديدهم بقواتها العسكرية ، وهي التي لم تأل جهدا منذ أول يوم في العسف بالعرب ، والتنكيل بهم ، على الرغم من هذا البيان استمرت الثورة ، واستمر الاضراب ستة شهور ، وأخذ بالتحديد مائة وستة وسبعين يوما .

أما عرب فلسطين فما ضعفوا وما وهنوا ، وما استكانوا ، على الرغم من النجدات العسكرية العديدة التي كانت تتوالى على فلسطين من قوات الاحتلال البريطاني المرابطة في مصر وفي مالطة ، وبرغم قوات الطيران والأسطول .

لم يذعنوا لمنشورات بريطانيا تلقيها على معاقلهم ، ولم يثنهم الجوع والفقر والارهاق عن المضي في ثورتهم ، ولم يقلل من تصميمهم الابعاد والقتل والتغريم وغير ذلك من أساليب التنكيل ، ومضت الثورة عارمة مدمرة .

وفي الأسبوع الثاني من أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٦ أذيعت نداءات ثلاثة بتوقيع الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي الأول ملك العراق ، والأمير عبدالله أمير شرق الاردن وجاء النداء على النحو التالي :

« القدس ـ بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا

الى أبنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ، ندعوكم للاخلاد الى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل .

وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم(٣٥) » .

(٣٤) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١٣٧ ـ ١٤٢ .
(٣٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨٦ .

واذاعت اللجنة العربية العليا انها قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافقتها باتفاق الآراء ، ان تلبي نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور أعلاه ، وأن تدعو الأمة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ، ابتداء من صباح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦ رجب ١٣٥٥ هـ تشرين الأول ١٩٣٦ م وبأن يبكر أفراد الأمة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على أرواح الشهداء ، ورفع الشكر لله تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد، ثم يخرجوا الى فتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم ، والله ولي التوفيق .

ان بيانا صغيرا صدر عن ثلاث شخصيات عربية هم ملكا السعودية والعراق وامير شرق الاردن ، استطاع ان يفتح محلات العرب ، ويعيد موظفيهم الى اعمالهم ، ويحيل الاضراب الى عمل والى انشاء ، بعد أن عجزت بريطانيا بقواتها وسلاحها ومنشوراتها ان تفعل ذلك .

وان التاريخ ليردد بألم ومرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من أنهم « يعتمدون » على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل . فكيف كانت بريطانيا تحمل وجه الصديق في قضية فلسطين ، وهي صاحبة معاهدة سايكس ـ بيكو التي قسمت بها البلاد العربية بينها وبين فرنسا ؟ وهي مانحة وعد بالفور الذي وعد بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ؟ وهي واضعة صك الانتداب الذي حتم ان تكون فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يكفل انشاء وطن لليهود فيها ؟ وهي صاحبة الحكم الذي يمثله المندوب السامي في فلسطين حيث اغتصب الاراضي من أصحابها العرب ، وطرد الفلاحون من قراهم تحت سياط الجنود ورصاصهم ؟ وهي فارضة القوانين التي أثقلت كاهل العرب بالضرائب ، وجعلت تملك الاراضي لليهود حقا يؤيده القانون واحيت ثم انعشت بها صناعة اليهود ، وأذابت تجارة العرب ؟ وهي صاحبة الجيوش التي سلطت على القرى العربية تفتشها وترهبها ، وتعدم شبابها وترمل نساءها ؟ وهي التي صرح وزير مستعمراتها عام ١٩٣٥ في حفل صهيوني بلندن :

«اني فرح جدا لأن اقتراح هجرة اليهود الى كينيا قد اخفق، وبصفتي وزير المستعمرات أشكر الذين رفضوا اقتراح كينيا ، فنبوءة وايزمان قد تحققت ، وعاد اليهود الى بلادهم ، ولو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة

لاعطيناه اليوم »(٣٦) ، هذه هي بريطانيا التي اعتمد بعض العرب على صداقتها عام ١٩٣٦ ، والتي أشادوا برغبتها في تحقيق العدل ، أنه لبيان جدير أن يقابل بالسخرية والأمتهان ، وأن يقرن بروح الضعف وقلة الحيلة والواقع المرير، اذ اتخذ وسيلة لوقف ثورة عجزت بريطانيا عن اخمادها .

اما شعب فلسطين فقد هدأ قليلا ، ولا يلام على هذا الهدوء القليل ، فما كان له ان يقطع الصلة بملوك العرب وامير الاردن ، وهو الشعب الصغير المنعزل في فلسطين ، في مواجهة قوات عالمية كبيرة ، وانه لجزء من الامة العربية التي حيل بينه وبينها ، وانه لمدرك انه اذا لم يستمع الى هذا النداء بعد أن ثار واضرب ستة اشهر كاملة ، اقامت عليه الاجيال التالية حجة انه رفض وساطة عليا بذلت من جانب بعض الملوك العرب لتسوية القضية الفلسطينية تسوية ترضي مطالب الشعب العربي في فلسطين، وأن النكسة التي اصابت هذه القضية مردها الى رفض العرب وساطة ملوكهم .

غير أنه من انقاص التاريخ أن نتحدث دائما عن تاريخ فلسطين فنشيد بثورة ١٩٣٦ ونصمت عن غيرها ، كأنها خاتمة المطاف عند عرب فلسطين ، وكأن شهورها الستة كانت الأخيرة في جهادهم . الواقع أن تلك الثورة الخالدة امتدت بسرعة طوال سنوات ٣٧ ، ٣٨ ، ١٩٣٩ والى أن اعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبذلك تكون ثورة فلسطين أستمرت أربع سنوات ، ولم تهدأ الا قليلا نتيجة تدخل ملوك العرب ، حتى اذا أستمعوا الى بيان وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم يعلن اعطاء الجمعية الصهيونية حق ادخال ١٨٠٠ شاب يهودي(٣٧) ، بدأ هدوءهم يتحول الى تحرك ، ورأوا أن مقاطعة اللجنة البريطانية الموفدة للتحقيق يجب ان يكون المظهر الاول لغضبهم بسبب استمرار الهجرة اليهودية ، وأن يمتنعوا عن استقبالها وحضور الحفلات ومراسم الترحيب التي تقام لها(٣٨) .

وسرعان ما تدخل الأمير عبدالله يطلب اليهم ضرورة لقاء اللجنة وايضاح مطالب العرب امامها ، ونهج هذا النهج الملك غازي ملك العراق ، فبعث برسالة تحمل تاريخ ٣ يناير (كانون الثاني) يطلب تعاون العرب مع اللجنة ، وما لبثت اللجنة العربية العليا أن تلقت رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود يحملها الوفد المبعوث اليه وكانت تتضمن ما يلي :

(٣٦) القضية الفلسطينية ، ص ٩٥ .
(٣٧) جريدة الاهرام ٧ من نوفمبر ١٩٣٦ .
(٣٨) جريدة الاهرام ٢٥ من نوفمبر ١٩٣٦ .

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه الله تعالى : —

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين ، والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية ، وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب ، فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم ، وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم .

وقد أبدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الآراء في ذلك ، ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال ، بقدر امكاننا ، وانا لنرجو من الله أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب ، واقبلوا احتراماتنا الفائقة(٣٩) .

عبد العزيز

٧ — البيان العربي أمام اللجنة الملكية البريطانية :

وتحت هذا الالحاح الملكي ، وجد عرب فلسطين انفسهم مضطرين الى ان يقدموا ايضاحاتهم الى اللجنة البريطانية ، وهم الذين خبروا لجان بريطانيا وأدركوا تفاهة نتائجها ، ولعل من صدق التاريخ أن نثبت جزءا من بيان الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا الذي القي أمام هذه اللجنة في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ فان فيه كثيرا مما يتعلق بتاريخ العرب قبل الانتداب وبعده :

« لقد كان العرب يؤلفون جزءا مهما من كيان الدولة العثمانية ، ومن الخطأ أن يقال ان العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك ، وان نهضتهم ومساعدة الحلفاء لهم في الحرب العامة انما كانت ترمي الى تحريرهم من ذلك النير ، فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية ، وذلك بحكم الدستور الذي وضع أساس حكم واحد لجميع البلاد والعناصر التي كان يتألف منها كيان الدولة العثمانية .

وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة العثمانية

(٣٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٨٠ .

المدنية والعسكرية فكان منهم وزراء ورؤساء وزارات وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون ، كما كان في مجلس النواب والأعيان العثماني عدد كبير من الأعضاء العرب بنسبة اعدادهم وفقا للدستور وقانون الانتخاب العثماني .

وفوق ذلك كانت البلاد العربية تدار بحكم يستند على مجالس ادارية ومجالس عمومية في الأقضية والالوية والولايات وكان لهذه المجالس صلاحيات واسعة في الادارة والمالية والتعليم والعمران . وضعت الحرب أوزارها على أساس مبادىء الرئيس ولسون ، ومنها مبدأ تقرير المصير لكل أمة حسب رغبتها أو اختيارها ، وأذاع اللورد اللنبي في هذه البلاد بيانا في ٨ نوفمبر ١٩١٨ في جميع مدن فلسطين وقراها جاء فيه « ان الغاية التي رمى اليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي هي تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطاتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم ، وانه ليس لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا أي مقصد في وضع نظامات خاصة لحكومات هذه الأقطار .

ومما تحسن الاشارة اليه في هذا الموقف أن اللورد اللنبي اعترف صراحة للوفد الفلسطيني العربي في لندن سنة ١٩٢٢ بما يأتي « ان فلسطين مقصودة في هذا البيان مثل سائر البلاد السورية والعراقية » .

وبعد أن تحدث رئيس اللجنة العربية عن خيبة الأمل من صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا وتنكرها لعهودها قال :

« سارت الحكومة البريطانية التسعة عشر عاما الماضية بطولها على تلك السياسة التي أضرت الكيان العربي أعظم الضرر ، اذ هبطت نسبة العرب العددية التي كانت ٩٣٪ في بدء الاحتلال الى ٧٠٪ اذ مكن لليهود من الاستيلاء على قسم وافر من أخصب الأراضي العربية ، وتم تشريد مزارعيها ، ومحو القرى العربية التي كانت آهلة فيها وخيب كل أمل للعرب في الاستقلال ، ولم يترك عرب فلسطين طيلة هذه التسعة عشر عاما وسيلة من وسائل الشكوى والاحتجاج ومراجعة الحكومات المتوالية في فلسطين ولندن وجامعة الأمم ، وقد أوفدوا الى لندن خمسة وفود لهذه الغاية .

ان الاصرار على هذه السياسة ليس في مصلحة احد ، وان مما يؤلم العرب كثيرا أن يروا الحكومة البريطانية ممعنة في ظلمهم ، والاجحاف بحقوقهم وتعريض كيانهم القومي للاضمحلال ، وهي تخضع للمطامع

اليهودية في جميع الشؤون وتمنح اليهود الامتيازات الخطيرة المتحكمة في حياة البلاد ومستقبلها وتعاملهم معاملة المحاباة والتحيز في الشؤون الاقتصادية ، وتحمي مصنوعاتهم بالجمارك بصورة غير عادية وبتوزيع الضرائب وغيرها .

وبصورة مجملة يؤلم العرب كثيرا أن يروا هذه الروح الاستعمارية الصهيونية هي المسيطرة على فروع الادارة والتشريع والاقتصاد في البلاد ، مما يخالف مبادىء الحق والعدالة » .

ثم ختم رئيس اللجنة بيانه بتحديد المطالب الوطنية وقال :

« واخيرا فان العرب لا يرون اية فائدة أو أمل من اصلاح في ادخال تغييرات ثانوية ، لأن الداء انما هو في الأساس ، وما لم يعالج الاساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلا والشر متفاقما ، وفي اعتقاد العرب أن المعالجة الأساسية والصحيحة هي في :

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بالفور ، واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها ، والتي ألحقت الأضرار والأخطار بكيان العرب وحقوقهم .

٢ ـ ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا .

٣ ـ منع انتقال الأراضي العربية منعا باتا وحالا .

٤ ـ حل قضية فلسطين على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان ، بانهاء عهد الانتداب ، وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين ، وتقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري ، تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية ، والنتيجة فان سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها أن تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات ، وتجعل هذه البلاد المقدسة وطنا دائما للفتن ، بينما هي أحق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة » (٤٠) .

---

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٨٢ – ١٨٩ .

لكي لا ننسى ...

« ليس ثمة فرع من فروع الادارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ، والمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها ذلك ، والمركز الممتاز الذي تتمتع به يزيد من حدة خصومة العرب .

لقد كانت اللجنة العربية العليا مسئولة عن مواصلة الاضراب ، وتمديد أجله ، ويجب أن يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسها قسطه الوافي من المسئولية .

ان التقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام الأمر الذي لا يتيحه اي مشروع آخر » .

من تقرير لجنة بيل ١٩٣٧

« ليس في الوطن العربي أقسام للمنح ، فمن شاء فليهب من ماله ومن أراد فليمنح من ملكه الخاص » .

اللجنة العربية العليا ١٩٣٧

« لقد أوفى الانتداب بوعد أعطي تحت ظروف الحرب ، أما اقتراح التقسيم فهو انقلاب لا يجوز أن يجريه الأوصياء دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار » .

مستر ريد عضو لجنة بيل والمعارض لها ١٩٣٧

« ان ما يملكه اليهود في الدولة العربية (لو قسمت فلسطين) ضئيل يقارب ٩٢ الف دونم ويملك العرب أربعة أخماس الدولة اليهودية » .

اللجنة الفنية الملكية عام ١٩٣٨

« لقد تحديت المارشال وايفل ، وكتبت الى دكتور وايزمان بتأليف جيش يهودي ولم يتحرك .... عربي واحد » .

« تشرشل »

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية، انما يشتغلون بحافز الشعور الوطني الصادق ، ان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب المخاطر ، والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم ... ولو كنا مكان العرب لما أحجمنا عن اي تضحية بأي فائدة مادية لقاء الحرية المهددة » .

وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني ١٩٣٨

« كثيرا ما لوح أمام العرب بالاستقلال في صور شتى ، لكنه لم يتحقق شيء قط ، وكانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم على صخور الخيبة » .

جمال الحسيني بمؤتمر لندن ١٩٣٩

سأحمل روحي على راحتي   والقي بها في خضم الردى
فاما حياة تسر الصديق   وأما ممات يغيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان   بلوغ المنايا ونيل المنى

الشهيد الفلسطيني عبد الرحيم محمود

فلسطين سلام الله يسري   على تلك المشارف والبطاح
اام القدس والتاريخ دام   ويومك مثل أمسك في الكفاح
ولا تعني بنا انا بكاة   نمدك بالعويل وبالصياح

الشاعر العراقي الجواهري يكبر جهاد فلسطين

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص»
قرآن كريم

الفصل السابع

لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين

١ ـ تقرير اللجنة يفيض بالمحاباة المماثلة لليهود :

تجسمت انفعالات العرب حين نشر تقرير لجنة « بيل » الملكية في ٧ يوليو (تموز) ١٩٣٧ تلك التي قيل انها باحثة عن الحقيقة ، وكان تقريرها ينادي بوجوب تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وفرض انتداب على منطقة القدس ، وضم القسم العربي الى امارة شرق الأردن ، ولأول مرة يسمع العرب في تقرير رسمي وجوب اعلان دولة يهودية في أرضهم ، وهو التطور الطبيعي لفكرة الوطن القومي ، والسياسة التدريجية التي سلكتها بريطانيا وايدتها الصليبية الدولية ، فبعد عشرين عاما من دخول بريطانيا الى فلسطين ، تبين لها ان الثوب الذي نسجت خيوطه قد اوشك على التمام ، وانه يصلح لأن تلبسه الصهيونية فتقيم لنفسها دولة في فلسطين ، وان يلبسه العرب فيتخلوا عن ارضهم ويقصوا عن بلادهم .

وعلى طول هذه السنين العشرين التي لم يهدأ فيها عرب فلسطين ، ولم يصمتوا ، كانت بريطانيا تجابه ثوراتهم بالقمع ، وتحارب تحركاتهم بالارهاب ، وتحاول أن تقنعهم ان خوفهم من هجرة اليهود هو خوف لا مبرر له ، وان صراخهم من الهجرة اليهودية احجام عن بذل جزء من انسانيتهم لمساعدة شعب لا يطلب الا المأوى .

ولكن الثورة العارمة والاضراب الشامل الذي عاشه الشعب الفلسطيني خلال عام ١٩٣٦ ، كل ذلك دفع ببريطانيا الى أن تفصح عن نواياها ، وأن تعلن بلسان لجنتها الملكية عن فكرة تقسيم فلسطين الى ثلاثة اجزاء بين العرب واليهود والانجليز ، وأن يتبين بوضوح وجلاء أن هدف الوطن القومي اليهودي هو انشاء دولة يهودية ، تقول اللجنة :(١)

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مطبعة حكومة فلسطين ومطبعة دير الروم القدس ١٩٣٧

« ان الروح القومية عند العرب هي شديدة القوة ، كما هي الحال عند اليهود ، وقد ظل ما يطلبه الزعماء العرب من تأسيس حكومة ذاتية وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي ثابتا لم يطرأ عليه تغيير منذ سنة ١٩٢٠ والروح القومية عند العرب كالروح القومية عند اليهود ، يغذيها النظام التعليمي ونمو حركة الشبان ... » الخ .

ان وضع حكومة فلسطين بين الشعبين المتنافرين ليس بالوضع الذي تحسد عليه ، فهنالك هيئتان متنافستان هي اللجنة العربية العليا المتساندة مع المجلس الاسلامي الأعلى من جهة ، والوكالة اليهودية المتساندة مع المجلس الملي اليهودي من جهة أخرى ، وهاتان الهيئتان تستطيعان اكتساب ولاء العرب واليهود الطبيعي اكثر مما تستطيعه حكومة فلسطين ، والجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة كلا العنصرين بدون تحيز (كذا) لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما ، كما ان استمالة المقاومة العربية لم تنجح ، ولقد أثبتت حوادث السنة الماضية ان الاستمالة لا تجدي نفعا ، وقد كان الحل الوحيد للمعضلة الذي تقدمت به اللجنة العربية العليا هو تشكيل حكومة عربية مستقلة في الحال ، وان يترك لهذه الحكومة امر معاملة الأربعمائة الف يهودي الموجودين في البلاد على الوجه الذي تستصوبه ، والجواب على ذلك ان الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية لن تزداد في اية ناحية من انحاء العالم فيما لو سلم الآن امر الوطن القومي اليهودي للحكم العربي .

وقد اكدت الوكالة اليهودية والمجلس الملي اليهودي أن في الامكان حل المعضلة عن طريق تطبيق الانتداب بحذافيره تطبيقا حازما على أساس مطالب اليهود ، وذلك بأن لا يوضع قيد جديد على الهجرة وأن لا يكون هنالك ما يمنع ضرورة أكثرية يهودية في فلسطين مع مرور الزمن . والجواب على ذلك انه لا يمكن تنفيذ هذا الا باللجوء الى القوة ولا يحتمل توريط الراي العام البريطاني أو اليهودي في اللجوء الى استعمال القوة الا اذا اقتنع بعدم وجود وسيلة أخرى » (٢) .

ان هذا الذي أثبتناه في هذه الصفحة هو جزء من تقرير اللجنة البريطانية التي طالما نوهت بها منشورات بريطانيا الى المجاهدين ، ان اوقفوا ثورتكم ، وحلوا اضرابكم ، واعطوا اللجنة الملكية فرصة الاطلاع لتقول كلمتها دون تحيز .

وبعد دراسة طويلة أصدرت اللجنة تقريرها ، فاذا بها تعترف اول

(٢) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٩١ — ١٩٣ .

ما تعترف بأن العرب لم تثنهم سنوات الانتداب البريطاني وضراوته عن مطلبهم الأصيل منذ عام ١٩٢٠ ، وهو استمرار فلسطين جزءا من الوطن العربي ، وتأسيس حكومة وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي . ولا مراء أن هذا المطلب يتمشى مع روح الحق والعدالة ، فلكل شعب الحق في تقرير مصيره ، ولكل شعب الحق في ان يحكم نفسه .

ولكن بريطانيا لا ترى العرب في فلسطين يمثلون شعبا لها ، انها فتحت أبوابها لأناس غرباء ، واعتبرت كل يهودي ذا حق في ان يكون من شعب فلسطين ، ولهذا ذكرت اللجنة ان في فلسطين « شعبين متنافرين » متناسية أن أحد الشعبين يملك الأرض والماء والسماء في فلسطين منذ عهود غابرة في التاريخ ، ثم منذ الف وثلاثمائة عام على التوالي ، ومتناسية ان الشعب الآخر هو شعب زرع في فلسطين ، استقدمته بريطانيا من خارج حدودها ليكون صاحب الأرض ، وليشرد العرب من ارضهم .

ولا تجد هذه اللجنة غضاضة ولا تستشعر حياء حين تقول :

« ان الجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة العنصرين بدون تحيز لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما » .

ولم يرد في قواميس اللغات ولا في مفاهيم الحكم أن عدم التحيز يعني ادخال أجانب معادين على وطن شعب آمن في بلده ، وان عدم التحيز يعني اغتصاب الأرض وسن القوانين لطرد أهلها ، وتسليط الرصاص والمدافع على جموعهم لتعطى ارضهم لليهود ، وان عدم التحيز يعني نصب المشانق وتنفيذ الاعدام لأوهى الأسباب ، وتجميد امكانيات الشعب العربي والعمل على ارهاقه وافلاسه في سبيل تنمية المشروعات اليهودية وتمكين المال اليهودي من السيطرة والتحكم .

لم يرد في عرف الانسانية الطويلة التاريخ أي تعريف من هذه المعاني للتحيز الا في عرف الانتداب البريطاني في فلسطين .

ثم يتضح التحيز ، لا عدم التحيز في تلك السطور نفسها التي أثبتناها من تقرير اللجنة نفسها وفيها انها لا تستطيع ان تستجيب لمطلب العرب في خلق حكومة عربية ، لأن ذلك يفقد الثقة بحسن نية بريطانيا ازاء الوطن القومي اليهودي ، وهي هنا تتناسى عهود بريطانيا للشريف حسين ومواثيقها المسهبة العديدة في خلق دولة عربية من سيناء الى مرسين ، تلك العهود وهذه المواثيق لا يؤبه لها ولا تشغل اللجنة التي لم تجد مانعا يمنع اجابة مطلب اليهود الذين يرون امكان حل المعضلة في تنفيذ الانتداب على أساس

مطالب اليهود الا شعورها بضرورة الالتجاء للقوة في سبيل ذلك ، ولا ترى الالتجاء الى القوة ألا حين يقتنع الرأي العام بأنها الوسيلة الوحيدة لذلك .

ولقد برهنت الأيام التالية أن بريطانيا استجابت لليهودية العالمية ، ورأت لجنتها أن القوة هي السبيل الوحيد ، فلقد استعملتها مع شعب فلسطين بجميع فظائعها وشدتها وأهوالها .

وتحدثت اللجنة بعد ذلك عن الوكالة اليهودية فقالت :

« ليس ثمة فرع من فروع الادارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ، ولا يصح أن تكون الوكالة موضع انتقاد بسبب ذلك ، فالمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها حق ابداء المشورة والتعاون مع الحكومة في كل أمر من الأمور التي تمس مصالح السكان اليهود تقريبا ، وهي شكل حكومة موازية تقوم الى جانب حكومة الدولة المنتدبة والمركز الممتاز الذي تتمتع به يزيد من حدة خصومة العرب » .

وتمضي اللجنة في تقريرها مستكثرة على العرب حتى المنصب الديني أو الادارة الدينية التي بقيت لهم في عهد الانتداب ، والتي كانت هي المظهر الوحيد الذي يجمعهم وسط وطنهم المهدد ، وتصب اللجنة جام غضبها على اللجنة العربية ، وعلى رئيسها مفتي فلسطين فتقول :

« لقد كانت اللجنة العربية العليا مسئولة لدرجة كبيرة عن مواصلة الاضراب في السنة الماضية وتمديد أجله ، ويجب أن يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسا لهذه اللجنة قسطه الوافي من المسئولية ... والوظائف التي جمعها المفتي في نفسه واستعماله لتلك الوظائف ، أدى الى انشاء حكومة عربية ضمن حكومة ، ويمكن وصفه بأنه رئيس حكومة موازية ثالثة ...(٣) » .

ان الحكومة المنتدبة قد قامت تمام القيام بتنفيذ الالتزام المترتب عليها لتسهيل انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، كما يشهد بذلك وجود ٤٠٠،٠٠٠ من السكان اليهود فيها » .

وتستمر هذه اللجنة الملكية البريطانية في مغالطتها التاريخية ، لتقلب الحجج وتهدم المنطق ، ولتعلن أن منع الهجرة لا يحل مشكلة فلسطين ، وكأن الذي يحلها هو دوام المهاجرة :

---

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٠٣ — ٢٨٣ .

« الوطن القومي تعتمد حياته الاقتصادية الى حد بعيد على دوام المهاجرة ، وقد وظف فيه مقدار كبير من رؤوس الأموال بدافع افتراض دوام المهاجرة ، ان وضع القيود على الهجرة اليهودية لا يحل مشكلة فلسطين ، فالعرب أصبحوا يعتبرون الوطن القومي وهو في حالته الحاضرة اكبر مما يجب ان يكون .

من المسلم به أن عرب فلسطين يصلحون لحكم انفسهم ، كعرب العراق او سوريا ، ثم ان يهود فلسطين يصلحون لحكم انفسهم بأنفسهم كأي شعب منظم مثقف من شعوب أوربا ، غير انه بالنظر لكون هذين الشعبين خاضعين معا لانتداب واحد ، فمنح الحكم الذاتي لكليهما معا أمر غير عملي » .

ثم قالت اللجنة بصراحة :

« لا يمكن حل المشكلة بمنح العرب أو اليهود كل ما يصبون اليه ، واذا سئل من من الشعبين سيحكم فلسطين في النهاية فجواب السؤال يجب أن يكون « لا هذا ولا ذاك » ، فليس ثمة سياسي منصف يسعه ان يفكر في تسليم الأربعمائة الف يهودي الذي سهلت الحكومة البريطانية دخولهم الى فلسطين بموافقة عصبة الأمم الى الحكم العربي ، أو في تسليم مليون عربي الى الحكم اليهودي فيما لو أصبح اليهود الأغلبية في البلاد . . .

ولا ريب في أن فكرة التقسيم قد بحث فيها فيما مضى كحل للمشكلة ثم اهملت لصعوبتها . . فالتقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام في النهاية الأمر الذي لا يتيحه أي مشروع آخر » .

ثم تمضي اللجنة الى تحديد المناطق المراد ادخالها في الدولة اليهودية ، والمناطق الأخرى المراد ادخالها للدولة العربية ، والتي سوف تبقى على الدوام تحت الانتداب .

ولا ريب أن من يطلع على خريطة التقسيم يتضح له التناقض بين اقتراح اللجنة بالدولة اليهودية وحجمها الصغير ، والى اعترافها باستمرار الهجرة اليهودية على الدوام ، الا اذا ادركنا أن المقصود بالتقسيم انما هو اجراء مرحلي ، تعود بعده الدولة اليهودية بمساعدة الانتداب لالتهام الدولة العربية الفقيرة المرهقة .

واننا لنجد في التصريحات الخطيرة التي نشرت في الصحف اليهودية بفلسطين خلال شهر أغسطس (آب) ١٩٣٧ وبعد نشر تقرير اللجنة بنحو ثلاثين يوما ، ما يثبت أن فكرة التقسيم ليست الا تمهيدا بريطانيا لاستيلاء

اليهود على كل فلسطين .

يقول الدكتور وايزمان :

« ان عضوا من أعضاء اللجنة الملكية البريطانية طلب لقاءه » .

واختار وايزمان أن يكون اجتماعهما في مستعمرة « نحلال » بين الناصرة وحيفا .

« ان هذا العضو بسط له انه وزملاءه يقدرون الجهود التي يبذلها اليهود في فلسطين ، وأنهم يرون أن التوصية التي سيضعونها في تقريرهم لا تستوي بوجه من الوجوه مع المطالب الحقة العادلة التي يطلبها الشعب اليهودي ، ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود ، وأن خطة التقسيم هي بمثابة نقطة تحول أو انتقال من دور الى دور ، وهي تتضمن من الوسائل ما يتمكن به اليهود من أن يتوسعوا توسعا عظيما في المستقبل في فلسطين » .

٢ — اللجنة تستغل لقاء فيصل ووايزمان :

ولكن هذه اللجنة وهي تدرك انها تقترح سلب جزء من الوطن العربي واعطاءه الى شعب غريب مستجلب ، تشير في خبث الى اتفاق خطير طالما تشدق به اليهود والاستعماريون وتقول :

« لقد سبق لرجال الساسة العرب أن رضوا بالتنازل عن فلسطين صغيرة لليهود ، بشرط أن تكون بقية آسيا حرة ، غير ان هذا الشرط لم ينفذ في ذلك الحين ، وها هو الآن على وشك التنفيذ ، ففي غضون أقل من ثلاث سنوات تصبح كافة المنطقة العربية الواسعة الواقعة خارج فلسطين بين البحر المتوسط والأقيانوس الهندي مستقلة ، كما ان القسم الأكبر من فلسطين سيصبح مستقلا ايضا اذا نفذ مشروع التقسيم » .

وهي حين تشير الى أن الساسة العرب سبق لهم أن وافقوا على فلسطين يهودية ، تقصد بذلك الاتفاق بين الأمير فيصل حين كان اكبر ناطق باسم العرب في سنوات ١٨ ، ١٩ ، ١٩٢٠ ، والدكتور حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية .

ويعتبر تصريح وزير المستعمرات البريطانية في بيانه الذي القاه أمام مجلس العموم البريطاني في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ تفسيرا لتلك العبارة التي جاءت في تقرير اللجنة وذلك حين قال :

« ليس من الصعب على زعماء العرب واليهود أن يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ، فلقد مرت قبل عشرين عاما برهة ظن فيها أن مثل هذا الاتفاق لم يكن ممكنا فحسب ، بل هو في حيز الوجود ، فلقد عبر عندئذ الدكتور وايزمان بالنيابة عن الجمعية الصهيونية نهر الأردن وقابل الأمير فيصل في سرادقه المضروب في الصحراء ، يحيط به مضيفوه العرب ، وبعد أشهر وقع هذان الرجلان اتفاقا يتعلق بفلسطين ، فالى مثل هذه الصلة بين العرب واليهود نود أن نعود الآن(٤) » .

وقد تعرض لاتفاقية فيصل ــ وايزمان عديد من الباحثين ونشروا نصوصها دون اختلاف يذكر(٥) .

بدأت القصة عندما وصل الدكتور وايزمان الى القدس في ابريل (نيسان) ١٩١٨ على رأس وفد اللجنة الصهيونية التي كان يصحبها الماجور اورمبس جور كضابط اتصال مع اللجنة الصهيونية (وزير المستعمرات بعدئذ) واغتنم وايزمان الفرصة ، فقصد يوم أول يونيو (حزيران) الى العقبة وزار الامير فيصل في ٥ من يونيو (حزيران) ١٩١٨ وبسط له أغراض الصهيونية ، ورغبتها في التعاون مع العرب(٦) ، فكان الأمير كثير الحذر كما تقول المصادر الصهيونية ولم يبد رأيا حاسما .

وفي باريس عام ١٩١٨ استقبل الأمير الزعيم اليهودي سوكولوف الذي طلب من الأمير أن يظهر عطفه على القضية اليهودية ، فصرفه بلطف ، ولما سافر الأمير الى لندن زاره عظماء اليهود الانجليز الفريد موند والسير هربرت صموئيل واللورد بركنهد (وزير الحقانية البريطانية) وتظاهروا أمامه بالعطف على القضية العربية ، مبدين استعدادهم لمساعدتها وطلبوا اليه أن يوقع بيانا كتبوه باللغة الانجليزية ، وقالوا له انه ينطوي على اظهار العطف على فكرة الوطن القومي ، فوقعه الأمير باللغة العربية بعد أن كتب عليه تحفظا يقول فيه « مشترطا أن ينال العرب استقلالهم من رفح حتى طوروس وخليج العجم » ويقول اليهود أن ما وقع عليه الأمير فيصل كان

(٤) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٤ .

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ .

وانظر ايضا : دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، منشأة المعارف الاسكندرية عام ١٩٦٥ ، ص ٤١ ــ ٤٦ .

انظر ايضا : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٣ .

وانظر ايضا :

ANTONIUS GEORGE, THE ARAB AWAKENING P.P. 437. 439.

(6) WEIZMANN, P.P. 290, 294.

ينطوي على اتفاقية نشروا نصوصها كما يلي :

« ان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها ، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى مدى من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية :

١ ــ يجب أن يسود جميع العلاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص . وللوصول الى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في كل بلد منهما .

٢ ــ تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين .

٣ ــ عند انشاء دستور ادارة فلسطين تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في ٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ .

٤ ــ يجب أن تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض ، عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة ، ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ، ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي . لندن في ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩

(ثم تنص باقي المواد على الحرية الدينية وممارسة الشعائر دون تمييز بين السكان وأن تكون الأماكن الاسلامية المقدسة موضوعة تحت رقابة المسلمين ، وأن المنظمة الصهيونية التي تقترح ارسال لجنة خبراء لتفهم أحسن الوجوه للنهوض بفلسطين سوف تضع خبرة هذه اللجنة أيضا تحت تصرف الدولة العربية ، وأن الحكومة البريطانية هي الحكم في أي نزاع ينشأ بين الدولة العربية وفلسطين) .

تحفظات فيصل :

« يشترط أن يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت في مذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، ولكن اذا وقع أقل تعديل أو تحويل فيجب أن لا يكون عندها مقيدا بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب أن لا أكون مسئولا بأية طريقة مهما كانت (٧) » .

فيصل بن الحسين

حاييم وايزمان

LAWRENCE'S NOTE IN FACSIMILE

If the Arabs are established as I have asked in my manifesto of Jan 4 addressed to the ~~B~~ British Secretary of State for Foreign Affairs. I will carry out what is written in this agreement. ~~[illegible] demands are changed~~. If changes are made, I can not be answerable for failing to carry out this agreement

Feisal ibn Hussein

التعهد الذي تدعي الصهيونية صدوره عن الامير فيصل ويلاحظ انه مكتوب بخط انجليزي ولم يكن فيصل ينطق ولا يكتب هذه اللغة .

(٧) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٨ .

لقد استعمل الصهيونيون صورة هذه الوثيقة باللغة الانكليزية وأبرزوها كمستند مهم أمام عدة هيئات واجتماعات دولية حسبنا أن نذكر منها لجنة « شو » البريطانية في فلسطين عام ١٩٢٩ وانكرها العرب وأبرقوا يسألون فيصل ، فرد « بأنه لا يذكر انه كتب شيء مثل هذا بعلم منه » والمفروض أن فيصل وقع عليها ، وتحفظ فيها بخطه العربي ولغته العربية التي لم يكن يحسن غيرها ، ولكن كل ما نشر هو ترجمة انجليزية يقال انها بخط لورانس البريطاني رفيق فيصل المعروف .

ويبني العرب على هذا أن الوثيقة مزورة أو مدسوسة على فيصل ، ولم يتضح أصلها العربي ، وحتى لو فرض أن فيصل وقعها فعلا دون أن يدري ما فيها تحت الحاح من كبراء اليهود الذين زاروه في لندن ومر ذكرهم قبل قليل ، فان هذا لا يعتبر عقدا يربط شعب فلسطين العربي ، ولم يكن فيصل يحمل من هذا الشعب اي تفويض ، وأن التفويض الذي أعطيه من الشعب السوري كان ينحصر في طلب الاستقلال ، وخلق دولة عربية واحدة .

ونحن حين نورد هذا الموضوع لا نقف عنده لأنه كان ذا أثر في مجرى الأمور بفلسطين ، ولا لانه كان سببا من أسباب انهزام الأمة العربية فيها ، ولكن نورده كجزء من تلك المتاعب والهوان وعدم الادراك الذي لاقاه الشعب الفلسطيني على يد عددكبير من أمته العربية وسط معركة التاريخ الخطيرة.

ذلك انه حتى اذا برىء فيصل من تلك الوثيقة ، على اعتبار انه وقعها في استغفال ودون دراية فان تحفظه عليها يعطي التأكيد الجازم بادراكه انها تعني سلخ فلسطين من الوطن العربي ، وتهويدها بأساليب الصهيونية ، ولا يشفع لهذا التوقيع ما يذهب اليه الدكتور أحمد طربين في كتابه(٨) من ان الانطباعات عن الصهيونية في ذلك الوقت لم تزد عن كونها حركة يراد بها فسح المجال لسكنى اليهود في فلسطين ليس اكثر ،

(٨) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، محاضرات فيتاريخ القضيةالفلسطينية.

لا تشفع هذه الحجة بعد أن جاءت بنود الاتفاقية صريحة بأن « تحدد الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من الطرفين » .

ولا نعتقد أن النص على خلق الحدود يسمح لأي ذهن بأن يفهم أكثر من انه تحديد بين موطنين مختلفين أحدهما الدولة العربية وثانيهما فلسطين .

ثم تعلن المادة الأخرى في صراحة أنه « عند انشاء دستور فلسطين تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد بالفور المؤرخ في ٢ نوفمبر ١٩١٧ » .

وتتضح المعالم الخطيرة في المواد الأخرى الخاصة بالهجرة اليهودية وغيرها .

اما اذا قيل انه لم يوقعها ولم يرها ولم يسمع بها فهذا جانب مشرق في الحجة العربية ، ولكن بعض الوثائق الاخرى تعطي الايضاح بأنه لم يكن الرجل المتمسك بفلسطين والحفيظ عليها والضنين بها أو انه انطلت عليه الحيل فظنها حركة صغيرة لا تقوى على العرب ، فهو حين مثل الأمة العربية في مؤتمر الصلح ، كان واضحا من مذكرته المقدمة لهذا المؤتمر في اليوم الاول من يناير (كانون اول ١٩١٩ انه لم يتزحزح عن المطالبة باستقلال سوريا ، ولكنه بشأن فلسطين لجأ الى السياسة الواقعية المرنة(٩) ، وحرمت تماما تلك القطعة الغالية من صوته المرتفع وسط جنبات المؤتمر العالمي ، ويقول الأمير فيصل :

« أكثرية السكان الساحقة في فلسطين مؤلفة من العرب ، واليهود قريبون الى العرب تربطهم بهم روابط الدم ، وليس هنالك أي تناقض في الطباع بين هذين العنصرين ونحن على اتفاق تام مع اليهود في القضايا الأساسية ، غير أن العرب لا يقدرون أن يتحملوا مسئولية حفظ التوازن بين مختلف العناصر والأديان التي تصطدم في هذه المنطقة الوحيدة في الشرق ، وقد طالما ادى تصادمها في الماضي الى خلق صعوبات دولية ، العرب يطلبون أن يشرف عليهم وصي في هذه البلد الى أن تقوم فيه ادارة

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(حكومة) على أساس التمثيل الشعبي تكون قادرة على تأمين رفاهية البلاد(١٠) » .

ان العربي الذي يحيا في عام ١٩٦٧ ليخجل حين يقرأ نصا من هذا النوع يقدمه أمير عربي الى مؤتمر الصلح ، وليس ادعى لهذا الخجل من الاعتراف بعجز العرب عن اقامة العدالة في فلسطين وانهم لا يقدرون تحمل مسئولية الحكم ، وانهم يطلبون وصيا عليهم ، ويقول هذا بعد أن يقرر أن العرب على اتفاق مع اليهود في القضايا الأساسية ، وليس لليهود قضية أساسية اكثر من تنفيذ وعد بالفور وملء فلسطين بالمهاجرين اليهود ووضعها تحت الانتداب البريطاني ليتم مهمة التهويد المتفق عليها .

على أن فيصل كرر هذا في مذكرته المقدمة في جلسة ٦ فبراير (شباط حيث طالب فيها باستقلال البلاد العربية الا فلسطين التي تركها جانبا لطابعها العالمي ، ورأى أن تحل قضيتها من قبل جميع أصحاب العلاقة (١١)

ويظهر أن فيصل هذا كان ينتظر من الصهيونية تأييدا عالميا بخلق دولة عربية كبرى ، ولكن اللجنة الصهيونية لم يكن يشغلها غير فلسطين ، فحين مثلت في مؤتمر الصلح بعد ان قدم فيصل مذكرته المذكورة في الثالث والعشرين من فبراير (شباط) ١٩١٩ قدمت مذكرتها الحاسمة مطالبة فيها مؤتمر السلام أن يدرس ويعتنق طلباتها الآتية :

١ — يعترف المتعاقدون بحق اليهود التاريخي في فلسطين واعادة تأسيس وطنهم القومي فيها .

٢ — تخطط حدود فلسطين وفقا لمذكرة اليهود بحيث تشمل جزءا من سوريا ولبنان والاردن .

٣ — تفوض العصبة بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين وعليها أن تحقق ما يلي :

أ — وضع فلسطين في أحوال سياسية واقتصادية وادارية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي وتوجد امكانيات لانشاء دولة يهودية فيما بعد .

(١٠) دكتور احمد طربين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

(11) Hurewitz J.C. Diplomacy in the Near and Middle East Vol 2 P.P. 38-39.

ب ـ لتحقيق ذلك تشجع الهجرة اليهودية وتسهل اقامة اليهود وأن تعترف لمجلس يهودي بحق الاولوية في أخذ كل الالتزامات التي تحقق المشاريع العامة وتستثمر موارد البلاد الطبيعية (١٢) .

وقد أسرف الوفد الصهيوني اسرافا بعيدا حين تقدم الى مؤتمر الصلح في باريس بطلباته المحتوية على آمال الصهيونيين الذين تحالفوا مع بريطانيا على تحقيقها ، ولقيت استجابة من دول الصليبية الاستعمارية ، وقد ارتكب فيصل أكبر خطأ سياسي تجاه فلسطين حين وصف مطالب الصنهيونية بأنها معتدلة ولائقة وذلك اذا صح خطابه المرسل الى فيلكس فرانكفورتر كبير الصهيونيين في أمريكا والمؤرخ في الثالث من مارس (آذار) ١٩١٩ وكان مما جاء فيه :

« اننا نشعر أن العرب واليهود هم أبناء عم ، وأنهم تحملوا أضطهادات متشابهة من الدول القوية ، وقد ساعدهم حسن الطالع بأن يتمكنوا من الصعود معا الى الدرجة الاولى من سلم آمالهم الوطنية ، ونحن العرب وخاصة المتعلمين ننظر برغبة شديدة الى النهضة الصهيونية وقد أطلع وفدنا في باريس الآن على الاقتراحات التي قدمتموها أمس الى مؤتمر السلام ، ونحن نعتبر أن هذه الاقتراحات معتدلة ولائقة ، وسنعمل جهدنا وما في وسعنا لمساعدة اليهود أبدا ، ونتمنى لهم وطنا ينزلون فيه على الرحب والسعة ، اني أتطلع وشعبي أيضا الى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الامم المتمدنة في العالم » (١٣)

ان ترك فيصل لفلسطين خارج مطالبه الاستقلالية ، وأعتبارها منطقة تخص العرب وغير العرب وأن موضوعها يجب أن يحل بالاتفاق بين جميع الأطراف ، كل هذه تمثل جانبا يعطي لكل عربي حرية البحث الطليق في أن قضية فلسطين التي أكتوى بها أهلها أولا وقاتلوا عنها ثلاثين عاما ، كان بعض العرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها .

على أن ما نشره فيصل في الرابع من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٩ بالجريدة الصهيونية « جويش كرونيكل » يزيد الأمر وضوحا في أنه بينما

(12) David Hunter Miller, My Diary at the Conference of Paris New York 1924 Vol V P.P. 12-25.

(*) يقول السيد عوني عبد الهادي سكرتير الامير بمؤتمر الصلح ان الخطاب مزور قطعا ، وقد ايد ذلك رستم حيدر سكرتير الملك في برقيته للجنة شو ١٩٢٩ .

(١٣) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٦ .

وانظر ايضا : Weizmann Ouvr CLT P.P. 307-308.

يقرر أن فلسطين جزء من سوريا العربية لا يمانع في أن تكون ضمن الدولة الكبرى ولاية يهودية حين يكثر يهودها ، وهو بذلك يوافق على الهجرة اليهودية ضمنا ويقول :

« يجب أن تظل فلسطين جزءا من سوريا ، فليس بينهما حد طبيعي ولا فاصل ، وما يؤثر في الواحدة يؤثر في الاخرى ، والعرب يرون فلسطين ولاية عربية ولا يرونها بلادا قائمة بذاتها ، ونحن نسعى لننشىء امبراطورية عربية تتألف على الأقل من العراق وسوريا وفلسطين، وقد قيل لي ان جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذي فاه به اللورد بالفور ، ويتطلعون الى انشاء وطن قومي لهم في فلسطين أي أن تصير فلسطين دولة يهودية ، ولا ريب أن هذه الاماني تناقض أفكار العرب ولا ترضيهم ، فأناشد اليهود وهم ساميون قبل العرب طالبا معونتهم لنا في انشاء المملكة العربية حتى اذا كثر عدد اليهود في فلسطين تيسر أن نجعلها ولاية يهودية من ولايات هذه المملكة العربية » (١٤) .

وهذا الاضطراب الواضح في موقف فيصل بين تركه فلسطين خارج نطاق الاستقلال المطالب به للبلاد العربية ، وبين السماح بها لجعلها ولاية يهودية ، وبين نظرته للمطالب الصهيونية (الخطيرة) بأنها مطالب معتدلة ومعقولة ، هذا الاضطراب الفكري الذي عمل الصهيونيون كثيرا على وضع فيصل في أطاره باتصالاتهم ووعودهم أو وعيدهم يتكرر أيضا حين يمانع فيصل في حديث له مع مراسل الجريدة اليهودية « جويش كرونيكل » في أن تكون فلسطين دولة محكومة باليهود ، ثم ينشأ عن هذا التصريح اعتراض صهيوني ولوم وعتاب ومطالبة بتصريح اخر ، فكتب رسالة في العاشر من ديسمبر (كانون الاول) الى السير هربرت صموئيل قال فيها :

« اني مقتنع تمام الاقتناع أن الثقة الوطيدة المتبادلة بيننا ، وأتفاق وجهتي نظرنا اتفاقا كاملا اللذين أقاما في السابق تفاهما تاما بين الدكتور وايزمان وبيني سيمنعان (١٥) قيام أي سوء تفاهم آخر في المستقبل . وسيكفلان الإنسجام اللازم لنجاح قضيتنا في المستقبل » .

وهذه المواقف المحزنة المربكة للامة العربية ، والتي تؤخذ تاريخيا وقوميا على فيصل ركزت محددة حين وعد بريطانيا في العشرين من يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ أنه سوف يتبنى رأي الحكومة البريطانية بان تستثنى

(١٤) الثورة العربية الكبرى ، ج٣ ص ٤٨ .

(١٥) انيس صايغ : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، بيروت عام ١٩٦٦ ، ص ٨٠ .

فلسطين من مشروعات الدولة العربية الموحدة ، وقد أعلن تشرشل الوعد الذي قدمه فيصل في خطاب القاه في مجلس العموم في الحادي عشر من يوليو (تموز) ١٩٢٢ (١٦) .

على أننا لا نترك هذا البحث الذي يخص فيصل وتعهده للصهيونيين قبل أن نسجل كلمة حق تنير بعض جوانب هذه الشخصية التي لازمت تاريخ الامة العربية في اهم تطوراتها بعد الحرب الاولى .

ذلك اننا حين ننشر كل تلك الوثائق ، نعني انه كما خدع والده الملك حسين من الانجليز الذين سيروه ليكون مطية لتحطيم دولة الاسلام ، خدع فيصل أيضا من الصهيونيين ، فوافقهم على تجزئة سوريا واقتطاع فلسطين لهم ، أن صحت وثيقة الاتفاقية المطعون فيها ، أو وافقهم على الاقل أن تكون فلسطين ولاية يهودية ضمن الدولة العربية ، ان صح غيرها من تلك الوثائق ، وفي هذا تعهد بفتح أبواب الهجرة أمامهم حتى يملكوا اراضي البلاد برغم اضرار ذلك بمصالح أهلها .

ويظهر لنا أن فيصل كان يصحو احيانا ولكن بعد فوات الاوان ، فهو يصرح للوفد الفلسطيني الذي زاره في دمشق عام ١٩٢٠ بأنه لن تكون فلسطين صهيونية وانه فخور بشعبها الذي يحافظ مصرا على عروبتها .

وتضيف المصادر العربية أن فيصل ليلة وفاته الفجائية في جنيف عام ١٩٣٣ كان قد أعد مذكرة لوزارة الخارجية البريطانية يطالب بعروبة فلسطين ، ويخلص النصح لحليفته بريطانيا .

ولكن الانجليز وهم المتلهفون على التهويد ، والعاملون عليه ، لا يعترفون بأي مذكرة لفيصل ولا يستشهدون بها ، وانهم ليأخذون تلك الوثيقة التي تعلنها الصهيونية كمعاهدة مع فيصل حجة تساق على عدم تمسك ساسة العرب بفلسطين ، وأن كبارهم سبق أن وافقوا على تهويدها .

٣ ـ موقف العرب واليهود من التقسيم :

واذا كان فيصل قد خدع كما خدع والده الحسين ، فان ابنه الملك غازي الذي تسلم العراق بعده كان مثلا للشباب العربي المؤمن بقضيته ، الصادق في وطنيته ، ومن حقه على التاريخ العربي ان يسجل أنه كان ركنا من أركان الوطنية الفلسطينية، حتى حمى مجاهديها وأكرم لاجئيها، وأقام في

(١٦) المصدر السابق ، ص ٨٢ .

قصره أذاعة تذيع بلاغات الثورة وتنادي للجهاد ، وشارك شعبه عواطفه ، وخطب جموع المتظاهرين ، وتناسى أبهة الملك ومظاهره في سبيل قضية العرب الكبرى . وحين توفي في حادث مفاجىء عام ١٩٣٩ ذهب سر موته معه لغزا محيرا .

صورة المظاهرات ضد التقسيم في القاهرة

وهكذا سلطت اللجنـة الملكية أضواءها علـى التقسيم مستغلة لقاء وايزمان وفيصل واتفاقهما لصالح تمزيق وطن عربي ، ولكن اليهود تنادوا برفض التقسيم في داخل فلسطين وخارجها ، ورأوه أقل مما يطلبون ، ولم يشذ منهم أحد في ذلك ، كما نهض الفلسطينيون من جديد الى أرواحهم يقدمونها لمذابح الحرية، تغتالها بريطانيا بجميعأساليبها في سبيل الصهيونية وبدأوا ثورتهم من جديد على النحو الذي سنذكره بعد حين .

وتجاوب العالم العربي على ضعفه وهزاله ينادي ببطلان التقسيم ، وأرتفعت الاصوات هذه المرة عالية في سوريا ولبنان والعراق ومصر والحجاز ولعلها أحست بالخطر الذي أوشك أن يبني كيانه في قلب الوطن العربي .

٤ ـ الثورة لم تتوقف عام ١٩٣٧ :

لم يستمر ذلك الهدوء الذي سببهتدخل الملوك العرب وثقتهم في صديقتهم بريطانيا العظمى الا قرابة أربعة شهور حـدث خلالهـا تقديم مطالب العرب للجنة الملكية البريطانية التي طالما نوهت بها المنشورات الملقاة على المجاهدين ، والتي أعلن فيها أنها مستقلة الراي باحثة عن الحقيقة ، وخلال هذه الشهور الاربعة تسلمت الجمعية الصهيونية شهادات جديـدة للهجرة اليهودية ، واعلن استعداد عشرة الاف يهـودي بولندي للرحيل الى فلسطين (١٧) ، وتم تنفيذ حكم الاعـدام في بعض الشبان العرب (١٨) ثم تسرب عديد من الاشاعات تقول : ان اللجنة ترى أن خير سبيل لهدوء الحالة في فلسطين هو أن تقسم بين العرب واليهود ، وتأكد ذلك بعد نشـر تقرير اللجنة ، وصحب ذلك تحرش يهودي بالعرب ، فعمد العرب من جديد الى امتشاق سلاحهم ، ووقعت حوادث متفرقة ، خلال هذه الشهور ،حيث جرح ستة عشر يهوديا في القدس ، وقتل اليهود بائعا عربيا متجولا، وصرع يهودي في نابلس ، وتلاحقت الحوادث من الفريقين .

كانت بريطانيا قد سلطت ضباطها الكبار وحكام الالوية يسومون الشعب العربي سوء العذاب ، وكـان أكثرهم تجبرا وطغيانا وأشدهم حرصا على محاباة اليهود وحمايتهم ، واقواهم ضلعا في تشجيعهم على تملك الاراضي وسلبها من العرب ، حاكم لواء الجليل المسمى « أندروز » ، وكثيرا ما أنذره الثوار العرب وطالبوه بأن يكف عن اضطهاد الشعب ، وأن يحسب لحياته

(١٧) جريدة الاهرام ٢٧ من فبراير ١٩٣٧ .
(١٨) جريدة الاهرام ١٢ من نوفمبر ١٩٣٦ .

حسابا وهو يناصر الصهيونية الدخيلة في بلادهم ، ولكن هذا البريطانـي الحاكم كان معتدا بقوة الامبراطورية مخلصا لسياستها التهويدية المرسومة، معتقدا أن حرسه الدائم سوف يحميه من تنفيذ حكم الثوار ، وكان لا يرى الا شاهرا مسدسه ، ومتبوعا بحارسين على الاقل .

ولقد حاول العرب على الدوام أن يتفاهموا مع هذا البريطاني الكبير منذ ان كان مساعدا لحاكم لواء القدس ، فشدد قبضته على الصحفالعربية مانعا لها من أن تقول كلمة الحق ضد الصهيونية ، وحين قررت الحكـومة مشروعا انشائيا برأس مال قدره مليون جنيه جعله وكرا للموظفين اليهود ، وأقنع الحكومة بالغاء الجانب الذي كان من المفروض أن يسهم في مساعدة العرب ، الذين طردوا من أراضيهم المعطاة لليهود ، ثم عين ضابط اتصال امام اللجنة الملكية البريطانية ، فخدم الصهيونية خدمات كبيرة ، فأخذوا يسعون في سبيل ترقيته الى حاكم لواء ، وحين تم هذا التعيين أمعـن في سكانه نفيا وسجنا ، وطبق على كثير منهم قانون الطوارىء ، وقانـون منع الجرائم .

وآخر ما فعله أنه اصدر أمرا اداريا بتجديد سجن جماعة الشهيـد القسام عاما جديدا ، بعد انتهاء مدة الحكم القضائي الاصلي ، وكان صاحب اليد الطولى في انتزاع وادي الحوارث (١٩) واجلاء العرب عنه وتسليمه لليهود ، فلم يجد الثوار بدا من ان يصدروا عليه حكم الاعدام .

وفي اليوم السادس والعشرين من سبتمبر (ايلول) ١٩٣٧ « وبينما كان « اندروز » الذي لم يفز بصداقة العرب يوما من الايام خارجا من الكنيسة الانجليكية في الناصرة يصحبه « جوردون » احد مساعدي حكام الالوية ، ووراءه كونستبل بريطاني كحارس مسلح دائم معه ، فوجئوا جميعا بأربعة من الشباب العرب يرتدي اثنان منهم الملابس الافرنجية والآخران الكوفية والعقال ، واطلق هؤلاء الرصاص على اندروز وحارسه من مسافة اربعـة امتار فخرا صريعين » (٢٠) .

وكان المجاهدون قبل ذلك قد وجهوا انذاراتهم الى ضباط الشرطـة الذين وجدوا في رحاب بريطانيا منطلقا لوحشيتهم ضد الوطنيين والمعتقلين والابطال الذين يؤسرون في المعارك ، وفي اوائل عام ١٩٣٧ اطلق الرصاص على حليم بسطا فأصيب بجراح في عنقه ، وكان بسطا هذا قد دخل فلسطين في حملة الانجليز الاولى بقيادة اللنبي ثم اخلص في خدمتهم ، حتى أصبح مساعدا

(١٩) جريدة المصري ٣٠ من سبتمبر ١٩٣٧ .
(٢٠) جريدة الاهرام ٢٩ من سبتمبر ١٩٣٧ .

لمدير الشرطة، وكثيرا ما انذره المجاهدون دون جدوى، طالبين اليه ان يكف عن شدته مع العرب، ومع ذلك لم يرعو هذا الضابط ، ولم تقف خدماته المتلاحقة للصهيونية مما اضطر المجاهدين الى ملاحقته وقتله ، وحين كان الشعب يستمع الى المذياع أعلن البلاغ الرسمي التالي :

« يعلن فخامة المندوب السامي مع الاسف الشديد ان حليم افندي بسطا مساعد مدير البوليس واحد الضباط المخلصين والمتفانين في عملهم، قد قتل بالرصاص بعد ظهر اليوم في حيفا بيد ثلاثة اشخاص من العرب المسلحين بالمسدسات ، وقد اصيب معه الكونستابل الذي يرافقه بجراح مميتة » (٢١) .

وبينما كان المدعو « موفات » حاكم جنين قد احاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مقره بعد ان تلقى انذارا من الثوار كان هذا نصه : « من القائد الصغير يوسف ابودره الى مستر موفات .. اذا لم تحسن سلوكك مع الاهالي خلال ثمانية ايام ... فسأقتلك » (٢٢) ولكن مستر موفات ركب رأسه واستمر شرا على عرب فلسطين ، بينما نقل سكنه الى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين ، واشتدت حراسته بالمصفحات ولم يبق اي احتمال لامكان اي اعتداء عليه ، ولكن القائد الفلسطيني الصغير ابو درة كان صادقا في وعيده ، فبعد ثمانية ايام تماما ارسل اليه اثنين من الفدائيين تسلق احدهما انابيب المياه حتى وصل الدور الذي به مكتب موفات ، فوجه انذارا الى سكرتيره العربي رافت الدرهللي ، واجتاز غرفته الى غرفة الحاكم البريطاني وافرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون ان يجفل او يخاف وعاد تاركا المكان (٢٣) ، بينما اخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتغطية الانسحاب والحرس في ذهول وارتباك شديدين .

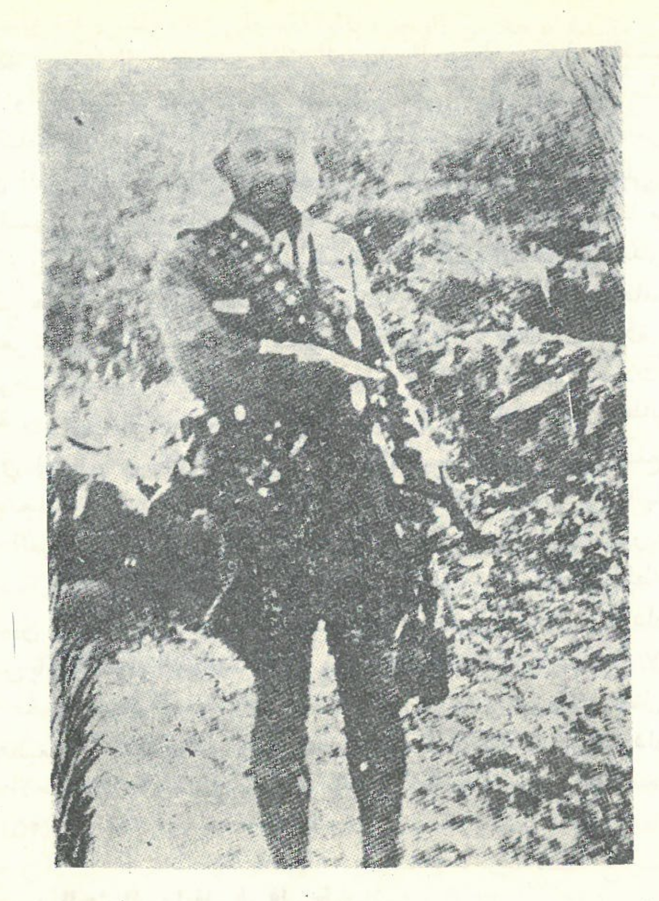
وجن جنون المندوب السامي ، كيف يصرع العرب اركان ادارته التهويدية في فلسطين ، فأصدر أمره باعتقال عديد من العلماء ، والقضاة ، والاطباء ، والمحامين ، والمثقفين ، ونكلت السلطة بالشعب وبجميع الصور ، واعتقلت اعضاء اللجان القومية ، وحلت اللجنة العربية العليا ، وكل لجانها القومية وعزلت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وابعدت الى جزيرة (٢٤)

(٢١) جريدة الشباب ٢١ من ابريل ١٩٣٧ .

(٢٢) مجلة فلسطين العدد الصادر في نوفمبر ١٩٦١ .

(٢٣) جريدة الاهرام ٢٤ من اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٤) وهم احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي والحاج يعقوب الغصين وفؤاد سابا ورشيد الحاج ابراهيم .



الشهيد الشيخ يوسف ابودرة اشترك في ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٥ و١٩٣٦ و١٩٣٩ ، استقر في دمشق ثم عمان وسلمه الجنرال جلوب للانجليز عام ١٩٤٠ حيث نفذوا فيه الاعدام أعزل وكان قد اعجزهم محاربا مسلحا

سيشل من وقع في يدها من اعضاء اللجنة وبعض زعماء الحركة، ومن استطاع الافلات حرمت عليه العودة .

واعتصم السيد أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالمسجد الأقصى ، ثم استطاع أن يخترق متخفيا صفوف الجنود البريطانيين المحاصرين للمسجد ، وأذيع رسميا يوم ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ أن المفتي وصل الى بيروت ولم يعرف كيف وصل (٢٥) .

(٢٥) جريدة الاهرام ١٧ من اكتوبر ١٩٣٧ .

وقد رجعنا الى صحف ذلك العهد المحفوظة بدار الكتب العربية بالقاهرة وأحصينا ما نشرته عن فلسطين على الرغم من أنها صحف لم تستق أنباءها الا من شركتي الأخبار الاستعماريتين روتر وهافاس وهما لا تناصران العرب ولا تنشران امجادهم ومع هذا دلنا الاحصاء على الحوادث التالية للشهور الأخيرة من عام ١٩٣٧ : قتل وجرح ٣٤ شخصا من العرب واليهود ، وأشعلت أربع حرائق بسبب التنابل التي ألقاها المجاهدون ،وشن ثلاثة عشر هجوما على المستعمرات اليهودية أو أملاك اليهود ، وقامت اثنتا عشرة معركة او مهاجمة لمراكز الشرطة والجيش ، وحدثت ثلاثة اعتداءات على خطوط التليفون والتلغراف ، وصحب ذلك ستة عشر حادث أعتقال بالجملة ، وفي ٢٨ ديسمبر (كانون اول) ١٩٣٧ نفذت بريطانيا حكم الاعدام في الشيخ فرحان السعدي ذلك الشيخ الكبير الذي يبلغ الثمانين عاما ، وتجاوبت أصداء الوطن العربي كله باستنكار جرائم بريطانيا وارهابها للشعب العربي في فلسطين ، وصدرت الاحتجاجات من سوريا والاردن والسعودية ومصر ، وأعلن رسميا أن عدد القتلى من رجال السلطة والجنود البريطانيين يقارب مائة قتيل عدا أضعافهم جرحى . وأعترفت أدارة الشرطة في القدس بأن مجموع الحوادث التي وقعت في فلسطين خلال عام ١٩٣٧ كانت ٦٦٣٨٢ قضية جنائية منها ٢٧٦ قضية قتل و ٢٨١ شروع في قتل و ٣٧٨٦ اعتداء فظيعا على الاشخاص وأنتهاك حرمات المنازل ، وتضيف أدارة الشرطة أن هذه الاحصائية لا تشمل خسائر الثوار (المجاهدين) لانها مجهولة لدى الادارة (٢٦) .

تعيين الجنرال وايفل في فلسطين :

وأستجلبت بريطانيا قوات جديدة من قوات الاحتلال المرابطة في مصر، وعينت الماجور جنرال وايفل قائدا عسكريا جديدا في فلسطين ، ولكن الاعمال البطولية الفلسطينية لم يثنها تعيين وايفل ، كما لم يثنها تعيين القواد الكبار قبله ، وأضطرت بريطانيا ازاء هذا الموقف الملتهب الى محاولة تخدير الشعب العربي ببيانات علها تبعث فيه الاستكانة ، فوجه وزير مستعمراتها في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ خطابا الى المندوب السامي في فلسطين يعلن فيه سحب مشروع التقسيم ، وكان مما جاء فيه :

« وبالنظر الى الاهتمام الذي أبداه الرأي العام في انتظار نواحي مشروع التقسيم التجريبي في تقرير اللجنة الملكية ، أود أن أبين بجلاء أن حكومة

(٢٦) جريدة الشورى ١٩ من فبراير ١٩٣٨ .

جلالته غير مقيدة بوجه من الوجوه بالموافقة على ذلك المشروع ، وأنها بصورة خاصة لم تقبل اقتراح اللجنة القائل بوجوب اللجوء في النهاية الى نقل العرب اجباريا من المنطقة اليهودية الى المنطقة العربية » .

٥ ـ الثورة تزداد شدة سنة ١٩٣٨ :

لم تكن تلك الاجراءات التعسفية الا حافزا قويا للشعب العربي في فلسطين على مواصلة النضال ، واستمرت ثورته مجيدة هادرة ، وازدادت شدة عام ١٩٣٨ تصدر بلاغاتها وأوامرها فيطيعها الشعب عن بكرة أبيه طاعة مطلقة كاملة .

ويروي المعاصرون لتلك الثورة أحداثا لا تكاد تتكرر في غيرها من الثورات ، فحين اختصت السلطات البريطانية لابس الكوفية والعقال بالمطاردة والتنكيل لأن هذا الزي لباس الشعب العربي الثائر ، ولا سيما القروي منه ، أصدر الثوار أمرا بتعميم الزي ، فلبس الجميع العقال حتى استحال على السلطة أن تفرق بين الثائر وغير الثائر ، واضطرت بعد ذلك ان تأمر بحمل البطاقة الشخصية ، فأصدر الثوار أمرا بقتل كل من يحملها ، فلم يحملها أحد ، وبلغ من قوة الثورة أنها كانت تصدر أحكام الأعدام وتحدد ساعات تنفيذها ، ويتم كل ذلك برغم الاحتياطات والحراسات ، بل بلغ من قوة الثورة حدا مكّنها من احتلال المدن والقرى ، ففي مايو (ايار) ١٩٣٨ احتل الثوار مدينة الخليل ، وقبلها كان الثوار قد احتلوا مدينة القدس القديمة ، وفي ٩ سبتمبر (أيلول) احتلوا مدينة بئر السبع ، وأطلقوا سراح المساجين ، واستولوا على مراكز الشرطة وسلاح رجالها ، وفي ٥ اكتوبر (تشرين الاول) احتلوا مدينة طبريا ومعظم سكانها من اليهود وقتلوا فيها أكثر من مائة وعشرين يهوديا(٢٧) .

ويحدثنا عن احتلال الثوار لبئر السبع شاهد عيان هو المؤرخ الكبير عارف باشا العارف الذي كان حاكما لبئر السبع خلال عام ١٩٣٨ فيقول :

« وفي بئر السبع شاهدت أعمال الثوار بعيني ، وكان يقودهم يومئذ القائد الموهوب عبد الحليم الجيلاني ، فقد قطعوا قبل كل شيء أسلاك البرق والهاتف ، وأقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول اليها والخروج منها ، ثم راحوا يتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة ، وقتلوا أحدهم برتبة نقيب ، ثم راحوا يستولون على دور الحكومة

(٢٧) القضية الفلسطينية ص ١٢٥ .



المجاهد عبد الحليم الجيلاني وقد رافق اسمه الجهاد الفلسطيني وبجواره سعيد عيده احد رجال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

واحرقوا بعضها ، وقد اطلقوا السجناء من سجونهم واستولوا على مقادير كبيرة من الأسلحة والأعتدة العسكرية ، وظل الثوار في تلك البقعة من جنوب فلسطين مسيطرين يغشونها متى يشاؤون زهاء سبعين يوما » .

وبلغ من قوة الثورة ونموها ، أنها بينما تحتل بئر السبع في الجنوب، تحتل أيضا طبريا في الشمال وأريحا في الشرق والقدس والخليل في الوسط.

وتحدثنا البرقيات الصحفية عن أمجاد تلك الثورة الخالدة حديثا طويلا مسهبا ، ولولا خشية الاطالة لنشرناها يوميات كاملة كما أثبتتها صحافة ذلك العهد ، صادرة من برقيات روتر وهافاس ، ولكننا نكتفي بتسجيل بضعة أيام من كل شهر ، وانها لأيام لا تعطي الحصر قدر ما تعطي المثل ، وكم تتفاعل لدينا الأحاسيس ونحن نضطر خشية الاطالة الى أن

نقتصر على نشر بعضها ، وانها لصفحات خالدة جديرة بأن يطلع عليها كل عربي سواء ذلك الذي آمن بأن اهل فلسطين دفعوا الضريبة غالية ، أو ذلك الذي يحتاج لاثبات ان هناك ثلاثين عاما قضاها الفلسطينيون في جهاد طويل مرير دام .

ففي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨ قام المناضلون العرب بالهجوم على مخفر للشرطة ، ووقعت مصادمة شديدة بينهم وبين الخفراء ، كما قام المناضلون بتفجير عدد من القنابل في تل أبيب فأصيب عدة أشخاص ، وانطلق الثوار يطلقون وابلا من الرصاص على قطار الركاب بين اللد والقدس ، وتبادلوا الرصاص مع رجال الشرطة في أماكن مختلفة بمنطقة الخليل ، واطلقوا نيرانهم على يهوديين في القدس فأخذا مصابين بجراح خطيرة ، ونشبت معركة شديدة في ضواحي الخليل اشترك فيها سرب من الطائرات البريطانية في مطاردة المجاهدين ، وانفجرت قنبلة بجوار المعسكر البريطاني بالقدس ، وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية ، وقتلوا خمسة من اليهود حين هاجموا قافلة سياراتهم بين القدس وأريحا ، ولم تفلح الطائرات البريطانية حين تعقبت الثوار الفلسطينيين الذين هاجموا مخفرا بريطانيا حيث قتلوا قائده وأخذوا معهم جنوده أسرى ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فهاجموا قرية يهودية ونشبت معركة مع سكانها، وكان لهذه الأحداث الكبيرة رد فعل قوي لدى البريطانيين الذين قاموا يفتشون المنازل والمحلات التجارية بحثا عن مستودعات السلاح(٢٨) .

وما لبثت أن دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب في المسالك الوعرة بين جنين والكرمل اعترف الجيش البريطاني بفقد جنديين خلالها، على حين استمرت اقسام أخرى من الجيش والشرطة البريطانية توالي عمليات التفتيش عن السلاح في اماكن عديدة من فلسطين.

وصرع جاويش بريطاني في المعركة التي حدثت في شمال طولكرم(٢٩) وجن جنون السلطات البريطانية ، فأقامت الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود ، وأعلنت نظام منع التجول في قريتي أم الفحم والطيبة ، وبينما كان الجنود البريطانيون يطوقون منطقة جنين ، ويواصلون البحث عن الثوار العرب أستحال عليهم التفريق بين المجاهدين والشرطة ، اذ ارتدى المجاهدون أيضا ملابس الشرطة ذاتها .

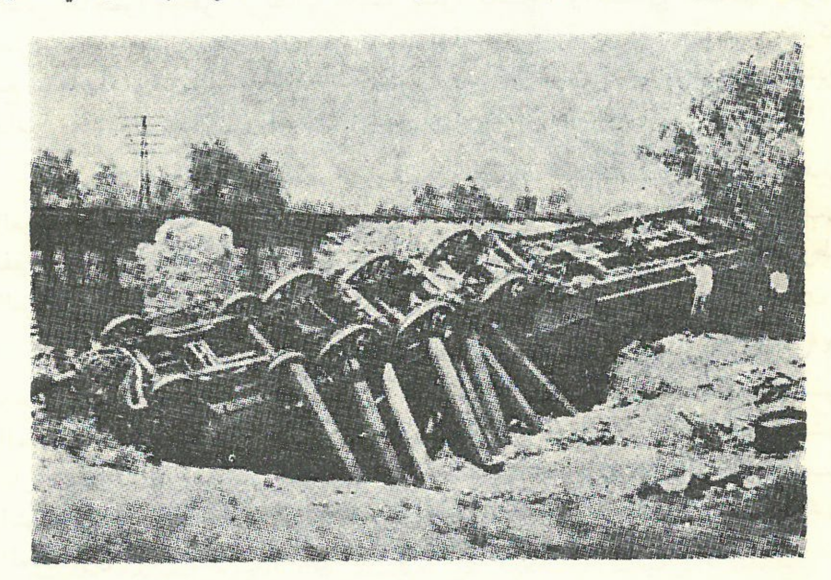
وفي خلال شهر مارس (آذار) ١٩٣٨ بدات المصادمات بين الجيش

(٢٨) جريدة الاهرام ، أعداد ٣ و ٥ و ١٥ و ١٩ و ٣١ يناير ١٩٣٨ .
(٢٩) جريدة الاهرام عدد ٢ و ١٠ فبراير ١٩٣٨ .

البريطاني والمجاهدين العرب ، تشتد في منطقة جنين ، فقد بدات معركة في صباح الحادي عشر من هذا الشهر واستمرت مشتعلة طيلة النهار واستؤنفت في اليوم الثاني عشر واتسع نطاق المعركة مما اضطر السلطات الى ان تقفل الطريق العام بين نابلس وطولكرم ثلاث مرات ، وقد كان من اهمية هذه المعركة التي خاضها المجاهدون أن اشتركت فيها الطائرات ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فشنوا هجوما على محطة في جوار طولكرم وهاجموا عدة مستعمرات يهودية في ضواحي القدس .

ونسف المجاهدون قاطرة وقتلوا جنديا بريطانيا وجرحوا آخر ، ويعلن البلاغ الرسمي أن مناوشات عنيفة حدثت في أنحاء فلسطين وأن عددا كبيرا من سكان القرى المجاورة للقدس ارسلوا الى المعتقلات ، وبينما شاغل المجاهدون الجنود البريطانيين في هجوم على المستعمرات اليهودية نسفوا انابيب بترول العراق في مرج ابن عامر بالقرب من الناصرة(٣٠) .

وحين اعيت الوسائل سلطات الانتداب في مكافحة الثوار اعلنت عن جوائز مالية لمن يرشد عن زعماء الثوار ، في نفس الوقت الذي واصلت فيه فرض الغرامات المالية على القرى العربية ، وقد استمر المجاهدون يأخذون



هكذا يدمر مجاهدو فلسطين مواصلات الاعداء ١٩٣٨

(٣٠) جريدة الاهرام اعداد ١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٣٠ مارس ١٩٣٨ .

بين أيديهم سبق الهجوم وينوعون أهدافهم، فبينما يقاتلون الجيش البريطاني هاجموا تجمعات العمال اليهود ثم فجروا قنبلة على معمل يهودي ونسفوا ايضا الخط الحديدي بجوار القدس كما نسفوا جسرين لمنع القطارات من التحرك ، وتستمر الثورة العربية بفلسطين في عنفوانها القوي اذ يعلن بلاغ رسمي أن الثوار دخلوا بلدة الطيرة واخذوا رهائن من سكانها ثم هاجموا بساتين البرتقال اليهودية وقطعوا ٤٠٠ شجرة فيها ، واتجهت الشرطة الى اقامة مخفر في الحرم المقدس فهاجم المجاهدون الشرطة في داخل مدينة القدس وبجوار الحرم لمنعها من دخوله . وقتل المجاهدون جنديين في هجوم عنيف على قوة من الجيش البريطاني ثم اضرموا النار في مركبة قطار وسلطت السلطات غضبها ففرضت غرامة كبيرة على قرية البصة لمقتل جندي بريطاني بجوارها والقت القبض على عدد من سكان الخليل لعلاقتهم بالمجاهدين(٣١) ، واستمر هجوم المجاهدين على مدينة روشيينا اليهودية(٣٢) .

ونسف المجاهدون من جديد انابيب البترول العراقي ، فسببوا خسائر كبيرة لبريطانيا اذ تدفق البترول بشدة وغزارة ، ووالوا مهاجمتهم للقرى اليهودية . ونشبت معركتان شديدتان في ضواحي قرية طيرة حيث هاجم المجاهدون رجال الشرطة البريطانيين ، وقد استشهد تسعة من العرب خلال المعركتين . وقد استمر المجاهدون يكررون الهجمات على انابيب بترول العراق الممتدة عبر فلسطين الى حيفا ، فنسفوا من جديد تلك الأنابيب بين بيسان والعفولة ، واطلقوا النار على الدورية العسكرية حيث قتلوا ضابطا بريطانيا ، واتجهوا الى سكة الحديد بجوار القدس حيث نسفوها بالديناميت . واضرم المجاهدون النار في غابات واسعة ثم قطفوا الوف الأشجار من البرتقال التي يملكها اليهود ، كما هاجموا القرى اليهودية في جهات صفد والناصرة ، واستشهد السيد محمد الرشيد متأثرا بجراحه بعد اشتراكه في احدى المعارك ، وقد أعلنت السلطات أنه تقرر تعزيز الجيش البريطاني في فلسطين بثلاثة آلاف جندي(٣٣) .

وقد ادرك المجاهدون أن اتلاف الأملاك اليهودية يصيب الصهيونية في صميمها ، فوالوا هجومهم على المستعمرات قرب الناصرة واتلفوا مشروعات يهودية كثيرة في اماكن عديدة بين حيفا وصفد ، ورزح الشعب العربي تحت الغرامات المالية فرضتها السلطات على سكان القرى المجاورة.

(٣١) جريدة الاهرام العدد ٣ و ٦ و ٢٢ ابريل ١٩٣٨ .
(٣٢) جريدة الاهرام ٢ مايو ١٩٣٨ .
(٣٣) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ مايو ١٩٣٨ .

وقررت محاكمة ١٩ عمدة في نابلس لعدم مساعدتهم للسلطات بالقبض على المسلحين فيها ، فهاجم المجاهدون الجنود البريطانيين بين نابلس وجنين وظهرت مجموعات منهم في جبال الخليل(٣٦) ، واحتجت مدينة القدس فأعلنت الاضراب العام .

ونشبت معركة رهيبة كانت أعظم معركة تشمل عدة قرى في منطقة نابلس حيث استنفرت الحكومة قوات كبيرة من الجند من نابلس وطولكرم، وقررت الحكومة تطويقها على سفوح الجبال الشرقية المواجهة لنهر الأردن، وبينما كانت القيادة العليا تعنى بعد الظهر بتوزيع القوات على هذه المنطقة للبدء في أعمال التطويق ، فوجئت بالمجاهدين يخرجون من كمين في قرية دوما ومن مكامنهم في قرى بورين وصواره وعقبة وزعتره ، وقد هاجموا الجيش البريطاني بعنف ، ومنعت الحكومة المواصلات على الطرق العامة وحاصرت أهل كل قرية في قريتهم واستخدمت انواعا كثيرة من المدافع كما سلط الانجليز طائراتهم تلقي قنابلها على المجاهدين في معركة شملت ١٥ كيلومترا ، واستطاع هؤلاء تحطيم احدى الطائرات ، واستمرت هذه المعركة طوال اربع وعشرين ساعة ، ودخلت قوة من المجاهدين محطة المزرعة ، وبعد أن أخرجت الموظفين منها أضرمت النارفي المحطة فالتهمتها عن آخرها ، وداهمت جماعة منهم مكتب دار الحكومة في الخليل وأطلقوا النار عليها ونشبت معركة خلال ذلك مع الجند الذين يحرسون الدار وجرح أحد المجاهدين (٣٧) .

وتتنوع أساليب المجاهدين في فلسطين ، حتى أنهم ليحتلون مدنا ، ويمنعون فيها التجول ، فقد حدث في أوائل أغسطس (آب) أن دخلت جماعة منهم الجهة الغربية من نابلس وأعلنوا منع التجول في الشارع المؤدي الى منتصف المدينة حيث يقع بنك باركليز ، وأخذوا يسيرون في الطرقات شاهرين مسدساتهم ويتبادلون الاشارات ، حتى وصلوا الى باب البنك ، فوقف بعضهم على الباب ، ودخل فريق آخر ، وطلبوا من موظفي البنك باللغة الانجليزية أن يرفعوا أيديهم ، ثم أخذوا في جمع الأموال فبلغت ٥ آلاف وعشرين جنيها ، ولم يتقدموا الى الصناديق الكبيرة لأنها كانت مقفلة ولم يؤذوا أحدا من الموظفين العرب ، ولم تظهر لهم قوات الجيش برغم اكتظاظ نابلس بها . وبينما كانت هذه الحركة تتم في نابلس اذ فجرت مجموعة أخرى من المجاهدين ثمانية ألغام تحت أعمدة الكهرباء بين كركور وفاقون وهما مستعمرتان يهوديتان فيمنطقة طولكرم، فتحطمت أربعة أعمدة

(٣٦) جريدة الاهرام أعداد ٦ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ١٩٣٨ .

(٣٧) جريدة الاهرام عدد ٢ و ٧ اغسطس ١٩٣٨ .

وانقطعت الأسلاك وانقطع النور عن جميع المستعمرات .

ودفنوا لغما في الطريق بين جنين ونابلس اصطدمت به سيارة عسكرية فقذف بها الى واد قريب فتحطمت ، وهاجم فريق منهم منزل ضابط البوليس في مدينة اللد وطلبوا اليه النزول من داره فأعلم مركز البوليس تليفونيا فحضرت قوة من البوليس ودار قتال عنيف ، وقذفت سيارة ركاب يهودية قاصدة الى يافا قنبلة على جماعة من العمال العرب(٣٨) .

وقد استولى الرعب من ألغام الطريق على سلطات فلسطين ، اذ اصطدمت فصيلة من الجيش البريطاني بلغم في الطريق الى الجهة الجنوبية الشرقية من قلقيلية ، وما كاد يتم الانفجار حتى أطلق المجاهدون النار على الجنود من كمين قريب وبدأت معركة شديدة بين الفريقين دامت وقتا طويلا وتدخلت الجيوش البريطانية فذكر البلاغ الرسمي أن عشرة من العرب قد قتلوا وكانت معركة حامية استبسل فيها المجاهدون فأسقطوا طائرة أثناء المعركة وقتل قائدها ومساعده ، وأذيع في البلاغ الرسمي عن هذه الليلة ان مجموع خسائر العرب في معارك بعد ظهر التاسع عشر من أغسطس في شعب ومجد الكروم بين صفد وعكا وفي معركة قلقيلية صباح العشرين منه كان ٤٧ قتيلا وجريحين .

وحدثت معركة كبيرة أخرى بين المجاهدين وقوات الجيش في قرية دير شرف الواقعة على بعد عدة كيلومترات غربي نابلس وقد أسقطت طائرة حربية في محل المعركة وقتل جميع من فيها ، وتصدى أفراد لسيارة ركاب عربية بعد ظهر التاسع عشر من أغسطس تقل ١٥ راكبا بالقرب من مطار اللد المدني فقتلوا كونوستابلا عربيا كان يرافق السيارة للحراسة ، وفجروا قنبلة على الخط الحديدي بين بتير ودير الشيخ فأحدثت أضرارا في الخط(٣٩) .

أيام من سبتمبر (أيلول) ١٩٣٨ :

أضرم المجاهدون النار في كنيس يهودي بين يافا وتل أبيب ، وفي محلات تجارية لليهود في يافا ، وأعلنت القدس غضبها فأضربت واشتركت معها يافا واللد ، وانقطعت المكالمات التليفونية بين فلسطين والخارج(٤٠) . وهاجم المجاهدون مدينة بئر السبع فاقتحموا مركز البوليس ، واستولوا

(٣٨) جريدة الاهرام ١١ اغسطس ١٩٣٨ .

(٣٩) جريدة الاهرام ٢٠ اغسطس ١٩٣٨ .

(٤٠) جريدة الاهرام ٣ من سبتمبر ١٩٣٨ .

على سلاحه واحتلوا المدينة واضرموا النار في محال كثيرة ، واضطرت حركات الثورة السلطات الى وقف سير القطارات بين القدس وحيفا ، وانتشر الاضراب في جميع مدن فلسطين . كما هاجم المجاهدون دائرة الجمرك في ميناء يافا واسروا أمين الصندوق واستولوا على أموال الميناء وتعطلت الطريق بين القدس واريحا ، وقطعوا عشرة آلاف شجرة برتقال يملكها اليهود . ثم اطلقوا النار على دورية عسكرية بين طولكرم وقلقيلية فأصيب كونوستابلان يهوديان وقتل كونوستابل عربي بيافا ، وهاجم المجاهدون سراي الحكومة في نابلس وفتحوا خزينة المال ، واضرموا النار في محكمة الصلح في الناصرة فالتهمتها عن آخرها(٤١) .

أيام من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٨ :

وشهد شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٣٨ قوة وصلابة في لواء حيفا اذ تصدى عدد من المجاهدين لسيارة يهودية وقتلوا من فيها واحرقوها ، ونشبت معركة في رام الله واتسع نطاقها ، وشملت عدة قرى مجاورة وقد قتل فيها مفتش بوليس بريطاني وجرح جنديان ، واحصيت بين المجاهدين اربعون اصابة ، وقد أعلنت الأحكام العرفية في جميع انحاء فلسطين في الثامن عشر من اكتوبر (تشرين الأول) واعلن ان البوليس اصبح تابعا لقيادة الجيش العام ، واقفلت الحدود ومنع التجول وارسلت الطائرات تحلق فوق أماكن الأعمال العسكرية وسيرت قوات كبيرة لأماكن معينة في فلسطين ، والقيت قنبلة تحت سيارة شحن عسكرية فأصيب ضابطان وجنديان ، واضرم المجاهدون النار في خمسة منازل يهودية في حيفا وفي مخزن يملكه احد اليهود ، كما أطلقوا النار على مركز البوليس في المدينة وهاجموا الخط الحديدي بالقرب من حيفا واشتبكوا مع الجنود في معركة شديدة أسفرت عن وقوع أربع اصابات في المجاهدين وواصلوا قطع الأشجار المثمرة لليهود فأحصيت ٤٠٠ شجرة برتقال مما قطعه المجاهدون اخيرا ، وواصلت السلطات أعمال التفتيش بين حيفا وطبريا واستشهد عربيان اثناء ذلك . واذيعت برقية من لندن تفيد ان أعظم حملة عسكرية سوف تشهدها فلسطين حين يبدأ الجنرال هاتين قريبا الهجوم العام الذي يأمل ان يكسر به شوكة الثوار العرب ، ويبلغ عدد القوات التي عبأها لهذا الغرض ٢٥ الف جندي اخذوا يحتلون مراكزهم ، اما المهمة الأولى لهذا الهجوم فاستعادة البلدان التي استولى عليها الثوار مثل رام‌الله وبيت‌شعب واريحا وغزة حيث تخفق راية العرب دون منازع ، ثم تقول احدى

(٤١) جريدة الاهرام أعداد ١١ و ١٣ و ٢٨ من سبتمبر ١٩٣٨ .

البرقيات « انه يستحيل تطويق كل قرية من القرى الفلسطينية البالغ عددها ألف قرية(٤٢) » .

أيام من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ :

واستقبل الشعب الفلسطيني شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٣٨ بنفس الروح الثائرة التي تقمصها منذ عام ١٩٢٠ ، فهاجم المجاهدون احدى المستعمرات اليهودية بجوار حيفا وفجروا قنبلة في نابلس فقتلت أربعة من اليهود وجنديا اضافيا ، وواصلت السلطات اعمال القمع ، على حين دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين في المنطقة الشمالية ، واحتدمت معركة أخرى في المنطقة الجنوبية وقد أسر الجيش بعض المجاهدين .

واتجه المجاهدون الى المواصلات فأوقفوها بين فلسطين وشرقي الاردن وتمكنوا من استعمال الديناميت فنسفوا جسرا قرب أربد في الوقت الذي مر عليه قطار بضاعة فسقط القطار في الوادي مع عدد من الضحايا ، وفجروا لغما تحت سيارة بوليس فجرح أربعة من ركابها ، وبلغ عدد المعتقلين في اللواء الشمالي خلال أسبوع واحد ٧٥٧ عربيا(٤٣) .

أيام من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٨ :

وهاجم المجاهدون دورية عسكرية في نابلس وجرحوا اثنين من رجالها ، ودارت معركة بينهم وبين الجند البريطاني في جوار قرية خربتا ، واستولى الجيش البريطاني على جثث تسعة من القتلى في المعارك الأخيرة . ودخل المجاهدون قرية قبلان وأمروا الاهالي بمنع التجارة مع اليهود ، ثم واصلوا مهاجمة الممتلكات اليهودية ، واشتعلت معركة بين المجاهدين والجند البريطاني جرح فيها أربعة كونستبلات بريطانيين ، وأعلن المندوب السامي منع التجول في يافا ٢٤ ساعة ثم أعلن منع التجول في الرملة ثم أعلن الغاء رخص السلاح لجميع الأشخاص ، وقتل العرب يهوديا في القدس كان يحاول القاء قنبلة على متجر عربي ثم هاجموا الخط الحديدي والممتلكات اليهودية في يافا ، وأشعلوا النار في أحد البساتين اليهودية(٤٤) .

يتبين من هذا العرض السريع لأحداث الثورة في خلال سنة ١٩٣٨

(٤٢) جريدة الاهرام أعداد ١٦ و١٩ و٢٨ اكتوبر ١٩٣٨ .
(٤٣) جريدة الاهرام اعداد : ٥ و ٨ و ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ .
(٤٤) جريدة الاهرام اعداد : ٥ و ٢٨ و ٣١ ديسمبر ١٩٣٨ .

ان الثورة الفلسطينية ظلت متأججة الأوار لم يخمد لهيبها منذ اندلعت في سنة ١٩٣٦ ، وأن الشعب العربي في فلسطين تحمل العبء الأكبر من الكفاح الوطني امام التحالف الذي ضم جحافل البريطانيين والصهيونيين ، والواقع أننا عمدنا الى اختصار الأحداث والأيام ، والذي يراجع مجموعات الصحف في ذلك الوقت لا يجد يوما قد مر في فلسطين دون صراع وجهاد ونضال قوي مرير .

ولكي نحيط احاطة كاملة وسليمة بالثمن الذي دفعه شعب فلسطين دفاعا عن الوطن العربي ، نعود الى الصحف وهي تمثل سجلا لا يتهم بالتحيز للعرب ، ولنطلع عليها باحثين عن أحكام الاعدام وبعض الخسائر المعلنة خلال عام ١٩٣٨ :

في ٤ يناير تم في سجن عكا تنفيذ حكم الاعدام في عربي لحيازته سلاحا ، وقد جرت محاكمته سرا ، وفي ١١ منه اعلنت موافقة القائد العام على اعدام عربيين لاتهام أحدهما بقتل المستر سباركس ، وفي ٢٦ منه نفذ حكم الاعدام في سجن عكا في ثلاثة من العرب بتهمة علاقتهم بمصرع ضابط بريطاني .

وفي خلال فبراير من نفس العام حكم على عربي يدعى الحاج عبدالله اواتيله من الخليل بثلاث سنوات سجن لحيازته ثلاثة جرامات من ملح البارود ، وفي ١٤ منه نفذ حكم الاعدام في السيد محمد حسين ابو الرب لحمله مسدسا ، وفي ٢١ منه أعلن اعتقال السيد عبد الحميد شومان مدير البنك العربي وارساله الى السجن ، وفي ٢٣ منه نفذ على السيد رمضان عبد القادر حمام حكم الاعدام بتهمة حيازته مسدسا ومحاولته اغتيال « كراند » يوم اعدام الشهيد محمد أبو الرب .

وفي ٢ مارس نفذ حكم الاعدام في ١٢ عربيا لاتهامهم بقتل احد البريطانيين .

وفي ١٣ اكتوبر أعلن أن العرب خسروا ١٥ قتيلا في معركة حاياردن وفي ٣٠ منه أعلن ان الكونستابل البريطاني « ميكر » قتل ثلاثة من العرب المساجين حينما كانوا يرحلون الى طولكرم بدعوى محاولتهم خطف سلاحه .

وفي ٨ نوفمبر قتل عربي في المنطقة الجنوبية ، وفي ١٧ منه أعلن مصرع عربي آخر عندما حاول الافلات من الجند ، وفي اليوم نفسه وجد عربيان قتيلان ، وفي ٢١ منه قتل عربي آخر بجوار القدس .

وفي ٢٨ ديسمبر أعلن أن عربيا قتل بقنبلة يدوية .

وفي نفس العام حكم على جميع سكان عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف أن يسيروا عشرة كيلو مترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس ثم يسمح لهم بالعودة الى قريتهم .

وواصلت بريطانيا حملتها المحمومة على شعب فلسطين في سبيل قضية التهويد فحكمت بالسجن المديد على اكثر من ٢٠٠٠ من الشيوخ والشباب والنساء ، وهدمت اكثر من خمسة آلاف بيت ، وجعلت حكم الاعدام مجهزا لكل من يحمل رصاصة أو قطعة من سلاح او مفرقعة ، حتى بلغ عدد الذين أعدموا شنقا في سجن عكا ١٤٨ شهيدا ، وبلغ عدد من اعتقل لمدد مختلفة اكثر من خمسين الفا وفقدت السلطات البريطانية صوابها فكان ضباطها يجمعون سكان اي قرية يشتبه في اطلاق الرصاص منها ، ثم ينتقي الضباط البريطانيون عددا من الشباب ويطلقون عليهم الرصاص على مشهد من سكان القرية العزل . هذا بالاضافة الى التعذيب الوحشي من كي الأجسام وتقطيع الأظافر وهبر اللحوم واحراق اللحى والشوارب وتسليط الكلاب الجائعة لتنهش لحوم الأحرار .

٦ ــ أسعار للمجاهدين :

ومع تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها سلطات الانتداب البريطاني خلال ذلك العام ، كانت مشغولة قلقة بأولئك النفر الذين لم تستطع اعتقالهم ، وهم يربكون مخططها التهويدي كل يوم ، ونثبت هنا واحدا من المناشير العديدة التي كانت تتلاحق من دار المندوب السامي دون جدوى في سبيل اعتقال ابناء فلسطين الذين يقودون الحركة النضالية في مختلف ارجائها .

« تعطي حكومة فلسطين مكافأة لكل من يقدم اخبارية تؤول مباشرة الى القبض على الأشخاص المذكورة أسماؤهم ادناه :

١ ــ خليل محمد العيسى المكنى بأبي ابراهيم	من حيفا	٥٠٠ جنيه
٢ ــ عطية أحمد	من بلد الشيخ	٥٠٠ جنيه
٣ ــ عبد الرحيم الحاج محمد	من ذنابة	٥٠٠ جنيه
٤ ــ يوسف سعيد ابو الدرة	من سيلة الحارثية	٢٥٠ جنيه
٥ ــ عارف عبد الرازق	من الطيبة	٢٥٠ جنيه
٦ ــ فوزي رشيد	من ترشيحا	٢٥٠ جنيه

٧ – محمود سالم — من قباطية ٢٥٠ جنيه
٨ – فريد سعيد عبدالرحيم المكني — من المزرعة القبلية ٢٥٠ جنيه
٩ – محمد الاحمد الجلقموس — من جلقموس ٢٠٠ جنيه
١٠ – محمد أحمد القاسم المكني — من دير ابو ضعيف ٢٠٠ جنيه
١١ – أسعد خليل السعدي — من المزار ٢٠٠ جنيه
١٢ – ابراهيم عموري — من طولكرم ٢٠٠ جنيه
١٣ – أحمد محمد عبد القادر الطوبي — من صفورية ٢٠٠ جنيه
١٤ – صالح الحجيري — من حيفا ٢٠٠ جنيه
١٥ – عيسى بطاط — من الخليل ٢٠٠ جنيه
١٦ – يوسف الحاج اسعد — من عربونة ١٠٠ جنيه
١٧ – توفيق الابراهيم — من عين دور ١٠٠ جنيه
١٨ – مسعود محمد العبد النصار — من ام الزينات ١٠٠ جنيه
١٩ – كامل الحسن اللبادي — من يامون ١٠٠ جنيه
٢٠ – رئيس جماعة ابو حميد — من ترشيحا ١٠٠ جنيه
٢١ – عبدالله شعر — من صفد ١٠٠ جنيه

ولهذه المناسبة تعلن الحكومة البريطانية بفلسطين عن مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه لمن يرشد الى قاتل أو قتلة المستر أندروز حاكم لواء الجليل(٤٥) .

٧ – اللجنة الفنية البريطانية تدحض تقرير لجنة بيل :

وسط هذه الأحداث التي كانت تجري مخضبة بالدماء في مختلف انحاء فلسطين ، كانت بريطانيا قد أرسلت لجنة فنية لتتابع توصيات اللجنة التي سبقتها والتي أوصت بتقسيم فلسطين ، ووصلت هذه اللجنة برئاسة السير جون ودهيد في ٢٧ من ابريل (نيسان) ١٩٣٨ ، ولكن الشعب العربي أعرض عنها ، وقرر الا يلاقيها ولا يباحثها ، ولم يعد هذا الشعب مستعدا للعدول عن رايه الذي كان قد ارتآه بالنسبة للجنة السابقة ، واضطر ان يعدل عنه تحت الحاح من حكام العرب الذين لا يتوقعون الا خيرا من صديقتهم بريطانيا(٤٦) .

واستقبل العرب هذه اللجنة الفنية بالاضراب العام ، وقاطعوها

(٤٥) جريدة الشباب ٢٣ من فبراير ١٩٣٨ .

(٤٦) راجع خطاب عبد العزيز وعبدالله وغازي في اضراب عام ١٩٣٦ ص ٢٠٨ ولجنة بيل ص ٢١٦ من هذا الكتاب .

مقاطعة كاملة شاملة ، واستجاب الشعب كله الى اللجنة العربية العليا وهي تقول في منشورها بمناسبة مجيء اللجنة الفنية : « ليس في الوطن العربي اقسام للمنح ، فمن شاء فليهب من ماله ، ومن اراد فليمنح من ملكه الخاص » .

وعلى الرغم من انها بقيت في فلسطين من شهر ابريل (نيسان) الى اوائل شهر اغسطس (آب) ، فان المظهر الوحيد الذي عاصرها من العرب كان هو استمرار الثورة ودوي القنابل واحتلال المدن والقرى ، وعادت تلك اللجنة الفنية لتقول الى بريطانيا والى العالم اجمع : « في أثناء اقامتنا بفلسطين لم يتقدم لنا اي شخص عربي لاداء الشهادة او التعاون معنا على أي وجه من الوجوه ، بل كانت مقاطعتهم لنا تامة شاملة ، وقد وجدنا الجو مشبعا بالبغضاء والمرارة الشديدتين ، وقمنا بتحقيقاتنا في هذا الجو المظلم الذي ساد فيه العداء العنصري وأعمال العنف والاضطراب الشامل .

واذا كانت اللجنة قد رات ان ادخال الجليل الى الدولة اليهودية لن يؤدي الى صعوبة كبيرة ، لأن سكان الجليل العرب كانوا اثناء اضطرابات ١٩٣٦ الماضية اقل انقيادا من عرب السامرة والجنوب الذين تركزت فيهم روح المقاومة القومية ، فان الحوادث الأخيرة أثبتت خطأ هذا الراي ، وذلك ان الحالة تغيرت سريعا على أثر تقرير اللجنة الملكية ، فمنذ ذلك الحين والجليل يتمخض بالثورة ويتطلب توطيد السلام والنظام فيه احتلالا عسكريا » .

ولقد تناول تقرير هذه اللجنة الفنية مشروع التقسيم الذي وضعته اللجنة الملكية بالتحليل والتفنيد ، مما يجدر تسجيله هنا للتاريخ ، ولما فيه من ايضاح عن اراضي العرب التي احتفظوا بها برغم الارهاب البريطاني والمال اليهودي ، ولنسر مع تقرير اللجنة الفنية :

« بعد دراستنا لمشروع اللجنة الملكية (التي أوصت بالتقسيم) دراسة فنية احصائية مستفيضة ، اتضح ان عدد اليهود في الدولة العربية لا يتجاوز سبعة آلاف نسمة أي نحو ٢٪ من عدد السكان ، مع ان عدد السكان العرب في الدولة اليهودية يكاد يساوي عدد من فيها من اليهود ، واما الاراضي ، فما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل وهو ما يقارب ٩٢ الف دونم ، على حين يملك العرب في الدولة اليهودية نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة وخمسة وخمسين الف دونم ، مع ان اليهود انفسهم لا يملكون في دولتهم المقترحة أكثر من مليون ومائة واربعين الف دونم ، اي سيكون للعرب اربعة أخماس الأراضي في الدولة اليهودية كلها » .

وتضيف اللجنة الفنية قولها : « **فلا مجال والحالة هذه لتبادل الاراضي** والسكان ، يضاف الى هذا أن العرب لا يرضون بالخروج من اراضيهم واراضي آبائهم ، ثم ان هذه الاراضي التي يطلب منهم مغادرتها هي أخصب أراضي فلسطين وأحسنها ريا ، وذلك الى أراض قاحلة يندر فيها سقوط المطر ، وتتوقف مواسمها الزراعية على الري وكل ذلك لايجاد متسع لليهود » .

ولقد واصلت هذه اللجنة الفنية شجب مشروع التقسيم وتهديمه ، بحجج هي غاية في المنطق الواقعي والتصوير الصحيح ، وهي بعد أن اشارت الى تملك العرب لاربعة اخماس أراضي دولة اليهود المقترحة ، وبعد أن أوضحت أن عددهم في تلك الدولة سوف لا يقل عن عدد اليهود ، تحدثت عن القسم الجنوبي فيها فقالت أن العرب يمثلون سواده الاعظم ، وهم يبلغون نحو تسعين في المائة من مجموع السكان ويملكون أكثر من تسعة وتسعين في المائة من اراضيها ، فلا يجوز ادخالها ضمن الدولة اليهودية فسكانها كلهم عرب تقريبا ، واراضيها كلها عربية تقريبا ، وعرب الجليل يقاومون بشدة الحاق منطقتهم بالدولة اليهودية ، ولا شك انهم سيلجئون الى القوة للحيلولة دون ذاك ، وليس هنالك ما يسوغ استعمال القوة لارغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية محضة على قبول سيطرة اليهود ، واذا أمكن سحق مقاومة العرب فالهدوء سيكون موقتا ، وستظل هذه المنطقة بسبب عروبتها وصعوبة مسالكها قرحة دامية في جسم الدولة اليهودية .

وكان من المنتظر ان نتيجة هذا التقرير الذي قدمته اللجنة الفنية لمشروع التقسيم الذي يحوي كل سطر فيه معنى بطلان المشروع ويوضح ظلامة العرب ويثبت ملكيتهم الساحقة للاراضي واكثريتهم العددية ، كان المنتظر أن تعلن اللجنة ان فكرة التقسيم هي خيال لا يقوى على البقاء ، ولكنها مع كل هذا ، ووفقا للسياسة البريطانية العليا التي تهدف الى خلق ركيزة استعمارية وسط الوطن العربي ، جاءت توصياتها هي أيضا داعية الى تقسيم جديد لا يختلف جوهره الا في تغيير المناطق واستبدال الاماكن .

ومع هذا السير الذي سلكته هذه اللجنة نحو التقسيم وفقا للهدف البريطاني الاعلى ، فانها لم تستطع ان تخفي عجزها وربكتها وعدم ايمانها بجدية واحقية هذا التقسيم الذي قدمته معدلا ومعالجا في رأيها ، وانها لتقول : « ان تنفيذ هذا التقسيم الذي نوصي به سوف يقابل بثورة عربية وسوف لا يمكن اخمادها الا بقوة تفوق قوتهم ، أما عدد تلك القوات اللازمة لهذا الامر ، وأما المدة التي ستصرف في اخمادها ، وأما النفقات التي ستبذل

والخسائر التي تلحق بالبلاد والعدد والارواح التي ستزهق ومقدار ما ستخلفه هذه الاعمال من شعور الكره للانجليز واليهود ، فهي أسئلة لا تستطيع اللجنة ان تكلف نفسها عناء الاجابة عنها » .

وليس من شك في أن هذا التحذير الواضح الخطير الذي تقدمه اللجنة الفنية يستوي معناه تماما مع عبارة أخرى أكثر صراحة ، يشعر الباحث انها كانت تدور بخلدهذه اللجنة، فحواها: ها نحن يا حكومة بريطانيا قدمنا لك مشروعا للتقسيم هو مجحف بالعرب أصحاب البلاد الاصليين ، ولكنه اقل ظلما لهم من مشروع التقسيم السابق ، ولكننا مع اننا أصحاب هذا المشروع فاننا لا نؤمن به ولا نراه خليقا بالتنفيذ ، ولا نعتقد انه سوف يمر دون ثورة وحرب وخسائر وزعزعة للثقة وكره سابغ وحقد مقيم .

ان هذا المعنى السري الذي صاغته اللجنة الفنية بين سطور تحذيرها، ظهر واضحا من احد اعضائها الذي تحرك ضميره بنشاط أقوى من نشاط ضمائر الآخرين ، واراد ان يعلنه للتاريخ صادقا قويا يقرأ بالحروف لا بين السطور ، فقد احتفظ عضو اللجنة المدعو مستر ريد برايه ونشرت توصيته مع تقرير مذكرته المستقلة التي استنكر فيها التقسيم على جميع اشكاله

وقال : « **اذا تركنا الآراء جانبا جابهتنا الحقيقة الواقعة التالية وهي ان** اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات في فلسطين الى ثورة عربية قومية ، أسهم فيها العرب المقيمون ببعض الاقطار العربية ، لقد أوفى الانتداب بوعد أعطي تحت ضغط ظروف الحرب ، أما اقتراح تقسيم البلاد فهو أمر آخر بالمرة ، اي انه انقلاب لا يجوز أن يجريه الاوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار بهذا الشأن » (٤٧) .

٨ ـ بريطانيا تعلن عدولها عن التقسيم :

وعلى ضربات الثورة العربية المستمرة ، ومع تجلد الشعب العربي في فلسطين امام ارهاق الاستعمار ومظالمه ، أعلنت بريطانيا عدولها عن قرار التقسيم ، فأذاعت أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٣٨ : « أن بريطانيا بعد انعام النظر في تقرير لجنة التقسيم قد ظهر لها أن صعابا سياسية وادارية ومالية عظيمة ، ينطوي عليها اقتراح انشاء دولة عربية واخرى يهودية حتى أصبح واضحا أن هذا الحل لن يكون حلا عمليا (٤٨)

---

(٤٧) القضية الفلسطينية ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٤٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٥ .

ان بريطانيا تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود في سبيل اقامة السلام في فلسطين ، وهي في سبيل ذلك سوف توجه فورا دعوة الى الدول العربية والى الوكالة اليهودية والى عرب فلسطين لعقد اجتماع في لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بما فيها الهجرة اليهودية ، وان بريطانيا لتحتفظ لنفسها بالنسبة لتمثيل عرب فلسطين بحق رفض الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حملة الاغتيال والعنف ، واذا لم تنجح هذه المباحثات فسوف تعلن بريطانيا السياسة التي يجب اتباعها . » (٤٩) .

اذن لقد استحال حتى هذا التاريخ على بريطانيا بجميع ما سنت من قوانين واغتصبت من ارض وشردت من اسر ، أن تحني رؤوس عرب فلسطين لوعد بالفور وصك الانتداب ، وها هي ذي تدرك أن تقسيم فلسطين أمر مستحيل وغير عملي ، وهي لذلك تقرر عقد مؤتمر لندن ، وتعترف بحق العرب جميعا وواجبهم تجاه فلسطين ، فتقرر دعوة الدول العربية المجاورة للمشاركة في المباحثات .

ويشتعل الحقد في قلب حكام بريطانيا ، حقد يظهر حين تدعو لذلك المؤتمر مرغمة وغير راغبة ، وان هذا الارغام انما جاء بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم الكبار ، ولذلك فهي تعلن انها سوف ترفض ان يمثل الفلسطينيين أحد من الزعماء المتهمين بأنهم ذوو علاقة بالثورة ، وكانت بريطانيا قد ارغمت رئيس المجلس الاسلامي وهو رئيس اللجنة العليا وعديدا من رفاقه على الهجرة خارج الحدود حيث استقروا في سوريا ولبنان ، كما أخذت أعضاء اللجنة العربية معتقلين في جزيرة سيشل ، وهي تود أن يبعد هؤلاء عن شرف التمثيل لشعبهم فهم الثوار وهم القادة ، وهم الاعداء للبرنامج الصهيوني الصليبي ، وانها لتود أن يمثل الشعب الفلسطيني احد الذين يبحثون عن أنصاف الحلول ، ولكن شعب فلسطين وثورته مستمرة ملتهبة ، صمم على الا يشترك في المؤتمر ما لم يطلق سراح معتقلي سيشل ، وأن يختار بحريته ممثليه في ذلك الاجتماع ، وحاولت بريطانيا واتصلت بأساليبها العديدة وبذلت جهدها وفشلت في أن تفرض من وراء ستار ممثلين ترضاهم ومندوبين تختارهم ، وفي السابع من ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٣٨ أعلنت اطلاق سراح معتقلي سيشل وأن العرب احرار في اختيار ممثليهم ، ويأتي بعد ذلك تصريح وزير المستعمرات البريطانية ليصور صلابة عرب فلسطين وقدرتهم على الثبات والمواجهة فيقول :

« ان بريطانيا اذا تدخلت في اختيار ممثلي العرب فيحتمل الا يقبل

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

اي عربي أن يجيء الى لندن (٥٠) » .

وسرعان ما وصل الى مصر ثم الى بيروت أولئك الذين بقوا على قيد الحياة من القادة المبعدين في روديسيا (٥١)، وهناك عقدت اللجنة العربية العليا جلستها برئاسة السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين واللاجىء الى لبنان ، وتقرر أن يكون أغلب الممثلين في لندن والجالسين على مائدة المفاوضات هم اولئك الذين ابعدتهم سلطات الانتداب منذ اكثر من عامين الى جزيرة سيشل وهكذا تقابل في لندن وجها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليمكن للصهيونية وسط بلاد العرب .

ولندرك الانطباعات والافكار التي كانت في مخيلات الانجليز في هذا المؤتمر ، يجب أن نعود الى بيان وزير المستعمرات الذي القاه في ٦ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ في مجلس العموم البريطاني لنرى كيف يصور المشكلة بين العرب واليهود :

« ان فلسطين تشتمل على فريقين متنازعين : فلنبدأ باليهود أولا ، لقد كان لهم في فلسطين موطن منذ الفي سنة ، ولكنهم منذ ذلك الزمن فرقوا وشتتوا في جميع أنحاء المعمورة ، انهم شعب لا بلاد له ، ولكن الكثيرين منهم عاد اليها مستندا الى صك الانتداب الذي أيدته أكثر من خمسين دولة ،ولا يدعي أحد أن بريطانيا لم تقم بتسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فمنذ عام ١٩٢٢ دخل فلسطين ما يزيد على ربع مليون واستوطنوها ، أن اليهود المقيمين في فلسطين يوجدون فيها بناء على حق وليس كمنة ، ولكننا لم نقطع على أنفسنا عهدا بجعل تلك البلاد موطنا لكل شخص يود أن ينجو من تلك الكارثة العظمى ، وفلسطين صغيرة حتى ولو كانت خالية من السكان لا تستطيع أن تقبل الا جزءا صغيرا من اليهود الهاربين من أوربا ، ومع هذا وبرغم الاضطرابات فانهم يفدون اليها بمعدل الف يهودي كل شهر » .

وبعد أن افاض الوزير البريطاني في الحديث عن اليهود وفلسطين ، تحدث عن العرب فقال :

« أما الشعب الآخر الذي يشمله هذا النزاع المرير في فلسطين ، فهو الشعب العربي ، لقد عاش العرب في تلك البلاد منذ قرون عديدة ، ولم يؤخذ رأيهم عندما صدر وعد بالفور ولا عندما وضعت صيغة صك الانتداب،

(٥٠) القضية الفلسطينية ص ١٣٦ .

(٥١) وهم جمال الحسيني وامين التميمي والفرد روك ويعقوب الغصين واحمد حلمي .

ولقد كانوا خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب الكبرى يرقبون هذا الاجتياح السلمي الذي يقوم به شعب غريب، ورفعوا عقيرتهم بالاحتجاج الصاخب بين الآن والآخر ، فقد شاهدوا تسرب أراضيهم من أيديهم وانتشار المستعمرات اليهودية انتشارا مطرد الازدياد في صميم البلاد ، واضطروا الى الاعتراف بتفوق ذلك الشعب عليهم في النشاط والمهارة والثروة فأخذت تساورهم المخاوف » .

وبعد أن تحدث الوزير البريطاني عن ازدياد الهجرة اليهودية التي شجعتها وحمتها حكومته قال :

« وتساءل العرب في عجب : متى تقف هذه الهجرة الواسعة النطاق ؟ وهل ستقف يوما عند حد ؟ ، ام تبقى مستمرة بلا نهاية ، حتى اصبحوا يخشون أن يؤول مصيرهم في بلاد آبائهم واجدادهم الى الخضوع لسيطرة هذا الشعب الجديد النشيط ... ولو كنت انا عربيا لتولاني الذعر أيضا . ولنصل الى حقيقة هذه المسألة يجب ان نضع انفسنا لا في موضع اليهود فحسب بل في موضع العرب أيضا » .

وبعد أن انتقد الوزير ثورة العرب واصفا بعض الثوار بالارهاب ، أضطر أن يعترف بالوطنية العربية قائلا :

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية ، انما يشتغلون بحافز من الشعور الوطني الصادق ، ومهما بلغ بهم الخطأ ، ومهما بلغ بهم الضلال في الاسترشاد ، فان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب المخاطر والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم .

« وحتى اذا كان وعد بالفور قد أفاد العرب الذين جاء اليهود الى بلادهم بالمال والعمل ، فلهم ان يبصروا هذا ولا يسمعوا هذه الحجة ، انهم يفكرون في حريتهم المهددة ، ويجب علينا نحن الشعب البريطاني أن نكون آخر شعب في العالم لا يدرك شعور العرب بهذا الشأن ، فلو كان الشعب البريطاني مكان العرب لما احجم عن التضحية بأي فائدة مادية حين يرى حريته مهددة » (٥٢)

ثم أعلن الوزير عن الاجتماع الذي سوف يدعى له العرب : الحكومات المجاورة وشعب فلسطين وكذلك اليهود من جانب آخر ، ولكن الوزير البريطاني لا يذكر اليهود وحدهم ولكنه يقول :

---

(٥٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٧ .

« ان الحكومة ستدخل المباحثات بطبيعة الحال مرتبطة بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب ونحو اليهود ونحو البرلمان ونحو الولايات المتحدة الامريكية » .

اذن فالولايات المتحدة طرف في هذا النزاع الذي خلفه التآمر الصهيوني مع الصليبية الاستعمارية في فلسطين وهي طرف دل التاريخ على انه الى جانب اليهود سافر غير خاف .

٩ ـ مؤتمر المائدة المستديرة :

انعقد مؤتمر لندن في السابع من فبراير (شباط) عام ١٩٣٩ ، وقد اشتركت فيه عن العرب مصر والعراق وشرق الاردن واليمن والمملكة السعودية ، وقد وصلنا في استعراض المراحل التاريخية الى أن الثورة الفلسطينية بما فيها من خسائر مادية متلاحقة بالعرب ، وخسائر ومتاعب يومية لحكومة الانتداب قد اضطرت الحكومة البريطانية التي باركت التقسيم وأيدته في عام ١٩٣٧، اضطرتها الى ان تلغيه وتتناساه في عام ١٩٣٨ ، ودفعتها الى دعوة مؤتمر كبير يبحث المسألة من جميع جوانبها، واصبح لازما ان نستعرض في ايجاز موقف العرب في ذلك المؤتمر وموقف المندوبين الذين كانوا يفاوضون بريطانيا ويباحثونها .

كان الوفد البريطاني ، ويرأسه مستر تشمبرلين رئيس الوزارة ويرافقه ثلاثة عشر عضوا هم خليط من وزراء ووكلاء وزارات وبرلمانيين ووكلاء دائمين وغيرهم ، غير ثلاثة من السكرتيرية ومترجم رسمي واحد ، ولكي نحيط بموقف العرب ومقدار قوتهم في ذلك المؤتمر ، يجب أن نسمع بعضا مما قاله كل وفد، ومن تلك العبارات سوف نستخلص القوة أو الضعف، ونرى أن بعضها كان استجداء لبريطانيا ، وكان استجداء ينزل الى الملق والزلفى، ويعطي صورة واقعية حية لحديث المستضعفين مع الاقوياء على حين كان البعض الآخر قويا صامدا أشبه بأحاديث الثوار الصادقين .

كان رئيس الوفد الفلسطيني احد المتكلمين فقال :

« ان السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية في فلسطين منذ عام ١٩١٨ قد اظهرت أن مخاوف العرب لم تكن وهمية مطلقا ، وقد حرم العرب الاستقلال الذي وعدوا به في تعهد بريطانيا ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ ، وقد أقيمت في فلسطين ادارة ظلت طوال السنين العشرين الماضية تمارس حكما مطلقا كأنه سلطة استبدادية دكتاتورية في كافة نواحي الحكم من تشريعية وتنفيذية وقضائية ، وبهذا حرم عرب فلسطين من أبسط

حقوق الحكم الذاتي .

وقد كانوا يتمتعون قبل الحرب (ايام الحكم العثماني) بحق التمثيل البرلماني والمسئولية الوزارية ، وذلك الانتداب كانت بنوده نتاج بحوث خفية دارت بين بريطانيا واليهود الصهيونيين ابعد عنها العرب أبعادا مقصودا ، بينما كانت تلك الابحاث تتعلق بمصير بلادهم نفسها ، وبناء على ذلك الانتداب سنت بريطانيا القوانين التي سهلت بها الهجرة اليهودية ،والاستيلاء على ما امكنهم من الأراضي ،برغم احتجاجات العرب المستمرة . ان العرب لا يعترفون ولن يعترفوا بتصريح بالفور ولا بالانتداب ، فقد تضمن الاول وعدا لم يكن من حق بريطانيا اعطاؤه بدون رضى العرب أما الثاني فهو مستند غير قانوني ، اذ تتعارض بنوده مع نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، ان العرب يقفون ضد سياسة بريطانيا في فلسطين لثلاثة أسباب :

١ ـ انكار الاستقلال الذي وعد به العرب .

٢ ـ ادخال جموع اليهود المهاجرين الى فلسطين ، وهم غرباء في لغتهم وعاداتهم وآدابهم .

٣ ـ سن القوانين الشاذة تحت الضغط الصهيوني وتسهيل استيلاء اليهود على الارض .

ثم لخص مطالب العرب في الاستقلال وانهاء تجربة « الوطن القومي » والغاء الانتداب ووقف هجرة اليهود (٥٣) .

وتكلم الامير فيصل رئيس الوفد السعودي فهدد بريطانيا بأن علاقاتها مع العرب انما تتوقف على نتائج ذلك المؤتمر وقال :

« انه اذا لم تحل قضية فلسطين حلا عادلا يرضي العرب ، ويؤمنهم على سلامة بلادهم وكرامة مقدساتهم ، فانه يخشى أن علاقات بريطانيا مع العرب تسوء الى درجة كبيرة » .

واكد أن فلسطين داخلة ضمن مباحثات الحسين ـ ماكماهون ، وان وعد بالفور وصك الانتداب كلاهما باطل .

وتكلم الامير الحسين رئيس وفد اليمن ، فقال :

« أرجو ان يتفضل الوفد البريطاني بأن يقول لليهود انه مهما بلغ من قوة اي نفوذ في العالم ، فلن يستطيع أن يهزم الحق ، أو ان يخفف الشعور

(٥٣) كان رئيس الوفد الفلسطيني هو السيد جمال الحسيني .

الذي يسود العالمين العربي والاسلامي بسبب هذا التحدي لوطنية العرب والمسلمين وكرامتهم ومصالحهم المشتركة » .

وتكلم علي ماهر عن وفد مصر فقال :

« اننا حين نلح على الحكومة البريطانية بوجوب اقامة دولة مستقلة في فلسطين مستعدون للالحاح كذلك على عرب فلسطين بوجوب قبول كل الضمانات والمصالح المعقولة التي تطلب منهم »

وجاء دور بريطانيا داخل المؤتمر ، فألقى المستر ماكدونالد كلمة طويلة قال فيها :

« انني لا اظن أن احدا ممن قرأ تقرير سمبسون وتقرير اللجنة الملكية وتقرير لجنة وودهيد يشك في ان المجال لاقامة اليهود المهاجرين في فلسطين محدود جدا ، فهناك مساحات لا يوجد فيها متسع لآخرين ، ومساحات يضيق فيها المجال جدا لقبول مهاجرين ، والحكومة بمقتضى تعهداتها ملزمة ان لا تسهل الهجرة اذا كانت تضر بحقوق الاهالي الآخرين ومركزهم » (٥٤).

ولكن هذا الوزير نفسه الذي يشير الى تقارير اللجان البريطانية التي اكدت انه لم يعد هناك متسع للهجرة يقول في الخطاب نفسه مناقضا نفسه :

« ان حالة العمل بين اليهود والعرب تتعرض للضرر اذا توقفت الهجرة ، وان من النتائج غير المباشرة ان ينقص دخل الحكومة في هذه الحالة ، وان يؤدي هذا الى تقليل الانفاق على الاعمال العامة والتي كان التوسع النافع فيها من خصائص بريطانيا في العشرين السنة الماضية » .

وهنا يقف مندوب شعب فلسطين ليرد على المتحدث البريطاني ويقول :

« ان المستر ماكدونالد قد اغرق في حماسته للمزايا العظيمة التي جاءت بها الهجرة اليهودية لفلسطين ، حتى جعل العرب يبدون كأنما ينقصهم الفهم او الادراك لما هو خير لهم أو ليس بخير لهم ، وقد قيل انه لولا الهجرة لما كانت لهم اليوم قدرة شرائية ، وكاد يقال لهم انه لولا الهجرة لما كان لهم أطفال » .

وتكلم السيد نوري السعيد عن العراق ، فعاد به الفكر الى مراسلات الحسين وماكماهون ، مؤكدا ان مستقبل العراق وفلسطين كان في نفس

(٥٤) المصدر السابق ٢٧٩ – ٣٠٩

المستوى في تلك المراسلات ، وذكر بالثورة العربية التي كان هو احد رجالها، والمساعدات التي قدمتها للحلفاء ضد تركيا ، ثم صاغ خاتمة بيانه في عبارات ودية وقال :

« اننا لمتأكدون من انه لا يمكن أن يسود السلم في فلسطين ويضمن دوامه في المستقبل الا باعطائها حكما ذاتيا ، انني في جميع ما قلته ارجو أن تتذكروا بأنني اتكلم كصديق حميم لبريطانيا العظمى ، واعتقد بأني الشخص الوحيد هنا الذي قام تحت قيادة الملك حسين واولاده بقيادة الجيوش في ساحة الحرب بالتعاون مع القوات البريطانية ، واني لا ارغب بأن اقول كلمة تجرح شعور أي بريطاني ، لأني أشعر بصداقة نحوهم من أعماق قلبي واذا كان ما قلته يعتبر قويا جدا فعذري في ذلك انه يجب أن أبين لكم كيف ينظر الى حقيقة سياستكم في البلاد العربية » .

وشاءت بريطانيا أن تكون صريحة مع العرب ، فأكدت أنه ليس في نيتها أن تقيم دولة عربية ولا دولة يهودية ، ولكنها عازمة على اعلان استقلال فلسطين لجميع سكانها بعد عشر سنوات ، على ان تستمر الهجرة اليهودية بمعدل خمسة وسبعين الفا للسنوات الخمس ، بحيث يكون عدد اليهود يمثل ثلث سكان فلسطين ، وبعد انقضاء السنوات الخمس ، سوف لا يسمح بالهجرة اليهودية الا بموافقة العرب واليهود والسلطات البريطانية ، وأن قيام حكومة مستقلة في فلسطين مرهون بالتطورات الدستورية والتشريعية التي تنوي بريطانيا اقامتها لصالح الجميع .

ويقف من جديد رئيس الوفد الفلسطيني ليطالب بكل وضوح مندوب بريطانيا أن تكون اقتراحاته بعيدة عن متناول الاعتراض الجدي ، ذلك أن الاقتراح بفترة الانتقال من الانتداب الى الاستقلال لم يحدد لها موعد ، وجعلت مرهونة بنجاح المراحل الدستورية والتعاون بين الحكومة وأهل فلسطين ، والعرب يقبلون فترة الانتقال مع تمسكهم بضرورة تحديد مدة لهذه الفترة ، أما عن الهجرة ، فالوفد العربي يلاحظ بكل ارتياح أن بريطانيا قد اعترفت أخيرا بأن من الواجب أن تنتهي هجرة اليهود الى فلسطين ، ولكن هذا لا يمنعه من القول بأن البلاد لم يعد فيها مكان لاستيعاب أي مهاجرين جدد .

وكرر رئيس وفد فلسطين انه كثيرا ما لوح أمام عيون العرب بالاستقلال في صور شتى في السنوات الماضية ، لكنه لم يتحقق قط ، وقد جرب العرب التصريحات السياسية التي كان مصيرها كمصير الفقاقيع ، وفي خلال العشرين السنة الماضية كانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم على صخور الخيبة .

١٠ ـ استمرار الثورة عام ١٩٣٩ :

لقد بدأ ذلك المؤتمر الذي دعت اليه بريطانيا في فبراير (شباط) ١٩٣٩ واستمر مناقشا القضية الفلسطينية بوجهين ، أحدهما قابلت به بريطانيا الوفود العربية في صباح كل يوم، والآخر قابلت به اليهود في مسائه، ولكن الثورة العربية التي أشتعلت في ابريل (نيسان) ١٩٣٦ كانت مستمرة في داخل فلسطين حتى أثناء انعقاد المؤتمر في لندن وبحوثه عن المستقبل المرتقب ، وفي الوقت الذي كان فيه تشمبرلين ووزراؤه يفتتحون المؤتمر ، كانت قواتهم العسكرية تنازل الثوار العرب وتفتش القرى وتهدم المباني وتنكل بالجموع .

ولكن تلك الثورة تخطت حدود الاستعدادات البريطانية ، وأستمرت مشتعلة قوية صادقة ، واننا لتأخذنا الحيرة ونحن نواصل الاطلاع على سجل تلك الأيام الحافلة المليئة بالامجاد العربية ، حين كانت قوى بريطانيا والصهيونية تتحطم امام جهاد شعب فلسطين ، وحين كان العرب في كل مكان يتخذون من ذلك الجهاد فخرا يرفعون به رؤوسهم .

وفي حيرة أيضا نستغرب ذلك الاستمرار العربي الثوري والبطولة والشجاعة ، ولكنها حيرة الباحث حين يجد نفسه بين عديد من الأيام المهمة التي يحفل كل منها بأحداث وأحداث ، فهو لا يستطيع نشرها جميعها ، لأن ذلك يمثل اطالة تتشابه فيها الاسماء والمواقع ، ولا يستطيع تركها لأنها صفحات عربية غاية في النصاعة والبياض لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يستطيع الجزم بأي يوم يستطيع أن يغيبه عن التسجيل .

وسواء كان النصر حليف المجاهدين في تلك الأيام أم كان استشهادهم دليل جهادهم وتضحياتهم ، فان الغاية هي اعادة الصورة المشرقة لذلك الكفاح البطولي الى اذهان العرب اليوم .

ولنبدأ الحديث عن عام ١٩٣٩ وفلسطين تلتهب ويزداد أوارها على الرغم من طغيان الانجليز وتنكيلهم بالشعب العربي في سبيل التهويد .

ولنأخذ هنا اليوم الاول من يناير لهذا العام ، لنرى كيف أستقبل الشعب العربي في فلسطين مطلع هذا الشهر دون أن يمل أو يهدأ ، ودون أن يرتبك كفاحه فيستكين . ان برقيات الاهرام الصادرة في ذلك التاريخ تفيدنا أن المجاهدين هاجموا مستعمرات رامات يوحنان الواقعة بين حيفا وشفا عمر ، كما هاجموا بيت ياقم بالقرب من يافا ، وهاجموا أيضا كفر سيديم الواقعة شمال حيفا ، ونشبت معركة مع جماعة مسلحة بالقرب من بيت أمرين ، وذكر البلاغ الرسمي أن ثلاثة من العرب قد قتلوا ، وقد طوق

الجنود البريطانيون قرية بيت أمرين (٥٥) .

وتتوالى ايام يناير (كانون الثاني) كلها لا هدوء فيها ولا تراجع ، فيشهد اليوم الثاني منه معركة مع المجاهدين عندما اقدم البوليس على تفتيش قرية زواتا ، ونشأت معركة اخرى بالقرب من بيت وزن ، وهاجم المجاهدون سيارة المفتش العام للبوليس تشارلس تيجارت فقتل مساعده ، وهاجموا ايضا سجن طولكرم حيث يعتقل عديد من رفاقهم ، فتغلبوا على حراس السجن وفتحوا ابوابه فأنطلق المعتقلون الى مواصلة الثورة (٥٦) ، واستمرت الأحداث دون توقف ، والى اليوم الثلاثين من هذا الشهر كان قد حدثت اربع وخمسون معركة اشتركت الطائرات في اثنتين منها .

وكان قرابة ثماني عشرة معركة تمثل هجوما على مستعمرات يهودية، وكان العديد منها يمثل هجوما من الثوار على الجنود البريطانيين عندما يكونون متجهين لتفتيش القرى العربية او خارجين من تفتيشها . وكان مجموع القرى التي فتشت في هذه المدة ستا وعشرين قرية ، واشعلت ثلاثة عشر حريقا ، ونسفت السكة الحديد مرتين ، واعتقلت السلطات ٩٧ عربيا ، كما قتل او جرح من الجانبين خلال هذه المدة ٢٢٠ شخصا ومنع التجول مرتين في القدس وحيفا (٥٧) في معركة بطة .

وتوفي خلال هذا الشهر الشهيد علي سليم الحسيني متأثرا بجراحه التي أصيب بها (٥٨) ، في معركة بطة واعتقلت السلطة في القدس اكثر رجال أسرة الحسيني واودعتهم السجون (٥٩) . وحكم بالاعدام على ستة من الثوار (٦٠) ، وكانوا قد أسروا في معركة بيت حايم قرب الجليل ، كما وافق القائد العام على حكم الاعدام الذي اصدر في القدس على احد المجاهدين (٦١) ، وعلى الحكم الذي صدر في حيفا على عربيين آخرين (٦٢)

(٥٥) جريدة الاهرام ١ من يناير ١٩٣٩ .
(٥٦) جريدة الاهرام عدد ٣ من يناير ١٩٣٩ .
(٥٧) هذا الاحصاء منقول عن الحوادث التي نشرتها جريدة الاهرام في برقياتها خلال يناير ١٩٣٩ .
(٥٨) جريدة الاهرام ١٠ من يناير ١٩٣٩ .
(٥٩) جريدة الاهرام ٢٢ من يناير ١٩٣٩ ، وهم نافذ ومصطفى وسالم ويعقوب واكرم الحسيني وابراهيم اسماعيل واحمد الراغب الحسيني .
(٦٠) جريدة الاهرام ١١ من يناير ١٩٣٩ .
(٦١) نفذ هذا الحكم في الشهيد علي مصطفى .
(٦٢) هو الشهيد عبدالله محمود صباح ورفيق له لم تذكر الاهرام اسمه — ٢٤ من يناير ١٩٣٩ .

وحين وصل الشهر الثاني من عام ١٩٣٩ كانت حركات المجاهدين الفلسطينيين تأخذ نفس خط سيرها الذي استمر سنين طويلة ، واثبت قدرة الشعب على النضال والصبر ، فقد اذاعت دار المندوب السامي بلاغا أعلنت فيه أن معركة شديدة حدثت بجوار المزرعة القبلية ، بعد أن انتهى الجيش البريطاني من تفتيش المزرعة الشرقية بين نابلس والقدس ، وتركزت اعمال التفتيش في البحث عن السلاح في قرى المجدل وكفر كنة وبيت درس ،

وهاجمت القوات البريطانية قرية تمرين بعد أن حاصرتها واعتقلت سبعة من المجاهدين حينما كانوا يعقدون محاكمة ثورية ، وقابل المجاهدون هذا بهجوم عنيف شنوه على المستعمرة اليهودية في مجدل الصادق وعلى مستعمرة عين شمس بجوار مدينة اللد ، وهاجموا ايضا دائرة الصحة في حيفا واستولوا على خزينتها ، واطلقوا نيران بنادقهم على السيارات اليهودية في الطرق العامة وعلى أفراد اليهود ، وأعلن رسميا أن احداث هذا الشهر كانت ١١٠ من القتلى و ١١٢ من الجرحى (٦٣) .

وتتلاحق الايام كلها خلال هذا الشهر حافلة مليئة بالاحداث ، ولا تمضي ايامه الثلاثون حتى تكون قد حدثت اثنتا عشرة معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب ، وفتشت السلطات تسعا وثلاثين قرية مع ما في تفتيش القرى من ارهاق ومظالم بريطانية معروفة ، واعلن منع التجول في ثلاث مدن على ثلاث مرات متتالية ، واشعل المجاهدون خمس حرائق في الدوائر الحكومية ومخازن الشركات اليهودية ، وانابيب بترول العراق ، واعتقل ما يتجاوز المائتين من رجال المدن والقرى .

وتم اعدام عشرة من العرب بتهمة حمل السلاح او الاشتراك في المعارك، وهاجم المجاهدون عشرة من المستعمرات اليهودية وفجرت اربع قنابل في أملاك اليهود ، وشاركت الطائرات البريطانية في بعض المعارك (٦٤) ،ولغم طريق قطار مكون من ثلاثين عربة بين حيفا واللد ، فخرجت القاطرة وتسع عربات عن الخط وحدثت اصابات عديدة (٦٥) .

ولكن حدثا تاريخيا صاحب هذا الشهر حيث انشأت بريطانيا نقطة شرطة للتفتيش ومراجعة المصلين في المسجد الأقصى الأمر الذي عطل اقامة

(٦٣) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٣٩ .
(٦٤) جريدة الاهرام ٧ من فبراير ١٩٣٩ .
(٦٥) راجع مجموعة الاهرام بدار الكتب المصرية بالقاهرة الاعداد ١ الى ٢١ من يناير ١٩٣٩ .



جنود بريطانيا في سبيل التهويد يفتشون قضبان السكك الحديدية بحثا عن ألغام المجاهدين الفلسطينيين

الشعائر الدينية شهرا كاملا في الحرم الاسلامي المقدس ، وقد رفع العلماء والمسلمون صوتهم بالاحتجاج والاستنجاد بالعالم الاسلامي .

واقتحم المجاهدون مطاحن جلاد اليهود الواقعة في ضواحي يافا ، وبعد ان اعتقلوا الحرس أضرموا النار في المطاحن فالتهمتها بكاملها . ورابطوا لليهودي العالمي المعروف الدكتور فوهسون فقتلوه على الطريق بين القدس، ويافا وجرحوا رفاقه الثلاثة ، واطلقوا النار فجرحوا مستر يونج من كبار موظفي يافا . وكان أثنان من المجاهدين قد أخذا للمستشفى بقصد العلاج

من جراحهما ، وكان احدهما قد اسر في معركة مستعمرة عين هاشوفت ، والثاني في معركة الكفرين ، وقد أعلنت السلطات انهما توفيا خلال العلاج(٦٦)
وفي اليوم الأخير من فبراير توالت الهجمات العربية للجنود والشرطة في كل من القدس ويافا وحيفا ، وأعلن رسميا أن اصابات العرب كانت ٢٥ شهيدا و ٦٠ جريحا في يوم واحد كما اعلن ان معركة كبرى حدثت في الشمال في آخر أيام فبراير ، وأن اصابات العرب كانت ثمانية عشر شهيدا (٦٧) .

ويجيب المستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية على سؤال للمستر فليدز في مجلس العموم البريطاني فيقول :

« انه من ٢٠ ديسمبر الى ٢٠ فبراير حدث ٣٤٨ اغتيالا بالرصاص و ١٤٠ حادثة تخريب و ١٩٠ حادثة خطف و ٢٣ سرقة وانفجرت تسعة الغام و ٣٢ قنبلة » .

ويقول الوزير البريطاني عامدا الى اخفاء خسائر دولته :
« ان الجنود خسروا ١٨ قتيلا و ٣٩ جريحا من الجيش والبوليس ، وان الأهالي خسروا ٨٣ قتيلا و ١٢٤ جريحا ، ولا تشمل هذه الأرقام ما أصاب الثوار (المجاهدين) من قتل وجرح بفعل رصاص الجند لأن الاحصاء غير ميسور (٦٨) » .

وجاء مارس (اذار) وكان كسابقه من شهور عام ١٩٣٩ معارك طاحنة يقودها الفيلد مارشال « وايفل » الشهير ، وينازله فيها أبطال من عرب فلسطين أحسنوا فيها المواجهة وصدقوا لها النية .

وكانت المعركة الكبرى التي نشبت بين عكا وصفد ، واشتركت الطائرات البريطانية فيها حيث وصفها البلاغ الرسمي بأنها كانت شديدة بين الطرفين ، ولم يفصح هذا البلاغ عن خسائر الجيش البريطاني ، ولكنه ذكر مقتل ثمانية عشر عربيا (٦٩) . وتلت هذه الموقعة معركة أخرى بالقرب من مستعمرة جبعات ، ومعركة ثالثة مع ثلاث سيارات مصفحة كانت عائدة من القدس الى نابلس ، وكان المجاهدون قد سدوا الطريق بالحجارة، فلما نزل الجنود البريطانيون لازالتها فاجئوهم باطلاق الرصاص من جانبي الطريق ، وذكرت الحكومة مصرع الكونوستابل البريطاني « درلنج » .

---

(٦٦) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ٢٣ و ٢٧ من فبراير ١٩٣٩ .
(٦٧) و (٦٨) و (٦٩) جريدة الاهرام عدد ١ من مارس ١٩٣٩ .

وتتلاحق هذه الأحداث طيلة الشهر دون توقف ، وكان منها خمس معارك كبرى ، واربعة وسبعون شهيدا وثمانية عشر هجوما على الاملاك اليهودية ، واعتقلت السلطات ثمانمائة وتسعة وثلاثين عربيا (٧٠) .

وخلال هذا الشهر وقع حادثان مهمان في ثورة فلسطين ، الاول ان معركة استمرت يوما كاملا ثم استؤنفت في الصباح اللاحق . وان خمس عشرة طائرة اشتركت في هذه المعركة وان احدى تلك الطائرات كان فيها الكولونيل « كريستال » واصيبت هذه الطائرة بعشر رصاصات من الثوار وجرح الطيار كوجنز ، ويفيد البلاغ الرسمي للمندوب السامي ان ٤٥ عربيا قد قتلوا في هذه المعركة المهمة كما قتل ضابط بريطاني بالجيش الاردني العربي واصيب بعض جنوده بجراح (٧١) .

استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد :

اما الحادث الثاني الذي شهدته الايام الاخيرة من هذا الشهر فهو المعركة التي نشبت قرب القرى الشمالية بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب الذين كان يقودهم المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد وقد استشهد هذا القائد خلال المعركة .

وكان القائد عبد الرحيم الحاج محمد بطلا من أبطال الجهاد العربي ، نازل البريطانيين في المنطقة الشمالية ، وانزل بهم خسائر لا تنسى ، وكان اسمه يتداول بين جموع القوات البريطانية مخيفا مرعبا ، وحين استشهد في المعركة المذكورة ، حزنت كل فلسطين لفقده وسط الثورة التي كان هو أحد أركانها ، ولم يخف شعب فلسطين حداده على القائد الشهيد ، بل رفعت المنازل الأعلام السوداء ، واقامت المساجد صلاة الغائب ، واقيمت في أغلب المنازل التعازي والمآتم . وتقول برقية رويتر « ان شعب فلسطين فوجىء بنبأ مصرع قائد الثورة المعروف عبد الرحيم الحاج محمد ، فكان لهذا النبأ رنة حزن في جميع انحاء البلاد ، واضربت مدن طولكرم ويافا ونابلس والناصرة والرملة وغزة ، كما اضربت القدس وحيفا وطبرية وصفد واللد وعكا وبيسان والخليل وبيت لحم وبئر السبع ورام الله والمجدل وسائر المدن الفلسطينية حدادا على القائد الشهيد (٧٢) » ، وفي القدس أعلن القائد العسكري لليوم الثاني للاضراب الحزين انه اذا لم ينته الاضراب فسوف يتخذ اجراء ضد المضربين .

---

(٧٠) هذا الاحصاء مجموع من اعداد جريدة الاهرام بدار الكتب العربية لشهر مارس ١٩٣٩ .

(٧١) و (٧٢) جريدة الاهرام الاعداد ١٣ و ١٨ و ٢٩ من مارس ١٩٣٩ .

شهيد يرثي شهيدا :

ويصور البطل عبد الرحيم محمود رفيق الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد لوعة المجاهدين على القائد الفقيد في قصيدة يحمل كل بيت فيها روح الاجلال ومعنى الاعزاز وكان منها قوله :

أئذا أنشدت يوفيك نشيدي ... حقك الواجب يا خير شهيد
أي لفظ يسع المعنى الذي ... منك أستوحيه يا وحي قصيدي
كملت فيك المروءات فلم ... يبق منها زائد للمستزيد
حسرتا للوطن العاني ... وللامل الفاني ويا تعس الجدود
أقفر الميدان من فرسانه ... وخلا من أهله غاب الأسود
خمدت نار لقد أضرمتها ... للعدى كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريع يا ذخر الحمى ... وغدا بعدك منقوص الحدود
لم أكن قبلك أدري ما الذي ... يرخص الدمع ويودي بالكبود
كل بيت لك فيه مأتم ... يندب الناس به أغلى فقيد

على أن هذا الشاعر البطل لم يعش بعد قائده الا ثماني سنوات حيث لحق به شهيدا في معركة الشجرة ١٩٤٨ وهو يردد ابياته المعروفة :

سأحمل روحي على راحتي ... وأرمي بها في خضم الردى
فأما حياة تسر الصديق ... وأما ممات يغيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان ... بلوغ المنايا ونيل المنى

١١ ــ العرب يحاربون اليهود والانجليز :

في عام ١٩٣٩ كان قد مضى على اليهود وهم يستعدون ويتدربون قرابة العشرين عاما ، وقد قوي ساعدهم واشتد عودهم ، وبذلك أصبح الشعب العربي في فلسطين يقاوم مواجهة اليهود المدربين الى جانب جيوش بريطانيا ، بعد أن عاش العرب تلك السنوات العشرين في ثورة مستمرة ، وارهاق دائم وتسلط حكومي مرير ، فاذا أضفنا الى ذلك استحالة الحصول على السلاح منذ أن بدات البوادر تنذر بالحرب العالمية الثانية ادركنا الملابسات التي جعلت الثورة العربية تتوقف الى حين .

وفي اوائل مايو (ايار) نشرت السلطات احصاء عن أحداث ابريل (نيسان) قالت فيه : « ان مجموع القتلى من الثوار العرب خلال هذا الشهر بلغ ٣٣ مجاهدا قتلوا أثناء المعارك وسلاحهم في أيديهم ، واعتقل أثناء تلك المعارك ١٣ جريحا وبلغت خسائر الانجليز ١٢ بين جريح وقتيل ، وان ٥٨ من المدنيين اغتيلوا بيد الثوار » .

في الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ كان العرب يحاولون أن تستمر

ثورتهم برغم أنهم أصبحوا يحاربون داخل فلسطين الضعيفة الصغيرة في جبهتين ، جبهة تجاه اليهود وجبهة تجاه الانجليز ، ولهذا نجد أنباء ذلك الشهر تفيض بالأحداث في هذا المجال . فيشهد اليوم الثاني من مايو (أيار) معركة بين الثوار العرب والجيش البريطاني بين مدينتي الناصرة وطبرية ، ويفيد البلاغ الرسمي الذي سكت عن اصابات الانجليز انه وقعت عدة اصابات بين الثوار .

وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية في المنطقة الشمالية ، كما هاجموا قرية المزرعة القبلية وقتلوا ثلاثة من المنحرفين ، وهاجموا مدينة الناصرة ودارت خلال ذلك معركة شديدة استمرت الى منتصف الليل ، وهاجموا أيضا مستعمرة المجدل قرب طبرية ، وتتقدم بريطانيا فتفرض على مدينة الناصرة غرامة خمسمائة جنيه للاشتباه في علاقة بعض سكانها بالثوار ، ولكن المجاهدين شنوا هجوما جديدا في الخامس من مايو (أيار) على نابلس كما تكرر هجومهم على المستعمرات اليهودية الشمالية ، واضرموا النار في حقول مستعمرة شعريم . وبينما كانت قوة من الشرطة الاضافية تكافح النيران أطلق عليها الثوار رصاصهم وهاجموا مستعمرة ناتانيا فأشعلوا فيها النار وصرعوا خلال تلك المعركة جنديا بريطانيا وجنديا يهوديا(٧٣) ، وهاجم المجاهدون في الثامن من مايو (أيار) دورية عسكرية كانت عائدة من قرية بني مالك واستمرت المعركة حتى غروب الشمس ، ثم هاجموا مستعمرة دير نوبل والقوا قنبلة على مكتب قائمقام صفد ، وأطلقوا الرصاص على سيارة يهودية بين الناصرة وطبرية واعدمت بريطانيا عربيين من أهالي الخليل بتهمة مقتل شرطي بريطاني(٧٤) ، والقوا ثلاث قنابل على مركز البوليس في باب الساهرة بالقدس(٧٥) .

واذا كان اليهود قد أطلقوا الرصاص على عربي يدعى الحاج سعيد من أهالي طبرية فقتلوه فان العرب قتلوا لقاءه اثنين من اليهود من رجال البوليس الاضافي في حيفا .

وشهد هذا الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ اصرارا مستمرا من بريطانيا على تفتيش القرى العربية بحثا عن السلاح ، وقد كان هذا التفتيش يأخذ أياما طويلة والقرى العربية محاصرة ، يجري الجنود

(٧٣) جريدة الاهرام اعداد ٣ و٤ و٩ مايو ١٩٣٩ .
(٧٤) هما الشهيدان الاخوان عبدالغني ومحمد عيسى فراخ .
(٧٥) جريدة الاهرام العدد ١١ من مايو ١٩٣٩ .

فيها أعمال الحفر والتنقيب والبحث ، واذا احطنا بمساحة فلسطين الصغيرة الضيقة أمكننا أن ندرك أن مهمة اخفاء السلاح كانت من أصعب المشاق في ثورة فلسطين ، وقد تمكنت قوات الانتداب فعلا من العثور على كميات مختلفة من هذه الأسلحة ، حيث أعلن في اليوم الثالث من مايو (أيار) أن أحد عشر يوما مضت على أعمال التفتيش المستمرة في قرية بيت ريما وان السلطات صادرت بها أربعين بندقية ، وأعلن في الثالث عشر من مايو (أيار) أن أعمال التفتيش ما زالت مستمرة في القرى العربية وقد صودرت مقادير من الأسلحة والذخيرة واعتقل الكثير وصادر الجنود ٢١ بندقية و ٣ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة في قرى بني مالك وعبودين ، وأصبحت كل منطقة في فلسطين تمثل ميدان حرب ، فهنا معركة وهناك ارهاب يهودي وفي منطقة اخرى فصائل من الجيش البريطاني تفتش وتبحث عن السلاح ، ثم تسوق المعتقلين الى السجون والاعدام .

١٢ ــ الارهاب اليهودي في حماية بريطانيا :

لقد بدأ اليهود ارهابهم منذ أن أذيع الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ ، وكرروا أن « ما حققته الثورة العربية يجب أن تزيله الثورة اليهودية » فوجهوا ارهابهم ضد الانجليز الذين أصدروا الكتاب وضد العرب الذين ارغمت ثورتهم الانجليز على اصداره ، وما كان اليهود في حاجة لتلك الثورة ، ولكنهم يؤكدون بها رغباتهم ويستعجلون توقيتها ، وبريطانيا التي قابلت العرب طوال انتدابها بالارهاق والمشانق ، وهدم القرى لمجرد حمل رصاصة أو اشتباه في ايواء الثوار أو مساعدتهم ، قابلت الثورة اليهودية باللين والود والمهادنة .

ونحن حين نطلع على أحداث ١٩٣٩ نرى الفرق في مجابهة بريطانيا للثورة العربية وللارهاب اليهودي ، ونرى أيضا كيف أدى احكام الطوق البريطاني على فلسطين العربية الى تناقص السلاح ثم فقدانه .

أعلن قبل نهاية مايو (أيار) أن اليهود أطلقوا النار على جمهور من العرب بالقرب من المحطة الشرقية في حيفا فأصابوا خمسة أشخاص كان اثنان منهم في حالة خطرة ، ونلاحظ الحاجة الملحة الى السلاح عندما نجد أن رد الفعل العربي لم يكن الا رجما بالحجارة للسيارات اليهودية في مكان الحادث ، وحين تكررت الأحداث يوم ٢٧ مايو (أيار) تجمع العرب في احد أحياء القدس وواصلوا رجم اليهود بالأحجار(٧٦) ومن يملك السلاح أو يستطيع الحصول عليه وسط ذلك الموقف الرهيب لا يمكن أن يعمد الى مقابلة النار بالاحجار .

(٧٦) جريدة الاهرام العددان ٢٦ و ٢٧ من مايو ١٩٣٩ .

وفي الثلاثين من مايو (أيار) فجر اليهود قنبلتين زمنيتين في دار سينما ريكس بالقدس ، فأصابوا ثلاثة عشر عربيا وثلاثة بريطانيين(٧٧) ، واصيب عدد كبير من الجمهور بأصابات مختلفة ، ووجدت قنبلة ثالثة لم تنفجر ، وتجمهر العرب أيضا ولجأوا الى ما أبقت بريطانيا لديهم من سلاح في وطنهم الذي سلحت فيه اليهود ، فكانت الحجارة يرجمون بها المعتدين ، ويدخل ثلاثون يهوديا قرية تيار عدس العربية ويقتحمون منازلها ويقتلون أربع سيدات ورجلا ويجرحون اربعة رجال وطفلا .

وتتكرر حوادث القنابل اليهودية يلقونها حيث يجتمع العرب وفي دور السينما والأسواق ، وتكررت حوادث اطلاق الرصاص يطلقونه من سياراتهم المسرعة ، وشملت قنابلهم دوائر الحكومة وصناديق البريد ، ودار الاذاعة ، وتحت السيارات التي تحوي عمالا عربا ، ولم ينزل اليهود مرة الى معركة مواجهة واستنوا لأنفسهم خطة لا تدل على الشجاعة ولا على الثبات .

وبعد نحو شهر من استفحال أذى اليهود وارهابهم ، وبعد ان شملوا بتفجيراتهم العديد من الشوارع والمدن ، وبعد ان ازهقوا العديد من الارواح ، تحركت بريطانيا فقررت عقوبة على اليهود ، ولكن تلك العقوبة لم تكن تتناسب مع الاجرام اليهودى ولم تكن الا هوانا واضحا . فقد قررت السلطة العسكرية البريطانية التي كثيرا ما نسفت الأحياء العربية في يافا وطبرية ، والتي شمل تدميرها مئات القرى العربية عقوبة على اى حادث يقع فيها أو بجوارها ، قررت هذه السلطات نسف أربعة منازل يهودية في حي العقبة اليهودي ببلدة طبرية ، عقوبة على انفجار تحت سيارة حكومية تحمل العمال العرب(٧٨) .

وعلى الرغم من أن العقوبة المعلنة لا تتكافأ مع الجرائم التي ارتكبها اليهود ، فقد نظر اليها على انها الخطوة الأولى لمجابهة عدوانهم ، ولكن لم يكد ينتصف اليوم السادس عشر حتى اعلنت السلطة انها عدلت عن نسف المنازل الأربعة اليهودية في مدينة طبرية ، وانها استعاضت عن ذلك بغرامة مالية على المدينة قدرها ٢٠٠ جنيه(٧٩) ، ويجمع أولئك الذين شهدوا الأحداث أن هذه الغرامة لم تحصل ، وتنشر الأهرام في ٢١ من يونيو ١٩٣٩ ان اليهود في طبرية رفضوا دفع تلك الغرامة .

بريطانيا تواصل التنكيل بالعرب :

أما بالنسبة للعرب فقد استمرت بريطانيا في تدميرها المرهب وحكمها

(٧٧) جريدة الاهرام العدد ٣١ من مايو ١٩٣٩ .
(٧٨) و (٧٩) جريدة الاهرام العددان ١٥ و١٦ من يونيو ١٩٣٩ .

الباطش .

حكمت محكمة القدس في الرابع من مايو (ايار) باعدام الشقيقين عبد الغني ومحمد عيسى فراخ من أهالي الخليل ، بتهمة قتل كونستابل بريطاني ، وتقدم ذووهما يطلبون من القائد العام تخفيض الحكم ، ولكن القائد العام لم يأبه للرجاء ونفذ الحكم في الشقيقين صباح التاسع من الشهر نفسه ، ثم نفذ حكم الاعدام في السابع من الشهر السادس في عربيين آخرين(٨٠) ، واعدم في الرابع والعشرين من نفس الشهر عربي آخر بتهمة الاشتراك في اعتداء مسلح .

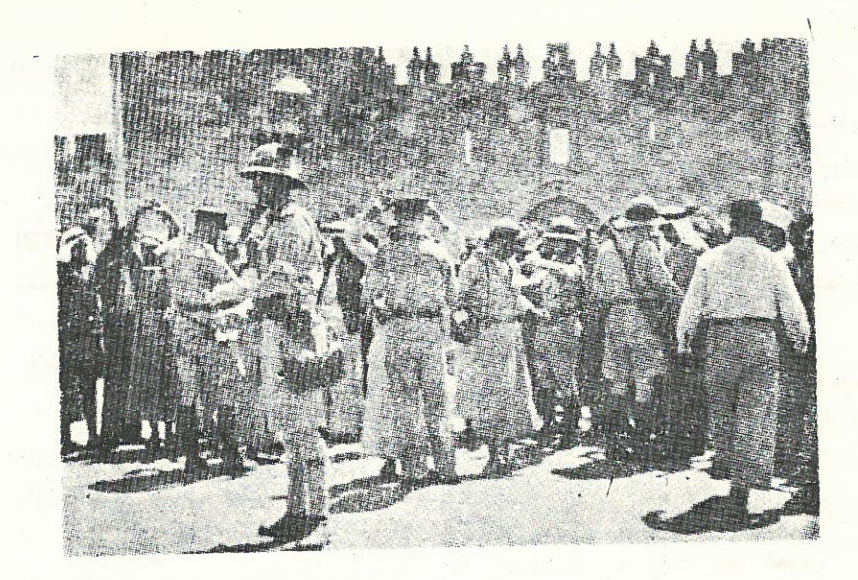
وفي ذلك اليوم نفسه الذي عدلت فيه السلطات البريطانية عن نسف المنازل الأربعة اليهودية في طبرية ، أعلن أن حكم الاعدام سوف ينفذ في اربعة من الشبان الفلسطينيين بسجن صفد(٨١) .

ويقول احد الكتاب العرب في فلسطين عن وضع فلسطين في ذلك التاريخ :

« طوقت قواتها (بريطانيا) المدن والقرى بحجة التفتيش عن السلاح وعن الاشخاص المتهمين بالاشتراك في أعمال العنف والعصيان ابان الثورة الماضية ، وانزلت بالأهلين خلال عمليات التفتيش هذه أقصى صنوف الارهاب والتعذيب وأشد انواع القهر والتنكيل ، فضربت الشيوخ والأطفال واعتدت على النساء وأجهضت الحبالى ، ونهبت الأموال ، واتلفت المؤن واحرقت المزروعات ، واقتلعت الأشجار وقتلت الماشية ، ودمرت الأثاث والمقتنيات ، ونسفت بعض البيوت والمنازل ، وصادرت ما وجدته عند الاهلين من سلاح قديم وعتاد بال .

ثم فرضت على اهل القرى تقديم كميات معينة من الأسلحة النارية والبنادق والمسدسات ، وأمهلتهم مددا قصيرة لتنفيذ ذلك والا نسفت سائر بيوتهم ودمرت قراهم ، واعتقلت جميع الذكور الراشدين منهم ، فكان العرب وبخاصة القرويين منهم يضطرون الى رهن أملاكهم أو بيع حلي نسائهم واثاث بيوتهم للحصول على المال اللازم لشراء الأسلحة من الأقطار المجاورة وتقديمها للحكومة ، وحكمت المحاكم العسكرية بالاعدام على العرب الذين قبضت عليهم وفي حيازتهم أسلحة حتى بلغ من ظلمها في هذا الصدد الحكم بالاعدام على ثلاثة شبان في قضاء طولكرم لمجرد العثور على طلقات

(٨٠) هما الشهيدان خليل ابراهيم خوري ومحمد احمد نصوح الله .
(٨١) هم الشهداء الشيخ طه عبدالحميد واحمد حسن القوصي وحسن الحريري ومحمود حسان وكلهم من مدينة صفد .



البريطانيون بفلسطين في سبيل التهويد يفتشون العرب بحثا عن السلاح .

نارية في حيازتهم ، وقد نفذت ذلك الحكم الجائر(٨٢) » .

ويعطينا شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٣٩ صورة بيانية عن حالة عرب فلسطين الذين أنهكتهم الثورة وأثقلت امكانياتهم ، والذين صمدوا في قوة لبطش الانجليز منذ احتلالهم في عام ١٩١٨ والذين استمرت ثورتهم طيلة هذه السنين معتمدين على أنفسهم ، باذلين أرواحهم مسترخصين الموت في سبيل الوطن ، ولكن هذا الجهد الانساني الكبير تبدو خسائره متلاحقة خلال يونيو (حزيران) ١٩٣٩ ، فبينما تحاصر بريطانيا القرى بحثا عن السلاح أسابيع طويلة ، يتعرض العرب لهجمات اليهود الذين أتموا استعدادهم وهم في مأمن من عقوبات الانجليز ومشانقهم ، وتنشط فيالق بريطانيا وطائراتها في محاربة الثوار العرب وافنائهم .

ونحن نتعمد هنا اثبات بعض أيام من شهر يونيو بالكلمات التي اوردتها برقيات الصحف حتى يكون هذا كشفا بيانيا .

ذكرت وكالة رويتر للأنباء أن دورية عسكرية قد اشتبكت مع فريق من الثوار في منطقة المغيرة بجوار رام الله ، وجاء في البلاغ الرسمي أنه وقعت عدة اصابات بين الثوار ، وقامت قوة عسكرية بتفتيش واسع

---

(٨٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

النطاق في بعض الأماكن في القدس ، فعثرت في بركة اسرائيل على مسدس وقنابل تركية قديمة ، وتوفي في مستشفى الحكومة في القدس المستر بنجهام، وكان قد اطلقت عليه النار في حي المصرارة في ٢ فبراير الماضي (٨٣) .

وقد روعت مدينة حيفا في ١٩ من يونيو ١٩٣٩ بحادث انفجار قنبلة كبيرة في سوق الخضر في حيفا بالقرب من المركز العام للبوليس ، حيث يجتمع عادة عدد كبير من العرب لشراء الخضر والفاكهة ، وقد أسفر هذا الانفجار عن قتل ١٨ شخصا بينهم ٩ رجال و ٦ نساء وثلاثة أطفال ، واصابة ٢٤ شخصا بجراح مختلفة ، وانفجرت قنبلتان بعد حادث القنبلة الاولى بربع ساعة احداهما في غرفة للتليفون بشارع هرتزل في حي هدار كرمل اليهودي ، والأخرى عند ملتقى الخطوط التليفونية في شارع آخر .

وعلى أثر هذه الحوادث أعلنت السلطة قانون منع التجول في جميع أنحاء حيفا لأجل غير مسمى ، وقبل الظهر ألقى شخص عربي في أحد شوارع تل أبيب القريبة من يافا قنبلة وانفجرت قنبلتان في مركز بوليس يافا ، وحاول عربي الفرار في أثناء التفتيش لقرية أم الضبع في نابلس فأطلقت عليه النار وقتل . وقد اعتقل الجنود ١٢ عربيا عقب هذا الحادث ولم تقع خسائر بين الجنود ، وتوفي في مستشفى حيفا الحكومي جريس فرحة أحد جرحى حادث القنبلة في سوق الخضر ، وقبض في يافا على عربي يحمل نشرات للتحريض ، وقبض رجال خفر السواحل على ١٢ يهوديا كانوا يحاولون اجتياز الحدود الفلسطينية اللبنانية خلسة الى فلسطين ، وقد تبين أنهم قدموا من أوربا .

أرسلت السلطة العسكرية قوة من الجنود ورجال البوليس يؤيدها سرب من الطائرات الحربية الى أحد الأديرة المشرفة على بلدة أريحا ، بعد علمها بأنه يوجد فيها ثوار واشتبكت هذه القوات مع الثوار في معركة شديدة أسفرت عن قتل ٨ من الثوار واصابة آخر وأسره ، ولم يصب أحد من الجنود ، وتوفي في المستشفى الحكومي في حيفا أحد الجرحى العرب في حادث انفجار القنبلة في سوق الخضر أمس فأصبح مجموع الضحايا العرب عشرين ، وأطلقت النار على يهودي في أحد البساتين للبرتقال بالقرب من مدينة الرملة فأصيب بجراح شديدة .

اقتحم مجهولون أحد منازل لوبيا بالقرب من طبرية وأطلقوا النار على سكانه العرب فقتلوا رجلا وجرحوا طفلا وطفلة ، وأطلقت النار على

---

(٨٣) جريدة الاهرام العدد ١٩ من يونيو ١٩٣٩ .

سيارتين كانتا مارتين في شوارع الرملة فأصيب أحد ركابها وهو يهودي بجراح ، وأطلقت النار على سيارة ركاب عربية في الطريق بين القدس وحيفا فلم يصب أحد ، حاول أحمد عبد السلام المدني الفرار من معتقل صرفند فقتله الجنود ، وعثر البوليس على جثة يهودي في أحدى مستعمرات يافا .

قام جنود عدة فرق بمحاصرة جماعة من الثوار في منطقة الرامية وعطارة وبلفا بين طولكرم وجنين وقد وقعت مصادمة بين الفريقين قتل فيها ثلاثة من الثوار وأسير ، وكان يقود الثوار في هذه المنطقة القائد حامد سليمان المرداوي فظفر به الجند عند عطاره واستشهد وهو من كبار قواد الثورة ، انفجرت قنبلة في وادي الصليب في حيفا فأصابت أربعة من العرب بجراح ، شبت النار في مستعمرة مولدة في منطقة صفد فدمرت جميع منازلها ومحلاتها التجارية وتقدر الخسارة بعدة آلاف من الجنيهات(٨٤) .

اشتبكت قوة من الجنود مع فريق من الثوار في منطقة رام الله فجرح أحد الثوار وأسر ، انفجرت قنبلة في يافا فأمر القائد العسكري باقفال جميع المطاعم والمقاهي في المدينة أربعة أيام ، توفي اليوم في مستشفى حيفا الياس كرم وهو أحد الجرحى في حادث قنبلة سوق الخضر فأصبح مجموع الضحايا العرب ٢١ قتيلا .

اشتبكت قوة من الجنود مع عصابة مسلحة في الليلة الماضية بين الناصرة وروشبينا فجرح أحد الثوار واعتقل وكان يحمل بندقية ، وقعت مصادمة أخرى بين الجنود والثوار في أحد بساتين البرتقال بالقرب من قرية رنيتا في منطقة حيفا وجاء في البلاغ الرسمي أنه وقعت عدة اصابات بين رجال العصابة ، قتل ١٥ ثائرا أثناء هجومهم على مزرعة يهودية بالقرب من بنات ايكفا .

انفجرت قنبلة في صندوق الخطابات في حي شنلر الواقع وسط الأحياء اليهودية ، وفي ساحة تكتظ عادة بالبائعات القرويات ، وقد أصيبت خمس نساء بجراح مختلفة ومنهن من حالتها خطرة ، أطلقت النار في القدس على عبد الحميد عال بالقرب من مخفر البوليس في حي ميشوريم فقتل للحال وعلى حسين عبد الهادي من أهالي حيفا فقتل أيضا ، عثر البوليس على جثة عربي في محطة سكة الحديد القريبة من اللد ، وتبين أنه من الثوار ، أطلق عربي النار أمس على يهودي في حيفا فأصابه بجراح خطيرة واعتقل

(٨٤) جريدة الاهرام اعداد ٢٠ و ٢١ و ٢٣ و ٢٤ من يونيه ١٩٣٩ .

البوليس ستة من العرب بسبب هذا الحادث ، قتلت امرأة عربية برصاص الجند في ضواحي طولكرم ، أعلن قانون منع التجول في طولكرم .

قام اليهود بحملة عنيفة ضد العرب في أماكن مختلفة في منطقة يافا وضواحي المستعمرات اليهودية والكبيرة وذلك باطلاق الرصاص على كل عربي يسير في الطرق العامة فتمكنوا من قتل ١١ عربيا وجرح ستة في أقل من ساعة (٨٥) .

وهكذا ينتهي شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٣٩ وفلسطين يعمها الاضطراب ، وتسيل الدماء العربية غزيرة من كل جانب ، وتعلن السلطات البريطانية أن عربيا من الخليل قتل في أحد الأحياء اليهودية ، ولكن السلطة تعلن أنها لم تعتقل أحداً لأنها لم تجد شهودا على الحادث ، وهذه السلطة نفسها هي التي طالما نسفت قرى العرب وأثقلتهم بالغرامات كلما انطلقت منهم رصاصة أو وقع حادث قرب ديارهم ، وما كانت في حربها لثورة العرب تنتظر شهودا ولا تحتاج في الادانة الى دليل .

وفي بحر هذا الشهر أعلن القائد العام موافقته على اعدام عربي كان قد أسر في معركة قرب أريحا(٨٦) ، وأصدرت المحكمة العسكرية حكما بالاعدام على عشرة من العرب بتهمة قتل أربعة من البوليس البريطاني ، وحكمت على خمسة آخرين بالسجن المؤبد لحملهم اسلحة ، وأصدرت محكمة حيفا العسكرية حكم الاعدام على ستة من العرب بتهمة حمل السلاح واستعماله في الهجوم على قرية شفا عمرو في سبتمبر الماضي ، وهذه السلطة نفسها هي التي أعلنت يوم ٢٢ من يوليو (تموز) ١٩٣٩ أنها حكمت على شاب يهودي بشهر سجن لأنه ضبط حاملا سلاحا ، وأدانت يهوديا آخر بقتل عربي فأصدرت عليه حكم السجن المؤبد ، بينما أطلقت السلطات سراح ١٤٠٠ لاجيء يهودي دخلوا خلسة الى فلسطين ونقلتهم الى تل أبيب(٨٧) .

وما حل الشهر الثامن حتى استحل الانجليز واستحل معهم اليهود أعمال القتل في العرب الذين قلّت أسلحتهم وكوتهم الثورة الطويلة الأليمة ، فالبوليس لا يحاول اعتقال يوسف ابراهيم أبو درش في غزة عندما قابله في الرابع عشر من أغسطس (آب) ولكنه يعالجه باطلاق الرصاص فيرديه قتيلا ، وصدّق القائد العام على حكم الاعدام في عربيين آخرين (٨٨) ،

(٨٥) جريدة الاهرام ، اعداد ٢٥ و٢٦ و٢٨ من يونيه ١٩٣٩

(٨٦) هو الشهيد محمود عمار .

(٨٧) جريدة الاهرام العدد ٢١ من يوليو ١٩٣٩ .

(٨٨) هما الشهيدان علي فخر وفايز حسن الريماوي .

ويتقدم اليهود فيهاجمون قرية عربية قرب رحابوت وينسفون أحد المنازل بالديناميت ، وهاجم فريق يهودي آخر قرية النعامة العربية ونسفوا منزلا بها ، واقتحم فريق يهودي ثالث قرية المنصورة العربية واعتدوا على عربي ، واضرموا النار في احد المنازل العربية ، وبالجهد الذي تقويه روح الفداء يلتقي المجاهدون العرب مع الجنود وأسراب الطائرات قرب طبرية ، وتنشب معركة حامية ، ويذكر البلاغ الرسمي أن ستة من العرب المجاهدين وضابطا بريطانيا قتلوا كما جرح بعض الجنود .

١٣ – توقف الثورة ابان الحرب العالمية الثانية :

توقفت تلك الثورة التي استمرت سنوات طويلة .. توقفت خلال الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية وهو سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ ولم يكن بد من توقفها ، وما كان بيد أحد من البشر يعيش الآلام التي عاشها شعب فلسطين أن تستمر ثورته بعد ذلك التاريخ .

فقد أنهكت المظالم البريطانية التي أوردناها قبل هذا الفصل قوى الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يعد هناك سكان قرية لم تفرض عليهم غرامات جماعية تحت طائل من قانون العقوبات المشتركة الذي كان يحتم فرض العقوبات والغرامات على سكان القرية او الحي مهما بلغ عددهم ومهما كان الفاعل واحدا .

وكانت القيادة مشردة ، كان المفتي الأكبر لاجئا في لبنان ، وكان يدير الحركة الوطنية من ملجئه ، وكان يجب أن تدور حركته في أضيق الحدود والا طاردته فرنسا ، وحرمت عليه البقاء هناك ، وكان عديد من زملائه ومساعديه موزعين بين لبنان وسوريا ، وكانت صلة الثوار بهذه القيادة تتم عن طريق التسرب الى البلدين العربيين اللذين يئنان تحت وطأة الانتداب الفرنسي ، ومن حدود سوريا ولبنان كان السلاح يهرب الى فلسطين ، وكان يشترى من بعض المصادر التي كانت مفيدة مهما تصورنا ضآلتها وعدم حريتها في البيع ، وادركنا ايضا ضعف القدرة المالية لدى الثورة الفلسطينية ، ولم يكن هناك سلاح غير ما يغنمه الثوار ويخطفونه من الجيش البريطاني او معسكراته . وكان قدر آخر من السلاح يرد من العراق الذي كان ساعدا مهما لتلك الأيام الخالدة ، وكان فريق آخر من رجال فلسطين قد أبعدوا الى جزيرة سيشل المعروفة ، وفيها تعودت بريطانيا ابعاد العرب الكبار ، وقد سبق أن جعلتها منفى لسعد زغلول ورفاقه من قادة مصر واحرارها ، وحين اطلق سراحهم نتيجة تمسك شعب فلسطين بالا يمثله في مؤتمر لندن الا رجالها المعتقلون بقي أغلبهم خارج البلاد بعد انفضاض هذا المؤتمر .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وبين المانيا الهتلرية من ناحية اخرى ، فقد عرب فلسطين كثيرا من التسهيلات التي كانوا يجدونها في سوريا ولبنان ، فقد كبل الشعب العربي في هذين البلدين بالحكم الفرنسي الذي اعتبر كل حركة ضد بريطانيا عملا عدائيا ضد المجهود الحربي الكبير ، وبذلك شلت الحركة الفلسطينية في لبنان وخمدت في سوريا ، واحكمت الرقابة على حدود العراق .

ولم يكن في امكان الشعب الفلسطيني ان يستمر في ثورته ، وقد احكم اغلاق الطوق عليه من جميع الجهات ، وتلقى الضربات المتتالية خلال الاعوام الطويلة ، فضعف جهده وتبعثرت قواه .

والى جانب هذا الوضع العام ، بدا له جانب من أمل ضمنه الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر في عام ١٩٣٩ والذي أعلن عزم بريطانيا النهائي على تنفيذ سياسة تستهدف استقلال فلسطين بعد عشر سنوات ، ووقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، ووضع قيود على انتقال الأراضي لليهود ، وأنه ليس في نية بريطانيا تفسير وعد بالفور بأنه خلق دولة يهودية في فلسطين ، والقى العرب سلاحهم ، بل القوا عصيهم ، فلم يعد للسلاح ذخيرة تستعمل ، واستمر السلاح البريطاني يصوب فوهاته الى صدور العرب تحت ظل من أحكام الحرب العامة وقوانينها .

تظاهرت بريطانيا بتنفيذ ما أعلنته في كتابها الأبيض ، واعلنت أنها سائرة في سياستها المعلنة ، ولن تتأثر بأي معارضة من جانب العرب أو من جانب اليهود .

واذا كان الكتاب الأبيض البريطاني قد تعهد لليهود بادخال خمسة وسبعين الفا منهم الى فلسطين ، فانه وعد للعرب بأنه لن يدخل احد من اليهود بعد ذلك الا بعد موافقة العرب انفسهم ، وقد تم ادخال العدد الذي جاء في الكتاب الأبيض في أواخر عام ١٩٤٥ ، ولكنها سرعان ما قررت استمرار الهجرة بمعدل الف وخمسمائة يهودي شهريا .

وعلى الرغم من تعهدها في كتابها الأبيض بالحد من تسرب الأراضي لليهود ، فقد استمرت في اتباع الأساليب التي تسهل لهم تملك الأراضي سواء عن طريق عمليات التسوية او بقرارات نزع الملكية بمراسيم المندوب السامي .

وقد سبق أن أوضحنا الجهود التي بذلتها بريطانيا خلال حكمها فلسطين في سبيل تسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي فيها والتنكيل بالعرب .

ولذلك أعلن تشرشل عن تأليف فرقة يهودية مسلحة بضباطها وجنودها وسلاحها وعلمها اليهودي الخاص ، وكانت تلك الفرقة اليهودية مجهزة فعلا في فلسطين لا ينقصها الا أمر ابرازها ، فمنذ امد بعيد واليهود يؤلفون جيشهم المدرب ، بداوه ببوليس المستعمرات وأمدتهم بريطانيا بصناديق الذخيرة واكوام الأسلحة وسخرت ضباطها لتدريبهم ، واستعانت بجيشها ليحميهم في مرات عديدة ، عندما كانوا يخرجون الى جوار الأراضي العربية يجرون تدريبهم وتمارينهم(٨٩) ، وخلال الحرب الثانية استمر العون البريطاني لليهود بقصد جعلهم قوة عسكرية .

ويذكر أحد الباحثين العرب ان حكومة الانتداب وضعت عددا كبيرا من اليهود في ورش الجيش البريطاني ومطاراته وثكناته وخاصة في الوظائف الرئيسية والفنية وحراسة العنابر والمستودعات وجندت الالوف من شبابهم فسلحتهم ودربتهم وأشركتهم في العمليات الحربية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج المتفجرات والذخائر وسائر الاحتياجات العسكرية مع المعونة المالية الكافية ، ودارت مشاورات عديدة بين المارشال وايفل القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط ، وهو الذي كان يقود الجيش البريطاني في فلسطين خلال ثورة ١٩٣٨/٣٧ وبين ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب ، لقد كان وايفل يعتقد ان العرب كلهم سوف يثورون ضد بريطانيا اذا الف الجيش اليهودي ، وبريطانيا في حاجة الى هدوء المنطقة العربية حيث يعسكر جيشها ، وحيث يتهددها رومل من الغرب في ليبيا ، ولذلك نصح القائد البريطاني رئيس الوزراء بعدم تأليف ذلك الفيلق اليهودي ولكن تشرشل يثبت في مذكراته ما يلي : « لقد تحديت ويفل وكتبت الى الدكتور وايزمان سامحا بتأليف ذلك الجيش ، ولم يتحرك كلب عربي واحد(٩٠) » .

وهكذا اصبح لليهود جيش رسمي عاد الى فلسطين بمجرد انتهاء الحرب بجميع أسلحته ومعداته ، بل لقد استجلبت بريطانيا الجنرال ويتجييت البريطاني خبير حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية ضد عصابات الملايو وبورما وكلفته أن يدرب منظمة (الهاجانا) اليهودية على حرب العصابات . وكانت في عام ١٩٣٩ حين قررت منع الهجرة غير الشرعية اعلنت انها سوف لا تسمح بالدخول الا لمن هم في سن بين الحادية عشر والسادسة عشرة ، وكأنها تختار من يقرب سنهم للتجنيد والحرب .

---

(٨٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٩٠) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٥٧ .

إصرار ... وعداء

« ان تصريحات فخامة رئيس الولايات المتحدة ومساعيه تحدث انزعاجا كبيرا في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، وتسيء لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة العربية أن تظل دائما بينها وبين الحكومة الامريكية » .

مذكرة الجامعة العربية للولايات المتحدة ١٩٤٦

« ان حكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية التي ترمي الى تعزيز وابراز فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين الى حيز الوجود » .

رد الرئيس ترومان على مذكرة الجامعة ١٩٤٧

« وافق مجلس الجامعة العربية على سحب مذكرة ترومان من أيدي اعضائه وان يبقى الموضوع في طي الكتمان » .

راجع ص ٢٨٤ من هذا الكتاب

« فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة . يجب علينا أن نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية » .

مؤتمر حزب العمال البريطاني ١٩٤٤

« ليس من العدل أن تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجان، وسوف تستمر الهجرة (الى فلسطين) الف وخمسمائة مهاجر يهودي سنويا » .

المندوب السامي البريطاني في فلسطين

« يجب ان يصرح في الحال بادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين وان يباح دخولهم بالسرعة الكافية خلال ١٩٤٦ » .

اللجنة البريطانية الامريكية المشتركة

هو الألف لم تعرف فلسطين ضربة ... اشد وانكى منه يوما لضارب
يهـاجر الف ثـم الف مهربا ... ويدخل الف سائحا غير آيب
والف جـواز ثـم الف وسيلـة ... لتسهيل ما يلقونه من متاعب
وفي البحـر آلاف كـأن عبابـه ... وامواجه مشحونـة بالمراكب

الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان عن الهجرة اليهودية

« طلبت من ترومان ان يقسم النقب بيننا وبين العرب علـى اساس خط عمودي ، فأمر ترومان مندوبه بأن يكون النقب كله لنا » .

وايزمان في مذكراته

« اجلت الجمعية العامة للامم المتحدة جلسة التصويت على التقسيم امس بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية انهم لا يضمنون ثلثي الأصوات » .

نيويورك تايمس ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧

« هل يـلام العرب والمسلمون اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض أسلحتها اليهود ، وانها ممالأة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام ، وكلمة اللنبي في القدس لا يزال رنينها مجلجلا في الآذان وصداها متجاوبا في الأذهان » .

البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

> يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين .
>
> **قرآن كريم**

الفصل الثامن

التطوّرات الخطيرة
أمام شعب فلسطين بعد الحرب العالميّة الثانية

١ ـ أمريكا تحتضن الصهيونية :

حين أعلن تصريح بالفور في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ كـان الرئيس « ويلسن » رئيس الولايات المتحدة الاميركية قد استشير من طرف بريطانيا واطلع على نص التصريح ووافق عليه في برقية بعثـها بأسمـه الكولونيل « هاوس » بتاريخ ١٦ (تشرين الاول) ١٩١٧ الى سير « أريك دراموند » السكرتير الخاص لوزير خارجية بريطانيا ، وقال « ويلسون » بعد ذلك في بيانه للشعب الامريكي « انا مقتنع أن امم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبها قد اتفقت انه في فلسطين سترسى أسس كومنولث يهودي » .

بل ان كاتبا يهوديا هو « لندمن » يقرر أن امريكا لم تؤيد فقط وعد بالفور ، بل ان دخولها الحرب العالمية الاولى لم يتأكد الا بعد أن اعلن وعد بالفور كثمن لمشاركتها في الحرب الكبرى، وانه ليقول « أن مستر «مالكولم» سكرتير رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » قد اقنع بعض الساسة الفرنسيين بوجوب التحالف مع الصهيونية مؤكدا أن الطريقة المثلـى بـل الوحيدة لحمل رئيس الولايات المتحدة على دخول الحرب هي الوصول الـى تفاهم مع صهيوني الولايات المتحدة (١) » .

وفي عام ١٩١٩ جاء الى فلسطين القاضي الاميركي اليهودي « لويس برنديس » وهو صديق « ولسن » الحميم ، وصرح مخاطبا القائد البريطاني « **جنرال موني** » : يجب الا تنسى ان اعمالك يلزم أن تكون مستمدة من تعهد حكومتك بانشاء وطن قومي لليهود هنا .

(١) قضية فلسطين ، ص ٤٠ .

وعاد لبريطانيا ولم تمض الا ايام حتى طرد القائد البريطاني وعديد من ضباطه بتهمة عداوة اليهود وعين محلهم من يعطف على الصهيونية وامانيها .

وفي ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٢ وقّع المستر « هاردن » رئيس الولايات المتحدة (بعد ولسن) قرار الكونجرس موافقا على تهويد فلسطين.

وفي عام ١٩٢٢ اعلن اليهود في امريكا انهم سوف يجمعون ١٨ مليون دولار لجمعيات الوطن القومي في فلسطين .

وفي عام ١٩٢٢ أعلن الكونجرس الامريكي قراره الاجماعي الذي ايد فيه وعد بالفور وتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، وحدث أثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في فبراير (شباط) ١٩٣٩ لبحث قضية فلسطين بلندن أن خشيت أمريكا ادراك بريطانيا لأخطائها التاريخية مع العرب ، فتدخلت لينتهي المؤتمر دون نتيجة حاسمة، وكان من مظاهر تأييد أمريكا أن عارض « جورج مارشال » وزير خارجية امريكا سنة ١٩٤٢ بحث مجلس الشيوخ الامريكي اقتراح الغاء الكتاب الابيض البريطاني الذي يحدد الهجرة ويعد بالاستقلال ، ثم عندما تبينت بوادر النصر للحلفاء ولم يعد للعالم العربي أثر مخيف ، كتب مارشال نفسه الى المستر « واغنر » عضو اللجنة بالكونجرس يقول « ان الاعتبارات التي حملته في السابق على تأجيل بحث اللجنة للاقتراح قد زالت الآن » .

وذلك المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد دورة استثنائية بفندق بلتمورا بنيويورك ، اتخذ قرارا بتحويل فلسطين الى دولة يهودية واجلاء العرب عنها اذا عارضوا هذا التحويل ، فاسرع الرئيس الامريكي «روزفلت» واعلن كما اعلن غيره من الامريكان تأييدهم لهذا القرار (٢) .

وتجمع مائة وواحد وثمانون عضوا بالكونجرس الامريكي ، وقدموا عريضة موقعة منهم جميعا طلبوا فيها الى الرئيس الامريكي روزفلت أن يصدر وعدا بانشاء وطن قومي في فلسطين شبيه لوعد بالفور (٣) . واثناء المعركة الانتخابية عام ١٩٤٤ تسابق المرشح الجمهوري « جون ديوي » والمرشح الديمقراطي روزفلت في تأييد القرار اليهودي لانشاء دولة يهودية في فلسطين .

ولم يكن رجال الدين الامريكيون أقل حماسة لليهود من رجال السياسة

(٢) كان ذلك في ١١ مايو ١٩٤٢،
(٣) كان ذلك في ديسمبر ١٩٤٢

فقدم خمسة الاف قسيس بروتستانتي في فبراير (شباط) ١٩٤٥ طلبا الى حكومتهم ، طالبين اباحة الهجرة اليهودية الى فلسطين دون قيد ، وكان ترومان رئيس الولايات المتحدة أسرع مستجيب لمثل هذا النداء ، فأرسل كتابا الى « اتلي » رئيس الوزارة البريطانية يطلب ادخال مائة الف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين ، وأن تفتح أبوابها دون قيد للهجرة بعد ذلك ،(٤) وفي ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥ أصدر الكونجرس الامريكي في عهد ترومان هذا قرارا ثبّت فيه تصريح بالفور وانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وحضر روزفلت الى مصر بعد انفضاض مؤتمر يالتا ببلاد القرم، وقابل الملك عبد العزيز آل سعود في فبراير (شباط) عام ١٩٤٥ وكان من اهم جدول الاعمال أن تناقش أمنية الاسر اليهودية التي حمل روزفلت رجاءاتها باقامة مستعمرات يهودية في ضواحي المدينة المنورة ، لقاء عشرات الالاف من الجنيهات الذهب ومعلوم لدينا رفض الملك عبد العزيز (٥) .

ونهض حكام الولايات الامريكية يسهمون في أذى الامة العربية ونصر الصهيونية ، فقدم ٣٨ حاكما منهم طلبا الى الرئيس « ترومان » خلال عام ١٩٤٦ يطلبون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستمرار الهجرة الى فلسطين ، حتى يقيم اليهود فيها دولة لهم ، وخلال مناقشات الامم المتحدة عام ١٩٤٧ كان الوفد الامريكي يحمل لواء الدفاع عن اليهودية وأمانيهم في فلسطين وكان من اشد المتحمسين لقرار التقسيم وخلق دولة يهودية فيها ، وفي خلال ثلاثة ايام من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ووسط مناقشات الامم المتحدة ، نجح الضغط الامريكي في تغيير آراء تسعة من الدول التي كانت معارضة أو ممتنعة عن تأييد التقسيم الى الموافقة عليه ، ولم يعد هذا سرا بعد أن اعترفت الصحافة العالمية وشهد به « روزفلت » (٦) .

ومن هذا العرض السريع يتضح أن سياسة الولايات المتحدة كانت في جميع مظاهرها وخططها سياسة تعمل على طرد العرب من فلسطين واحلال اليهود فيها ، ويرى البعض أن هذا الهدف الامريكي بدأ قبل تصريح بالفور بزمن بعيد ، فقد أفصحت أمريكا بلسان كبار موظفيها منذ القرن التاسع عشر عن هذا اللقاء الذي تم بين الصهيونية وبين الصليبية الاستعمارية لتحطيم الخلافة ، وليس وعد بالفور الا عنوانا لهذه الخطة المرسومة ، ففي

(٤) كان ذلك في ٣١ ديسمبر ١٩٤٢
(٥) وثائق الحرب العالمية الثانية التي نشرتها امريكا عام ١٩٦٥
(٦) MIDDLE EAST JOURNAL JANUARY 1948 P. 138.

عام ١٨١٨ كان مستر « نوح » قنصل أمريكا السابق في تونس يخطب في حفل افتتاح أحد معابد اليهود بنيويورك ويقول :

ان القضاء على السيطرة التركية في أوروبا سيترتب عليه تحرير اليهود وسيكون في استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم هالات النصر ، وبذلك يظهرون مكانتهم بين دول العالم(٧) .

وتدل أحداث التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر على انه ما من رئيس للولايات المتحدة الا أحاط به اليهود عن يمين وشمال ، وليس أدل على ذلك من أن « ولسن » صاحب مبدأ حقوق الانسان خلال عام ١٩١٧ كان أول المتنكرين لهذه الحقوق حين تعارضت مصالح اليهود مع حقوق العرب في فلسطين ، وكان مستشاره الذي يخضع لرايه ولا يخالفه هو اليهودي العالمي القاضي « لويس برانديس » ، كما كان « روزفلت » يهتم كثيرا بآراء مستشاره « أرنيست مدريس » وكان يهوديا .

وحين جاء « ترومان » الى كرسي الرياسة في الولايات المتحدة كانت الحلقة حوله تتكون من شخصيات صهيونية بارزة كان شغلها الشاغل انشاء دولة اسرائيل في فلسطين العربية (٨) ، وكانت تصريحات « ترومان » الفياضة بالعطف على الاماني الصهيونية تملأ الصحف والنشرات ، وتحتل الاسماع والاذهان ، وحين تحرك مجلس الجامعة العربية فبعث في ٤ من ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٤٦ بمذكرته التالية ليلفت نظر الولايات المتحدة الامريكية لموقفها غير الودي مع العرب صفعه ترومان صفعة قوية تحسس العرب بها خدودهم ، ثم واروا آثارها عن عيون المشاهدين ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يرفع صوته احتجاجا أو يدفع عن نفسه أذى الامريكان ، وقد جاءت مذكرة الجامعة العربية في أسلوب هادىء رزين ، وهذا هو نصها :

« يهدي الامين العام لجامعة الدول العربية أزكى تحياته الى حضرة صاحب السعادة سفير الولايات المتحدة الامريكية ، ويتشرف بأن يبلغه ما يأتي باسم الجامعة ، وبناء على قرار صدر عن مجلسها بالاجماع في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ مع رجاء التفضل بابلاغه الى سعادة وزير الخارجية في واشنطن :

لقد انتهز مجلس الجامعة فرصة اجتماعه في دورته الحاضرة وتداول

(٧) صلاح دسوقي ، امريكا مستعمرة صهيونية ، ص ٢٠

(٨) وهم بارنارد باروخ ، دافيد نايلز ، ادوارد جاكسون ، سام روزلمان ، سلفر ، روبرت ناثان ، هربرت سواب .

فيما بدا خلال الشهور المنصرمة من تدخل أمريكا في شؤون فلسطين ، وما يحدثه ما يصدر عن فخامة رئيس جمهورية الولايات المتحدة من تصرفات ، وما يبذله لدى الحكومة البريطانية من مساع ، وقرر لفت نظر حكومة الولايات المتحدة الى ما تحدث هذه التصريحات والمساعي من انزعاج كبير في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، والى ما يترتب عليها من اساءة لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة ان تظل دائما بينها وبين الحكومة الامريكية .

كذلك تناول المجلس موضوع ما يبذل في مناطق الاحتلال الامريكي في اوروبا من تشجيع وتسهيل للهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وهو يرجو أن تعمل حكومة الجمهورية على وضع حد لهذه التصرفات ، التي لا يمكن ان تفسر الا بالتحيز لأحد طرفي النزاع في القضية القائمة بين العرب واليهود ، والتي لا تزال موضع البحث والدرس أملا في الوصول الى حل يزيل ما تراكم في النفوس كنتيجة للموقف الحالي البالغ الصعوبة ويوطد أركان السلام — وهو ما تنشده جميع الأمم — الذي تحمل علم زعامته الحكومة الامريكية في كل ما تناصره من مبادىء سامية (٩) » .

على أن هذه المذكرة التي تحوى من عبارات الزلفى والملق لامريكا أكثر مما تتضمنه من عزم العرب على الوقوف تجاه من يحارب حقهم ، لم تلق من ترومان الا ردا ينم عن روح الاستخفاف بحقوق عرب فلسطين ،والاصرار على دعم المطالب الصهيونية ، وقد جاء في رده :

« لقد طلبت الى حكومتي أن أعرب عن بالغ ارتياحها لروابط الصداقة المتينة التي تربط الولايات المتحدة بجميع الدول العربية ، وعن أملها في أن تزداد الصداقة توثقا ، ولقد احيطت حكومتي علما بتقرير المجلس ، أن اهتمام حكومة الولايات المتحدة بقضية فلسطين والتصريحات الاخيرة التي ادلى بها رئيس الولايات المتحدة بخصوص فلسطين قد سببت قلقا شديدا في سائر الدول العربية والعالم الاسلامي ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الاولى عاضدت الولايات المتحدة حكومة وشعبا فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، واذن فحكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير التي ترمي الى تعزيز وابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود » .

الى أن يقول ذلك الرد الاميركي :«ان كثيرا من اليهود المشردين يتطلعون

(٩) نقولا الدر : هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٣ مطابع دار الحوادث ، ص ٢١٤ وانظر ايضا جريدة الاهرام العدد الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٤٩ .

الى فلسطين كملجأ ، وانه ليبدو مخالفا للمبادىء الانسانية لجميع الشعوب انكار حق الباقين الان في مراكز المشردين في أوربا في البحث عن مأوى لهم في بلاد اخرى ومنها فلسطين » .

ويروي باحث عربي بعد أن نقل هذا الرد كاملا عن جريدة الاهرام ما أوردته الجريدة المذكورة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٩ من ان مجلس الجامعة عندما استعرض أمر هذه المذكرة القاسية تلقى اقتراحا من السيد هنري فرعون ممثل حكومة لبنان ان يبقى الموضوع في طي الكتمان ، وطلب دولة السيد رياض الصلح سحب مذكرة الجامعة من أيدي الاعضاء ، فوافق المجلس على ذلك (١٠) .

وهكذا جاء رد أمريكا على العرب يمثل صفعة ساخرة قوية ، وكل ما يبذله أثنان من كبار رجالهم هو أن اقترحا اخفاء الموضوع وتناسيه بل سحبه من أيدي الاعضاء وكأنه لم يكن .

وأمريكا التي تطالب بفتح أبواب فلسطين للمهاجرين اليهود تقفل أبوابها في وجههم ، وقد ثبت أنه بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٩ دخل فلسطين ٢١٨٠٠٠ مهاجر ، بينما لم يدخل الولايات المتحدة والبرازيل واستراليا والارجنتين كلها سوى ٢٠٧،٠٠٠ في حين أن مساحات هذه الاقطار أكبر من مساحة فلسطين بمئات المرات (١١) .

ولعل قصة هذه المذكرة العربية ، ورد أمريكا عليها تقرب الى أذهاننا صورة الموقف عام ١٩٤٧ سواء بالنسبة لموقف العرب مع شعب فلسطين العربي ، أو بالنسبة لموقف القوى العالمية منه ، ذلك ان موقف العرب كان موقفا متخاذلا ضعيفا واهنا يود لفلسطين الخير ، ولكنه لا يملك تقديمه ، ويخشى الدول الكبرى ويتملقها ويحاول أن يخادع ويرضى ان يخدع ، وبذلك فشعب فلسطين حتى ذلك العام ومنذ عام ١٩١٨ كان وحده في الميدان تجاه الصهيونية والصليبية ، اما موقف القوى العالمية فيتمثل في هذا المظهر الصهيوني الامريكي وما يلحق به من مواقف الدول الاخرى التي تسابقت تأييدا له وسيرا معه ، ويتمثل أيضا في المراوغة البريطانية التي استمرت طوال انتدابها ثلاثين عاما تخادع العرب باللجان والمؤتمرات ، وتسلط كل قواتها لقهر الشعب العربي في فلسطين ، ثم لجأت الى اشراك أمريكا رسميا في بحث القضية الفلسطينية وهي بذلك انما تسرع الخطى

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦

(١١) تقرير اللجنة الدولية عن فلسطين ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

نحو الهدف الاكبر في طمس عروبة فلسطين ثم تهويدها .

٢ ـ انجلترا تصر على تهويد فلسطين :

كان رأي الانجليز منذ دخولهم فلسطين هو أن يجعلوها وطنا قوميا لليهود ، وذلك بترقية أوضاع اليهود في أركانها الثلاثة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد نفذوا طوال انتدابهم هذه البرامج بما في مفهومها من محاربة العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ولقد كان واضحا أن العرب خسروا من الانتداب البريطاني ما لم يخسره أي شعب آخر ، فقد كان لهذا الشعب ممثلوه في البرلمان العثماني يرفعون صوته ويقدمون رأيه ، ويدافعون عنه ، وأصبح مع الانتداب شعبا مهاجما في داره ، فرضت عليه الدولة المحتلة جنسا غريبا غنيا متلهفا لاثبات وجوده ، وأفنى الشعب الفلسطيني عشرات السنين يرفع عقيرته بالاحتجاج ، ويقدم أرواحه في الثورات ، دون أن يهتم به سادة بريطانيا أو يغيروا من سياستهم .

وكان الشعب الفلسطيني لا يدفع الا القليل من الضرائب زمن الحكم العثماني فأثقلته بريطانيا بالضرائب تفرضها على الأملاك والبناء والأرض والايراد والحيوان ، حتى بلغت ٣٣٪ ولم تكن تصرف حصيلتها لصالح الشعب العربي ، بل يذهب أغلبها لصالح المستعمرات اليهودية التي تمد لها الطرق ، وتوصل بمحطات السكك الحديدية ، وتساعد للنمو في جميع احتياجات الحياة .

وكان الشعب الفلسطيني يمثل جزءا من بلاد الشام ، له تجارته وحاصلاته ، مستورا قليل الفقراء ، وجاء الانتداب البريطاني وبمكر خطير سن له القوانين التي سهلت اغتصاب أراضيه ، وأصدر اللوائح التي منعت تصدير حاصلاته ، حتى وقع تحت طائلة الرهون والديون وحجز على الأرض وانتشر فيه الفقر والعوز .

وكان في فلسطين بنك عقاري للدولة العثمانية يسهل القرض ، ويراعي حالة المزارعين ، فأغلقت أبوابه ، وحجز على المزارعين دون اتاحة فرصة للسداد ، وتكالبت البنوك اليهودية تنتشر بقدرتها المالية ، فأثقل كاهل العربي بالفوائد والديون والضرائب وانخفاض أسعار حاصلاته وتكدس انتاجه ، واضطر لشراء احتياجاته من الصناعات اليهودية المحمية بقوانين المندوب السامي .

وما كادت تصل سنة ١٩٣٩ حتى بدا للعيان أن بريطانيا قد أوفت

بعهدها لليهود على حساب العرب .

وحين نشرت بريطانيا كتابها الأبيض ظن البعض انها بدات تغير موقفها ، وانها وان لم تطلب من اليهود الدخلاء مغادرة فلسطين ، فانها سوف توقف الهجرة في الموعد المحدد ولن تسمح بقيام دولة يهودية ، وسوف تنفذ وعدها باستقلال فلسطين بجميع سكانها ، وأن العرب سوف يكونون فيها أصحاب أغلبية تساوي الثلثين ، ولكن هذا الخيال كان سرابا خادعا ، فاستمرت الهجرة بعد ذلك دون توقف ، وتعاقبت بواخر المهاجرين المهربين ، وسمح للعديد منها بالرسو والانزال .

ومهما تخالفت الأحزاب البريطانية في سياستها الداخلية أو في موقفها من بعض مشكلات السياسة الخارجية ، فان الحزبين الرئيسيين فيها كانا يتفقان دائما على مساندة اليهودية العالمية ، وقد مرت بنا امثلة من تأييد حزب المحافظين للصهيونية ، واما حزب العمال فقد صدر عن مؤتمر هيئته البرلمانية عدة قرارات في سنوات متعاقبة تضمنت تأييدا سافرا لليهود في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، بدعوى ان انشاء هذا الوطن المرتجى يؤدي الى القضاء على آلام اليهود وضمان بقائهم ونموهم الحر ، وطالبت هذه القرارات بدعم نمو الوطن القومي اليهودي نموا مطردا عن طريق المساعدات الدولية تبذل لتهجير اليهود وتوطينهم في فلسطين ، كما طالبت هذه القرارات الحكومة البريطانية بالوفاء بالتزاماتها ، في ضوء تصريح بالفور وصك الانتداب ومنح الوكالة اليهودية مزيدا من السلطات .

وبات حزب العمال يطلق على هذه المطالب التي يرددها في اجتماعات هيئته البرلمانية اسم « السياسة التقليدية لحزب العمال » .

وسنمر مرورا سريعا على بعض هذه القرارات تدليلا على ايغال حزب العمال في هذه السياسة التقليدية ، ففي سنة ١٩٣٩ اصدرت الهيئة البرلمانية للمؤتمر في « ساورثبورت » القرار التالي : « ان مؤتمر الهيئة البرلمانية لحزب العمال يؤكد ثانية التأييد التقليدي الذي توليه حركة العمال البريطانيين من أجل اعادة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، ويعترف بأن فوائد جلى للجماهير العربية قد نجمت عن الهجرة والاستيطان اليهوديين ، ان هذا المؤتمر لمقتنع بتوافر امكانية التعاون السلمي المستمر بين الشعبين العربي واليهودي في فلسطين في ظل الانتداب وسياسة وعد بالفور » .

ومضى حزب العمال على سياسة الصهيونية فأصدر في عام ١٩٤٠ القرار التالي :

« ان مؤتمر حزب العمال يعلن أنه لازالة السبب الأساسي لآلام اليهود ، ولضمان بقائهم ونموهم الحر ، يجب أن يدعم النمو المطرد للوطن القومي اليهودي في فلسطين بالهجرة والاستيطان بمساعدة دولية ، ويجب ان يسمح للشعب اليهودي أن يستغل الى الحد الأقصى مقدرة القطر الاقتصادي ولاستيعاب المهاجرين ، والمؤتمر بتأكيده ثانية تأييده التقليدي لانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين فانه يشدد على الالتزامات الخاصة المفروضة على بريطانيا بموجب تصريح بالفور والانتداب ، ويكرر ايمانه بأن هذه السياسة تهيىء الأسس للتعاون السلمي المستمر بين العرب واليهود في فلسطين ، ويصرح المؤتمر بوجوب تمثيل الشعب اليهودي تمثيلا كافيا عندما يبحث مؤتمر الصلح المسائل التي تؤثر عليهم » .

وعندما انعقد مؤتمر حزب العمال في لندن عام ١٩٤٣ أعلن :

« ان مؤتمر حزب العمال يعبر من جديد عن الفزع والسخط اللذين ينظر بهما العالم الى حملة هتلر الوحشية في افناء يهود أوربا ، ويصرح بأن عملية الانقاذ يجب أن تكون على مقياس يتناسب مع هذا الجرم الفريد ، ويؤكد المؤتمر من جديد سياسة حزب العمال التقليدية التي تحبذ بناء فلسطين كوطن قومي لليهود ، ويطلب ان تعطي الوكالة اليهودية السلطة لأن تستغل لأقصى حد مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب المهاجرين وأن تستثمر القطر بما في ذلك الاراضي الخالية وغير المستغلة » .

فليطرد العرب :

وتستمر روح بريطانيا متمثلة في حزبيها الكبيرين تسير مع التهويد خطوة خطوة ، ويوما بعد يوم ، حتى اذا قاربت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء تتبدل لهجة حزب العمال في بياناته ، فهو لم يعد يطلب لليهود ذلك الوطن القومي الغامض المعنى ، ولا يكتفي بالهجرة والاستيطان ، لقد أوشكت الحرب على الانتهاء ، ولم تعد تهدئة العرب تشغل أحدا منهم ، فأفصح عن الهدف الأعلى ، وطالب باجلاء العرب عن فلسطين في قراره الخطير الذي اصدره في لندن عام ١٩٤٤ :

« ها نحن وقفنا في مفترق الطرق حائرين بين السياسات المتناقضة ، ولكن الشيء الأكيد هو انه لا أمل ولا معنى لـ (وطن قومي لليهود) ما لم نكن على استعداد للسماح لليهود (ان هم رغبوا) في دخول هذه البلاد الصغيرة (فلسطين) بأعداد كبيرة لكي يصبحوا اكثرية ... لقد كانت هناك قضية قوية لهذه الغاية قبل الحرب ، وتوجد اليوم قضية لا تقاوم

بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لخطة النازي المرسومة عمدا لقتل جميع يهود أوربا ، ويوجد هنا في فلسطين بالتأكيد قضية تقوم على اعتبارات انسانية لانجاح استيطان ثابت ونقل السكان، فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم فيجب الا يطالبوا باخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتي تقل عن مساحة ويلز ، وبالحقيقة يجب علينا ان نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن » .

٣ ـ انجلترا تشرك امريكا لتنفيذ التهويد :

تولى حزب العمال الحكم في بريطانيا خلال عام ١٩٤٥ ، وتوالت الاتصالات بينه وبين ترومان رئيس الولايات المتحدة ، فسلكت بريطانيا خطوتين نحو النكبة ، كانت الخطوة الأولى اشراك أمريكا اشراكا رسميا في بحث القضية ، على حين كانت الخطوة الثانية ايفاد لجنة مشتركة منهما لتضع تقريرا يطابق سياستهما .

أعلن المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية انه بالتفاهم مع امريكا سوف تؤلف لجنة بريطانية أمريكية تكون مهمتها :

١ ـ بحث أحوال فلسطين العامة بالنسبة لتأثرها بهجرة اليهود .

٢ ـ بحث حالة اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد في أوربا ، واحصاء من يود منهم النزوح الى فلسطين أو غيرها .

٣ ـ تقديم التواصي لبريطانيا وامريكا لايجاد حل لقضية فلسطين .

وأعلن أيضا وزير الخارجية البريطانية ان الهجرة اليهودية سوف تستمر الى أن يرفع تقرير هذه اللجنة ، وهكذا مزق المستر بيفن الكتاب الأبيض ، وهدم ما كان قد حدده ذلك الكتاب بل زاد تعقيد القضية بادخال أمريكا طرفا فيها .

وفوجىء العرب بهذا التطور ، فان هذا الموقف الجديد يضيف رسميا الى صف الصهيونية أمريكا كطرف ونصير جديد ، وأمريكا ليست صاحبة الانتداب في فلسطين حتى تبحث قضيتها ، وليست شريكة في ذلك الانتداب ، ولم يطلب منها سكان فلسطين ان تكون طرفا في النزاع ، وكل علاقتها بفلسطين هو عطفها وتأييدها للأماني الصهيونية .

ونشرت الهيئة العربية بيانا بعد انفضاض مؤتمرها ، نددت فيه بنقيض بريطانيا لسياستها التي وضعتها بمحض اختيارها في كتابها الأبيض

لعام ١٩٣٩ وقالت :

« أن العرب يعارضون بكل قواهم دخول مهاجر يهودي واحد الى فلسطين ، ان فلسطين ملت سياسة ايفاد لجان التحقيق ، وهم يعتبرون قضية فلسطين قضية بينهم وبين بريطانيا ، ولا يعترفون لأي فريق بالتدخل ، ولا يقرون لأي شعب آخر أو دولة أخرى بحق تقرير مصير بلادهم ، ولذلك فهم يستغربون اشراك بريطانيا للولايات المتحدة في هذه القضية ، وأن العرب اذ يرفضون بيان مستر بيفن يعلنون تمسكهم بمطالبهم القومية والانسانية » .

ولكن هذا الاعتراض العربي لم يجد أذنا صاغية في لندن ولا في واشنطون ، أما لندن فقد كان مندوبها السامي في فلسطين يصدر قبل وصول اللجنة المشتركة بيانا عجيبا لا مثيل له في تاريخ المنطق المعوج :

« ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجنة، وسوف تستمر الهجرة بالمعدل المقترح ، وهو الف وخمسمائة مهاجر سنويا » .

وأما في واشنطون ، فقد اتخذ مجلس الشيوخ والنواب قرارا اجماعيا يطالب فيه حكومته بالتوسط لدى الدولة المنتدبة لفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود ، وقيام دولة يهودية ديمقراطية .

وكان التصريح البريطاني الذي أصدره المندوب السامي ، وكذلك القرار الأمريكي كلاهما يمثل ايحاء الى اللجنة البريطانية الأمريكية المكونة من اثني عشر عضوا عرف معظمهم بميولهم الصهيونية ، وكأن لندن وواشنطن انما بعثتا بمندوبيهما ليقولا أن الهجرة يجب أن تستمر ، أن فلسطين يجب أن تشهد دولة يهودية ، وكان قرارا متخذا قبل التحقيق والاستقصاء .

وجاءت اللجنة المشتركة ، واستمعت لآراء عشرات من الأشخاص والزعماء والحكومات ، وتفرعت الى لجان ، جال بعضها في الأقطار العربية وأوربا ، واحاطت هذه اللجان بآراء الفنيين والمؤرخين والسياسيين ، وكلها تفيد ان فلسطين لا تحل المشكلة اليهودية وأن العرب أصحاب هذه الأرض من آلاف السنين ، وأن خلق دولة يهودية أو وطن يهودي يسعى لأكثرية يهودية هو عمل من شأنه خلق اضطراب مستمر في المنطقة ، وهو استهانة بالسلام في هذه المنطقة المهمة من العالم ، ولكن كل ما استمعت له اللجنة المشتركة لم يغير شيئا من روح الصهيونية والصليبية الاستعمارية

لدى أعضائها .

وجاء تقرير اللجنة المشتركة مطابقا للسياسة البريطانية والأمريكية التي عملت دائما على مساندة الصهيونية ، وهذا جزء من ذلك التقرير :

« يجب أن يصرح في الحال بادخال مائة الف يهودي الى فلسطين ، ممن كانوا ضحايا للاضطهاد النازي والفاشي ، وأن تمنح أذونات الدخول بالسرعة الكافية خلال عام ١٩٤٦ ، وأن تطلق حرية التصرف بالأراضي ، بغض النظر عن العنصر والطائفة أو المذهب ، وأن تضمن حماية صغار الملاك والمزارعين والمستأجرين حماية وافية ، وأن يكون واضحا أن فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأن الدستور يجب أن لا يجعل الكلمة العليا للكثرة العددية اذا أريد اقامة حكم حقيقي لكلا الشعبين ، والى أن يرجع الى الأمم المتحدة توصي اللجنة أن تتولى الدولة المنتدبة ادارة فلسطين وفق صك الانتداب الذي يضمن تسهيل الهجرة اليهودية » .

ويصف مؤلف عربي توصيات تلك اللجنة فيقول :

« ان تواصي هذه اللجنة ترديد لما أبداه مستر ترومان من رغبات ، وان الرقم الذي اقترحه وهو مائة الف بالذات دل على أنها جاءت لاقرار سياسة مرسومة معلومة ، وهي تحقق للصهيونية من الأماني ، ما لم يكن الصهيونيون يحلمون بتحقيقه في مثل هذه السرعة . وهذه التواصي لا ارتباط بينها مطلقا وبين ما ذكرته اللجنة من حقائق وما وقفت عليه من معلومات ، وهي تنم عن تجاهل تام لقوة القومية العربية وحقها في الحياة ، وتنكُّر لمصلحة دولة عربية ، وتوصي اللجنة بألا تكون فلسطين عربية ، ولا دولة يهودية ، والا يقوم أي نظام دستوري يعطي الأغلبية سلطة الحكم ، ومعنى هذا أنها تساوي ظلما في الحق والمركز بين أصحاب البلاد واكثرية سكانها ، وبين اقلية طارئة ، وهي في سبيل الأقلية اليهودية الدخيلة تنسف كل ما تعارف عليه البشر، وقامت عليه حقوق الدول ودساتيرها . على أن افكار لجنة التحقيق لحق عرب فلسطين في الاستقلال من أجل خاطر الأقلية اليهودية يناقض نص الفقرة الرابعة من المادة ٢١ من ميثاق عصبة الأمم ، التي تعترف برشد البلاد العربية وجدارتها بالاستقلال ، كما انه يناقض ميثاق الأمم باعتبارها وثيقة دولية واجبة الرعاية(١٢) » .

(١٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢٢٣ .

٤ ـ تمييع قضية فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمر لندن :

كان العالم العربي يفور غضبا كصدى طبيعي لتوصيات لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية ، وكان الوطنيون يطلبون أن تكون مواقف الدول العربية من الحزم والشدة ، بدرجة توقف الانجليز والأمريكان عند حدهم ، وتنادى ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع شهدته بلدة « انشاص » في مصر(١٣) وضم ملك مصر وأمير شرق الأردن ورئيسي جمهوريتي سوريا ولبنان وأميرين من السعودية واليمن والوصي على عرش العراق(١٤) .

وقرر المجتمعون التمسك بالاستقلال لفلسطين وعروبتها ، وتأليف هيئة تمثل الفلسطينيين وترفع صوتهم عاليا ، ولحق بمؤتمر الملوك والرؤساء مؤتمر الجامعة العربية الذي انعقد استثنائيا في بلودان بسوريا خلال يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، وبدا المظهر وطنيا ، وكوّن المجلس لجنة خارجية ولجنة داخلية ، وانيط باللجنة الخارجية وضع رد باسم الجامعة العربية على مقترحات لجنة التحقيق المشتركة ، اما الداخلية فقد قررت تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا ، تخصص لها الجامعة العربية مليون جنيه سنويا ، وتواصل أعمالها لصالح القضية ، وقررت تلك اللجنة انشاء لجنة مركزية داخلية تكون تابعة للهيئة العليا ، وتمدها الجامعة بمليون جنيه أخرى سنويا للعمل على انقاذ الأراضي .

ولكن هذه القرارات على ما فيها من مظهر الجدية ، لم تكن عملية بالنسبة لفلسطين ، ذلك أن المبلغ المحدد لا يعني شيئا بالنسبة لأهمية القضية وخطورتها ، وماذا عساه أن يكون مبلغ المليون جنيه الموعود للهيئة العربية ، والقضية تحتاج لجهد عالمي يستطيع أن ينافس ملايين اليهود في المجتمعات العالمية وفي دور الصحف وأجهزة الاعلام في العالم . وماذا يستطيع أن يفعل المليون الآخر لانقاذ أراضي فلسطين ، وأمام هذا المليون من الجنيهات العربية اعداد هائلة من ملايين جمعية الأراضي اليهودية .

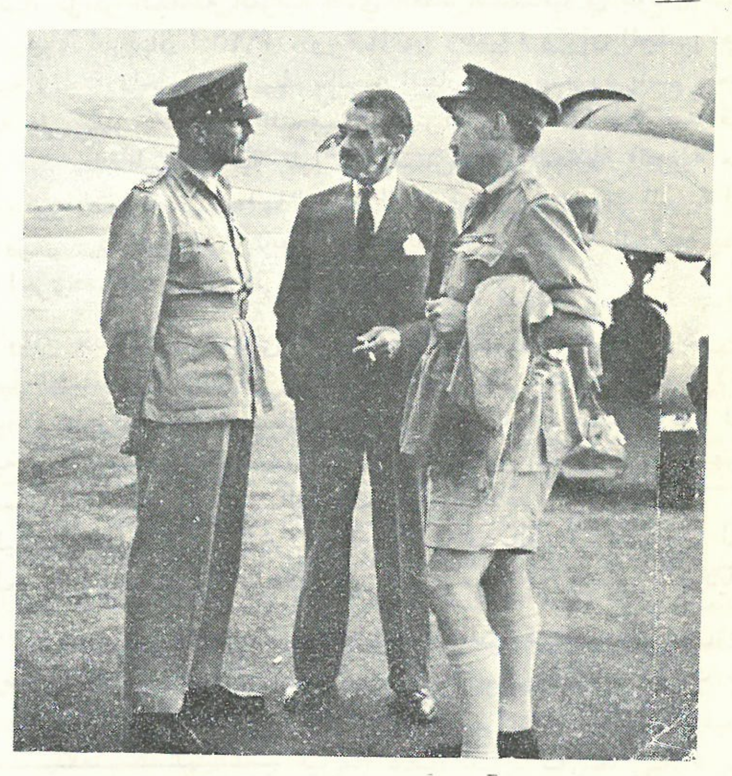
ولكن على الرغم من ضآلة هذا الجهد الذي قررته سبع دول عربية تزيد مجموعات ميزانيتها عن الفي مليون جنيه سنويا في ذلك الوقت ، فان هذين القرارين لم ينفذا بل لم يقرا .

(١٣) كان ذلك في ٢٨ من مايو ١٩٤٦ .

(١٤) KIMCHE JON; SEVEN FALLEN PILLARS, THE MIDDLE EAST, 1915-1950. LONDON 1950 P.P. 54-60.

الاجتماع العربي في بلودان :

ان فكرة عقد اجتماع استثنائي للجامعة العربية في بلودان ، وعلى بعد ستين ميلا من دمشق ، لا يمكن أن يكون المقصود بها الا اختيار مكان بعيد عن الرقباء ولاقطي الأخبار ، وأجهزة المخابرات الأجنبية ، حتى يستطيع العرب أن يبحثوا ويحصوا دراسة أخطر قضية تواجههم وتهددهم ، ولكن أولئك العرب الذين اجتمعوا في بلودان عام ١٩٤٦ لم يكن أغلبهم يملك نفسه ، ولا يعترف لها باستقلاله ، فقد لحق بالمجتمعين الجنرال كلايتون رئيس مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، ورافقه المستر برايانس المدير المساعد للمخابرات البريطانية في فلسطين وهو المختص بالشئون العربية فيها ، ولم يجرؤ عربي واحد أن يستغرب وجود هذين الانجليزيين الخطرين ، بل ولم يستطع العديد من أولئك المجتمعين أن يبعد من لقائهما والتحدث اليهما .



البريجادير كلايتون ممسكا معطفه بمطار بيروت
في طريقه الى بلودان حيث يجتمع العرب

وسرعان مـا أصبح الفندق الصغير الذي يسكنه كلايتون في بلودان مقصدا للمؤتمرين من رجالات العرب ، ثم سرعان ما تفتحت أبواب فندق بلودان الكبير أمام كلايتون نفسه ، وأصبح وسط قاعاته محط الأنظار .. والأسرار(١٥) . ومنذ أن دخل كلايتون بهو فندق بلودان الكبير ، جاءت قرارات الجامعة على وفاق لا خلاف فيه مع ما قررته بريطانيا قبلا ، واعلنه بيفن وزير خارجيتها .

وبهذه الروح الكليتونية قرر مجلس الجامعة العربية مفاوضة الحكومة البريطانية (وزارة العمال التي قرر مؤتمرهم قبل شهور وجوب اخراج العرب من فلسطين بينما اليهود يدخلون) لحل قضية فلسطين ، فاذا فشلت المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة ، وليس من شك في أن هذا القرار يكاد يكون من صياغة كلايتون .

ومنذ قريب أعلن بيفن عزمه على نقل القضية للأمم المتحدة ، بعد أن أشرك فيها امريكا ، ومـا كـان قرار الجامعة العربية الا موافقة في نقلها لتلك الهيئة التي تسيطر عليها بريطانيا وأمريكا ، وما كانت بريطانيا بذات امل للنجاح العربي ، ولم تكن الأولى ولا التجربة العشرين .

ان القرار الذي اتخذته الجامعة في بلودان ، والذي كاد أن يكون عمليا وهو تخصيص جانب مالي من خزينة الجامعة العربية لصالح شعب فلسطين ، هذا القرار أهمل وترك جانبا ولم يحظ بالتنفيذ ، ولكن القرار الذي يدعو الى مفاوضة بريطانيا سرعان ما اخذ طريقه الى الوجود ، وخلال نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٤٦ انعقد مؤتمر لندن الذي اقترحته دول الجامعة العربية ونال موافقة بريطانيا ، فدعت اليه .

وحاولت بريطانيا أن تخلق تصدعا في صفوف الفلسطينيين(١٦) ، والقضية تجتاز مرحلة خطيرة ، فطلبت الى السيد جمال الحسيني باعتباره نائبا لرئيس الهيئة العربية العليا التي الفها مجلس الجامعة العربية في بلودان بتاريخ ١٢ يوليو (تموز) ١٩٤٦ أن يؤلف وفدا يشارك العرب بحث القضية في لندن ، وفي نفس الوقت أبلغ المندوب السامي السيد جمال الحسيني ان بريطانيا قد وجهت الدعوة الى أربعة فلسطينيين ليكونوا أعضاء في الوفد(١٧) ، ولم يكن هذان الاجراءان البريطانيان الا فتنة مقصودة ، فهي توجه دعوة الى الهيئة العربية عام ١٩٤٦ ، باعتبارها ممثلة عرب فلسطين ، وهي نفسها توجه دعوة أخرى الى اربعة أشخاص فارضة

---

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٠ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(١٧) هم : سليمان طوقان ، انطون عطا الله ، موسى العلمي ، يوسف هيكل .

لهم في الوفد ، وكان طبيعيا أن ترفض الهيئة ، وكان وطنيا ان الأعضاء الأربعة أنفسهم الذين اختارتهم بريطانيا رفضوا ذلك الترشيح ، واعلنوا عن تأييدهم للهيئة ، وأنه لا وفد الا من تختاره وسافرت الوفود العربية الى لندن ، ورفضت بريطانيا حضور الوفد الفلسطيني دون أربعة معينين .

وحاول الفلسطينيون أن يحملوا أعضاء الجامعة العربية على الاصرار بوجوب اشتراك عرب فلسطينيين في المؤتمر ، فهم أصحاب الحق ، وهم الذين اصطلوا بنار الانتداب ، وهم الذين غزت جموع المهاجرين اليهود بلادهم ، وهم أحق الناس أن يرتفع لسانهم معلنا رأيهم في جنبات كل مؤتمر .

ولكن الدول العربية عام ١٩٤٦ وهي ذاتها التي كان أغلب أعضائها يقضون الجلسات الطويلة مع كلايتون في بلودان ، لم تأبه لطلب فلسطين ولم تشغل به .

ولكن الفلسطينيين لم ييأسوا من اخوانهم العرب ، فقد طالب مندوبهم اللجنة السياسية العربية المجتمعة في الاسكندرية سبتمبر (أيلول) ١٩٤٦ أن تتمسك الوفود بالمطالب العربية والتي تتلخص في وقف الهجرة اليهودية ، واقامة حكومة فلسطينية ، واعلان استقلال فلسطين .

لقد تقدم العرب في المؤتمر الى مستر بيفن وزير الخارجية البريطانية بمشروعهم الذي أطلق عليه يومذاك اسم « المشروع العربي » :

« اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين ، على الا يزيدوا في أي يوم من الأيام عن ثلث السكان ، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم للمحافظة على النسبة المذكورة وانشاء مجلس تمثيل لا يتجاوز أعضاء اليهود نسبة الثلث ، على الا يتخذ في ذلك المجلس اي قرار بشأن هجرة اليهود ومصالح اليهود الا اذا وافقت على ذلك القرار أكثرية الأعضاء اليهود ، على أن يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوق دستورية وبلغتهم العبرية وبالاشراف على التعليم وبقسط وافر من الحكم الذاتي ، وأن يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف » .

ان هذا العرض العربي لا يمكن أن يكون صادرا عن جماعة مؤمنة باستطاعتها استرداد حقها المنهوب ، ولكنه مظهر من مظاهر الهوان العربي الذي ادركته بريطانيا وأحاطت به أمريكا ، فالدول العربية عام ١٩٤٦ لا تتمسك بحضور شعب فلسطين للمؤتمر ، وتتولى وحدها حضوره والمناقشة فيه ، والدول العربية تقدم مشروعا يعترف باليهود أصحاب حق مكتسب ، وتعطيهم الوعود بأن الهجرة لا تتوقف الا بقرار من المجلس المشترك ، على شرط ان يوافق عليه أغلب الأعضاء اليهود وهو ما لا يمكن

ان يحدث ابدا ، وتعترف لليهود بالحكم الذاتي وباستقلال تعليمهم ورسمية لغتهم .

ان هذا الضعف العربي الذي برز للعيان في المؤتمر ، يحاول به أصحابه تأجيل نكبة هم مدركوها ، وهم لا يزنونها وزنها الحق ، بل هم أضعف من أن يقرروا أخطارها ويسبروا أغوارها .

ومع هذا لم ترحب بريطانيا بالمشروع العربي على ضعفه وهوانه ، فهي تطلب لليهود أكثر من هذا ، واقترحت تأجيل المؤتمر لينعقد من جديد في فبراير (شباط) ١٩٤٧ ، وعلم الفلسطينيون بالمشروع العربي ، فاستنكروه ، وطلبت الهيئة العربية الى دول الجامعة أن يستشار عرب فلسطين فيما يخصهم ، ولكن بريطانيا التي تسلمت المشروع العربي واعتبرته مستندا بيدها ، لم يعد يرهبها حضور الفلسطينيين ، فحين انعقد المؤتمر لثاني مرة ، وجه المندوب السامي دعوة رسمية الى الهيئة العربية لايفاد وفد الى لندن ، وهكذا أعلن بيفن وزير الخارجية البريطانية في ٤ من فبراير (شباط) ١٩٤٧ أن بريطانيا لا يسعها الا رفض المشروع العربي « لان اليهود لا يوافقون عليه ، ولأنه يخشى أن يقوموا بحركة عنف ضد الحكومة اذا هي قبلته .. »

ثم قدم بيفن مشروعا جديدا يتلخص في « وضع البلاد تحت حماية دولية لمدة خمسة أعوام ، وتقسيمها الى وحدات ادارية ، وبعد أربعة أعوام تحاول جمعية عربية يهودية سن دستور فلسطين المستقلة ، فاذا اتفقت أكثرية أعضائها اليهود وأعضائها العرب أعلن الاستقلال ، والا رفعت القضية الى الأمم المتحدة » .

ويحدثنا أحد مندوبي الشعب الفلسطيني في مؤتمر لندن فيقول :

« لقد انتهى مؤتمر لندن بفشل ذريع للعرب ، وربح البريطانيون واليهود هذه الجولة ، اذ حصلوا من الدول العربية بطريق رسمي بفضل المشروع العربي على تنازل عن بعض المبادىء والحقوق التي ما برح الفلسطينيون وأبناء الشعوب العربية يسفكون دماءهم في سبيل الدفاع عنها والعمل على تحقيقها(١٨) » .

٥ ـ القضية أمام الأمم المتحدة :

لقد قررت بريطانيا منذ أمد بعيد أنها سوف تحيل القضية الى الأمم المتحدة ، وجاء بعدها مجلس الجامعة العربية المنعقد في بلودان ، فقرر ايضا أنه اذا لم يتفق مع بريطانيا فسوف يرفعها الى الامم المتحدة ، والأمم

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٦ .

المتحدة هي من عرفنا جميعا عام ١٩٤٦/١٩٤٧ اكثرية من الدول الصغرى تخضع لنفوذ طاغ محطم تفرضه السياسة الأمريكية ، وفي ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ عقدت الجلسة بناء على طلب بريطانيا في مقر الأمم المتحدة « ليك ساكسيس » ، ومنذ الجلسة الاولى ظهر جليا ان الصحافة الامريكية تتبنى مطالب اليهود ، وتؤيد آمالهم وان بريطانيا وأمريكا والدول التي تدور في أفلاكهما يتفقون مع اليهود كامل الاتفاق ، وحين وصل وفد عرب فلسطين قابلته الصحف بمظاهر الاستهجان والسباب ناعتة أفراد الوفد بكل ما في قاموس الصهيونية من عبارات نابية وتعبيرات وضيعة(١٩) .

واستمعت الهيئة الى بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ، والى المستر « وايز » باعتباره ممثلا ليهود امريكا ، فطالب الأثنان باعلان دولة يهودية في فلسطين ، ولاقى هذا الطلب تأييد الصحافة الأمريكية ومحطات اذاعتها وبرامج التليفزيون فيها ، على حين لم يجد الراي العربي الذي يفند طلب اليهود ، ويقيم الدليل على أن فلسطين بلد عربي ، الا جزءا صغيرا من عناية الصحافة الأمريكية ، بل كان أغلبها يتولى الرد عليه ومحاربته .

وانتهت مناقشات اللجنة السياسية الى قرار بتأليف لجنة للتحقيق في قضية فلسطين تشترك فيها احدى عشرة دولة(٢٠) وانيط بتلك اللجنة بحث المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها ، والتعرف على أحوال اليهود في أوربا ومخيمات اللاجئين ، وأن ترفع هذه اللجنة توصياتها الى الأمم المتحدة .

لم تكن نتائج هذه اللجنة خافية على أحد ، فقد أصرت السياسة الأنجلو أمريكية أن تكون أغلبيتها ممن يسيرون في ركاب هذه السياسة ، بل ان بعض اعضائها كان صاحب راي معروف لصالح اليهود حينما مثل بلاده في الأمم المتحدة من امثال مندوبي جواتيمالا ، هولاندا ، ارغواي(٢١) ، ثم انها لم تكن لجنة محددة العمل بالبحث في خير حل لقضية فلسطين ، بل طلب اليها أيضا أن تبحث وضع اليهود المشردين بأوربا في أعقاب الحرب العامة الثانية ، وبذلك ربط ذهنها بين مشكلة فلسطين وبين أولئك اليهود الذين هيأتهم الوكالة اليهودية للهجرة الى فلسطين ، وجاءت اللجنة بتكوينها العجيب المتحيز ، وجابت أجزاء كثيرة في أوربا والشرق ، ووصلت فلسطين .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١٨٧

(٢٠) كانت هذه الدول هي : الهند – ايران – يوغوسلافيا – كندا ، اورغواي – استراليا – هولندا – جواتيمالا – لوكسمبورج – السويد .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

ولنعرف ماذا يمكن أن تكون آراء تلك اللجنة لو كان هناك شك في تحيزها ، علينا أن نعرف شيئا مما فعلته بعد وصولها : كان من بين أولئك الأعضاء دكتور رالف بانش الذي تولى بعد ذلك منصب الوسيط الدولي في فلسطين ، وكان قبلها مرافقا لتلك اللجنة عام ١٩٤٧ تم له اجتماع سري مع عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية ، فلا يقول لها انكم تثورون لاغتصاب بلد غيركم ، وانكم تخلقون القلاقل لهدم البيوت على الآمنين وتشريد السكان وقتل الأبرياء ، انه لا يقول لهم ذلك ، بل يشاركهم فهمهم .

يقول مناحم بيغن زعيم عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية : « لقد حرص أعضاء هذه اللجنة على مقابلتي ومقابلة زملائي » ، وقال دكتور بانش « انني أستطيع أن أفهمكم تماما .. انني مثلكم أنتمي الى اقلية مضطهدة » ، أما الدكتور « هو » مساعد الأمين العام للأمم المتحدة وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين فقد وجه كلامه الى زعيم العصابة ولمعاونيه يعقوب كوهين وافراهام شمويل قائلا : « الى اللقاء في اسرائيل المستقلة » .

اما مندوب جواتيمالا دكتور جرانادوس ومندوب الارجواي بروفسور فابريجات فقد ابديا الأسف المرير أن ظروفا تحول دون اكرام اكثر لأبناء اسرائيل قائلا : « كان بودنا لو قررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم أكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب(٢٢) » .

ان لجنة هؤلاء أعضاؤها لهي لجنة موظفين خط لهم طريق يسيرون فيه ، وما هي بلجنة تحقيق تشغلها كلمة الحق أو تناديها عوامل الانصاف.

ولهذا عادت تلك اللجنة لم يشذ عن باطلها الا مندوب الهند ويوغوسلافيا وايران ، أما الثمانية الباقون فقد جاءوا الى الهيئة يطلبون تقسيم فلسطين الىدولة يهودية لها الشواطىء الطويلة والمساحات الشاسعة الهامة ودويلة عربية صغيرة لا تقوى على البقاء الطويل .

لقد اقترحت أكثرية اللجنة أن تؤسس الدولة اليهودية على مساحة ١٤،٢٠٠،٠٠٠ دونم وبتحديد تلك الدونمات تبين أنه كان يقيم فيها ٤٦٠،٠٠٠ عربي ، ولا يزيد اليهود فيها آنذاك على ٥٣٠،٠٠٠ يهودي ، وكان العرب يملكون فيها ثلثي الأراضي المسجلة والعقارات المملوكة .

وكانت المناطق المقترحة لهذه الدولة تتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والسهل الساحلي من أسدود ويشمل تل أبيب ويافا وحيفا الى قرب عكا مضافا اليها بئر السبع ومنطقة النقب .

(٢٢) ناصر النشاشيبي ، تذكرة عودة ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٤٩ .

اما الدولة العربية والتي كان المفروض أن تعطى لأهل البلاد الأصليين، فكانت تحتوي ١١،٥٨٩،٨٧٠ دونم يقيم فيها ٦٥٠ الف عربي ، وأحد عشر الف يهودي ، ولا يملك اليهود فيها الا نحو ١٠٠،٠٠٠ دونم وكانت الدولة اليهودية المقترحة حسب قرار التقسيم تشمل ٥٦،٤٧٪ من مجموع أراضي فلسطين على حين تشمل الدولة العربية ٤٢،٨٨٪ من تلك الأراضي ، أما منطقة القدس الدولية فكانت تشمل ما يساوي ٠،٦٥٪ منها .

ولم تراع تلك اللجنة حقوق الملكية الفردية ، ولا أي الجانبين أكثر أملاكا ، فقد كان التقسيم يعطي لليهود دولة يملك العرب في أراضيها المسجلة رسميا ٣،٥٧٧،٨٢٥ دونم على حين لا يملك اليهود فيها الا ١،٣٨٣،٨٥٨ دونم ، وتملك طوائف أخرى ٥٠،٠٩٠ دونم والباقي أراض أميرية عربية كان يستغلها العرب ويتملكونها دون تسجيل ، وهي ملك لهم بالتقادم والاستعمال وباعتبار أن الوطن وطنهم .

أما الدولة العربية فكان العرب يملكون فيها ٨،٨٤٨،٢٩٠ دونم ، ويملكون ايضا باقي اراضيها المشاعة بين الأسر والقبائل ملكا تاريخيا بالاستعمال منذ الف عام ، ولا يملك فيها اليهود الا ٩٥،٥٤٣ دونم ، وبينما تشمل الدولة العربية المقترحة ٥٦٨ مدينة وقرية كلها عربية و ٢٣ مدينة وقرية يهودية ، تشمل الدولة اليهودية المقترحة ٢٧٣ مدينة وقرية عربية و ١٩٧ مدينة وقرية يهودية وثلاث قرى مختلطة ، وكان ذلك التقسيم الذي اقترحته اللجنة تقسيما موغلا في الظلم لا يطبق عدلا ولا يساير منطقا .

واقترحت تلك اللجنة اقامة اتحاد اقتصادي للمرافق العامة ، كالطرق ووسائل المواصلات الحديدية ودعت الى وحدة الرسوم الجمركية، وأن يكون لكل دولة دستور توافق كل دولة منهما على دستور الاخرى ، وتستقل الدولتان بعد مرحلة انتقال قدرها سنتان ، ويلاحظ أن مشروع التقسيم الجديد الذي أوضحناه آنفا هو صورة أخرى من مشروع التقسيم الذي اقترحته اللجنة الملكية البريطانية في سنة ١٩٣٧ ، واقترحت اللجنة اعطاء منطقة القدس صفة دولية ، ويعين لها حاكم عام لا يكون يهوديا ولا عربيا .

أما اقلية اللجنة المكونة من الهند ويوغوسلافيا وايران ، فقد اقترحت أن تنشأ في فلسطين حكومتان مستقلتان ذاتيا ، تؤلفان دولة اتحادية عاصمتها القدس ، على أن تختص الحكومة الاتحادية بشئون الدفاع الوطني والمصالح الخارجية والاقتصادية التي تهم الحكومتين ، ويرأسها رئيس منتخب من مجلس الاتحاد ، ولا يسمح بالهجرة الا في المنطقة اليهودية ، على أن تكون في نطاق الامكان الذي تقرره لجنة تشمل تسعة أعضاء ، ثلاثة من العرب ، وثلاثة يهود ، وثلاثة مندوبين من الأمم المتحدة .

٦ ـ الضغط الأمريكي وصدور قرار التقسيم :

وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ فاز اقتراح الأكثرية بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وبالعودة الى احصائية ذلك اليوم الكريه نجد أن الدول التي صمدت ضد التقسيم هي : « مصر ـ المملكة العربية السعودية ـ اليمن ـ سوريا ـ لبنان ـ ايران ـ افغانستان ـ باكستان ـ العراق ـ تركيا » وهذه كلها دول عربية اسلامية ، ورافقها من الدول الصديقة الهند واليونان وكوبا . أما الدول التي امتنعت عن تأييد الحق وايضا عن مباركة الجريمة فهي كل من : « الارجنتين ـ شيلي ـ الصين ـ كولومبيا ـ سلفادور اثيوبيا ـ هندوراس ـ مكسيك ـ يوغوسلافيا ـ بريطانيا » .

أما الدول التي نادت بالتقسيم وصوتت له فقد كانت الدول الصليبية الاستعمارية أو من يلوذ في فلكها .

ومن الملاحظات التي نسجلها في هذا الصدد أن يوغوسلافيا غيرت موقفها من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، فبعد أن رفضت التقسيم في لجنة التحقيق عادت فأيدته عند التصويت عليه في هيئة الأمم ، ويلاحظ ايضا أن بريطانيا التي طبخت هذه المأساة حتى نهايتها خلال ثلاثين عاما تمتنع هي الأخرى عن التصويت ، انها مطمئنة الى أن المقدمات التي وضعتها في تاريخ طويل لا بد أن تنتج ما تريد من خلق جسم غريب وسط الوطن العربي الكبير .

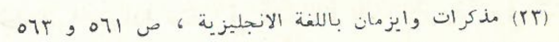
اما الاتحاد السوفييتي الذي صوت مع التقسيم ونادى به ، فمن حقه على العرب أن يعذر في ذلك الموقف الأليم ، ذلك أن العالم العربي كله كان يقاطعه ، ويحاربه في المجتمعات والمؤتمرات، وكان زعماء العرب قبل أن يبداوا حديثهم عن مظالم بريطانيا يقدمون له بالحملة على الاتحاد السوفييتي باعتباره رائد الشيوعية ومصدرها العالمي ، واذا كنا نؤمن أن الهيئة الأممية لم تكن مكانا للبحث عن العدل ، فمن المنطق أن نتوقع موقف الاتحاد السوفييتي ضدنا أيام عزوفنا عن أن نمد له حتى يد التحية . ومنذ ثورة ٢٣ تموز (يوليو) العربية في مصر عام ١٩٥٢ تغير موقف الاتحاد السوفييتي واصبح سندا للقضية العربية في قرارات عديدة وسط الهيئة الدولية ، وما موقفه اثناء العدوان الثلاثي عنا ببعيد .

لئن تخاذل الزعماء العرب كثيرا تجاه القضية الفلسطينية ، لقد احسوا بنارها حين شاهدوا المؤامرات تحاك لاقرار التقسيم في أروقة الأمم المتحدة ، ولقد جاهدوا جهادا صلبا في مسالك تلك الأروقة وفي سبيل واد قرار التقسيم ، ولكن القوى المعادية كانت أقوى منهم وأكثر .

ان أمريكا تتحمل الوزر الأكبر في النهايـة الأليمة لقضية فلسطين ، فهي التي أتمت ما بدأته بريطانيا ، وهي التي ساعدت على اقامة اسرائيل وتشريد العرب وهزيمة قضيتهم ، لا يقول ذلك العرب الذين شهدوا تلك الجلسات الأليمة الحزينة فقط ، بل أن الصهيوني الدكتور وايزمان يسجله في مذكراته ويقول :

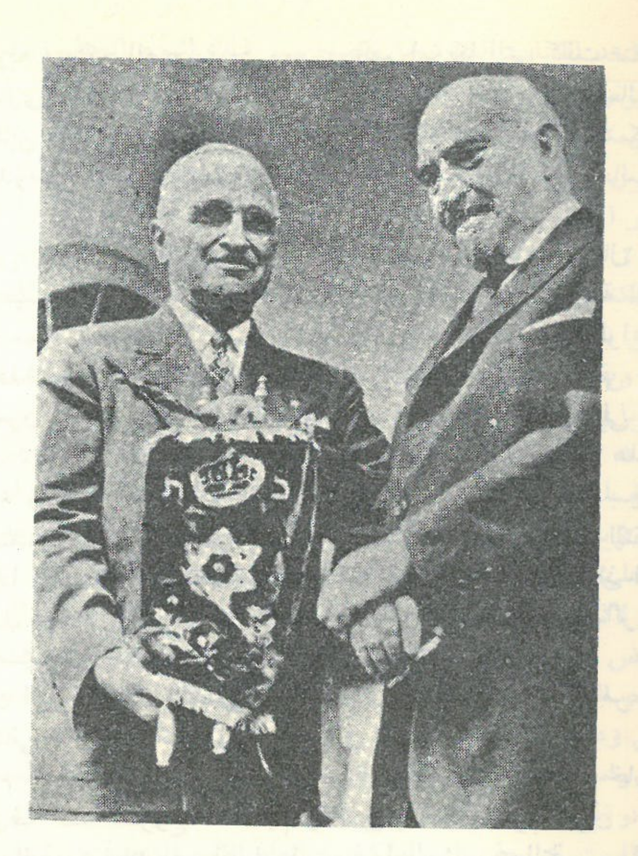
« عندما حمت المناقشات في الجمعية العموميـة للأمم المتحـدة ، وظهرت معارضة العرب الشديدة للتقسيم ، أدرك الوفـد الأمريكي الذي يرأسه السفير المستر هيرشل جونسون أن من الواجب عمل شيء للتخفيف من حدة مقاومة العرب ولا سيما وأن الوفد الأمريكي غدا يعتقد أن مشروع التقسيم يعطي لليهود مساحات شاسعة من الأراضي الأمر الذي يثير شعور العرب ، فاعتزم التقدم بتسوية تبني على اقتطاع قسم من أراضي النقب بما فيه العقبة ، وضمه الى أراضي الدولة العربية المقترحة ، ولقد أصبت بفزع شديد عندما علمت بهـذا الاقتراح ، وسافرت الى واشنطن حيث استقبلني مستر ترومان في يوم الاربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ وشعرت في لقائه بلطف وعطف شديدين ، وقلت للرئيس بعد حديث اجمالي عن النقب انه اذا كان لا مندوحة من تقسيم النقب فيجب أن يقسم علـى أساس خط عمودي لا على أساس أفقي ، وبذلك ينال كل من العرب واليهود جزءا من الأراضي الخصبة وجزءا مـن الصحراء ، ولكـن العقبة يجب أن تكـون يهودية(٢٣) » .

وحين جاء رئيس الوفد الأمريكي ليبلغ شرتوك وجهة النظر الأمريكية بشأن التقسيم في النقب ، وبينما كـان يهـم ببدء الحديث دق جـرس التليفـون ، وكـان المتحدث مستر ترومان شخصيا الـى مندوبه مستر جونسون ، وانتظر شرتوك انتهاء المحادثة بقلق والم شديد ، وقد استمرت المكالمة نصف ساعة قضاها في كآبة وألم ، وعندما انتهى الحديث التليفوني انصرف المندوب الأمريكي ، دون أن يبلغ كلمة مما كان يريد ابلاغه لشرتوك ، ان الذي حصل هو أن المستر ترومان كـان صادقا في قولـه ، وانه بعـد ساعات قليلة من اجتماعي به أصدر التعليمات اللازمة للوفد الأمريكي لابقاء النقب والعقبة من نصيب اليهـود ، وفتح هذا القرار الأمريكي السبيـل للتصويت في الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ على مشروع التقسيم ، فنال أكثرية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا(٢٤) » .



(٢٣) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ، ص ٥٦١ و ٥٦٣

(٢٤) المصدر السابق .



اعترف ترومان باسرائيل بعد لحظات من اعلانها . واسرع وايزمان لرئيس امريكا ليقدم له بعد لحظات من اعترافه بعدالة الغصب توراة اليهود ونجمة داؤد .

وليس أصرح من حديث وايزمان هذا الذي يعترف أنه كـان قادما لاقناع ترومان بأن يكون التقسيم في النقب علـى أساس خط عمودي بين العرب واليهـود ، فوجد ترومان أكثر منـه حرصا على تسليم النقب كله لليهود .

وما دمنا نستشهد بما ذكره وايزمان من حقيقة تكشف تدخل ترومان لصالح اليهود بقوة وتصميم ، فلا بأس مـن أن نسجل ايضا ما ذكره أحد المندوبين العرب الذين عاصروا عمليـة التصويت ، وهو يتحدث عن كيفية كسب اليهود للأصوات فيقول :

« كان المفروض أن تبلغ هـذه الأصوات ثلثي أعضاء الهيئة ، وكان ممثلو الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثماني عشرة دولة من الدول التي تتألف منها الهيئـة ، بحيث يستحيل أن ينـال مشروع التقسيم أغلبيـة

الثلثين المطلوبة ، ولكن الصهيونيين ومن ورائهم أمريكا التي كانت تناصرهم، بذلوا قصارى جهدهم وما يملكون من وسائل مغرية لاستمالة بعض المندوبين الذين كانوا قد أبدوا معارضتهم لمشروع التقسيم ، فتمكنوا من استمالة مندوبي هايتي وليبيريا وسيام ، ووقف هؤلاء الى جانب قرار التقسيم .

وفوجىء المندوبون العرب بعد أن وقف مندوب هايتي فقال والدمع يترقرق في عينيه : « انه ما يزال عند رايه الشخصي في معارضة التقسيم لكنه بصفته ممثلا لحكومته لا يسعه الا ان ينزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع » هذا بعد ان رفض الرشوة التي قدمها اليه موشى شاريت وقدرها اربعون الف دولار ، اما ليبيريا فقد اضطرت للنزول على مشيئة تجار المطاط ، وفي طليعتهم شركة فايرستون العالمية ، وكانت هذه تؤيد الصهيونية ، والمطاط هو المورد الرئيسي لخزانة ليبيريا ، واما سيام فقد استبدلت مندوبا آخر من يؤيديه بمندوبها الذي أبدى معارضته للتقسيم ، وجاء هذا الاستبدال نتيجة وشاية اختلقها اليهود ، اذ اتهموا المندوب الاول بأنه لا يؤيد الحكومة الجديدة التي قامت في سيام أثر انقلاب داخلي ، فاستبدلته حكومته بمندوب آخر ايد التقسيم » .

على أن اليوم المحدد للتصويت على قرار التقسيم وهو ٢٦ من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ كان يوما خطيرا في تاريخ الأمة العربية ، وتكتلت في ذلك اليوم الوفود العربية تؤيدها باكستان بمندوبها ظفر الله خان الذي أخلص الوقوف ضد مشروع التقسيم وناضل بصدق وعزم قويين ، أصبح ذلك اليوم والجميع يحدوهم أمل قوي في أن مشروع التقسيم لن ينال أغلبية الثلثين وهي الأغلبية المشروطة لاقراره .

وما كاد الاجتماع ينعقد حتى وقف المندوب الأمريكي يطلب التأجيل الى ما بعد عيد الشكر الذي سيكون في اليوم التالي ، مدعيا أن عددا كبيرا من الأعضاء يطلب الكلام ، وأن الوقت لا يتسع لذلك ، وتنازل مندوبو الدول العربية عن حقهم في القاء كلماتهم توفيرا للوقت ، واصرارا على اجراء التصويت في تلك الجلسة ، ولكن الرئيس البرازيلي « ازوالدو أرانيا » أبى الا التأجيل(٢٥) ، ومضت أيام ٢٧ ، ٢٨ تحت تصرف الرئيس الأمريكي ترومان ووفوده ونفوذه ، فأثرت أمريكا على المندوبين واكتسبت من الأصوات قلة افادتها .

على أن المؤامرة الجديدة التي أجلت موعد التصويت بغية كسب أصوات للصهيونيين ، لم تعد سرا أو قولا يردده العرب وحدهم ، فقد

(٢٥) القضية الفلسطينية ، ص ٢٠٢ .

أثبت احد الكتاب اليهود ما يفضح سر ذلك اليوم الخطير وقال : تمكن الصهيونيون من اقناع بعض مندوبي الدول كي يطلبوا تأجيل الاجتماع ، فتأجل ، ولا يعلم أحد الى الان كيف تأجل ، والذي أجله هو مندوب البرازيل الذي كان رئيسا للهيئة ، وعندما اجتمعت الهيئة يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) وقف مسيو بارودي مندوب فرنسا يطلب التأجيل لمدة ٢٤ ساعة (فتم تأجيل جديد) وعندما حل يوم التصويت ، كان اليهود قد تمكنوا من استمالة بعض الاعضاء بحيث نال المشروع أغلبية الثلثين (٢٦) .

ويقول الزعيم السوري المرحوم فارس الخوري وكان يومئذ ممثلا لسوريا في مجلس الامن :

« ان هيئة الامم أقرت مشروع التقسيم بأغلبية صوتين اثنين وان المعركة بلغت أشدها في اليوم الذي سبق قرار التقسيم ، وان معظم الدول كانت تؤيد العرب في وجهة نظرهم ، لولا تدخل الولايات المتحدة التي راحت تؤثر على مندوبي الدول واحدا واحدا ، وتضغط عليهم ضغطا متواصلا واني لأذكر أن مندوب الفلبين بعد أن وعد بتأييدنا اضطر الى الهرب حتى لا ينقض وعده ، استجابة للضغط الامريكي ، وان مندوب هايتي بكى أمامي لأن مصالح بلاده مع أمريكا أقدس من مصالح العرب ، ولهذا اضطر أن ينقض وعده (٢٧) » .

واستطاعت الصهيونية أن تسخر سكرتير عام الامم المتحدة لصالحها حيث وقف بكامل امكانياته مع الصهيونية ، ويقول السيد فارس الخوري :

« ان المستر تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة مسؤول الى حد كبير عن النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني ، اذ أنه جند الموظفين الذين يعملون تحت رياسته في الامم المتحدة ، وعددهم ثلاثة الاف ليندسوا بين الاعضاء للتأثير عليهم . ولقد وصف أحد أعضاء الوفد الفلسطيني في هيئة الامم ما اتخذه تريجفي لي وصفا مفصلا دقيقا فقال : « أن تريجفي لي بحكم منصبه يسيطر على الشيء الكثير من أعمال الامم المتحدة ويعتبر الموجه الاول لاعضائها في عدد من الامور والشئون ، وكان سلوكه الحقيقي سلوك التأييد للاستعمار واليهود والعطف عليهم ، ومن أعماله البارزة في هذا الشأن أنه وضع مجلدين ضخمين عن القضية الفلسطينية أشتملا على وثائق وبيانات وغيرهما جعلهما تحت تصرف الاعضاء ، وكذلك جمع في مكتبة الامم المتحدة كتبا ومذكرات ومقالات عن القضية الفلسطينية

(٢٦) الفرد ليلنتال ، ثمن اسرائيل ، شيكاغو ١٩٥٣ ، ص ٥٩ — ٦٠ .
(٢٧) مجلة المصور العدد ١٤٧٠ في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢ .

لتكون مرجعا للاعضاء ، ولكنه حرص على جمع الوثائق والمستندات التي تدعم المطالب ووجهة النظر اليهودية ، وأهمل أهمالا فاضحا جميع المستندات والوثائق التي تؤيد حقوق العرب وتدعم مطالبهم ووضعها في المكتبة .

وكان تريجفي لي ومساعدوه يقومون بتوزيع النشرات اليهودية ضد الفلسطينيين ، وقابل الوفد الفلسطيني تريجفي لي واحتج على موقفه ، وكذلك فعلت الوفود العربية وثبت أن ترجفي لي اخفى كل ما سلمه له الوفد الفلسطيني ولم يعرضه على الاعضاء ولا وضعه في المكتبة والدوائر المختلفة (٢٨) .

ولقد اثنى وايزمان في مذكرته على تريجفي لي ثناء عاطرا (٢٩) واذا كنا قد استشهدنا بكل هذه الاقوال ممن شهدوا المأساة تمثل على مسرح الامم المتحدة ، واذا كانت كل هذه الاقوال قد وصلتنا بعد المأساة وبعد تكوين اسرائيل ، فمن الاصلح أن نستشهد بقول صحفي صدر في نفس فترة التأجيل وكان صريحا لا خفاء فيه ، صريحا صراحة تدل على أن كسب أمريكا الاصوات لليهود كان أمرا عاديا في أمريكا ، ولم تكن الصحف تجد غضاضة في نشره علانية ، فلقد قالت جريدة نيويورك تايمس في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ وهو ثاني يوم التأجيل ؟

The United Nations General Assembly Postponed Avote on the Partition of Palestine Yesterday after supporters found that they still lacked an assured two thirds majority.

المعنى :

« أجلت الجمعية العامة للامم المتحدة جلستها التي تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس بعد ان وجد مؤيدو الصهيونية انهم لا يضمنون ثلثي الاصوات اللازمة لنجاح المشروع » .

وهكذا تمت جريمة تاريخية في القرن العشرين سوف لا يكون وصف من ينساها او يتناساها من قومنا الا المروق والبلادة . « وهل يلام العرب بعد هذا — والمسلمون من ورائهم — اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض أسلحتها اليهود وانها ممالأة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام(٣١) ، نعم وكلمة المارشال اللنبي التي قالها يوم انتزع القدس من يد الاتراك لا تزال مأثورة مشهورة ، ولا يزال رنينها مجلجلا في الآذان ،

(٢٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٩١ — ١٩٢ .
(٢٩) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ص ٦٨١
(٣٠) جريدة نيويورك تايمز العدد الصادر في ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٧
(٣١) البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٢ سنة ١٩٤٨ .

وصداها متجاوبا في الاذهان » (٣٢) .

٧ـ حالة عرب ويهود فلسطين عام التقسيم ١٩٤٧ :

اعلنت بريطانيا خلال عام ١٩٤٧ انها عازمة على انهاء الانتداب وسحب قواتها العسكرية وجهازها الاداري في ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ ، وانها سوف تترك فلسطين لمن يقيم فيها ، نافضة يدها من مسئولية الانتداب الذي نفذته لصالح الصهيونية على مدى ثلاثين عاما .

وتتداعى الى الذهن عدة نقاط تدور حول حالة عرب فلسطين سنة ١٩٤٧ ، ومدى استعدادهم لخوض معركة فاصلة مع العصابات اليهودية ، وتجر هذه النقاط بدورها الى الجانب المقابل ، وهو حالة اليهود، ومدى تأهبهم لمواجهة الموقف وقت انسحاب بريطانيا من فلسطين.

فتتصل هذه التساؤلات أوثق اتصال بالعهد الذي اخذته بريطانيا على عاتقها في صك الانتداب وفي دستور فلسطين ، من أنها سوف تجعل فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها ، كل هذه التساؤلات يكاد يفيد فيها الاحصاء الدقيق عن حالة البلاد الاجتماعية والاقتصادية في عام ١٩٤٧ ، وهي صورة لحالة العرب في مختلف أنحاء فلسطين ، الأمر الذي يجعلنا نؤمن بأن بريطانيا قد اعلنت عن قرب تخليها ، لأنها دبرت أمرها مع اليهود ووثقت انهم في وضع يضمن بقاءهم وتفوقهم على العرب اصحاب البلد الأصليين ، ففي ظل الانتداب البريطاني وبقواه استطاع اليهود ان يمتلكوا مساحات كبيرة من الأرض ، وقد تملكوها بقوة مراسيم المندوب السامي ، او بقوة الفقر الذي فرضته سياسة المندوب السامي على العرب ، او بقوة الضرائب والفوائد والرهونات التي أدت الى البحث عن لقمة العيش ، ولو بالتخلي عن الأرض مما ستجده وافيا في فصل قادم .

لقد استطاع اليهود ان يكونوا أقلية كبيرة عام ١٩٤٧ تتكون من ٦٠٠ الف على حين كان عددهم يوم احتلال القدس ثلاثة وخمسين الفا ، وقد تجمعت هذه الأقلية الكبيرة بفضل فتح بريطانيا ابواب فلسطين أمام اليهود، وقفلها أمام العرب حتى الفلسطينيين منهم الذين كانوا يوم صدور قانون الجنسية خارج فلسطين .

(٣٢) قال اللنبي يوم احتلاله القدس « اليوم انتهت الحروب الصليبية » ، راجع ص ٦٥ من هذا الكتاب .

واستطاع اليهود تحت حماية بريطانيا وعونها ان يكوّنوا قوة عسكرية مسلحة من جيش الهاجانا وازفاي ليومي وعصابة شترن ، وكان هؤلاء جميعا مدربين ومسلحين ، بينما كان العرب محرومين من السلاح ، تنزل بهم العقوبات من السجن الى الاعدام لمجرد حيازة السلاح أو الذخيرة .

على أن تلك المساحات التي تملكوها من الاراضي ، واولئك المسلحين الذين أعدوهم لمحاربة العرب ، وهذه الأقلية الكبيرة التي تجمعت في الأرض المقدسة ، كانت كلها ترتكز على قوة اقتصادية كبيرة ، سهرت بريطانيا على تقويتها بمراسيمها وقوانينها ولوائح جماركها واساليب الضرائب لديها ، لقد استطاع اليهود أن يكونوا سادة الاقتصاد في فلسطين ، فهم اصحاب المصانع التي سنت القوانين لحمايتها ، وهم أصحاب مشروع الكهرباء الذي يضيء فلسطين ، وهم أصحاب البيوت المالية والتجارية والمحلات العامة .

واذا القينا نظرة على احصائية لمدينة القدس مثلا باعتبارها كبرى مدن فلسطين وعاصمتها عام ١٩٤٧ يتضح لنا أن بريطانيا حين حددت يوم ١٥ مايو (أيار) لانهاء انتدابها ، كانت على يقين من انها قد نفذت فعلا تصريح بالفور ، فأقامت الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وقد نفذت فعلا تلك المواد الثقيلة التي عملت على تضمينها صك الانتداب من أنها سوف تجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء وطن قومي لليهود ، ولنلق نظرة سريعة على جزء من احصائية التجارة في القدس التي كانت تضم خمسة آلاف ومائة وعشرة دكاكين ، منها الفان وثلاثمائة واثنا عشر دكانا للعرب المسلمين والمسيحيين على حين يملك اليهود في القدس الفين وسبعمائة وثمانية وتسعين دكانا .

وبينما تضم القدس اربعة واربعين مخبزا وفرنا ، كان اليهود يمتلكون واحدا وثلاثين منها ، وهي تضم أيضا اربعة وعشرين دكانا لبيع الدخان والتمباك ، كان اليهود يمتلكون تسعة عشر دكانا منها ، وبينما تضم تسعة عشر مصرفا ماليا كان اليهود يمتلكون منها اربعة عشر ، ولا يملك العرب منها الا مصرفين اثنين ، وفي حين تضم القدس تسعة وتسعين محلا لبيع الكتب كان اليهود يملكون منها خمسة وخمسين ، وبينما تضم مائتي خياط كان اليهود بينهم مائة وستة وعشرين ، وحين كان في القدس اثنان واربعون محلا لبيع مواد البناء كان اليهود يملكون منها ثلاثين محلا .

واذا اتجهنا الى الشركات العاملة في القدس نجد ان اليهود يكونون فيها الأغلبية دائما ، فبينما تكونت في القدس اثنتان وستون شركة لشراء الأراضي ، لم تتكون الا شركتان عربيتان ، وبينما تكونت اربع وخمسون

شركة يهودية للأشغال العامة والمقاولات الهندسية والبناء ، لم تتكون لهذه الأغراض الا شركة عربية واحدة ، وبينما تكونت خمس شركات للآلات الزراعية والأسمدة وتعمير الأراضي ، لم تتكون الا شركة عربية واحدة ، وبينما يملك اليهود ست عشرة شركة لأعمال البوتاس والأدوية والاملاح والراديوم ، وثلاث شركات للسجاير ، وست شركات لنشر العلم والتدريس ، وخمسا وستين شركة للطباعة وثماني شركات للأفلام والسينما لا يملك العرب شيئا من هذا . وبينما تدل الاحصائية على أن اليهود كوّنوا في القدس ثلاثمائة وسبعا وسبعين شركة لم تكن الأحوال العامة التي فرضها الانتداب وعمل لها ، قابلة ليتمكن العرب من تكوين أكثر من اثنتين وثلاثين شركة .

ولم نجد للعرب الذين أرهقهم حكم الانتداب وطول الثورة وتضحيات الجهاد ، كفة راجحة ، الا في بعض الأشياء القليلة جدا ، والتي لا تكون الأغلبية فيها مظهرا من مظاهر التقدم الاجتماعي والازدهار الاقتصادي .

وما دمنا قد تحدثنا في ثنايا هذا البحث عن الضائقة المالية العربية ، واضطرار العرب الى الاقتراض من البنوك للقيام بمشروعاتهم الزراعية وغير الزراعية ، وجب أن نوضح الصورة البيانية لتلك البنوك التي كانت تسيطر على المال في فلسطين ، وتمتص مال العرب الفلسطينيين بالفوائد المستمرة ، حتى ترغمهم على التخلي عن أرضهم سدادا لديونها وحجوزاتها ، وما كان ذلك الا وفاقا من بريطانيا لعهدها المعطى لليهود وتوافقا مع صك الانتداب .

كان في فلسطين اربعة عشر مصرفا ماليا كلها يهودية او خاضعة لليهود ، وكان مجموع أموالها المصرح بها أثنين وثلاثين مليونا ومائتين وأربعة وتسعين الفا من الجنيهات ، ومن بين تلك المصارف اليهودية كان مبلغ أثني عشر مليونا ومائتين واربعة وستين الفا مقسما بين عدة مصارف مالية يهودية (٣٣) ، أما البنوك اليهودية الأخرى ، وهي البنك المركزي للمؤسسات التعاونية ، والبنك الفلسطيني ، وبنك مزراحي ، وبنك فلسطين التجاري وبنك يعقوب يافث فكانت مراكزها بين القدس وحيفا (٣٤) .

ولعلنا بهذه الاحصائية المهمة نفهم في وضوح الموقف الاقتصادي الخطير

---

(٣٣) كان من بين هذه المصارف بنك أنجلو فلسطين المتخذ يافا مركزا رئيسيا له ، وبنك كوبات عام وبنك فلسطين للرهن والتسليف ، والبنك البولوني الفلسطيني ، وبنك ايللرن ، وبنك فويخت واغنر التجاري ، وبنك الخصم الفلسطيني ، وكلها متخذة مركزها الرئيسي في المدينة الصهيونية تل ابيب .

(٣٤) المفصل في تاريخ القدس ، ص ٤٧٦ .

الذي وصل اليه عرب فلسطين كنتيجة لسياسة بريطانيا في سبيل اقامة دولة صهيونية ، وزرع سرطان مدمر وسط الوطن العربي بينما لم يكن هناك للعرب الا البنك العربي ، وراس ماله خمسمائة وخمسون الف جنيه ثم بنك الأمة العربية الذي أسس بأربعين الف جنيه ثم تطور حتى اصبح راسماله المصرح به مليونا من الجنيهات ، على ان هذين البنكين العربيين لم يؤسسا الا مؤخرا ، فحتى منتصف ١٩٣٠ لم يكن في فلسطين اي بنك عربي ، والى اواخر سنة ١٩٣٣ حيث اسس بنك الأمة العربية لم يكن الا البنك العربي الذي تضافرت الصهيونية مع سلطات الانتداب على عرقلة انشائه ، وكان مؤسسه عبد الحميد شومان بين الذين ذاقوا مر السجن والتعذيب في قصص شهير .

لم يكن احد في العالم العربي يشعر بالمرارة القاتلة من قرار التقسيم كما كان يشعر به الشعب العربي في فلسطين ،وهو الشعب المكبل بسلاسل بريطانيا الحديدية ، والمسلطة عليه أثقال الصهيونية وبرامجها .

ولكن السلاح كان مشكلة المشكلات ، وسرعان ما تنادى ابناء فلسطين فأرسلوا الجماعات تبحث عن السلاح في كل مكان ، وكانوا يرضون بأي نوع من انواع الاسلحة حتى بالسلاح القديم ، وما خلفتهالحرب العالمية الثانية ، وكان موفدوهم يجوبون الصحراء الغربية بحثا عن كل قطعة من سلاح ، واجتاز الحدود الى داخل فلسطين عبد القادر الحسيني(٣٥) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في مصر ، واجتازها من سوريا حسن سلامه (٣٦) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في الشام .

وقسمت فلسطين الى اربع مناطق رئيسية ، منطقة الشمال ومنطقة الجنوب ومنطقة يافا ومنطقة القدس ، وربطوا كل هذه المناطق بالقيادة العامة التي تمركزت في قرية بئر زيت في قضاء رام الله لواء القدس(٣٧) ونظم المجاهدون ، واسست فرقة الفدائيين وفرقة التدمير ، وانشئت جماعات الاسعاف وانشئت حاميات للأمن العام والمدن والقرى ، وفرق القناصة والمغاوير ، اما اليهود فقد قسموا قواتهم ، فتولت الهاجاناه حراسة المدن والقرى والطرق والقوافل بين القدس وتل ابيب وحيفا والمستعمرات في غور بيسان وغيرها ، وأنزلت البالماخ لملاقاة المجاهدين ، وخصص لعصابة الأرغون زفاي ليومي القيام بأعمال التدمير والنسف والارهاب ضد المدنيين .

---

(٣٥) اقرأ معركة القسطل صفحة ٣٥٠ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .
(٣٦) اقرأ معركة راس العين صفحة ٣٨٦ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .
(٣٧) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٤ .

حدث كل هذا والانجليز لا يزالون في فلسطين ، يتولون الانتداب ويشرفون عليه ، ولاول مرة في تاريخ العالم المتمدين تقف دولة تتولى سلطات البلاد بأسم عصبة الأمم ، متظاهرة بالحياد امام صراع رهيب بين شعبين ، ثم تمد بالسلاح والخبراء والأعتدة شعبا استجلبته من الخارج ، يقيم دولة على انقاض الشعب الأصيل ، ثم تجري المعارك امام بصرها ، فلا تحرك ساكنا الا اذا كان اليهود هم المهزومين، فانها تسرع بضرب العرب والوقوف ضدهم .

اما مجمل حالة الفلسطينيين عند صدور التقسيم ، فيصفها مؤرخ عربي معاصر فيقول : « شعب اعزل لا سلاح لديه ، لطمته هيئة من اكبر الهيئات الدولية بأظلم واقسى قرار عرفه التاريخ ... ويقضي عليه بالتجزئة والحرمان وضياع الامل بالحرية التي كان ينشدها والوحدة التي كان يصبو اليها والأمن والاستقلال الذي طالما تمناه ، ويرى بعين دامية وقلب واجف، الهوة السحيقة التي حفرت امامه والتي سيقع حتما ، اذا لم يهب لانقاذ بلاده ، قبل أن يتمكن الاعداء من تأسيس دولتهم ، ولكن وسائله محدودة، ووسائل أعدائه متوافرة ، فيقف حائرا متسائلا ما العمل ؟ وكيف السبيل الى النجاة (٣٨) » .

ولكن الشعب الفلسطيني الذي كان حائرا باحثا عن سبيل النجاة ، اعتقد في تلك الظروف الخطيرة أن العالم العربي يقف الى جواره ، وان الجامعة العربية التي اسست حديثا سوف تأخذ بيده وسوف تكون له عونا وسندا ، وهو بذلك سوف لا يعيد التاريخ الذي قضاه قبلا يحارب وحده وينتظر العون من اخوانه خارج الحدود .

٨ ـ الجامعة العربية وقرار التقسيم :

انتشر الحماس في البلاد العربية كلها التي كانت تدرك خطر ذلك التقرير الذي قدمته أغلبية اللجنة الدولية ، ووافقت عليه الأمم المتحدة ، وبادرت الهيئة العربية العليا الى رفضه واستنكاره واعلان العزم على مقاومة تنفيذه ، وتنادى الشعب العربي في كل مكان مطالبا بانقاذ فلسطين، وان يكون موقف الدول العربية موقفا يليق بالخطر المنتظر ، ومستشعرا مسئولية التاريخ .

---

(٣٨) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٣١ .
وانظر ايضا : كارثة فلسطين ، ص ١ — ١٠ .

واجتمع مجلس الجامعة العربية في عاليه بلبنان في ٧ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٧ مستعرضا الوضع الحقيقي في فلسطين ، ومستمعا الى

فلسطين : عند انتهاء الانتداب البريطاني ودخول الجيوش العربية اليها يوم ١٥ مايو ١٩٤٨

اللون الاسود يمثل المنطقة التي حافظ عليها شعب فلسطين الى دخول الجيوش العربية

مندوبي عرب فلسطين الذين كانوا على علم عميق بمقدار قوة اليهود ، ومدى استعدادهم وبرنامجهم لانشاء اسرائيل ، ولم تكن طلبات الفلسطينيين من مجلس الجامعة العربية تستهدف أن تدخل جيوشها فلسطين ، ولا أن تبادر فتحل فيها محل قوات الانتداب البريطاني ، ولكن طلباتهم كانت كما يلي :

١ – يرجى من دول الجامعة العربية ان تعتمد على الفلسطينيين انفسهم في المعركة الفاصلة مع اليهود .

٢ – يرجى من دول الجامعة العربية ان تمد الفلسطينيين بالسلاح والمال والخبراء العسكريين .

٣ – يرجى من الدول العربية ان توافق على تأليف حكومة عربية بفلسطين تملأ الفراغ بعد بريطانيا وتبدأ حكمها في فلسطين .

وبحث هؤلاء الخبراء احوال فلسطين ووضعها الداخلي وانتهوا الى التوصيات التالية :

« ان للصهيونيين في فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها أن يؤلفوا فورا حكومة صهيونية ، وان لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد ، وفي مقدورهم أن يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية .. ولهم موارد من المال لا تنضب ، وليس لعرب فلسطين في الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن ان يقاس بما لأعدائهم اليهود .

وان ما لا يقل عن ٣٥٠،٠٠٠ عربي يعيشون في مناطق اكثريتها يهودية ، وهم معرضون للفناء اذا ما داهمهم الصهيونيون . ان فلسطين قادمة على احداث خطيرة بسبب ما اعلنته بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين ، ولهذا توصي اللجنة العسكرية :

اولا : المبادرة حالا بتجنيد المتطوعين وتسليحهم .

ثانيا : قيام الدول العربية بحشد جيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية .

ثالثا : تأليف قيادة عربية عامة ، وان يعين المرجع الأعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .

رابعا : والى ان يتم ذلك يجب ان يمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية

والمتفجرات وما الى ذلك من الأسلحة .

خامسا : يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية ما لا يقل عن مليون دينار لتموين القوات الفلسطينية .

سادسا : تبادر الدول العربية لشراء اكبر كمية من الأسلحة والأعتدة وان تدخرها لتموين المجاهدين(٣٩) .

ولم تبد الجامعة العربية اهتماما لتنفيذ المقترحات باستثناء تخصيص مليون جنيه والوعود بارسال كميات من السلاح(٤٠) .

ولا ريب أن تلك التوصيات كانت عملية الى حد كبير ، فالعرب في فلسطين هم الذين جاهدوا الانتداب ثلاثين عاما ، وهم الذين عاشوا سلسلة الثورات طوال هذا الأمد الطويل ، وهم بالتالي أقدر الناس على مجابهة اليهود ومقاتلتهم في داخل فلسطين ، وكل ما كان ينقص الشعب الفلسطيني هو القوة المالية التي تساعده على التسلح تسلحا كاملا يضارع تسلح اليهود وكان ينقصه ايضا امكانية خلق مصدر هذا التسلح ، فقد كانت بريطانيا تغلق الحدود ، وتمنع عنه حيازة السلاح ، على حين تبيح ذلك لليهود ، وما دامت الدول العربية سوف تمد شعب فلسطين بالمال وبالسلاح فان المعركة قررت مصيرا .

٩ ـ عقبات امام الكفاح الفلسطيني :

وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطيني في معسكر قطنا قرب دمشق ، حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بمذكرة الى الجامعة العربية معارضة تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ومعتبرة ذلك « عملا غير ودي » لأن بريطانيا لا زالت موجودة في فلسطين(٤١) .

وكأن رجال الدول العربية كانوا ينتظرون تلك المذكرة ، فما ان وصلت حتى أخذهم الرعب ، وسرحوا الشباب الفلسطيني وسحبوا أسلحتهم .

وكانت غريبة تلك الروح التي كانت تسير رجال الجامعة العربية .

---

(٣٩) اسماعيل صفوة باشا رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية ، تقرير الى الجامعة بتاريخ ٩ من اكتوبر ١٩٤٧ .

(٤٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦ ـ ١٧ .

(٤١) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٢ .

انهم يستجيبون لرغبة بريطانيا في عدم تسليح الفلسطينيين ، ويتناسون انها تسلح اليهود في داخل فلسطين ، وتصادر كل سلاح عربي وتفتك بحامله ، والحق أن موقف بريطانيا ودول الجامعة العربية كان موقفا شاذا فاذا كانت بريطانيا تملك الى أن يتم انسحابها معارضة تسليح أو تدريب عرب فلسطين داخل البلاد فليس لها ان تتدخل في أمر تدريبهم خارجها ولا ريب انه مما يتنافى ومعاني الاعتزاز بالاستقلال والكرامة الوطنية أن تفعل تلك المذكرة ما فعلته في دول العرب كما ان موقف دول الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ بخضوعها للمذكرة البريطانية قد اضر بقضية فلسطين، لانه حرم الفلسطينيين من فرصة مهمة للتدريب ، واعطوا اليهود فرصة السبق في التفوق العسكري الذي حرم منه العرب طويلا .

وفي الثالث من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ ابتدا النضال الفلسطيني الجديد ، وحدثت في القدس اشتباكات كبيرة بين العرب واليهود ، وحدثت حرائق استمرت اربعا وعشرين ساعة ، وقد قتل يهودي وجرح ستة يهود وعربيان ، وانتشرت الأحداث في جميع انحاء فلسطين .

لقد كان اعتماد شعب فلسطين على اللجنة العسكرية العربية التي اتخذت سوريا مستقرا لها ، وكان ينتظر ان تصله كميات كبيرة من الأسلحة التي تجعله في موقف يضارع موقف اليهود ، ولكن هذه اللجنة العسكرية كانت نفسها تشكو قلة الأسلحة ، فان الدول العربية لم تف بما سبق أن وعدت به ، ويفيد تقريرها الى مجلس الجامعة العربية في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ أنها « تأسف لقلة السلاح والعتاد الموجود بين يديها ، وتقرر اللجنة انها لم تحصل الى الآن الا على ٥٥٦ بندقية و ١٣٤ مسدسا و ٢٣٠٠٠ طلقة من الحكومة السورية ، ٣٠٠ بندقية و ٣٠ مسدسا و ٥٠٠٠٠ طلقة من الحكومة اللبنانية ، مع انها كانت تنتظر أن يكون تحت يدها في ذلك التاريخ ٢٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ رشاشة خفيفة و ٣٠٠٠ مسدس وغيرها من المتفجرات والأعتدة(٤٢) » .

وتحت تأثير هذه الشكوى من اللجنة العسكرية ، اجتمعت اللجنة السياسية ، وقررت الزام دولها بكميات من الأسلحة ، على أن تقدم كل من مصر والعراق والمملكة السعودية وسوريا الفي بندقية مع الف طلقة لكل بندقية ، وتقدم كل من لبنان والأردن الف بندقية مع الف طلقة لكل بندقية .

---

(٤٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٥ .

وعلى الرغم من ضآلة هـذه الكميات أمـام معركة الأمة العربية في فلسطين ، فان طريقـة تسليم ذلك السلاح كـانت متلازمة مـع الفوضى والارتباك وعدم العناية ، وكان العديـد منهـا غير صالح للاستعمال ، اما لقدمه أو لفساده أو لعدم وجود عتاد له ، بل لقد كان بعض السلاح عثمانيا مضى أكثر من خمسين عاما على صنعه اذ تسلمت اللجنة العسكرية في ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ مـن العراق ١٢٦٠ بندقية فرنسية دون عتاد ، فجهزتها وزارة الدفاع السورية ، وبعـد وصول البنادق بخمسة عشر يوما وصلت من العراق ٦٠٠٠٠ طلقة فرنسية (قرار اللجنة السياسية يوجب أن تكون ألف طلقة مع كل بندقية أي مع ١٢٦٠ بندقية ١٢٦٠،٠٠٠ طلقة) وفي ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) اتضح أن ٢٥ بندقية المانية فقط تصلح للاستعمال من أصل ٢٥٠ بندقية تسلمها المفتي من مصر ، وأرسلها الى صيدا بحرا ، وكان معها ٣٠٠ صندوق مفرقعات صالحة للاستعمال ، وفي ١ يناير (كانون الثاني) تسلمت اللجنة مـن لبنان ٢٥٠ بندقية المانية و ٢٤٠٠٠ طلقة ، وفي ٣ يناير (كانون الثاني) سلمت الحكومة السعودية لمندوب اللجنة ١٢٠٠ بندقية أرسل منها ٥٠٠ الى فلسطين ، وفي ٢ فبراير (شباط) أفاد المندوب نفسه أنه تسلم من الحكومة المصرية ٣٠٠ بندقية ومعهـا ٢٥٠ مسدسا و ١٧٠٠٠ طلقـة تومي وبندقيتان ضد الدبابـات و ٣٠٠٠ كبسول كهربائي .

وبفحص هذه الأسلحة وجد أن البنادق قديمة وأن معظم المسدسات عاطل(٤٣) لا يصلح للاستعمال ، ويطلق أحـد الباحثين العرب علـى هذه الأسلحـة وصفا طريفا فيقـول « انها أسلحة أثريـة » وان وجدت فمن المستحيل جدا ايجاد قطع الغيار اللازمة لها ، وكانت كل الذخيرة المقدمة من الدول العربية لا تعادل الأسلحة المودعة في مستعمرة يهودية واحدة .

ونصل سريعا الى ذكر الرقم الاجمالي الذي يفيـد أن مجموع مـا تسلمته اللجنة من الحكومات العربية كان الى ٨ فبراير (شباط) ١٩٤٨ ٤١١٠ بنادق ، ١٨٠٩،٠٠٠ طلقة ، وأن ما وزعته علـى المحاربين وخاصة في القدس ويافا وحيفا ١٦٥٧ بندقيـة ، ٤٠٠،٠٠٠ طلقـة ، وسلمت للمتطوعين ١٥٠١ بندقية ، ٩٠٩،٠٠٠ طلقة .

ولكن من صدق التاريـخ أن نذكر أنه حتى بعد هـذا التاريخ توالى وصول الكميات الصغيرة المبعثرة من السلاح ، وانه كـان في أغلبه سلاحا

(٤٣) جريدة الحارس العراقية فبراير ١٩٥٣ .

(٤٤) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٢٣ .

فاسدا ، لا يصلح لمعركة يجابه العرب فيها اليهود المسلحين .

ولنأخذ مثلا لذلك :

تلك الطائرة السورية التي هبطت في « اسكاكه » من أعمال الجوف ، وأفرغت ما فيها من أسلحة وأعتدة سعودية كـانت ٢٣٧ بندقية نمساوية قديمة جدا ، وتعرف بالخديوية وقد غنمها الوهابيون من الجيش المصري في حربه مع الوهابيين في القرن الماضي ، ٢٣٣ بندقية المانية ، ٢٤٤ بندقية من مختلف الدول انجليزية والمانية وفرنسية وتركية وهندية لا تصلح أبدا للاستعمال ، وأما البنادق النمساوية والروسية ومجموعها ٢٥٨ فانه لا نفع يرجى منها لفقدان عتادها ، ولم يبق من هـذه الشحنة الكبيرة التي أخذت طائرة لنقلها وحسبت علـى شعب فلسطين الا ١٧٧ بندقية تصلح للاستعمال بعد تعميرها . وتلك الشحنة المصرية عام ١٩٤٨ حيث تبين أن ١٧ بندقية المانية مـن مجموع ٨٦ ، ٢٠ بندقيـة انجليزية مـن مجموع ٢٠٠ ، و ٥ بنادق ايطالية من مجموع ٦٥ ، وبندقية واحدة من بندقيتين أمريكيتين ، وبندقيتان عثمانيتان(٤٥) .

هذا مثل واضح للعـون الذي لقيه شعب فلسطين مـن تلك اللجنة العسكرية التـي كانت تنفذ قـرار الجامعة العربيـة بأن تمده بالسلاح . وتجعله في موقف يضارع اليهود المسلحين المدربين في فلسطين ، واذا كان الشعب الفلسطيني قد حرم من السلاح والتدريب خلال الانتداب البريطاني فان السلاح الذي أمده به اخوانه العرب كان قديما ضئيلا فاسدا ، على أن الدول العربية ذاتها لم تكـن دولا مسلحة عـام ١٩٤٧ ، وتلك مصر حين تسلحت غدر حكامها بجيشها العظيم فزودوه بسلاح فاسد طرح موضوعه أمام القضاء المصري وأدان المتهمين .

واذا كانت أكبر دول الجامعة العربيـة لم تكن تملك سلاحا ذا قيمة في ذلك التاريخ ، فكيف يمكن أن ينتظر من شعب فلسطين أن ينال مـن دول تلك الجامعة سلاحا يقابل به جيش الهاجانا وعصابات شترن وزفاي ليومي ، لقد كانت دول الجامعة العربية تمثل سبع دول تحمـل كل منها اسما بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

على ان شعب فلسطين سرب مندوبيه كما اوضحنا الى كل مكان ظن فيه امكان الحصول علـى السلاح وتبرع العديد مـن أفراده بأثمان تلك الصفقات ، وأسهمت بعض دول الجامعة في تبرعات للهيئة العربية العليا ،

(٤٥) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٨ – ٥٩ .

فكان لذلك السلاح اثره الحميد في امكان الشعب المناضل من خوض ايام رهيبة شجاعة في مختلف انحاء فلسطين .

ولو ان دول الجامعة العربية قدمت لشعب فلسطين من الاسلحة كميات كافية كبيرة ، ومن الاموال مقادير تقويه وتمكنه من تقوية اوضاعه ، لكان لمعركة فلسطين شأن غير الشأن الذي وصلت اليه .

ويجمل بنا أن نذكر ان مجموع ما تلقاه شعب فلسطين لم يتجاوز ٧٦٨ الف جنيه وهو مبلغ ضئيل في معركة الفناء او البقاء ، قدمت الى الهيئة العربية العليا التي واصلت جهدا مخلصا لشراء الأسلحة والمعدات ، ولقد كانت تلك المبالغ من مصادر مختلفة ، وكانت تفاصيلها كما يلي :

١٠٤	آلاف جنيه من سوريا .
٢٠	الف جنيه من مصر .
١٥	الف جنيه من لبنان .
٤ر٥٠٠	الف جنيه من اليمن .
٤٦ر١٧٥	من مصادر عربية تبرعت لمفتي فلسطين راغبة عدم ذكر أسمائها .
١٧٥	الف جنيه من بيت المال العربي في فلسطين .
١٩٨	الف جنيه من تبرعات المهاجرين الفلسطينيين والعرب .
٢٠٥	الف جنيه من تبرعات الشعوب العربية والاسلامية .
٦٧٥ر٧٦٧	المجموع

واذا القينا نظرة فاحصة اليوم على هذه التبرعات ، نواصل الدهشة التي احطنا بها تبرعات العرب لفلسطين خلال ثورة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦ حيث لم تتجاوز تلك التبرعات عددا من آلاف الجنيهات لقاء ملايين وصلت لليهود في فلسطين(٤٦) .

(٤٦) تقول الاديبة الفلسطينية السيدة سميرة عزام في ردها بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية على الانسة ليلى بعلبكي : لن نسكت عن ثاني التساؤلات (عن هجرة الشعب الفلسطيني) والجواب قصة طويلة كانت تلهب خيالنا ونحن صغار نتلقف قصص المعارك الحقيقية التي تنتصر فيها البنادق العتيقة اذ يقف وراءها حق ، أتعلمين متى بدأت البنادق العتيقة تصبح دمى خشبية ؟ انها يوم كانت تستجدي الطلقات من كل عاصمة عربية ، فلا تفوز بأكثر من وعود عميقة جوفاء ، أتعرفين متى ترك شعب بكامله ساحة المعركة ؟ انه يوم شاءت ارادة الدول السبع ان تمسخ الثورة الكبيرة الى حرب تتولى امرها جيوش نظامية تحركها سياسات اذا لم تكن السذاجة من خصائصها ، فالتواطؤ ، أتعرفين متى ارتمى شعب في حضن البحر ؟ انه يوم ان رأى نفسه اعزل الا من وعود الفتح ...

ولو ادركت الشعوب العربية يومئذ ان تسليح الفلسطينيين كان يعني درء الخطر ، لا عن فلسطين وحدها ، بل عن كل شبر عربي في كل ارض عربية ، لتسابق الجميع في التبرع لشعب فلسطين ، وتسليحه ولتنازلوا عن أموالهم وأملاكهم ، ولاسرعوا يدفعون مقدما ضريبة البقاء قبل ان تنشأ اسرائيل فيصل الخطر الى حدودهم ، بل الى بيوتهم ويهدد كيانهم جميعا بما فيه من وجود وذاتية ومقدسات .

١٠ – تجدد الكفاح المسلح في فلسطين :

وبينما كانت الكميات الضئيلة من السلاح تسرب الى الشعب العربي في فلسطين ، كان هناك صراع في مختلف انحاء فلسطين لا يمكن تصويره تصويرا كافيا الا باثبات برقيات بعض تلك الأيام حتى نشعر أن فلسطين كانت تمثل معركة مستمرة في جميع اجزائها .

ولنثبت هنا برقيات الأهرام قبيل منتصف شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ ، وخلال شهر واحد من صدور قرار التقسيم المشئوم ، اعلن مصرع عشرة من العرب ويهودي في سلسلة الحوادث التي وقعت في انحاء فلسطين خلال الأربع والعشرين ساعة ، وكان منها القاء قنبلة على سيارة ركاب في حيفا فقتلت خمسة وجرحت ثلاثين آخرين ، ونصب العرب كمينا لسيارتين تقلان رجال الهاجانا ، فقتلوا تسعة من ركابها كما قتل خمسة آخرون من اليهود بصحراء فلسطين الجنوبية ، وقام فريق كبير من الحرس الوطني العربي في الساعات الأولى من الصباح بهجوم خاطف على الحي اليهودي في القدس القديمة ، فاشتبك الفريقان في معركة حامية استعملت فيها مختلف الأسلحة الاوتوماتيكية ، واستطاع العرب التغلب على مقاومة اليهود فدخلوا الحي عنوة واحتلوه ورفعوا العلم العربي على سارية عالية فيه ، ولكن قوات كبيرة من الجيش والبوليس البريطاني خفت الى الحي فانسحب العرب الى مراكزهم الأولى ، وقام فريق من اليهود بمهاجمة ادارة احدى الشركات العربية للنقل فألقوا عدة قنابل محرقة وأحرقت بعض السيارات ، وكانت مدينة حيفا مسرحا لسلسلة من المعارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والأزقة وقد سجل العرب فيها ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق ، وفي بئر السبع هاجم العرب عددا من اليهود المسلحين ونشبت معركة انسحب فيها اليهود وتركوا عشرة من القتلى غنم العرب أسلحتهم ، ثم وقع صدام آخر بين العرب واليهود في نفس المنطقة صرع فيه أربعة من اليهود وجرح عشرة ، وقام العرب في الصباح بهجوم عنيف على مستعمرة القرين اليهودية بجوار

غزة فأحرقوها وخربوا دورها(٤٧) .

وفي الثالث عشر من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ كانت المعارك بين العرب واليهود قد امتدت الى جميع انحاء فلسطين حتى أن البلاغات الرسمية اعلنت ان عدد القتلى في ذلك اليوم كان ٢٥ قتيلا عربيا و ١٥ يهوديا على حين بلغ عدد الجرحى سبعة وستين جريحا(٤٨) .

وتستمر البلاغات الرسمية تعلن ان الاصطدامات مستمرة بين العرب واليهود في جميع انحاء فلسطين ، وقد قام اربعة وعشرون يهوديا يرتدون الملابس العسكرية بهجوم على قرية عربية بالساحل فاقتحموها في اربع سيارات عسكرية كبيرة ، وأطلقوا الرصاص على جماعة من سكانها ، على حين وضع آخرون القنابل خارج سور القرية وكانوا يلقون القنابل اليدوية على من يحاول التصدي لهم ، وقتل من العرب سبعة في هذا الهجوم المفاجىء ، كما اعلن جيش الدفاع اليهودي (الهاجانا) أنه قتل عشرة من العرب في معركة تل الريش جنوبي ميناء يافا العربي ، كما اضرمت الحرائق في بعض منازل العرب بين يافا وتل ابيب ، واعلن أيضا أن جماعة من العرب هاجمت مستودعات البوليس في الرملة ، واستولت على أربعمائة بندقية وثلاثة مدافع برن وستة مدافع رشاش وستين الف طلقة ، وأذيع أيضا أن عددا من النجادة العرب هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين على طريق القدس ـ يافا واستولوا على ثلاثمائة بندقية وستة آلاف طلقة(٤٩) .

١١ ـ المعارك في الشوارع والقرى :

وكان القتال في شوارع القدس متواصلا غير منقطع ، فلم ينقض يوم من الأيام دون حرب أو قتال ، ولا مرت ساعة دون ان يسمع صوت الرصاص يلعلع في الفضاء ، وما كنت ترى اينما حللت وحيثما سرت في مدينة القدس سوى جثث القتلى مبعثرة هنا وهناك ، هذا يهودي وهذا عربي ، وهناك شخص آخر انجليزي كان قد اتى ليحول دون اصطدام الفريقين ، أو ليحرض احدهما على الآخر ، ولم تنقطع الحرائق وأعمال النسف والتدمير تارة في هذا الحي وطورا في ذاك ، وقد تنطفىء النار في حي أو تخبو وقتا قصيرا لتعود فتشتعل او تزداد التهابا في الأحياء الأخرى .

وكان اليوم السابع والعشرون من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ من

(٤٧) جريدة الاهرام ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٤٨) جريدة الاهرام ١٤ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٤٩) جريدة الاهرام العدد ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .

ايام القدس العصيبة ، فقد اقتتل الفريقان حيثما التقيا في المدينة القديمة وفي لفتا وروميما وفي القطمون وباب الخليل وعند طلعة القسطل وباب الواد وفي كل مكان .

وبينما كانت تمر قافلة يهودية في القسطل على طريق القدس ـ يافا اذ هاجمها العرب وقتلوا اربعة من افرادها احدهم هانس ياريت من رجال الوكالة اليهودية ، وجرحوا خمسة ، منهم غولدا مايرسون رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة(٥٠) .

ولجأ اليهود الى الارهاب يهدفون به الى اضعاف المقاومة العربية ، فألقت منظمة الأرغون الارهابية برميلا طافحا بالمتفجرات بباب العمود ، فقتلت أربعة عشر عربيا وجرحت سبعة وعشرين ، وبينما تلاحق العرب يقتفون أثر السيارة التي تحمل الفاعلين ، راح الجنود البريطانيون المرابطون في عمارة تجاه مكان الحادث يطلقون النار على العرب فقتلوا آخرين ، ومع هذا فقد أوقف العرب السيارة والقوا القبض على احدهم ، ولكن كونستبلا بريطانيا انقذ اليهودي من ايديهم فقتلوا الكونستابل نفسه ورفيقا له حاول انقاذه ، كما احرقوا سيارة يهودية جاءت لتحمي الجناة(٥١) .

ويستمر شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ في حوادث متفرقة حتى اذا كان اليوم الأخير أعلن أن العرب قضوا على واحد وأربعين يهوديا في معمل التكرير في حيفا(٥٢) .

فاذا اطل شهر يناير (كانون الثاني)من عام ١٩٤٨ نجد الانباء تفيدنا ان شعب فلسطين يوالي جهاده في كل قرية ومدينة ، بل في كل شارع وامام كل بناية ، وانه في هذا الصراع يكسب معركة ويخسر معركة اخرى ، وانه يدفع كل يوم العديد من رجاله بين قتلى وجرحى .

ولنأخذ هنا برقيات وكالات الانباء التي نشرتها الاهرام في اليوم الاول من عام ١٩٤٨ لنرى أن فلسطين كانت في كل بقاعها مرجلا يغلي وبركانا يقذف بالحمم ، حيث هددت جمعية الهاجانا اليهودية بالانتقام من العرب لمقتل الواحد والاربعين يهوديا في المعركة التي دارت عند معمل تكرير البترول في حيفا ، حينما تدخل اللواء العربي الاردني لانقاذ الكثيرين من اليهود في المذبحة ، ونشطت جماعة من العرب المسلحين فألقت عدة قنابل يدوية على

(٥٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٧٦ .
(٥١) جريدة الاهرام ٣١ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٥٢) جريدة الاهرام ٣١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

سيارتين يهوديتين تقلان عمالا من اليهود بجوار محطة القدس ، فأصيب عدد من ركابها بجراح ، واطلق عربي الرصاص على يهودي في احد شوارع القدس فقتله .

وقد بات حيان من الاحياء اليهودية في القدس ليلة في ظلام تام على اثر انفجار عظيم وقع في محطة القوى الكهربائية يعتقد انه نشأ عن قنبلة القاها العرب في المحطة ، واقتحمت سيارة لوري عند قرية يازور العربية الواقعة على طريق يافا ـ القدس والقيت منها قنبلتان فاخذ سكانها العرب يسددون نيران مسدساتهم وبنادقهم الى احد الاحياء اليهودية المجاورة ، واطلقت النار على سيارة ركاب يهودية في حي البقعة الفوقا فأصيب بعض ركابها وفي الوقت ذاته مرت سيارة ركاب عربية فألقى احد ركاب السيارة اليهودية قنبلة انفجرت بعد مرورها .

ووقعت عدة اشتباكات في احياء الجبالية وتل الريش وابـي كبير والمنشية بين يافا وتل ابيب أسفرت عن اصابة تسعة من اليهود واربعة من العرب واطلقت النار من مستعمرة غيشر بجوار يافا على سيارة لوري عربية فأصيب ثلاثة من ركابها ، وهاجم اليهود بعد الظهر سيارة نقل عربية قرب مستعمرة ملبس فأصابوا احد ركابها وسيارة اخرى بالقرب من قلقيلية فأضطر سائقها الى الاسراع فانقلبت وقتل احد ركابها وجرح آخر ، وهوجمت سيارة ثالثة تقل عددا من العمال العرب بالقرب من مستعمرة ويلهلما فأصيب احدهم ، وانفجرت قنبلة في شارع اغريبا بالقدس فأصيب عدد من اليهود بجروح (٥٣) .

واستمر القتال ضاريا دون انقطاع ويوميا ، وقد خفت قوات الشرطة تؤيدها السيارات المصفحة لنجدة مستعمرتين يهوديتين في طريق القدس ـ الخليل في المنطقة الجنوبية من فلسطين ،حيث اخذت قوات عربية كبيرة تشن عليها هجمات شديدة منذ الفجر ، وقد أستعد العرب لهذا الهجوم فأقاموا الحواجز على الطرق ، وبثوا فيها الالغام لمنع القوات البريطانية من الوصول الى المستعمرتين ، ثم بداوا هجماتهم بقوة يتراوح عددها بين عشرين وثلاثين مجاهدا بعد أن مهدوا لها بنيران حامية .

واقام اليهود ستارا كثيفا من نيران اسلحتهم ، ولكن القتال لم يلبث ان تطور واتسع نطاقه بوصول نجدات أخرى من العرب يربو عددها على المائتي مقاتل ، وقد وقعت خمسة انفجارات هزت مدينة القدس ، وسمع

(٥٣) جريدة الاهرام العدد ١ من يناير ١٩٤٨ .

على أثرها أزيز رصاص المدافع الرشاشة ، وقيل أن رجال الهاجانا صبوا نيران مدافع الهاون على حي الشيخ جراح العربي ، ويقول المراقبون من جبل سكوبس الذي يطل على حي الشيخ جراح العربي ، أنهم شاهدوا عددا يتراوح بين ١٢ ، ١٥ قنبلة من قنابل الهاون تتساقط على أسطح منازل العرب في هذا الحي (٥٤) .

ومضت أربعة شهور منذ صدور قرار التقسيم الجائر ، والعالم مشدوه بما يبديه عرب فلسطين من غضب ، وما يقوم به من حركات وجهاد متصل .

ويستمر هذا الشهر الى آخر ايامه يشهد المعارك في ليلها ونهارها في جميع الجهات وفي مختلف مناطق فلسطين ، فتلك قافلة يهودية مهاجمة ومحطمة ، وذلك هجوم عربي على انابيب نفط العراق وعلى متجمعات اليهود ومستعمراتهم ، مع حوادث ارهابية عديدة يتبادلها الفريقان ، فاذا انتصر العرب تدخلت بريطانيا بجيوشها توقف المجاهدين ، وتمكّن لليهود من رد الفعل العنيف .

وانذر القائد العربي اليهود في بلاغه أنهم سيذوقون الامرّين ، وسيفتك بهم العرب فتكا ذريعا لا هوادة فيه ولا رحمة اذا لم يكفوا عن الغدر وسفك الدماء (٥٥) .

وحين لم يمتثل اليهود للانذار الذي اعلنه القائد عبد القادر الحسيني بالكف عن قتل الابرياء غير المحاربين ، تم نسف الوكالة اليهودية في الحادي عشر من شهر (آذار) ١٩٤٨ (٥٦) .

وفي آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ كانت الاحداث تتوالى بذات الصورة، اذ نصب المجاهدون العرب كمينا لقافلة يهودية تتألف من ٣٠ سيارة مصفحة كانت قد غادرت القدس منذ الفجر لتعزيز مستعمرة كفارعصيون ، فاشتبك العرب مع رجال الهاجانا الذين كانوا يتولون حراسة القافلة في معركة شديدة ، ولكن القافلة تمكنت من اجتياز الطريق الى المستعمرة .

وهاجمت قوة من العرب قافلة يهودية أخرى في باب الواد بين القدس ـ يافا فنشبت بين الطرفين معركة شديدة بلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود فيها ٦٠ قتيلا و٨٠ جريحا وغنم المجاهدون ١٢ مدفعا برن و ١١

(٥٤) جريدة الاهرام ١٥ من يناير ١٩٤٨ .
(٥٥) جريدة الاهرام ٢٥ من فبراير ١٩٤٨ .
(٥٦) راجع تفاصيل هذا الحدث المهم في صفحة ٣٤٥ من هذا الكتاب .

مدفعا ستن و ٢٠ بندقية و ٨ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة ، وهاجمت فرقة الامين بقيادة عبد القادر الحسيني عددا من السيارات المصفحة اليهودية على طريق القدس رام الله انتقاما لاعتدائها على فتاة عربية عمرها ٦ سنوات فقتل العرب ١٧ يهوديا من رجال الهاجانا وجرحوا نحو ٢٠ ونسفوا احدى المصفحات واستولوا على اخرى وعلى سيارة شحن كبيرة وغنموا خمسة مدافع (٥٧) .

ونصبت قوة من العرب قوامها بضع مئات من المجاهدين كمينا لقافلة من السيارات التابعة لقوات الهاجانا تتألف من ٥٨ سيارة بينها ١٧ سيارة مصفحة على مسافة اربعة أميال من بيت لحم ، وما كادت تصل القافلة الى مواقع العرب حتى طوقها المجاهدون ، وسدوا في وجهها الطريق ، واشتبكوا مع رجالها في معركة عنيفة ، واستنجد ركاب القافلة وحراسها بقيادة الهاجانا ، فخفّت الى مكان المعركة اربع طائرات من السلاح الجوي اليهودي، واخذت تضرب العرب بالقنابل والنيران ، وقتل نحو ٨٠ من رجال القافلة اليهودية ، ونصب نحو ٢٠٠ من العرب كمينا آخر لقافلة يهودية مؤلفة من ست سيارات على مقربة من سواحل فلسطين الشمالية وقتلوا ٤٢ يهوديا من ركابها ، وكانت ثاني قافلة يهودية يتصيدها العرب خلال اربع وعشرين ساعة (٥٨) .

وحين جاء شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٨ جاءت أيامه صورة مطابقة للايام السابقة من تجدد القتال وقوته ، واشتعال النار بين العرب واليهود في كل مكان في فلسطين ، ولقد شهد هذا الشهر ذلك الصراع المرير حول بلدة القسطل في ضواحي القدس والتي فصلنا معركتها وما اتصل بها من احداث استشهد خلالها القائد عبد القادر الحسيني في غير هذا المكان (٥٩)، وشهد ايضا دخول المجاهدين المتطوعين العرب من جيش الانقاذ الى فلسطين حيث بدات تلك الافواج تعبر الحدود الفلسطينية ، وكان على راسهم القائد فوزي القاوقجي الذي كان قد اشتهر بجهاده وقيادته ثورة فلسطين العارمة عام ١٩٣٦ .

وعلى الرغم من أن الايام العشرة الاولى من هذا الشهر كانت أياما فاجعة للعرب ، ولا سيما عندما تناقص سلاحهم في معارك القسطل ، واستشهد القائد الحسيني وجرح عديد من رفاقه ، وعندما هاجم اليهود

---

(٥٧) جريدة الاهرام ٢٨ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٨) جريدة الاهرام ٢٩ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٩) راجع التفاصيل عنها في صفحة ٢٤٧ من هذا الكتاب .

دير ياسين وفتكوا بسكانها ، على الرغم من ذلك فان الروح القومية التي استولت على الفلسطينيين دفاعا عن ديارهم لم تخمد ولم تتراجع ، ويحدثك التاريخ ان العرب كانوا اقوياء في جميع الميادين على الرغم من الخسائر العديدة في الارواح والعتاد سواء في معارك يافا او حيفا أو في القدس نفسها .

وفي الثالث عشر من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ كانت معركة كبرى قد نشبت في حي الشيخ جراح ، وانها لتواصل تقديم الدليل على قوة شعب فلسطين ودفاعه ، فبينما كانت قافلة يهودية كبيرة تجتاز الحي الى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا وهي مؤلفة من تسع سيارات كبيرة اثنتان منها مصفحتان وتضم الى جانب العلماء والاطباء اليهود مجموعات من رجال الهاجانا المسلحين اذ اعترضهم رجال فرقة الجهاد المقدس التي كانت قد فقدت قائدها الشهيد عبد القادر الحسيني منذ اسبوع ، وكان عدد هؤلاء المجاهدين اربعة وعشرين مقاتلا مشاة مسلحين بالرشاشات والبنادق ، وفتكت الغام العرب بسيارتين ، مبيدة ثمانية وثلاثين من رجالهما ، وعلى صراخ الوكالة اليهودية واستنجادها بالجيش البريطاني خف هذا ووجه سلاحه الى المناضلين العرب من ثلاث جهات ، وازاء ذلك خف قسم آخر من المرابطين في الاحياء الاخرى من القدس جاءوا يهللون ويكبرون ، وتتناقل جبال القدس رجع صوتهم المدوي وهم يبلغون المائتين ، وقذفوا بأنفسهم في لهيب المعركة ضد اليهود والبريطانيين على السواء ، ووسط هذا العزم النافذ عرض اليهود الاستسلام والقاء السلاح ، وقتل اليهود غدرا المندوب العربي المفوض لابلاغهم الشروط ، فلم يعد هناك متسع لقبول الاستسلام .

وعند السادسة مساء كان قتلى اليهود يبلغون المائة والعشرين بينهم عدد كبير من رجالهم المهمين ، ولم ينج من القافلة الا ثمانية اشخاص حماهم البريطانيون الذين خسروا هم ايضا ستة بين قتيل وجريح ، وكانت خسارة الفلسطينيين يومها اثني عشر شهيدا بينهم صحفي معروف (٦٠) ، كما كان بين الجرحى قائد المجموعة العربية عادل النجار ، فتولى بعده القيادة عادل عبد اللطيف واستشهد مناضلان آخران بينما كانا يحملان لغماً انفجر أثر رصاصة بريطانية (٦١) .

ان هذه المعركة التي حدثت في ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ تعطينا أكثر من معنى واقوى من الاثبات ، ان الفلسطينيين لم يهنوا ولم يضعفوا برغم

---

(٦٠) هو الشهيد المرحوم شكري قطينة .

(٦١) جريدة الاهرام ١٤ من ابريل ١٩٤٨ .

خسائرهم وبرغم متاعبهم وبرغم استمرار قتالهم منذ بدء الحوادث بعد قرار التقسيم في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) وطوال خمسة شهور .

وتعطينا أيضا أن العرب يستطيعون محاربة اليهود والانجليز معا ، اذا ما توافر لديهم السلاح (وكانوا قد تزودوا ببعضه من المعسكرات الانجليزية المهاجمة) وان العرب وهم المشاة لا سيارات معهم استطاعوا أن يهزموا اليهود وهم محصنون في سياراتهم ترعاهم المصفحات ، وتوضح هذه المعركة ايضا أن المقاومة العربية لم تذب وتخمد بعد مقتل القائد الحسيني ، ولكن رسالته استمرت واخوانه سدوا الفراغ . وتعطينا ايضا ان اليهود الذين هاجموا قبل ثلاثة ايام قرية دير ياسين العربية ومثّلوا بسكانها مما سنعرضه في مكان آخر لم يستطيعوا أن يبثوا الرعب والخوف في نفوس العرب برغم فظائعهم في سكان تلك القرية فظائع يندى لها جبين الانسانية .

وبعد كل هذا ، وقبل كل هذا ، ان الفلسطينيين استمروا يصلون المعارك ويفزعون لها ، ويتنادون اليها من قراهم واحيائهم ، حتى بعد دخول جيش الانقاذ العربي الذي تؤيده سبع دول ، وتقف وراءه سبع ميزانيات ، بل تثبت لنا ان الانجليز الذين خفوا لنجدة اليهود مسرعين لم يسرعوا حين كان اليهود يهاجمون قبل ثلاثة أيام بمصفحاتهم ورجالهم وقوتهم قرية دير ياسين الآمنة الصغيرة فحطموها وقتلوا رجالها ونساءها .

على انه من المضحك ان نجد ان الدكتور « ماكنس » رئيس الجامعة العبرية يكتب الى الجنرال ماكميلان القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين يلومه لان الجيش البريطاني لم يسرع لنجدة القافلة ، وانه جاء متأخرا ،

ولسنا نعرف حقا يبيح لرئيس الجامعة العبرية أن يلوم ، الا ان يكون لوم الحليف لحليفه الذي يريد أن ينسب اليه أسباب الهزيمة .

وكانت هناك معركة أخرى تدور على طريق الجسر المؤدي الى مستعمرة صهيونية ضاع فيها عدد من اليهود ، وتدور ايضا معركة مع مستعمرة الخضيرة التي نسف قربها القطار ، ومعركة أخرى مع قافلة تقصد مستعمرتي زراعين وجبرين .

وتتعدد المعارك والاشتباكات حتى لا يهدأ مكان ولا تستقر جهة .

ونعود من جديد لنذكر أن الباحث المنصف لا يستطيع الا تقديم الاسف

والالم ، وهو يرى شعبا شجاعا مقداما يعوزه السلاح وتنقصه المعدات .

واذا كانت هذه الاحداث التي رويناها في ايجاز واضطررنا الى حذف الكثير منها لتشابه حوادث ايامها تشابها فرضته مواصلة الجهاد ، وهي لا تكفي للاحاطة بكامل الوضع في ذلك التاريخ الخطير ، فاننا نورد فيما يلي شيئا من أحداث اخرى تلاحقت واخذت صورة المعارك الكبرى ، وثبت فيها الفلسطينيون ثبات الابطال برغم قلة السلاح قلة تبدو واضحة في مثل معركة الصبيح (٦٢) ، اذ حدث ان اصطدم ثمانية من ابناء عشيرة الصبيح (٦٣) بفئة من اليهود قوامها عشرون مسلحا ، وارتد اليهود تاركين وراءهم سبعة قتلى ، وطلب اليهود النجدة من قيادة الهاجانا فأنجدتهم هذه بعدد كبير من ابناء المستعمرات ، وتنادى العرب للقتال ، وجاءتهم النجدات من قرى الشجرة وكفركنا والناصرة (٦٤) ، وعند الظهر كان عدد المنجدين قد بلغ التسعين مسلحا ومعهم مدفع رشاش واحد من طراز برن ، فخندق الجميع حول المستعمرة اليهودية بشكل هلال ، واستطاعوا السيطرة على السهل والوادي القريب منه ، وكان البرد شديدا ، وكانت الامطار تنهمر بغزارة ، واستعمل اليهود مدافع المورتر والرشاشات لمدة ساعتين ، ثم خرجوا من المستعمرة وراحوا يزحفون في اتجاهين ، فريق مكون من تسعين مقاتلا اتجه قاصدا عبور الوادي وفريق اتجه صوب التل الذي وقعت عليه معركة الفجر ، مستعملين الحراثات لنقلهم بسبب الامطار والاوحال ، وكانت تلك الحراثات تجر وراءها السيارات المصفحة ، وصمد المجاهدون ساكنين الى ان اقترب اليهود ، وترجلوا ، فأطلق المجاهدون عليهم نارا حامية أصابتهم بهزيمة صاعقة ، حتى ان الحراثات لم تعد تكفي لنقل جرحاهم ، ولاحقهم المجاهدون الذين لم يستطيعوا اقتحام المستعمرة المحصنة تحصينا قويا ، ولم تكن بنادقهم قادرة على حصونها، بل ان قائد هذه الجماعة العربية صرح بأنهم عندما احصوا ما تبقى من عتاد لم يكن بيد الواحد منهم سوى عشر طلقات ، وقد توسط الصليب الاحمر في نقل القتلى فكانوا عشرين قتيلا وعشرين جريحا .

وانه ليبدو واضحا كيف كان ممكنا صمود الفلسطينيين في بلادهم وديارهم ضد اليهود والانتصار عليهم ، لو مكّنوا من السلاح الكافي المفيد ، فان معركة الصبيح هذه التي استشهدنا بها لم تسفر عن هزيمة العرب ،

---

(٦٢) حدثت هذه المعركة في الثالث من يناير ١٩٤٨ .
(٦٣) كان يقودهم احد ابناء القبيلة المسمى علي النمر
(٦٤) كان يقود النجدات عبد القادر الفاهوم .

على الرغم من انهم كانوا مسلحين بالبنادق وحدها ، وكان العدو يملك مدافع المورتر والرشاشات والسيارات المصفحة .

واذا كان شهداء العرب ليسوا كثيرين في هذه المعارك ، فان المنهزم عادة يدفع اكثر ارواحا ، وكان العرب منتصرين ، ولكن اليهود استطاعوا مواصلة الارهاب وانزال خسائر كبيرة بالعرب عامدين الى نشر الذعر وبث روح الفوضى والشعور بالالام .

معركة ظهر الحجة :

اقتربت مجموعة من اليهود من قرية صوريف العربية وكانت المجموعة قادمة لنجدة اخوانهم في مستعمرة كفار عصيون ، فخرج لهم سكان القرية وراحوا يطاردونهم حتى ارغموهم على ان يحتموا بجبل يدعى «ظهر الحجة» وكانت النجدة اليهودية مسلحة بأسلحة أوتوماتيكية وجهاز لاسلكي ، ولكن المناضلين العرب الذين لم يكن سلاحهم الا البنادق الاعتيادية استطاعوا أن يبيدوهم عن آخرهم ، وكانوا اربعين مقاتلا بينهم العديد من شباب الجامعة العبرية ، وقد اعترفت احدى الجرائد اليهودية باسماء خمسة وثلاثين قتيلا منهم (٦٥) .

وجاءت في اليوم التالي قافلة يهودية لنقل الجثث ، فدارت معها معركة دامت سبع ساعات ، وخلفت وراءها ثلاثة وعشرين قتيلا ، واستشهد من العرب سبعة مجاهدين .

معركة كفركنا :

وتسير بنا الاحداث متوالية ، فتقع معركة كفركنا حيث هاجم اليهود القرية بغية الاستيلاء عليها ، ولكن المناضلين صدّوهم ولحقوا بهم حتى وصلوا الى كرم الزيتون التابع لمستعمرة الشجرة .

معركة عين ماهل :

هاجم اليهود معسكر المناضلين العرب ومهدوا لهجومهم بقنابل المورتر ، وكانوا زهاء ستين يقابلهم خمسة عشر عربيا مسلحا ، وصد اليهود برغم سلاحهم القوي وعددهم الكثير ، واستولى العرب على قطيع من البقر قوامه أربعون بقرة حلوبا ، بعد أن قتلوا حراسها الخمسة ، وتصدى لهم

---

(٦٥) جريدة جيروساليم بوست ، العدد ٧٤٦٦ الصادر في ١٩ من يناير ١٩٤٨ .

اليهود محاولين استرداد بقرهم ، فقامت معركة خسر فيها اليهود أربعة من القتلى ، وبينما كان المناضلون يكمنون لقافلة يهودية قادمة من طبريا اذ جاءت خمس مصفحات بريطانية تحرس تلك القافلة ، وتحلق عليها طائرتان من طائرات الجيش البريطاني ، وطوقوا المناضلين العرب الذين أحسنوا الانسحاب قبل أن يلحق بهم الجنود (٦٦) ،وكان المناضلون قد نصبوا لغما لتلك القافلة ، ونسف المجاهدون جسر الشراء فاضطر ركاب سيارات يهودية تحمل عددا من المسلحين للهبوط ارضا بسبب نسف الجسر، فهاجمهم المناضلون وقتلوهم وكسبوا سلاحهم ، ويلحق بذلك نسف أربعة خزانات كهربية من جسر المجامع بحيث عاشت مستعمرات اليهود بمرج ابن عامر في ظلام دامس .

ويثبت مؤرخ (٦٧) عربي رافق الاحداث يوما بيوم أن الخسائر كانت الى ١٧ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٨ كما يلي :

١٠٥٠ عربيا
٧٥٠ يهوديا
١٠٣ انجليزيا

معركة الماصيون :

كانت جماعة من اليهود يرابطون في الطريق لاعتراض السيارات العربية، وفي احدى محاولاتهم اعترضهم العرب حينما كانوا يصعدون تل الماصيون بمنطقة رام الله ، وكان بين المجاهدين العرب عدد من المثقفين (٦٨) ، ودارت المعركة وانتصر العرب وقتل أحد عشر يهوديا ، ورفع ستة أيديهم رامين سلاحهم معلنين استسلامهم ، وحينما تقدم العرب لتسلمهم رماهم أحد اليهود بقنبلة يدوية فسلط العرب رصاصهم عليهم وأبادوهم .

معركة شعفاط :

وتلك معركة شعفاط حيث هاجم المناضلون الفلسطينيون (٦٩)قافلة

---

(٦٦) كانت هذه المعركة في ٢٣ من يناير ١٩٤٨ .

(٦٧) نعني به الاستاذ عارف العارف صاحب كتاب النكبة والفردوس المفقود من سبعة اجزاء .

(٦٨) كان بينهم الدكتور خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام الله ، ولبيب حشمة رئيس الكشاف العربي بها وعبد الحليم عبد الصمد الشيخ الذي بلغ السبعين من عمره ، وعبد الرؤوف اسماعيل الذي كان يدير شركة السيارات الوطنية بتلك المنطقة .

(٦٩) كانت في ٢٤ من مارس ١٩٤٨ .

يهودية كانت تموّن بعض المستعمرات ، وحطّموا المصفحتين اللتين ترعيان القافلة ، وقضوا على حياة أربعة عشر يهوديا من رجال القافلة وجرحوا آخرين ، واستولوا على أسلحة كثيرة ، ولولا تدخل الجنرال ماكميلان قائد القوات البريطانية في فلسطين لما توقفت المعركة ، ولقضى العرب على جميع رجالها ، وكانت هذه القافلة نفسها قد أطلقت نارها على قرية شعفاط العربية فقتلت تسعة رجال وفتاة .

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه المناضلون الفلسطينيون يخوضون المعركة ضد المصفحات اليهودية عند شعفاط ، كان أخوانهم الاخرون يرابطون على طريق القدس – يافا ، وما أن مرت القافلة اليهودية الاخرى المؤلفة من ١٣ سيارة حتى حطموها جميعها .

معركة الدهيشة :

ولم يمر يومان على معركة القافلة المقدسية ، حتى نشبت معركة كبرى اثبت فيها الفلسطينيون وجودهم بحق وصدق ، تلك هي معركة الدهيشة (٧٠) ، حيث اصطدم مائتا مجاهد من ابناء فلسطين المنخرطين في فرق الجهاد المقدس مع قافلة يهودية قوامها مائتان وخمسون رجلا من رجال جيش الهاجانا اليهودي كانوا يركبون أربعا وخمسين سيارة محروسة بأربع مصفحات عسكرية ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة قبيل شروق شمس ذلك اليوم ، وأنفجرت الالغام العربية المبثوثة في طريق القافلة فقتل وجرح العديد من اليهود ، وأحاط المجاهدون برجال القافلة من جميع الجهات واستمر القتال بقوة وبعنف النهار بطوله وتبعه الليل أيضا .

وأشتركت الطائرات اليهودية في المعركة فحلقت أربع منها تحاول امداد المحصورين بالمؤن والعتاد ، ولكنها فشلت واسقطت واحدة منها ، وحين أدرك اليهود انهم مغلوبون استنجدوا بالوكالة اليهودية التي استنجدت بالجيش البريطاني ، وجاء الجيش البريطاني مزودا بالمدافع ، يحاول فك حصار اليهود ، ولكن العرب كانوا قد تجمعوا من القرى المجاورة كلّ بما يملك من سلاح ، فقابلوا الجيش البريطاني برصاصهم ، وأنذروه بأن الالغام مبثوثة في طريقه ، وحذروه ان يتقدم معلنين انهم على استعداد لقتاله ، وتراجع الجيش البريطاني ، ولم يتقدم خطوة واحدة ، وأستنجد اليهود من جديد بوكالتهم ، وبالحكومة التي راحت تستنجد بكبار العرب وتفاوضهم كما تفاوض الهيئة العربية العليا طالبة فك حصار اليهود ، وأمام اصرار

---

(٧٠) كانت في ٢٧ من مارس ١٩٤٨ .

العرب القى اليهود سلاحهم بعد حصار دام ٣٦ ساعة متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثماني سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين ، وأربعين بندقية من طراز برن ومائة قنبلة انجليزية والمانية وقنابل ومسدسات كثيرة وطنا ونصف طن من ملح البارود والمتفجرات ، ومقادير كبيرة من الامتعة والذخائر ، وتسلمت الحكومة ١٥٩ يهوديا بينهم ٢٤ قتيلا .

١٢ – تأرجح أمريكا بين مشروع الوصاية وقرار التقسيم :

كان الموقف العربي من القوة والعزم بحيث مرّت أحداثه منذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ وكلها أحداث بطولية عربية مصممة ، وقد رأينا أنباء الانتصارات في المعارك العديدة ، وعجز اليهود عن كسب أي نصر في معاركهم مع العرب .

وكانت القدس الجديدة محاصرة بقوات الفلسطينيين المجاهدين يمنعون الماء والغذاء وكانت عزائم اليهود فيها تسير الى الضعف والانهيار ، حتى قامت مظاهراتهم بداخلها يطلبون وقف القتال ، وحتى اضطروا الى توزيع المياه بالبطاقات ، وضاقت بهم الحياة وتجرعوا مرارة الحصار ، كان كل ذلك يجري وليس في الميدان الا شعب فلسطين وقلة مخلصة من المتطوعين العرب الذين تدفعهم العقيدة الاسلامية فأسرعوا الى الميدان يحاربون ويشاركون .

وتجاوبت شكاوى الصهيونية العالمية مع يهود القدس المحاصرين ، الذين انقطعت صلتهم بالعالم وبتل أبيب ، فتقدمت جموع اليهود الى مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية طالبة العون والتدخل لانقاذهم من الهلاك .

وتغير موقف امريكا التي طالما نادت بالتقسيم ، والتي اختارت وفدها في لجنة التحقيق ليكون صهيونيا أولا ثم دوليا ثانيا ، والتي عملت على التهويد السريع ذلك الذي لم يستطعه اليهود في ثلاثين عاما ، تغير موقفها أمام صلابة وتصميم شعب فلسطين ، وفي ١٩ مارس (آذار) ١٩٤٨ تقدم مندوبها في مجلس الامن السناتور « اوستن » ليعلن أن الولايات المتحدة لم تعد متمسكة بالتقسيم ، وانها تطالب بوضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . ولكن هذا الاعلان الذي أيدته بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول التي نادت بالتقسيم لم يعش طويلا ، ذلك لان الصهيونية نادت ببطلانه ، وصرح وايزمان لاولئك الذين الحوا عليه بترك التقسيم :

« ان قوة العرب خرافة ، وان التراجع عن التقسيم سابقة خطيرة للهيئة ، وان نتائج العدول عنه أخطر من اقراره ، هيئوا لليهود نصف فرصة لينسفوا اسطورة العرب المسيطرة على العقول في الغرب (٧١) » .

وسرعان ما تغير موقف الامريكان والانجليز وغيرهم ، سرعان ما تغير موقفهم جميعا .

تمسك « ترومان » من جديد بالتقسيم ، وفتح ميناء تل أبيب يستقبل السفن الملأى بالسلاح الثقيل وبالذخائر ، وواصلت بريطانيا مهمتها التي بدأتها منذ انتدابها في تسليح اليهود وتدريبهم ، وهي التي بالامس استغلت ضعف الدول العربية فأعترضت على تدريب الفلسطينيين بسوريا، **ها هي ذي تصمت عن السلاح ينزل ثقيلا ومتنوعا لليهود بتل أبيب لتقوى** به جيوشهم ، بل انها تسلم اليهود في فلسطين في اواخر مارس (آذار) كميات كبيرة من سياراتهاالمصفحة والسلاح والعتاد والدبابات من معسكراتها في وادي الصوار وراس العين وصرفند وغيرها (٧٢) ، وتعدد وصول السلاح لليهود من تشيكوسلوفاكيا في الكتلة الشرقية ومن أمريكا ومن كل مكان في العالم الغربي المتعصب الاعمى ، وتوافد على فلسطين عديد من الضباط الامريكيين والبولونيين والتشيكيين والروس مأجورين لليهود ومتطوعين معهم .

وبقي عرب فلسطين في ميدانهم الكبير يجالدون اليهودية العالمية والاستعمارية الصليبية .

١٣ ــ متاعب الفلسطينيين في الحصول على الأسلحة :

على الرغم من القيود التي كانت مفروضة على العرب لمنعهم من حيازة السلاح ، رأيناهم يقاتلون كل يوم وفي كل مكان قتالا تعددت أساليبه واختلفت صوره ذلك انهم قد استطاعوا بصدق وطنيتهم الحصول على السلاح من مصدرين :

اما الأول : فهو ما اشتراه الفلسطينيون انفسهم بالأموال التي جمعوها من داخل وطنهم وبالأموال التي وصلت الى الهيئة العربية العليا ، فمدت المقاتلين في حيفا ويافا والقدس وبقية الجبهات بما امكن الحصول عليه من سلاح وعتاد ومرتبات لمساعدة المقاتلين . وكان المصدر الثاني :

(٧١) مذكرات وايزمن باللغة الانجليزية ص ٥٧٩
(٧٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ٢٢٣

ما امكن الاستيلاء عليه من القطارات والمعسكرات البريطانية التي اخذ الفلسطينيون يهاجمونها بذلك السلاح القليل ، هجوما يغلب التصميم فيه كل مقاومة ، حتى امكن في كثير من المرات الاستيلاء على كميات طيبة ومفيدة ، ولاثبات ذلك يحسن ان نرجع معا الى البرقيات التي نشرتها الأهرام في حينها عن هذا الموضوع ، اذ أعلن رسميا أن جماعة مسلحة من المجاهدين هاجمت مستودعات الشرطة في الرملة واستولت على ٤٠٠ بندقية وثلاثة مدافع من طراز برن وستة مدافع رشاشة من طراز ستن و ٦٠ الف طلقة ولكنها اضطرت الى التخلي عن سيارتين من السيارات المحملة بهذه الغنائم(٧٣) . وأذيع بلاغ رسمي آخر أن عددا من رجال جيش النجادة العربي هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين في منتصف ليلة ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ على طريق القدس ــ يافا واستولوا على ٣٠٠ بندقية و ٦ آلاف طلقة من الرصاص ، ثم علم أن العرب تمكنوا من وقف اربعة قطارات حديدية بين حيفا واللد وافرغوا شحناتها من المواد الغذائية والأسلحة وأعلن في تاريخ هذا الحادث نفسه انهم هاجموا مركزا للشرطة واستولوا منه على سبعين بندقية وثلاثة عشر مسدسا ومقادير من الذخيرة(٧٤) .

ثم اذيع رسميا أن العرب هاجموا قطار البضائع في شمال فلسطين واستولوا على ما فيه ، وحين فتحت جماعة أخرى عربات القطار في محطة الجدل في منتصف ليلة الرابع والعشرين ولم يجدوا ما يطلبون انسحبوا دون اخذ شيء ، ثم هاجم المجاهدون حراس انابيب المياه الرئيسية فنسفوا هذه الأنابيب ، واستولوا من الحراس على سبع بنادق والف رصاصة . وتمكنت جماعة عربية اخري ترتدي الملابس العسكرية من مهاجمة مخزن بريطاني للاسلحة في تل لتفنسكي ، واستولت على مائة بندقية بعد قتل جنديين بريطانيين وجرح اثنين آخرين(٧٥) . وكان المعسكر البريطاني بجنوب فلسطين هدفا لهجمات المجاهدين في سبيل الاستيلاء على السلاح حيث أذيع بلاغ رسمي بذلك خلال الشهر الأول من عام ١٩٤٨(٧٦) . ثم اتجهوا الى مركز شرطة عكا فهاجموه واستولوا على مقادير من الأسلحة والذخيرة(٧٧) . وصدر بلاغ رسمي من دار الانتداب يفيد ان جماعة من

(٧٣) جريدة الاهرام ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٧٤) جريدة الاهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٧٥) جريدة الاهرام اعداد ٢٤ و٢٦ و٣٠ ديسمبر ١٩٤٧
(٧٦) جريدة الاهرام العددان ٩ و١٢ من يناير ١٩٤٨
(٧٧) جريدة الاهرام العدد ٤ من مارس ١٩٤٨ .

العرب ترتدي ملابس كونستبلات الشرطة اغارت على مركز البوليس بالمدينة القديمة بالقدس واستولت على خمس وسبعين بندقية وبعض مدافع ستن(٧٨) .

وحين عجز العرب عن غنم ذخائر واسلحة حي ميكورحاييم تولوا نسفه واتلافه وكان هذا قبيل وصول الجيوش العربية .

على ان هذه الحوادث نوردها على سبيل المثال لا الحصر ، وكانت هذه الكميات من الأسلحة توزع على سكان المدن والقرى في مختلف انحاء فلسطين ، ليشارك الجميع في الدفاع وفي الهجوم ، وانه لا ريب عمل فدائي مهم برغم عدم كفاية الكميات وتناسبها مع المعركة والاستعداد المقابل.

١٤ ـ لجنة الجامعة وكفاح الفلسطينيين :

على ان هناك مصدرا ثالثا لا بد من ذكره ، وان كان ذكره لا بد ان يجرنا الى تحميله مسئولية كبيرة عندما وقف حائلا دون تسليح عرب فلسطين ، وآثر جيش المتطوعين عليهم ، ونعني بهذا المصدر اللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق .

ولقد أثبتنا قبلا تلك الكميات الصغيرة التي زودت بها اللجنة عرب فلسطين ، وكانت كمية لا تعدو الفا وستمائة قطعة وزعت بين حيفا وصفد وطبريا ويافا والقدس وبعض القرى في المنطقة الشمالية(٧٩) ، وكان قسم كبير منها بدون ذخيرة وقسم آخر لا يصلح للاستعمال .

والتاريخ لا يغفل ، انه حينما امكن توفير كميات من السلاح لشعب فلسطين ، اعترضت جهات رسمية عديدة في الدول العربية ، ووجهت المال والسلاح الى لجنة الجامعة ، وذلك محسن البرازي وزير الخارجية السورية يوضح في مذكراته التي نشرت بلبنان أوجها عديدة من طرق منع السلاح والمال عن الفلسطينيين ويقول : « عندما تبرع الشعب العربي في المملكة السعودية بنحو نصف مليون جنيه خلال أيام قليلة للمجاهدين الفلسطينيين عام ١٩٤٧ ، تدخل المسئولون العرب طالبين تحويل المبلغ الى الجامعة لا الى الهيئة العربية الفلسطينية التي الفتها الجامعة وتولت قيادة الجهاد في فلسطين ، وحين تقرر في الرياض أيضا مد المجاهدين الفلسطينيين بكميات من السلاح والذخائر بواسطة المفتي باعتباره رئيس

(٧٨) جريدة الاهرام العدد ٢ من مايو ١٩٤٨ .

(٧٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

الهيئة حوّل السلاح تحت الحاح المسئولين العرب الى اللجنة العسكرية بدمشق بدلا من ارساله الى المجاهدين .

بل ان البرازي ليذكر انه استقل طائرة لتبليغ رغبة المسئولين العرب حكام الرياض وكان لهم ما ارادوا .

ولما سلمت مصر جزءا من كميات السلاح التي تعهدت بها الى الهيئة العربية ، نقلت الى فلسطين بواسطة محافظ سيناء وبعض ضباط الحدود، أسرع احد اعضاء اللجنة العسكرية بالحضور الى القاهرة فتسلم بقية السلاح ونقله الى دمشق(٨٠) .

ان عرقلة تسليح فلسطين كانت في بعض الأحيان تأخذ صورة أوضح واعمق ، فقد تجمعت تبرعات لبنان واستطاع ابناؤه أن يشتروا من بلجيكا ٧٨٥ بندقية و ١٧٥ رشاشا ، وصلت في تكتم وحذر سالمة الى ميناء بيروت، وكان مقررا تسليمها الى القائدين العربيين عبدالقادر الحسيني(٨١) وحسن سلامة(٨٢) ، ويقول باحث عربي عاصر تلك الأحداث وسجلها في حينها : « وصلت هذه الكمية العظيمة من الأسلحة والذخائر قبل وقوع معركة القسطل ببضعة أيام ، وكانت مكدسة في عنابر اللجنة العسكرية عندما حضر عبد القادر الحسيني يستنجد باللجنة العسكرية ويطلب سلاحا .. وقابله طه الهاشمي بالرفض والصدود وعدم المبالاة ، ولو سلمت تلك الكمية أو بعضها للمجاهدين لكان في الاستطاعة تجنب الكارثة(٨٣) » .

على ان هذا الباحث(٨٤) يضيف الى قوله هذا ما يفيد أن مندوبي اللجان القومية والمدن والقرى المهددة بالاجتياح اليهودي كانت تهرع الى دمشق طالبة اسلحة وذخائر من مخازن اللجنة العسكرية المكدسة بها ، وانها كانت تعود فاشلة آسفة بعد أن تسمع من طه الهاشمي قارص القول والسخرية والازدراء . وكانت تلك الوفود موضع اللوم والتأنيب أن هي حاولت مراجعة الهاشمي في بيته أو نوادي دمشق الذي كان حريصا على المحافظة على مواعيده لزيارتها .

وانه لأمر محزن أن تمتنع لجنة الجامعة العسكرية عن امداد

(٨٠) طه الهاشمي ، جريدة الحارس العراقية ابريل (نيسان) ١٩٥٣ .

(٨١) استشهد هذا القائد في معركة القسطل .

(٨٢) استشهد هذا القائد في معركة رأس العين .

(٨٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٨٤) اميل الغوري عضو اللجنة العربية العليا .

الفلسطينيين بالسلاح ، والمعركة تلتهب نارها في القسطل ، لأنها على حسب تعبير طه الهاشمي « تحتاج الى السلاح لانشاء فوج جديد لجيش الانقاذ من الاسماعيليين(٨٥) » وانه لمنطق يشذ عن كل فهم ، أن يترك المحاربون الذين يحسون بآلام النكبة ويريقون دماءهم وسط أرضهم دون سلاح ، انتظارا لانشاء فوج لم يكوّن بعد ، ولعله لم يكوّن حتى الان .

وعلى الرغم من افتقار الفلسطينيين الى السلاح وعدم تدريبهم تدريبا كافيا ، حافظوا على عديد من مواقعهم ولم يستطع اليهود اجلاءهم عنها ولا احتلال أراضيهم الا بعد أن تم اقصاء شعب فلسطين عن ميادين القتال ، وتولت الامر دول الجامعة العربية السبع ، ولنضرب لذلك مثلا :

كانت المعارك في القدس تشتعل ليل نهار ، وكان اليهود الذين تمركزوا في أجزاء القدس الجديدة يحاولون أن يكتسحوا العرب من كل المدينة المقدسة القديمة والجديدة ، ولكن العرب صمدوا امام هجمات الهاجانا وزفاي ليومي ، بل انهم أحكموا الحصار على الحي اليهودي في المدينة القديمة منذ الرابع من فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، فعاش اليهود في عزلة مريرة على الرغم من أن الجيش البريطاني كان يمدهم بالخضروات ومواد التموين . وكان القتال متواصلا بين اليهود المحاصرين وبين العرب ، وكان كل فريق يفقد عددا من رجاله يوميا بين قتيل وجريح ، ووسط هذا الحصار كانت قوات الهاجانا تهاجم العرب وتحاول فك الحصار فلا تفلح ، واستمر هذا الحصار أكثر من ثلاثة شهور حتى احتلها العرب مما سنفصله في صفحات لاحقة .

وكان حي المصرارة في القدس حيا عربيا كثيف السكان ، وتلقى من اليهود ضربات مبرحة يرمونه بقنابلهم ويصطادون سكانه برصاصهم ، وحين هزم اليهود في معركة الدهيشة أنزلوا جام غضبهم عليه وبلغ مجموع ما رموا به الحي في يوم واحد قرابة العشرين قنبلة ، فهدموا بعض أجزائه وقتلوا ستة من العرب وجرحوا أربعين آخرين ، ولكن العرب ركزوا على الحي اليهودي الذي اتخذه اليهود منطلقا وهو حي مياشوريم فدكوه بقنابل المورتر حتى أحدثوا به خسائر كبيرة ، وأعلنت صحفهم أن مائة وخمسة وثمانين يهوديا قتلوا في ذلك القذف العربي ، بل ان الآلاف من سكانه هجروه والتجأوا الى غيره من أحياء اليهود ، وهنا تقدم المجاهدون الفلسطينيون يحاولون احتلاله ولكن الانجليز حالوا دون ذلك ، فقد تصدت

---

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

لهم قوة منهم وأطلقت رصاصها على المناضلين العرب فجرحت منهم عددا كبيرا .

واستمر الترامي بين الفريقين دون هوادة ، الا خلال هدنة قصيرة فرضها الانجليز في شهر مارس (آذار) حيث استأنف اليهود ضرب حي المصرارة في أواخره ، وفقد العرب كثيرا من الشيوخ والنساء والأطفال فيه ، حتى كان اليوم الرابع عشر من مايو (أيار) ١٩٤٨ حين رحل الانجليز عن القدس ، فتقدم اليهود واحتلوا المستشفى الايطالي الذي يكوّن نقطة استراتيجية مهمة بالنسبة للأحياء العربية ، وهاجم العرب اليهود يريدون اخراجهم من المستشفى ، واستمرت المعركة سبع ساعات ، وكان قوامها خمسة وستين شابا فلسطينيا يشاركهم خمسة وستون متطوعا من جيش الانقاذ ، وكان هناك عشرة من شباب فلسطين لم يجدوا سلاحا ، فخصصوا لنقل القتلى والجرحى ، ومضى اليوم الرابع عشر ولم يستطع اليهود زحزحة العرب من مواقعهم ، وفي اليوم الخامس عشر من مايو (أيار) استعمل اليهود مكبرات الصوت طالبين الى العرب الانسحاب من الحي ، ولم يستجب العرب لنداء اليهود ، ولكنهم كانوا على استعداد لأن تستمر مقاومتهم لولا أن آمر الحامية العراقي المدعو فاضل رشيد وهو المسئول أمام اللجنة العسكرية للجامعة أصدر أمره بوجوب الانسحاب ، ووسط المفاجأة نفذ المناضلون أمر القائد ، ومرت ساعة على الانسحاب ، وعادت الى النفوس خواطرها المفكرة ، فكرّ المناضلون (٨٦) ، ودارت من جديد معركة جديدة شديدة ، وانهار اليهود ، وانسحبوا بعد قتال دام ثلاث ساعات ، وفي الخامسة مساء كان العرب قد حرروا الحي كله . وحرروا مدرسة الأسوج والنوتردام ، وفكوا حصارا يهوديا كان قد ضرب على عشرين من جيش الانقاذ فاجأهم اليهود في فندق رغدان (٨٧) .

كان اليوم الخامس عشر من مايو (أيار) هو الموعد المضروب لانتهاء الانتداب البريطاني في فلسطين ، وكان بالتالي هو اليوم المحدد لدخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وحين كر الأبطال المجاهدون على اليهود كان الأمل يملأ نفوسهم جميعا أن الجيوش العربية قادمة ، والجيش العربي الأردني بالذات سوف يصل قبل غروب شمس ذلك اليوم ، وبذلك سوف تتوافر لديهم الذخائر وسوف يواصلون ضرب اليهود وطردهم من كل الأحياء بل من القدس الجديدة كلها .

---

(٨٦) كان قائدهم المجاهد الفلسطيني بهجت ابو غربية .

(٨٧) ص ١٤٦ – ١٤٧ . المفصل في تاريخ القدس .

ولكن اليوم المنتظر ذهب وذاب ، والجيش العربي يعسكر بعيدا لم يتحرك بعد لتنفيذ الواجب المقدس في فلسطين ، وبانتهاء ذلك اليوم كانت الذخيرة قد نفدت من المناضلين الفلسطينيين في القدس فلم يستطيعوا تقدما خلف اليهود المنهزمين .

وعندما انتصف الليل ١٦/١٥ مايو (أيار) ولم يبدأ العرب(٨٨) زحفا في المنطقة أيقن اليهود ان خصمهم ضعيف الحيلة ، فكرّوا من جديد واحتلوا ما خسروه نهارا .

ان سكان العالم العربي كانوا يغطون في نوم عميق ليلة ١٦/١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ بعد أن استمعوا الى اذاعات العواصم العربية تعلن بدء زحف جيوشها ، ولكن أولئك المناضلين في القدس لم يغمض لهم جفن ولم يناموا ، بل كانوا يبحثون عن السلاح في كل جانب ، وكانوا يستعدون في محاولة أخيرة لاسترداد ما غنمه اليهود ليلا ، وفي صباح يوم ١٦ مايو (أيار) خاض المناضلون معركة في هجوم قوي شنوه في استماتة وتصميم ، واستمرت المعركة حتى الواحدة ظهرا ، حيث طرد اليهود من الحي للمرة الثالثة ، وزحف المجاهدون حتى أبواب الحي اليهودي « مياشوريم » ، وعاد اليهود فهاجموا هذا الحي في ١٧ مايو (أيار) وانسحبوا مسرعين بعد أن نسفوا بعض عماراته ،واستمر الحي عربيا يحميه أبناء فلسطين ، ولم يضع الا في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ ، وضاع من يد جيش رسمي مدرب، هو الجيش العربي الاردني ، وكان الفلسطينيون قد نفد عتادهم وحيل بينهم وبين القتال .

يصور هذا الكفاح المستمر استمساك شعب فلسطين بوطنه ، وقدرته على رد الأعداء ، ويقرب لنا الصورة التي نحتاج لرؤيتها عن تلك الأحداث المهمة خلال عام ١٩٤٨ ولا سيما احتياج أهل فلسطين الى السلاح ، احتياجا ظهر بوضوح في معظم المعارك التي خاضوها واحتياجا اضطرهم لأن يقف رجالهم بدون سلاح ، حتى اذا ادى احدهم واجبه سلم سلاحه لغيره ، بحيث كانت القطعة الواحدة تدور بين عديد من الأفراد ، لقد كانت حامية القدس لا تزيد في مختلف أرجاء المدينة عن ٥٨٦ مقاتلا ، بينهم ١٣٥ من جيش الانقاذ والباقي من العرب الفلسطينيين موزعين بين

(٨٨) عبدالله التل : كارثة فلسطين ، ص ١٠٠ .

جهات المدينة(٨٩) ، وكانوا يصلون أحيانا الى ٧٥٠ مقاتلا ، ولكن الكثير منهم بقي بلا سلاح حتى يسلمه أحد المناضلين سلاحه ليأخذ قسطه من الراحة(٩٠) .

على أن لقاء تم بين اللواء طه الهاشمي باشا القائد العام لجيش الانقاذ ، وقنصلي مصر وسوريا في القدس ، وكان ذلك في ابريل (نيسان) من عام ١٩٤٨ حيث لاماه على قلة السلاح والعتاد ، فأجاب ان اللجنة لا تملك مالا ولا سلاحا ، وان أكثر الدول العربية لم تف بوعدها ، ولا سيما حكومة مصر ، وأن السلاح الذي قدمته لا يصلح ، وتأثر قنصل مصر لهذا الخبر وقال « لماذا خدعت هذه الدول عرب فلسطين ؟ » .

على أن الحديث عن ضآلة التسليح ، واللجنة العسكرية التي عينتها الجامعة العربية لتقود حركة الجهاد ، وتدفع عن الوطن العربي كارثة الصهيونية في فلسطين ، هذا الحديث يجرنا الى الحديث عن عون الانجليز لليهود وارهابهم للعرب حتى الف العرب فرقة التدمير واستشهد قائدهم في معركة القسطل تلك الفاجعة التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني البطل العربي الذي سيخلد في سجل الايمان والوطن .

(٨٩) كانت هذه الجهات هي الروضة والقطمون والشيخ جراح ، وادي الجوز ، البلدة القديمة ، البقعة ، الشماعة ، ماملا ، عمارة الاوقاف ، ودار الهيئة العربية العليا ، وحي النوري ، والمصرارة وباب الزاوية .

(٩٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٥٠ .

بطولة .. برغم المحنة

« هيا نرجع الى فلسطين كي نستشهد أو ننتصر على الأعداء ولنذكر قوله تعالى : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

الشهيد عبد القادر الحسيني وهو في الطريق الى القسطل
حيث استشهد في ابريل ١٩٤٨

« أنه ليستحيل علينا أن ننقذ غرناطة ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا وانتقاما لمصائب غرناطة ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .

الشهيد موسى بن ابي غسان فارس غرناطة بالاندلس
عام ١٤٩١ م

« لقد فشل هجومنا الأول ولم تستطع وحداتنا اختراق تحصينات العدو ، وانسحبنا عن الأرض التي خضبناها بدمائنا وكانت هجمات العرب عنيفة بحيث تداعت وحداتنا تحت وطأتها ، ثم كررنا على العدو ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الأولى ، لقد هاجمنا يافا خمس مرات في يومين وردنا على اعقابنا وبلغ من صلابة حماة يافا ان فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا الأمر بالانسحاب ولكن الهاجاناه خالفتنا وبقيت تحارب » .

مناحم بيغن يتحدث عن دفاع عرب يافا عن مدينتهم ١٩٤٨

« يا عرب حيفا انني لن أكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط الاستسلام لليهود قبل السادسة مساء » .

الجنرال البريطاني قائد حامية حيفا يخاطب سكانها
لقد ردوا عليه بكلمة التاريخ .. لن نسلم مدينتنا

ولا يبني الممالك كالضحايا ... ولا يدني الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق

شوقي

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .

قرآن كريم

الفصل التاسع

الحرب بين عرب فلسطين واليهود

١ ـ مساندة الانجليز لليهود في المعارك :

كان من الواضح أنه منذ صدور قرار التقسيم والقتال يسود مختلف المناطق في فلسطين ، وكان قتالا بين عرب فلسطين الذين يعوزهم السلاح الكافي ، وبين جيوش يهودية منظمة مدربة مسلحة ، وكانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث كما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانجلو ـ امريكية لسنة ١٩٤٦ (١) الهاجانا : وكانت بريطانيا تعترف بهذه كحرس للمستعمرات اليهودية ، واصبحت تبعا لذلك جيشا يهوديا مدربا ، وكانت هي القوة الحربية الرئيسية والرسمية لدى اليهود في فلسطين وتضم ٦٢ الفا من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الاسلحة ، وكانت تخضع لقيادة واحدة ولها ثلاثة أقسام هي :

أ ـ سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ الف مسلح .

ب ـ شرطة المستعمرات وتضم ١٦ الف شخص مدرب ومسلح ومتفرغ .

ج ـ البالماخ او فرقة الصاعقة وتضم ستة الاف مقاتل مدربين في فن الحرب الحديثة ومزودين بالمدفعية الخفيفة وبوسائل النقل المصفحة السريعة .

عصابة شترن : وهي من المنظمات الارهابية وتضم ثلاثمائة ارهابي مدرب ومسلح ومزود بجميع وسائل النقل .

عصابة الارغون زفاي ليومي : الارهابية التي اشتهرت بأعمال ارهابية خطيرة وتضم في حالة الطوارىء ستة الاف شخص مدرب ومسلح .

هذا بالاضافة الى قوة الشرطة اليهودية المركزية التي كانت تخضع

(١) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٢٤ .

للادارة البريطانية وعددها حوالي الف شخص مدرب ومسلح (٢) .

وكان مجموع المحاربين من اليهود عند صدور قرار التقسيم لا يقل عن سبعين الف مقاتل ، وفي هذه الصورة سرى القتال من شارع الى شارع ومن حي الى حي ، وفي اغلب المرات التي اشتعلت فيها النار بين الفريقين ، كتب النصر للعرب الذين كانوا يؤمنون بحقهم ويستميتون دونه ، ولكن سرعان ما تخف دبابات الانجليز وطائراتهم لتحمي اليهود ، وتبعد العرب وتنزل بهم ضربات اليمة ، وفي اهدا لحظات تدخلها كانت تعمد الى خديعة العرب والغدر بهم . ولنسجل بعض تلك الاحداث :

في حي المونتفيوري :

تجمع المجاهدون الفلسطينيون وهاجموا الحي اليهودي المشهور في القدس « المونتفيوري » واحتلوا جزءا من هذا الحي ، ولاقوا من اليهود مقاومة شديدة اشتركت فيها نجدات عديدة من الطرفين ، وعندما تمكن المجاهدون من نسف بعض المنازل اليهودية فيه ، تقدم القائد البريطاني منذرا المجاهدين بالانسحاب خلال نصف ساعة والا استعمل القوة ضدهم لاخراجهم ولم يكن بمقدور عرب فلسطين الا ان ينسحبوا (٣) وهؤلاء الانجليز انفسهم هم الذين لم يتدخلوا عندما كان اليهود في اوائل ذلك الشهر ينسفون قسما من حي الشماعة العربي .

واحس المجاهدون بالحسرة والالم أن يحرموا من نصر كادوا يحققونه، وأن ترغمهم القوات البريطانية على الانسحاب حامية الفلول اليهودية ، والواقع ان الانجليز لم يكونوا مكتفين بارجاع العرب عن اتمام انتصارهم ، ولكنهم في عديد من المرات كانوا يقاتلون الى جانب اليهود بمصفحاتهم ورجالهم ، وكان شعب فلسطين يتنادى للقتال فتسري نداءاته الى مختلف قراه ، فيسرع للجهاد لا يربكه ولا يثنيه الا قلة السلاح .

ولنقرأ معا ما سطره المؤرخ العربي عارف العارف عن معركة بيت سوريك الذي كان شاهد عيان لها :

في معركة بيت سوريك :

فيما كانت رحى المعركة دائرة في مكان قريب من مستعمرة الخمس ،

(٢) تقرير لجنة التحقيق الانجلو – امريكية ص ٣٩ – ٤١ .
وانظر ايضا : تقرير حكومة الانتداب لسنة ١٩٤٦ ج ٢ ص ٥٩٢ .
(٣) كان هذا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٨ .

وكان قوام العرب خمسة وخمسين بينهم القائد عبد القادر الحسيني وابراهيم أبو دية وعزمي الجاعوني وفوزي القطب وكامل عريقات ، راح رجال الصاعقة اليهود المعروفون بالبالماخ يهاجمون قرية بيت سوريك ، وكان معهم أربعة مدافع رشاشة واثنان من طراز برن وآخران من طراز ستن ، واكد لي من أثق بحديثه من رجال الجهاد المقدس الذين اشتركوا في هذه المعركة انه رأى بأم عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قوة الطيران البريطاني وهما تقاتلان في صفوف اليهود ، وقد أصلتا المناضلين نارا حامية من مدافعها الرشاشة ، وأحاطوا بالقرية والمجاهدين الذين فيها احاطة السوار بالمعصم .

وذاع الخبر أن عبد القادر وصحبه في خطر . وانتشر رسل القرية في القرى المجاورة يستنفرون القوم ويستصرخونهم للنجدة ، فلبى هؤلاء النداء ، وانسلوا الى الميدان من كل حدب ، وبلغ عدد المنجدين الذين خفوا للنجدة الفا وبلغت حماسة الناس الى درجة لا توصف ، فرأيت بأم عيني عندما كنت في سنجل وترمسعيا استنفر المناضلين لنجدة اخوانهم المحصورين فتى راح يتوسل الى ابيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب الى ميدان الوغى بدلا منه ، وأبى الشيخ في البدء الا ان يذهب هو ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده ، وسلمه بندقيته وقال أذهب يا بني ... وعين الله ترعاك .. وكذلك قل عن أخوين كادا يتضاربان اذ ود كل منهما أن يكون هو مع الذاهبين ، وما كانا ليختلفا لو كان معهما بندقيتان . واني لاقسم غير حانث انه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى والذين لم يجدوا دابة تحملهم أو سيارة تنقلهم ، وفي هؤلاء وامثالهم نزل قوله تعالى « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » . وقصارى القول ما كادت شمس ذلك اليوم تجنح الى المغيب حتى كان النصر معقودا للعرب فرفع الحصار ، وأرتد اليهود الى الوراء ، تاركين وراءهم اربعة وثلاثين قتيلا وتسعة وعشرين جريحا ولم يقتل من العرب سوى رجل واحد من بني صخر ، وجرح خمسة أحدهم القائد ابودية (٤) .

وما ان انتهت المعركة ، حتى قصد المجاهدون مستعمرة الخمس اليهودية معتزمين مهاجمتها ولكن رجال البوليس البريطاني ومعهم رجال من

(٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٩١ – ٩٢ .

البوليس اليهودي اشتبكوا مع العرب في معركة جديدة استطاعوا أن يردوهم الى بيت سوريك العربية ، وأن يحموا المستعمرة اليهودية ، وهكذا حال الانجليز بين المجاهدين واتمام نصرهم في معركة بيت سوريك ، كما حالوا قبلا بينهم وبين نسف فندق عدن اليهودي بشارع بن يهودا ، بل انهم أرجعوهم حين هاجموا حي المونتفيوري في القدس الجديدة ، ونصب الانجليز أنفسهم حماة لليهود بقوة السلاح ، بعد أن حموهم ثلاثين عاما بقوة القوانين والمشانق ، ولكن عرب فلسطين كانوا أباة ومكافحين ، انهم لا يميلون الى الارهاب ما لم يرغموا عليه ، وعندما لم يجدوا وسيلة غيره يردون بها على ارهاب اليهود عمدوا اليه ونفذوه .

في قرية بيت صفافا :

كانت قرية بيت صفافا هادئة آمنة ، وحسب تنظيم الفلسطينيين لانفسهم كان بعض رجالها وشبابها يتولى مهمة الدفاع عنها ، وهي قرية صغيرة يسكنها ألف وخمسمائة نسمة كلهم عرب مسلمون ، وتقع على تل ذي أهمية خاصة ، اذ يربط بين القدس ويافا وتل أبيب ، كما يربط بين القدس وبيت لحم والخليل (٥) .

هاجمها اليهود في أواخر عام ١٩٤٧ موزعين أنفسهم على جماعتين ، ولكن القرية الصغيرة ثبتت في وجه المهاجمين وردتهم على اعقابهم ، وأستمر القتال والثبات الى ان تدخلت بريطانيا ، حيث جاءت قوة بريطانية (٦) عسكرية الى القرية متظاهرة بأن قصدها الحيلولة بين المقاتلين .

وتقدم قائد السرية البريطانية الكولونيل هاربر ، فأكد لصاحب دار عربية كان قد أستولى عليها أنه لن يسلمها لاحد سواه وأنه لن يسمح لليهود بالمجيء الى ذلك المكان ، ولكن بينما كان العرب مطمئنين الى ذلك الوعد ، اذ غدر بهم ، فأخلاها سرا يوم ١٣ من فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، وتقدم لها اليهود فنسفوها ونسفوا غيرها من المنازل التي كانت تطل على مستعمرتهم (ميكور حاييم) واستطاعوا أن يتركزوا هناك في موقع استراتيجي ويواصلوا ضرب القرية. ودور المجاهدين حتى انهم رموا أكثر من سبعين قنبلة ، ولكن أهل القرية واصلوا الثبات والدفاع (٧) حتى قسمت نصفين بين اليهود والعرب في تسوية الهدنة المعروفة .

على أن تدخل الانجليز لم يقف عند قرية بيت صفافا ، ولم يكن تدخل ذلك الكولونيل هاربر وغدره بالعرب تدخلا أو غدرا فرديا ، بل كان

(٥) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٧٥ .
(٦) كان ذلك في السادس من فبراير (شباط) ١٩٤٨ .
(٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٦ .

ذلك صادرا عن سياسة بريطانية مبيتة تفصلها أحداثها في مختلف مناطق فلسطين ، فبينما كانت المعارك في القدس تشتد وتشتعل ، وكان المجاهدون الفلسطينيون يرمون الحي اليهودي بقنابل مورتر ، حتى أضطر خمسة الاف من سكان اليهود الى هجرته ، وأعلنت صحف اليهود أن مائة وخمسة وثمانين منهم قد قتلوا عندما حدث ذلك ، أندفع المناضلون الفلسطينيون مقتحمين الحي اليهودي لاحتلاله ، وكان أحتلال ذلك الحي يعني تفرغ هؤلاء المجاهدين للعمل في جبهة أخرى من جبهات القدس العديدة ، ولكن الانجليز الذين كانوا يرابطون في مركز البوليس ومعهم فريق من رجال الطيران البريطاني تصدوا للمجاهدين الفلسطينيين وأستعملوا السلاح ضدهم ، حتى جرحوا عددا من المدنيين المناضلين .

في حي القطمون :

وعندما اشتد القتال في حي القطمون بالقدس وكاد العرب أن يحتلوا احياء يهودية تدخل الانجليز أيضا ، وأستعملوا مدافع الهاون ، فقذفوا بها العرب وصدوهم الى الوراء فأستشهد عربي .

٢ ـ العرب ينسفون الاحياء اليهودية :

أصدر القائد العربي عبد القادر الحسيني أمره الى رفاقه المجاهدين ان ينزلوا باليهود أكبر قدر ممكن من الخسائر ، وأن يتجهوا الى أحيائهم ينسفونها حيا بعد الاخر ، وتقدم عديد من الشباب المخلص ممتثلا للامر ، منفذا للتعليمات ، ومن حق اولئك الفدائيين الابطال أن نفخر بهم ونقرن أسماءهم بالاحترام والتبجيل ، ففي كل اسم منهم معنى حي للتضحية والجهاد وامكانية فعالة للعمل الجدي الثوري الصحيح ، وكانوا شبابا من مختلف أنحاء فلسطين بينهم سوري واحد وأثنان من أبناء شمال أفريقيا(٨)

نسف شارع هاسوليل :

تمكن قسم من الفدائيين من نسف شارع هاسوليل اليهودي فحطم وانهار عديد من عماراته الضخمة ، وقتل وجرح فيه خلق كثير من اليهود ونزح العديد الاخر منهم عن منازلهم (٩) .

(٨) هم : فوزي القطب ، ابو محمد الدمير ، محمد علي الكرد ، عادل شرف ، يعقوب ابو حليمة ، ياسر شرف ، خليل دكيرك ، زيد غنيم ، جواد الجاعوني ، محمد الشرفا ، يوسف الحايك ، محمود عيسى ، نادي عيسى ، عبوده غيث ، محمود الحنيني ، حلمي البرق ، محمود العكاوي ، عطا عثمان ، ناجي مصطفى ، كاظم صالح ، داود البيتوني ، عبدالله الكرد ، أديب الشامي ، عبدالقادر التونسي ، عبد الرحمن السيلاوي .
(٩) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٤٨ .

.. وحي المونتفيوري ؟

وتقدم البطلان ناجي مصطفى وعبد القادر التونسي ينفذان اوامر قائد الجهاد المقدس ، بنسف حي المونتفيوري ، ويسيران بعربة مليئة بالالغام ، وكان الحي محاطا بالاسلاك الشائكة التي نصبها اليهود لحمايته ، وكانت جماعة من جنود البالماخ الفدائيين اليهود ترابط في ذلك الحي ، وهي حذرة يقظة ، بعد أن نسف الفدائيون العرب حي هاسوليل ، وتوزع الابطال الفلسطينيون يحمون الفدائيين اللذين يحملان الالغام (١٠) ، واستعملوا سلاحهم حتى شاغلوا اليهود ومكنوا لحاملي الالغام أن يعملا في ثبات وأن يزيلا الاسلاك الشائكة ، وتم تفجير لغم كبير كان وزنه نصف طن ، فقتل العديد من السكان اليهود ،وجرح الكثيرون ، وتساقطت المنازل وتضررت مئات العمارات (١١) .

وشارع بن يهودا :

ولم تمض عشرة أيام حتى واصل القائد العربي عبد القادر الحسيني



لم يجد العرب ردا على الارهاب اليهودي الا المعاملة بالمثل والصورة لشارع بن يهودا حين نسفه الفدائيون العرب

(١٠) كان هؤلاء الحماة هم بهجت ابو غربية وجماعته وعادل شرف وفرحات وجماعتهما وابو احمد بركات وجماعته .

(١١) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ١٠٤ .

أعماله البطولية يعاونه اخوانه من شباب فلسطين ، فنسفوا شارع بن يهودا واستولى العرب على مصفحة من بوليس يافا ، وجاءت هذه تتهادى تتبعها ثلاث سيارات تحمل كل واحدة طنا من المتفجرات ، وتركزت وسط الشارع المهم واشتعل الفتيل ، فتهاوى الشارع بعماراته ، وبلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود ما يقارب ثلاثمائة شخص ، وقدرت الخسائر بمليونين من الجنيهات (١٢) .

والوكالة اليهودية :

انهارت دار الحكومة اليهودية التي سيطرت على فلسطين منذ أن احتلها الانجليز عام ١٩١٨ . فلقد ضمن الانجليز صك الانتداب نص الاعتراف بها وبحقها في التدخل لصالح اليهود ومستقبلهم وهجرتهم .

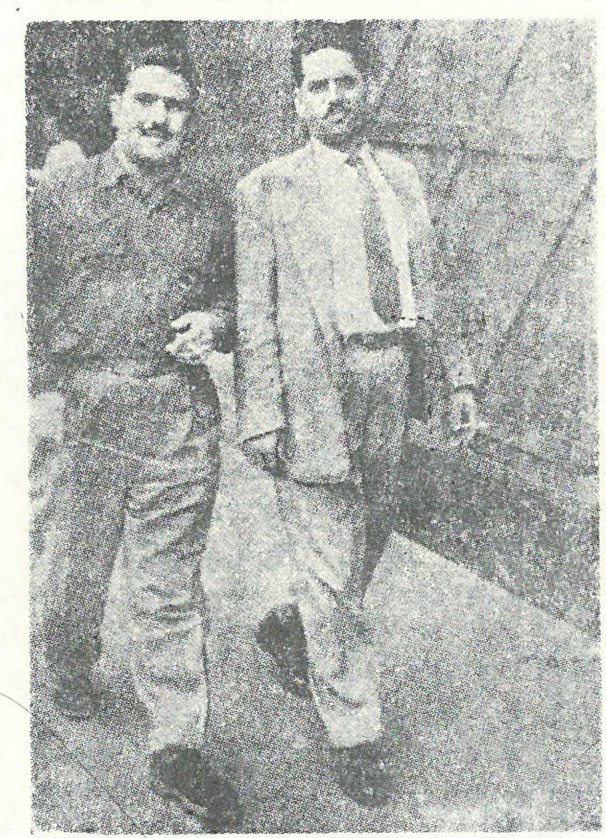
ولقد كانت الهاجانا جيش اليهود المدرب تقوم على حراستها ليل نهار ، وما كان يدور بخلد اليهود أن احدا يستطيع الوصول الى تلك الوكالة وبناياتها الضخمة المحروسة المحمية ولكن لم تمض عشرون يوما على نسف شارع بن يهودا ، حتى لحقت به دار الوكالة اليهودية .

وعلى الرغم من أن الوكالةاليهودية كانت محمية بالرقباء والجنود اليهود ، فقد تمكن الفدائيون العرب منها باخلاص رافق هذا الشعب في أشد أيام محنته ، في ذات الوقت الذي كان ينظر بعيونه الى خارج الحدود ، متوقعا عونا عربيا فعالا ،فلا يصله الا القليل وغير المفيد .

كان الشاب أنطون داود عربيا مسيحيا يعمل سائقا لدى القنصل الامريكي العام بالقدس مستر ميكاتي ، وكان معروفا لدى الجيش الهاجاني اليهودي ، ولدى حراس دار الوكالة ، فطالما عبرها يوصل القنصل المذكور لمقابلة أحد زعماء اليهود ورجالهم ، وهم بذلك مطمئنون اليه لا يخشون منه وطنية ، ولا يتوقعون حراكا ، ومن حقهم أن يطمئنوا فالصهيونية بنت الامريكان المدللة ، ولا يمكن أن يوظف هذا القنصل الامريكي معه الا شابا وثق في اخلاصه لهم ، أو على الاقل تأكد من عدم اهتمامه بالاحوال العامة ، وخطأ أتجه اليهود في اطمئنانهم الى الشاب العربي ، فلقد كان يدرك حقيقة الموقف ، ويتفاعل معه مخلصا وطنيا ، وكان في سبيل مصلحة عليا يعمل صامتا ، لا ترقى اليه الشبهات ، ولا تحوطه منهم الظنون ، وفي ضحى الحادي عشر من مارس (اذار) ١٩٤٨ اجتازت السيارة الامريكية الفخمة الفورد موديل ١٩٤٧ رقم ٦٦١١ يقودها انطون داود أسوار الوكالة اليهودية متحصنة بالعلم الامريكي الذي كان يرفرف عليها ، وظن الحراس أن السائق العربي الذي جاء بسيارة القنصل انما حمل رسالة للوكالة ، فدخل دون

(١٢) كارثة فلسطين ، ص ٧ .

اعتراض . كانت المتفجرات تزن اكثر من مائتي كيلو غرام معبأة في صندوق السيارة الخلفي ، وأوصلت بساعة زمنية محددة الوقت ، وانفجرت السيارة في الدقيقة التي حددها الفدائيون ، وعم القدس صوت الانفجار رهيبا مفزعا ، فدمر بيت المال اليهودي ومكتب المجلس الملي اليهودي ، وتسرب الخراب الى العديد من الاملاك اليهودية المجاورة وقتل ستة وثلاثون يهوديا بينهم عدد من كبار اليهود ورجالهم ، وجرح مئات آخرون ، وكان بين القتلى « يافة » مؤسس الكرن هايسود ، وبن زفي وشمويل دوب ، ويائيل متسي وغيرهم من كبار زعماء اليهود وأقطابهم (١٣) .



انطون داود (الاول من اليمين) شاب من بيت لحم فدائي تولى نسف الوكالة اليهودية في ١١ آذار (مارس) ١٩٤٨ وعبد النور جنحو (من اليسار) شاب من القدس فدائي تولى نسف شارع هاسوليل في ١ شباط (فبراير) ١٩٤٨ .

(١٣) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٣١ . وانظر ايضا : كارثة فلسطين ، ص ٨ .

٣ ـ معركة القسطل :

استطاع اليهود ان يتغلبوا على خمسين مناضلا فلسطينيا من ابناء بلدة القسطل العربية ، كانوا يتولون الدفاع عنها ، وقد هاجمهم رجال البالماخ الفدائيون من جيش الهاجانا اليهودي في الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، وكان اليهود يستهدفون فتح طريق الى القدس الجديدة التي احكم العرب حصار احيائها اليهودية ، ومنعوا وصول التموين اليها ، حتى ضج اليهود في المجالات الدولية طالبين الغوث ، وتدخلت هيئة الامم قبل ان يفنى سكانها جوعا وعطشا .

وتجمع من العرب بعد سقوط القسطل حوالي الثلاثمائة مناضل ولفيف من مختلف القرى العربية تولى قيادتهم صبحي ابو جبارة ، ولفيف آخر من الجهاد المقدس يقوده كامل عريقات ، وجماعة من القطمون يقودهم ابراهيم ابو دية ، وجماعة اخرى من بيت صفافا يقودها عبدالله العمري يرافقه المحامي انور نسيبة ،وآخرون من القدس يقودهم حافظ بركات ، وثلة من عين كارم يراسهم خليل عنون ، وآخرون يرأسهم عبد الفتاح درويش (١٤) .

وابتدأت المعركة اثر هجوم رتبه العرب في ٤ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ خسروا فيه بضعة شهداء ، وقتل من اليهود عدد كبير ولم يستطيعوا احتلال القسطل نفسها .

واستمرت المعركة طيلة اليوم الخامس ، وفي السادس منه هاجم العرب استحكامات اليهود وتحصيناتهم فأحدثوا بها خسائر مهمة ،ولكنهم لم يستطيعوا اكمال احتلال القرية ، فقد كان اليهود اكثر سلاحا واقوى ، وفي منتصف نهار السادس كانت ذخيرة العرب قد اوشكت على النفاد ، وكان احد قواد (١٥) المعركة قد جرح مع آخرين من رفاقه ، وكان عدد آخر قد استشهد وجاءت النجدات لليهود ، واستعملت الطائرات في تزويدهم بالمؤن والمعدات ، وبعث المقاتلون العرب يطلبون العون من اخوانهم سكان القدس ورام الله ، ولكنه كان عونا ضئيلا لا يفيد « وفاقد الشيء لا يعطيه»

يقول الاستاذ عارف العارف ، انه ذهب بذاته يستنهض همة الجيش العربي الاردني المعسكر في رام الله على بعد قريب من ميدان المعركة ويرجوه في الحال ان يتدخل لصالح العرب ، وان يهاجم بعض المعسكرات اليهودية ليخف الضغط على المناضلين ، ولكن صراخ الاستاذ عارف ذهب مع الريح.

(١٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٣ .
(١٥) كان القائد الجريح هو المجاهد الفلسطيني كامل عريقات .

ولم يوافق القائد العام جلوب باشا البريطاني ، ولم يثر او يتحمس احمد صدقي الجندي قائد اللواء الاردني الرابع .

على أن هذا الجيش الذي رفض ان يساعد العرب او يخفف عنهم ثقل القتال ، لم يجد مانعا من أن يتدخل لحماية اليهود عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود في حيفا في الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ والتي انتصر فيها العرب وصرعوا واحدا واربعين يهوديا ، فخف هذا الجيش العربي الاردني وحال دون العرب واتمام نصرهم ، وانقذ مئات من اليهود كان موتهم حتما في تلك المعركة الهائلة .

أن قلة السلاح دفعت بقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني الى أن يسرع الى دمشق التي اتخذتها اللجنة العسكرية للجامعة العربية مقرا : وأن يطلب اليها تزويده بالسلاح الكافي من رشاشات ومدافع ، وكان عبد القادر يحاول أن يضع أمام أذهان رئيس وأعضاء تلك اللجنة تفاصيل الموقف العسكري في فلسطين ، وأن اليهود يزدادون قوة على قوة كل يوم ، وأنهم لا يستعملون البنادق والمسدسات فقط ، بل أنهم مزودون بالرشاشات على مختلف أنواعها ومدافع الهاون والمورتر ومدافع الميدان ، بل انهم يملكون طائرات يلقون بها المؤن لمقاتليهم ويضربون بها المحاربين العرب ، وأن العرب الفلسطينيين لا تعوزهم الشجاعة ، ولكنهم عزل من السلاح .

كان عبد القادر يحاول أن يستنهض همم تلك اللجنة ، وهو الوطني المحارب الذي يدرك عمق المأساة ويحس بآلام الوطن ، ولكن لجنة الجامعة العربية كانت صورة من دولها عام ١٩٤٨ عدد ولا عدة ، وكم بلا كيف ، وفي اثناء ذلك جاءت الانباء بسقوط القسطل بيد اليهود ، فغضب غضبا شديدا ووجه كلامه الى طه باشا الهاشمي المشرف العام على جيش التحرير وعلى تلك اللجنة : يا باشا أن القسطل حصن منيع ليس من السهل استرجاعه بالبنادق الايطالية والذخائر القليلة التي بين أيدينا ، اعطني السلاح الذي طلبته منك وأنا استردها ، ولقد كانت خطتي الى الآن أن أحاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد وأن أمنع عنهم وصول الامدادات العسكرية والمؤن ، ونجحت خطتي حتى اضطر اليهود أن يمونوا رجالهم بالقدس وفي المستعمرات بالطائرات ، أما الان فقد تطورت الحال وأصبح لدى اليهود رجال وطائرات ومدافع وليس بأستطاعتي أن أحتل القسطل الا بالمدافع ، أعطني ما طلبت وأنا كفيل بالنصر (١٧) .

(١٧) يقول المؤرخ عارف العارف ان الكلام كان موجها الى اسماعيل صفوت ، ولكن سماحة مفتي فلسطين يقول انه كان موجها الى طه الهاشمي المشرف العام على اللجنة .

ورد الباشا العسكري للجامعة العربية « شونو عبد القادر ما أكو مدافع » (اي لا توجد مدافع) ونهض الشرباتي وزير دفاع سوريا وقال : « اذا احتل اليهود القدس فسوف نخرجهم منها او نقتلهم فيها » .

وادرك عبد القادر انه يخاطب قوما ليسوا في مستوى أحداثه ، وكانت أمامه خارطة رفعها ورمى بها في وجه الباشا والوزير وقال بصوت مرتفع « أنتم خائنون .. انتم مجرمون ، سيسجل التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، سأحتل القسطل وسأموت أنا وجميع اخواني المجاهدين » . وغادر مكان اللجنة أسدا استولى عليه الغضب وتجمعت لديه المآسي ، وكان يرافقه صديقه قاسم الريماوي فقال له « هيا نرجع الى فلسطين كي نموت فيها الميتة التي وضعناها نصب أعيننا ، هيا نستشهد او ننتصر على الاعداء ، ولنذكر قوله تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)

ولم تمض عشرون ساعة حتى كان عبد القادر قد وصل القدس في حماسه المتواصل ، وغضبه المستمر ، رفض أن يخضع لنصائح من طالبوه بالانتظار ، فقد صمم ان يحارب وان يكون شجاعا يدين باستشهاده أولئك القابعين وراء مكاتب اللجنة العسكرية في دمشق ادانة لا ينساها التاريخ ، بل انه ليدين العرب كلهم في مختلف ديارهـم ، اولئك الذين بخلوا بأموالهم أن تبذل سخية في سبيل تسليح الابطال ، الذين اخذوا على عاتقهم أن ينوبوا عن العرب والمسلمين في الدفاع عن فلسطين .

وذهب عبد القادر يحيط به عدد من رفاقه الابطال ووزعهم ، ابراهيم ابو دية يقود فصيلتين في القلب ، حافظ بركات يقود ميمنة الهجوم ، فريق من بدو هارون بن جازي في الميسرة ، وابقى فرقة صغيرة يقودها صبحي ابو جبارة ، واخرى يقودها الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي ابقاهما كاحتياطي في منطقة قريبة ، ولم يضع عبد القادر وقتا ، فقبل أن ينتصف الليل في السابع من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ بدأ الهجوم ، وكر الابطال على استحكامات اليهود ، واتصلت الميسرة والميمنة ، ولكن سلاح اليهود القوي كان قد أصاب قائد قلب الهجوم ابراهيم ابو دية بجرح بالغ ومعه ستة عشر من مجاهديه ، واوشكت ذخائر المتقدمين على النفاد فلم يكن معهم أكثر من ثلاثة امشاط لكل بندقية وخمسة عشر مشطا لكل برن ، وتراجع المهاجمون الذين نفدت ذخائرهم ، ولكن عبد القادر تقدم مع بعض صحبه الذين جرح ثلاثة منهم وبقي أحدهم مع القائد ، وتوليا مجاوبة اليهود من مدفع صغير طراز ستن ومسدس عيار ٩ ملم واوشكت الذخيرة على النفاد ، وأمر القائد رفيقه

الجريح أن يتسلل عسى أن يأتيه بالذخيرة ، وذهب هذا يجر دماءه من جراحه ، ولكنه سقط مغمى عليه .

بقي عبد القادر وأحاط اليهود به وبمن كان وراءه من قواته ، وعند انبثاق فجر الثامن من ابريل (نيسان) كان اهل المنطقة قد علموا أن عبد القادر وصحبه مطوقون ،فخف المجندون من كل صوب ، من الجهاد المقدس (١٨) ، ومن حراس الحرم الشريف (١٩) ، ومن شباب القدس (٢٠) ومن اهل الخليل (٢١) ، ومن قرى الوادية (٢٢) ، ومن جيش الانقاذ (٢٣) وأيضا تجمع شعب فلسطين من اكثر مناطقه قربا ، كل بما يستطيع من سلاح كان مكلفا أن يدافع به عن منطقته ، وكان اليهود أكثر عددا وعدة ، ولكن الحماس الذي أثاره نبأ حصار عبد القادر أنسى الشعب معنى القلة والكثرة، وتهاوت حصون اليهود أمامهم ، وانهارت مقاومتهم ، فدخلوا القسطل منتصرين ، وكانت جثث القتلى من اليهود تزيد عن الثلاثمائة والخمسين .

وسط ذلك النصر كانت الصدمة ، كان عبد القادر الحسيني القائد الشجاع ملقى شهيدا عند أول بيت من بيوت القرية ، ولم يبق العرب في القسطل اكثر من ساعات ، فقد تجمع اليهود من كل صوب ، واستغلوا الفجيعة التي شاعت عندما استشهد القائد ، واستعانوا ببعض المصفحات البريطانية تحت مظهر جمع موتاهم ، وحين علموا أن الحامية الباقية صغيرة، أحاطوا بها وبدأوا عليها هجوما كبيرا .

يقول احد معاصري الاحداث ان الكثير من المهاجمين العرب للقسطل ذهبوا مع جثمان القائد ليشتركوا في توديعه ولم يبق بها الا قرابة اربعين مقاتلا ، يقودهم بهجت أبو غربية ومحمد عادل النجار ، وبقي عبد الحليم الشلف في صوبا بجوار القسطل ، وحين اشتد الهجوم اليهودي في الساعات الاولى من اليوم التاسع من ابريل (نيسان) استنجد المقاتلون باخوانهم فتحركت جماعة قوامها خمسة وسبعون مقاتلا بعضهم من جيش الانقاذ خليط من السوريين والعراقيين ، وبدل أن يسرعوا الخطى للمعركة قضوا ليلتهم في عين كارم ، ولم تثمر المساعي التي بذلها المحامي أنور نسيبة لاقناعهم

(١٨) كان هذا الفريق يقوده قاسم الريماوي .
(١٩) كان يقودهم الحاج عبد الحميد المدني .
(٢٠) يقودهم بهجت ابو غربية ومحمد عادل النجار .
(٢١) يقودهم عبد الحليم الشلف .
(٢٢) يقودهم رشيد عريقات .
(٢٣) يقودهم جمال رشيد .

في الاسراع لنجدة المقاتلين سوى أنهم أرسلوا لهم ٥٠٠ مشط من العتاد

وفي الصباح التاسع من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ سقطت القسطل بيد اليهود ودمروا كل ما فيها ، بيوتها ، وحصونها ومسجدها (٢٤) .

لقد رضي عبد القادر الحسيني أن يخوض معركة القسطل وهو يعلم علم اليقين أنه فقير الى السلاح ، فقير الى الذخيرة ، وانه يواجه قوما قد اتموا تسليحهم وجاءتهم النجدات من كل صوب ، وأنهم يملكون مع المدافع طائرات ومعدات كبيرة .

نردد كثيرا على السنة الشعب العربي الذي كان يود أن يبقى



الشهيد عبدالقادر الحسيني قائد « الجهاد المقدس » وشهيد يوم القسطل

(٢٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٤ .

عبد القادر لنجدة فلسطين والوطن العربي ، ولعله سيكون ركنا من أركـان الجولة الثانية لو بقي ، تردد تساؤل معبر لماذا فعل عبد القادر ذلك ، أن هذا التساؤل أوضحه عبد القادر نفسه قبل استشهاده بساعات ، الم يرم الخارطة في وجه لجنة الجامعة العسكرية بدمشق ويقول : « سيسجـل التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، سأحتل القسطل ، وسأموت انا وجميع اخواني المجاهدين (٢٥) وكما يفعل الابطال الذين يؤمنون بالشعب كأسرة، وبالاسرة كجزء من وطن عزيز ترك عبد القادر خلفه بنتا وثلاثة أطفال وزوجة بارة شاركته الجهاد وقدمت معه وبعده كل جهد لاحبابه المقاتلين .

ما أشبه الفارسين في القسطل وغرناطة :

ان تاريخ العرب والمسلمين يكرر على دوامه صورة البطولة في أفراده بين الحين والحين ، وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر الحسيني بيوسف العظمة عندما اكد أن معركة ميسلون غير مكسوبة ، وحين صمم قومه على خوضها ، خاضها وكان اول شهدائها ، وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بعمر المختار شيخ شهداء ليبيا الذي أستمر يقاتل مع رفاقه حتى أسـر وشنق ، ولم يكن هناك امل في نصره على قوات الاحتلال الايطالي الذي جاء بجهده الكبير وشأنه الخطير ، وكان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بيوسف بورحيل الذي تولى القيادة في وطني ليبيا بعد عمر المختار ، وحين أيقـن ان الاعداء قد عزلوا المجاهدين ، ورحلّوا القبائل الى المعتقلات ، واقاموا الاسلاك الشائكة مع الشقيقة مصر ، وحين جاع رفاقه وتساقطوا هلكى امر البقية الباقية أن تهاجر الى الكنانة ، وحين وصلت وجدت كتابه يقول انه لا يليق بي مدفن الا داخل هذا الوطن ولم يبق في عمري بقية لانتظار وصدر البلاغ الايطالي يقول انالملازم برنديزي تقدم بعد معركة مع الثوار فوجد يوسف بورحيل قتيلا مع ثلاثة من رفاقه ولا تزال البنادق حامية في أيديهم (٢٦) .

كان ممكنا لي أن أشبه عبد القادر بأحد هؤلاء الابطال ، ولكن الشبه يختلف جدا ،

لأن عبد القادر لم يكن معه الا اولئك المخلصون مـن شعب فلسطين وهم عزل من السلاح ضعاف من التدريب ، لا تقويهم الا روح الايمان ، أمـا

(٢٥) لقد نفذ عبد القادر وعده واحتل القسطل ، ودفع نفسه لله وللوطن ، يقول الاستاذ عارف العارف (انه أراد ان يلاقي ربه في ميدان الوغى وفيه لاقاه) .

(٢٦) راجع بحثنا عن جهاد ليبيا ، مجلة العربي ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .

القاعدة التي يعود اليها في العواصم العربية وفي اللجنة العسكرية للجامعة العربية فقد كانت قاعدة لفها الوهن ، وعمها التراخي ، وتكاد تكون مؤمنة بالهزيمة ، راضية بالنكبة ، بل لقد كان البعض يعمل لها ويسعى اليها .

انني لاشعر مع اختلاف الزمان والظروف والوقائع ان ابا موسى عبد القادر الحسيني اكثر شبها بفارس غرناطة موسى بن ابي الغسان ، يوم ان تقرر خضوعها للاسبان ، وهانت الكرامة لدى حكامها ، ذلك انه حينما اجتمع الزعماء في بهو الحمراء الكبير بغرناطة الاندلس ليوقعوا عهد التسليم لفرديناند وايزابيلا ملك الاسبان وملكتهم ، وليحكموا على دولتهم بالذهاب وعلى امتهم بالفناء والمحو ، لبث موسى بن ابي الغسان وحده صامتا عابسا وقال : « اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، واني لارى روح الشعب قد خبت ، حتى ليستحيل علينا ان ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفـوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، وانتقاما لمصائب غرناطة ، وسوف تحتضن امناء الغبراء ابناءها احرارا من اغلال السفـاح وعسفه ، ولئن لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته ، فانه لن يعدم سماء تغطيه، وحاشا لله ان يقال انأشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .

وصمت موسى ، وساد المجتمعين سكون الموت وسرح الخليفة ابـو عبدالله البصر ، فاذا اليأس مائل في تلك الوجوه التي اضناها الالم ، عندئذ صاح : « الله أكبر ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله، انا لله ، لقد كتب علي ان اكون شقيا ، وان يذهب الملك على يدي » وعندما راى موسى ان الجماعة قد اخذت فعلا في توقيع صك التسليم نهض مغضبا وصاح : « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان الاعداء سيوفون بعهدهـم ، أن الموت اقل ما نخشى فأمامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا ، وامامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي ، والسياط والاغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمجارف هذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الموت ، اما انا فوالله لن اشهده ثم غادر المجلس واخترق بهو الاسود عابسا حزينا ، وذهب الى داره .

ويذكر مؤرخ اسباني « انه خرج مدججا بالسلاح من راسه الى قدمه ، واخترق شوارع غرناطة على ظهر جواده حتى غادرها ، وكان مغلقا خوذته شاهرا رمحه ، وكان جواده غارقا مثله في رداء من الصلب ، وما أن راى الفرسان الأسبان حتى وثب الى وسطهم وطعن احدهم برمحه وانتزعه من سرجه فألقاه الى الارض ، ثم انقض على الباقين يوالي فيهم طعنا وكانت ضرباته ثائرة وقاتلة ، وكأنه لم يشعر بما أثخنه من جراح ، ولبث يبطش

بالفرسان حتى افنى معظمهم ، غير انه اصيب في النهاية بجرح خطير ثم سقط جواده من تحته اثر طعنة اخرى فسقط الى الارض ، ولكنه ركع على ركبتيه واستل خنجرا واخذ يناضل عن نفسه ، فلما راى ان قواه قد خارت ، ولم يرد أن يقع اسيرا لدى اعدائه ، ارتد الى الوراء بوثبة اخيرة والقى بنفسه الى مياه النهر ، فابتلعته لفوره ودفعه سلاحه الثقيل الى الاعماق (٢٧) .

ما اشبه ذلك المجلس المتخاذل في غرناطة بمجلس قادسية دمشق الذي ضن بالسلاح على عبد القادر وهو يعرف ان المعركة بلا سلاح هزيمة مقررة . بل ما اشبه اولئك الجالسين في غرناطة وهم يقولون « لا راد لقضاء الله ولا مفر من التسليم » ، بالجالسين في قادسية دمشق عام ١٩٤٨ وهم يقولون : « شنو عبد القادر ماكو سلاح ، ماكو مدافع » .

وما اشبه موسى ابى الغسان وهو يقول لذلك المجلس : ان لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته فانه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا أن يموتوا دفاعا عنها » ما أشبهه بأبي موسى عبد القادر الحسيني وهو يخاطب تلك اللجنة في قادسية دمشق قائلا : سيكتب التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، أما أنا فسأحتل القسطل وسأموت في سبيل الله . والتاريخ يعيد نفسه ، وما أشبه بعيدهم الدابر .. بقريبنا الغابر .

وفي مساء الخميس ٨ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، استشهد عبد القادر الحسيني ، وفي ظهر الجمعة ٩ ابريل (نيسان) صلي عليه في المسجد الاقصى المبارك ، ودفن في ثالث حرم مقدس في الاسلام .

من هو عبد القادر ؟

ان عبد القادر الذي استشهد في ابريل (نيسان) عام ١٩٤٨ لم يكن شخصا عاديا ، فهو منذ شبابه انسان ثائر وعربي مجاهد ، كان طالبا في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وكان الى جانب اهتمامه بالتخرج في قسم الصحافة والتاريخ ، كان يراقب برامج الجامعة ويهتم بأهدافها ، ويوم اقيم حفل التخرج وسلم الشهادة وحان وقت كلمته ، خاطب اولئك الجالسين من كبار الامريكيين ورجال مصر ، خاطبهم انه لا يشرف بشهادة من جامعة القوم الذين يباركون الصهيونية ويحمونها ، ولا يسعده أن يفرح

(٢٧) محمد عبدالله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، مطبعة القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٨ .

بشهادة جامعة هي وكر استعمار وتبشير ، وقاعدة لاعداء العرب ، ثم رفع الشهادة التي سلمت له قبل هنيهة فمزقها أمام الجميع (٢٨) .

وعبد القادر كان بطلا في ثورة١٩٣٦ وجرح في موقعة قرية الخضر وأسره الانجليز فنقل الى مستشفى القدس ، وكان قائدا مقاتلا في ثورة ١٩٣٨ وحين حوصر في معركة بني النعيم قاتل حتى جرح جرحا خطيرا وتركه الجيش البريطاني بين الشهداء فحمله رفاقه الى مغارة قريبة من ميدان المعركة ثم أخذ في الصباح التالي وقطع المجاهدون الاسلاك التليفونية بمستشفى الخليل ومنعوا اتصاله بالخارج وارغموا الدكتور البريطاني على علاجه ، ثم أخذوه على ظهر بعير حتى دمشق حيث تم له العلاج ، واشترك في ثورة العراق عام ١٩٤١ وكان قد درس الشئون العسكرية ، ثم لجأ الى ايران وحين منع رفاقه من دخولها امتنع عن دخولها الا بهم وعاد ماشيا من كرمنشاه الى بغداد مسافة الف كيلو متر قضوها في ٢٥ يوما (٢٩) .



صورة تاريخية لابناء الشهيد عبدالقادر الحسيني في طفولتهم عام ١٩٥٠ واثنان منهم الان هما فيصل وغازي رهائن في سجون اسرائيل لانهما فدائيان من منظمة الفتح

(٢٨) مجلة فلسطين: الهيئة العربيةالعليا لفلسطين، العدد ٢٦، اولابريل (نيسان) ١٩٦٣

(٢٩) المصدر السابق .



وحين أعلن التقسيم ، جاء الى مصر وأبتدأ يشتري السلاح ويدرب الشباب ، وانشأ مخبأ خاصا للسلاح في احدى ضواحي القاهرة ، واستعان بالوطنيين الضباط من مصر وسوريا لتحديد اهداف المجاهدين في فلسطين ثم عينه المفتي قائدا لفرق الجهاد المقدس فدخل فلسطين وحالفه النصر في جميع المعارك التي خاضها (٣٠) ، ومنها معارك القدس وبيت سوريك وبيت محير وقلندة وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف ورام الله وغيرها .

واستشهد عبد القادر عن زوجة كريمة برت للجهاد على الدوام ورعت ابناءه الثلاثة موسى وفيصل وغازي الذين نموا في بيت للجهاد عريق

وأخيرا ، أن عبد القادر الحسيني هو ابن زعيم فلسطين الكبير موسى كاظم باشا الحسيني الذي لم تمنعه سنه الكبيرة من الجهاد وقيادة المظاهرات ضد الانجليز ، حتى ضربه الجند في المظاهرة الكبيرة بيافا ، وتوفي متأثرا بجراحه بعد أيام ، وكان أبنه عبد القادر أحد جرحى تلك المظاهرة التي خرجت لتنادي بسقوط الصهيونية وسقوط بريطانيا التي حمت الصهيونية وفرضتها على فلسطين تلك المظاهرات التي نبهت العرب الى خطر هجرة اليهود ووجوب صدها قبل أن يستفحل الخطر .

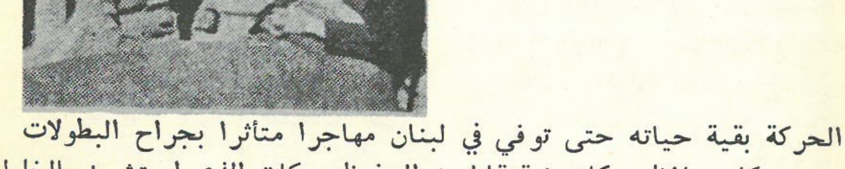
عبد القادر صورة مكررة للقواد الفلسطينيين :

واذا تحدثنا هنا عن الشهيد عبد القادر الحسيني ، فلا يعني هذا انه كان صورة فريدة في جهاد فلسطين ، فان شهداءها لم يحصوا بعد ، ولكننا خصصناه بهذا الفصل لعلاقته بتلك اللجنة العسكرية التي كانت تقبع في دمشق باسم الجامعة العربية ، ولان استشهاده رافق الصورة المحزنة من قلة السلاح ونفاد العتاد .

على ان الثورات الفلسطينية المختلفة شهدت مصارع عديد من الابطال الذين كانوا يقودون مناطقها ومن لم يستشهد منهم عاش بعدها قليلا او كثيرا يحمل في جسمه اوسمة المجد من جراح وقروح .

كان ابراهيم ابو دية رفيقا لعبد القادر الحسيني في منطقة القدس ، وفي معركة القسطل ، وقد جرح في معارك عديدة ، ثم جرح يوم الهجوم على القسطل ، ثم اصيب بجرح خطر في معركة رامات راحيل اقعده عن

(٣٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ١٦٧ .



الى اليمين الشهيد ابراهيم ابو دية مقعدا بسبب اصابته في معركة رامات راحيل

الحركة بقية حياته حتى توفي في لبنان مهاجرا متأثرا بجراح البطولات

وكان حافظ بركات شقيقا لعبد الحفيظ بركات الذي استشهد بالخليل وآلى اخوه على نفسه ان يستمر جهاده ، فكان من الابطال الذين خاضوا معارك القدس وقادوا جوانب منها ، جرح في الحي اليهودي بالقدس القديمة وقلعت عينه اليسرى عند باب الخليل بعد استئناف القتال قبيل الهدنة الثانية وكان في عام ١٩٥١ لا يعي الاسماء والارقام بسبب اصابته في الدماغ في معركة الخليل .

على ان قواد الثورات في فلسطين كانوا الى جانب القيادة يتولون الاسهام في المعركة كلما نشب القتال ولهذا نجدهم يتساقطون شهداء في مختلف المناطق سواء في ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ او ثورة ١٩٤٨/٤٧ .

فذلك سعيد العاص كان قائدا وشهيدا في منطقة بيت لحم .

وذلك الشيخ عبد الحفيظ ابو الفيلات قائدا وشهيدا في منطقة الخليل .

وذلك الشيخ حسن سلامة كان قائدا وشهيدا في اللد والرملة .

وذلك خليل ابو لبن كان قائدا وشهيدا في منطقة يافا .

وذلك عبد الرحيم الحاج محمد كان قائدا وشهيدا في منطقة طولكرم

وذلك عارف عبد الرزاق كان قائدا في منطقة الطيبة وشهيدا غريبا في يوغوسلافيا .

وذلك الشيخ يوسف ابو درة كان قائدا وشهيدا في منطقة حيفا .

وذلك محمد الصالح ابو خالد كان قائدا وشهيدا في منطقة السيلة .

وذلك سرور برهم كان قائدا وشهيدا لحيفا .

وذلك الشيخ فرحان السعدي كان قائدا وشهيدا في منطقة جنين .

وذلك عبدالله الاصبح كان قائدا وشهيدا في منطقة صفد .

والعديد غير هؤلاء ممن لم نصل الى اسمائهم او مناطقهم ، والى جانب هؤلاء كان هناك عشرات الالوف من الشهداء ، وكان بينهم عدد كبير من رجالات فلسطين واعيانها ، وشبابها المثقف .

صراع مرير ومعارك فاصلة :

وهكذا لا يهدأ جزء من ارض فلسطين طوال هذه الحقبة ، فبينما تشتعل النار في اللد والرملة يدور القتال عنيفا في جنوبي فلسطين وفي شمالها ، وتتعدد الاحداث تعددا سجلته وكالات الانباء العالمية ، مما لا يتسع المقام لنشره هنا لتشابه أحداثه وتكرار أماكنه ، تشابها وتكرارا يحملان صورة صادقة لمواصلة شعب فلسطين جهاده ، حتى بعد أن تولت جيوش الدول العربية زمام المعركة ، ودخلت فلسطين في منتصف مايو (ايار) ١٩٤٨ .

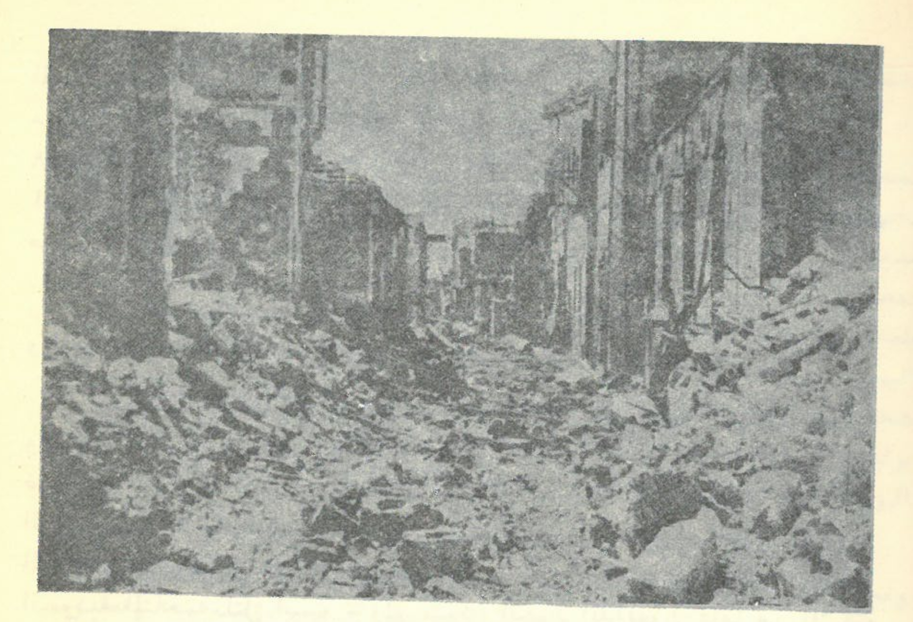
واذا كنا لا نرغب في تكرار برقيات تلك الايام المليئة الخطيرة ، فاننا لا نستطيع تجاهل ما دار في المدن العربية التاريخية مثل يافا والناصرة وحيفا وعكا .

٤ ـ معركة يافا :

كانت يافا في أواخر عام ١٩٤٧ مدينة عربية كبيرة وجميلة ، ذات ميناء مزدهر على ساحل البحر المتوسط ، عرفت بنشاطها التجاري والثقافي ، وأنها مركز من مراكز النقل العربية في المنطقة ، ومن أغنى مدن فلسطين وأشهرها بتجارة البرتقال .

وقد انشأ اليهود حيا في يافا سموه تل ابيب ، لم يتمكنوا من توسيعه في العهد العثماني ، وبقي صغيرا هزيلا حتى جاء الانجليز فنما وازدهر ،وبدأ هذا التل يأخذ شكل المدينة ، وبعد ان كان يضم مائة وخمسين منزلا في عام ١٩١٤ أصبح يضم ٢٠٠٠ منزل عام ١٩٢٢ تحت حماية بريطانيا وبرامجها، وما جاء عام ١٩٤٧ حتى كانت تل ابيب تضم ٢٣ الف منزل ومائتي الف ساكن وبذل اليهود جهودهم ، فأستولوا على كثير من الاراضي التي تحد يافا من أغلب جهاتها فأنشأوا مستعمراتهم ببيت فيجان وهاتيكفا وريشون ليتزيون وميكافا اسرائيل .

وحين أعلن قرار التقسيم وتنادى العرب ، كان السلاح مشكلة المشكلات، فتحت وطأة القانون الصارم الحكم علىمن يحوز سلاحا منالعرب، لم يكن بها الا عدد قليل منالبنادق الايطالية سرب لها من مصر بعد الحرب



هذا المنظر ليس في ستالينجراد وحرب شوارعها ، انها يافا العربية وقد قاومت الانتداب والتهويد فهدمت بريطانيا احياءها العربية ١٩٣٧/١٩٣٨

العالمية الثانية ،ومرت يافا من تاريخ ابتداء القتال الى تاريخ انهيار المقاومة العربية فيها بمرحلتين مهمتين لا يمكن ونحن نؤرخ في صدق واعزاز لجهاد الشعب الفلسطيني الا أن نسجل مجملهما في وضوح وأمانة وابلاغ .

كانت المرحلة الاولى هي التي بدات منذ أوائل ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ الى اواسط فبراير (شباط) ١٩٤٨ وهي المرحلة التي تولاها سكان المدينة وبعض المقاتلين الفلسطينيين .

أما المرحلة الثانية فتبدأ من دخول جماعات جيش الانقاذ في اواسط فبراير (شباط) من ذلك العام ، فأشترك قسم من هذا الجيش مع سكان المدينة في مهاجمة اليهود .

ولنأخذ اول خبر نشر في الرابع من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ لنجده يشير الى وقوع معركة شديدة بين العرب واليهود في مناطق الحدود بين يافا وتل ابيب ، استخدم خلالها الفريقان الرصاص والقنابل اليدوية ، واستمرت المعركة عدة ساعات ، قتل وجرح خلالها من العرب تسعة وعشرون ، ولم تعرف خسائر اليهود بالتفصيل ، غير انه علم أن واحدا من كبار ضباط الهاجانا « جيش الدفاع اليهودي » يسمى « موشى نيومان » كان بين قتلاهم .

واعلن انه بينما يستمر القتال تلتهم الحرائق المنازل والمتاجر اليهودية المتاخمة لحي المنشية العربي في يافا ، ويستمر القتال في السابع والثامن من ديسمبر (كانون الاول) ويعلن أن قتلى هذه الايام بلغوا ٤١ شخصا منهم ٢٨ يهوديا وان ١٥٠ جرحوا ، ويعلن ايضا ان العرب قاموا بهجوم في ساعات الصباح الاولى بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية على حي « جبعات موشى » اليهودي ، وأصيب الفريقان بخسائر في الارواح (٣١) .

ويستمر تبادل اطلاق النار متقطعا عند الحدود بين يافا وتل ابيب ، وبذيع رجال الهاجانا أنهم نسفوا دارا للقناصة العرب في ضواحي يافا (٣٢) .

وكان المجاهدون قد تمكنوا من التسلل الى ضواحي تل أبيب ، وأشعلوا النار في عدد من دورها ، ودخلوا ميناءها بعد معركة حامية عند ضواحيها ، وفرّت النساء والاطفال اليهود في سيارات نقل ، واطلق المحاربون اليهود اشارات ضوئية في سماء تل ابيب يطلبون نجدات الهاجانا ، وهاجم المجاهدون العرب في التاسع من ديسمبر (كانون الاول) مستعمرة هاتكفا اليهودية المتاخمة لتل أبيب ، ولم يتمكن اليهود المدافعون عنها من الثبات على الرغم من تلقيهم نجدات كبيرة وبعد معركة حامية انسحبوا الى تل ابيب ، بينما تقدم العرب الى قلب المستعمرة حيث هدموا عددا من منازلها واشعلوا فيها النيران ، واعلنت الهاجانا نفسها أنها اضطرت الى الانسحاب تحت وطأة الهجوم العربي(٣٣) .

وتستمر المصادمات اليومية ، وارتكب اليهود احدى جرائمهم الارهابية فدخلوا يافا في سيارة شحن تصحبها سيارة صغيرة مجتازين شوارع المدينة الهامة ، وكانت السيارة الكبيرة مليئة بالقنابل الزمنية المغطاة بالبرتقال ودمّر انفجارها بنايات كثيرة ، وقدّرت خسائر العرب بثمانية وعشرين بين شهيد وجريح ، ثم استشهد اربعة من العرب وجرح عشرة آخرون عندما صد المجاهدون هجوما يهوديا على احد الأحياء بيافا .

واستطاع العرب وهم يواصلون المعارك في منطقة الحدود بين يافا وتل أبيب أن يتوغلوا في منطقة تل ابيب ، بعد أن دمرّوا جزءا من استحكاماتها ، وبينما تستمر معركة كبيرة في منطقتي الشيخ مراد وابو كبير قرب يافا ، عمد الجيش البريطاني الى نسف مركز عربي في تلك المنطقة ،

(٣١) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٩ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٣٢) نكبة بيت القدس ، ج١ ص ٢٣٢ .
(٣٣) جريدة الاهرام العدد ٩ و ١٠ من ديسمبر ١٩٤٧ .

وانفجر لغم يهودي بحي المنشية في يافا فأحدث اضرارا في المنازل(٣٤) .

وشن اليهود هجوما عنيفا على يافا استغرق خمس ساعات وبلغ مجموع قذائف المدافع نحو ثلاثمائة قذيفة ، وقدّرت قوات اليهود المهاجمين بخمسمائة مقاتل جاءوا زاحفين من ثلاث جهات(٣٥) . ثم هاجم عرب يافا مدينة تل ابيب اليهودية واطلقوا القنابل عليها ، واشعلوا بها النيران . ولم يمض يومان حتى اطلق اليهود قنابل مدافعهم على يافا في صباح مبكر حتى بلغت مقذوفاتهم مائة قذيفة مركزة فأحدثت خسائر وحرائق ، واصر اليهود على احتلال يافا ، عملا على تحطيم روح المقاومة لدى العرب فشنوا هجوما قويا حيث قابلهم المجاهدون بدفاع قوي ، ولكنهم احتلوا نقطة بوليس المنشية ومحطة السكة الحديدية ، وكر المجاهدون العرب عليهم في اليوم الثاني فدحروهم وحرروا المناطق المذكورة .

ودار القتال في يافا من شارع الى شارع ، ومن ركن الى ركن ، وتجدد هجوم اليهود بقوات كبيرة وبمدافع قوية ، واستولوا على بعض المناطق في يافا ، ويقف شعب يافا يدافع عنها في عزم وتصميم ، وتعلن القيادة البريطانية رسميا « ان اليهود ارتدوا عن المدينة بفعل الدفاع العربي وانزل العرب خسائر فادحة باليهود الذين واصلوا اطلاق نيرانهم على يافا اربعا وعشرين ساعة متواصلة » ودفع العرب في ذلك اليوم ستة وعشرين شهيدا وتسعين جريحا .

وبينما يعلن رسميا أن العرب استردوا ما كان اليهود استولوا عليه في الليلة الماضية(٣٦) وان القتال استمر من شارع الى شارع ، يعلن ايضا أن اليهود الذين لم يستطيعوا حتى الآن اخضاع يافا برغم ما بذلوا من جهود وضحايا ، اتجهوا الى القرى المحيطة بها يخلونها ويتمون حصار قرية سلمة التي كانت تهدد جنوب تل أبيب .

* * *

هكذا كانت وكالات الأنباء تذيع أنباء يافا على العالم ، وفيها استمرار للقتال في كل ساعة وحين ، وفيها تصميم على عدم الاستسلام لليهود الذين قوّاهم الانجليز ، وامدّوهم بالعتاد والسلاح .

(٣٤) جريدة الاهرام ١٦ من فبراير ١٩٤٨ .
(٣٥) جريدة الاهرام ١٥ من مارس ١٩٤٨ .
(٣٦) جريدة الاهرام . اعداد : ١ و٦ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ ابريل ١٩٤٨

واذا كنا قد أشرنا في أول البحث عن يافا أن مدينة تل أبيب لم تكن الا حيا من احيائها ، فان ذلك يحملنا الى تصور القتال بين تل أبيب ويافا ، وانه لن يكون الا قتالا عصيبا ومن مواقع قريبة استعملت فيه المدافع والبنادق والمواجهة القريبة وصراع الشوارع والميادين .

ولكي يستطيع سكان يافا وعددهم يزيد قليلا عن ستين الف عربي بين رجل وامرأة وطفل مواجهة حالة الحرب الّتي التفت بيافا سبع لجان :

لجنة اقتصادية : تشرف على أسواقها وتمنع التلاعب وتوفر الخبز للشعب .

لجنة دفاعية : تحصن خطوط الدفاع وتزوّد المجاهدين بالسلاح .

ثلاث لجان : للصحة والقرى والرخص وكلها تخدم القتال وتربط الصلات بالقرى وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال .

لجنة دفاعية : تحصن خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح ، وتصفح السيارات للقتال .

لجنة السلاح والألغام : وهي التي تضع الألغام وتصلح السلاح وتحاول صنع أنواع من السلاح المحلي(٣٧) .

انه لوضع مشرف ليافا العربية أن تسلك هذا التنظيم المحلي وتضع أسسا تهتم فيها بالاقتصاد وسط قصف المدافع وتحصن دفاعها ضد اليهود ، وتقوي من وسائل دفاعها وتصنع السلاح والألغام ، ويزداد هذا الوضع اشراقا لدينا حين نعلم أن عديدا من الذين عملوا في لجنة السلاح والألغام استشهدوا أو أصيبوا في أثناء الاعداد ، وهذا هو المهندس الكيماوي سليم دمياطي اصيب وجهه في انفجار لغم ، وذاك فيصل الطاهر الذي خلف المهندس الكيمائي استشهد وسط أحداث يافا ، وغيرهما عديدون كثيرون .

وعمد اهل يافا الى تنظيم احوالهم ماليا ، فأخذوا من بيت المال التابع للهيئة العربية العليا ما يرونه كافيا لبداية النضال ، ثم فرضوا على الأهلين ضرائب محلية على البنزين والجمرك والسفر ، واطعموا بذلك الجائعين وسلحوا المناضلين وأمنوا الجرحى واغاثوا عائلات الشهداء الذين يتساقطون كل يوم ، وحين سنحت لهم فرصة الحصول على سلاح مفيد اضطر عشرة من أبنائها الى الاستدانة من البنك العربي ليدفعوا الى البائع

(٣٧) نكبة بيت القدس ، جا ص ٢٢٩ .

عشرة آلاف جنيه ثمنا لخمسمائة صندوق من عتاد البنادق(٣٨) .

واتمت اللجنة تجنيد ٥٤٠ مقاتلا ، منهم ٣٧٥ في مراكز ثابتة و ١٦٥ قوات متحركة ، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة كما أوردنا قبلا ، أما قائد القطاع فكان الشيخ حسن سلامة(٣٩) .

ولكي تكتمل امامنا صورة الجهاد الذي حمل لواءه أهل يافا ، يجدر بنا أن نذكر أن هؤلاء المجاهدين قسموا على ١٣ قطاعا من قطاعات يافا ، ولم يكن اي قطاع يضم جماعة مكتملة التسليح فمثلا : كان حي الجباليه يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم عبد الباري الهيني ولم يكن معهم الا ١١ بندقية وثلاث رشاشات ، وكان حي جبل الريش يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم خميس ابو النيل واخوه حمدي ، ولم يكن معهم الا ١٠ بنادق وثلاثة رشاشات وكان حي ابوكبير يدافع عنه مائة مقاتل يقودهم الحاج عبدالله الناقة ولم يكن معهم الا ٢٠ بندقية وستة رشاشات، وكان حي البصة يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم كاظم الحسيني ولم يكن معهم الا ١٢ بندقية ورشاشان ، وهكذا بقية الأحياء في يافا .

على أن هذا الضعف في التسليح لم يثن العرب في يافا عن التفكير في سد النقص لديهم ، فهم يعمدون الى صنع القنابل وتركيب الالغام ، ويقول مؤرخ معاصر « انهم صنعوا القنابل من أوعية ومواد كانت قبلا تستعمل لاطفاء الحريق ، ووضعوا في كل وعاء مقدارا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلوجراما من المواد المتفجرة ، وكانت قوة الهدم فيها عظيمة جدا(٤٠) » .

وذاك شاب عربي يسمى « علي جبر » صنع الغاما صاروخية تعاون هو وشقيقاه محمود وزكريا على نسف سيارات اليهود ومصفحاتهم بها ، وكانت أنبوبة البوتاجاز تنشر في شكل مدفع يطلق أنبوبة اطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات ، فكانت عامل هدم ورعب بين اليهود .

وكانت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية من أغلب جهاتها(٤١) ، ومن جهة أخرى كانت جارتها تل ابيب التي يسكنها ٢٠٠ ألف يهودي المحمية بمستعمرات أخرى تقف شوكة الى جانبها ، وكان جهاد يافا

(٣٨) المصدر السابق ، جا ص ٢٣١ كان البائع احد ضباط الجيش الاردني يسمى حكمت مهيار .

(٣٩) المصدر السابق ، جا ص ٢٣٢ .

(٤٠) المصدر السابق ، جا ص ٢٣٦ .

(٤١) كانت هذه المستعمرات هي : بتاح تكفا ، مكفا اسرائيل ، واغروبنك ، بيت فيجان ، هاتيكفا وريشون لوتسيون .

وبسالة شعبها محل استغراب للأعداء أنفسهم . قال مناحم بيغن قائد الارهابيين في منظمة الأرغون في كتابه الثورة « ان تل ابيب قاست خلال تلك الفترة من يافا وطأة الضرب الشديد ، وقد سقط من سكان تل أبيب حوالي ألف قتيل وجريح ، وكان القناصون العرب يرسلون الموت الى كل مكان ، حتى وصل رصاصهم الفتاك الى العمارة التي تعمل فيها بلدية تل أبيب » وأن الألغام التي استعملها العرب دمرت أحياء يهودية كاملة ، وأن أحياء أخرى أخليت يومئذ من سكانها فهامت آلاف العائلات على وجوهها في قلب المدينة ، وعاش آلاف آخرون في الملاجىء والأقبية شهورا طويلة » .

وأدرك أهل يافا أن صنع الألغام ليس سهلا ، وأن المواد الصالحة لصنعها ليست متوافرة فعمدوا هم أيضا الى دمشق حيث اللجنة العسكرية وعادوا بلا جدوى .

على أنه في منتصف فبراير (شباط) ١٩٤٨ هبط يافا قائد عراقي موفد من اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ويصحبه ثمانون متطوعا ومائة وخمسون بندقية المانية وتشيكية و ١٥٥٠٠ طلقة انجليزية و ١٥ ألف تشيكية وطن متفجرات .

وصل القائد الى يافا فوجد نقصا كبيرا في عدد سلاحها وعتادها ، وقدم بذلك تقريرا ضافيا الى طه باشا الهاشمي والى اللجنة العسكرية مطالبا بسرعة امداد يافا ، وطالب لجنة دمشق أن تزيد وتقوي حامية يافا، فلم ينجح في طلبه الأول ، ولم ينجح في طلبه الثاني ، وغادر يافا بعد بضعة أيام من وصوله ، وعلى الرغم من أنه كان على سمعة طيبة واخلاص كبير ، فانه لم يستطع أن يساهم في انجادها ، ولم يشترك في أمجادها .

ووصل يافا المقدم عادل نجم الدين فتسلم قيادتها باسم اللجنة العسكرية ، وكان يرافقه الملازم أول شناوة عود ، والمرشح اسماعيل قاطع ، والملازم مهدي صالح ، والملازم محي الدين ، والملازم ابراهيم الاعظمي ، والرئيس عبد الجبار الشمي .

وكان نجم الدين يخضع لقيادة الشيخ حسن سلامة الثائر الذي تولى الدفاع عن قطاع يافا واللد والرملة ، ويرسل هذا القائد يطلب من اللجنة العسكرية أن تكون حامية يافا في وضع مماثل لما عند اليهود في تل أبيب ، انه يطلب ٣٦٠٠ مقاتل للقطاع ، كان يريد منهم ١٥٠٠ ليافا و ٥٠٠ لسلمة و ٥٠ لبيتا و ١١٠٠ للد والرملة وقلقيلية وصرفند ، ولكن هذا الطلب الذي نادى به القائد الفلسطيني ذهب لدى اللجنة العسكرية مع الريح ،

بل ان طه الهاشمي رئيس تلك اللجنة يصرح « أنه أجاب الشيخ حسن سلامة بأن مهمته الدفاع فقط ريثما يتم حشد قوات الانقاذ » .

وكان على الهاشمي وهو العسكري الذي يهيمن على رئاسة اللجنة من الجامعة أن يدرك أن الدفاع القوي هو الذي ينقلب الى هجوم ، وأن هذا الدفاع الذي يطعّم بين الحين والآخر هو الذي ينقلب الى هجوم ، وأن هذا الدفاع الذي يطعم بين الحين والآخر بسلاح هزيل وقواد ليسوا في مستوى الخطورة ، قد ينهار ، وحينئذ ينعدم الدفاع ويتقدم الأعداء محتلين ، فلا تقوى الجيوش في منتصف مايو (أيار) على المجهود الكبير الموزع ، وكان عليه وهو القائد الكبير أن يدرك بما جرب حتى ذلك التاريخ أن رؤساء الدول العربية ليسوا جادين كجماعة للحرب ، وأن الخلاف بينهم كان واضحا .

ولو وضع الهاشمي أمامه هذه الاعتبارات لاهتبل فرصة تصميم أهل يافا وقراها على القتال ، وأمدّهم بالسلاح الثقيل والمتطوعين ، ليمكّنهم من أن يواصلوا جهدهم على نفس النسق الذي ساروا عليه ، فأتى ثماره (قبل أن يخضعوا للجنة) .

ويعطي أحد القواد العرب صورة مذهلة عن نقص السلاح في أيدي مجاهدي يافا (٤٢) فيقرر أنه كان في منطقة الجبالية ستة وثلاثون مقاتلا يعوزهم السلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم جنودا يوغسلافيين مسلمين كانت معهم بنادقهم ، وفي منطقة أبوكبير كان يوجد أكثر من سبعين مقاتلا بدون سلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم عددا من المجاهدين المصريين ، وفي منطقة تل الريش كان يوجد سبعة وثلاثون مجاهدا لا سلاح لديهم .

واذا كان القائد الجديد عادل نجم الدين قد سافر هو الآخر يطالب لجنة الجامعة بسلاح هام وعتاد ثقيل ، فانه عاد بخمسين بندقية انجليزية وأربعة رشاشات . أعطيات قليلة ، ومساعدات واهنة هزيلة .

وجاء أيضا معه خمسة وسبعون مقاتلا من المتطوعين الحمويين المدربين في معسكر قطنا غير ان اهل يافا المجاهدين كانت نكبتهم مزدوجة بهؤلاء الحمويين الذين لم يمكثوا في يافا الا ثلاثة أيام نهبوا خلالها البلدة ، واستولوا على ما وصلت اليه أيديهم ، وغادروا مواقعهم ، فهاجمها العدو ، لقد عاد هؤلاء الحمويون الى يافا تحت الحاح واقناع القائد عادل نجم الدين ، ولكن الذين

(٤٢) هو القائد الشهيد حسن سلامة وقد كان يسجل في دفتره أحداث تلك الايام الخالدة وقد استقى المؤرخ عارف العارف بعض مادته التاريخية من هذا المرجع . انظر المفصل من تاريخ القدس ، ص ٢٤١ .

يسلبون سكان يافا ويتعاونون على نهب المدينة لا يمكن أن يكونوا سندا لها ، ولا ان يبذلوا في سبيلها رصاصة ولا روحا ، ولهذا كانوا عونا على يافا لا عونا لها .

وبينما كان اهل يافا ينتظرون العون من لجنة جامعة الدول العربية ، ومن الضباط الذين ترسلهم اليها ، ثبت ان عددا كبيرا منهم كان شرا هادما ليافا ونضالها في ساعاتها الفاصلة ، وليس ادل على ذلك من الملازم عبد الجبار العشي العراقي الذي جعل مهمته بدلا من الجهاد مصادرة مؤن الأهلين ، ومصادرة سلاح المناضلين ، حتى ادانته محكمة عسكرية بالسجن خمس سنوات لمصادرته تلك الأسلحة وتركه القرى المجاورة من غير سلاح، ولتشجيعه الحمويين على مغادرة يافا في أحرج ظروفها ، ولم يثبت مع المجاهدين في ساحة الشرف والجهاد(٤٣) .

ولنحيط أكثر بما لاقى شعب فلسطين من هؤلاء الذين دخلوها منقذين فكانوا حربا عليها ، يجب أن نقرأ تقرير طه باشا الهاشمي المرفوع لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد عام ١٩٤٩ والذي يقول فيه « ان محكمة قوة اليرموك حكمت على شناوا عود والمرشح اسماعيل قاطع اللذين جاءا مع عادل نجم الدين الى يافا بالسجن ثلاث سنوات لانصرافهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الأسلحة بدلا من الدفاع عن المناطق المكلفين بها » .

وقبل ذلك كان تقرير الهاشمي في الشهر السابع من عام ١٩٤٨ يقول « أن الملازم مهدي صالح (وكان هو أيضا قد جاء يافا مع القائد نجم الدين) تصرف بالأسلحة تصرفا غير مشروع وانه باع في أسواق بيروت تلك الأسلحة مع الأسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو وانه سجن شهرا وطرد من الخدمة(٤٤) » .

ماذا يمكن أن تخلف هذه المظاهر التي لاحظها أهل يافا في جمهرة كبيرة من المتطوعين ؟ انها بلا ريب خلفت الما واسفا ، وبذرت كرها وثقة مزعزعة وحقدا ، وبادل اولئك المتطوعون أهل يافا نفس الشعور ، فحل الكره محل الوئام ، والحقد محل التعاون ، وكانوا حربا وتشنيعا وتشهيرا ، واستفاد اليهود من وضع مربك متخاذل يعوزه السلاح وينقصه

(٤٣) تقرير طه الهاشمي رقم ١١٧ ـ ١٤ بتاريخ ٥ يناير ١٩٤٨ المقدم الى جمعية انقاذ فلسطين ببغداد .

(٤٤) المصدر السابق ، رقم ٥١٠٧ ـ ١٤ بتاريخ ٦ يوليو ١٩٤٨ .

المال ولا يمثله الا شعب أعزل وقلة طاهرة من المتطوعين .

وفي غمار هذا الجو المربك وعلى صدى نداءات أهل يافا الى اللجنة العسكرية بدمشق ، والى الملك عبد الله بعمان ، بدأ اليهود هجومهم الكبير، لقد جاء اليهود في مائة سيارة خليطا من رجال الهاجانا والأرجون(٤٥) ، وكانوا مزودين بمدافع الهاون والمورتر والبرن والقنابل المختلفة ومدفع مضاد للدبابات .

واستقبلت يافا لهب النار القوية ، وكانت حامية يافا يومئذ ٢٦/٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ مؤلفة من خمسمائة من رجال يافا واربعين عراقيا و ٦٥ مسلما يوغسلافيا و ١٥٠ من المتطوعين يقودهم الملازم العراقي شناوا عود(٤٦) ، وثبت المجاهدون الذين خف سكان يافا لمساعدتهم وسط المعركة ، واستمر القتال ثلاثة أيام ، وكانت يافا مقطوعة الصلة بالقدس وبكل القرى المجاورة ، قال مناحم بيغن قائد منظمة الأرغون الارهابية في كتابه « الثورة » عن تلك المعركة :

« في الوقت الذي اندفعت فيه وحداتنا لاحتلال الاستحكامات الأمامية للعدو ، لعلع صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز شفندا واخذ يحصد المهاجمين . يا الهي لقد تعلمنا من استحكامات المنشية في يافا ما تعلمته جميع الجيوش في الحرب العالمية الثانية في قتال الشوارع ، وهو انك لا تجد استحكاما حصينا أفضل من أطلال البيوت الخربة المهدمة حول خطوط الجبهة ، وفي قلبها ، لقد كان العرب يتخذون من أطلال البيوت وخرائبها خطوط دفاع عن يافا ، وظهر لنا أن خطوط الدفاع في المنشية كانت عميقة جدا مزدوجة ومثلثة وخماسية ، ويظهر انها اقيمت على ايدي خبراء ، بحيث اذا استطعت الوصول الى الصف الأول منها تصب عليك الأجنحة والاستحكامات النار والكبريت .

لقد تخضبت الأرض بالحجارة والأطلال بالدماء ، وفي غرفة المراقبة تهشم رأس « صدوك » برصاصة اخترقته ، واخذت فرقة أسعاف الميدان تنقل القتلى والجرحى ، لقد سقطوا بالعشرات ، وكانت الدماء تقطر من جراحاتهم ومن قلوبنا أيضا ، لقد فشل الهجوم الأول ، وارتدت عنه فلول وحداتنا ، ولم تستطع اختراق تحصينات العدو وتدمير عنق الزجاجة

(٤٥) يقودهم جدعون ومناحم بيغن وغاليلي باهوشع وغيرهم من كبار قواد الارهاب فيهم.

٤٦) راجع الصفحة السابقة من هذا الكتاب كيف ادين في محكمة عسكرية .

ذي الشكل الهلالي ، وارتددنا على أعقابنا ، وانسحبنا عن الأرض التي خضبناها بدمائنا ، وكانت هجمات العرب المعاكسة عنيفة بحيث تداعت وحداتنا المقاتلة تحت وطأتها ، واضطرت الى الانسحاب .

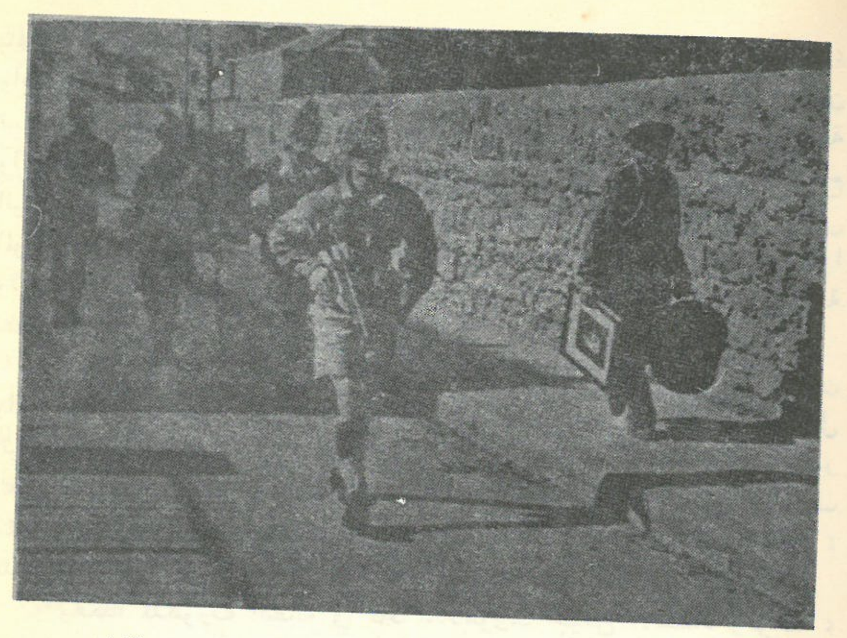
وملأنا الفراغ بقوات جديدة من الاحتياطي وكررنا على العدو ، ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى ، لقد هاجمنا يافا بأفضل قواتنا واحسنها تدريبا ومرانا في القتال ، هاجمناها خمس مرات في يومين وليلتين ، وفي المرات الخمس رددنا على أعقابنا وحملنا من ميادين المعركة ابطالا أعزاء علينا ، حملناهم مضرجين بدمائهم ، وبلغ من صلابة حماتها أن فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا أمرنا الى قواتنا الأمامية بالانسحاب ، ولكنها لأول مرة في تاريخ الأرغون خالفت الاوامر وبقيت تحارب(٤٧) » .

وجمع اليهود كل قواتهم ، واستنفروا كل قادر على السلاح . وهاجموا يافا من جديد ، واستمر القتال ليلة كاملة ، وفقد اليهود كثيرا من رجالهم ، وأصبحت يافا مهددة بالسقوط ، ان الشائعات تنطلق بأن مصر على وشك ان تنزل جنودها في يافا ، وأن قائد يافا يواصل استنجاده باللجنة في دمشق .

وكان القاوقجي يعسكر في شمال فلسطين ، ووسط محنة يافا الحقت به اللجنة قيادتها ، فأقال نجم الدين وولي قيادتها الرئيس ميشيل العيسى على فوج أجنادين ، وأن يرافقه المقدم صالح مهدي صالح العاني بفصيل مدفعي واربع مصفحات ليعينه على دخول المدينة المحاصرة ، يقول هذا « امتطيت المصفحة وتقدمت ، وسار الفوج خلفي ، وما كدنا نصل الى نقطة تقع على مقربة من المستعمرة « نيترفي » في ضواحي يافا ، حتى أطلق اليهود علينا وابلا من رصاص رشاشات ومدافع الهاون ، وبدأت المدفعية التي ركزتها قبلا في مواضع مهمة تقصف المستعمرة التي انهار برجها على من فيه ، وتقدمنا بعد ذلك بالمصفحتين ، وفر اليهود تاركين قتلاهم وهناك تقدم فوج أجنادين ودخل يافا ، ولم أخسر غير شهيدين وستة جرحى ، وعدت الى قرية « يازور » حيث تركزت مدافعنا وأمرت بأن تقصف تل أبيب ، فأرسلنا عليها ستة واربعين قذيفة واخذ اللهب والنيران تنتشر في أرجائها ، واستجار اليهود بالانجليز ، فتدخل هؤلاء ونادوا بهدنة بين المتحاربين » .

---

(٤٧) نكبة بيت القدس ، ج١ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .



يهودي واحد يغادر يافا الى تل ابيب فيحميه اربعة من جنود بريطانيا

وهكذا تتدخل بريطانيا كلما حزب اليهود أمر ، فتكون الهدنة في مراحل حرب فلسطين المتعاقبة هي النكبة بالنسبة للعرب ، ويرضى قائد المدفعية ويعود الى نابلس . لقد كان في الامكان انقاذ يافا لو استمرت المدفعية تساعدها ، ولو لم يرضخ جيش الانقاذ لهدنة تقترحها بريطانيا بين خصمين متحاربين منذ ايام امام أبصارها ، وكانت قد قوّت أحدهما فحين غلب تدخلت بالحيلة لانقاذه .

وتجدد هجوم اليهود ، وكانت خسارتهم ٢٥٠ قتيلا ، ولكنهم استطاعوا أن يحتلوا حي المنشية العربي ، وذبحوا كل سكانه ، لا يشفع عندهم كر السنين لدى الشيخ الواهن ولا بسمة البراءة لدى الطفل الصغير ، بل مثلوا بهم تمثيلا مرعبا مفزعا أليما .

لقد انسحب القائد المقال عادل نجم الدين وسحب معه ٣٠٠ مقاتل اخذهم بأسلحتهم وعتادهم ، سحبهم وسط المعركة الدامية ، لم يفكر في التاريخ ، ولم يرع سمعة الوطن المجاهد ، وخرج بمجرد وصول القائد الجديد(٤٨) .

وادرك القائد الجديد ثقل المهمة في مدينة هدمتها القنابل ، وازدحمت

---

(٤٨) القائد هو ميشيل العيسى .

بالمشردين الذين هدمت بيوتهم ، وظهر فيها الجياع الذين لم يجدوا خبزا ، وابرق الى القاوقجي قائده العام مستنجدا : « عادل يترك المدينة دون تسليم ويرفض التسليم ، الحامية انهارت ، واسلحتها تبددت ، المدينة والحامية في حالة فوضى تامة ، وموقف عادل من هذا سلبي بل ربما ارتاح اليه ، نهب الجنود متاجر متعددة ، لا تستطيع أية شخصية السيطرة على الموقف دون وجود جيش نظامي يدعمها ، ثمانون بالمئة من الأهلين رحلوا وسيل الرحيل متواصل بشكل محزن ، اللجنة القومية لا تستطيع مداومة أعمالها لانقطاع مواردها(٤٩) » .

وأبرق من جديد يقول : « عادل غادر المدينة مع جميع العراقيين واليوغسلافيين بحرا ، والمدينة تكاد تكون مقفرة من السكان بعد ترحيل اليوم ، مقدرة المدينة على تموين من تبقى من الحامية تتوقف غدا ، أصدر القائد البريطاني امرا بوجوب ايقاف الضرب من الطرفين حتى منتصف الشهر الحالي، في حالة عدم امتثال اليهود للأمر ليس لدي ما يقف امامهم ، عدوى الفرار سرت لأجنادين ، انتظر تعليمات مستعجلة » .

وهكذا تدهورت الحالة في يافا ، دهورها جيش الانقاذ وقواده ، وضعف الايمان في قلوب بعضهم ، لقد استنفد الشعب كل حيلة في القتال ، ثم راى بأم عينه القائد يسحب جنوده ، ويركب معهم البحر وسط قنابل اليهود وهجماتهم ، وماذا ينتظر من الرجال العزل والنساء المخدرات والاطفال الصغار بعد هذا .. وبعد أن يروا أمام أعينهم انسحاب حماتهم ، وهجوم الجنود المنقذين على المتاجر ينهبونها ، وفرارهم من حصون القتال وخنادقه .

اغلق اليافيون متاجرهم ، وكثر القتلى والجرحى ، وازدحمت المستشفيات ، وارتفعت الأسعار ، ووقع الشعب بين نار اليهود يصلاها وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف ، وضعف التسليح يرهقه في القتال ، وانعزلت يافا عن العالم ، وأبرق اهلها الى الملوك العرب والرؤساء ، وتلقوا جوابا واحدا من رئيس لبنان : « أن اربع بواخر ستبحر الى يافا لنقل المرضى والجرحى » ولم تصل البواخر .

ونزح السكان الذين علموا بابادة السكان في حي المنشية والتمثيل بهم ، نزحوا بعد ان نصحهم القائد العربي ميشيل العيسى وأخبرهم انه لا جدوى من البقاء ولا من الدفاع ، فالسلاح غير متوافر ولا كاف(٥٠) . ونهبت المخازن ، وارتبك الأمن العام ، يقول مؤرخ عربي : « انه عندئذ

---

(٤٩) نكبة بيت المقدس ، ج١ ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .
(٥٠) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٦٣ .

تنفس سكان تل ابيب الصعداء ، وغادروا مخابئهم ، وانطلقوا في الشوارع يمرحون احرارا ، بعد أن قضوا في المخابىء شهورا طوالا » .

وفي ١٣ مايو (أيار) ١٩٤٨ وقبل دخول الجيوش العربية بيومين ، اضطرت لجنة الطوارىء في المدينة أن توقع لليهود في مركز قيادة الهاجانا بتل أبيب الصك التالي :

« أحمد أبو لبن ، صلاح الناظر ، أمين اندراوس ، احمد عبد الرحيم، يشكلون لجنة الطوارىء في يافا ، وبما أنهم يقيمون فيها لادارة شئون العرب في المنطقة المذكورة أعلاه ، وذلك بعد أن أعلنوا يافا مدينة غير محصنة ، ومن أجل المحافظة على السلام ، وعلى مصالح العرب في المنطقة المذكورة لذلك فانهم يصرحون ويؤكدون أن جميع العرب سينفذون جميع التعليمات التي أصدرها او التي سيصدرها لهم قائد الهاجانا في تل أبيب ، واي ضابط معين أو مفوض من قبله اليوم أو فيما بعد منفردين أو مجتمعين ، وكذلك فانهم يصرحون ويؤكدون انهم قرأوا التعليمات الصادرة اليوم من قبل قائد الهاجانا في لواء تل أبيب الى العرب في المنطقة المذكورة ، وأنهم وقعوا على هذه الأوامر اشعارا منهم بفهمها فهما تاما ، وأنهم يتعهدون بتحمل المسئولية التامة بتنفيذ هذه التعليمات تنفيذا تاما من قبل العرب ، ومن المفهوم أن الهاجانا تحترم دوما ، وستحترم فيما بعد ميثاق جنيف وجميع شرائع وتقاليد الحرب الدولية ، واشعارا بما تقدم قد وضعوا تواقيعهم في هذا اليوم الثالث عشر من شهر مايو (أيار) ١٩٤٨ على هذا الاتفاق في رئاسة الهاجانا في لواء تل أبيب(٥١) » .

وكانت تعليمات اليهود هي :

١ – أن كل طلقة نارية تطلق على أية منطقة يهودية او على أي عضو من أعضاء الهاجانا أو أية مقاومة لهم ستعتبر سببا كافيا لاطلاق النار على المذنب .

٢ – تسلم الأسلحة الى ممثلي الهاجانا وتخزن في المكان والزمان اللذين يحددان فيما بعد .

٣ – على كل من يعلم عن وجود ألغام أو متفجرات صغيرة أو اية أشياء كهذه يجب أن يبلغ أقرب عضو من الهاجانا والا عوقب بشدة .

٤ – على جميع الذكور الموجودين في المنطقة أن يجتمعوا في المنطقة الواقعة بين شارعي فيصل وعمر المختار وشارع الحلوة والبحر وكل من

---

(٥١) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٦٥ .

يوجد خارجها يعاقب بشدة . الى آخر الأوامر التي تنظم سلطة الاحتلال وتمكن العرب في ظاهرها من حياة هادئة .

وفي الرابع عشر من مايو (أيار) دخلت جيوش اليهود مدينة يافا العربية ، وتناست بنود الاتفاقية ، وأعملت فيها يد السلب والنهب والقتل والفتك .

لقد خسر اليهود من جماعة الأرغون ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرين بين قتيل وجريح في يافا وقراها ، ولم تعلن خسائر الهاجانا والمدنيين اليهود .

أما العرب فقد كانت خسارتهم تناسب جهادهم البطولي فبلغت ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين .

٥ ـ معركة حيفا :

كانت حيفا مستهدفة من اليهود ، يسكنونها ويتكاثرون فيها ،وتسهل لهم بريطانيا تلك الاراضي حواليها ،حتى كادوا منذ أيام السلم يحاصرونها، وبلغ عدد سكانها خمسة وسبعين ألف يهودي و ٦٢٥٠٠ عربي ، وحين أقر التقسيم في هيئة الامم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ طالب رئيس اللجنة القومية رشيد الحاج ابراهيم بتأليف حكومة عربية ترعاها الهيئة العليا ، ومنها تستمد النفوذ ، ولكن الجامعة العربية عارضت هذا التدبير وشجبته (٥٢) وقدر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة الاف جندي مدرب ، وبينهم عديد من الضباط الروس (٥٣) والجميع مزود بالسلاح الامريكي والمصفحات الروسية ، أما العرب فقد انضووا تحت اللجنة القومية ، واخذوا كالعادة يبحثون عن السلاح الذي حرموا منه قبلا ، وقسموا حيفا الى مناطق دفاع عشر ، وأشتروا بأموالهم بعض السلاح ، وأمدتهم اللجنة العسكرية بكميات من سلاح آخر ، وأرسلت لهم أيضا الهيئة العربية العليا سلاحا من بيروت ، حتى أن رشيد الحاج ابراهيم تسلم ٨٩ بندقية فقط ، وأرجع ١٦١ بندقية لأنها غير صالحة ، وكذلك كان كل سلاح يصل حيفا يتبين أن قسما منه فاسد ، لا يصلح للقتال (٥٤) .

لقد كان وضع حيفا لا يساعد على الدفاع ، فلقد ساعدت بريطانيا اليهود على تطويقها من جهاتها الاربع بالمستعمرات العديدة (٥٥) ، وكانت

---

(٥٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢٣٩ .

(٥٣) اللواء طه الهاشمي ، جريدة الحارس ، بغداد العدد ٢٧ في ٢٨ من مايو ١٩٥٣ .

(٥٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢١١ .

(٥٥) المستعمرات هي ميشيك باجور ونيشر وعتليت وكريات آمال ورامات يوحنان وكفار حسيديم وباروس حنا وبنيامينا والخضيره وزخرون يعقوب .

بطولة من شعبها أن يصمم على القتال لا سيما حين أدرك أن اللجنة العسكرية للجامعة بدمشق ليست في مستوى الاحداث وخطورتها ، ولو أنسحب منها شعبها لما ناله لوم التاريخ ، وقد جربنا في الحروب كيف ينسحب المقاتلون استعدادا لجولة أو بعدا عن المخاطر ، وفي الحرب العالمية الثانية رأينا كيف انسحب الحلفاء من أوربا ، أنسحبوا من بعضها بعد قتال وانسحبوا من بعضها الآخر قبل أن تصلهم جيوش الالمان ، وفي تلك الحرب نفسها رأينا كيف قاتل الروس الالمان من شارع الى شارع في ستالينجراد ، وقبلها في مواقع الحدود ، ورأيناهم أيضا كيف انسحبوا من أماكن كثيرة قبل أن تصلهم جحافل هتلر المدمرة ، وفي ليبيا نفسها شاهدنا كيف أنسحب الالمان أمام الانجليز حتى أحتل هؤلاء طبرق وبنغازي ، ثم انسحبوا من هذه الاخيرة دون قتال ، ولم يقف انسحابهم الا في طبرق حيث أدركوا أنها منيعة الحصون ، طبيعية الميناء ، بل لقد عاصرنا كيف اضطر الرئيس جمال عبد الناصر الى اصدار الامر لجيشه بالانسحاب من سيناء وغزه حين أدرك أن خطة الانجليز والفرنسيين هي حصر الجيش بينهما وبين اسرائيل بعد نزولهما في قناة السويس ، ولكن أهل حيفا شذوا عن كل هذه القواعد التي سجلها التاريخ في السابق واللاحق ، لقد قرروا أن يقاتلوا دفاعا عن مدينتهم من شارع الى شارع ، وحين تعاونت بريطانيا مع الصهيونية علنا ، وخذلت العرب جهارا ، وأرادت أن تفرض عليهم لليهود صك اذلال وأستسلام رفضوا التوقيع وقاتلوا حتى النهاية ، وفي بداية ديسمبر (كانون الاول) بدأ العرب يتحركون في حيفا ، وعمدوا الى مخازن اليهود فأحرقوها ، وأطلقوا عليها رصاص الرشاشات ، ثم غمسوا قطع القماش في البترول ورموا بها كتل الاخشاب والمتاجر ، وفي العاشر منه بدأ قتال الشوارع في حيفا ، وأبرق مراسل الاهرام يقول : « شهدت حيفا معركة حامية استعملت فيها كمية كبيرة جدا من الذخيرة ، وكانت لعلعة الرصاص تسمع في كل ركن وفي كل شارع ، وقد بدأت المعركة عندما قتل اليهودي جوزيف زليخر في سوق الشوام ، فهاجم اليهود بعد ساعة شابا عربيا في شارع ستانتون ، وأشهروا المسدسات عليه واختطفوه الى جهة مجهولة ، وشن اليهود هجوما على نفس الشارع أستعملوا فيهالرصاص والقنابل اليدوية والمدافع الرشاشة ، فتصدى لهم العرب وردوهم على أعقابهم ، وأنتقلت المعركة من شارع ستانتون الى شارع هاشومير حيث كان اطلاق الرصاص أشبه بتساقط الامطار ، ثم تحولت المعركة الى حي وادي روشينا ، وأستمرت المعركة التي أبتدأت في الحادي عشر صباحا الى الساعة الخامسة مساء .

وتستمر المعارك في تلك الليلة نفسها ، وتنشر الاهرام برقية جديدة لم

يجد مرسلها بدا من الاشادة بشجاعة العرب وبسالتهم وهو المدرك لقوة اليهود في تلك المدينة ولتصميم العرب على خوض المعركة الوطنية ويقول :

« كانت مدينة حيفا خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية مسرحا لسلسلة من المعارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والازقة ، وقد سجل العرب ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق (٥٦) ونشبت معركة اخرى في حيفا صرع فيها ثمانية من الهاجانا اليهودية ، وحاول اليهود القيام بعملية نسف خطيرة عندما القوا ثلاثة براميل محشوة بالمفرقعات الفتاكة في شارع ستانتون (٥٧) .

وتشيد الجرائد بأنباء القتال المستمر في حيفا ، ويصوب اليهود مدافع الهاون على الجماعات العربية التي كانت تغادر معمل التكرير فقتل بعضهم، ولكن العرب يقابلون ذلك بهجوم عنيف على حي الهادار اليهودي فيصيبون عشرين يهوديا بين قتيل وجريح (٥٨) .

وحينما كانت طلائع شهر مارس (آذار) ١٩٤٨ تأخذ مكانها من تاريخ فلسطين ، واحس اليهود بالتصميم القوي لشعب حيفا على القتال ، عمدوا الى ارهاب يشيعون به الرعب بين السكان ، اذ فجروا سيارة شحن تحمل برميلا به اربعمائة رطل من المواد الناسفة ، فجروها امام دار السلام العربية المؤلفة من عدة طوابق ، وهي الدار التابعة للهيئة العربية العليا ، فاهتزت المدينة للحادث المرعب ، وتحطمت دار السلام ومعها المتاجر المجاورة وأصيب من شعب حيفا في هذا الحادث سبعة وستون شخصا كان قرابة ثلثهم شهداء (٥٩) .

ويشعر العرب ان الواجب يناديهم ليكيلوا لليهود بنفس الكيل ، فعمدوا الى نسف بناء شركة « سوليل بونيه » اليهودية ، وهو بناء يضم فرع الوكالة اليهودية ، فتحطم بكامله ، وكانت اصابات اليهود تقارب الخمسة والستين بين قتيل وجريح (٦٠) ، وفي ذات اليوم فجّر اليهود ألغامهم في شارع العراق ، فهدمت ثلاثة منازل عربية ، وأصيب عدد من الدور بأضرار بالغة ، وأصيب ثمانية وعشرون عربيا بين جريح وقتيل .

ويقول مؤرخ عربي بعد أن سجل كميات الاسلحة المرسلة من اللجنة العسكرية بدمشق الى حيفا وهي كميات بعضها قديم ومجموعها لا يكفي :

---

(٥٦) جريدة الاهرام ، اعداد : ١ و ١١ و ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٥٧) جريدة الاهرام ٤ من يناير ١٩٤٨ .
(٥٨) جريدة الاهرام ، ٤ من يناير ١٩٤٨ .
(٥٩) جريدة الاهرام ٤ من مارس ١٩٤٨ .
(٦٠) جريدة الاهرام ٢٠ من مارس ١٩٤٨ .

لقد بذل المجاهدون من ابناء حيفا والقرى المجاورة لها كل ما في وسعهم من جهد للتغلب على أعدائهم ، وكادوا ينجحون ، وقاتلوا اليهود خمسة أشهر كاملة من ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ الى ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ فقتلوا من اليهود خلقا كثيرا ، ونسفوا معامل التكرير فحرموهم النفط والبنزين ، ودام القتال مرة بينهم وبين اليهود ستا وسبعين ساعة دون انقطاع من يوم الواحد والعشرين من ابريل (نيسان) الى الرابع والعشرين منه ، وكثيرا ما نشب القتال بين الفريقين في المنازل والازقة . وكانوا أحيانا يشتبكون بالسلاح الابيض وبالايدي والعصي من بيت الى بيت (٦١) .

وكان الجيش البريطاني في حيفا شرا خطيرا على شعبها ، فحين نسف العرب سيارة يهودية محملة الغاما في شارع هاشومير وتضررت دور يهودية عديدة ، تقدم الجيش البريطاني فحاصر المنطقة العربية في وادي النسناس ، وأعمل يد الخراب في الدور والاشياء ، وسمح لجنده وضباطه بالسرقة والنهب وأزال تلك الحواجز التي اقامها العرب في الشوارع ، وقبيل منتصف فبراير (شباط) حين أحرق اليهود اربع سيارات عربية ، اخذ القائد العربي يونس نفاع يلاحقهم ، فأعترضه الجيش البريطاني واودعه السجن ، وحال بينه وبين هذه المطاردة ، ولم يطلق سراحه الا مساء ، عندما كان الفاعلون قد أمنوا البعد لأنفسهم .

وفوجيء العرب بالجيش البريطاني في الرابع عشر من فبراير (شباط) يطوق جامع الاستقلال من البر والبحر مفتشا كل جزء ، وباحثا عن الاسلحة ولم ينته هذا الارهاب البريطاني الذي لم يوجه منه شيء الى اليهود في حيفا الا مساء ذلك اليوم .

وبينما كان محمد فخر الدين أورخان ، المجاهد التركي الذي تطوع للجهاد قادما من الاناضول يقود فريقا من الفدائيين معدا كمية من المتفجرات ، اذ اطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد في أوائل مارس (آذار) (٦٢) .

ثم تلك المعركة الكبرى التي كانت طعنة أليمة في جانب المقاتلين في حيفا ، وهي المعركة التي حدثت بين قافلة السيارات العربية القادمة من بيروت وبين اليهود عند مستعمرة « موتسكين » فقد ساعدت بريطانيا اليهود في القضاء على تلك القافلة ، وقتل رجالها المهمين جدا ، اذ عرضت دبابة في وسط الطريق ، فحالت دون تقدم القافلة ، وأطلقت النار على السيارة

---

(٦١) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢١٣ .
(٦٢) المصدر السابق ، ج١ ص ٢١٥ .

الاولى ، فاستشهد ضابط اردني كان يقودها قبل أن يتمكن من استعمال سلاحه ، واحاط اليهود بسيارة مملوءة بالمتفجرات ويقودها سرور برهم من ابناء فلسطين فلما أيقن انه لا نجاة له ، نسف سيارته فاستشهد وقتل عددا من اليهود الذين احاطوا به ، واستطاع اليهود والانجليز الذين تجمعوا وتعاونوا ان يقتلوا عددا مهما جدا من مجاهدي حيفا وضباطها وعلى رأسهم قائد حاميتها الضابط الاردني الوطني محمد الحنيطي الذي اتفق مع لجنتها على قيادة المعركة فيها ، وقد بلغ شهداء العرب في هذا اليوم أربعة عشر شهيدا .

اذا كان الانجليز قد جاءوا بدباباتهم يساعدون اليهود ، ويقتلون العرب في هذه المعركة فهم انما يتمون يدهم البيضاء على اليهود في ذلك اليوم، فقد ذكر الشيخ محمد نمر الخطيب صاحب كتاب « من أثر النكبة » ان ضابطا انجليزيا متزوجا من يهودية كان في مركز الناقورة بحدود فلسطين لبنان ، وأنه سمع محادثة تليفونية بين القائد الحنيطي وبين القيادة العربية بحيفا (٦٣) ، فلا يمكن أن يتصدى اليهود مرابطين في ذلك الموقع المهم الا بأخبار من عيونهم في مركز الحدود ، بالاضافة الى الجيش البريطاني الذي شاركهم في المعركة .

وأنهارت المقاومة في حيفا ، فقد كان العرب القليلو السلاح ، المحاطون بالاعداء من كل جانب ، يقاتلون عدوين في حيفا ، قويين مسلحين ، اليهود والانجليز .

لقد جمع اليهود جنودهم وهاجموا المناطق العربية ، وأعملوا سلاح الفتك والقتل في الجميع ، لا يفرقون بين ذكر وأنثى ، ولا بين صغير وكبير واستبسل حماة حيفا في قتال جنوني ، لا امل لنصرهم فيه ، وأمتدت معركة دامية رهيبة من صباح التاسع عشر من ابريل (نيسان) الى مساء الحادي والعشرين منه ، لا تهدأ نارها ، ولا تجف دماؤها ، والبريطانيون الذين أيقنوا أن كفة اليهود هي الراجحة يقفون في ثكناتهم لا يمانعون ولا يتدخلون ، وحينما أقبلت جموع عربية من القرى المجاورة تنجد المقاتلين العرب ، تحرك البريطانيون فحالوا بينهم وبين دخول حيفا ، وكثر القتلى والجرحى من العرب ، وسلط اليهود مدافع الميدان الكبيرة ، وقاذفات الالغام والمدافع الصاروخية .

سلطت هذه كلها الى المناطق العربية في حيفا والمدافعين عنها ، ولم يلق العرب سلاحهم ، ولكنهم تقدموا الى القيادة البريطانية بطلب لا يستغرب بين الاعداء في ساحات الحروب ، طلب تحتمه الانسانية وتفرض الاستجابة

(٦٣) عارف العارف ، مصدر سبق ذكره ، ج١ ص ٢١٦ .

له ، ذلك هو نقل الجرحى العرب الى المستشفيات ، وكانوا كثرة كثيرة ، فرفض الانجليز ذلك ، على أن الانجليز الذين شاركوا اليهود في معاركهم ضد العرب في حيفا ، والذين صدوا امدادات القرى العربية المجاورة من الوصول الى ميدان المعركة ، والذين رفضوا القيام بأقل واجب انساني في نقل الجرحى الى المستشفيات على كثرتهم وخطورة نتائج تركهم ، هؤلاء الانجليز لم يكتفوا بذلك ، بل وقفوا في وجه المناضلين العرب يصادرون ما معهم من اسلحة ، ويتركونهم طعمة لجحافل اليهود وسلاحهم .

وبذلك تكون القوات العسكرية البريطانية قد أتمت في حيفا ذلك البرنامج الرهيب الذي أبتدأته بريطانيا لتهويد فلسطين منذ دخول جيوشها عام ١٩١٧ ، ولم يعد هناك معنى للبقاء في حيفا بعد أن ملكت الاراضي المحيطة بها لليهود ، ومنعت السلاح والعتاد عن العرب ، وأسهمت في اضعاف مقاتليهم وقتلهم ، وبذلك انسحبت من حيفا في الثالث والعشرين من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ قبل ثلاثة وعشرين يوما من الموعد الذي حددته عالميا لانسحابها ، بل لقد كان المفهوم أن بريطانيا لا تنوي ترك حيفا لاسباب عسكرية وللرغبة في جعلها مرفقا بحريا .

وأستنجد أهل حيفا بقناصل العرب ، وبقيادة الجيش الاردني التي كانت ترابط على بعد أميال منهم ، ووقف الجميع يتفرجون على مجزرة أريق فيها الدم العربي مدرارا ، وكأن الامر أكبر من وجودهم أو أنه لا يعنيهم ، لا يختلف في ذلك قادة اللجنة العسكرية في دمشق ، وقادة السرية الاردنية المدربة المسلحة والتي تضم ٧٠٠ جندي .

لعل الوطنية لم تكن تنقص قوادهم قدر ما تنقصهم امكانية العمل والخضوع للقادة البريطانيين ، فقد ذكر مؤرخ عربي أن القائد الاردني هزه صوت السلاح يستعمل في عنف وشدة ضد قومه العرب في حيفا ، وعندما حاول التحرك لنجدتهم أنذره القائد البريطاني باطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك ، وتقدم مساعد الحاكم الانجليزي (٦٤) للمنطقة ، الحاكم الذي ينفذ شروط الانتداب وبنوده والذي اعلنت دولته أنها تتحمل مسئولية الامن حتى منتصف مايو (ايار) ١٩٤٨ ، تقدم الى العرب يقول : « اذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة ، عليكم الاتصال باليهود حالا والاتفاق معهم » وعندما جودل بمسئوليته عن حفظ الامن حتى تاريخ انتهاء الانتداب ، كان جوابه : « تلك هي نصيحتي » .

ولم تنفع مراجعات العرب لحاكم اللواء ، ولا للقائد البريطاني ، فقد تنصل الجميع من أي أجراء ، وأعلن القائد البريطاني « أنه لن يضحي

(٦٤) هو المستر فايتنر برنج .

بجنوده ولن يسمح للقوات العربية المسلحة أن تدخل المدينة لمساعدة السكان العرب ، وهو على استعداد فقط للتوسط بشريطة أن يقبل العرب الهدنة» .

وعلى أولئك الذين لم يحيطوا بأحداث فلسطين أن يدركوا هذه الصورة المفصلة الواضحة عن موقف حيفا في الايام الاخيرة لعروبتها ، وليجعلوا انفسهم قضاة قبل ان يصدروا احكامهم على جهاد عرب فلسطين ، وهم لو فعلوا ذلك لادركوا ان سكان تلك المنطقة قد بذلوا أقوى ما يبذله مثلهم ، ولقد استيأسوا في القتال ، وجاهدوا صادقين ، لم يأبهوا لمنطقتهم المحاصرة ولا لقوات بريطانيا التي طالما اخضعت كثيرا من شعوب ، وعديدا من بلدان .

أما شروط اليهود التي قدمها القائد البريطاني الى المجموعة العربية ، فكان ملخصها كما يلي :

١ ـ أن تسلم خلال ثلاث ساعات الاسلحة الى الجيش البريطاني ، لتسلم الى جيش الهاجانا اليهودي في ١٥ مايو (ايار) .

٢ ـ أن يسلم الجنود الغرباء ليرحلوا بمعرفة اليهود ، وأن يسلم النازيون الموجودون في صفوف العرب الى الجيش اليهودي .

٣ ـ اعلان منع التجول ٢٤ ساعة لعمليات التفتيش (٦٥) .

واخذ العرب يعقدون الاجتماعات ، ويتناقشون ، وكان أهل حيفا في حالة الغيظ الشديد ، وهم برغم ضعفهم يرون في قبول هذه الشروط استسلاما مذلا تقدمه بريطانيا هدية سهلة في آخر ايامها الى اليهود الذين تبنتهم وقوّتهم ، وتدارس القوم ، ماذا تكون النتائج لو قبلوا ولو رفضوا ؟

لو قبلوا ، فسيسلمون مدينتهم العزيزة للغاصبين برضاهم ، ولن ينالهم بعد ذلك الا الفتك والهوان ، ولو رفضوا ، فسوف لا يقطعون حبل الود التاريخي مع حيفا العربية ، وليكن لسلطان اليهود الغاشم ما يكون ، وقبيل الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، قال الجنرال البريطاني للمندوبين العرب في دار البلدية : « انه لن يكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط اليهود حتى السادسة والنصف وأقبل المندوبون العرب وهم عزل الا من الايمان وحب الوطن ، وابلغوا في تصميم الى القائد البريطاني ومندوب الجيش اليهودي قرارهم النهائي وقالوا كلمة التاريخ « لن نسلم مدينتنا » .

ودخل اليهود حيفا مساء الخميس الثاني والعشرين من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، تحميهم قواتهم العديدة التي خلقتها بريطانيا وحمتها وساعدتها بأجنادها ودباباتها .

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ج١ .

اما وكالات الانباء فقد وزعت برقياتها على الصحافة العالمية تصف تطور الاحداث في حيفا وتقول : « كانت السلطة البريطانية قد اصدرت اوامرها امس فجأة الى جنودها بالتخلي عن زمام السلطة في مدينة حيفا ، وكأن اليهود على موعد مع السلطات البريطانية ، فبدأوا امس زحفهم على حيفا وهبطوا بجحافلهم من مستعمراتهم في جبل الكرمل تؤيده قوات استدعيت على عجل من المستعمرات القريبة ، وشرعوا يحتلون أحياء المدينة حيا حيا ، مقاتلين العرب الذين تصدوا لهم لوقف زحفهم المفاجيء السريع، ومع ذلك فان العرب على قلة عددهم لم يقابلوا الزحف اليهودي على حيفا مكتوفي الأيدي ، بل تصدوا لقوات الهاجانا ، واشتبكوا معها في قتال مر ، ولا سيما حول جبل الكرمل وعند محطة السكك الحديدية التي حاول اليهود عبثا انتزاعها من قبضة العرب (٦٦) ...

واذاعت روتر بعد ذلك برقية تقول فيها : « ان خطوط الدفاع العربية في مدينة حيفا قد انهارت تحت وطأة مدفعية اليهود من طراز مورتر والمدافع الرشاشة التي أصلت المدينة نارا حامية ، وقيل ان العرب تكبدوا خسائر فادحة عندما حاولوا صد الهجوم اليهودي الذي بلغ ذروته » (٦٧) .

يحصي المؤرخون خسائر المعارك الاخيرة في حيفا بـ ٦٥٠ عربي بين جريح وقتيل ، وبلغ القتلى اليهود ٣٦٣ قتيلا .

وجريا على عادة اليهود اعملوا في السكان العرب سلاح الفتك والابادة فقتلوا ومثلوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع ، والقوا بالقتلى أمام النسوة والاطفال ، وادخلوا الدواب الى مساجد المسلمين يتخذونها كاصطبلات لينجسوها ، وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين واخذوا معالمها من المرمر لمنازلهم وبناياتهم ، ومنذ ٢٢ ابريل (نيسان) عام ١٩٤٨ ، والصهيونية العالمية تتحكم في ثغر حيفا التاريخي العربي ، وقسم من شعبها الذي استطاع الهجرة الى خارج الحدود يرنو بأبصاره اليها ، ويتذكر أبطاله الذين رفضوا توقيع صك الاستسلام برغم التهديد والابادة .

٦ ـ صفد العربية تلحق بحيفا :

كانت المعارك في صفد وحولها مستمرة ككل مدن فلسطين وقراها ، وكان مجموع سلاح العرب منذ بدء القتال حتى نهايته وبما ارسلت لجنة

(٦٦) جريدة الاهرام ٢٣ من ابريل ١٩٤٨ .

(٦٧) جريدة الاهرام ٢٣ من ابريل ١٩٤٨ .

دمشق مضافا الى ما تمكن اهل صفد من شرائه ، لا يزيد عن أربعمائة بندقية بعضها فرنسي وبعضها انجليزي ، وكان اديب الشيشكلي هو قائد القطاع الذي يضم صفد ، وانسحب الانجليز من صفد المدينة التاريخية التي تضم حوالى ١٢ الف وخمسمائة عربي ، انسحبوا منها في السادس عشر من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، ودخل العرب المدينة فأحتلوا كثيرا من جوانبها ، وكانوا حوالي ستمائة مقاتل منهم قرابة اربعمائة وسبعين من الفلسطينيين ومائة وثلاثين من جيش الانقاذ (٦٨) .

تمكن اليهود عندما احتلوا القريتين العربيتين عين الزيتون وبيريا ، من عزل صفد عن القرى العربية المهمة ، وبينما يستمر القتال بين الفريقين دون انقطاع ، يتلقى اليهود في يومي ٥ ، ٦ مايو (ايار) نجدات عسكرية في ١٧٢ سيارة عسكرية ، كان الصفديون يرون هذه النجدات فلم تكن ميادين القتال بعيدة عن مرأى العين ، بل هي شوارع وميادين ومناطق ، واخذ الشيشكلي يستنجد بقيادة جيش الانقاذ وقائده فوزي القاوقجي وكان الرد دائما « لا يوجد احتياطي » ، وانهارت معنويات الشعب ، واخذ جنود جيش الانقاذ يتسللون هاربين ، فلم يبق الا القليل (٦٩) .

وسافر وفد من صفد لاقناع اللواء اسماعيل صفوت بحاجة صفد الى سلاح وعون ، ولكن اللقاء كان سيئا والعون كان عراكا ، وتمسك الصفديون بمواقعهم يدافعون ويستشهدون في سبيلها ، وأخذ الشيشكلي يدك بمدافعه مواقع اليهود ، وتجددت الروح الوطنية ، واشترك عدد من العراقيين بمدافعهم ، فأسهموا بقدر كبير في تحطيم الحي اليهودي ، وجمع اليهود جحافلهم وهاجموا المواقع الصفدية في ثلاثة صفوف في اليوم الثامن من مايو (ايار) وكان اليهود يستعملون راجمات صنعوها باتقان مع قنابل الهاون ، وانكسر الهجوم اليهودي امام صلابة العرب المدافعين ، ولكن الذخائر العربية وهي المشكلة المتكررة بدات تقل وتنقص (٧٠) .

يقول الكاتب اليهودي « ماير فيشر » : ان العرب استأنفوا قصف المدافع في يوم السبت ٩ والاحد ١٠ مايو (ايار) وكانت هذه المرة أشد فتكا واكثر احكاما ، وكانت قذائفهم تزرع الموت والدمار حيثما تساقطت وكادت صفد تسقط بيد العرب لولا ان ركضت نجدات كبيرة اخرى من قوات البالماخ يقودها قائدها الاعلى ، وكانت هذه القوات مسلحة بأسلحة

(٦٨) نكبة بيت المقدس ، ج١ ص ٣٠٠ .
(٦٩) المصدر السابق ، ج١ ص ٣٠٤ .
(٧٠) المصدر السابق ، ج١ ص ٣٠٥ .

كثيرة ووفيرة ، وكان بينها عدد غير قليل من مدافع « الفيات » وكان الجو ماطرا والتحم الفريقان في كل مكان ، ولا سيما في عمارة البوليس من دار الى دار ، ومن غرفة الى غرفة ، وقد استعملا السلاح الابيض عندما سكت صوت المدفع ونفدت ذخائر العرب ، فسقطت عمارة البوليس في ١١ مايو (ايار) .

على ان هذا القتال الذي يصلاه اهل صفد لم يشترك فيه ضباط وقادة جيش الانقاذ فقد كان الشيشكلي قد قصد دمشق طلبا للسلاح منذ اليوم التاسع ، وكان ساري الفنيش الضابط الاردني الذي عينه الشيشكلي قائدا للحامية قد غادر هو أيضا صفد حاملا ثيابه غير ناو عودة .

على ان القائد الجديد اميل جميعان امر الجيش بالانسحاب بعد منتصف ليلة العاشر من مايو (ايار) وفي الثاني عشر منه كان اليهود قد احتلوا صفد

ودفع العرب قرابة مائة شهيد ، على حين فقد اليهود فيها ثمانمائة وخمسين ، ولعل صفد ما كانت لتسقط بيد العدو لولا تلك الازمات التي قابلتها من نقص السلاح ، وتخلي اللجنة العسكرية عن عونها ، وروح الهزيمة التي كانت مسيطرة على قائدها الاردني ساري الفنيش الذي قال عنه الشيشكلي : انه كان يتغيب عند كل هجوم ، والذي غادر صفد والمعركة مستمرة حارقة ، وقضى ليلة انسحابه على بعد قريب من صفد يرى النار ويسمع طلقات المدافع ، ولولا تدخل الملك عبدالله لدى لجنة دمشق العسكرية ، لكانت محاكمة هذا الفنيش قد تمت حسب طلب الشيشكلي وتقريره ، يقول قائد عربي : « لقد حوصرت حامية صفد فدافعت ببطولة ، وفي منتصف ليل التاسع من مايو (ايار) ظن القائد الاردني ساري الفنيش أن الحامية الصغيرة قد استسلمت أو ابيدت فانسحب تاركا المدينة تحت رحمة القدر واستمرت الحامية الصغيرة تدافع ببسالة اربعة ايام بعد انسحاب قيادتها حتى نفدت آخر طلقة لديها (٧١) » .

ومما يذكر عن اسباب سقوط صفد ، ان تلك المدينة المنيعة الحصينة كانت على جبل يزيد ارتفاعه على الف متر ، وكان اهالي صفد المعروفين بشدة بأسهم مصممين على الدفاع عن بلدهم ، فلما بدات المناوشات في صفد وحولها تطوع ضابط سوري يدعى احسان قيملماز بقيادة حركات الجهاد في صفد ، وكان ضابطا باسلا قديرا مخلصا مؤمنا ، فاستطاع ان يكسب

(٧١) كارثة فلسطين ، ص ٢٧ .
وانظر ايضا : نكبة بيت المقدس ، ج١ ص ٣٠٧ .

ثقة مجاهدي صفد ، بما قام به من غارات شديدة على المواقع اليهودية في صفد والمستعمرات الصهيونية المجاورة ، فطلب اهل صفد من قيادة الجهاد المقدس والهيئة العربية العليا لفلسطين تعيينه قائدا لصفد وما حولها وامداده بالسلاح والعتاد والمال ، فلما رات السلطات البريطانية ما قام به هذا القائد الباسل من معارك ناجحة ضد اليهود ، قلقت كثيرا وخشيت أن لا تتحقق خطتها المرسومة التي تهدف الى تمكين اليهود من احتلال جميع المناطق التي خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم (منها صفد) فبذلت كل جهودها لابعاد القائد احسان ، فاتخذت كثيرا من الدس والتحريض عليه ، حتى خدعت طه باشا الهاشمي الذي كان مشرفا على اللجنة العسكرية للجامعة العربية ، فعزل احسان عن القيادة وابعده عن صفد ، وأمر بتعيين كل من ساري الفنيش واميل جميعان وهما من الضباط الضعاف التابعين للجنرال جلوب البريطاني قائد الجيش الاردني حينئذ الذي قام باعظم دور لتنفيذ الخطة البريطانية المرسومة لتهويد فلسطين

٧ ـ معركة عكا :

استطاع شعب فلسطين ان يحتفظ بثغر عكا البحري والقرى المجاورة لها طوال أيام الصراع الدموي مع اليهود من نوفمبر (تشرين الثاني)١٩٤٧ الى مايو (ايار) ١٩٤٨ .

وحين وصل جيش اليرموك بقيادة اديب الشيشكلي في أواخر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٤٨ استبشر اهل عكا بالعرب المنجدين ، ولكن اخوانهم رجال اليرموك ، وهم قسم من جيش الانقاذ ، لم يتركوا معهم الا ثلاثين مقاتلا (٧٢) ، وكان أهل عكا شوكة في جنب اليهود ، يتربصون بسياراتهم ويعترضون مقاتليهم

واستمرت عكا محتفظة بكيانها العربي ، حتى هوت حيفا تحت سنابك اليهود ، وكثر عندئذ ساكنوها من اللاجئين ، وتفرغت لها وحدات اليهود المقاتلة ، واخذت تصب عليها نيران مدافعها ، واخذ ابناء عكا والمهاجرون من ابناء حيفا يواصلون قتالهم ، على حين راح قائد جيش اليرموك يستنجد بلجنة دمشق العسكرية دون جدوى (٧٣) ، وفي الحادي عشر من مايو (ايار) قرر الشيشكلي الانسحاب بجيشه وبقي أهل عكا وحدهم يقاتلون ، وحين خاب الامل في عون من لجنة الجامعة بدمشق ، ذهب وفدهم يستنجد

(٧٢) المصدر السابق ، ج٢ ص ٤١٨ .

(٧٣) المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٢٠ .

بالملك عبدالله في عمان ، ولكن هذه المحاولة أيضا ذهبت دون جدوى . وادرك شعب عكا أن الجميع قد تخلى عنه .

ودارت معارك دامية عند تل نابليون ، وأستشهد عديد من شباب عكا الذين حاولوا وقف الزحف اليهودي ، ودارت معركة في الجانب الآخر من عكا ذهب فيه كل المدافعين في تلك الجهة من شباب عكا شهداء ، واستمر الموقف مضطربا خطيرا . وأن التاريخ يشير الى اليوم الرابع عشر من مايو (ايار) ودخول الجيوش العربية لم يعد بعيدا .

لقد فشل وفد عكا الذي استنجد بالملك عبدالله وفشل ايضا استنجاد القائد الشيشكلي بلجنة دمشق ، واقفرت كل الآمال ، ولكن شعب عكا لم ييأس بعد ، فليذهب وفد من ثلاثة رجال (٧٤) الى الجارة القريبة من عكا الى الحكومة اللبنانية يطلبون أن تمدهم بالسلاح عن طريق الجو ، وذهبت هذه المحاولة ايضا أدراج الرياح ، وفي غمرة اليأس ، جاء فريق من المناضلين كانوا في جيش اديب الشيشكلي ، فقاتلوا يوما وليلة ، ثم انسحب أغلبهم ، ولم يبق منهم الا ٤٨ محاربا خاضوا المعركة بحماس (٧٥) ، واستمر القتال في عكا قتال شوارع ونزال أمتار .

وفي الخامس عشر من مايو (ايار) حين كانت الانظار تتجه الى حدود فلسطين مترقبة دخول الجيوش العربية السبعة الزاحفة ، في ذلك اليوم تمكن الفلسطينيون من انتزاع محطة السكة الحديد من اليهود واخرجوهم ايضا من بناية مصلحة الشئون ، واحتفظ المناضلون بمواقعهم وسط القتال المستمر حتى اذا انتصف النهار كانت المدفعية اليهودية وجحافل اليهود أقوى منهم ، وبينما هم ينسحبون تاركين عددا جديدا من الشهداء ، كان فريق منهم يخوض معركة دامية تدور عند دار السينما الاهلية ، حتى أشرف الليل بظلامه ، وترك اليهود هناك ستين قتيلا .

وتقوّت روح أهل عكا المعنوية بنصرهم هذا ، وازداد أملهم والاذاعات تعلن زحف جيوش الدول العربية من كل صوب ، وأستمر القتال الليل بطوله وعند نسمات الصباح ظهرت حقيقتان خطيرتان لمجاهدي عكا ، كانت الاولى أن الذخائر نفدت لطول العراك ، وكانت الثانية أن الجيوش العربية لم تصل عكا ولم تبعث لها بالمجندين .

(٧٤) هم صالح الحكيم وفريد ابو نسب واحمد العفيفي .

(٧٥) كان يقودهم أبو محمود الصفدي احد رجال الشهيد القسام ، ومن جيش الجهاد المقدس الفلسطيني .

وتلفت المناضلون الى ذويهم واسرهم ، فكانت نكبة اخرى ، لقد كان الجوع يفتك بالاطفال والنساء ، والجوع غول لا يرحم ، بل لقد عمد اليهود الى بث مكروب التيفوئيد في المياه فاتسع خرق المتاعب على العرب ، ان المرضى يطلبون علاجا ، وان الاصحاء يطلبون حقنا للوقاية وان الجميع لم يجد ماء للشرب والاستعمال .

وسقطت عكا تحت سنابك اليهود في السادس عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ بعد يوم من زحف الجيوش العربية السبعة على فلسطين ، وبعد سبعة اشهر من ثورة الفلسطينيين العارمة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى مايو (ايار) ١٩٤٨ ، واستحل اليهود القتل في شعبها المجاهد ، بينما اقاموا نصبا عند مدخلها ذكرى ٧٥٠ قتيلا من ابطالهم قتلوا امام أسوار عكا(٧٦) .

وواصل اليهود زحفهم على قرى عكا امام مقاومة سكانها ، فأحتلوا البروة ، ثم اتجهوا الى قرية « شعب » فقاد شيخها المقاومة الاخيرة ضد اليهود ، وتنادى بالنجدة من القرى الصغيرة المحيطة ، فجاء هؤلاء على النداء، وقاتلوا اليهود فهزموهم وأسترجعوا قرية « البروة » التي كان اليهود قد احتلوها من أيام .

ويقول مؤرخ عربي سجل هذه الاحداث يوما بيوم : ان العكاويين تعقبوا اليهود يومها حتى بئر العياضية في ضواحي عكا وأملوا يومها أن يستردوا عكا نفسها ، وهنا تحرك جيش الانقاذ ، وجاء قائده القاوقجي الى المناضلين الذين سبق أن استنجد به شيخهم أبو اسعاف شيخ قرية « شعب » فتجاهله

ونشب خلاف خطير بين قائد يريد وحده ان يكون كل شيء في الميدان، ومجاهدين يدركون ان الحرب معركة وفداء ، فانسحب القاوقجي بعد أن تسبب في اقصاء ابو اسعاف والحسيني الضابط السوري الذي حاول أن يديم المقاومة في حيفا ولم يبق القاوقجي ولا جيشه في ذلك المكان الا ليلة واحدة ، وهاجم اليهود القرى فأحتلوها (٧٧) .

ان اليهود لم يستطيعوا طي القرى العربية الا خلال ثلاثين يوما من سقوط عكا وعيون أهلها العزل ترتفع مترقبة الجيوش السبعة ، وبسقوط عكا وقراها تم انسحاب القاوقجي وجيشه الى ما وراء الحدود يحمل مدافع ميدان لم تشترك في مساعدة اهل القرى الذين قاتلوا بسلاحهم العادي وبذلوا شهداء كثيرين .

---

(٧٦) المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٢٥ .

(٧٧) المصدر السابق ، ج٢ ص ٤٢٦ .

٨ ـ استشهاد حسن سلامة :

كان قائدا من قادة الجهاد المقدس ذلك الذي ضم كثيرا من شعب فلسطين ومقاتليه ، وكانت الهيئة العربية قد عينته لقيادة القطاع الاوسط الغربي ، وكان مقاتلا مخلصا خاض ثورات فلسطين المتعاقبة ، وكان له عامي ٣٦ و ١٩٣٨ مكان مهم بين المجاهدين ، وهو المتسبب في مصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين حين نسف بهم القطار بين اللد وحيفا ، وقد صرع البريطانيون رفيقه في الحادث الشهيد محمد سمحان ، وناله من مطاردتهم جرح يسير ، وهاجر الى العراق واشترك كغيره من الفلسطينيين في الثورة العراقية التي قادها رشيد عالي الكيلاني وخرج منها الى سوريا واستمر باحثا عن ملجأ حتى وصل الى المانيا ، وهناك واصل تمارينه وتدريباته استعدادا منه لمستقبل لا ريب فيه يحتدم فيه الصراع بوطنه الحبيب فلسطين ، وفي عام ١٩٤٥ هبطت سرا طائرة المانية في سهل اريحا، وهبط منها خمسة رجال ثلاثة المان وعربيان ، كان احدهما الرجل الشجاع حسن سلامة يرافقه ذو الكفل عبد اللطيف ، ولم ينج هؤلاء من مخابرات الانجليز ، ونجا حسن سلامة ومعه الماني واحد من الاعتقال حيث قصد سوريا حتى عاد الى وطنه محاربا ، وقائدا لقطاع يمتد من يافا الى وادي الضرار (٧٨) .

وتولى هذا القائد الدفاع عن يافا ، وكان شوكة خطيرة في جانب اليهود ، حتى اذا وصلها قواد ومتطوعو لجنة دمشق العسكرية غادرها الى القرى المحيطة ، ووصل بجنوده الفلسطينيين مرات عديدة الى تل ابيب ، ودخل مرة احدى المستعمرات اليهودية في ضواحي تل ابيب واضطر جيش الهاجانا اليهودي الى الجلاء عنها ، وترك خمسة وعشرين طفلا بلا راع ولا حام ، اطفال صغار لا تزيد أعمارهم عن العشر سنوات ، فأخذهم العرب وسلموهم الى الصليب الاحمر ، وحين نفدت ذخائر المقاتلين في تلك المنطقة ، واستطاع اليهود التغلب على جيش الانقاذ التابع للجامعة استمر حسن سلامة يناضل في بقية القطاع حتى جرح في ٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، وما كادت جراحه تندمل حتى واصل نضاله لا ينسى فيه اللد والرملة ولا رأس العين ، وفي هذه الاخيرة كان استشهاده .

---

(٧٨) المصدر السابق ، ج ١٩٣ ص ٥١٩ .



الشهيد حسن سلامة

قائد القسم الغربي من القطاع الاوسط . تراه في الصورة وهو يبحث مع مساعديه الخطة التي رسمها لاسترداد راس العين . وما كادت راس العين تسترد في ٣١ ايار ١٩٤٨ حتى اسلم الروح .

وكانت رأس العين نبعا مائيا يروي مدينة القدس ، حرص العرب على احتلاله والاحتفاظ به منذ بدأ القتال بعد قرار التقسيم ، وكان لاحتفاظهم به اثر خطير على اليهود في القدس فقد عطشوا واضطروا الى الحد من استعمال المياه وتوزيعها مقننة محددة . وامام غول العطش في القدس ، حاول اليهود كثيرا ان يستولوا على ذلك النبع المهم ، ومنذ صدور قرار التقسيم والمعارك تدور وتهدأ لتبدأ من جديد ، والفلسطينيون يواصلون دفاعهم عن المكان ، صامدين امام عدو مدرب مسلح وقوي .

ولم تسقط راس العين الا في العاشر من يونيو (حزيران) ١٩٤٨ حين كان القتال يحمل اسم الدول العربية وحين كانت فلسطين وديعة لدى تلك الدول ، اما قبل ذلك فقد ثبت عرب فلسطين امام جحافل اليهود المصممة على تأمين المياه من راس النبع .

ولنسمع ما يقرره المؤرخ عارف العارف حول هذا الموضوع :ان المعارك لم تنقطع بين اليهود والمناضلين من عرب فلسطين في الايام التي سبقت مجيء الجيش العراقي الى ذلك القطاع ، وكان أشدها تلك المعارك التي وقعت في الايام الثلاثة الاخيرة من شهر مايو (ايار) ١٩٤٨ ، فقد قامت

بين الفريقين حول النبع معارك مريرة أبلى فيها كل منهما بلاء حسنا واستمات اليهود في سبيله ، وكادوا ينجحون ، لا بل تغلبوا على حاميتها واخرجوها منه واحتلوا راس العين في ٣١ مايو (ايار) ١٩٤٨ ولكنهم لم يبقوا هناك سوى ليلة واحدة ، اذ ما كاد الخبر ينتشر في القرى العربية المجاورة حتى راح المناضلون من كل صوب يزحفون ، وكان على راسهم قائد القطاع الاوسط الغربي الشيخ حسن سلامة ، وفي طريقه اليها استنجد بالمناضلين من أبناء دير طريف وبيت نبالا والقرى الاخرى المجاورة لها ، وما ان وصل هؤلاء الى الميدان حتى انضموا الى اخوانهم الذين كانوا هناك **وراح الجميع يعملون يدا واحدة على اخراج اليهود ، وكان الفجر قد أطل** (٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٤٨) ووقعت بين الفريقين معركة دامية ، جرح فيها القائد اثر شظية في رئته اليسرى ، فنقل على الفور الى مستشفى الميدان ، وازداد المناضلون حماسا فراحوا يقاتلون الاعداء بقلوب ملؤها **الايمان ، وعند الضحى كان لواء النصر معقودا للعرب ، فطردوا اليهود** واستردوا العين (٧٩) .

وبعد أن انتصر ابناء فلسطين في طرد اليهود من راس العين والاحتفاظ **بها ودّع القائد الجريح جنوده ، وذهب شهيدا الى الله ، وترك النبع الذي** سال دمه في سبيله أمانة لدى أحبابه من شعب فلسطين (٨٠) .

وبينما المناضلون الفلسطينيون ينظمون انفسهم عند رأس العين التي **استردوها ، وصلت اليهم في اول يوليو (تموز) سرية عراقية ، فعدل اليهود عن مواصلة الهجوم ، وحطّت السرية رحالها واخذت تحصن** مواقعها حتى اذا بلغها نبأ تخلي جيش الاردن الذي يقوده جلوب الانجليزي عن مدينتي اللد والرملة ، تخلت هي أيضا عن رأس العين فاحتلها اليهود ولم يعد بامكان المناضلين الفلسطينيين مواصلة الدفاع عنها بعد ان تولى المهمة جيش العراق ثم سلمها لليهود أيضا جيش العراق عام ١٩٤٨ .

٩ ـ الانجليز يرجحون كفة اليهود عسكريا عند انسحابهم :

كان الانجليز قد اتبعوا خطة عسكرية تنطوي على الغدر بالعرب وتمكين العصابات الصهيونية من السيطرة على اكبر قدر ممكن من رقعة **البلاد ، فقد بدأوا بالجلاء عن تل ابيب والمناطق اليهودية والمناطق**

(٧٩) المصدر السابق ، ج٣ ص ٥١٨ – ٥١٩ .

(٨٠) زرت اسرته الصابرة المهاجرة في القاهرة وتتكون من زوجته وابنته وابنه وقد بهرتني روعة العزم وقوة الشجاعة في هذه الاسرة الكريمة .

القريبة من تجمعات اليهود ، حتى تستطيع العصابات الصهيونية من مباشرة الحكم في هذه المناطق ، والاستيلاء على المنشآت العسكرية مثل المطارات ومستودعات الذخيرة والمعسكرات وغيرها ، وكانت تسلم اجهزة الحكم الى مندوبين من قبل الوكالة اليهودية وفي نفس الوقت ظل الانجليز محتلين المناطق العربية يحكمونها حكما عسكريا صارما مباشرا الى آخر لحظة من ايام الانتداب ، ويمنعون تسليح العرب وتموينهم ويصادرون الاسلحة التي كانت ترسل اليهم ويقاومون دخول المتطوعين العرب الذين انسابوا من البلاد العربية لنصرة اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين ، يضاف الى ذلك أن الانجليز باعوا معظم مخلفاتهم الحربية في فلسطين الى الوكالة اليهودية فقد أرسلت الاسلحة البريطانية التي كانت لدى قواتها في فلسطين الى ميناء حيفا تمهيدا لشحنها ، وكان هذا الاجراء يبدو سليما لولا انه اتضح أنه في لحمته وسداه كان ينطوي على الخيانة في أبشع صورها ، فما تكاد تصل الأسلحة الى ميناء فلسطين الرئيسي حتى يتسلمها اليهود في المكان ذاته .

ويذكر القائد عبدالله التل الذي عاصر هذه الأحداث انواع الأسلحة، وكان منها دبابات تشرشل الثقيلة ، ومدافع عيار ستة ارطال ومدافع (اليات) صاروخ ، ومدرعات البوليس الفلسطيني ، ويقول هذا القائد العربي « ان جميع هذه الأسلحة ظهرت مع اليهود بعد جلاء الانجليز ، ولم يكن لديهم شيء منها قبل اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨(٨١) » .

ولقد ثبت أن الأسلحة الثقيلة التي ظهرت عند اليهود كان قد باعها الانجليز لهم كمخلفات حرب اذ قالت جريدة « مشمار » اليهودية أن الوكالة اليهودية اشترت مخلفات حربية من السلطات البريطانية بقيمة خمسة ملايين جنيه ومن جملة ذلك ٢٤ طائرة وعدد من السيارات والأجهزة الأخرى » ، كما نشرت جريدة « يديعوت » اليهودية « أن عشرة أشخاص من اليهود اشتروا من الجيش البريطاني الف سيارة نقل كبيرة وقد كان الطيارون اليهود من السلاح الجوي الملكي وعددهم خمسون نواة لتدريب اعداد كبيرة من اليهود (٨٢) » .

---

(٨١) كارثة فلسطين ، ص ٥٠

(٨٢) محمد عزة دروزة ، فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية ـ الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ القاهرة ١٩٥٩ .

لنفهم ... ولنعتبر

« ان قرار مجلس الامن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية »

وكيل القنصل الاميركي بالقدس ١٩٤٨

« ان قصف الجيش العربي لأحياء القدس بمدافعه الثقيلة ،جعل الشعب اليهودي يتظاهر طالبا السلام، ولكني اعلنت الاحكام العرفية ومنعت التجول ووضعت الشبان بالخطوط الامامية ، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لعقد هدنة ، حيث جئنا بالطعام والسلاح والمحاربين من الخارج »

الارهابي مناحم بيغن زعيم عصابة زفاي ليومي

« لقد وافق اعضاء اللجنة السياسية بالجامعة على الهدنة بدون قيد او شرط ، وهي اكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي ، حيث فك حصار القدس وانقذ مائة الف يهودي كانوا على وشك التسليم .

ولقد كان ابعاد الفلسطينيين عن المعركة وحل فرقهم العسكريةالشغل الشاغل لقيادة الجنرال جلوب »

القائد عبدالله التل

لكن قومي وان كانوا ذوي عـــــدد ... ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفـــرة ... ومن اساءة أهل السوء احسانـــا
فليت لي بهم قـــوم اذا ركبـــــوا ... شنوا الاغارة فرسانا ووحدانـــا

الشاعر الجاهلي قريض بن أنيف

« يا شعب فلسطين لقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها ، واذاعات العدو ومنشوراته ، وكنتم رابطي الجاش، ثابتي العزيمة، بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، اني اهنئكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة »

اللواء الركن فؤاد صادق قائد القوات المصرية بفلسطين

« حاصرها واضرب ذكورها بحد السيف ، واما النساء والاطفال، والبهائم وكل ما في المدينة فتغنمها لنفسك ، هكذا في المدن البعيدة عنك جدا

التي ليست من مدن هؤلاء الامم ها هنا .. واما مدن هؤلاء الشعوب فلا تستبق منها نسمة واحدة »

توراة اليهود المحرفة

« اهلكوا ... احرقوا كل ما في المدينة (اريحا) من رجل وامرأة وشيخ وطفل ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب فاجعلوها في خزانة بيت الرب »

التوراة .. في التوصية ليوشع بن نون

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

قرآن كريم

ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة اربعين عاما .

حديث شريف

لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تذبحوا شاة ولا بقرة .

الخليفة ابو بكر الصديق يوصي جيش اسامة بن زيد

ورحب الناس بالاسلام حين رأوا — أن السلام وأن العدل مغزاه
هي العروبة لفظ ان نطقت به — فالشرق والضاد والاسلام معناه

الشاعر المصري محمود غنيم

الفصل العاشر

الحرب الرسمية ونتائجها
١٩٤٨ - ١٩٤٩

١ ـ الجيوش العربية في المعركة :

أعلن اليهود قيام دولتهم اسرائيل في الخامس عشر من مايو (أيار) ١٩٤٨ ، وسرعان ما اعترف « ترومان » رئيس الولايات المتحدة بهذه الدولة التي اقيمت في الأرض العربية، وبعيد مضي دقائق على هذا الاعلان ، واصبح لليهود كيان دولي مفروض ، اغتصبوا من اجله الارض وحاربوا في سبيله شعبا عريقا في عقر داره ، وبدت اخطارهم تقترب من جميع البلدان العربية المجاورة ، ويحسن بنا أن نتحدث في ايجاز عن اشتراك الجيوش العربية في معركة فلسطين ، وما سبق ذلك الاشتراك من آراء ، ومؤتمرات وتفاصيل .

حين تأزمت الامور بعد قرار التقسيم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ، **والت الدول العربية اجتماعاتها لتبحث الوضع، وتتخذ له قرارات مناسبة،** وكانت الآراء عديدة موزعة ، كان أهل فلسطين وتمثلهم الهيئة العربية العليا تطالب بتسليح جموعهم وتدريبهم وامدادهم بالقوة والعون ، وتمكينهم من منازلة الاعداء ، وترى الهيئة أن شعب فلسطين أعرف بمواطىء اقدامه واخبر بتضاريس أرضه ، وهو بعد ذلك سوف لا يكلف الا القليل ذلك انه يحارب في موطنه ويعود الى منزله ، وسوف يحارب بقوة وعزم فهو يدافع عن موقع رأسه وعن شرفه وذماره وكانت ترى ايضا أن تبقى الجيوش العربية مرابطة على حدود فلسطين من جهاتها جميعا تتقوى بالتدريب وتتكاثر حشدا واعدادا ، ففي وجودها ارهاب لليهود وتقوية لاهل فلسطين ، واذا قدر للآخرين انهزام تقدمت هذه الجيوش بعملها الفاصل وقيادتها الموحدة المخلصة .

وزحفت الجيوش العربية (١) على فلسطين ، وهي في صورة متباينة من الراي والقوة لتحارب جماعات يهودية نظمتها بريطانيا وامريكا وسلحتها ، وجاءت من مختلف بقاع اوربا بعد ان شربت عقيدة تقوت في نفوسها ، وتمرنت بتدريب قوي وتسلحت بعتاد كبير . واعلنت الحكومات العربية الحصار البحري على فلسطين ، واخذت تفتش البواخر في المياه الاقليمية وتصادر ما يكون عليها لليهود ، واستقبلت الشعوب العربية نبأ الزحف بحماس بالغ ، وعلقت أعذب الامال على هذه الخطوة الجماعية التي تبادل بشأنها ملوك العرب ورؤساؤهم برقيات التهنئة . (٢)

وكان الاتفاق بين حكومات الجامعة العربية ورؤساء جيوشها ، أن يبدأ الزحف في مساء الخامس عشر من مايو (أيار) ١٩٤٨ فتلتقي الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والاردنية جميعها لدى « العفولة » في وسط فلسطين تقريبا ، ثم تواصل زحفها مجتمعة لتقسيم تجمعات اليهود ، وتصل الى الساحل الفلسطيني ، وأن يزحف الجيش المصري نحو عسقلان وغزة والمجدل ثم يتقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الاخرى ، على حين يتقدم قسم من الجيش الاردني نحو رام الله والقدس ، ويتقدم المتطوعون المصريون على طريق الخليل وبيت لحم لتطويق القدس متعاونين مع الاردنيين الذين يجب أن يحاصروها من الشمال والشرق . (٣)

ويقدر مؤرخ عربي أن عدد الجيوش العربية الزاحفة في اواسط مايو (أيار) ١٩٤٨ كان قرابة العشرين الفا .

وتولى الملك عبدالله القيادة العامة لجيش مصر وسوريا والسعودية والعراق والاردن ولبنان ، وكان هذا القائد العام على ود مفتعل مع أغلب دول هذه الجيوش .

كان الفريق جلوب البريطاني الاصل هو رئيس أركان حرب الجيش العربي الاردني ، وبذلك كانت الاوامر العسكرية التي تصدر بأسم القائد العام الملك عبدالله انما يضعها وينفذها القائد البريطاني في الجيش العربي ،

---

(١) كانت الدول العربية المستقلة عام ١٩٤٨ هي مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق واليمن والسعودية ، وكانت الخمسة الاول ذات جيوش وقيادات اما الاخيرتان فقد ساعدتا وكان للسعودية الف وخمسمائة جندي ضمن جيش مصر بغزة .

(٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٥ .

(٣) نكبة بيت المقدس ، ج٢ ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .

بل ان حوادث عديدة برهنت على ان جلوب القائد البريطاني للجيش العربي، انما كان يقود هذا الجيش ليقيم دولة يهودية ، ويكشف أجنحة الجيوش العربية الاخرى ، حتى يشفي غل بريطانيا الحاقدة ، والتي تتمنى أن يهزم العرب امام اليهود ، وحتى اللد والرملة التي تضمنها قرار التقسيم ضمن الدولة العربية ، تخلى عنهما جلوب وسحب منهما جيشه العربي وتركهما ليتصارع فيهما شعب فلسطين الاعزل مع قوات اليهود المدربة المسلحة .

على أننا وقد أوصلنا السياق بسرعة الى الحديث عن القيادة العامة العربية ، وعن قيادة الجيش الاردني ، لننظر كيف كانت قيادات الكتائب وألوية الجيش الاردني الزاحف على فلسطين خاضعة لقيادة بريطانية صرفة ، حتى كأنها كتائب بريطانية ، ومن عجب ان تدخل الجيوش العربية معركة مصيرية وجيش القيادة يقوده بريطانيون سعوا للتهويد وعملوا للتقسيم .

وقد أثبت القائد العربي عبدالله التل (٤) اسماء الضباط الانجليز الذين تولوا مناصب قيادية في الجيش العربي الاردني وهو يخوض حربا مصيرية في فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وقد بلغ عددهم ٤٨ ضابطا كبيرا يحملون رتبا في الجيش الاردني ، ويحتفظون بالولاء لبريطانيا ، ويعملون على تنفيذ مخططها في الوطن العربي ، وكان الضباط الانجليز الذين قادوا الجيش الاردني في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ هم :

الفريق	جلوب باشا	قائد الجيش العربي
الزعيم	برود هارست	مساعد قائد الجيش العربي .
الزعيم	نورمان لاش	قائد الفرقة الأولى التي زحفت الى فلسطين
القائد	داونز	أركان حرب الفرقة « عمليات » .
وكيل القائد	جونز	أركان حرب الفرقة « ادارة » .
الرئيس	بيرس هاوس	أركان حرب الفرقة « لاسلكي » .
القائمقام	هـ. جولدى	قائد اللواء الأول .
وكيل القائد	كورفيلد	أركان حرب اللواء الأول « عمليات » .
وكيل القائد	هايش	أركان حرب اللواء الأول « ادارة » .
القائمقام	ج. اشتون	قائد اللواء الثالث .
وكيل القائد	ج. جرى	أركان حرب اللواء الثالث .
وكيل القائد	ت. اسبرنج	أركان حرب اللواء الثالث .

---

(٤) كارثة فلسطين ، ص ٨١ – ٨٣ .

القائد	هـ. بلاكدون	قائد الكتيبة الأولى .
وكيل القائد	أ. واتسون	مساعد قائد الكتيبة الأولى .
القائد	هـ. سليد	قائد الكتيبة الثانية .
الوكيل	ى. ولسن	مساعد قائد الكتيبة الثانية « عمليات » .
الرئيس	برومج	مساعد قائد الكتيبة الثانية « ادارة » .
الوكيل	هنكن تيرفن	قائد الكتيبة الثالثة .
الوكيل	ج. نيومن	مساعد قائد الكتيبة الثالثة « عمليات » .
الرئيس	جري	مساعد قائد الكتيبة الثالثة « ادارة » .
القائد	ج. هيرست	ركن كتيبة المدفعية .
الرئيس	و. هوعان	مساعد قائد كتيبة المدفعية .
الرئيس	جونسون	قائد البطارية الأولى والثانية .
الرئيس	ج. وتسون	أركان حرب قيادة الجيش العربي « ادارة » .
الرئيس	س. كوكر	أركان حرب قيادة الجيش العربي «حركات».
الوكيل	ب. ولش	أركان حرب الفرقة .
الوكيل	أ. كلفت	قائد التموين والنقل والمستودعات .
الوكيل	ن. بارك	مساعد قائد التموين .
القائد	د. توجود	مدير محاسبة الجيش العامة .
الوكيل	ر.ورسفلد	مساعد مدير المحاسبة العامة .
القائد	هـ. فير	ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	أ. برايس	مساعد ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	ج. جونز	مساعد ضابط الفن الأعلى .
الوكيل	و. بريس	المشاغل الوسطى .
الوكيل	ج. هورن	قائد فرقة الهندسة .
الوكيل	أ. هارت	مساعد قائد فرقة الهندسة .
الرئيس	و.كلى	مساعد قائد فرقة الهندسة .
الوكيل	س. روبنسون	قائد اللاسلكي الأعلى .
الوكيل	ف. ديفدسن	قائد اللوازم .
الوكيل	ملفيل	القيادة ــ اللوازم .
الوكيل	بالمر	ملحق عسكري في لندن .
الوكيل	ى . بريانت	ضابط الانشاءات .
الوكيل	ر. يونج	ضابط الاستعلامات .
الوكيل	ف. بترى	قوة الطيران .
الوكيل	ج. توينج	قوة الطيران .

ولم يكن في مراكز القيادة من الضباط العرب الا خمسة ضباط هم :

القائمقام	صدقى الجندي	قائد اللواء الرابع .
القائد	حابس المجالي	قائد الكتيبة الرابعة .
وكيل القائد	عبد الحليم الساكت	قائد الكتيبة الخامسة .
وكيل القائد	عبدالله التل	قائد الكتيبة السادسة .
وكيل القائد	علي الحياري	ركن في القيادة .

وماذا ينتظر من جيش عربي لا يكون الضباط العرب في قيادته الا اقلية صغيرة ، واليهم تصدر الأوامر من الضباط البريطانيين الذين يمالئون الصهيونيين ، ويدركون أن دولتهم هي التي شجعت الصهيونية وفتحت لها الأبواب ، واقامت كيانها على الأشلاء العربية ، ولست أشك ان هؤلاء **الضباط البريطانيين الكبار كانوا يضحكون ملء أشداقهم وفي مكنون** صدورهم وهم يسمعون جنود الجيش العربي الأبرياء البواسل يتنادون زاحفين « أبو طلال لا تهتم سيفك احمر يقطر دم » ويسمعون العراقيين يهزجون « فلسطين نحررها ودم يهودا نشربها » ، ذلك أن اولئك الضباط البريطانيين كانوا على يقين من انهم يقودون جيشا يحاربون به في أضيق **الحدود ، وهو يمثل بقيادتهم مظاهرة عسكرية تنفذ التقسيم ، وتعطي** الجانب الأهم من فلسطين لليهود ، فما كانت لديهم نية لتحرير فلسطين ولشرب دم الغزاة اليهود ، كما كان يترنم جنود الجيش العربي المخلصين .

٢ ــ وجه المعركة وظروفها :

كان الأردن الذي تولى ملكه قيادة الجيوش العربية عام ١٩٤٨ خاضعا خضوعا تاما لسيادة بريطانيا على الرغم من تلك المعاهدة التي عقدتها مع (الأمير) عبدالله عام ١٩٤٦ حيث أعلن استقلاله ، ثم استبدل لقب امير بلقب الملك في مايو (ايار) في السنة نفسها ، وقد عمدت بريطانيا بذلك التغيير الى أحداث مظهر جديد لوضع الملك والوطن حتى لا يستمر ظهوره بشكل البلد الرازح تحت حكم الانتداب والخاضع للسيطرة البريطانية ، وهي بذلك تسعى الى تنفيذ برنامجها القديم في خلق دولة يهودية في الجزء الخصب من فلسطين ، وهي في سبيل مخططها اشترطت في معاهدتها الاحتفاظ بالقواعد العسكرية والاشراف على الجيش الأردني وميزانية الدولة وغير ذلك من امتيازات وحقوق كانت قيودا ثقيلة على الحكومة الأردنية .

وقد روى أحد الصحفيين الأجانب أنه لم يكن هناك من سبيل الى مقابلة الملك عبدالله الا بعد الحصول على اذن من المسؤولين البريطانيين في

عمان (٥) ، ورأى بيفن أن يخطو خطوة جديدة ، فعقد في ١٥ مارس (آذار) ١٩٤٨ معاهدة تحالف أشترطت الاحتفاظ بوحدات من سلاح الطيران البريطاني في عمان والمفرق ومجلس للدفاع المشترك ، وكانت هذه المعاهدة حلقة في سلسلة المحاولات التي قام بها الانجليز لتقوية علاقاتهم بالعرب قبل طعنهم من الخلف (٦) ، وكانت تمهيدا لتصفية قضية فلسطين تصفية لا تخدم الأماني العربية بأي وجه من الوجوه .

وقد توالت الحوادث الأليمة التي أدت الى ضياع قسم كبير من فلسطين منذ ذلك التاريخ وكان يمكن أن يبقى بعضها سرا الى الابد فتضيع معالم هامة وخطيرة في التاريخ العربي ولكن حدث أن أقدم شاب فلسطيني على اغتيال الملك عبدالله في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٥١ ، أمام باب المسجد الأقصى وقبل صلاة الجمعة ، فتولى العرش الحسين بن طلال بعد والده الملك طلال الذي قرر البرلمان أنه في حاجة الى استشفاء طويل الأجل ، وجاء الحسين الى الملك وكان الأردن خاضعا لسياسة جلوب باشا « الفريق » الانجليزي الذي يقود الجيش ويتدخل في أهم الأمور وأخطرها ، ولكن الملك الشاب أنتهز أول فرصة مناسبة سنحت عام ١٩٥٧ فأعلن عزل الفريق جلوب وترحيله خلال ساعات ، ودهشت لندن لهذا التصرف الخطير الذي أفقدها ركيزة هزمت بها جيوش الدول العربية عام ١٩٤٨ بأساليب الخيانة والغدر والدس ، واقامت بها كيان الصهيونية ، وشردت بها الجموع الطاهرة بأطفالها وشيوخها من ديارهم بفلسطين ، ولكن دهشة لندن هذه لم تستطع أن تغير شيئا ، فقد كان موقف الملك حسين حازما وقويا ، وكان طرد جلوب باشا وساما تاريخيا يرصع صدر طارده ، فلولا هذا الطرد ما تحرر جيش الأردن ، ولولا هذا الطرد أيضا لما كان ممكنا أن يسطر جلوب مذكراته في كتابه « جندي مع العرب » الذي أثبت فيه كثيرا من حقائق التاريخ المهمة .

يقول جلوب في كتابه المذكور : « أجرى توفيق باشا أبو الهدى محادثة سرية مع وزير الخارجية البريطانية السير أرنست بيفن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الانجليزية فرافقته كمترجم ، لقد ذكر توفيق باشا أن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهي قريبا ، وان اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئا من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ومجلسهم النيابي ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات الهاجانا ، بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وان النتائج حول نهاية هذا الموضوع

(5) Kermit Roosevelt, Arabs Oil And History London 1949, p.p. 102-103.
(6) Allan Michie. Retreat to Victory p. 102.

ما زالت غامضة ولا بد من أن يقع أحد أمرين أثنين :

١ ـ اما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة ، فيحتلون فلسطين كلها حتى حدود نهر الأردن بالقوة .

٢ ـ واما أن مفتي فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد ، والمفتي يعتبر بريطانيا ألد أعدائه وقد قضى مدة الحرب مع هتلر : كما أنه عدو للاردن ويعتبر نفسه المنازل الوحيد لجلالة الملك عبدالله .

ونتائج هذين الأمرين ليست في مصلحة الأردن ، ولا في مصلحة بريطانيا ، وكثيرا ما نتلقى في الأردن عرائض من الفلسطينيين تطالب بتدخل جيشنا لحمايتهم ، وليس لدينا مانع من تنفيذ ذلك بعد انسحاب البريطانيين

وكان المشروع أو الأقتراح الذي حمله توفيق أبو الهدى يتلخص في أن يدخل الجيش الأردني فلسطين غداة أنتهاء الانتداب تحت ستار حماية فلسطين كلها ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربي ويضمه الى شرق الأردن دون أن يشتبك مع اليهود أطلاقا ، وتعهد أبو الهدى بثلاثة أمور : ألا يحتل الجيش الأردني غزة والجليل ، والا يعتدي الجيش المذكور على اليهود بأي شكل والا يحتل شبرا واحدا من القسم الذي صدر قرار الأمم المتحدة باعطائه لليهود .

ويقول جلوب بعد أن أنهى هذه الفقرات من حديث رئيس وزراء الأردن « اني لأذكر حتى اليوم ، المستر بيفن وهو جالس في مكتبه بعد ان انهيت ترجمة الحديث ، يرد على رئيس الأردن قائلا : « ان ذلك هو الحل الوحيد المعقول » ولم أر بدا من أن أوضح للرئيس الأردني بأن الجيش ليس بمقدوره أن يحتل منطقة غزة والجليل ، فأيد الرئيس الأردني فكرتي ، أما المستر بيفن فقال : « أن هذا هو الحل الوحيد المعقول، ولكن يجب الا تذهبوا الى أبعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية » فأجاب الرئيس أبو الهدى « ليس لدينا هذه الامكانيات حتى لو تمنينا ذلك ، وان الأردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ أي خطوة ايجابية الا بعد مشاورة الحكومة البريطانية ، فشكر بيفن أبا الهدى لوضوح موقف الاردن ، واعلن موافقته على مشروع حكومته » (٧)

ان هذا الحديث الخطير الذي يعترف فيه أبو الهدى في حديثه السري مع بيفن بحدود التقسيم ، كان خيانة للمفهوم الوطني العام الذي قررته الدول العربية ، ووافق عليه أبو الهدى نفسه في اجتماع الجامعة بعاليه في

(٧) جندي مع العرب ، الطبعة الانجليزية ، لندن ـ ١٩٥٧ ، ص ٦٣ ـ ٦٦

لبنان ، حين قرروا بالاجماع تسليح الفلسطينيين ، واعداد الجيوش لتكون على أهبة الأستعداد لتثبيت عروبة فلسطين (٨) .

لقد كان اجتماع رؤساء الحكومات العربية هذا منعقدا في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٧ ولم ينس أو يمح من ذهن رئيس الأردن ، حين كان يحادث بيفن بعد ذلك بثلاثة شهور ، بل لقد كان ابو الهدى نفسه هو أحد المؤتمرين في مجلس الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في ٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ : والذي أصدر قراره بالاجماع فقال : « منذ تلاقت أغراض الاستعمار واطماع الصهيونية على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعرب هذه البلاد في محنة ، تفرض القوة عليهم جماعات اجنبية عنهم ، تأتيهم من الغرب والشرق بلغاتها وعاداتها ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشتى الوسائل أراضيهم ، ومـوارد رزقهم ، وهي اليوم تسلبهم أوطانهم وقد أمدت الدولـة المنتدبـة هؤلاء الدخلاء بالمعونة فمكنتهم من انشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب في السنين الأخيرة الى اداة ارهاب واداة شر على البلاد بما عاثوا فيها من فساد .. (٩) **ولكن لشديد الاسف تنكرت جمعية الامم المتحدة لذات المبادىء التي تضمنها ميثاقها، فأوصت بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها، وهي بذلك قد أهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره ، واخلت بمبادىء الحق والعدالة جميعا، وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا بجـانب شعوبها في نضالها، لدفع الظلم عن اخوانهم العرب، وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها، ولقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملا بارادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحازمة ما هو كفيل بعون الله باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات (١٠) »**

هكذا ترى أن أبا الهدى رئيس وزراء الاردن الذي وقع في عاليه بلبنان بيان رؤساء الحكومات ، ثم وقع في القاهرة بيان مجلس الجامعة العربية قبل اجتماع لندن بأقل من شهرين ، هو الذي لم يجد مانعا من أن يحادث بيفن سرا فيعطي موافقته على التقسيم وأنهم سوف لا يتجاوزون حدوده ، لقد كان أبو الهدى رئيسا لوزارة الأردن ، وكانت محادثاته مع بيفن تدور

(٨) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٤٣ .
(٩) نرمز بالنقط الى ما حذفناه من بيان الجامعة مما لا يتصل بموضوع استشهادنا .
(١٠) نكبة بيت المقدس ، جا ص ٣٣ ـ ٣٤ .
وانظر ايضا : حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٩ .

خلال فبراير (شباط) ١٩٤٨ ولم تعلم أو تنشر الا بعد طرد جلوب مـن الأردن ، وعلى التحديد في كتابه الذي نشره عام ١٩٥٨ أي بعد عشر سنوات من الحدث نفسه ، ولكن أحد الأحرار العرب كان قد نشر وثيقة بريطانية سرية صادرة عن البريجيدير كلايتون الشهير في مخابرات بريطانيا ببلاد العرب ، نشرها في نفس الشهر الذي دارت فيه محادثات أبو الهدى السرية في لندن ، وكانت وثيقة تتضمن راي حكومة الأردن في ارتـضـاء قـرار التقسيم وتأييده (١١) :

« سري جدا .. محادثات مع زعماء البلاد العربية ـ اقتراحـات بشأن تقسيم فلسطين ـ القواعد الجوية في الشرق الأوسط .. الخ
رقم القيد ٤٥ ـ ١٩٤٧ في ١٤ ديسمبر ١٩٤٧ .

الى صاحب السعادة : السفير البريطاني في القاهرة ـ صورة الى القائد العام

١ ـ (تحدث كلايتون هنا عن لقائه مع رئيس وزارة لبنان وسوريا ، وانهما رفضا التقسيم ورفضا اقامة قواعد بريطانية حتى في حالة الحرب الا بالرجوع لرئيس الجمهورية ومجالس النواب ، واشار كلايتون بوجوب استعمال التهديد ليؤتي اطيب النتائج) .

٢ ـ ولقد لمست من أحاديثي مع رئيسي وزارتي سوريا ولبنان بشأن مسألة تقسيم فلسطين أن البلاد العربية أجمعت على الحيلولة دون اتمامه ، غيرانه في مقابلتي الأخيرة لسعادة رئيس وزراء شرق الأردن تبين لي أن له رأيا يخالف راي رؤساء حكومات البلاد العربية وقد ادلى الي باقتراحات لو نفذت لامكن تنفيذ تقسيم فلسطين التقسيم الذي نص عليه قرار منظمة الأمم المتحدة دون أن تعترض البلاد العربية ، واستطعنا لو ـ نفذت هذه الاقتراحات ـ أن نحتفظ بمراكزنا الاستراتيجية في شرق الأردن وفلسطين .

٣ ـ وترى الاقتراحات التي صرح لي بها سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أنه عند اتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذا لقـرار منظمة الأمم المتحدة ، تنسحب معها القوات الأردنية المعسكرة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الانجليز الذين يعملون في جيش شرق الأردن استقالاتهم ويعتزلون العمل رسميا في الجيش على أن يبقوا في البلاد . ومما لا شك فيه أن الثورة ستشتد في فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون

(١١) اكد لنا الاستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة اليقظة ببغـداد حـين لاقينـاه بالقـاهرة مشتركين في اللجوء السياسي عام ١٩٦٢ ان الوثيقة تأكد بنفسه من سلامتها وانهـا اخذت له بطريقة خاصة من أرشيف السفارة البريطانية .

من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومة الأردنية عن قرارها بزحف القوات الأردنية على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين ، ولا شك في أن الجيش الأردني مدرب تدريبا حسنا ، فمتى اخترقت قواته اراضي فلسطين فمن المعقول أن ينضم اليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الاردني .

٤ ـ مما تقدم تبين أن تنفيذ الشرط الأول من أقتراح الرئيس الأردني لن يثير ريبة الدول العربية ، أما فيما يختص بالقسم الثاني من الاقتراح فيرمي الى أنه كلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها الى المملكة الأردنية ، وستعمل القوات الأردنية جاهدة في احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي ، وقد أكد لي سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أن القوات الأردنية ستتحاشى مهاجمة القرى اليهودية ، وانما ستقوم من وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع الشبهات عنها ، واضاف أنه عندما يتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فأن الحكومة الأردنية ستقوم بالاتصال بزعماء اليهود في فلسطين لحملهم على تقديم الضمانات الكافية لعدم محاولة توسيع دولتهم أو الأغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم ، وهنا قلت له : « قد تحاول المملكة الأردنية في المستقبل الهجوم على سوريا ولبنان لتحقيق فكرة سوريا الكبرى الأمر الذي يخلق اضطرابات في هذه البقعة من الشرق » فأبتسم سعادته وقال « وكيف لنا أن ننفذ هذه الفكرة ونحن خاضعون لنفوذكم وبيننا وبينكم معاهدة »

٥ ـ ورأيت قبل أن أختم حديثي مع الرئيس الأردني أن أسأله عما اذا كان قد عرض هذه المقترحات على صاحب الجلالة الملك عبدالله فقال : « وهل يحق لي أن أبدي اقتراحات أو أن أتحدث بأسم صاحب الجلالة دون عرضها عليه وموافقته عليها » وعرضت على سعادته أن أدون مقترحاته كتابة وأن يذيلها بتوقيعه وأن ينص فيها على أن جلالة الملك عبدالله موافق عليها ، فلم يمانع في ذلك ، فدونتها فعلا ووقعها بامضائه ، ولما لم استطع مقابلتكم لعرضها عليكم فقد رأيت الاسراع بارسالها الى وزارة الخارجية لاطلاع الوزير عليها بعد أن احتفظت بصورة منها » (١٢)

(١٣) ..... تشارلز كلايتون بريجادير

(١٢) جريدة اليقظة العراقية لصاحبها سلمان الصفواني العدد الصادر في ٢٤ فبراير ١٩٤٨ .

(١٣) نشير هنا الى الجزء الخاص بليبيا وانطباعات كلايتون حولها مما نؤجل نشره لبحثنا القادم عن « المراحل الاخيرة في الجهاد الليبي » .

على ان راي توفيق ابو الهدى رئيس وزراء الأردن في قبول التقسيم لم يقتصر عليه وحده ، وانما هو يقرر انه موافق عليه من الملك عبدالله نفسه ، وقد عرف الكثير عن رأيه في ذلك وهو الاحتفاظ بالجزء الممكن من ارض فلسطين امام الصهيونية التي لم يكن يرى في نفسه قدرة على محاربتها ، وقد تمت لقاءات عديدة بينه وبين اقطاب اليهود من أمثال شرتوك ، وجولدامابر ، ورضي خلال هذه المقابلات بالتقسيم (١٤) .

واذا كان التاريخ قد حمل عبدالله المسؤولية الخطيرة ، فان ذلك يتم من خلال النظرة الى أن الجيوش العربية كان من الممكن ان تنتصر لو صدقت نية الجميع في الحرب والنزال ، ولكننا عندما نذكر هذا ، لا بد ان نشرك في المسؤولية تلك الجبهات الاخرى التي كان حكامها يحولون بين جيوشها وبين خوض غمار الحرب ، فقد كان الجيش العراقي لا يقل حماسة عن جيش الأردن ولكنه كان في كثير من الأوقات ينتظر الامر بالقتال ، ذلك الأمر الذي لم يصله آنذاك الا قليلا،واذا كانت الجبهة المصرية قد ذاقت مر المعارك في صحراء النقب ولا سيما عندما توقفت كل الجبهات الأخرى ، واستطاع اليهود ان يجمعوا قواتهم فيها ، فأن السلاح الفاسد الذي كان يمد به الجيش المقاتل كان عاملا هاما في نتيجة تلك الحرب المهمة ، واذا سار التاريخ على أن يحمل عبدالله مسئولية كبيرة فأنه من صدق القول أن تكون تلك المسئولية شاملة معه العديد من رجال القصور العرب بل ولوزراء الأردن أيضا دون تخصيص ، فما كان لعبدالله أن يفعل ذلك لو وجد وزراء يصرون على الرفض ، ويتمسكون برأيهم ، وينادون بما تنادي به الأمة العربية من ان المعركة معركة مصير ، وكل تهاون فيها هو تخاذل عن واجب وهو عمل سيقرعه التاريخ الى الأبد .

وليس من ريب ان رؤساء الدول في النظام الذي يسير على الشكل المتظاهر بالديمقراطية ما كان يمكن ان يتدخلوا في شئون الحكم أو قضايا المصير ، لو ان كل وزير ادرك ان المسئولية سوف تلاحقه وانه يجب أن يكون في مستواها ، يعرف المعنى البعيد والقريب لرايه في شئون الحكم وأمور الشعب ، بحيث لا يمكن ان يصدر قرارا لا يراه صوابا ، ولا يضع أسمه في امر لا يرضاه ، ومن المؤسف أن احدا من وزراء الأردن لم يستقل ابان المعركة مما يعطي الدليل انهم يرون نفس الراي المسالم غير المدافع عن الحقوق والأرض ، وانهم بذلك يدينون . ولقد كان توفيق ابو الهدى رئيسا للوزراء في تلك الحقبة السوداء ، وكان فوزي الملقي وزيرا للدفاع رضي الأول بدخول

(١٤) كارثة فلسطين ، ص ٦٥ ، ٦٦ .



الجيش الاردني صورة ، ونفذ الثاني ذلك الى ان وقع الخرائط البديلة التي اضاعت كثيرا من الاراضي العربية . وهكذا يدان الجميع بنفس الصورة التي تلاحق كل متسبب في الهزيمة أو مهادن للصهيونية .

واذا كانت الأحداث قد جرت على رقعة فلسطين من مختلف حدودها ، فيهمني هنا ان أوجز الأحداث العسكرية التي وقعت في معركة لعبت فيها السياسة دورا أساسيا .

في الجبهة الأردنيـــة :

كانت أبرز معارك تلك الجبهة معركة القدس ، فقد حاول الجنرال جلوب أن يحول دون وصول قوات الجيش العربي اليها بحجة أنها دولية ، وان الجامعة العربية قد أسقطتها من حساب المعركة الحربية بيد أن تردي الحالة في المدينة وهجمات اليهود المستمرة على القدس القديمة وعدم تقيدهم بالهدنة التي فرضتها الأمم المتحدة بالقدس ، حدا بأقطاب المدينة من العرب الى أن يهرعوا للملك عبدالله في عمان راجين الأمر بدخول الجيش العربي الى المدينة .

وقد لبى الملك رجاء الوفود العربية واتصل بالقائد عبدالله التل قائد الكتيبة السادسة التي كانت مرابطة في أريحا والخان الأحمر وأمره ان ينجد القدس القديمة (١٥) ، فزحفت الكتيبة السادسة وتعاونت مع المجاهدين الفلسطينيين والمجاهدين السوريين في الدفاع عن المقدسات الاسلامية والمسيحية ، واستطاعت ان تحتل الحي اليهودي وتدمر الكنس اليهودية التي استعملها اليهود أوكارا للقتل ، وباحتلال الحي اليهودي في القدس القديمة ارتفعت المعنويات العربية وخاصة بعد نقل الأسرى الى عمان والاطمئنان على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

ولم تسر الأمور في مواقع الكتائب الأردنية خارج القدس القديمة سيرا سليما مشجعا ، فقد أخذت كتيبة باب الواد موقع الدفاع وصدت هجمات اليهود الرامية الى فتح طريق القدس ــ تل أبيب ، وظل موقفها سلبيا ، وجمد الجنرال جلوب كتائبه المرابطة في منطقة رام الله ونشرها في خطوط دفاعية طويلة ، وحاول القائد عبدالله التل في القدس أن يقنع القادة الانجليز بالعمل لاحتلال بعض المناطق في القدس الجديدة ، ولكن القادة الانجليز نفذوا العملية بطريقة تضمن الهزيمة ، فقد ارسل قائد الكتيبة الانجليزي « نيومان » ضابطا يقود مدرعة في شوارع اليهود دون حماية ، ووسط النهار ، فأحرق

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

اليهود المدرعة بمن فيها ، وأهمل نيومان أمر من أوفده وترك المدرعة المحترقة حتى جرها اليهود ، وضاع ضابطها الشهيد محمد نجيب ، وضاع رفاقه في غياهب الأبد ، ثم أمر السرايا بالتقدم عبر الشيخ جراح ، حتى تلتقي في ساحة بنك بركليز دون أن يسمح لقادة السرايا والفئات بكشف طرق التقدم ، ودون أن يكلف نفسه مشقة استدعاء الخبراء من المجاهدين الفلسطينيين الذين لا يبعدون عن الشيخ جراح اكثر من مئتي ياردة ، فكان مصير الهجوم الاخفاق . (١٦)

وحين احتلت سرية الميسرة النوتردام في زحف شجاع من المشاة دون مساعدة من المدفعية على الرغم من هذا النجاح في احتلال نقطة مهمة تكبد فيها الجنود تضحيات كبيرة ، وذهب قائدهم الملازم اول عيد ديلم شهيدا ، برغم كل هذا أمر الضابط نيومان بالانسحاب الى باب العمود ، ويقرر القائد عبدالله التل أنه « حينما اطمأن نيومان لاخفاق سرية غازي وانسحابها اراد ان يحقق غايته مع سرية عيد ، ولكنها نجحت في احتلال الهدف الخطير بأعجوبة لم يكن يتوقعها ، فأسرع الى اصدار أوامره بانسحابها » (١٧)

وبدا النفوذ الانجليزي في المعركة واضحا حين تدخل الملك عبدالله وحاول ان يفعل شيئا واتصل بالقائد عبدالله التل قائلا : « فين مدافع العراقيين .. أنا أرسلتها لتكون تحت أمرك ، هيا أدب اليهود بها،فأجاب: ان مدافع العراقيين تحت قبضة لاش في رام الله ، وسأنقل اليه في الحال امر الملك» وابلغ لاش أمر الملك باستعمال المدافع ضد هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس ، ولكن لاش لا يطيع الملك عبدالله ، بل انه يطيع جلوب ويتصل به ، وفي ضوء المخطط الأميركي الانجليزي ، بل في ضوء الصليبية الاستعمارية يجيب لاش بقوله : « ان المدافع ستبقى تحت أمر قائد المدفعية وانها لن تقصف هداسا ولا الجامعة العبرية لأن امريكا تدخلت وبريطانيا توسطت للابقاء عليها » .

ومن يومها والجامعة العبرية ومستشفى هداسا رابضان على جبل سكوبس تخترق سيارات اليهود بسببهما اراضي فلسطين العربية كل اسبوع في أمان واحترام .

٣ ــ الجبهات العربية الاخرى :

كانت الأوضاع العربية على الاجمال في الأسبوعين اللاحقين لمنتصف

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٥١ .
(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

مايو (أيار) قوية وقريبة من النصر ، كان الجيش المصري يتقدم في ميدانه الساحلي ، واستطاعت قواته أن تحتل المستعمرات اليهودية المهمة (دير سنيد ، أسدود ، نيتساليم) وتركت بعض المستعمرات محاصرة لأن هدف القوة الضاربة كان تل أبيب لو نفذت الخطة باخلاص من جميع الأطراف ، وفي ذات الوقت تقدمت قوة من الجيش المصري تسندها جموع المتطوعين الليبيين والسودانيين والمغاربة ، وواصلت سيرها حتى حطت جنوب القدس ، واشتركت في حصار القدس الجديدة ، وساهمت بجدية في معارك هامة هناك ، وكان الجيش العراقي قد استرد جنين المدينة المهمة ، في المثلث العربي ، وكانت معركة جنين هذه بالاضافة الى معركة كوكب الهوى فرصة أثبت فيها جنود وضباط الجيش العراقي شجاعتهم واستهانتهم بالموت.(١٩) وكان الجيش السوري قد استطاع ان يرابط في مواقع كبيرة ومتسعة ، وعلى الرغم من الاعداد الكبيرة من الشهداء التي قدمها هذا الجيش في عناد وتصميم في هذه المنطقة ، ظل قويا مهيبا يحسب له اليهود حسابا ، لا سيما بعد ان رابط في منطقة الفور على الحدود الاردنية واحتل بمعاونة المناضلين مستعمرة مسادة اليهودية (٢٠) .

وكان الجيش اللبناني الصغير قد حافظ على حدوده ، واشترك بجهده في بعض المعارك ، وكان أبناء الشعب الفلسطيني هم عماد المعركة في جميع الجبهات ، كانوا يتعاونون مع الجنود والقيادة ، فهم يشاركون فيما يتاح لهم من فرص المعارك ، وهم أعوان الجيش وعدته ، هم يحمون خطوطه ، وهم يساهمون في تموينه ، وهم أحبابه ، به يرحبون وبه أيضا يعتزون ، يشهد بذلك أبناء الجيش السوري في مناطق قتالهم المرير الرائع ، وسجل مثله في اعجاب واكبار القائد العربي المجاهد عبدالله التل . ولقد كان جلوب يعلم خوافي الأمور حين قال : « لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل في ١٥ مايو (أيار) وزحفوا زحفا جديا لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة (٢١) ».

حصار القدس الجديدة :

ولكن القدس الجديدة كانت تمثل أروع صور النجاح في الزحف العربي ، فلقد كانت هذه المدينة التي تضم مائة الف يهودي والتي كانت

(١٩) اجمع المؤرخون على أن جنود الجيش العراقي وضباطه لم تكن تنقصهم الشجاعة ولكن حيل بينهم وبين القتال في أغلب اوقاته بسبب خيانة القيادة في بغداد .
(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٩١ .
(٢١) الفريق جلوب باشا : جريدة النهار اللبنانية ، العدد الصادر ٣٠ مايو ١٩٥١ .

تمثل الروح المقدسة بالنسبة لليهودية ، كانت محاصرة من جميع الجهات ، كان المجاهدون الفلسطينيون قد احتلوا منذ أمد رأس العين ، وبذلك حرمت جموع اليهود من الماء ، واعتمدوا على الآبار داخلها ووزعوها بالبطاقات في كميات لا تكفي ولا تروي ، وحال المحاصرون العرب من جنود الجيش العربي وقوات المجاهد احمد عبد العزيز والمناضلين الفلسطينيين دون وصول الامدادات والتموين اليها ، فتسرب الجوع بعد العطش الى تلك المدينة المكتظة المهمة ، وواصلت المدفعية العربية قصفها نهارا وليلا فحرم السكان من النوم ، وانهارت أعصابهم وضاق بهم مجال النجاة ، وكان العالم كله يتوقع سقوط المدينة في يد العرب بين لحظة واخرى ، لا سيما بعد ان فشلت مساعي مندوب الصليب الأحمر في ادخال المياه الى القدس ، واشترط القائد العربي ان يلقي اليهود سلاحهم وان يأسر المحاربين منهم ، ولقد كاد ذلك يحدث لولا ان بريطانيا خشيت فشل مخططها البعيد .

٤ ـ الهدنة المفروضة ونتائجها :

وسط دوي المدافع تدمر القدس الجديدة ، وتضيق عليها الخناق ، وبينما كانت برقيات الاستغاثة تغادر القدس الى تل أبيب ، وعلى أثر مظاهرات اليهود فيها طالبين السلم والقاء السلاح ، تقدمت بريطانيا الى مجلس الأمن تطلب وقف القتال اربعة أسابيع والتعهد بعدم ارسال محاربين ومواد حربية الى فلسطين خلال هذه الفترة ، وتطبيق مادة العقوبات العسكرية والاقتصادية على من يخالف الأمر ، وفي ٢٩ مايو (أيار) ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على هذا القرار واعلنت الحكومة البريطانية أنها ستتوقف عن ارسال الأسلحة الى الدول العربية المرتبطة معها في معاهدات وهي مصر والعراق والأردن (٢٢) ، كما قرر مجلس الأمن تعيين الكونت برنادوت وسيطا منتدبا من قبل هيئة الأمم مهمته التوفيق بين العرب واليهود (٢٣) .

وما كان اقتراح بريطانيا هذا الا صورة جديدة من صور عونها لليهود وخلق فرصة لهم ، ولكي يفك حصار المحاصر منهم ، ويستعيد قواه المرهق من مدنييهم أو مجنديهم ، ويستجلب السلاح بكميات أوفر وعتاد أحدث .

واجتمع العرب ليبحثوا قرار مجلس الأمن ، وطال نقاشهم ، ولكنه انتهى الى الموافقة على قرار الهدنة ، ولقد كان توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن أعلاهم صوتا وأطولهم لسانا في وجوب قبول الهدنة ، مدعيا قلة السلاح ونفاد الذخائر وأن الأردن سوف ينسحب من الميدان ومن

(٢٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .
(٢٣) كارثة فلسطين ، ص ٢٠١ .

الجامعة اذا لم تقبل الهدنة ، وقبلت الهدنة ، وقابلها المخلصون بوجوم وحزن عميقين فلقد كانت بحق بداية التاريخ الحزين للعرب ، وكانت بداية النصر لليهود .

ولنستمع الى تصريح وكيل القنصل الاميركي بالقدس الذي يقول « ان قرار مجلس الامن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية » (٢٤)

بل ان الارهابي مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون زفاي ليومي يتحدث عن



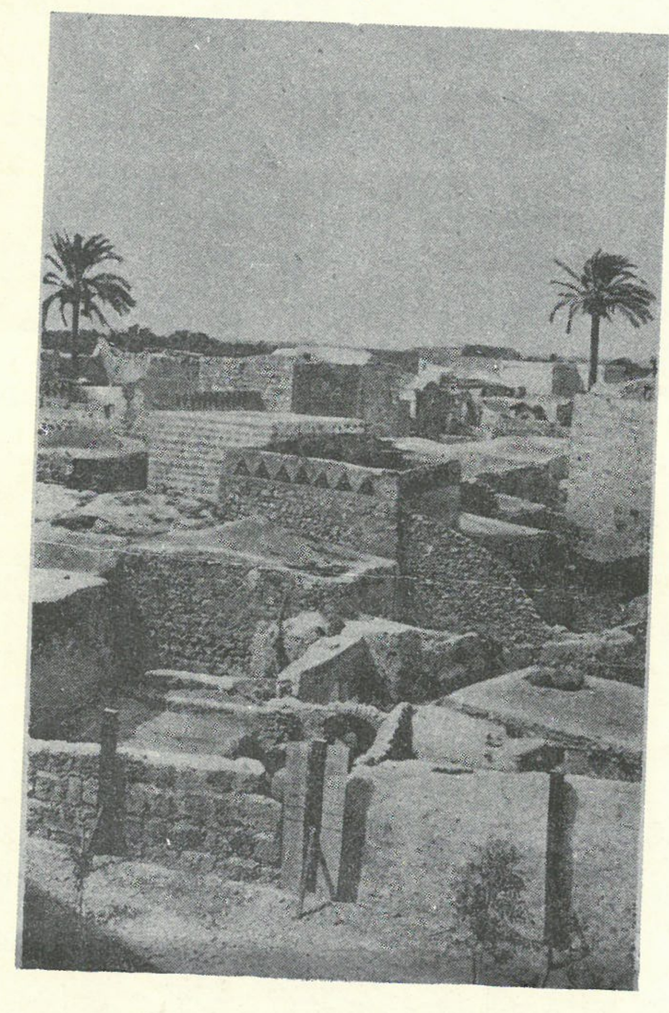
(مناحم بيغن)

الارهابي الذي اعلن مع غيره من زعماء الارهاب الصهيوني ضرورة ارهاب العرب بالقتل والافناء ، زعيم عصابة زفاي ليومي وعضو الوزارة التي حاربتنا في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧

---

(٢٤) كنيث بلبي ، نجم جديد في الشرق الاوسط ، ص ٢٥ .

تلك الأحداث فيقول « تواردت الأنباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية ان الشعب اليهودي أصابه الخوف وخصوصا أهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح طريق باب الواد وتموينهم ، وكان الجيش العربي قد بدأ يقصف احياءنا بمدافعه الثقيلة فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة داعيا الى انهاء الحرب بأي ثمن ، وعندها طلب الي بن



(اللـد)

سقطت بيد اليهود في ١١ تموز (يوليو) ١٩٤٨

غوريون الذهاب للقدس فوصلتها والشعب اليهودي فيهـا ثائر يطالب بالخلاص ، فأعلنت الأحكام العرفية ، ومنعت التجول ، ووضعت الشبان في الخطوط الامامية للدفاع ، ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا مال ، الا قنابل الأعداء ، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لارسال رسول سلام الى فلسطين وعقد هدنة مؤقتة تتلاشى معها الفضيحة الكبرى ، وتمت الهدنة فجئنا الى يهود القدس بالطعام وبعض الماء واستعددنا وجلبنـا السلاح والعتـاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج » (٢٥)

ويقول مؤرخ عربي كان يتولى منصبا قياديا في حرب فلسطين وهـو يتحدث عن قبول تلك الهدنة « ليس لي الا أن أصفها بالجريمة الكبرى وهي أخف وصف يمكن ان توصف به موافقة الجامعة العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد او شرط ، فقد وافق اعضاء اللجنة السياسية على اكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي الا وهي السماح بفك الحصار عن مدينة القدس وانقاذ مئة الف يهودي كانوا على وشك التسليم او الموت جوعا وعطشا ، وافقوا قبل أن يفكروا قليلا في نتائج ما أقدموا عليه ، وافقوا قبل ان يفكر أحدهم فيما سيقع بعد عشرة أيام فقط من ذلك اليوم المشئوم ، وافقوا لأنهم وثقوا من وفد الأردن في اللجنة السياسية وصدقوا رئيس الحكومة الأردنية الخائنة ، وافقوا قبل ان يفهمـوا أن القدس هي كل شيء في فلسطين وان من يحتلها ينهي المعركة كلها ، وافقوا قبل ان يسألوا ويفهموا كيف كانت حال مائة الف يهودي في القدس هم سبع يهود فلسطين ، وافقوا قبل ان يسمعوا ما يقوله القائد العربي في تلك المدينة العظيمة ، وقبل ان يعلموا مقدار الدماء والدموع والجهود التي بذلناها في القدس حتى جعلناها تترنح لتهوي صاعقة على رأس الصهيونية فتزيلها الى الأبد ، وافقوا قبل ان يفكروا في نوايا الانكليز وعزمهم على انقاذ الصهيونية وخاصة القلب (القدس) ، وافقوا قبل أن يسيئوا الظن قليلا بشروط الهدنة ويفرضوا شرطا واحدا على الأقل لمراقبة طريق الحياة للقدس وجعل تموين اليهود تحت اشراف العرب ، لقد وافقوا ولو لم يفعلوا لتغير مجرى الحرب في فلسطين ، وأنني اعتبر جميع الدول العربية مسئولة عن ذلك القـرار في اليوم الأسود بعمان » (٢٦)

وتتضح الآن بعد مرور سنوات طويلة ، النتائج المرعبة لتلك الهدنـة الأليمة التي التزم بها العرب وحدهم صادقين في احترام الكلمة وتقديس

---

(٢٥) جريدة الحياة ببيروت العدد الصادر في ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ .

(٢٦) كارثة فلسطين ، ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .



(النـاصرة)

سقطت بيد اليهود في ١٦ تموز (يوليـو) ١٩٤٨



(عين كـارم)

قرية من قرى القدس . سقطت بيد اليهود في ١٩ تموز (يوليو) ١٩٤٨

الوعد ، واخذ اليهود يعدون العدة لتنفيذ برنامجهم الطويل المدى ، حيث أستمر امدادهم بالسلاح من أوربا على مختلف انواعه ، وحيث بنوا الاستحكامات والخنادق ، وفتحوا الطرق التي ربطت تل أبيب بالقدس بعد أن استحال عليهم ذلك مدة الحصار العربي ، بل استطاع اليهود أن يستوردوا الطائرات والدبابات والرجال من بريطانيا واميركا ، وواصلوا التدريب العملي الشاق ليجعلوا من عصاباتهم جيشا منظما . (٢٧)



بينما امتنعت اوربا كلها وامريكا عن مد العرب بالسلاح عام ١٩٤٨ كانوا يمدون اليهود ببواخر متتالية . والمنظر لشحنة سلاح تفرغ بتل ابيب من أمريكا خلال الهدنة الاولى .

وتجدد القتال في التاسع من يونيو (حزيران) ١٩٤٨ حيث رفض العرب تجديد الهدنة ولكن الوضع كان قد تغير ، فقد زال الخطر العربي الذي طالما أحدق بالقدس الجديدة ، وهدد جموعها بالموت ، وسحب الجنرال جلوب الجيش الأردني فجأة من المدينتين العربيتين اللد والرملة ، فمكّن لليهود من أحتلالهما وزاد الربكة العربية بخلق هجرة جماعية جديدة ، وكشف بذلك ميمنة الجيش المصري واحتل اليهود مطار اللد العالمي الذي لا يبعد عن عاصمتهم بأكثر من أربعة عشر ميلا ، واستولوا على ٧٥٠ ألف

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ — ٢٢٨ .

دونم من اخصب اراضي العرب ، وكان الجيش العراقي يرابط في المثلث العربي « جنين — نابلس — طولكرم » ولم تمكنه القيادة المنحرفة من أن يحتل ناثانيا على البحر المتوسط فيشطر خطوط اليهود الى قسمين ، واذا استثنينا معركة كوكب الهوى واستعادة جنين وقراها (٢٨) ، فان هذا الجيش الباسل لم يعط فرصة لاثبات وجوده بالمعنى الصحيح، بل لقد سحب من مواقعه الى نابلس ولم يعبأ برجاءات السكان والمناضلين الفلسطينيين الذين كانوا يساعدونه وتركهم دون عون . علما بأن هذه المعارك التي خاضها جيش العراق في منطقة المثلث كانت كفاحا مشتركا مع شعب فلسطين ولم يخضها منفردا ، فبينما كانت المدفعية العراقية تدك حصون اليهود في يوم الجمعة ٩ يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، كان المشاة من الشعب الفلسطيني يكونون فصيلا من ثلاثمائة مقاتل يخوضون المعركة باخلاص مع اخوانهم العراقيين ، حيث أستولوا على « فقوعة وتل الخروبة وغرانة » وحين طوق العراقيون قطاعات اليهود المعسكرة في « حلبة وصندلا » كان الفلسطينيون يكونون جزءا مهما من هذا الطوق العسكري، وتم الاستيلاء على صندلة وجليه ، وواصل الفلسطينيون بمساعدة العراقيين الزحف فاستردوا غرانة وعربونة ودير غزالة ومقنيلة وفقوعه ، وكما كان القتال مشتركا فقد كانت الخسائر أيضا مشتركة اذ فقد العراقيون ثلاثة عشر شهيدا ، وفقد الفلسطينيون سبعة عشر ، وحين سحب الجيش العراقي فجأة وقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحوا ينظرون الى اخوانهم المنسحبين ، وفي قلوبهم حسرات وفي مآقيهم عبرات (٢٩) .

ولم يحاول هذا الجيش أيضا معاونة جيش الانقاذ الذي كان يقوده فوزي القاوقجي في منطقة الجليل حين هاجمه اليهود بقوات كبيرة واستولوا على الناصرة في السادس عشر من يونيو ١٩٤٨ . (٣٠) وكانت الجبهتان المصرية والسورية محتفظتين بمواقعهما ، ولكن أيام القتال لم تطل ، فقد فرضت هدنة جديدة في الثامن عشر من يوليو (تموز) ولم يكن هناك أمام العرب

(٢٨) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ — ٥٩١ .

(٢٩) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ ، ويضيف هذا المؤرخ العربي ان القيادة العراقية لم تكن على علم بالمعركة وأن القائد العام نور الدين محمود باشا أمر بوقف القتال والانسحاب مجرد انسحاب والمعركة قائمة وان الذي قرر القتال دون أمر من القيادة هو العقيد الركن عمر علي القائد الاول وصالح زكي توفيق وانه عوقب بعد عودة الجيش الى العراق وقيل انه ادين . وهو ضابط كردي متدين تعهد لسكان جنين انه سوف يواصل القتال وقد فعل ويقول عارف العارف أن القائد العراقي المشهور مصطفى راغب استقال بعد هذا قائلا انها تمثيلية وهو لا يرغب في ان يكون احد افرادها الممثلين في فلسطين .

(٣٠) كارثة فلسطين ، ص ٢٨٨ .

من سبيل الا قبول الهدنة ، فقد ادركوا عمق المأساة في قيادة جلوب الانجليزي ، وعمقت لديهم الآم تسليم اللد والرملة بسحب الجيش الأردني منهما ، أما اليهود فقد كانوا يستفيدون من كل هدنة ، يعدون ويستعدون وتوالي الدول الصليبية امدادهم بالعتاد وبالسلاح وكثيرا ما ضربوا بالهدنة عرض الحائط ، وزحفوا فأحتلوا قرى ومساحات بينما مجلس الأمن الدولي لا يحرك ساكنا ، ولا يسمع لشكوى العرب ولا يشغل بها .

كان يحز في نفوس اليهود تحرير القدس القديمة من سلطانهم حين تعاون قسم من الجيش الأردني مع شعب فلسطين فأتم تحريرها ، واسر قوات الهاجانا اليهودية فيها ، ولهذا سرعان ما جمعوا قواتهم بقيادة موشى ديان وهاجموا في ١٨ من يونيو (حزيران) مناطق القدس ، وهم لم يستطيعوا ان يأخذوا المدافعين العرب فجأة ، ولم يحققوا أي نصر ، ولكنهم خسروا ثلاثمائة وعشرة من القتلى ، وما يزيد عن ثلاثمائة جريح ، ثم عاودوا الهجوم بعد اقل من شهر مستهدفين القدس القديمة ، ولكنهم لم يستطيعوا التقدم ولا النجاح ، ويشرح مناحم بيغن الارهابي اليهودي المشهور أحداث القدس فيقول « أن القطاعات اليهودية التي خاضت معارك القدس كانت يومئذ عبارة عن ثماني سرايا تستهدف استرجاع الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، وبرغم الجهود الجبارة التي بذلها اليهود فقد باءوا بفشل عظيم اذ انهم عجزوا عن اقتحام السور ولم يستطيعوا فتح ثغرة واحدة فيه » .

ولكن اليهود كانوا يبيتون أمرا للجيوش العربية مجزاة وحين أطمأنوا الى أن الجيش العراقي قد جمد تحت نفوذ مباشر مع الجيش الأردني ، وأن تلك الجبهة المهمة التي يحتلها سوف لا تتحرك ضدهم ، وجهوا اكبر جهدهم لجبهة الجيش المصري في النقب ، وفشل مجلس الأمن في ردع العدوان ولم يأبه اليهود به ، اذ كانوا مطمئنين لعون اميركا وبريطانيا اللتين تحولان دون اتخاذ أي اجراء ضدهم ، وعبثا حاولت مصر اسماع صوتها الى الضمير العالمي ليرغم اليهود على احترام قرارات مجلس الامن ،والعودة للخطوط ، تحركت قوات اليهود لفرض الامر الواقع في خليج العقبة فسحب جلوب ٨٠٠ جندي عربي مدرب من طريقهم ، وزحف اليهود في قوة لا تزيد عن ٣٠٠ جندي ، واحتلوا منطقة النقب التي كانت تحميها القوات الاردنية بما في ذلك ميناء ام الرشراش (ايلات) على الخليج ، وكان ذلك في العاشر من مارس (آذار) ١٩٤٩ . (٣١)

---

(٣١) المصدر السابق ، ص ٤٧٨ ـ ٤٨١ .

وكان كل هذا يجري والمفاوضات جارية في رودس بين وفود العرب والوفد اليهودي الذي كان يخاطبهم بلهجة المنتصر في سبيل خلق هدنة دائمة مع كل دولة على حدة ، ويفرض على بعضهم قبول حدود ظالمة ويقتطع مساحات جديدة لاسرائيل فوق ما كان قد نالته في ميدان الصراع المسلح وكانت الجبهة المهمة التي يحسب لها اليهود حسابا كبيرا هي الجبهة المصرية وقد والى اليهود اهتمامهم بها ، وكان الجيش المصري يشكو فساد السلاح ونفاده ، ولكنه خاض برغم ظروفه معارك مريرة دامية في صحراء النقب وكان قسم منه محصورا في الفالوجا بقيادة سيد طه ويضم بين ضباطه جمال عبد الناصر ، واحتفظ هؤلاء الأبطال بمراكزهم ثابتين حتى عادوا الى مصر بسلاحهم حسب الهدنة الدائمة في اليوم العاشر من مارس (آذار) ١٩٤٩ .

وهكذا انتهت جولة من جولات معركة الأمة العربية تعاون خلالها ضدها انحراف القيادات وضعفها،وتعاون الصليبية الاستعمارية بكل قوتها مع الصهيونية الباغية لاذلال العرب وجيوشهم السبعة في سبيل خلق دولة يهودية ، يريدونها ركيزة أولى نحو توسع شاسع في أجزاء مهمة من الوطن العربي .

واذا كانت هذه هي الجولة الأولى التي تجمعت فيها جيوش عربية في معركة المصير ، فأنه من المفيد لهذا البحث أن نسجل احصائية بالخسائر التي تكبدتها الأمة العربية في الأرواح خلالها :

١ ـ كان الشهداء من الجيش المصري يبلغون ١٠٠ ضابط
٨٦١ جنديا
يضاف اليهم شهداء مصريون
ليسوا في سلك الجندية ٢٠٠
المجموع ١١٦١
٢ ـ وكان الشهداء من الجيش الأردني ١٠ ضباط
٣٥٢ صف ضابط وجندي
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ٢٠٠
المجموع ٥٦٢
٣ كان شهداء الجيش العراقي ١٠ ضباط
١٨٩ صف ضابط وجندي
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ٢٠٠
المجموع ٣٩٩
٤ ـ كان شهداء الجيش السوري ٣٠٧
٥٤

يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية	١٥٠	
المجموع	٥١١	
٥ ـ وكان شهداء الجيش اللبناني	١١	منهم ضابط واحد
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية	١٥٠	
المجموع	١٦١	
٦ ـ وكان شهداء الجيش السعودي	٦٨	منهم اربعة ضباط
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية	١٠٥	
المجموع	١٧٣	
وكان شهداء جيش الانقاذ		
وهو مزيج من كل شعوب العرب	٥١٢	يضاف اليهم
	٢١	يمني
	١٥	ليبي
	١٢	من تونس والجزائر ومراكش

أما شهداء شعب فلسطين خلال معركة ١٩٤٨ فكانوا ١٣٠٥٠ مجاهدا شهيدا (٣٢) .

ولا يدخل في هذه الاحصائية ما فقده شعب فلسطين خلال صراعه الطويل الدامي منذ ١٩١٧ ، ولا مافقده في معسكرات اللاجئين وعلى خطوط الهدنة وفي اعتداءات اليهود المستمرة والاحداث المتلاحقة بعد ذلك .

٤ ـ الدور الايجابي لشعب فلسطين في المعركة :

كان الشعب الفلسطيني مهملا في أغلب الانحاء من وطنه ، بل لقد تعمد البعض اقصاءه عن المعركة ، وهو الشعب الذي احتفظ بأكبر الأجزاء في بلاده ، ودافع عنها وقاتل في سبيلها الى ان دخلت جيوش الدول العربية ، اذ لم تكن القوات اليهودية في منتصف مايو (أيار) تحتل الا جزءا ساحليا ممتدا من غرب يافا الى شرقي حيفا ، وجزءا آخر يحاذي بحيرة طبريا عند حدود سوريا ، وكانت بقية أجزاء فلسطين مصونة بيد الشعب العربي بما في ذلك القدس القديمة والاحياء العربية الكبيرة بالقدس الجديدة والناصرة وعكا وراس العين واللد والرملة وقرى جنين العديدة والخليل وبيت صفافا ورام الله ونابلس وجملة وزرعين ونورس والمزار ودير غزالة ، الى جانب

(٣٢) سجل الخلود اسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين صيدا بيروت ـ ج ٦ ص ٧ ـ ٩ .

النقب كله بمدنه وقراه ومضارب البادية في ربوعه وغزة وآلاف القرى والمدن في الجليل وغيره ، ويقول احد الثقاة : « ان جميع ما استولى عليه اليهود سواء تملكا من الانجليز تحت حيلهم العديدة أو بواسطة القوات العسكرية لم تكن في الخامس عشر من مايو (أيار) يزيد عن ثلاثة ملايين دونم وكان شعب فلسطين يتولى الدفاع عن مساحة تزيد عن أثنين وعشرين مليون دونم حتى اذا تسلمت الحكومات العربية مسئولية الدفاع عن فلسطين استولى اليهود على اكثر من ١٧ مليون دونم ضموها الى ما كان في حوزتهم :

١ ـ صفقة ـ اللد والرملة ـ وفيها استولى اليهود على ٩٥٠ الف دونم تقريبا .

٢ ـ صفقة النقب وفيها أستولى اليهود على ١٢٫٨٧٥٫٠٠٠ دونم تقريبا .

٣ ـ صفقة الجليلين الشرقي والغربي وفيها استولى اليهود على مليوني دونم تقريبا .

٤ ـ صفقة الشونة ورودس وفيها أستولى اليهود على ١٫٦٧٥٫٠٠٠ دونم تقريبا وأغلبها من أراضي المثلث العربي ومنطقة الجليل ، ومجموع هذه الصفقات ١٧ مليون دونم اضيف الى ما كان في حوزة اليهود فصار مجموع ما بأيديهم ٢١ مليون دونم ، وبقي بأيدي العرب خمسة ملايين دونم تقريبا هي ما يسمى بالضفة الغربية من مملكة الأردن وما يسمى بقطاع غزة في الجنوب » (٣٣)

واذا كان الاحتفاظ بالوطن على هذه الصورة المشرفة يبرهن على معدن كريم لشعب فلسطين فان القيادة الانجليزية كانت تركز كل قواها لسحب السلاح من قوات الجهاد المقدس الفلسطيني وابعاد أفراده عن جو المعركة ، وقد أثبت مؤرخ عربي ان ابعاد الفلسطينين وحل فرقهم كان الشغل الشاغل لقيادة جلوب . (٣٤)

وانه لعجيب أن تستمر هذه الخطة التي رسمها المستعمر لابعاد الشعب الفلسطيني عن مسرح القتال والحيلولة دون معالجته قضيته بنفسه ، فتكون هي الخطة التي سارت عليها الجيوش العربية المنقذة ، فلم تكد تدخل فلسطين حتى بادرت بحل المنظمات العسكرية ونزعت السلاح

(٣٣) كارثة فلسطين ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٣ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٣ .

تدريجيا من المجاهدين . (٣٥)

بل ان شعب فلسطين تعرض لحملة قاسية جدا من بعض اجهزة الأعلام العربية ، وكانت تلك الأجهزة قد تأثرت ببعض الدعايات المفرضة أو ببعض حوادث الانحراف التي لا تمثل الا جزءا ضئيلا تافها في تاريخ كل شعب مجاهد ، يقول مؤرخ عربي « لا نزال نذكر تلك الصور والمقالات التي كانت تنشرها مجلات « دار الهلال » واخبار اليوم التي قدمتها للقراء غذاء فكريا مسموما على أنه سبق صحفي منقطع النظير عن الجواسيس العرب وكيف أن الجيش المصري وجد قتلى من العرب ضمن قتلى اليهود في احدى المعارك ، هذه الأنباء المختلقة واشباهها كان لها اكبر الأثر في ايهام الجنود العرب انهم يحاربون في ارض معادية ويساعدون قوما باعوا أرضهم وامتشقوا الحسام دفاعا عن الصهيونية ، والى جانب ما في هذه الأنباء من تجن على الحقائق ، فقد اثرت تأثيرا بعيدا في قتل الروح المعنوية في الجنود المحاربين ، ومضى الجنود يعاملون العرب على انهم جواسيس ، ويكفي ان يوجد في جسم عربي « وشم قديم » أو « كي » بالنار لتلصق به هذه التهمة وقبل أن يتم التحقيق يكون العربي قد نال نصيبه الوافر من الضرب بالأيدي والركل بالاقدام » .

ويسوق هذا المؤرخ حادثة شاهدها بنفسه خلال معركة ١٩٤٨ فيقول « حينما كان الجيش العربي المصري الباسل يخوض غمار المعارك العنيفة في بئر السبع ، كان هناك أعرابي يدعى « أبن عقيل » شجاع وخبير بمسالك الصحراء وتعاون مع قائد منطقة « عسلوج » في وضع الألغام على طرق اليهود وادى دوره ببراعة تستحق الاعجاب ، وحدث انه عثر على عدد من الألغام الضخمة التي زرعها اليهود على طريق الجيش المصري فنزعها من الطريق وحملها في كيس على كتفه ، ومضى بها فخورا ليسلمها الى القيادة ، ولكن الجنود قبضوا عليه وهم يتصايحون « جاسوس » « جاسوس » وانهالوا عليه ضربا وهو يحاول اقناعهم دون جدوى وزاد من اشكاله ان وجدوا بجسمه عدة أختام « كي » نتيجة الأمراض التي أصيب بها ، كانت القيادة السابقة قد تغيرت وسرعان ما أدين وحكم عليه بالأعدام ولولا أن جاء القائد السابق فأعطى شهادته لصالحه ، واكد انه انقذ قوافلا ورتلين من السيارات العسكرية ، وانه قام بأعمال فدائية مهمة جدا ، فبرىء استئنافيا ومنحه رئيس المجلس العسكري منحة مالية مقدرا

(٣٥) كامل اسماعيل ، صفحات من التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٧٠ .

لبطولته ، ولولا شهادة القائد السابق التي اوضحت حقيقة هذا البطل لنفذ فيه حكم الاعدام ، والحقيقة انه لم يعرف التاريخ شعبا كافح في سبيل حريته مثل ما كافح الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يشهد التاريخ نوعا من انواع التنكيل والارهاب أشد واقسى مما صبته بريطانيا على هذا الشعب الباسل ، وأن ثوراته المتتابعة لتعطي صورة صادقة لنفسية هذا الشعب وايمانه بحقوقه ايمانا تغلغل في نفوس جميع أفراده وتساوى فيه البدوي والحضري » (٣٦)

ولعل الأسباب المباشرة لبدء سريان تلك الاشاعات ضد الفلسطينيين هي قدرة اليهود على الحيل والخداع ، فقد ثبت أن افرادا من اليهود الذين عاشوا في البلاد العربية بثتهم دوائر الأستخبارات اليهودية في بعض الجهات، وهم يرتدون ملابس العرب ويتحدثون لغتهم ، فلقد القت القوات المصرية القبض على أثنين يلبسان ملابس البدو في قطاع غزة ، وكانا يضعان ميكروب الكوليرا في المياه ، وظن انهما عربيان ثم ثبت أنهما جاسوسان يهوديان (٣٧) وتكررت حوادث كثيرة مثل هذه .

وجنوح اليهود الى التزي بالأزياء العربية تكرر مرارا واتخذوها وسيلة لخديعة الشعب العربي ، فقد دخلوا جنين اثناء قتال ١٩٤٨ وهم يتحدثون اللغة العربية واللهجة العراقية ، وظنهم الناس انهم جيش العراق المنتظر ، بل انهم دخلوا الناصرة في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٨ يرتدون ثيابا عربية وفرح بهم الأهلون وراح الرجال يصفقون وتعالت زغاريد النساء ورفعت السيدة راضية المهدي ام فؤاد العيوطي صوتها هاتفة « حاج أمين يا منصور » فصوب اليهود عليها رصاصهم وقتلوها (٣٨)

على ان الذين عاشوا في فلسطين ايام الجهاد والقتال لا يخفون اعجابهم بشعب فلسطين ، وليس ادل على ذلك من خطاب للرئيس جمال عبد الناصر يقول فيه « اني اريد أن تعرفوا ان كل ما قيل من ان اهل فلسطين لم يحسنوا الدفاع عن وطنهم كلام قصد به الخداع والتضليل ، لقد جربتكم بنفسي وانا اعرف أكثر من غيري حقيقتكم ، ان الذين قاتلوا منكم معي قاتلوا بشرف ، كذلك عرفت اهل فلسطين بنفسي ورأيتهم بعيني ، وليس ذنبهم أنهم لم يكن بأيديهم سلاح وكانت ايدي اعدائهم مليئة به » (٣٩)

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٣٧) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٢ .
(٣٨) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٨
(٣٩) الرئيس جمال عبد الناصر ، خطابه بغزه ، عيد الفطر ١٩٥٦ .

بل أن شهادة مهمة جدا تسجل صفحة مجيدة رافقت تاريخ هـذا الشعب في جميع الظروف ، قالها الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث في المؤتمر التعاوني بالقاهرة « حارب الشعب الفلسطيني في غزة وخان يونس ورفح واثبت هذا الشعب المقاتل أنه يتمسك بحقه في الحياة وبحقوق شعب فلسطين التي سلبتها الدول الكبرى وبحقـه في وطنه ، حـارب الشعب الفلسطيني في غزة وهو يعلم أن الجيش العربي انسحب ولكنهم حاربوا دفاعا عن شرفهم وكرامتهم ، حاربوا لأنهم لا يمكنهم رؤية اليهود يدخلون بلادهم دون أن يحاربوهم ويقاتلوهم ، وفي خان يونس كانت هناك معركة مريرة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة ، وأثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه المحن ، ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى ولكنه متمسك بقوميته وعروبته ومتمسك بقوته وقدرته على القتال » (٤٠)

وانه لمستند تاريخي يشهد لعرب فلسطين بالوطنية والبطولة ، ذلك النداء الذي وجهه قائد القوات المصرية اليهم في اليوم العاشر من ينايـر ١٩٤٩ وبعد معارك هامة طفت فيها الصهيونية فيقول « لقد كان لموقفكم النبيل المشرف ، وايمانكم بنصرة الحق أحسن الاثر في نفسي ونفس جنودي، فلقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها ، كما أحتملتم ضغط العدو باذاعاته الكاذبة ومنشوراته ، ولقد كنتم رابطي الجأش ثابتي العزيمة ، فلم تسببوا لي متاعب في الخلف ، بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، فبأسمي واسم جنودي اشكركم أولا وأهنئكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة وأبشركم بنهاية سارة بفضل الله .

لواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق قائد
عام القوات المصرية بفلسطين (٤١)

ولست أجد ابلغ من تعبير شيخ علماء الجزائر البشير الابراهيمي وهو يتحدث عن شعب فلسطين فيقول « أما الحق الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسملة من اللوح فهو ما قام به عرب فلسطين الابطال الذين كشفوا عن صواب الراي القناع ، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه وتآسوا فسنوا للكرام التآسيا وهـذا هـو العنـوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام وهذا هو الواجب شرعه عـرب فلسطين لجميع العرب (٤٢) »

---

(٤٠) الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني بالقاهرة في ٥ من ديسمبر ١٩٥٧ .

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٤ ، ص ٨٠٩ .

(٤٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٥ عام ١٩٤٨ .

٥ ـ الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة :

ولنعد الآن الى الموقف العربي في الخامس عشر من مايو (أيـار) عام ١٩٤٨ ، لندرك في احاطة شاملة أن قسما واحدا من الشعب العربي كان يصلي المعركة وحده ، ويتجرع كأسها المرة حتى الثمالة وأعني به الشعب الفلسطيني ، أما باقي الشعوب العربية فقد كانت تنظر الى المعركة باعتبارها صراعا جانبيا وفرعيا ، تعطيه من حماسها وتصفيقها القدر الذي لا يعرقل مظاهر سيرها اليومي وعبثها المعتاد ، ولا ريب أن ذلك كان ينبعث من مواقف الحكومات العربية التي لم تنظر الى معركة فلسطين باعتبارها معركة حيوية وتاريخية ، وصداما مع عدو أستمر يستعد للمنازلة ثلاثين عاما ، ساعدته خلالها أغلب الدول الصليبية الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا وامريكا .

لقد كان وضع العواصم العربية في مساء الخامس عشر من شهر مايو وبعد ذلك ، وضعا لا يمت الى حالة الحرب بصلة ، فلم تعلن حالة الطوارىء بين الجماهير ، ولم تفرض ضرائب للدفاع ، بل ولم ترفع حتى أثمان تذاكر المسارح والسينمات بجزء لحملة فلسطين ، ولم تغير تلك البرامج في كمها ولا في كيفها ، ونظرة سريعة الى صحف ذلك اليوم في القاهرة ، تنبيك أنه بينما كان الأبطال من جنود الجيش وضباطه يتجهون نحو خطوط القتال ، كانت القاهرة ترقص مع بديعة مصابني وغيرها من الساهرات .

وتفيدنا صحف ذلك التاريخ (٤٣) من شهر مايو (أيار) أن دور السينما كلها كانت عاملة لا علاقة لها بالحرب المقدسة في فلسطين :

« برامج السينما والمسرح :

غدا ... غدا ... غدا ... سراج منير ـ هاجر حمدي في البوسطجي
(ثم نحو عشرة أسماء للممثلين وأمثالهم في خط كبير)

تمتعوا بسهرة صيفية لطيفة بكازينو الجمل ، حديقة غناء ، مشروبات شهية .

يوسف وهبي : آخر حفلة في الموسم التمثيلي الليلة ٩ ١/٢ مساء بمسرح الأزبكية « بنات الريف »

سينما الشرق بالسيدة زينب : عروسة البحر
سينما حديقة الازبكية : الوقت والمكان والفتاة

---

(٤٣) جريدة الاهرام العدد ١٦ و ٢٧ من مايو ١٩٤٨ .

السينما الأهلي بالسيدة زينب : الهارب من السجن .
سينما شبرا بالاس : المليونيرة الصغيرة .
سينما مصر : ابن الحداد .
سينما ريفولي : طريد القانون .
سينما كايرو : أسرار دون جوان .

اما ملاهي الرقص حيث النساء والخمر ، فلم تكن اقل نشاطا من دور السينما :

صفية حلمي : استعراض فن الرقص .
كيت كات : ببا وفرقتها .
بديعة مصابني وفرقتها الكبرى : الجائزة الأولى .
البوسفور : احسان عبده وفرقتها .

اما الاذاعة فاذا استثنينا البلاغات الرسمية ، وبعض الكلمات المناسبة الى جانب اغنية عبد الوهاب المعبرة من شعر علي محمود طه « اخي جاوز الظالمون المدى » اذا استثنينا ذلك ، فقد كانت برامجها سلمية لا علاقة لها بالحرب ولا بهيئة تهيىء الشعب للاعداد والاستعداد ومعرفة خطورة الموقف وتقدير جوانبه بجميع مستلزماته .

وفي الساعة الثالثة و٤٥ دقيقة من يوم ١٧ مايو (ايار) ١٩٤٨ بينما كان ابناء مصر وفلسطين والبلدان العربية من الجنود البواسل والمتطوعين يقاتلون اليهود ويخوضون ميدان الدم ، كانت الاذاعة المصرية تذيع وصفا لمباراة كرة القدم بين فريق مصر والفريق المجري على ارض ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفي الخامسة و٤٥ دقيقة كانت تذيع عديدا من أغاني الحب والغرام في برنامج ما يطلبه المستمعون : ووسط هذا الجو الصاخب المرح الساهر ، تعلن جمعية الشبان المسيحية والنادي الشرقي انهما يؤجلان الحفلتين الساهرتين بسبب الحالة في فلسطين ، فكان هذا التصرف من النادي والجمعية هو الوحيد المعبر عن الادراك والمشاركة من الفارقين في ميدان الطرب والترف .

ولا يختلف الوضع في دمشق وبغداد وبيروت عن الوضع في القاهرة ، جماعات من الشعب تتحدث عن زحف عسكري على فلسطين ، وجموع غفيرة تؤم دور السينما والمسارح وملاعب الكرة ، واندية القمار وفي اطمئنان ، كأن الامر لا يعنيها ولا يشغلها : فبينما الأبطال الفلسطينيون يترنحون تحت سلاح الصهيونية المستورد بعون أمريكا وبريطانيا ودول أوروبا كلها ، وبينما كان الشعب العربي في سوريا يحترق ألما على أحداث

فلسطين كان جانب آخر منه يمثل عدم المبالاة والبعد عن مستوى المعركة وجديتها .

ولنقرأ صحف دمشق حيث تعلن : (٤٤)

مسابقة ذات جوائز مالية بمبلغ ١٠٠ ليرة سورية تقدمها ادارة سينما الشرق بمناسبة عرض فيلم الموسم الاجتماعي الكبير الذي سيعرض الاثنين ١٧ (فيلم سجن الليل)

سينما الأهرام : شادية الوادي
سينما عائدة : برج الأهوال .
سينما دنيا : الجبار .

ومثل هذه الاعلانات السينمائيةلاتوجد في بلد أعد نفسه لمعركة مصيرية وجهز شبابه ورجاله لخوض لهيب الجلاد ، واذا كانت وسائل الاعلام احدى دعائم المعركة ، واذا كان الشعب يجب ان يستمع الى صوت قادته في مثل هذه المواقف التاريخية ، والى برامج مناسبة للمعركة تقوي الهمم وتنشر الحماسة في جماهير الشعب ، فان تلك الجريدة السورية تنشر برامج اذاعة لندن ، لندن التي ارست قواعد اليهودية في فلسطين وعملت على تشريد شعبنا واذلاله .

ولم يكن الوضع في بيروت يختلف عن ذلك الوضع في دمشق ، فلم تكن الصحف تعطي الا نفس الصورة اللاهية : (٤٥) .

سينما هوليوود : فيلم سر ابي (الفيلم الغنائي العاطفي الراقص)
سينما روكسي : شمشون الجبار .
سينما دنيا : ايفي جون فونتين

واذا كانت الجريدة الدمشقية تنشر في يومياتها برامج B.B.C الاذاعة البريطانية ليتابع قراؤها العرب أخبار لندن ، فان الجريدة اللبنانية تنشر برامج اذاعة باريس باللغة العربية ، وعلم الله كم دست لنا هذه الاذاعات السم في الدسم ، وكم سربتفي الأخبار ما يضني العزم ويحطم القوىوالجهد.

واذا كانت هذه هي مظاهر الأمة العربية في القاهرة وفي بيروت ودمشق، مظاهر الذين يحيون في دعة ، ويسيرون في سعادة ، ويرتادون الملاهي والملاعب والمساهر كأنهم في سلام مقيم ، أو كأن النصر معقود لهم من لدن

(٤٤) جريدة القبس الدمشقية العدد ٣٦١١ الصادر في ١٦ من مايو (ايار) ١٩٤٨ .
(٤٥) جريدة صوت الاحرار البيروتية العدد الصادر في ١٥ من مايو (ايار) ١٩٤٨ .

عزيز حكيم ، فان الحال في بغداد لم يكن مختلفا ابدا :

« الافتتاح العظيم لكباريه دولاني روج شارع أبي نواس ، تفتح ادارة كباريه دولاني روج بالجوق الموسيقي الاستعراضي النسائي الايطالي ليماجيمس ، وتزف للجمهور الكريم وصول غادات البوسفور الرشيقات ليشتركن في المناهج الغربية مع جميع فنانات الملهى تركي – انجليزي ايطالي ، فرنسي – اسباني ، حفلات للعائلات كل يوم سبت من الساعة ٣٠ر٣ الى ٥ مساء .

فاذا اتجهت الى دور السينما في بغداد يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ وما بعده وبينما كان الجيش العراقي يتجه الى المعركة ولا يعوزه الا امر اطلاق النار ، وجدت ان عددها في بغداد اربع عشرة دارا للسينما استمرت كلها عاملة في ذلك اليوم الخطير :

سينما روكسي : حكايات ماشهتان
سينما الرشيد : السهم الأخضر
سينما الحرية : لست ملاكا .
سينما غازي : السيدة تعارض .
سينما الفردوس : الغروب .
سينما ريجنت : الفارس الوحيد
سينما ديانا : غني حرب
سينما ميامي : سيسيل الجميلة
سينما الشرق الصيفي : بياعة اليانصيب
سينما الطوني : رصاصة في القلب
سينما ريكس : مناورات الغواصات .
سينما الفردوس الصغير : عنتر وعبلة
سينما الرشيد الصيفي : غدر وعذاب
سينما الوطني الصيفي : دنانير

وانه لمؤسف أن تكون هذه هي حال العراق الذي طالما رفع اليه شباب العرب الانظار ولقبوه ببروسيا الشرق،والذي طالما نادى شباب«نادي المثنى » في ارجائه بنشيدهم الخالد : « بلاد العرب أوطاني »

هذه صورة الأوطان العربية أو بعضها ، اما الآخر فأما انه كان قليل الجهد ضعيفه ، وأما انه كان يرزح تحت استعمار ثقيل ولكنه يحاول ويحاول ، انها صورة الأوطان التي تأخذ الحياة رخية بالعرض والطول ، هي بعيدة عن الفهم العميق للمأساة التي مثلت خلال ثلاثين عاما ، وهي

بعيدة عن الاهتمام والانشغال بالنتائج المرتقبة لمعركة يجب ان تجند فيها كل الامكانيات ، ولصراع رهيب وضعت قواعده ضدنا الصليبية الاستعمارية . وبقينا نحن سادرين في غفلة ولهو ودون مبالاة ، ولكن كل موطن من الأوطان العربية لم يخل من مخلصين كانوا يتحرقون الما لبعد واقع بلدانهم عن حقيقة المعركة ، وكانوا طلائع الحرية العربية فبعثوا بفدائييهم الى الميدان يخوضون المعارك قبل دخول الجيوش ، وكانت مصر اكثر تلك الأوطان حماسة ، وكان فدائيوها برأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز يخوضون الصدام في صدق وعزم ، في عراق سويدان والخليل والفالوجا وضواحي القدس .

وكانت هناك جماعات ترسمت خطى المجاهدين الذين يدفعون أرواحهم في سبيل الله ويبحثون عن الشهادة ، كانت هذه الجماعات اكثر نداء وأصدق نزالا في ميدان المعارك سواء منها من عبر الحدود من سوريا أم الاردن أم العراق أم من عبرها من أرض الكنانة وكان فيهم العديد من ابناء شمال افريقيا تسربوا على الرغم من واقع بلدانهم الأليم مع الاستعمار ، ولكنهم تسابقوا الى فلسطين فكلهم يرى ان المعركة واحدة وأن المصير واحد .

وكانت ليبيا تمثل المعبر لأولئك المتطوعين ، يصلون اليها سرا وسيرا على الأقدام ، وفيها يتمونون ويشجعون ، وترافقهم مجموعة من متطوعي ليبيا انفسهم ، وحين بدأ زحف الجيوش العربية كانت هناك قبور عديدة في فلسطين تضم تحت ترابها الناعم العدد الكثير من شهداء ليبيا وشمال أفريقيا وغيرهم من المتطوعين .



المؤلف يتوسط بعض الشباب الليبي ، اثناء زيارة للنصب التذكاري برامات راحيل بفلسطين حيث يرقد الشهداء الليبيون .

ولقد شهد لهم قواد الجيوش في القضايا التي نظرتها المحاكم عقب عام النكبة ، فوصفوهم بأنهم أبطال النزال صادقو العزيمة ، يلتفون بالشجاعة ويقدمون في اعتزاز على الاستشهاد ولقاء الأعداء في صبر وثبات .

وفي ظل ميزانيات السلم التي لا تسليح فيها ولا تمرين ولا احتياطي ، زحفت جيوش عربية قوامها جنود وضباط مخلصون شجعان ، وقيادات سياسية تقبع وراء القصور في معظم العواصم العربية بعيدة عن جدية المعركة وأخطار المستقبل البعيد ، وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذي تلاقت عليه المؤامرات الدولية والقرارات السرية والعلنية .

٦ ـ مأساة هجرة الفلسطينيين :

يسوقنا الواقع الفلسطيني في منتصف مايو (أيار) ١٩٤٨ الى التساؤلعن أولئك الذين احتلت الصهيونية ديارهم ، وعسكرت في منازلهم وحدائقهم بيافا ، وسلمة وحيفا وعكا وفي القسطل وضواحي القدس الجديدة ، ولقد علم أن اليهود كلما احتلوا ارضا عربية أعملوا فيها يد التخريب والدمار ، وأرسلوا الى أهلها شظايا القنابل ومجاميع الرصاص ، فعلوا ذلك في يافا يوم احتلالها ، رغم تعهدهم باحترام قوانين الحرب وعدم المساس بالمدنيين ، وفعلوا ذلك في حيفا حين رفضت الاستسلام فدكوها بجحافلهم وفتكوا بجموع الاهلين ، وفعلوا ذلك أيضا في مختلف القرى العربية فأشاعوا بين الشعب روح الارهاب والبحث عن النجاة ، والحق ان جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال ، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم ، ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم واخراجهم الى البراري ومناطق احتلالهم ، كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما ، وكان اليهود يقصدون اخراج العرب من ديارهم ، ولهذا كانت أعمال الارهاب احدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم ، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها وفي قرية ناصر الدين ، لعل قصتيهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية .

دير ياسين :

كانت هذه القرية العربية تعيش في بحبوحة من العيش الرخي ، يسكنها ٧٧٥ نسمة من العرب المسلمين ويملكون ١٧٠٠ دونم للحبوب والثمار ، وبينهم تجار ومقاولون ، ويحيون حياة يسر ورخاء ، كان فيها

مسجدان ومدرستان (٤٦) وناد للرياضة ، وكانت محاطة بمناطق يهودية يربو سكانها على مائة وخمسين الفا . (٤٧)

وفي بداية القتال بفلسطين أتصل قائد احدى القرى المجاورة لدير ياسين بوجهائها قائلا : « مالنا ولغيرنا ، لا تعتدوا علينا ولا نعتدي عليكم » فوافقه الوجهاء ولم يحدث أي اعتداء بينهم .

وفي اليوم التاسع من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ وقبل أن ترسل أنوار الفجر أشعتها ، والقرية نائمة هادئة ، كان اليهود يهاجمونها من جميع الجهات ، ارسلوا طائرة رمتها بعديد من القنابل ، وتقدم جنودهم تحميهم خمس عشرة دبابة ، وكانت الحملة اليهودية كبيرة جدا ، ولم يكن المسلحون بالقرية يزيدون عن خمسة وثمانين مسلحا ، وصحا أهل القرية على انفجارات ، وهبوا يدافعون عن قريتهم وأراضيهم ، واستمرت المعركة الى الثانية والنصف ظهرا ، لم يثنهم طحن الدبابات اليهودية لبعض أبطالهم ، ولا هدمها لمنازلهم ، وتحولت المعركة من بيت الى بيت ، ومن ركن الى ركن وشهد ذلك الصباح بطولات خالدة لسكان تلك القرية التي داهمها اليهود فجاة وعلى غرة . (٤٨)

ولم تتخلف نسوة دير ياسين ، بل كن يمددن المقاتلين بالذخيرة ، ويقفن في صف المعركة تلك المعركة التي لم تهدأ الا عندما نفدت ذخائر العرب، وعندما نفدت الذخيرة ، تمكن اليهود من تفتيش شوارع القرية ومنازلها ، واستحلوا القتل والتمثيل في سكانها ، لقد أستطاع القليل من السكان اختراق صفوف اليهود بقوة بعض القنابل اليدوية ، وقتل من لم يستطع ، لا فرق بين الشيوخ والأطفال ، وكان بين النسوة خمس وعشرون حاملا رموهن كلهن بالرصاص : وداهموا الدور فقتلوا كبار السن ورموا بجثثهم من الشرفات (٤٩)

---

(٤٦) كارثة فلسطين ، ج١ ص ١٦٩ .

(٤٧) كانت محاطة من الشرق بمونتفيوري الجديدة وبيت فيغان والاحياء اليهودية الاخرى ، ومن الشمال الى الشرق بمستعمرة جبعات شاءول ومن الجنوب بمستعمرة يافنتوف ومن الجنوب الى الشرق بيت هاكيرم ، ومن الغرب بأراضي موتزا وأرزا .

(٤٨) مما يروى عن بعض احداث ذلك اليوم التاريخي أن محمد الحاج عايش قاتل بشجاعة حتى استشهد ، وكانت والدته السيدة حلوة زيدان ترقبه وتجاوره ، فلما استشهد زغردت لاستشهاده ، فاستلم بندقيته والده الحاج عايش ، وقاتل حتى استشهد ، وهناك لم يعد في بيتها احد ، فتسلمت البندقية وقاتلت حتى استشهدت .

(٤٩) فعلوا ذلك بالحاج جابر مصطفى والحاج اسماعيل عطية وزوجته وحفيدها الطفل الصغير .

وبينما كانت امرأة عربية تحاول انقاذ زوجها الكفيف البصر محمد علي خليل وتقوده صارخة ضارعة اطلقوا رصاصهم صامين آذانهم عن دعاء الانسانية وبينما كانت السيدة صالحية محمد عيسى مع طفلها الصغير أطلقوا عليها رصاصهم فقتلوهما معا،وتلك الشهيدة حياة البلبيسي المدرسة في القرية والتي كانت تسعف الجرحى حاملة شارة الصليب الأحمر أردوها شهيدة وسط جراحها وأناتهم ، وهناك أسر ابيد معظم أفرادها في تلك القرية، وفي ذلك الصباح الذي لا ينسى (٥٠) ولم يرحموا حتى النسوة العجز والشيوخ الكبار فقد كان رصاصهم يقصدهم ويحصدهم على مختلف أحوالهم ، وقد مثلوا بالقتلى وارغموا الأسرى على أن يدوسوا جثثهم ، وأخذوا سبعة من الأسرى فطافوا بهم شوارع القدس الجديدة ، ثم عذبوهم في شوارع القرية على مرأى من أسرهم : ثم غابوا في غياهب المجهول الى اليوم ، وأتجهوا الى نسوة القرية اللاتي فاتهن دور الموت ، سلبوا حليهن وكل ما معهن وجردوهن من الحجاب وسيروهن حافيات الأقدام عاريات الرؤوس والوجوه ، وأخذت تلك الاشلاء الباقية من الأسر طوابير في شوارع القدس بين سب اليهود وتشهيرهم ، ثم أودعن المستشفى الايطالي في ضواحي القدس الجديدة حيث توزع ذلك الجمع الحزين بين القدس العربية ومختلف القرى .

ان مناحم بيغن قائد عصابة الأرغون التي تولت مع غيرها مجزرة دير ياسين ، يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم فيقول : « ان نارهم كانت حامية وقاتلة ، وقد أضطر اليهود أن يحاربوا العرب من شارع الى شارع ومن دار الى دار » (٥١) .

وقد تحدثت الحاجة زينب احمد موسى احدى نساء دير ياسين اللائي طوّف بهن اليهود في شوارع القدس ، تحدثت الى المؤرخ عارف العارف فذكرت : ان اليهود ارغموها بعد المعركة على ان تحمل زهاء ثمانين جثة من قتلاهم في ذلك اليوم ، أما مجموع ضحايا العرب في دير ياسين فكان مائتين وخمسين شهيدا وشهيدة ، ويؤكد الكاتب اليهودي « هاري ليفين » ان الجماعات اليهودية الثلاث اشتركت في تلك المجزرة البشرية سواء في ذلك شترن والأرغون وجيش الهاجانا اليهودي وافاد الدكتور دي رينيه الذي تمكن من دخول القرية يوم الحادث أن عددا كبيرا من المدنيين غير المسلحين من الرجال والنساء قد ذبحوا ذبح الأنعام .

(٥٠) لم ينج من أسرة زهران الا ثلاثة شبان وأبيد معظم افراد أسرتي علي زيدان وعطية رجالا ونساء واطفالا .

(٥١) مناحم بيغن : الثورة ، ص ١٦٣ .

لقد حدثت هذه المجزرة ، وبلغ من فظاعتها أن أخذ اليهود جثث العرب ورموا بها في الآبار واقفرت تلك القرية من كل عربي فيها ، وكان هناك مائة مسلح من جيش الانقاذ الذي كونته الجامعة وأشرفت عليه لجنتها العسكرية يعسكرون في عين كارم القريبة من دير ياسين ، وكان صوت الرصاص وصرخات النساء والأطفال يتردد في اصداء أجوائهم ، ولكن أحدا منهم لم يتحرك لأنجاد دير ياسين ، أما الانجليز فقد صرح وزير مستعمراتهم مستر كريتش جونز في مجلس العموم قائلا : « ان جميع الحقائق التي توافرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية ، وأنني لا أستطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة تجاه هذه الأعمال التي هزت العالم كله (٥٢) . وبينما يعبر الوزير البريطاني عن أسفه وكرهه للجناة ، يتناسى أن حكومته الآسفة كانت المسئولة عن الأمن دوليا وقانونيا حتى الخامس عشر من مايو (أيار) ، وأن هذه المجزرة كانت في التاسع من اريل (نيسان) تحت سلطان علم بريطانيا ، وبالسلاح الذي كونته ووزعته طوال انتدابها ، بل انه يتناسى أن الجيش البريطاني والبوليس الخاضع للضباط البريطانيين كانوا يسمعون المعركة ويتابعونها من بعد ، لم يتحركوا لانهائها أو حتى لانقاذ الأطفال والنساء والمدنيين غير المحاربين ، ولطالما اسرعت جيوش بريطانيا تفك حصار اليهود وتحارب العرب في كل موقعة تدرك أن جانب العرب فيها هو الغالب مما شرحنا بعضه في غير هذا المكان .

وفي عام ١٩٥٢ تكشفت في محكمة أسرائيلية حقائق رهيبة عن تلك المعركة ، فشهد السفاح « مردخان نوفمان » واضع خطة مذبحة دير ياسين انه أتفق مع « دافيد ليثيل » على أن تشترك عصابتا الارغون وشتيرن تحت حماية مدافع الهاجانا ، وأنهما تابعا المعركة التي استمرت من الرابعة صباحا حتى الخامسة مساء من قرية جبعات شاؤول .

هكذا مرت معركة دير ياسين بعد يوم واحد من استشهاد البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وتركت هذه المذبحة عديدا من الأطفال الأيتام والنسوة والأرامل (٥٣) .

(٥٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٧٦ .

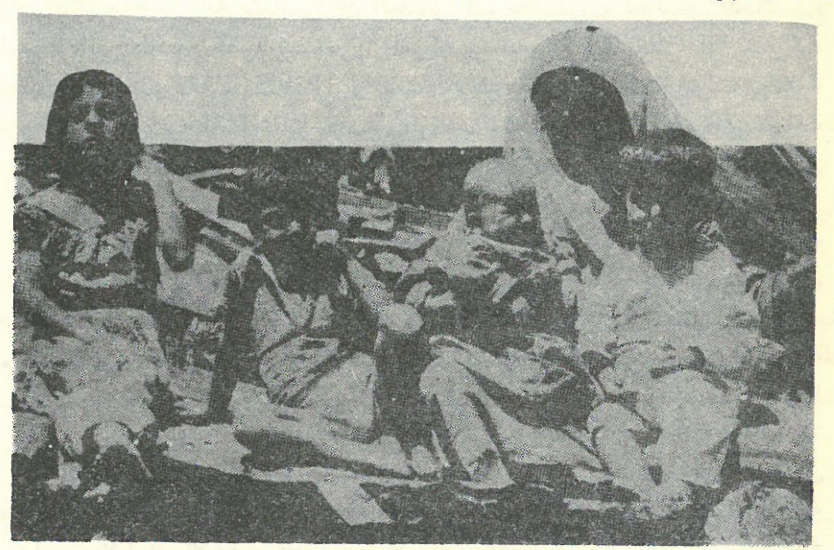
(٥٣) زرنا بالقدس عام ١٩٦٤ الآنسة هند الحسيني التي اشرفت منذ تاريخ النكبة على تربية وتعليم اطفال القرية الحزينة ، زرناها في دار الطفل ولقد راعنا منظر اولئك الاطفال الصغار الذين شبوا ونموا وتخرج بعضهم وما زال بعضهم يواصل الدراسة ، واستمعنا اليهم ينشدون اهازيج العودة ، ويتغنون بدير ياسين ويافا وحيفا وتلك المرابع الخالدة السليبة .

ناصر الديـن :

ان ما حدث في دير ياسين تكرر بنفس الصورة في قرية ناصر الدين العربية ، فأبيد سكانها وهدمت منازلها وازالوها من الوجود .

أسباب الهجرة :

كانت هذه الفظائع اليهودية التي ذكرنا قسما منها على سبيل المثال لا الحصر ، بما فيها من تمثيل شنيع ، شهد به من بقي على قيد الحياة ، واعترفت به تقارير الصليب الأحمر الدولي من قطع الأيدي وبقر البطون وفقأ العيون وصلم الآذان ، أمام نظر الجميع من أسرى ومدنيين ، لا فرق بين شيخ طاعن أو طفل بريء ، كانت هذه الفظائع مدعاة لهجرة العرب من الأماكن التي يحتلها اليهود أو من تلك المهددة بغزوهم ، وانها لأسباب وجيهة لا يستطيع احد أن يلوم عليها الشعب الفلسطيني ، وماذا تكون الأسباب المبررة للهجرة اذا لم تكن هذه الأسباب ، والتاريخ يشهد تكرارا دائما لاحداثه وتقاربا لمبرراته .



اسرة عربية كانت في رخاء العيش بفلسطين ولكن الصهيونية ارغمتها على الهجرة والتشرد فلتكن المأساة لدى كل عربي ومسلم حافزا للعمل .

هاجمت ايطاليا وطني الصغير ليبيا عام ١٩١١ ، وعلى طول تاريخ الجهاد وحتى عام ١٩٣٤ وجموع قومي تغادر الوطن مهاجرة وباحثة عن

الأمن والسلامة ، حتى وصلت الى السودان والى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ، بل أن بعض قومي هاجر الى الهند ومنهم من توفي هناك ، وأن من قومي من ذابت عظامه في الصحراء حين هدّه العطش والتعب وهو مفارق وطنه باحثا عن الأمن والملجأ ، ولكنه لم يستطع الوصول فعانقته الرمال الى الأبد .

وبالأمس القريب وتلك الثورة المجيدة في الجزائر تشتعل نارا ، كان مئات الألوف من الشعب الجزائري لاجئا في المغرب وفي تونس وفي ليبيا وغيرها من الأوطان في انتظار النصر الذي تحقق . وخلال الحرب العالمية الثانية ونحن طلاب علم في مصر ، شهدنا جموعا عديدة من سكان الاسكندرية وبعض قرى الدلتا تهاجر فزعة الى القاهرة لمجرد وصول الألمان الى الصحراء ، وبعد بضع غارات جوية اكتظت بهم القاهرة وازدحمت ، لم يلاموا ولم يؤنبوا على الرغم مما نشرته صحف ذلك العهد من ارتباك وحيرة جموعهم حتى نسيت الوالدة طفلها وضمت الى صدرها مخدة مسرعة بها الى القطار المزدحم المثقل .

وهكذا ليس لنا ولا لأحد غيرنا أن يلوم الفلسطينيين على مغادرة ديارهم أمام نكبات التمثيل والقتل والذبح وفقدان النصير وقلة السلاح ، على أنهم غادروا أوطانهم وهم يتوقعون عودة سريعة بعد زحف جيوش الدول العربية السبع ، كان ذلك منذ عام ١٩٤٨ وما زالوا يأملون أن تسمح لهم هذه الدول بالاستشهاد والفدائية في مرابع الآباء والأجداد (٥٤) .

ولا سبيل للوم الشعب الفلسطيني على الهجرة ، والهجرة لم تكن بدعة فاجأ بها الفلسطينيون باقي الأمم ، لقد هاجر المسلمون الاوائل الى الحبشة فرارا من طغيان الجاهلية وتعصبها ، بل لقد هاجر محمد العظيم وأصحابه في قصص تاريخي شهير الى المدينة حتى قوي عود الاسلام وعادوا محررين لمكة ، ثم لأنحاء بعيدة من العالم ، وما من بلد في العالم اشتعلت فيه أو على حدوده نار الحرب الا تكونت منه هجرة ، ذلك أن الشعوب لا تمثل كلها صفة المحارب المسلح ، فمنها الشيخ الواهن والطفل الصغير والمرأة التي لم تعرف في أوطان عديدة سلاحا ولا قتالا ، وكانت هذه الجموع تهجّر دائما بعيدا عن خطوط القتال ، فاذا قاربتها خطوط النار ابعدوا اكثر وبحثوا عن مواطن اخرى .

وحين تنادى الصليبيون في أرجاء أوربا لطرد المسلمين من فلسطين عام

(٥٤) نعيد ما سبق ان ذكرناه من ان الكتاب كان قبل كارثة يونيو ١٩٦٧ .

١٠٩٥ م وجاءت جحافلهم الكبيرة تشق أوربا مارة بعديد من الأوطان وحاملة معها دوافع النهب والسلب ، هربت الشعوب أمامها وخلفت مشكلة لاجئين كبيرة حتى في الأراضي الصليبية التي أجتازتها في أوربا ومشارف آسيا ، تقول مجلة « الراعي الصالح » لبطريرك الروم الأرثوذكس بالأسكندرية : « كانت أنباؤهم المتكررة ، وما أقترفوه من فظائع ، وما أرتكبوه من موبقات ، تسبقهم الى الأراضي التي كانوا يزمعون اجتيازها ، وكان سكانها يغادرون مدنهم ومساكنهم حاملين معهم كل ما يملكون هربا من لقائهم »

وبالأمس حين كانت جحافل الألمان تغزو فرنسا عام ١٩٤٠ كانت أحدى مشكلات باريس العويصة تناقص المواد الغذائية ، وتزاحم الدور والشوارع بالفرنسيين المهاجرين من مناطق القتال ، وفي هذا المعنى يقول المؤرخ البريطاني العالمي أرنولد توينبي : « عندما غزا الالمان فرنسا عام ١٩٤٠ هرب بضعة ملايين من شمال فرنسا لأنهم كانوا في منطقة العمليات الحربية ــ وهو نفس السبب الذي هرب منه عرب فلسطين ــ ولو قال الألمان لقد غزونا البلاد وكان هؤلاء الفرنسيون قد نفذوا نصيحة غير سديدة فهربوا ــ كما يقول اليهود اليوم ــ وغدا لنا حق شرعي في ممتلكاتهم لكان جوابنا انه كلام سخيف » (٥٦) .

وحين زحفت جيوش الألمان على روسيا ، تكونت هناك أزمة هجرة ثقيلة بسبب الآلاف والملايين التي غادرت مساكنها ومزارعها متباعدة عن تطاحن الجيوش باحثة عن مأوى تنشد فيه الأمان ، وحين كانت المعركة تدور في ستالينجراد من شارع الى شارع ومن دار الى دار ، كانت المدينة قد اخليت من سكانها ، وكان القتال بين جيشين مسلحين ، وخلف خطوط القتال كان الجهاز الروسي الحكومي غارقا للأذقان في مشكلات اللاجئين من مناطق عديدة .

ونحن حين نتحدث عن فلسطين وأسباب هجرة شعبها ، نجد أن تلك الأسباب المعروفة للبشر والتي طوعت عديدهم على الهجرة في مختلف الأوطان ، كانت أهون من أسباب هجرة شعب فلسطين ، ذلك ان تلك الجيوش الأوربية المتطاحنة في معارك الفلاندر ودنكرك وبلجيكا وغيرها ، والتي خلفت هجرة كبرى في جميع مناطق أوربا حتى أسس لها الحلفاء منظمة خاصة ترعى اللاجئين ، وتعيدهم بعد الحرب الى منازلهم ، لم تكن

(٥٥) ثبت تاريخيا أنه كان هناك سبب آخر لم يفعله الالمان في فرنسا وهو ما فعله اليهود من قتل الرجال والنساء والاطفال قتلا جماعيا .

(٥٦) فلسطين جريمة ودفاع ، ص ١٠٨ .

تلك الجيوش تبيد الآمنين وتمثل بالنساء والأطفال ، ولم تكن تهدم المساكن على ساكنيها ولم تكن ترغم الأحياء قبل قتلهم على دوس أحبابهم القتلى بالأقدام ، ولم تكن تمثل بقتلى المعارك ولا ترمي بالرجال والنساء من شرفات العمارات ، ومع انعدام هذه الأفعال المرهبة المفرقة في الوحشية ، فقد فرت جموع المدنيين من مواطن عديدة من أوربا أمام جحافل الغزاة ومناظر الحرب .

اما ما حدث في فلسطين ، فقد كان العكس تماما ، ذلك ان اليهود ارتكبوا كل تلك الفظائع ضد المدنيين الذين وجدوهم بعد المعارك ، وانتشرت بين الجموع انباء المجازر المحزنة ، بل ان اليهود عمدوا الى تقديم من روى الاحداث ممن عاصرها فتركوا قسما صغيرا اغرقوه في الاذلال وساقوه في الشوارع مهانا ، ثم فتحوا له باب الخروج الى مناطق عربية ، وهو بقية من معركة وقطعة منهارة من انسان تجمعت كل عوامل القهر عليه ، ومن المهم ان نستشهد هنا بأقوال المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي وهو يرد مواجهة على سفير اسرائيل في كندا فيقول : « بعد مذبحة دير ياسين التي أبيد فيها الجنسان من جميع الأعمار في القرية العربية الواقعة غربي القدس على أيدي قوات أسرائيلية مسلحة كان أفراد الهاجانا يسيرون في سيارة مجهزة بمكبرات الصوت وينادون باللغة العربية : أيها العرب نحن فعلنا ذلك بسكان هذه القرية فأذا لم تشاءوا ان نفعل بكم مثلهم فاخرجوا من هذه الديار ، وحينئذ كان على جميع الواقعين ضمن المنطقة الحربية عن حكمة منهم او لانهم في خطر الموت أن يخرجوا . . ألا يخرجون في تلك الحال ؟ » (٥٧) .

ومع كل هذه المبررات للهجرة ، فأن الأمر في فلسطين جد مختلف ، ذلك أنه على الرغم من انتشار تلك الأنباء الحزينة المرعبة في انحاء فلسطين ، فان التاريخ يحفظ لذلك الشعب أنه لم يترك أرضه وبلاده لمجرد الأرهاب ، فقد دلت الأحصائيات الرسمية أن أغلب أولئك الذين لجأوا كانوا من الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ، أولئك الذين أجمعت الشرائع والقوانين على حمايتهم الا شريعة جيش اليهود في فلسطين ، فقد كان ٣٠ ٪ من اللاجئين اثناء ذلك القتال من أطفال لم يبلغوا الخامسة من عمرهم ، وكان ٣٦ ٪ من اعمار تتراوح بين السادسة والثامنة عشرة ، و١١ ٪ من نساء حوامل وامهات مرضعات ، و٨ ٪ من الشيوخ والمرضى والعجزة ويبلغ هذا ٨٥ ٪ من النسبة المئوية للاجئين (٥٨) ، فأذا أضفت الى هذا أن المرأة العربية لم

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥٨) دكتور محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين امام القانون الدولي ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ .

تكن محسوبة من المحاربين ، وان العرب يعتبرون المراة عرضا يجب ابعاده عن ميادين تستوي فيها احتمالات النصر والهزيمة ، تبين لك بعد ذلك ان الرجال لم يهاجروا من اوطانهم ولم يفروا من ارهاب اليهود ، ولكنهم تحصنوا ودافعوا وبذلوا الكثير .



يا ابناء العرب وابناء الاسلام هذه حرائر من فلسطين ارغمن على الهجرة ، ما هو مستقبل اسركم وزوجاتكم وبناتكم واطفالكم حين تبدأ الصهيونية برنامجها الكبير ؟

أن الذي حدث ، أن اليهود انفسهم حين ادركوا أن شعب فلسطين مستيئس قتالا ، ومتمسك بالبقاء أخذوا على انفسهم مهمة الطرد والترحيل، فتلك اللد والرملة تحصن فيهما الشعب العربي مجاهدا طوال القتال من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى مايو (أيار) ١٩٤٨ ، ثم من دخول الجيوش العربية في ١٥ مايو (أيار) الى ما بعد الهدنة الأولى ، ثم ما كاد الجيش الواقع تحت قيادة جلوب يتخلى عن مساعدة الشعب الذي قاتل طويلا ، فأنهك ونفدت ذخائره حتى استطاع اليهود احتلال المدينتين ، وكان أول اجراء هو أباحة القتل للجميع عند مدخل الفزاة ، وحين لم ينزح عنهما السكان صدرت اوامر الحاكم العسكري اليهودي بطرد الجميع عبر الطريق

الشاق خارج مناطق الاحتلال اليهودي . وسيق الرجال والأطفال والشيوخ والحوامل والعجزة وسط الهجير القاتل الى حيث يبعدون ويسيرون نحو المناطق العربيـــة .

على أن طرد العرب من ديارهم وارغامهم على الهجرة واستعمال جميع الوسائل الهمجية المربكة المفزعة المدمرة لأخراجهم وأحلال اليهود محلهم ، كل ذلك كان متفقا عليه بين الصهيونية العالمية وساسة بريطانيا على مختلف التواريخ ، وذلك كاتب يهودي شهير هـو « بن زبي » ينادي عـام ١٩٢١ : « على اليهود ان يطهروا وطنهم فلسطين من المغتصبين ، وان على سكانها المسلمين أن يرحلوا الى الحجاز والصحراء والمسيحيين ان يرحلوا الى لبنـــان » (٥٩)

والقاضي برانديز الأميركي اليهودي مستشار الرئيس ويلسن عام ١٩١٦ يصرح آنذاك « ان القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة الى فلسطين ان يصبح اليهود اكثرية السكان فيها وأن يرحل العرب عنها الى الصحراء» .

وفي اكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ نشرت جريدة المانشستر غارديان بيانا وقعه كبار الساسة البريطانيين منهم تشرشل وتشمبرلن ولويد جورج وهارولد لاسكي وغيرهم جاء فيه « انه كان مفهوما لدى الحكومة البريطانية عند اصدارها لتصريح بالفور عام ١٩١٧ أن يصبح اليهود اكثرية ساحقة في فلسطين » . وذلك وايزمان زعيم الصهيونية الأكبر ، ينشر مذكراته بعد نكبة العرب عام ١٩٤٩ ويقول : « لقد تعهدت لنا بريطانيا حين وعدت بمساعدة الصهيونية في فلسطين أن تسلمها لنا خالية من سكانها العرب ، وكنا على وعد بتنفيذ ذلك عام ١٩٣٤ ، غير أن ثورات العرب العديدة التي لم تكن في الحسبان أجلت ذلك التنفيذ » . وفي عام ١٩٤٤ أصدر حزب العمال البريطاني قرارا اجماعيا يطالب فيه بفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة ، واخراج العرب منها .

ولعل هذه الحقائق مجتمعة تكفي لدرء الشبهة التي طالما روجها السطحيون عن هجرة فلسطين تلك الهجرة التي تجمعت لخلقها أسباب لا تقوى شعوب عديدة ان تتحمل جزءا منها ، فلم تكن تلك الهجرة بيعا من عرب فلسطين لبلادهم او تهاونا منهم في التمسك بوطنهم ، ولكنها كانت ضرورة لا مناص منهـــا (٦٠) .

---

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .
(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

وهجرة هذه أحداثها ، وتلك أسبابها ، ليست في حاجة الى اذن من الزعماء والمسئولين ولا من قادة فلسطين في ذلك الوطن ، بل لقد ثبت أن القيادة الشعبية التي كانت تتمثل آنذاك في الهيئة العربية العليا عملت على احباط الهجرة ومقاومتها ، وأبرقت بذلك الى رؤساء الوزارات في سوريا ومصر ولبنان (٦١) ، غير أن تعاون الاستعمار البريطاني والصهيونية لتنفيذ الاتفاق باخلاء فلسطين من العرب ، كان أقوى بوسائله المهلكة الخطيرة من الشعب العربي في فلسطين وأقوى ايضا من الدول العربية السبع التي لم تستطع أن تتخذ ما يحمي أو يساعد المناضلين الا في أضيق الحدود .

٧ ــ الارهاب وتعاليم التوراة :

ومع كل الوحشية التي رافقت قتال اليهود وارهابهم للعرب ، فأن هؤلاء التزموا بآداب الحروب برغم الفرص العديدة التي سنحت لهم لينتقموا أو يسرفوا في القتل ، ولسنا نحتاج الى انتظار طويل بحثا عن سبب أو تعليل ، أن السبب يرجع الى العقيدة التي شب عليها الطرفان المتقاتلان ، وهي عقيدة تنبع لدى كل منهما من صميم ديانته وكتبه المقدسة وسيرة أسلافه السابقين .

لننظر قليلا الى الجانب اليهودي وما هي تعاليم دينه في معاملة المهاجرين أو غير المحاربين ، فالتلمود وهو الكتاب الذي يضم تعاليم وآداب ديانة اليهود مليء بكل ما يحقر البشر باستثناء اليهود ، وهو يبيح لهم ذبح غيرهم وابتزاز أموالهم بمختلف الطرق والوسائل ، وهو يدعوهم الى ذبح كل فرد في أي بلد يحتلونه ولا يوصيهم بغير الحفاظ على الذهب والفضة .

فلنستمع الى احد كبار رجالهم وهو الرابي « اليو » الذي يقول : « سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم » والرابي « اليو » في هذا انما يطبق تعاليم التلمود كتابهم المقدس ذلك الذي يقول في وضوح : « أقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدا من باقي الأمم من هلاك ، ويخرجه من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين » . ويدعو التلمود علنا الى سفك دماء الناس فيقول : « من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانا الى الله » .

ولكن لماذا نستشهد بالتلمود الذي يأتي في اليهودية في الدرجة الثانية

---

(٦١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٧١ .

بعد التوراة ، ترى هل كانت توراتهم المحرفة بعيدة عن وصايا سفك الدماء واذلال الشعوب وطردهم من أوطانهم ، لنعد بسرعة الى التوراة كتاب اليهود المحرف ، تقول التوراة في عدد ح ٣٣ ع ٥٥ . ٥٦ : « أن لم تطردوا سكان الارض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم اشواكا في أعينكم ، ومناخس في جوانبكم ، ويضايقونكم على الارض التي أنتم ساكنون فيها » واننا لنجد هذا القول في التوراة يدعو صراحة الى طرد الشعوب من أوطانها ويحذر من ابقائهم فيها وهو ما طبقته الصهيونية في فلسطين .

ثم تتجه هذه التوراة المحرفة الى دعوة الابادة لتلك الشعوب فتقول في تثنية ح ٢٠ ع ١٠ ــ ١٧ ما يلي : « حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فأن اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعوب الموجودة فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وأن تسالمك فحاصرها وأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب ألهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم ها هنا .. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آلهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة واحدة » (٦٢)

وأذا كانت الفقرات السابقة من التوراة تعطينا حق الفكر المتشكك في صدق هذه التعاليم ومقدار صدورها عن أرادة ألهية عليا ، فان في التوراة فقرات اكثر وضوحا وتحديدا من تلك التي أوردناها سابقا ، كانت التوصية ليوشع بن نون ، ذلك الذي خلف موسى بعد التيه ، ثم قاد غزوهم الأول على أريحا العربية الآمنة عام ١١٨٩ ق.م. « أهلكوا .. حرقوا .. كل ما في المدينة (أريحا) من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب »، اذن بهذه الروح الموغلة في الوحشية والتي لا يشبعها الا قتل كل السكان وحيواناتهم وحرق مدنهم ، دخل اليهود المدربون المسلحون معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وقابلوا فيها شعبا عربيا يستوي في حب السلام المسيحي فيه والمسلم .

٨ ــ السمو في الحرب وتعاليم الاسلام :

أما الروح التي حارب بها عرب فلسطين غزو اليهود ووحشيتهم ،

---

(٦٢) فتحي الرملي : الصهيونية اعلى مراتب الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٥٦ . وليقرأ هذا سكان المنطقة العربية كلها قاصيها ودانيها ليتأكدوا اي مصير ينتظر اجيالهم اذا لم يحققوا بينهم ما يوقف هذا السرطان الذي نما في ارضنا السليب واخذ يزداد نموا .

فكانت امتدادا لتاريخ العرب وتطابقا مع دينهم وتعاليمهم ، هذا هو الخليفة الأول الصديق ابو بكر يوصي الجيش الذي جهزه محمد الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) وتوفي قبل رحيله ، فيقول مخاطبا قائده اسامة أبن زيد وجنوده « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له » .

وعلى هذا المنوال سار المسلمون في فتوحاتهم ، دعاة خير وسلام ، وائمة للناس وهدى ورحمة ، فلم يكونوا الا كما قال عمرو بن العاص لأبنة المقوقس ارمانوسة الاسيرة وهو يبعثها مصونة محترمة لوالدها : « ابلغي والدك عنا اننا لسنا على غارة نغيرها ولكننا على نفوس نغيرها » (٦٣) .

ودخل المسلمون الأبعاد البعيدة في الدنيا فما ضج شعب من فتحهم ، ولا سجلت عليهم استباحة للدم ولا قتال في غير ميدان حرب ، لقد اخذوا الشعوب بالاحترام والعزة ، وطبقوا مع الجميع تلك الكلمة الخالدة ، التي ارسلها محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) يوم أن تمكن من اهل مكة الذين اخرجوه من موطن آبائه ، وآذوه وحاربوه ، وعذبوا اصحابه وقاتلوه ، وانتظروا جميعا ان يأخذهم هذا الفاتح المنتصر بحد السيف فينتقم ويهدر دماءهم ، ولا حامي لهم يومئذ ولا مدافع ، ولكن محمدا الذي بعث بالاسلام لا يعرف الأذى غاية يسعى اليها ولا يقر الجبروت عند الاقتدار ولا الانتقام عند الانتصار ، بل أنه ليدعو الى الأخذ بالحسنى والعفو عند المقدرة ،وينادي سكان مكة العتاة « يا أهل مكة ما تظنون اني فاعل بكم ؟ » وتضطرب افئدة تلك الحشود المهزومة ، وهي تواجه مصيرها المجهول وترد بعبارات الود والأمل ، وتسمع لصوت الرحمة ونبيها محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) يقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وذلك الخليفة الثاني الفاروق عمر ، يدخل بيت المقدس فاتحا فيعطي الأمان لجميع سكانه ، ويرفض ان يصلي في كنيسة القيامة قائلا لسيد المدينة المفتوحة : « ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة ، فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر ويبنون عليه مسجدا » ثم ابتعد رمية حجر وفرش عباءته وصلى (حيث يوجد بالقدس الآن مسجد عمر) وذلك المسيحي من سكان بيت المقدس الذي اكل الجيش العربي الفاتح ثمار بستانه فجاء يشكو الى القائد أبي عبيدة بن الجراح أمير الجيش ، فلا تأخذه العزة

(٦٣) من مقال المرحوم مصطفى صادق الرافعي « اليمامتان » .

بالنصر ، ولا يستكبر عن مخاطبة مسيحي من الشعب المغلوب ، ولا يرى في ماله رزقا مباحا لجند أنهكهم التعب وفرحوا بالعنب يلتقطونه من أعواده ، بل ركب دابته وذهب مسرعا يتأكد ، ثم سأله كم كنت ترجو من حصيلته ، وأمر له بالمبلغ الذي قدره ثمنا لذلك العنب المأكول ، بل لقد فرض عمر هبات واعطيات لكبار السن من سكان بيت المقدس المسيحيين ، عاملهم كما يعامل ابناء العروبة الغزاة الفاتحين تحت راية الاسلام .

وذلك صلاح الدين الايوبي يحطم جيوش الغرب الصليبية في حطين، ثم يدخل بيت المقدس فاتحا يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ الموافق ٢ من اكتوبر (تشرين الأول) ١١٨٧ م ، لم يفكر أن يعامل الجيش الصليبي المهزوم نفس المعاملة التي لقيها المسلمون منهم حين احتلوا بيت المقدس قبل ٨٨ عاما وقتلوا كل مسلم فيها .

انه لم يفعل هذا بل تساهل معهم وتسامح ، وافتدى بنفسه عشرة آلاف صليبي ، وافتدى اخوه سيف الدين ابو بكر سبعة آلاف آخرين ، وسمح للجندي الصليبي المسلح أن يغادر القدس مع الأطفال والعائلات خلال أربعين يوما ، ضامنا لهم الأمان الى محالهم الجديدة ، بل انه أمر ان توزع الصدقات على الفقراء والأرامل والمرضى واليتامى والمعدمين من الصليبيين ، وأن يمدوا بالدواب لتوصلهم الى حيث يرغبون ، وسمح لرجال الصحة الذين حاربوه أن يواصلوا معالجة المرضى والعناية بالحجاج المسيحيين ، وسمح للمسيحيين من سكان بيت المقدس بالبقاء فيه لا يؤذون ولا يخرجون ، بل أسند بعض الأعمال الى عدد منهم ، وحين أشار عليه أحد أعوانه أن يمنع الصليبيين من اخذ ما حلوا به القبور والكنائس من جواهر قائلا : « أعطيناهم الأمان على أموال الكنائس والأديرة » (فقط) رفض صلاح الدين أن ينحرف عن المعنى المهذب لروح الاسلام المنتصر ، وأبى أن يوجد لأي معلق بابا يلجه لأتهامه بالغدر أو تناسي الوعد وسمح لمن يرغب الرحيل ان يأخذ كل ما يريد ، ومثل هذا حدث في جميع فتوحات المسلمين في الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا ، وحدث أيضا من عرب فلسطين حين انتصروا في معارك كثيرة .

وبعد ، لئن ذكرنا وصايا واوامر كتب اليهود المقدسة من توراة الى تلمود واوضحنا نهجها الغريب ، فأن مسلك الحديث يسوقنا الى ان نقول : « أن التربية الاسلامية كلها كانت تمنع غير العمل الشريف والفعل السليم ، فالقرآن الكريم يقول : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ، أأسلمتم ، فأن أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله

بصير بالعباد » وهو القائل ايضا : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون » . ونبي الاسلام الذي سار المسلمون على هديه هو الذي يقول : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » .

على ان هذا البحث الذي جرّنا الى التوراة والتلمود ، يوجب ان نسجل طعننا في سلامة التوراة من تلاعب الربّيين اليهود الذين اشاعوا تقديسها ونشرها بين الناس ، ويقول باحث عربي « ان التوراة هي السجل التاريخي لثورات بني اسرائيل ، ومن ثورات اشتقت كلمة توراة ، واذا كانت التوراة قد كتبت بعد موسى بسبعمائة سنة على الاقل ، وهذا ثابت تاريخيا ففي استطاعتنا ان نقرر بكل اطمئنان ، ان اكثر ما تضمنته من وقائع وقواعد وتعاليم قد صب في القالب الذي يتلاءم مع الظروف التي كتبت فيها بلا جدال ، ولا أستطيع أن اتصور ، ولا اريد ان أصدق ما ينسب الى موسى مثلا من أنه طلب الى بني اسرائيل في ليلة الخروج أن ينهبوا المصريين ، وان يستولوا على اكثر ما يستطيعون من نقودهم ومصوغاتهم تحت ستار الاقتراض حتى يأخذوه معهم في المهجر الجديد الذي يشدون الرحال اليه في فجر اليوم التالي (٦٤) .

اما التلمود فقد كتب بعد موسى بألفين وسبعمائة عام ، ومع هذا جاء صورة مكررة لدعاوى العدوان والافساد ، والتي تضمنتها تلك التوراة التي لا ريب أن احبار اليهود بعد سبعمائة عام من موسى كتبوها متناسين بها التعاليم الطيبة والأخلاق الكريمة التي نادى بها موسى كصاحب رسالة واحد هداة البشر ، وان كانت لبعض الاصحاحات أثبتت تواصي الرب لموسى (٦٥) حين طلب اليه التوحيد المطلق والمنع البات لعبادة اي شيء غيره وعدم الحلف بالله باطلا ، وتكريم الوالدين والنهي عن القتل والسرقة والزنا ورد كل ضال من البهائم ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة وقتل القاتل ، ولكن احبار اليهود وهم دعاة دم ، أطمعهم احتلال اجدادهم الأقدمين لاريحا وسفكهم دماء سكانها ، وتوالي ثوراتهم العمياء المدمرة لا يمرون على تواصي موسى ويتركونها بريئة نظيفة ، بل هم يضيفون اليها من الراي ما ينفر كل مفكر وذي عقيدة .

(٦٤) الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٦٥) محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، ج ١ ص ١٥ .

أحداث ... وأقوال

« اذا رفض اصحاب الأرض او مشغلوها (في فلسطين) السماح للمنشئين (اصحاب المشاريع من اليهود) بوضع يدهم على الارض فلرئيس محكمة الأرض ان يقضي بتسليم الأرض للمنشئين »

المادة ٧ — قانون نزع الملكية بفلسطين

« يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادىء العدل والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة »

الفقرة الثالثة من المادة ٤٦ من دستور فلسطين

« بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى اراضي ملك فيخول المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الاراضي الميري في فلسطين »

تعديل المادة ١٦ من دستور فلسطين

« ان تسعة أعشار الأراضي التي اشتراها اليهود بفلسطين حتى عام ١٩٢٩ اشتروها من ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين »

الصهيوني دكتور روبين امام لجنة التحقيق ١٩٣١

« اني معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم »

هتلر في حديث مع السيد خالد القرقني ١٩٣٥

« كانت قوانين الانجليز في فلسطين تحرم الحلال وتحلل الحرام في سبيل انتزاع الأرض والاضرار بالعرب الذين قاوموا الى أبعد حدود المقاومة واقدموا على أعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهم ووطنهم »

حبيب جاماتي مجلة المصور سبتمبر ١٩٦١

« ان اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملكا لعرب فلسطين ، ان النسبة الكبيرة من الأرض والبيوت والأموال المنقولة واشجار الفاكهة وغيرها هي للعرب اللاجئين الذين يعيشون على مدى البصر من املاكهم في ظروف الشقاء والقنوط »

ارنولد توينبي في مناظرته مع سفير اسرائيل بقاعة جامعة كندا

« لقد كشف عرب فلسطين الأبطال عن صواب الراي القناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه ، وتآسوا فسنوا للكرام التآسيا . وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالاقلام ، وهذا هو الواجب شرعوه لكل العرب وهذه هي المقدمة فأين الكتاب ؟ وطليعة فأين الكتائب ؟ وواجب فأين مالا لا يتم الواجب الا به »

البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

رب وا معتصماه انطلقت ... ملء افواه الصبايا اليتم
لامست اسماعهم لكنها ... لم تلامس نخوة المعتصم
لا يلام الذئب في عدوانه ... ان يك الراعي عدو الغنم

عمر ابو ريشة يتحدث عن النكبة في قصيدته (امتي)

هذي فلسطين فأضمد جرحها الدامي ... وانضح ثرى قدسها بالمدمع الهامي
وقل لأبطالها المستشهدين كذا ... يموت كل أبي النفس مقدام
جدتم بأرواحكم دون البراق ومن ... أعزه البأس يأبى ذل احجام

الشاعر اللبناني امين ناصر الدين

> يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولّهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .
>
> **قرآن كريم**

الفصل الحادي عشر

صلابة شعب فلسطين
أمام المحن

١ — تضحيات الشعب العربي عبر التاريخ :

كان العدوان على فلسطين في اغلب مراحل التاريخ يمثل الاعتداء على الوطن العربي وعلى المسلمين في مختلف ديارهم ، وكان الفلسطينيون يمثلون فيه دور الطليعة المدافعة ، وسكان الثغور الأولى الذين يتلقون الهجوم ويدفعون الضحايا .

ففي الخامس عشر من يوليو (تموز) ١٠٩٦ عقد الصليبيون مجلسا للشورى ، واصدروا حكم الاعدام على كل مسلم في مدينة القدس ، وظلت الدماء تنهمر مدة أسبوع كامل قاموا خلاله بأعمال فظيعة ومنكرات يقشعر لها البدن ، حتى قال رايموند اجليس « ان الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » وقال مكسيمو موند « لم يسلم من سيوف المسيحيين احد لا من الرجال ولا من النساء ولا من الاطفال » ، وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت ، ولكن ظنهم قد خاب اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور وابادوا كل من وجدوه بحد السيف وقد ذم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية(١)

بل قد أمر الصليبيون اهل بيت المقدس ان يجمعوا قتلاهم ثم يحرقوهم بالنار ثم قتلوا الآخرين ايضا (٢) .

---

(١) مكسيمو موند : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٢ .
(٢) شحاته الخوري ونقولا الخوري : تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ، ص ٧٠ .

ويصف مؤرخ مسيحي ضحايا الفلسطينيين في ذلك اليوم الرهيب فيقول : « لقد سكر الصليبيون بخمرة النصر ، فأستيقظت فيهم روح الغلبة والاستعمار ، واقترنت هذه بحب السفك والقتل والانتقام فصالوا في المدينة قتلا ونهبا ، وكانوا يتعقبون المسلمين في كل مكان ، ولم يحمهم المسجد المعروف بالصخرة حيث فتكوا بهم ، وذبحوا آلاف اللاجئين اليه من رجال ونساء واطفال ابرياء هذا ما فعله ويا للاسف اصحاب الصليب المبشرون ، ودعاة الدين الذي يأمر بالصفح والسلام (٣) .

ويصف مؤرخ فرنسي تلك الأهوال فيقول « كان المسلمون يذبحون ذبح الأنعام في الشوارع والمنازل ، ولم يجد اهل المدينة محلا أمينا يعتصمون به ، فالقى بعضهم نفسه من فوق الأسوار وازدحم الآخرون في القصور والمساجد والحصون ، ولكن ذلك لم يجدهم نفعا ، فهاجمهم الصليبيون واعملوا السيف في رقابهم من غير شفقة ولا رحمة ، ولم يكن يسمع في تلك الساعة الرهيبة غير انين الجرحى وحشرجة الموتى ، كذلك وطئوا بخيولهم الجثث المكدسة اثناء مطاردة الهاربين ، كما احرقوا البعض حيا ، ثم جاءوا بمن لاذوا بالفرار ووضعوهم على جثث الموتى المكدسة ومثلوا بهم اشنع تمثيل ، ولم تكن تجدي في الموقف الدامي دموع النساء ولا صراخ الأطفال ، وقد استمرت هذه المذبحة اسبوعا (٤) .

ولعل ذلك الخطاب الذي ارسله الصليبيون الغزاة الى البابا في روما يهنئونه باحتلال بيت المقدس ، يصور مقدار الضحايا التي قدمها سكان فلسطين وهم يدافعون عن ديار العرب والاسلام امام جحافل الاستعمار الصليبي ، « اذا اردت ان تعلم ما جرى لاعدائنا ، فثق انه في ايوان سليمان ومعبده كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين الى ركبتيها» (٥) .

وبرغم هذه الفظائع التي تزلزل الوجدان ، وتنزع الثقة بالوجود ، فان الفلسطينيين ظلوا يؤرقون الصليبيين ويغيرون عليهم ، وقد نقل الراهب الروسي دانيال الذي زار القدس عام ١١٠٦ صورة لها فقال : « ان الأمن مفقود على الطريق التي تصل اريحا بالقدس ، تلك الطريق التي كان يرابط فيها عدد كبير من قطاع الطرق (٦) » وليس قطاع الطرق هؤلاء الا أولئك الذين نجوا من المذابح الصليبية من عرب فلسطين ، فواصلوا ارهاب

(٣) المفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٥ .
(٤) جرجي زيدان : تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ص ٢٨٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .
(٦) عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٩ .

الصليبيين ومهاجمتهم وزعزعة امنهم ، وغزوا قوافلهم عملا واعدادا لتحرير بيت المقدس (٧) .

واذا ادرنا ابصارنا في تاريخ فلسطين ، نجد هذه الصورة من تعود الفلسطينيين لتقديم الضحايا تتكرر في انحاء عديدة وتواريخ مختلفة ، لقد غادر نابليون مصر بعد أن احتلها وغزا يافا وحاصرها وكان سكانها (اغلبيتهم المسلمة واقليتهم المسيحية) يناضلون ذلك الحصار الخطير فلما دك حصونها ، واجاع حماتها وتم له احتلالها ، ارسل جنوده غضبهم على سكانها ، فلم يسلم من شرهم أحد من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بل لقد تم لجيش نابليون أن يأسر اربعة آلاف من المدافعين عن يافا وبينهم جنود أتراك ويافيون ، ولما ضاق ذرعا بحراستهم أمر باطلاق الرصاص عليهم وتجمع جنوده وارسلوا شهبا من بنادقهم حتى قتلوا اربعة آلاف مدافع مسلم ورموا بجثثهم في البحر .

وطوال الثورات العربية المتلاحقة ضد الانتداب البريطاني ، كانت تضحيات العرب الفلسطينيين تتلاحق يوما بعد يوم ، وفي يافا هذه هدمت السلطات البريطانية احياء عربية كاملة عندما اعجزها وقف تحركات الثوار فيها ، وكم ذهب فيها من شهيد امام رصاص الانجليز وعلى أعواد مشانقهم، وحين احتلها اليهود أعملوا في سكانها يد القتل والفتك ، فذهب مئات منهم يومئذ في سجل التضحية ، وتلك مدينة عكا التي ذاقت مر الحصار في مراحل متعددة من التاريخ ، حاصرها نابليون ودافع عنها جيشها وشعبها حتى انكسر حصاره وارتد منها ، وحاصرها قبله الصليبيون وذاقت في الحصارين شدائد مهولة ، وكانت تضحيات شعبها تضحيات شجاعة ، ثم احتلها الصليبيون عام ١١٩١ واعملوا فيها سيف الموت ، وقتلوا من اسرى المسلمين ثلاثة آلاف شخص .

وتلك قرية دير ياسين حيث قتل اليهود سكانها ومثلوا بهم مما شرحناه في فصل الهجرة العربية ، وتلك قرية ناصر الدين من اعمال طبرية التي مسحها الصهيونيون من الوجود ، وتلك مذبحة بيت الخوري ٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ حيث قتل اليهود من استطاعوا أسره من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال .

وتلك قرية الزيتون حيث جمع اليهود في اوائل مايو (أيار) بعض الرجال والشيوخ مع نسائهم واطفالهم في جامع القرية ثم بثوا الألغام في

(٧) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

جوانب المسجد فتهدم على من فيه ، وتلك قرية شرفات التي نامت في السابع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وادعة هانئة ، فهاجمها فصيل من جيش اليهود وبث فيها الألغام والقنابل ، فقتل عديدا من سكانها بينهم ثلاث نسوة وخمسة اطفال لا يزيد عمر اكبرهم عن ١٣ عاما .

وتلك قرية نله التي هوجمت في التاسع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وتسرب احد اليهود فقتل في بيت واحد رجلا وطفلا وطفلة ، وعادوا لها من جديد في هجوم ثان فقتل من سكانها مختار القرية وجرح عديد من سكانها .

وتلك قرية قبية التي هاجمها الصهيونيون عام ١٩٥٣ فدكوها بمدافعهم وهاجمها مشاتهم فمثلوا بسكانها ، وذبحوا نساءها وأطفالها في صورة وحشية موغلة في الهمجية .

وتذكر جريدة يهودية تلك الأحداث فتقول « ان السلطات اليهودية أعدمت ١٦ شابا من قرية عيلبون (قضاء الناصرة) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية التي غادرها سائر الشبان عبر الحدود اللبنانية ولم يبق فيها غير الشيوخ والعجزة ، وقد أحرق الجنود اليهود عائلة آل زريق في داخل بيتها ارهابا لسائر السكان لحملهم على الخروج من البلاد(٨) »

وقد أثبت القائد عبدالله التل في كتابه « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » ذلك الحادث المرعب الذي نشرته السنداي اوبزرفر اللندنية في الحادي عشر من يونيو (حزيران) ١٩٥٠ من مراسلها في بيروت فيليب تونبي والذي يقول فيه « أحاط بوليس اسرائيل بمائة عربي وسلمهم الى الجيش بحجة أنهم خالفوا نظام الحدود ، وظل الجنود يسوقونهم من ساعة مبكرة في الصباح الى ساعة متأخرة من الليل الى مكان سحيق خطر على الحدود ، وقد عصبوا عيونهم ، وكانوا اذا تلكأوا في السير ضربوهم على وجوههم وظهورهم بعصى غليظة من المطاط ، ومنعوا عنهم الماء ثم رفعت العصابات عن أعينهم ودفعهم الجنود الى الجري وأخذوا يطلقون النار فوق رؤوسهم وبين أرجلهم ، وكانت المنطقة التي أرغموا على الجري بها هي وادي عربة المرعب الواقع جنوب البحر الميت حيث لا يستطيع الحياة فيه الا الحشرات ، وقد ضل الطريق أغلبهم عدا السعداء منهم الذين وجدهم بعض الأعراب فأخذوهم الى أقرب مخفر للحدود الاردنية » .

ويضيف القائد عبدالله التل ان المراسل يذكر انه كان بين هؤلاء المنكودين

(٨) جريدة كول هاعام اليهودية أول سبتمبر (ايلول) ١٩٥٣ .

أطفال لم يتجاوزوا الثامنة وشيوخ جاوزوا الثمانين ، وأن الجنود سكبوا الماء الذي كان محمولا في سياراتهم أمام الأطفال والشيوخ الذين كانوا يتلهفون على قطرة ماء لاطفاء لهيب العطش القاتل والذي زاده أوارا حرارة الجو اللافحة في وادي عربة(٩) .

وتلك قرية نحالين التي حاول اليهود هدمها في ليلة من مارس (آذار) ١٩٥٤ ولكن الحرس الوطني الفلسطيني وقسما من الجيش الاردني حالا دون تدميرها كلها ، ومع ذلك استطاعوا ان يقتلوا ثلاثة من جنود الجيش وثمانية من أهل القرية وأن يجرحوا أربعة عشر رجلا بجراح خطيرة .

وهناك احصاء اجرته الجامعة العربية يفيدنا ان ضحايا الفلسطينيين منذ الشهر الخامس لعام ١٩٥٠ أي بعد النكبة بعامين الى العاشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثي ، كانوا يمثلون من الشهداء ما يزيد عن ٥٥١ شهيدا من ٣٢ مدينة وقرية على مختلف الحدود العربية .

وجميع هؤلاء الذين راحوا ضحية للعدوان اليهودي يمثلون أحد جوانب الفداء في الشعب الفلسطيني ، فما كان اليهود ليصلوهم لو هادنوهم او بعدوا عنهم أو باركوا احتلالهم ووجودهم .

وكيفما كانت الوسيلة الى نهاية هؤلاء الشهداء ، فان الاصرار الفلسطيني على المقاومة هو الذي أدى دائما اليها ، فحتى اولئك الذين بقوا تحت ويل الذل في أراضيهم فاقدين الكثير من رفاقهم وذويهم ، فان الصهيونية لم تستطع ان تخلق فيهم روح الود معها ، ولم تتمكن من ان تجعلهم يشعرون بالأمر الواقع الذي يتلخص في حتمية الاحتلال اليهودي ، فقد أطبقوا صدورهم على بغض اليهود الغزاة .

وحرص اسرائيل على اضطهاد الأقلية العربية فيها واستمرارها في ذلك يخلق نوعا آخر من التضحية الفلسطينية ، فهي الآن وقد مرت سنوات على النكبة تجد في بقائهم داخلها وجود طابور معاد ، وجماعة لا تحمل ولاء لاسرائيل وسوف تتحرك حين تتنادى الجموع للعمل ، ولهذا هي تفرض عليهم الأحكام العرفية وتمنعهم من مغادرة قراهم الا بتصريح خاص وهي تخلق الأسباب للفتك بهم ، فأن لم تستطع خلقها فتكت دون أسباب ، وليس ما حدث في قرية كفر قاسم الا جزءا من ذلك .

(٩) عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية دار القلم ١٩٦٤ ص٣٢٥

٢ ـ كفر قاسم :

كانت الحياة في القرى العربية في اسرائيل تسير وفق نظام مستمر يقضي بمنع التجول ابتداء من السادسة مساء ، وكان فلاحو كفر قاسم يغادرون منازلهم الى الحقول ، فلا يحين الموعد الرسمي الا وقد وصل واستقر كل منهم في بيته الى الصباح التالي ، وفي الثامن والعشرين من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ اصدر اليهود أمرا الى عمدة كفر قاسم بأن الجميع يجب أن يكونوا داخل منازلهم في الخامسة مساء ، قال المختار « اننا في الخامسة الا ربعا الآن وقد تعود الفلاحون العودة في السادسة الا ربعا،وتوجد استحالة في ابلاغهم هذا الأمر المفاجيء ولم يبق الا ربع ساعة ، اني ارجوكم اعطاءنا فرصة نصف ساعة لابلاغ الجميع الموعد الجديد » ولكن القائد اليهودي ششنة شادمي كان يبيت أمرا وجاء رده : « هذا أمر عسكري لا بد من تنفيذه ، اخطر القرية واترك لنا أمر من هم في الحقول »

وكجري العادة كل يوم اخذت جموع العرب الصغيرة تعود من حقولها في الخامسة والنصف قبل نصف ساعة من الموعد المحدد عادة لمنع التجول ، وبعد نصف ساعة من الموعد الجديد الذي لم يعلموه ولم يبلغ اليهم ، وعلى ابواب القرية استعد ضابطان وأحد عشر جنديا يهوديا بمدافعهم الرشاشة التي فتحوها على الأبرياء ، فسقط منهم ٥٧ عربيا ، كان منهم سبع عشرة امراة وطفلا وجرح ٢٧ شخصا .

كانت هذه الجريمة مصنوعة بيد ضباط ثلاثة من عصابات اليهود وهم القائد « ششنة شادمي » والرائد « مالنكي » والملازم « غبريال دهان » والشاويش شالوم دفير وعشرة من الجنود .

وامام هياج الراي العام العالمي ، تظاهرت اسرائيل بسخطها على الفاعلين ، وصدرت احكام على بعضهم بـ ١٧ سنة سجن ، وعلى البعض الآخر بـ ١٣ سنة سجن ، ولكنها تمثيلية سبق لاسرائيل ان مثلتها في دير ياسين حين اصدرت بيانا استنكاريا ثم بعد عامين ثبت ان المؤامرة كانت رسمية ، وسبق لها ان اغتالت الكونت « برنادوت » في القدس الجديدة واصدرت بيانا استنكاريا ثم ثبتت موافقتها وانها لم تتخذ ضد الفاعلين اي اجراء .

على ان الصحف اليهودية ذكرت ان غرف المسجونين من هؤلاء السفاحين تحولت الى غرف من فنادق الدرجة الأولى ، وانهم يغادرونها مساء كل يوم الى ذويهم ومنازلهم حتى ان احدهم تزوج خلال مدة سجنه القصيرة

ولم يمض أحد منهم مدة العقوبة ولا ربعها ، بل عادوا الى وحداتهم العسكرية برتب اكبر .

لقد دار حديث صحفي مهم مع الضابط اليهودي « مالنكي » يثبت كم هي موغلة في الحقد روحهم وآراؤهم بالنسبة لنا ، سأل الصحفي الضابط المذكور فدار الحديث على الوجه التالي :

س ـ هل انت نادم على ما فعلت ؟

ج ـ بالعكس لأن الموت لأي عربي في اسرائيل معناه الحياة لاي اسرائيلي والموت لأي عربي خارج اسرائيل معناه الحياة لاسرائيل كلها .

س ـ ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك ؟

ج ـ كنت مطمئنا للمعاملة التي سأعامل بها لأن العمل الذي قمت به واجب وطني وديني .

وسئل الملازم « غبريال دهان » :
س ـ كم عربيا اصطدت في المجزرة ؟
ج ـ ١٣ فقط .

س ـ ماذا كان شعورك أثناء المجزرة ؟

ج ـ كنت متعطشا للدم العربي وقد شربت حتى سكرت .

س ـ هل في نيتك معاودة الشرب ؟

ج ـ اذا سمحت الظروف .

وسئل الشاويش شالوم :

س ـ كم عدد ضحاياك في المجزرة ؟

ج ـ ١٥ لقد ضربت الرقم القياسي وكان حظي احسن من زملائي في اختيار المكان الذي وقفت فيه (١٠) .

على أن حادث كفر قاسم ليس الفريد في سلسلة مواقف التضحية التي يقفها الشعب الفلسطيني ، ففي الجانب الملاصق من فلسطين كانت تجري أحداث رائعة من تضحيات لا تقف عند حد ، وكان أبطالها ابناء الكتيبة الفلسطينية في قطاع غزة .

---

(١٠) خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .

٢ ـ تضحياتهم أثناء العدوان الثلاثي :

بينما كان السكان العرب بكفر قاسم في المنطقة المحتلة يشيعون شهداءهم ، وبينما كانت دماء شهدائهم تسقي تلك الأرض الطيبة التي دنسها اليهود بطغيانهم، كانت هناك صورة أخرى من تضحيات الفلسطينيين وجهادهم ، تطبع على صفحة الجزء الغربي من فلسطين أثناء العدوان الثلاثي وخلال ثلاثة ايام من احداث كفر قاسم المروعة ، ولقد كان تأميم قناة السويس بداية الأحدوثة ، كان بناء السد العالي املا من آمال شعب الكنانة توارثته الأجيال ، وسار مع امانيها عبر السنين ، وحين جاءت ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ العربية في مصر خطت في سبيله خطوات عملية كان من بينها الاستعانة بقروض من البنك الدولي ومن الدول الكبرى، وفي ساعة الانتظار النهائي وقبيل التوقيع المنتظر على الاتفاقيات الخاصة بذلك، سحبت امريكا وعودها ولحقت بها باقي الدول الاستعمارية مدعية أن الاقتصاد المصري ضعيف لا يقوى على المشروعات الكبيرة ، وهي بذلك أصابت الكرامة العربية في الصميم وأعملت معول الهدم لأركان النهضة العربية التيتتلازم مع النهضة الاقتصادية ونشرت التشكيك في الجهود البناءة، وأبعدت عنها كل خير وعون.

وكان ممكنا أن يمضي الموضوع في هدوء دون صدى وكأن شيئا لم يحدث ، ولكن ذلك سوف يعيد صورة عهد التخلف التي كانت فيه الدول الكبرى تفرض فيه رأيها على العرب فيقبلون وتشير وتأمر بما ترغب فيتبعون ويطيعون ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وقف في الاسكندرية ليخطب جماهيرها في ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٥٦ ويكيل للدول الطاغية بنفس الكيل ويثبت لها أن ما تعودته من تصريف أمور الشعوب رغما عنها قد ولى ، وأن العرب يستطيعون ان يقولوا لا ، وان يفعلوا ما يريدون بعد ذلك ، وأعلن تأميم قناة السويس ، وجن جنون الاستعمار ، وأخيرا تمت في لندن وباريس مؤامرة وضيعة بين دول ثلاث هي بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

لقد رأت بريطانيا أن احتلال القناة خير عمل تعيد به كبرياءها المحطمة عند اقدام القاهرة ، ورأت فرنسا ان تحطيم الثورة الجزائرية سيبدأ من قهر القيادة العربية الأولى في القاهرة ، ورأت اسرائيل أنه وقت مناسب لتحتل باقي فلسطين ولتركز علمها في سيناء ، ولتكون صاحبة الحول والطول على مشارف قناة السويس ، وتم التآمر بين الدول الثلاث المذكورة .

وفي التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٦ شنت اسرائيل هجومها ، وبينما المعارك تدور طاحنة في شرم الشيخ والكونتيلة

وغيرها من مشارف الحدود . وقبل مضي أربع وعشرين ساعة على الهجوم الاسرائيلي تحركت كل من بريطانيا وفرنسا وفقا للارتباط السري مع اسرائيل ، فبعثتا الى الرئيس عبدالناصر بأغرب انذار عرفه العالم المتمدين ، وتظاهرتا بارسال مثله الى اسرائيل وطلبتا فيه الى الخصمين المتحاربين وقف اطلاق النار ، وسحب قواتهما الى مسافة تبعد عشرة أميال عن جانبي القناة وتهددان باستخدام القوة اذا لم يستجب لانذارهما خلال اربع وعشرين ساعة .

وكان واضحا أن الانذار أرسل لصالح اسرائيل ، وتنفيذا لاتفاق عدائي سري ضد تأميم القناة ومؤممها ، كما يقول ارسكين تشيلدرز في كتابه « الطريق الى السويس »

« سرعان ما ظهرت الحقيقة الضخمة الصارخة ، وكان لا بد من ظهورها وهي أن أية قوات اسرائيلية لم تكن بعد ظهر الثلاثين من أكتوبر على بعد عشرة أميال من قناة السويس ، ومن هذا يتضح أن الانذار البريطاني والفرنسي المشترك كان بمثابة دعوة صريحة الى اسرائيل بالتقدم غربا نحو القناة والتوغل داخل الاراضي المصرية (١١) » .

وكان قبول الانذار من الجانب العربي يعني التسليم للاعداء الثلاثة ، ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الانذار الخطير ، وبدأت المدن المصرية تتلقى قنابل اثنتين من الدول الكبرى ، وبدا واضحا ان هدف الأعداء هو عزل الجيش المصري في سيناء حيث يستمر في صدامه مع اسرائيل ، وتسد عليه أساطيل بريطانيا وفرنسا طريق الامداد والتموين باحتلال القناة ، ويسهل حينئذ تحطيمه وشل الحركة العسكرية الى أجيال بعيدة .

ولنترك هنا الحديث للمؤلف البريطاني ارسكين تشيلدرز وهو يتحدث عن قرار الرئيس عبد الناصر بسحب قواته من سيناء : « كان هذا القرار يتلخص في سحب كل جندي وكل معدات ممكنة على التو ، وفي أقصى سرعة قبل أن يتمكن الغزو الانجليزي الفرنسي من قطعها وايقاعها في الشرك ، وكان الاستثناء الوحيد متعلقا بالقوة المرابطة في قطاع غزة والمؤلفة من خمسة آلاف جندي ، فان نشوب أية معركة رئيسية في القطاع سيؤدي الى خسائر مريعة في أرواح اللاجئين الفلسطينيين الذين يكتظ بهم القطاع الضيق وعددهم يربو على المائتي ألف ، ولكن القاهرة كانت تخشى أيضا أن يؤدي أي انسحاب من القطاع الى خلق حالة من الفزع والرعب وقد تسفر عن نتائج لا تقل خطورة عن نتائج الصمود ، ولهذا فقد أصدر الأمر الى الحاكم

(١١) ارسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس ، ترجمة خيري حماد ، ص ٢٤٣ .

العسكري للقطاع بأن يستسلم عندما يقرر ان اللحظة تحتم عليه التسليم (١٢) » .

غير ان هناك منطقة في القطاع لم تطع الأمر القاطع القوي الذي روعيت فيه مصلحة كبرى واتخذ تحت ظروف مهمة ، لقد اتخذ قرار التسليم حفاظا على السكان الفلسطينيين وجموع اللاجئين ، ولكن حامية خان يونس المؤلفة من شباب فلسطين رفضت أن تلقي سلاحها ، دون قتال (١٣) ، وهي تعلم ان المنطقة كلها اما ملقية سلاحها او منسحبة خلف دفاع لا يستهدف البقاء ، وكانت الكتيبة الفلسطينية تعلم ان اولئك المنسحبين انما ينفذون اوامر التسليم او الانسحاب التي اتخذت في صورة رائعة من التفكير الذي لم يتسرب اليه الخطأ ولم يغرر به .

ومن جديد قدم الشباب الفلسطيني ارواحه رخيصة في ميدان الشرف ، واستمرت معركته من اليوم الأول لنوفمبر (تشرين الثاني) حتى صباح الثالث منه ، حيث لاقى أغلبهم ربه ممسكا بسلاحه ، مطلقا لرصاصه باسما لنهاية تربطه بتلك الأرض التي يقدسها الى أبد الآبدين ، ولقد حدث فعلا ما توقعته القاهرة من خوف على سكان القطاع ، فأعملت اسرائيل في سكان خان يونس التي رفضت حاميتها القاء السلاح ، اعملت فيهم يد الفتك والقتل الى مدى بعيد .

وتضحيات الفلسطينيين لم تقتصر على جموعهم التي استشهدت في ميادين الجهاد ، ولا على أولئك الذين ذابوا وجرت دماؤهم أنهارا في الحروب الصليبية وهم يجالدون شر الاستعمار الصليبي دفاعا عن العروبة والاسلام، ولا على جماعاتهم التي قابلت عسف اليهود وطغيانهم ثم اكتوت بنار فظائعهم ولا على اولئك الصناديد الذين تسنموا أعواد مشانق الانتداب البريطاني أو ذهبوا الى الله في لقاء كريم مع الرصاص ووسط صراع الثورات الرهيبة ، ان التضحيات امتدت عبر التاريخ ، وكأن القدر فرض على سكان ذلك الوطن العربي ان يكون على حلفه مع التضحية ، وعلى رفقة مستمرة مع الجهاد والاستشهاد .

لقد توزع الفلسطينيون بعد نكبة العرب في بلادهم عام ١٩٤٨ الى مواطن عدة ، فمن لم تتسع له معسكرات اللاجئين ذهب الى احدى العواصم العربية ، وفي تلك العواصم ترافق الفلسطينيون من جديد مع تضحيات يلقونها ويخوضون غمارها ، وهم على الدوام في الجانب العامل للوحدة

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

العربية ، والوحدة طريق العودة كما أن العودة طريق الوحدة ، فاذا ظهر تنكر من جانب عربي لهذا الهدف كان أول علاماته تضييق الخناق على الفلسطينيين ، وكم من شبابهم ذاق السجون في مواطن عربية كثيرة لا عقوبة عن ذنب ولكنها الشبه السياسية .

وبالامس جاءت ثورة العراق ، وتقاربت عقارب الساعة العربية التقاء، وحين انقسمت الثورة على نفسها لقي الشباب الفلسطيني كثيرا من المتاعب، وذاق عديد منهم السجون وطرد خارج العراق العربي عدد كبير آخر ، وحين استطاعت قوات هدامة تحقيق الانفصال بين دمشق والقاهرة عام ١٩٦١ كانت سلطات الانفصال تضع كل أثقالها الخطيرة على صدور شباب فلسطين ، وكثيرا ما صدرت الأوامر باعتقال بعضهم ، وصدرت أوامر أخرى بعدم تجولهم وخروجهم من معسكراتهم .

وخلال عام ١٩٦٤ حدثت حركة تقدمية في صفوف احدى القبائل بأمارة من امارات الخليج العربي ، وسرعان ما أشار المستشارون الانجليز بأن للفلسطينيين يدا في تلك الحركة ، وضيق الخناق على الموجود منهم ومنع دخولهم من جديد للبلاد ، ولعل ما حدث في دمشق عام ١٩٦٣ يمثل تضحية جديدة ومن نوع فريد يقدمها شعب فلسطين في ميدان العروبة وعلى بساط صادق من بذل الدم العربي .

لقد أصبح عديد من شباب فلسطين من اهم أركان الاحزاب العقائدية العربية ، فالبعثي منهم اغوته دعوة البعث واغمض عينيه الا على نداء الوحدة العربية التي ستكون العمل الحاسم في استرجاع فلسطين ، وبذلك فهو أعلى المنادين صوتا بتلك العبارة البعثية المدوية « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة »

ولكن فريقا آخر يرى في البعث رأيا مخالفا ويؤمن بأن ثورة القاهرة في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ هي الثورة البناءة لصالح الأمة العربية وأن قائدها الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي استطاع ان يجذب آذان العرب وأن يحتل قلوبهم منذ ان صرخ في وجه بريطانيا عجوز الاستعمار، ونادى بالويل لفرنسا في الجزائر ولم يحن الرأس امام الأمريكان ، فهو لذلك ذو صلة روحية قوية بكل العرب في مختلف ديارهم يناديهم ويخاطبهم في زعامة عربية لا تعرف حدودا ولا ترى امامها سدودا .

وقد ساء الرئيس عبد الناصر ان يكون البعثيون ممن باركوا الانفصال او اسهموا في تفكيك الوحدة ، لم يكونوا ذوي اسهام في بناء العقيدة أو التمسك بالأهداف وتبعا لهذا فان البعث عام ١٩٦٣ لم يكن جانبا يرضى

عنه هذا الفريق ، وفي احد ايام يوليو (تموز) ١٩٦٣ كان فريق من الشباب الفلسطيني يمثل مجموعة من سلاح الأشارة السوري يهاجم قيادة الاركان السورية العامة ، ويحاول تحت قيادة ضباطه الأحرار أن يفرض وحدة تقربه من يوم العودة ، وتجعل له قوة في أمته الكبرى،ولكن قيادة الأركان العسكرية وهي راس البعث الحاكم في سوريا كانت محروسة مدججة بالسلاح ، وكان اغلب الذين يحرسونها هم من شباب فلسطين الذين ساروا في ركاب البعث بحثا عن الوحدة التي لم يصلها . وتقابل شباب الشعب الواحد الباحث عن يوم العودة يقاتل في سبيل التضحية بعضه وكأنهم جميعا مع التضحيات على ميعاد ، وحين انتهت احداث تلك المحاولة كان شعب فلسطين قد خسر فيها أربعة عشر شابا أختلط فيها دم المهاجمين بدم المدافعين وسقط فريق آخر منهم أمام رصاص سلطات الحكم اثر محاكمات عسكرية(١٤) .

٤ ـ احتفاظ العرب بأراضيهم رغم العسف والأغراء :

مساحة فلسطين هي سبعة وعشرون مليون دونم (الدونم الف متر مربع) ، وتشمل هذه المساحة بحيرة الحولة التي مساحتها ١٤ الف دونم ، وبحيرة طبرية ومساحتها ١٦٥ الف دونم ، والبحر الميت ومساحته ٥٢٥ الف دونم ، وكانت هذه المساحة كلها ملكا لعرب فلسطين خلال تطورات التاريخ المتلاحقة ، ملكا يسكنونه ويتصرفون فيه ويستفيدون منه ، ولم يكن هناك اقطاع في فلسطين ، الا بضع مساحات استطاع اصحاب النفوذ من بعض الأسر الكبيرة في بيروت ودمشق أن يسجلوها بأسمهم ، ووافقهم بعض ملاكها من عرب فلسطين بعدا عن التجنيد والضرائب ورغبة في الاصلاح الزراعي ، وكان الملاك الحقيقيون من شعب فلسطين يقيمون بتلك الأرض التي سجلوها بأسم الغير ، ويقدمون جزءا من انتاجها للعائلات الكبيرة الحامية ، وقد تم ذلك منذ حوالي عام ١٨٦٠م(١٥) .

---

(١٤) نثبت للتاريخ أسماء هؤلاء الشباب الفلسطينيين الذين ذهبوا جميعا في سبيل فلسطين وتحت وطأة العقيدة الهادفة الى العودة وهم : احمد محمد منصور ، لطفي محمد غادرية ، احمد ياسين مفلح ، محمد احمد مصطفى ، يوسف محمد عطالله ، علي محمد عقل ابو عيسى ، محمود محمد علي الهندي ، سليمان محمد احمد ، عيسى محمود عيسى ، موسى الخزعي ، علي جاسم دخل الله ، عبدالله خضر احمد ، محمد عبد الهادي ، صالح شعبان .

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٥ .

وحين عرف الناس طرق التسجيل الرسمي للاراضي ، كانت اراضي فلسطين زمن الحكم العثماني اما ملكا لأفراد بشهادات رسمية مسجلة وتتضمن تلك ١٣ر٥٠٠ مليون دونم ، واما ملكا للدولة التي كان السلطان راسها ، وبأسمه تسجل الأراضي ، ولكن عرب فلسطين لم يكونوا محرومين من تلك الأراضي الاميرية المملوكة للدولة،فهم يزرعونها ويسكنونها ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، فهي ملكهم بالتقادم وملكهم بالاستعمال ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب التي كانت خاضعة للدولة العثمانية ، وفي وطني ليبيا كانت سهول ووديان مملكة بأسم السلطان عبد الحميد والقبائل برغم علمها بذلك الا انها مالكة مستفيدة ، وتعتبر الأرض أرضها تدافع عنها ، وتموت من أجلها وتقيم بسببها المخاصمات .

وحين دخل الجيش البريطاني فلسطين عام ١٩١٧ كان قسم من اليهود لا يتعدى الخمسين الفا قد أستقر في فلسطين ، وكان قد أقنع الدولة العثمانية في حقبة طويلة من التاريخ انه بسبيل أصلاح زراعي في بعض الأراضي بقصد انعاش البلاد ونشر التعليم الزراعي فيها ، وبذلك كان مقدار ٦٥٠ر٠٠٠ دونم ضمن املاك اليهود حينذاك .

وحين صدر صك الانتداب ، حرصت بريطانيا على أن تكون المادة الثانية من صك الانتداب بابا مفتوحا لتمليك اليهود اقطاعيات جديدة وكبيرة في فلسطين : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي .. الخ » ومع ما في هذه المادة من شمول يمكن اليهود من التسلط وحدهم على مقدرات البلاد ، نجد بريطانيا قد ضمّنت صك الانتداب المادة السادسة التي جاءت أوضح دلالة على تملك الارض وتهويدها : « على ادارة فلسطين ان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الأراضي الاميرية والأراضي غير المطلوبة للمقاصد العامة » وكانت هذه الأراضي التي يشير اليها صك الانتداب بأن يشجع اليهود لسكناها واقعة تحت القانون العثماني للأراضي الذي يعطي كل من أصلح ارضا مواتا وزرعها واقام فيها ، حق تملكها وتسجيلها رسميا باسمه، ولهذا كان من أسبق التعديلات القانونية التي أعلنتها بريطانيا ذلك التعديل الذي الغت به حق الأصلاح والتملك والذي كان يستنيد به الشعب العربي هناك ، فأصدرت في ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢١ ما أسمته قانون تعديل القانون العثماني وأشترط الحصول على اذن بذلك من مدير الأراضي وهو المستر ابراماسون اليهودي المعروف ، بل فرض عقوبة على كل من نقب واصلح أرضا مواتا .

ولنثبت المادة ٢ من ذلك القانون البريطاني : « تستبدل الفقرة الاخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي : كل من نقب أرضا مواتا أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي ، لا يحق له ان يحصل على سند ملكية بشأن تلك الارض ، ويعرض نفسه فضلا عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الارض(١٦). وحين عدلت بريطانيا هذا القانون فتحت به باب التملك لليهود عن طريق ملايينهم الكثيرة ، فأصدرت قانون الأراضي وجعلت الأرض حين تستصلح تباع بالمزاد العلني ولمدير دائرة الأراضي حق التصرف بموجب ثمن يقدره وتعطى للثمن الأعلى ، وليس من ريب أن العرب بعد أن حرموا حق اصلاح الارض وزراعتها وتملكها بموجب القانون العثماني ، لم يعد في استطاعتهم الا قليلا منازلة المزاد الذي تتربع على عرشه ملايين الصهيونية والقوانين البريطانية .

ولنثبت مجددا المادة ٤ من ذلك القانون : « على الرغم مما ورد في القانون العثماني بشأن اصدار سندات الطابو للأراضي الميري اذا أصبحت أية أرض مستحقة حق الطابو (سند الملكية) وكان هناك اشخاص يملكون هذا الحق ، فتقرر قيمة تلك الأرض لجنة قوامها القضاء الواقعة في قضائه ، وأن التثمين الذي تجريه اللجنة المشكلة يكون عرضة للتدقيق من قبل مدير الأراضي الذي يكون قراره نهائيا ، وعند تعيين قيمة الأرض يعرض المدير الأرض على أصحاب الطابو ويفوضهم بقبول تفويضها اليهم لدى دفع القيمة خلال ثلاثين يوما ، وتفوض لمن يقبل التفويض » .

مادة ٤ فقرة ٤ : « اذا أعلنت أرض محولة بسبب عدم وجود من يملك حق الطابو فيها أو اذا تنازل أصحاب حق الطابو عن حقوقهم فيها ولم تعلن أرضا عمومية وفقا للمادة ٣ فتطرح للمزايدة وتحال الى المزاد الأخير ، على أن يراعى في ذلك الثمن المحتفظ به من مدير دائرة الأراضي »

وعلى الرغم من المواد التي سطرت في صك الانتداب الذي وضع كله لصالح اليهود ، وعلى الرغم من تلك التعديلات البريطانية المجحفة الظالمة للقانون العثماني ، فان بريطانيا عمدت تسهيلا لذلك الى ما أسمته بدستور فلسطين وجعلت من مواده طرقا ومعابر يسلكها المندوب السامي البريطاني للاستيلاء على الأرض ومنحها لليهود ، فجاءت المادة ١٢ من دستور فلسطين الصادر في شهر أغسطس (آب) ١٩٢٢ تقول : « تناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها ، وله أن يمارس تلك الحقوق بصفة كونه أمينا عن حكومة فلسطين » ثم اردفتها

(١٦) راجع ملحق رقم ١ من هذا الكتاب .

بالمادة ١٣ التي تقول : « للمندوب السامي أن يهب او يؤجر اي ارض من الأراضي العمومية ، أو أي معدن أو منجم ، وله أن يأذن باشفال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة بالشروط والمدد التي يراها ملائمة .. الخ » ، ولكن هذه المادة تعطي للمندوب السامي حرية التصرف في هبة اية ارض من الأراضي العمومية ، وهذه الحرية تخشى الصهيونية أن تشمل غيرها على الرغم من انها الحاكمة وصاحبة اليد في اختيار كل مندوب سام لبريطانيا بفلسطين ، ولكن الاحتياط اليهردي والرضا البريطاني عمدا الى تقييد حرية المندوب السامي بباقي تلك المادة حتى لا تكون الهبة او الايجار الا لليهود: « ويشترط في ذلك ان تجري كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لمرسوم أو تشريع او قانون معمول به في فلسطين أو يعمل به فيما بعد، أو وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالته وختمه أو بواسطة الوزير المختص تنفيذا لصك الانتداب » وفي هذا النص التزام بان تكون كل هبة أو ايجار أو تصرف طباقا لصك الانتداب الذي يشترط ويتعهد بجعل فلسطين في وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

وسرعان ما قدمت بريطانيا للوكالة اليهودية ما مجموعه ٣٠٠ الف دونم مجانا وبلا مقابل، ثم أقطعتها ٢٠٠ الف دونم بثمن اسمي زهيد،واتجهت الى المشروعات الهامة فأعطتها لليهود هدفا لترقيتهم اقتصاديا،ووسيلة من وسائل تملك الأراضي واغتصابها ،ولنحيط احاطة كاملة بذلك العسف الرسمي الذي انزلته بريطانيا بالقضية العربية في فلسطين ، نراجع على سبيل المثال المادة العاشرة من عقد امتياز الكهرباء الذي منحه المندوب السامي هربرت صموئيل ومن خلفه بعد ذلك للشركة اليهودية لكهربة فلسطين ، لنرى كيف ضمن للشركة حق اغتصاب الاملاك والاراضي تحت ستار مصلحة الكهرباء : «على المندوب السامي بناء على طلب الشركة وعلى نفقتها او في حالات تعذر الشراء باتفاق متبادل لقاء تعويض عادل توافق عليه الشركة أو تعذر الاتفاق وفقا لأحكام أي قانون مرعي الأجراء في فلسطين آنذاك ، أن ينزع ملكية العقارات أو الأراضي أو الأبنية أو الحقوق الارتفاقية اللازمة للقيام بحقوق الشركة أو القيام بتعهداتها بموجب هذا الامتياز ، ويشمل هذا بناء السدود وانشاء الأحواض لخزن المياه وبناء القنالات ومحطات القوة ومحطات المحولات واقامة الأعمدة ومد خطوط الكهرباء الهوائية والكابلات الأرضية وانشاء المباني الضرورية والمكاتب والمستودعات والمنازل والمخازن وخلافها لأجل توليد الكهرباء ولأجل بناء الطرق والجسور والخطوط الحديدية الخصوصية والأرصفة البحرية وخلافها من وسائل المواصلات » .

وواضح من هذه المادة ان الأسباب التي ذكرت لاباحة نزع الملكية ليست كلها ضرورية ولا خاصة بالكهرباء بقدرما هي عامة وغير مانعة ، ويقصد بها خلق أي سبب لتنفيذ الهدف الأعلى من تمليك اليهود ، وبالفعل تم تمليك هذه الشركة ما مقداره ١٨ ألف دونم .

ولم تنته سنة ١٩٢٧ حتى كانت بريطانيا قد اعطت لليهود امتياز استخراج الأملاح والمعادن من البحر الميت ، أعطته لليهوديين نوفومسكي وطولوخ نيابة عن شركة البوتاس بامتياز لمدة ٧٥ عاما ، وكان هذا المشروع من اهم المشروعات التي استأثر بها اليهود اذ تقدر الاحصائيات ما فيه من أملاح البوتاس بألفي مليون طن ومن بروميد المغنيز بتسعمائة مليون طن وتقدر جملة ثروته بأربعة عشر مليار من الجنيهات

ولكن بريطانيا لا تكتفي بهذه الثروة الهائلة تمنح لليهود دون غيرهم ولكنها تعمد الى ما تستهدفه من تمليك اليهود فتمنح هذه الشركة مساحات واسعة على حدود هذا البحر قدرت بـ ٧٥ الف دونم ، ثم اجرت للشركة بايجار رمزي ٦٤ ألف دونم ، وتسرب البرنامج البريطاني الى الأوقاف المسيحية فعملت على تمليكها لليهود فسهلت بيع ٢٢ ألف دونم من أوقاف أخوية القبر المقدس الأرثوذكسية لليهود بحجة سداد ديون كانت قد تراكمت عليها أثناء الحرب ، وتقدم العرب المسيحيون يطالبون بوقف البيع واستعدادهم لتسديد تلك الديون ، ولكن بريطانيا لم يكن يشغلها ذلك التسديد بقدر ما ترغب من تمليك اليهود ، ولذلك رفضت رجاءات العرب المسيحيين وعروضهم .

وعلى الرغم من تلك الطرق التي سلكتها بريطانيا لاغتصاب الأراضي وتمليكها لليهود ، فأنها لم تكن تراها طرقا كافية لغرضها المبيت ، ولهذا سرعان ما سنت قانون نزع الملكية ، ولا ريب أنه كان قانونا غريبا لا يمكن أن يكون قد سن في غير فلسطين ، ولا يمكن أن يجرأ أحد على سنه غير بريطانيا فيها .

لقد تعودت المجتمعات البشرية أن تكون للأملاك حرمة ، وحرصت الدساتير على النص أن الملكية مقدسة ولا يجوز مصادرة الأملاك الا لمنفعة عامة ، وكانت المنفعة العامة هي على الدوام اقامة مرفق حيوي للبلاد باشراف الدولة كمد طريق أو اقامة حاجز ضد مياه الفيضان أو غير ذلك مما يشكل منفعة عامة لجميع السكان ، ولكن بريطانيا تعمد الى تشريع جديد فهي تبيح لصاحب أي مشروع أن يستولي على الأرض التي يراها صالحة لمشروعه اذا لم يوافق مالكها على بيعها له ، ونحن نعلم جميعا أن تلك المشروعات كانت دائما يهودية ، وان الذين تشجعهم وتحميهم مع مال الصهيونية العالمية هم اليهود ، وبذلك نتأكد انها انما سنت ذلك القانون

لتبيح نزع ملكية أراضي العرب في سبيل المشروعات والمنافع الشخصية اليهودية ، ولنثبت هنا بعضا من مواد ذلك القانون (قانون نزع الملكية) الذي سنته بريطانيا في أغسطس (آب) ١٩٢٦ .

« المادة ٣ : يحق لمنشيء أي مشروع أن يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم

المادة ٥ (أ) : اذا عجز منشئو أي مشروع عن الاتفاق مع صاحب او أصحاب أرض يحتاجها المشروع فيجوز لهم أن يرفعوا الى المندوب السامي لأجل موافقته اعلان المفاوضة المشار اليها .. الخ

(٣) : يطلب في اعلان المفاوضة من الشخص المبلَّغ اليه تقديم تفاصيل خطية بما له من حقوق في الأرض والادعاءات التي يدعيها بشأنها ومقدار التعويض أو بدل الايجار الذي يقبل به .. الخ

المادة ٧ : اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم ادعائه بالأرض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوما من ابلاغه الاعلان ، أو تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض ، او اذا لم يتفق هؤلاء مع الأشخاص (المالكين) على التعويض خلال خمسة عشر يوما :

(١) فيحق للمنشئين أن يضعوا يدهم في الحال على الأرض المشار اليها في الاعلان المذكور واذا رفض أصحاب الأرض أو مشغلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الأرض ،فيقدم المنشئون طلبا الى رئيس المحكمة (محكمة الأراضي) الذي اذا أقتنع بحق المنشئين في وضع يدهم على الأرض بمقتضى هذه المادة يصدر قرارا بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الأرض للمنشئين ، ويشترط في ذلك اذا كان الأستملاك لشخص أو هيئة غير حكومية فللرئيس أن يأمر بايداع المبلغ الذي يستصوبه » .

وتحت طائلة هذا القانون تم انتزاع آلاف من الدونمات من تحت يد أصحابها العرب ، وهو قانون واضح العبارة وكان سيفا مسلطا على كل مالك يرغب اليهود أرضه ، فهو اما أن يخضعها لمشروعاتهم واما أن تؤخذ منه عنوة وغصبا .

ولنلق النظر على مثال من تطبيقات ذلك القانون البريطاني في خبر نشرته جريدة الشباب القاهرية (١٧) يقول : « حضر الى ادارة جريدة الدفاع بحيفا بعض أهالي قرية الريحانية وأخبروها أن عددا من اليهود حضروا الى

(١٧) جريدة الشباب العدد ١٦ من يونيو ١٩٣٧ .

القرية منذ ثلاثة ايام ومعهم موتور ماء واخذوا يحفرون بئرا في قطعة ارض تزيد مساحتها عن ٨٠٠ دونم وهي ارض مشاع لا يصلح الا جزء صغير منها للفلاحة والزراعة والجزء الباقي مرعى لمواشيهم وعرب تلك الأراضي يحملون اوراقا تثبت ملكيتهم لها » .

وتضيف الشباب بذات التاريخ الخبر التالي : « استأنف القاضي البريطاني اليوم في يافا النظر في قضية محاجر مجدل الصادق المختلف عليها بين العرب واليهود فرد دعوى العرب المرفوعة بملكية الأرض لعدة أسباب رآها قانونية ومنها ان اراضي المحاجر غير داخلة في حدود القرية » .

على ان بريطانيا صاحبة الانتداب في فلسطين لم تصبر طويلا بعد اصدارها لقانون نزع الملكية ، فقد تبين لها انه لا يكفي لأن كثيرا من الأراضي ليست ملكا لأفراد يفرض عليهم الاتفاق او يرغمون على قبوله ، ولكنها ملك مشاع لأسر ولقبائل ، وبذلك عمدت الى سن قانون جديد في ٣٠ مايو (أيار) ١٩٢٨ وأسمته قانون « تسوية حقوق ملكية الأراضي (١٨) » ولقد استهدفت بهذا القانون نزع الملكية العربية بطريق آخر واستلام الدولة لتلك الأراضي توطئة لتسليمها لليهود ، ولعل اطلاعا على بعض مواد ذلك القانون يوضح لنا طرق الحكم البريطاني والأثقال التي عاناها عرب فلسطين .

« المادة ٣ : اذا ظهر للمندوب السامي انه من المستحسن تسوية حقوق الملكية في الأراضي الواقعة في اية منطقة وتسجيلها فينشر في الوقائع الفلسطينية امرا او مرسوما يعرف في هذا القانون بأمر التسوية .

المادة ١٠ فقرة ٣ : على مأمور التسوية أن يطبق قانون الأراضي المعمول به في تاريخ سماع الدعوى ، ويشترط في ذلك ان يراعي الحقوق العادلة والقانونية المتعلقة بالأرض ، والا يتقيد بأي نص ورد في التشاريع العثمانية او في قانون أصدرته الادارة العسكرية البريطانية .. الخ » .

ولعلنا نجد في هذا القانون ما يفيد اشتراط مراعاة الحقوق العادلة والقانونية ، فيتجه ذهننا الى التمسك بالحق وشرعة الانصاف ، ولكن هذا ليس المقصود في العرف البريطاني في فلسطين ، فلقد حرصت بريطانيا رسميا ودستوريا أن يكون للعدل والانصاف معنى آخر غير ما تفاهم عليه البشر وسنته الشرائع ، وتلك الفقرة الثالثة من المادة ٤٦ من دستور فلسطين تقول (١٩) : « يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادىء العدل

---

(١٨) راجع نص القانون في ملحق رقم ٤ بهذا الكتاب .

(١٩) راجع نص الدستور في ملحق رقم ٢ بهذا الكتاب .

والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالة الملك فيها ، وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الأحوال العامة ... الخ » .

وهكذا نجد انه إذا وردت كلمة العدل او الانصاف في قوانين بريطانيا بفلسطين ، فانها لا تعني الا عدلا يطابق صك الانتداب الذي وضع لتهويد البلاد وتشريد سكانها ، وهو بالتالي في قانون التسوية لا يعني البحث عن الانصاف والعدل في تسوية الأراضي الا بقدر ما يجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها طبقا للمادة الثانية من صك الانتداب .

وكانت كل هذه الاجراءات البريطانية قد شاعت وذاعت حتى اقلقت بعض الصادقين في عصبة الأمم وهذا هو رئيس لجنة الانتداب بها يعلن في الجلسة التاسعة للجنة قوله : «اني اشعر بمخاوف خطيرة بشأن المشكلة التي طالما أشرت اليها في الجلسات السابقة وهي أن اكثر اليهود الذين يفدون الى البلاد لا يملكون شيئا ولكن الجمعية الصهيونية لديها مال لا ينفد وبوسع صندوق رأس المال القومي اليهودي شراء مساحات واسعة من الأراضي وبجانب هذا الكيان اليهودي الكبير يقوم كيان الملاك والمزارعين العرب الصغار الذين تسعى الصهيونية تؤازرها في ذلك السياسة البريطانية لمحوهم تدريجيا ومحو كل قيمة سياسية او اجتماعية لهم ».

وحين طبق قانون التسوية ، جعلت أدوات تنفيذه اغلبية من اليهود ، وبالاطلاع على موظفي المساحة ودائرة التسوية ندرك لماذا كانت اغلبيتهم من اليهود والانجليز مع قلة عربية صغيرة ، ولنثبت هنا على سبيل المثال صورة بالأسماء لأعضاء تلك الدائرة :

١ — فريدرك سلمون : رئيس الدائرة يهودي — ٢ — مستر بنت : عضو انجليزي — ٣ — اسحاق كمت : مأمور التسوية يهودي — ٤ — جفري شولمان : مساعد مراقب يهودي — ٥ — تريفورليز : مساعد مراقب يهودي — ٦ — هرلد منر : عضو انجليزي — ٧ — بيونري سيسل : عضو يهودي — ٨ — فرونكن اسحاق : عضو يهودي — ٩ — روفين هاروني : باشكاتب يهودي — ١٠ — موشى كوهين : عضو يهودي — ١١ — شكري صالح : كاتب عربي — ١٢ — أسعد سالم : كاتب عربي — توفيق ناصر : مساح عربي — ١٤ — غالب النشاشيبي : مساعد مأمور التسوية عربي — ١٥ — امين درويش : مساعد مأمور التسوية عربي .

هؤلاء هم رئيس واعضاء دائرة التسوية التي ربطت بها بريطانيا مستقبل اراضي فلسطين العربية ، يتكونون من ثمانية من اليهود مع انجليزيين آخرين ثم عربيين فقط كمساعدين لمأمور التسوية . اما دائرة الأراضي فقد كانت هي ايضا دائرة يهودية :

١ ـ مستر ستبس: رئيس انجليزي ـ ٢ ـ الخواجة جاردنيو : مفتش عام يهودي ـ ٣ ـ ليفي هورنون : ضابط الأراضي ـ ٤ ـ بنجامين فيشمان: ضابط الأراضي ـ ٥ ـ جوهانا متكين : ضابط الأراضي ـ ٦ ـ ناتان فتوريان : ضابط الأراضي ـ ٧ ـ برنارد يفيد : ضابط الأراضي ـ ٨ ـ يعقوب عطاالله : ضابط الأراضي ـ ٩ ـ أنطون بركات : ضابط الأراضي عربي .

ثم يضاف الى هؤلاء أربعة أعضاء من الانجليز ورأيهم وهواهم معروف.

ولنتجه الى دائرة الأحراش وهي ذات علاقة بموضوع الأراضي لنرى كيف كانت هي ايضا دائرة يهودية :

١ ـ رئيس الدائرة بريطاني معروف بميله لليهود .

٢ ـ جراجر فسكر جهودا يهودي مساعد المراقب العام للاحراش .

٣ ـ أمس ليحاف يهودي ـ ٤ ـ تويل سيل يهودي ـ ٥ ـ نجيب فرعون عربي .

ان قانون التسوية يعطي صورة واضحة عن الطريقة التي طبقت بها بريطانيا ذلك القانون وكيف جعلته معبرا لحرمان اصحابها منها ، ثم اردفت هذا القانون بمجموعة من الأوامر كانت تنشر تباعا وطوال تاريخ انتدابها تنفيذا لذلك القانون ، وكانت تعمد الى تعيين اليهود كمأمورين لتسوية الحقوق وهم أصحاب منفعة والهادفون الى التملك وطرد العرب .

وعلى سبيل المثال :

« ليكن معلوما لدى العموم بأنه سيشرع قريبا في تسوية الحقوق في اراضي قرية نعمانة من اعمال قضاء الرملة ، فعلى كل من يدعي حقا في اراضي القرية او في اراضي القرى المتاخمة لحدودها ان يعمل بموجب قانون التسوية لسنة ١٩٢٨ ويمكن الاطلاع على ذلك في مخيم مأمور التسوية في رحبوت قرية نعمانة دائرة حاكم اللواء الجنوبي بيافا دائرة قائمقام قضاء يافا ».

٢٥ مارس (آذار) ١٩٢٩ ابرامسون : مندوب الاراضي

هذه اراضي قرية وقرى مجاورة عمدت بريطانيا الى تسوية ملكية اراضيها ، ترى لمن وكلت مهمة تلك التسوية ، الى قضاء نزيه ، أم الى لجنة محايدة تعصمها الذمة ويحوطها الشرف ؟ لم تفعل بريطانيا ذلك ، ولكنها بعد ان جعلت العدل في فلسطين ذا مفهوم يختلف عن مفاهيم العدل في العالم (٢٠) ، عمدت الى اليهود تعينهم مأموري تسوية :

« ان المندوب السامي عملا بالسلطة المخولة له بالمادتين ٢ ، ٤ من قانون تسوية الاراضي لعام ١٩٢٨ قد عين المستر موشى كوهين الحسيد مأمور تسوية مساعد للقيام بأعمال التسوية في منطقة قضاء الرملة وخوله أن ينوب عن مأمور التسوية في تلك المنطقة (٢١) .

٣٠ مارس (آذار) ١٩٢٩ التوقيع : هـ . شرلوك السكرتير العام لفلسطين

وما دام المندوب السامي قد عين اليهودي موشى كوهين ليكون مأمور التسوية في قضاء الرملة المزدحم بالعرب ، فقد بقي ان يعين من ينفذ أوامر مأمور التسوية هذا ، ويصدر الأمر الى الجيش او البوليس بأخذ الأراضي وتنفيذ الأحكام فيها ، ولكن المندوب السامي الممثل لسياسة بريطانيا والمشرف على تنفيذ صك الانتداب ودستور فلسطين ، لم يغفل حتى هذه الناحية فقد اصدر في نفس التاريخ الذي عين فيه مأمور التسوية أمرا هذا نصه : « ان المندوب السامي يعين المستر موريس غولدنبرج مساعد مأمور التسوية فيما يتعلق بتنفيذ الاحكام في قضاء الرملة (٢٢) .

ثم اضاف امرا آخرا فعين المستر اسحاق فردمكن (اليهودي) مساعد مأمورية تسوية وينوب عن المأمور في تنفيذ الأحكام في قضاء يافا .

واستمرت بريطانيا في هذه التعيينات اليهودية الثقيلة ، فعين المندوب السامي في ٧ مايو (أيار) ١٩٢٩ المستر « صولومون يهوذا » في منطقة يافا مساعدا لمأمور التسوية ، وجوناثان بلومنثلد في نفس المنطقة ، وفرنسيس كرلدوث لودويك لتسوية اراضي الخضيرة وما بينها وبين البحر في قضاء حيفا واراضي وادي الحوارث وعتيل وزيتا في قضاء طولكرم وخربة شركس وبركة البطيخ وقيسارية وعرب الدمايرة وعرب الفقارة ، ثم عين اليهودي

(٢٠) راجع المادة ٤٦ الفقرة ٣ من دستور فلسطين ، الملحق رقم ٢ من هذا الكتاب .

(٢١) مجموعة المناشير والاوامر والقوانين الفلسطينية محفوظة بمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت تحت رقم ٥٦٩ ـ ٣٤٩ .

(٢٢) المصدر السابق .

هفزي باح في قضاء حيفا وعرب النفيعات ، ومع هذه الأسماء العديـدة الكثيرة ، ولغرض التعمية فقط عينت بريطانيا اثنين من العرب احدهما في قضاء يافا والآخر في الرملة لا حول لهما ولا طول .

واستمرت اعمال التسوية سيفا مسلطا على العرب تشغلهم وتثقل عليهم ، ثم تنتهي اغلبيتها الى اعلان الاراضي « حكومية » ، وتقصد بريطانيا بذلك أن تضعها تحت التصرف المباشر للمندوب الذي حرصت في دستور فلسطين على ان تعطيه صلاحية التصرف في كل ارض حكومية كما أشرنا الى ذلك آنفا ، ثم لتنقلها من هذه الصفة الى صفة الملكية اليهودية ، بل لقد عمدت بريطانيا الى تعديل دستور فلسطين بما هو ابعد من ذلك الذي اثبتناه آنفا ، وجعلت المندوب السامي يملك من السلطات في الأراضي ما كان يملك خليفة الدولـة العثمانية بحكم الشـرع الاسـلامي ، فأصدر التعديل التالـي :

« بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى اراضي ملك ، وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني والمادة ٨ من قانون التصرف بالأموال غير المنقولة ٣٠ مارس (آذار) ١٩٢٩ وبما انه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري في فلسطين ، لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور الى « يجوز للمندوب السامي بمرسوم يصدره ان يحول اي ارض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف ملك » .

١٦ مارس (آذار) ١٩٣٣ — التوقيع : م . ب . ا هانكي

وطباقا لهـذا التعديل ومواصلة لما سبق أن تم مـن اغتصاب اراض بموجب قوانين نزع الملكية والتسوية واصل المندوب السامي مهمة اعطاء الارض لليهود بعد تسويتها ونزعها من ملاكها الاصليين العرب ، ونثبت هنا على سبيل المثال لا الحصر نموذجين من اوامر المندوب السامي في هـذا الخصوص : -

١ – « امر رقم ٦٧ لسنة ١٩٤٢ صادر من المندوب السامي بمقتضى المادة ١٦ مكرر (ج) بما ان المادة ١٦ مكررة (ج) من مرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ / ١٩٣٩ قد اجازت للمندوب السامي اذا شاء بأمر يصدره وينشر في الوقائع الفلسطينية ، ان يحول اية ارض من صنف المتروكة كالسواحل أو الطرق العامة او بيادر القرى الى اي صنف آخر ، وبما ان قطع الاراضـي المبينة اوصافها في الذيل الملحق بهذا الأمر الواقعة في مستعمرة باردس حنا من اعمال قضاء حيفا ، تؤلف الآن قسما من الطريق العامة ، وبما انني مقتنع

بان الحقوق او المنافع التي كانت مكتسبة حتى الآن في هذه الأراضي يمكن الأستعاضة عنها بحقوق ومنافع مساوية لها في الصفة ضمن الحد المعقول ، لذلك أنا السر هارولد الفرد مكمايكل المندوب السامي لفلسطين استنادا الى الصلاحية المخولة لي وفقا لما تقدم ، آمر بتحويل الأراضي المذكورة الى صنف الميري ، وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الأراضي بحيفا باسم « جمعية الاستعمار اليهودية بفلسطين » .

رقم القطعة	رقم القسيمة	القريـة	القضاء
١٠١٠٠	٤٧ (مؤقت)	باردس حنا	حيفا
١٠١٠٠	٤٨ (مؤقت)	باردس حنا	حيفا
١٠١٠٠	٣٥ (مؤقت)	باردس حنا	حيفا

صدر بتوقيعي في هذا اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليـو (تموز) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد ماكمايكل

٢ – « أمر رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ صادر من المندوب السامي

بما ان المادة ١٦ مكررة (ج) من مرسوم دستور فلسطين لسنة ٣٩/٢٢ قد أجازت للمندوب السامي اذا شاء ، بأمر يصدره وينشر في الوقائـع الفلسطينية أن يحول اية أرض من صنف المتروكة كالسواحل او الطرق العامة أو بيادر القرى الى صنف آخر ، وبما أن قطعة الأرض البالغـة مساحتها دونمين و٧١٨ مترا مربعا المسجلة بموجب العقد رقم ٤٢/١٣٣٠ في القسيمة رقم ٦٥ من القطعة رقم ٧٧٤٦ تؤلف قسما من الطرق العامة في الطيرة ، وبما انني مقتنع بأن الحقوق التي كانت مكتسبة حتى الآن في هذه الأرض يمكن الاستعاضة عنها بحقوق ومنافع مساوية لها في الصفه وضمن الحد المعقـول ، لذلك انا السير هارولد الفرد ماكمايكل المنـدوب السامي لفلسطين استنادا الى الصلاحية المخولة لي مرفقا لما تقدم آمـر بتحويل قطعة الأرض المذكورة الى صنف الميري وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الأراضي بناثانيا .

صدر بتوقيعي في هذا اليـوم العاشر من شهـر سبتمبـر (ايلول) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد ماكمايكل

وناثانيا التي ضم لها المندوب السامي هذه الأرض ليست الا قرية يهودية معروفة ، ولم يمض الا قليل حتى أصدر امرا آخرا مؤرخا في ١٣

اغسطس (آب) ١٩٤٢ ضم فيه الى ناثانيا المذكورة قطعة جديدة (٢٣) .

وبصلاحيات المندوب السامي التي تضمنها دستور فلسطين ضمت آلاف الدونمات ، وكانت أوامره تصدر بقطع صغيرة يوميا حتى تكون قطعا كبيرة مع مر الايام والشهور ، ولم يجد المندوب السامي مانعا من أن يقتطع حتى الأراضي الحكومية التابعة للمناطق العربية ، ويسجلها رسميا للمدن اليهودية ، وعلى سبيل المثال نواصل نشر أمر المندوب السامي رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٢ ونصه بعد الديباجة : « أنا السر هارولد ماكمايل المندوب السامي لفلسطين استنادا الى الصلاحية المخولة لي وفقا لما تقدم ، آمر بتحويل قطعة الأرض المعروفة بالقسيمة رقم ٢٧٨ من القطعة رقم ٦٢٠٤ في قرية الجريشة من أعمال قضاء يافا (٢٤) ، من صنف الميري الى صنف الملك وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الاراضي بتل ابيب (٢٥) ، حتى يتسنى وقف هذه الأراضي لمقاصد دينية وأغراض تعليمية .

صدر بتوقيعي في هذا اليوم الأول من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد ماكمايكل

بل ان المندوبين الساميين البريطانيين دأبوا منذ زمن بعيد في سبيل تمليك اليهود واعدادهم لامتلاك فلسطين على نزع ملكية الاراضي في سبيل توسيع الطرق المؤدية الى المستعمرات اليهودية ولم نجد في سجلات أوامر فلسطين شيئا يحسن قرى العرب أو يوسع طرقها ، ولننشر هنا نموذجا من تلك الأوامر التي أخذت بموجبها الأراضي في سبيل توسيع طريق يؤدي الى مستعمرة يهودية :

شهادة نزع ملكية

انا الفيلد مارشال هيربرت شارلس انسلو البارون بلومر المندوب السامي لجلالته في فلسطين والقائد العام فيها ، أشهد أن توسيع الطريق المؤدية من يافا الى بتاح تكفا لعشرين مترا عرضا وهو مشروع ضمن مفاد المادة الثالثة من قانون نزع الملكية .

الفيلد مارشال : بلومر م .ب

١ مارس (آذار) ١٩٢٦

ولم يكن قانون نزع الملكية أو قانون التسوية أو الصلاحيات التي أعلنتها بريطانيا لمندوبها السامي كافية في تنفيذ برنامج التهويد ، بل اتجهت بريطانيا الى المناطق المليئة بالأشجار الكثيفة ، فرأت أنه من اللازم لبرنامجها ان تصدر قانونا اسمه (قانون الغابات) وسلطته أيضا على رقاب الملاك العرب ، تصادر به أراضيهم وتضع سلطانها عليها وعلى سبيل المثال لا

(٢٣) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٥ الصادر في ٢٤ اغسطس (ايلول) ١٩٤٢ .
(٢٤) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٨ الصادر في ١٥ سبتمبر (تشرين الاول) ١٩٤٢ .
(٢٥) تل ابيب هي القطاع اليهودي في فلسطين .

الحصر نثبت هنا نموذجا من تطبيقات ذلك القانون :

« أنا السر هارولد مكمايكل المندوب السامي لفلسطين ، استنادا الى الصلاحية المخولة لي في المادة الثالثة من قانون الغابات، أعلن الأراضي المبينة اوصافها في الذيل التالي مناطق غابات محفوظة تحت اشراف الحكومة وادارتها (٢٦) » ، ثم يذكر المندوب السامي كشفا بيانيا بتلك الأراضي وملاكها ، فيتبين أنهم جميعا من العرب الذين وصفهم بأنهم ادعياء تملك (٢٧) . وبالجمع لتلك المساحات العربية المستولى عليها يتبين انها ٣٨١٨٨ دونما .

ولعمري ان تلك القوانين والأوامر التي أثبتناها آنفا وأثبتنا معها نماذج من طرق تنفيذها لمعطية شواهد لا ريب فيها ولا شك على أن شعب فلسطين العربي كان يكابد متاعب لا حدود لها من الدولة التي حكمت سلاحها وقانونها في أراضيه .

وهذا الذي اوضحناه سبيل واحدة من السبل العديدة التي سلكتها بريطانيا ضد اراضي الامة العربية في فلسطين ، والواضح ان مساحات عديدة اغتصبت من العرب وسلمت لليهود تحت طائلة تلك القوانين الجائرة ، واذا كان بحثنا يهدف الى ايضاح الحقيقة عن مصير الأرض في فلسطين ، فاننا بما أثبتناه آنفا ، انما نقدم صورة لا غموض فيها للجور البريطاني الجائر على شعب عربي صغير ، لو ضاعت كل أراضيه وسط تلك الأثقال البريطانية لوجد له المؤرخون أعذارا وأسبابا ، أما اذا ثبت أنه مع كل هذا كان صلبا عنيدا عنيفا متمسكا بأرضه ذائدا عنها ، كان معنى هذا أن تاريخ الوجود يزين صدر ذلك الشعب في وسط الأمة العربية بأوسمة المجد التي لا تبيد .

٥ ــ الأسر غير الفلسطينية تبيع أرضها في فلسطين :

على أن أرض فلسطين تعرضت لعواصف أخرى اجتاحت سهولها وهضابها فعصفت بشعبها واقتلعته من مساكنه تحت سطوة الجند والبوليس البريطاني ، وكانت تلك العواصف تهب من تصرفات أسر عربية شاءت لها ظروف وحدة الأرض أيام الخلافة العثمانية أن تتملك مساحات في فلسطين وحين ظهر الخطر الصهيوني وسنت القوانين البريطانية ، وجدت تلك الأسر السورية واللبنانية أن فلسطين لم تعد مكانا للاستثمار والكسب ،

(٢٦) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٣٩ الملحق رقم ٢ الصادر في ٢٤ ايلول ١٩٤٢ .
(٢٧) أثبتنا الكشف الرسمي لتلك الاراضي وملاكها في الملحق رقم ٨ من هذا الكتاب .

وان من حصافة الراي الطامع ان تتخلص من تلك الأراضي ، لا تمليكا لجموع الفلاحين الفلسطينيين الذين اقاموا بها واصلحوا فيها ووارو فيها اجداث اجدادهم مئات السنين ، ولكن لذهب اليهود واموالهم ، كانت اسرة سلام قد أعطيت امتيازا في اراضي الحولة (٢٨) ، وكان الامتياز الممنوح من الحكومة العثمانية لأسرة سلام ينص على استصلاح تلك المساحات الكبيرة وتمليكها الى الفلاحين الفلسطينيين الذين نشأوا مع الأرض ودابوا عليها ، ولو تم هذا لكسبت أسرة سلام الأثمان التي يدفعها الفلسطينيون ولكسب عرب فلسطين اراضيهم تعود اليهم ، ولكن الذي حدث كان عكس ذلك ، لقد بيع ذلك الامتياز ، باعه آل سلام البيروتيون الى اليهود ، وكانت مساحة الأرض حول بحيرة الحولة التي يشملها امتيازهم ١٦٥ الف دونم اي ١٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠ مترا مربعا .

ولجأ الفلاحون العرب الى حكومة الانتداب يطلبون حمايتهم ، ولكن هذه الحكومة سلطت بوليسها وجيشها ليهدم بيوتهم ويشرد جموعهم ويسلم الأراضي لليهود ، وهكذا تم تشريد خمسة عشر الف عربي من تلك الأراضي (٢٩) .

٦ – أراضي بيهم وسرسق :

وفي أراضي الحولة نفسها كان هناك امتياز آخر لأثنين من اكبر الأسر اللبنانية ، هما محمد بيهم وميشيل سرسق ، وعلى نفس الطريقة التي سلكها آل سلام ، سار هؤلاء أيضا ، وبيعت الأراضي لليهود واجلي عنها سكانها من شعب فلسطين .

دونمات لا تعد بالعشرات ولكنها بالآلاف تعد ، وتتربع في بيروت عمائر شامخة وسط ساحاتها الجميلة تحمل اسم هذه الأسر الكبيرة .

على أن الانجليز لم يكونوا بعيدين عن هذه النكبة التي حلت بالعرب سكان أراضي الحولة ، فقد وضعوا هم الأسس التمهيدية لسحب الامتياز ، وذلك عقدهم بامتياز الكهرباء المعطى لليهود عام ١٩٢١ ينص على عدم حق الشركة الكهربائية في أي عمل يقلل أو يخل بالحقوق والسلطات والامتيازات الممنوحة قبل ذلك التاريخ بما في ذلك الممنوح منها في العهد العثماني ، وانك لواجد الفاظ الفقرات أ ، ب ، ج في العقد المشار اليه تعطي مدلول

(٢٨) عمر ابو النصر : جهاد فلسطين العربية ، القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٢٠ .

(٢٩) اميل الغوري ، مصدر سبق ذكره ، س ٤٧ .

الحفاظ على تلك الامتيازات كشأن الأمم والحكومات التي تحافظ على ارتباط الشرف وحرمة التعاقد ، ولكنك حين تقرا الفقرة د تتضح لك الحقيقة البريطانية وتدرك أن بريطانيا كانت تبيت – لتلك الامتيازات – مع الصهيونية امرا ، ولنثبت هنا نص تلك الفقرات التي تضمنها تعديل عقد امتياز الكهرباء الممنوح للشركة اليهودية في ٥ مارس (آذار) ١٩٢٦ وكيف أشير فيها بما نوهنا عنه الى احتمال استبدال امتياز الحولة :

« المادة ٣ (بعد تفصيل عن حقوق الشركة) ولا يجوز للشركة مباشرة أي من الحقوق أو السلطات أو الامتيازات الممنوحة لها بكيفية تقلل او تخل بالحقوق أو السلطات او الامتيازات الممنوحة في الامتيازات التالية وهي أ – الامتياز المؤرخ في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢١ الممنوح لبنحاس روتنبرغ لاستعمال مياه العوجة لتوليد وتوريد القوة الكهربائية والمحول الآن لشركة يافا الكهربائية المعروف بامتياز العوجا .

ب – الامتياز الذي منحته بلدية القدس في عام ١٩١٤ لتوليد الكهرباء.

ج – الامتياز الذي منحته الحكومة العثمانية لمحمد افندي بيهم وميشيل أفندي سرسق بشأن أراضي الحولة .

د – أية امتيازات تمنح بدلا من الامتيازين تحت ب ، ج تنفيذا لأحكام البروتوكول الملحق بمعاهدة لوزان التي تقضي بأن يكون بعض الامتيازات الممنوحة من السلطة العثمانية موافقة للأحوال الاقتصادية الجديدة للمدة وللمدى التي تكون فيها هذه الامتيازات سارية أو قابلة للتنفيذ .

ومع تلاحق الأحداث ، سرعان ما اسرعت بريطانيا فألغت امتياز الكهرباء لمدينة القدس الذي كانت الحكومة البريطانية قد منحته لشركة يونانية ، الغت بريطانيا ذلك الامتياز تحت حجة ان الأحوال الاقتصادية الجديدة تتطلب أكثر من ذلك الامتياز القديم ، ولكن وضع صاحب ذلك الامتياز كان يختلف ، فهو ابن اليونانية والتابع لدولته التي رعتها بريطانيا وساعدتها أيام جلاد اليونان ضد الامبراطورية والحكم العثماني ، وما أن حكمت محكمة العدل الدولية بحق صاحب الامتياز القديم حتى وافقت بريطانيا وباركته (٣٠) .

أما امتياز الحولة العربي ، فقد وجد ملاكه العرب اللبنانيون ذريعة لبيعه الى اليهود ، وعلى الرغم من ان ذلك النص الذي ورد في امتياز الكهرباء

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٠ .

اليهودي كان مشعرا باحتمال تغيير الامتياز ، فأن التمسك بصلابة ، وعدم البيع او التنازل ، والبعد عن التفريط والتمنع عن اعطاء اليهود شريعة الامتياز بالمال ، ان ذلك وحده كان المعنى الوحيد الصالح المطابق للوطنية العربية والذي لم يسلكه أصحاب الامتياز مع أسف الوطنية والتاريخ ، وهكذا ضاعت اراضي الحولة من حوزة عرب فلسطين ، ولم تضع بسبب تفريطهم أو تهاونهم ، ولكنها ضاعت وتسربت الى اليهود بسبب تصرف عرب آخرين ليسوا من ابناء التربة الفلسطينية ، بل ان الشعب الفلسطيني اكتوى بالنار في هذه البقعة المهمة من بلاده فقد تم اجلاء ١٥٠٠ اسرة عربية ، على حين اسكن اليهود فيها وتمتعوا بالحماية البريطانية والرعاية والاهتمام (٣١) .

ولم تكن اراضي الحولة وحدها هي التي كانت ذات علاقة بعرب غير فلسطينيين وتم بيعها لليهود ، ولم يكن آل سلام وحدهم في ذلك التفريط الخطير ، بل لم يكن ما يملكه آل سرسق هو ذلك الجزء من امتياز الحولة فقط ، بل هناك غير هذا وغير أولئك .

٧ ـ ارض مرج ابن عامر :

كانت أسرة سرسق ايضا تملك مساحات واسعة من اخصب اراضي فلسطين في مرج ابن عامر ، كانت تملك ٤٠٠ ألف دونم تضم عددا قيما من القرى العربية يقدر عددها بين خمس عشرة واثنتين وعشرين قرية عربية (٣٢)، ويسكن هذه القرى ٢٥٤٦ أسرة عربية ، فاذا قدرنا عدد كل أسرة بعشرة اشخاص ، كان معنى هذا ان مجموع سكان اراضي مرج ابن عامر الذي يملكه آل سرسق هم ٢٥٤٦٠ عربيا .

وقد باع آل سرسق اللبنانيون هذه الأراضي الخصبة الى اليهود ولجأ الفلاحون العرب الذين اقاموا بقراهم وأراضيهم أكثر من ألف عام الى السلطات الرسمية يطلبون حمايتها ، ولكنها سلطت عليهم الجيش والبوليس البريطاني واطلقت عليهم نيران البنادق حينما رفضوا مغادرة أراضيهم ، وهدمت أكواخهم ونسفت بيوتهم وقوضت خيامهم وطردوا أمام جحافل الجند من اراضيهم وسلمت الأراضي لليهود (٣٣) .

(٣١) يذكر الاستاذ عارف العارف في كتابه النكبة ، ج ٣ ص ٦٥٧ اسماء القرى التالية : الياجور، شيخ بريك ، جيدة ، طبعون ، تل الشماء ، الورقاني ، معلول ، خنيفس ، جباتا ، جنجا ، تل العدس ، الفولة ، عفولة ، الجالود ، تل الغر .

(٣٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٧ .

(٣٣) جريدة الشورى ١ يناير ١٩٣٠ .

وهكذا كان تصرف عرب ليسوا فلسطينيين بل هم من ابناء بلدان مجاورة تملكوا في ظرف عابر وعهد غابر ، وهكذا تربع اليهود في القرى العربية ، فهدموها وازالوا معالم مساجدها وكنائسها واقاموا فوق انقاضها ستا وخمسين مستعمرة يهودية (٣٤) .

٨ ـ أراضي تيان والقباني :

وتلك مأساة اراضي وادي الحوادث التي تبلغ مساحتها عشرات الالاف من الدونمات ، وكانت تلك الأراضي الخصبة المهمة بيد عائلة لبنانية هي أسرة تيان ، وتقع هذه الأراضي على الساحل الفلسطيني وعدد سكانها ٢٤٠٠ عربي يملكون من المواشي ما يقدر بعشرة آلاف ماشية ، ويستفيد من تلك الاراضي ايضا اكثر من عشرة آلاف عربي آخر من القرى المجاورة لها من قضاء طولكرم وكان يصدر منها للقطر المصري سنويا ما يقدر بمبالغ خمسين الف جنيه ثمنا لأجود انواع البطيخ في العالم ، في وقت كان الجنيه فيه يمثل قوة شرائية هائلة .

وفي عام ١٩٢٢ لم يكن المدعو انطون تيان العربي من لبنان في وضع اقتصادي مريح ، فأقدم على رهن حصته في تلك الأراضي وقدرها ٥٣٥٠ دونما ، رهنها لرجل فرنسي ثم باع الرهينة لجماعة من اليهود ، ولكن تلك الدونمات ليست كافية ولا هي المراد شراؤها من الأراضي المملوكة ، واتجه اليهود الى المسمى ميشيل تيان وكان الوحيد من اسرته الموجود بفلسطين ، فباع لهم حصته من وادي الحوارث العظيم ، واستعمل اليهود جهودهم فادعوا ان البيع يشمل ما يخص قبيلة الحوارث ، ونظرت المحاكم في هذه القضية وكانت تشغل الراي العام هناك سنوات طويلة ، وسلم الوادي لليهود ، واخرجت حراب البريطانيين الفلسطينيين الأبرياء الذين لم يعرفوا بيعا ولم يتسلموا ثمنا ، اخرجتهم من اراضيهم التي تملكوها مئات السنين، وتربعت فيها جمعية راس المال القومي اليهودي (كرن كايمث) في ٢٧ مايو (ايار) ١٩٢٩ ، على ان من ذكرنا من اسر لبنانية تصرفت فيما تملك من ارض فلسطين وكانت نكبة على شعبها ، لم تكن هي وحدها التي اقدمت على هذا الانحراف الخطير ، فلقد تابعها في ذلك عديد من اسر اخرى سورية ولبنانية ، ثم جاء دور أسرة القباني البيروتية ، لقد كانت تملك ما يقارب اربعة آلاف دونم ، اي ما يساوي اربعة ملايين متر مربع ، وشاعت

(٣٤) اشهر المستعمرات هي كفار باروخ ، نهلال ، كفار دافيد ، تراسلفانيا ، بلوغوريا، مرحقيا ، عين جارو .

الأنباء خلال عام ١٩٣٧ أن هناك نكبة جديدة ليست بعيدة الأثر عن نكبة وادي الحوارث وتم لليهود ما يريدون من شراء ملك آل القباني في فلسطين. ذلك الملك الذي تسمى بأسمهم حتى يكاد يعرف في بعض المراجع بوادي القباني (٣٥) ، باعه آل القباني العرب البيروتيون لم يردعهم عن ذلك انه سلخ لأرض عربية من عروبتها ، ولا ان ملاكها الحقيقيين من الفلاحين الفلسطينيين سوف يجلون عنها بالحديد والنار ، ولم يصرخ في اسماعهم ايضا صوت الحرية والوطنية الذي ارتفع مستنجدا قبل كارثة البيع .

يقول الأستاذ محمد علي الطاهر (٣٦) : « كتب الينا من فلسطين ان آل القباني في بيروت سيبيعون ارضهم بفلسطين الى اليهود ، وتبلغ مساحتها الآلاف من الفدادين وهي من اهم المواقع في فلسطين ، اننا نهيب بأهل بيروت ان يمنعوا هؤلاء الذين لا يخافون الله ولا يرعون شرفا ولا ذمة » ، ولكن هذا الصوت العربي المستغيث كان نداء في واد لا آذان له ، وتسلم اليهود الأراضي وأجلوا أهلها عنها ، وتسلم آل القباني الثمن نقدا وعدا ووقف التاريخ ليسجل صفحاته الدامية .

٩ ـ أراضي أسر أخرى :

وسلكت نفس الطريق أسرتا الصباغ والتويني البيروتيتان اللتان باعتا الأراضي الكائنة في السهل الساحلي بين عكا وحيفا ، وكانت الأراضي التي تملكها أسرة التويني المذكورة وحدها تشمل كل القرى العربية المعروفة « الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهارية » واخرج ايضا الفلسطينيون من أراضيهم تلك بمجرد ان تسلم البائعون اثمانها من جمعيات الأرض اليهودية .

ولنضف الى تلك الأسر اسرة الجزائرلي السورية ، وشمعة والقوتلي السوريتين ، التي باعت لليهود ايضا اراضي المنشية ، واسرة آل مرديني السورية التي باعت قسما كبيرا من اراضي صفد (٣٧) .

واذا كنا لا نستطيع ان نثبت أمثلة واضحة وتفصيلات دقيقة عن كل صفقة تسربت فيها الأراضي الى اليهود من مثل تلك الأسر غير الفلسطينية .

---

(٣٥) يسميه المؤرخ العربي عارف العارف وادي القباني وقد وجدنا ايضا جريدة الشباب القاهرية لصاحبها المجاهد محمد علي الطاهر تسميه بوادي القباني ايضا .

(٣٦) جريدة الشباب القاهرية ٢٣ من يونيو ١٩٣٧ .

(٣٧) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٦ .

فأن هذا لا يمنعنا من ان نثبت مستندا واحدا يعطي اوضح صورة عن استهانة غير الفلسطينيين بأراضيهم في فلسطين ، وعن الصور المحزنة التي كانوا يتعهدون فيها بطرد العرب واخراجهم من اراضيهم لصالح جمعيات الاستعمار اليهودي، ولنطلع على هذا العقد الذي كان مشروعا للبيع ثم حدثت موانع حالت دون البائعين والاتمام فألغي العقد وضاعت اغلب الصفقة .

١٠ ـ أراضي آل يوسف :

عقد مقاولة

بتاريخه قد تم الاتفاق بالرضا والقبول المتبادل بين كل من (١) فائزة غانم بنت خليل باشا العظم أمرأة المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف بالاصالة عن نفسها وبالوصاية عن ولديها القاصرين عثمان وفؤاد بك ونزيهة غانم خانم ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ، بموجب حجة الوصايا الصادرة من المحكمة الشرعية بدمشق الشام بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٣٩ رقم جريدة ١٨ صفحة ٦٥ عدد ١٩٢٨ باعتبارها كافلة وضامنة القاصرين المذكورين .

وكل من (٤) محمد سعيد بك و(٥) عمر عادل بك و(٦) حسن سامي بك و (٧) أحمد راتب بك و (٨) وجيهة خانم و (٩) شفيقة خانم و(١٠) برانت خانم و(١١) اسعاف خانم وبين شركة ذي فلسطين لاند ديبلومند ليمتد الملقبة بالآتي بالفريق الثاني ، على بيع وشراء وفراغ وتفريغ جميع الأراضي والأملاك الداخلة ضمن حدود قرى البطيحه والجولان التابعة لقضائي القنيطرة والزوية التابعة لحكومة الجمهورية السورية وقسم منها تابع لحكومة فلسطين المبين حدودها وأوصافها ومواقع المبيع في جدول الأملاك المربوط بهذه المقاولة والمعدود جزء منها المعروف ذلك عند الطرفين معرفة تامة نافية لكل أسباب الجهالة بيعا وشراء باتا قطعيا بالغا ما بلغت مساحته من الدونمات متصلة بعضها ببعض دون أن يتخللها اقل حق لأي كان من الخارج والمسجلة بقيود الطابو بموجب الأسناد المبين تواريخها وارقامها في جدول الأملاك المربوط مع جميع ما أشتملت عليه القرى المذكورة من بيوت وابنية ومنابع وجدران وآبار واحواض واشجار وبيادر وانهر ومياه ومنافع والحاصل وكل ما لها وعائدا عليها والملقب بالآتي بالمبيع والتي يصرح ويؤيد الفريق الأول بأنها آلت اليه بطريق الارث والانتقال عن مورثهم عبد الرحمن باشا اليوسف وانهم ومورثهم المنوه اليه قبلهم واضعو اليد عليها بدون منازع ولا معارض بالثمن والشروط الآتية :

تعهدات الفريق الأول :

اولا ـ أن يبيع ويفرغ للفريق الثاني او لمن يختاره الفريق الثاني من شخص او اشخاص من التبعية الفلسطينية كامل المبيع صفقة واحدة او صفقات متعددة مع جميع ما شب اليه وعائد له بيعا باتا وفراغا قطعيا مباشرة او بالواسطة في المدة والشروط والثمن الآتي ذكره .

ثانيا ـ يصرح ويؤيد الفريق الأول بأن المبيع لم يكن وقفا وانه لا يوجد اي مانع قانوني به يمنع المبيع والفراغ عدا عن الحجز والرهن الذي سيدفع حتى يوم الفراغ وانه لا يوجد عليه من قبل الحكومة اي دعوى كانت ضد تصرف وتملك الفريق الأول على كامل المبيع او اي قسم منه وان هذا المبيع مأجور على الصورة الآتية أ ـ اراضي خفين مأجورة الى حسن بك يوسف هي وتوابعها لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول . ب ـ اراضي البطيحة مأجورة الى بكر آلوسي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول . ج ـ أراضي أم الدنانير مأجورة مع توابعها الى احمد قره جولي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول ١٩٣٤ د ـ أراضي أم الدنانير وتوابعها مأجورة ايضا الى صالح الصوفي عن مدة تنتهي في ٢٣ تشرين أول ١٩٣٧ . هـ ـ أراضي القصيرين المسجلة بأسم احد افراد الفريق الأول محمد سعيد بك اليوسف مأجورة الى بكر آغا صوفي لنهاية تشرين أول ١٩٣٦ .

رابعا : أن يصحح مساحة المبيع وحدوده تصحيحا رسميا بحيث تسجل عند اجراء الفراغ مساحته وحدوده في سجلات الطابو للمساحة والحدود التي يثبتها المهندس في الخرائط بعد تصديقها على المنوال المار ذكره في المادة السابقة وبصورة أن تكون موافقة تماما للحقيقة الراهنة والقوانين والنظامات المرعية في سوريا ، اما القسم الواقع من المبيع في فلسطين فتطبق عليه قوانين فلسطين .

خامسا ـ أن يقيم على أطراف وحدود المبيع في النقاط التي يراها مناسبة المهندس المعين من طرف الفريق الثاني لوحات من البناء أو توضع اشارات اخرى تفصل المبيع عما جاوره من الأراضي المجاورة على أن يكون مصاريف البناء على الفريق الثاني .

سادسا ـ اتفق الطرفان على تقسيم المبيع الى ستة اقسام تشير الى كل منها بالقلم الأحمر صورة تفصل كل منها عن الآخر في الكروكي المربوط مع هذه المقاولة والموقع من الطرفين والمحدود جزء منها على أن يجري تسليم المقسم رقم واحد بعد شهر واحد قبل الفراغ وأن يجري

تسلم المقسم رقم ٢ بعد سنة من تاريخ تسليم المقسم رقم ١ وأن يسلم المقسم رقم ٣ بعد سنة من تاريخ تسليم المقسم رقم ٢ وأن يسلم المقسم رقم ٤ بعد سنة من تاريخ تسليم المقسم رقم ٣ وهلم جرا الى أن يتم تسليم كافة الأقسام الستة .

من المتفق عليه بين الطرفين المتعاقدين ان يسلم كل جزء من الأجزاء الستة المذكورة من المبيع تسليما شرعيا خاليا من كل ما يمنع التصرف به ومن كل مزارع ومستأجر ومستحكر ومن كل من يطلب اي حق فيه أو عليه او على اي قسم منه بصورة لا يبقى اي علاقة لأي كان على القسم المسلم من المبيع المار ذكره أو اي جزء منه وبصورة يتمكن منها الفريق الثاني او من يقوم مقامه من احداث ووضع يده على كامل القسم المذكور بدون ادنى معارضة او منازعة وذلك بعد اتمام معاملة التصحيح وتنظيم الخرائط على الوجه المبين في البندين ١٨ ، ٢١ الآتيين من هذه المقاولة .

سابعا ـ أن كيفية التسليم هذه تجري بحق كل قسم من الاقسام الستة في المواعيد المعينة لها اعلاه اذا اقيمت اي دعوى او طلب من قبل اي كان بما فيه دعوى الأولوية والشفعة وغير ذلك بصورة تؤثر على تنفيذ مندرجات هذه المقاولة بمواعيدها المضروبة او على تملك وتصرف او وضع يد الفريق الثاني او من يقوم مقامه أعتبارا من تاريخ الفراغ لحين انقضاء مدة مرور الزمن بحسب القوانين المرعية في سوريا بحق الأراضي الواقعة في سوريا وبحسب القوانين المرعية في فلسطين بحق الأراضي الواقعة في فلسطين ، فعلى الفريق الثاني أن يطلب ادخال الفريق الأول في الدعوى بحق الرجوع وعندها يتوجب على الفريق الثاني أن يتولى الدفاع في هذه الدعاوى على مسؤوليته وعلى نفقته الخاصة ، فاذا ثبت للمدعي بحكم على حق ما فأن الفريق الأول مسؤول عن نتيجة تلك الدعوى على ان حصول أي دعوى او طلب أو ادعاء من أي كان لا يعتبر عذرا ولا يجوز للفريق الأول بالاستناد على ذلك تأخير تنفيذ مندرجات هذه المقاولة .

ثامنا ـ يتعهد الفريق الأول باحضار وتنظيم وتوقيع جميع الأوراق والمستندات التي تطلبها دائرة الطابو أو اي دائرة رسمية أخرى والتي تكون مدارا لازما لاجراء الفراغ النظامي واتمام تنفيذ شروط هذه المقاولة .
ثم تتناول المواد من ٩ الى ١٣ واجبات الفريق الأول حول صحة المستندات ودفع الرسوم والقيام بكل اجراء لتسليم الأرض .

تعهدات الفريق الثاني : وقد تعهد الفريق الثاني :

الرابع عشر ـ أن يقبل فراغ البيع لأسمه ولأسم من يختاره من

شخص او اشخاص من التبعية الفلسطينية بعدم قيام الفريق الأول ، بالشروط التي ترتبت عليه بموجب هذه المقاولة وفي ضمن المدة التي ستذكر فيها على انه يجوز ومن حق الفريق الثاني أن يطلب فراغ المبيع على صفقات عديدة وأجزاء متعددة ضمن المدة المضروبة بأسم شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية متفوقة بشرط حفظ وتأمين حقوق الفريق الأول بما يختص ببقية دينه الذي سيبقى له بموجب البند ١٥ الآتي للذكر.

الخامس عشر ـ يدفع ثمن المبيع وقدره نصف جنيه فلسطيني عن كل دونم بأعتبار مساحة الدونم ٩١٩١/٣ متر مربع بالغا ما بلغت من الدونمات بحسب المساحة المنصوص عليها في المادة٣ من هذه المقاولة والتي سنتخذ أساسا للفراغ وذلك على المنوال التالي :

ا ـ ربع ثمن كامل المبيع بيوم وعند اجراء الفراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني من شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية .

ب ـ الباقي من الثمن أي ثلاث أرباع الثمن تدفع على خمسة أقساط متساوية كل قسط منها يدفع بنهاية كل سنة تمر على الحساب الغربي اعتبارا من تاريخ فراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني مع اضافة فائدة خمسة في المابة سنويا عن ذلك ...

ثم تسهب المواد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ في شروط اخلاء المبيع وتسليمه خاليا من الفلاحين (والشواغل الأخرى) وتشترط تشغيل الفلاحين المطرودين في اراضي أخرى لمدة سبع سنوات ، ولا ريب أن المشترين اليهود يريدون بذلك ضمان استقرارهم ٧ سنوات ليقيموا منشآت في الارض للمهاجرين اليهود وتنقطع كل صلة بين الفلاحين العرب وبينها ، ولكن المادة تشترط اخلاء القسم رقم ١ من الأرض فورا وأقصاء الفلاحين بتشغيلهم أو الى الأراضي الأخرى ، وتعد المادة البائعين بمكافآت مالية أن هم استطاعوا تخلية الأرض من الفلاحين الفلسطينيين وضمنوا تشغيلهم خارجها للغرض الذي أوضحناه ، ويجيء نص الفقرة ب من المادة ١٨ كما يلي :

ب ـ اذا لم يتمكن الفريق الأول من أشغال أكثر من نصف الفلاحين المزارعين بأشغال زراعية خارج المبيع بشروط يماثل وقعها على الأقل لحالة انتفاعه الحالية وذلك لمدة لا تقل عن ٧ سنوات فيتوجب على الفريق الثاني (اليهودي) دفع مبلغ ١٠ آلاف ليرة فلسطينية فقط .

ج ـ ان هذه المبالغ تدفع على الوجه التالي :

١ ـ ٧ آلاف جنيه فلسطيني بعد مرور ١٥ يوما من تاريخ اطلاع

الفريق الثاني على الأذن المبحوث عنه في البند ١٠ من هذه المقاولة ويؤمن هذا المبلغ عند الدفع بطريق بيع الوفاء أو التأمين بالدرجة الثانية على ملك أحد أفراد الفريق الأول محمد سعيد بك اليوسف في القصيرين لمدة وجوب فراغ وتسجيل المبيع بشرط أن يوضع هذا المبلغ أمانة بأسم السادة سعيد بك الفزي وعمر بك اليوسف ونقولا أفنديالريس مجتمعين غير منفردين ويصرف فقط في سبيل تنفيذ أحكام البند١٧ من هذه المقاولة. ومن المفهوم بين العاقدين أن اراضي الدميرين مرهونة حاليا لدى البنك الزراعي من قبل محمد بك اليوسف على مبلغ خمسة آلاف ليرة دينارية سورية ذهبا المعادلة كل ليرة دينارية الى ليرة أفرنسية ذهبا .

٢ ـ ثلاثة آلاف جنيه فلسطيني بيوم اجراء الفراغ وتسجيل كامل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني على أن تكون تابعة لنفس الشروط المتعلق بوضعها أمانة بأسم السادة المومى اليهم .

٣ ـ عندما يثبت الفريق الأول للفريق الثاني أن ٧٥ في المائة من الفلاحين على الأقل قد تركوا المبيع واشتغلوا بعمل زراعي بأرض خارج المبيع لمدة لا تقل عن ٧ سنوات يتوجب على الفريق الثاني أن يدفع الى الفريق الأول مبلغ ٥ آلاف ليرة فلسطينية تتمة مبلغ الخمسة عشر ألف ليرة فلسطينية . من المفهوم بين الفريقين أن ما ورد في هذه المادة لا يؤثر على مسؤولية الفريق الأول في ما يتعلق باخراج الفلاحين وتسليم كامل المبيع على ما هو منصوص عنه في هذه المقاولة .

التاسع عشر ـ أن يوقع رسوم الفراغ والرهن ونصف مصاريف المساحة وأجرة المهندس كما هو مذكور في البند ٣ وأما بقية الرسوم والمصاريف فتقع على الفريق الأول .

عشرون ـ لما كان الفريقان اتفقا على تسديد قيمة الثمن بأقساط يدفع منها الربع نقدا عند الفراغ بعد استلام الفريق الثاني القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط في الثلاثة أرباع الباقية فتسدد تدريجيا على خمسة اقساط متساوية على الصورة في البند ١٥ من هذه المقاولة معلنة برهن كامل المبيع ، لذلك يتعهد الفريق الأول على الصورة الآتية :

١ ـ عند دفع القسط الأول من بدل الرهن الذي يستحق بعد سنة من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن نصف القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٢ ـ عند دفع القسط الثاني من بدل الرهن الذي يستحق بعد

سنتين من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن النصف الثاني من القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٣ ـ عند دفع القسط الثالث من بدل الرهن الذي يستحق بعد ثلاث سنوات من تاريخ الفراغ والرهن يفك الرهن من القسم المرقم برقم ٢ في الكروكي المربوط .

٤ ـ عند دفع القسط الرابع من بدل الرهن الذي يستحق بعد اربع سنوات من تاريخ الفراغ والرهن من القسط المرقم برقم ٣ من الكروكي المربوط .

٥ ـ عند دفع القسط الخامس من بدل الرهن الذي يستحق بعد خمس سنوات من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن القسم الرابع المرقم برقم ٤ ، ٥ ، ٦ في الكروكي المربوط أي بقية الأرض المرهونة .

من المتفق عليه بين الفريقين ان ما ورد في هذا البند لا يؤثر على تعهدات الفريق الأول .

تعهدات الفريقين معا ـ قد تعهد الفريقان :

احدى وعشرين ـ ان ينفذ شروط هذه المقاولة بالتمام والكمال ضمن المواعيد المضروبة ادناه أولا :

أ ـ ثمانية أشهر أعتبارا من تاريخ هذه المقاولة لأتمام تصحيح المساحة والحدود تصحيحا رسميا .

ب ـ اربعة عشر شهرا اعتبارا من تاريخ اليوم لأخلاء وتسلم القسم المشار اليه في الكروكي برقم ١ من كل مزارع ومستأجر وغير ذلك من اي كان له اي علاقة بالقسم المذكور .

ج ـ خمسة عشر شهرا من تاريخ هذا العقد لاحضار واتمام جميع المعاملات واجراء الفراغ النظامي لأسم الفريق الثاني او لأسم من يختاره الفريق الثاني من شخص او اشخاص من التبعية الفلسطينية بصفقة او بصفقات متعددة على ان يبقى الى الفريق الأول بالزام الفريق الثاني بعد انقضاء مدة سنة بقبول الفراغ واحدى عشر شهرا لأستلام القسم الاول

د ـ ان بقية الأقسام تسلم وفقا لأحكام البند السادس من هذه المقاولة .

اثنا وعشرين ـ يصرح الفريق الاول بأنه اتخذ عنوانا له مكتب المحامي سعيد بك الغزي في محلة السنجقدارفي دمشق الشام وكل مخابرة

ومعلومية أو انذار سيرسل الى العنوان المذكور بموجب انذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

ثلاثة وعشرين ـ يصرح الفريق الثاني بأن عنوانه هو الخواجه يشوع هانكين شارع اللنبي تل ابيب وكل اخبار او معلومية او انذار سيرسل اليه في العنوان المذكور بموجب انذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

اربعة وعشرين ـ أتفق الفريقان بأن الحق والصلاحية لكل منهما بمواجهة المحاكم المختلطة او الوطنية بالشام أو بيروت أو فلسطين بخصوص أي فصل أو خلاف يعمل بينهما بما يتعلق بهذه المقاولة أو ما تفرع عنها .

خمسة وعشرين ـ ان كلا من افراد الفريق الأول يعلن بأنه قد كفل وضمن رفقائه الآخرين في تنفيذ جميع مندرجات هذه المقاولة بحيث جميع افراد اجزاء الفريق الأول قد أصبحوا متكافلين متضامنين بعضهم البعض.

ستة وعشرين ـ يحق للفريق الثاني أن يمتنع عن دفع القسم المستحق من الرهن بموعده المعين بحال عدم أخلاء القسم الواجب تسليمه من الأرض قبل أستحقاق ذلك القسط وفقا للبند السادس من هذه المقاولة وليس للفريق الأول حق المطالبة بذلك ويحق للفريق الثاني مطالبة الفريق الاول بالغرامة المنصوص عليها في البند ٢٨ من هذه المقاولة .

سبعة وعشرين ـ يتعهد الفريق الاول ان يقوم بشروط هذه المقاولة بالتمام والكمال فاذا خالف احدهم او اي فرد من افراده بشرط من شروط هذه المقاولة أو نكل أو تأخر عنه ينذر ، فاذا كان النكول أو التأخر حصل قبل وقوع الفراغ وتسليم القسم الأول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسين الف ليرة فلسطينية لقاء عطله وضرره واذا حصل النكول أو التأخر بعد حصول الفراغ وتسليم الأول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة فلسطينية فقط وبكل حالة من الحالتين لا حاجة للأخطار والأنذار لأن النكول أو التأخر يقوم مقامه ، وعدا عن العقوبة المنصوص عنها بهذا البند يبقى الفريق الأول ملزما باعادة جميع الأموال التي تكون دخلت عليه من الفريق الثاني .

ثمانية وعشرين ـ يتعهد الفريق الثاني بالقيام بجميع شروط هذه المقاولة بالتمام والكمال واذا نكل احكامها أو خالفها أو تأخر عن انفاذ مندرجاتها أو عن شرط من شروطها يكون ملزما بدفع مبلغ خمسين ألف ليرة الى الفريق الأول .

ثم تتناول الفقرتان التاسعة والعشرون والثلاثون بعض التفصيلات عن حق الايجار اثناء مدة التسليم ثم تأتي المادة الواحدة والثلاثون معبرة اوضح تعبير عن حيل اليهود وضعف روح البائعين (غير الفلسطينيين) الذين قبلوا العمل على مقاضاة واخراج ابناء فلسطين من اراضيهم .

احدى وثلاثون ـ اضافة على الايجار المبحوث عنه أعلاه ولكي يتمكن الفريق الأول بتعهده لأخراج الفلاحين من المبيع واخلائه منجميع الشواغل نفاذا لأحكام المقاولة فان الفريق الثاني يعطي وكالة لكل من محمد سعيد بك وعمر عادل بك ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ومحمد منيف بك ابن راشد بك اليوسف تخولهم حق مخاصمة الفلاحين والمستأجرين وكل شخص يعتدي على المبيع الذي بقي بايجار الفريق الأول على أن يكونوا مجتمعين ومنفردين ، وبيانا لحقيقة الحال صار تنظيم هذه المقاولة على نسختين باتفاق الفريقين واستلم كل منهما نسخة حسب الأصول وتحريرا (٣٨) .

١٦ آذار سنة ١٩٣٤

شفيقة اليوسف ، برانت اليوسف ، وجيهة اليوسف ، فائزة العظم ، اسعاف اليوسف ، محمد سعيد اليوسف ، احمد راتب ، عمر اليوسف ، حسن اليوسف .

THE PALESTINE LAND DEVELOPMANT Co LTD. TON. E. HANKIN.

شهود الحال : يوسف الأصفر ، توفيق شامية

الجدول ، البطيحه ، الدكه ، تل ابن اعور ، أم عجاج ، جبيله حسينيه ، كنف التعتا ، كفر عارب ، سعدية الرشيد ، سيل الشقيريه ، زينه ، كنف الفوقا ، خورخه ، شقيف ، جدبا ، خسفيه ، ام الدنانير النصبانيه ، المنصورة بحدودهم وتواريخ الطابو (والخنسره والصلبه والنوانيه وفخلية بأسم سعيد بك اليوسف والمرهونة لدى المصرف الزراعي) .

***

هذه أحداث مختلفة تتعلق بقضية الأرض في فلسطين ، ان اجزاء عديدة وكبيرة ومهمة انتقلت الى اليهود اولا بفعل القوانين البريطانية

(٣٨) تسلمنا صورة هذا العقد من الاستاذ فوزي الفصين وكيل النائب العام بفلسطين سابقا والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقا . ونشرناه كما هو دون اصلاح اخطائه اللغوية الكثيرة بلغته الاصلية .

العديدة، من قانون الارض الى قانون نزع الملكية الى قانون التسوية وغيرها، وثانيا بفعل الاقطاعيين الكبار من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة في بلد صغير ، واذا كانت مواد هذا العقد الذي أثبتناه آنفا تفيد ان بعض تلك الاراضي كان محاذيا لفلسطين ، وان بعضها الآخر كان في فلسطين محاذيا لسوريا ، فان هذا يسوقنا الى ادراك التنظيم اليهودي الذي يهدف الى حصار فلسطين وتوسيع رقعة أملاكهم فيها ، واخذ الأجزاء المهمة لا سيما تلك التي تفصل عرب فلسطين عن أشقائهم في البلاد المجاورة .

١١ ـ الاراضي المجاورة للبنان :

وتلك حدود لبنان مع فلسطين تسرب اليها اليهود بأساليب مختلفة.

وليس أقلها ما كشفته جريدة عربية (٣٩) حين نشرت صورة زنكوغرافية لعقد مشاركة بين اسماء عربية لبنانية وجماعة يهودية تستهدف بيع الأراضي لليهود ، ولقد احدث نشر تلك الوثيقة رجة في الاوساط العربية حتى ان المجاهد الفلسطيني صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر لم يشأ أن يصدق ما نشرته الجريدة العربية وخاله مزورا مدسوسا ، فأبرق يسأل السيد الأحدب رئيس وزراء لبنان والوارد أسمه في الوثيقة ، وأخيرا اعلن أن الوثيقة صحيحة .

ونضع هنا تلك الوثيقة الى جانب ما لاقى عرب فلسطين من ويلات عربية كانت تسهم في نكبتهم الى جانب ويلات الأنجليز واليهود :

« نحن الموقعين أدناه خير الدين الأحدب وصفي الدين قدورة فريق اول وجوزف خديج وميشال سرجي فريق ثاني ومراد دانا والياس الحاج فريق ثالث ، اتفقنا بعد أن أقسم كل منا بالله تعالى وبشرفه ووجدانه ان نقوم مشتركين لمشترى وبيع مقدار مائة ألف دونم وكسور من أراضي صور وصيدا الى الشركات الفلسطينية بأسعار متفق عليها بيننا كي يجري فراغها للشركات المذكورة بعد أن تضم اليها الأرباح بحسب الأتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصنقات ، وقد اتفقنا ايضا على أن تكون الأرباح بحسب الأتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصفقات ، وقد اتفقنا ايضا على

(٣٩) جريدة الف باء السورية : دمشق ٧ من اغسطس (آب) ١٩٣٧ .
(٤٠) جريدة الشباب القاهرية ٢٥ من اغسطس (آب) ١٩٣٧ .

ان تكون الأرباح مقسمة على الوجه الآتي وذلك بعد خصم النفقات :

للفريق الأول خير الدين الأحدب وصفي الدين قدورة بالمائة أربعين .

للفريق الثاني جوزيف خديج وميشال سرجي بالمائة خمسة وعشرين .

للفريق الثالث مراد دانا والياس الحاج وشركاهم بالمئة خمسة وثلاثون تتمة المائة سهم من الأرباح الصافية . اما الوظائف فهي كما يلي :

على الفريق الأول خير الدين الأحدب وصفي الدين قدورة المشترى والتسجيل .

على الفريق الثاني جوزف خديج وميشال سرجي وظيفة أمين سر الصندوق والمحاسبات ودفع أثمان الأراضي والنفقات ويفوض اليهم قبض الأموال من الشركات (اليهودية طبعا) وتوزيع الأرباح عن أجراء بيع كل صفقة .

على الفريق الثالث مراد دانا وشركاه ايجاد المشتري بأسعار تعود بالنفع على جميع الموقعين ادناه .

وقد اتفقنا على أن يطلع على النفقات السرية التي تتطلبها المصلحة قبل صرفها كل من السادة جوزف خديج وخير الدين الاحدب ومراد دانا وقد حرر ثلاث نسخ تسلم كل فريق نسخة واحدة من هذا الأتفاق .

بيروت ١٩ آب (أغسطس) ١٩٣٥

التوقيعات : خير الدين الأحدب ، ميشال سرجي ، الياس الحاج ، صفي الدين قدورة ، مراد دانا ، يوسف خديج .

على أن شهادة رسمية سجلت في مضابط لجنة التحقيق أداها الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية توضح ما اسلفنا وتعلن ان تسعة اعشار الاراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩ اشتراها اليهود من ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين (٤١) .

وقال الدكتور وايزمان في مذكراته : « مع ضآلة المبالغ المخصصة فأننا تمكنا في صيف ١٩٢٠ من شراء الأرض الأولى في مرج أبن عامر وهي أكبر قطعة أشتريناها حتى ذلك الوقت ومساحتها ٨٠ الف دونم ، وكانت هذه الأرض تخص عائلة سرسق من الملاكين اللبنانيين ، وعليها بعض القرى

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٧ .

العربية المهلهلة المهملة المهددة بالملاريا ، وظننا أن السعر الذي دفعناه كان عاليا ، ولكن الوقت اثبت انه لم يكن كذلك (٤٢) .

ودكتور روبين حين يعلن ان مجموع ما اشتراه حتى عام ١٩٢٩ كان تسعة اعشاره من ملاكين غير فلسطينيين ليس معنى هذا ان ما بعد ذلك التاريخ كان من الفلسطينيين ، فأن ذلك يتعلق بتاريخ الشهادة التي اعطاها امام لجنة التحقيق عام ١٩٣١ ، والا فأن ما نشرناه من الصفقة الحزينة في وادي الحوارث ووادي القباني وقرى آل اليوسف واتفاقية بيروت مع قدورة والاحدب واليهود ، كل ذلك على ما فيه من مساحات تضم قرى عديدة وآلافا بل مئات آلاف الدونمات انما كان في عام ١٩٣٤ وما بعده .

والآن وبعد أن أثبتنا تلك القوانين البريطانية الجائرة التي أعملت مشرطها في الأرض العربية تقصها وتسلبها وتملكها للصهيونية ، وقدمنا نماذج من تلك الأوامر القاسية والأباحة الخطيرة في الأستيلاء برغم أنف المالك ، وقدمنا أيضا صورة ثانية من الأقطاعيين السوريين واللبنانيين الذين ملكوا في فلسطين ثم باعوا أراضيهم لليهود فجنى شعب فلسطين الشوك والالم والطرد من اراضيه ، حان الوقت ان نتحدث عن الاراضي التي تصرف فيها الفلسطينيون أنفسهم تحت ظروف متباينة .

فلقد ضيقت بريطانيا الخناق على عرب فلسطين وعملت على ارهاقهم بالديون والرهون ، وأقفلت أمامهم أسواق منتجاتهم حتى بخست أثمانها وحل الأفلاس بالعديد منهم وأصبحت السلعة الوحيدة التي يمكن الحجز عليها من المحاكم البريطانية بفلسطين هي الأرض العربية .

ولنستمع في هذا الى المستر فرنش الخبير البريطاني الذي أرسلته حكومته الى فلسطين عام ١٩٣٠ فأدان حكومته في تقريره المنشور عام ١٩٣١ « لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين لا أرض لهم ، ولقد عرض على كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة المطالبة بالديون أراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربقة هذه الديون » .

اما اسباب هذه الديون وحالة الفقر التي يعيشها الفلاح العربي

(٤٢) مذكرات وايزمان ، ص ٩٦ . (مترجمة بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة) .

فيوضحها تقرير المستر جونسون البريطاني نائب مدير المالية الذي يقول : « لقد زاد شقاء الفلاح عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩٪ الى ٣٣٪ وزاد ايضا شقاؤه عندما منع استيراد كل ما يمكن ان تنتجه المصانع اليهودية بينما ترك باب التجارة مفتوحا بالنسبة الى الانتاج العربي ، فمن حق اليهود أن يستوردوا القمح والشعير كلما وجدوا سوقا لبيعها مهما كان هذا الاستيراد ضارا لمصالح العرب ومفلسا لهم ، وليس للعرب أن يستوردوا شيئا من تلك التي ينتجها اليهود » . وانها لصورة بيانية لم تصدر من عربي فيتهم بالمبالغة او التحيز ولكنها صادرة من بريطانيين كلفا رسميا بالبحث والتدقيق. وماذا يمكن ان يفعل شعب خلقت القوانين لتسلط عليه لا لتصونه أو تحميه ، وفتحت امامه ابواب القروض من بنوك مولها اليهود ، واقبل مصدقا انه يمول ارضه ويزرعها ثم يسدد من محصولاته حتى اذا نضجت ثماره سلط عليه الانتداب البريطاني مواد قوانينه فمنع ما يمكن تصديره ، وفتح باب الاستيراد المنافس ، وهزلت أسعار منتجاته التي تكدست في الاسواق ، واضطربت مقاييس حسابه فبيعت حاصلاته بأرخص الأثمان حتى لا تكاد تفي بالضرائب المفروضة .

وهي خطة مبيتة لسلب الأرض وأرغام ملاكها على بيعها ، ولنقدم هنا شهادة الخصم حيث لا نزاع في صدقها ولنثبت أحاديث سير واكهوب المندوب السامي البريطاني الذي يقول : « ان دخل المزارع العربي ضئيل جدا يتراوح بين ٢٠ الى ٢٥ جنيها في العام بينما هو مطالب أن يدفع ٢٢ جنيه كنفقات زراعية وخمسة جنيهات للنفقات الضرورية لمعيشة أسرته ويصبح مجموع نفقاته ٢٧ جنيها بينما وارده ٢٥ جنيه على أحسن تقدير (٤٣) » .

وتنادى شعب فلسطين وتقدم المجلس الاسلامي الاعلى يحاول انقاذ الموقف ، وتدخل مشتريا وسط الحجوزات البريطانية ، وفي خضم الأموال اليهودية الطائلة ، ومع ثقل المهمة وصعوبتها أشترى في بعض الأماكن قرى بأكملها كقرية دير عمرو وقرية زينا التي دفع في سبيلها ٥٤٠٠٠ جنيها استرلينيا ، وكذلك الأرض المشاعة في قرية الطيبة وعتيل والطيرة ، ونهض صندوق الأمة أيضا فأشترى بعض الأراضي من الذين أثقلهم الدين والرهونات ، ودخل في قضايا عديدة حتى أنتشل اراضي البطيحه وعرقل بيعها وحمى حقوق المزارعين .

(٤٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .

ويقول باحث عربي : « على الرغم من جهود الحكومة وقوانينها وانظمتها وجبروتها ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة (الخيالية في كثير من الأحيان) التي كان اليهود يعرضونها ثمنا للأراضي وعلى الرغم من وسائل الأغراء الأخرى الكثيرة التي كانوا يلجأون اليها ، فأن جمهور الشعب الفلسطيني العربي صمد في وجه الاستعمار والمال والاغراء ، وصان أراضيه وعروبة فلسطين ، فقد بلغت مساحة الأراضي التي باعها الفلسطينيون لليهود بموجب العقود الحكومية المسجلة هي ٢٥٠ الف دونم فقط وقع كثير منها تحت ظروف قاهرة وبعضها نتيجة لقانون نزع الملكية (٤٤) » .

فاذا وجدنا ان مجموع ما يملكه اليهود من اراضي فلسطين حتى عام ١٩٤٨ هو حوالي ٢ مليون دونم ، فعلينا أن ندرك تلك المتاعب التي أوجدت فيها بريطانيا عرب فلسطين ، وعلينا أن ندرك أيضا تلك المساحات الهائلة التي صادرتها بريطانيا أو باعتها لليهود أو منحتها لوكالتهم اليهودية أو تلك المساحات الهائلة التي باعها عرب لبنانيون وسوريون وليسوا فلسطينيين .

واذا القينا نظرة على احصائية هامة اصدرها احد الفنيين (٤٥) ، من خبراء الأراضي أستقاها من سجلات دوائر الأنتداب ، أدركنا مدى القوة الصادقة التي تذرع بها شعب فلسطين وحافظ بها على أرضه الى انتهاء الانتداب البريطاني بعد ثلاثين عاما من العرق والدم والظلم ، حيث كان وضع الأملاك كما يلي :

١ — يملك العرب من أراضي فلسطين	١٢ر٥٧٤ر٧٧٤ دونم
٢ — املاك حكومية (وهي عربية بحكم حق الوطن)	١٢،١١٤،٥٠٠ دونم
٣ — يملك اليهود من أراضي فلسطين	١،٤٩١،٠٠٠ دونم
٤ — تملك طوائف ليست عربية ولا يهودية	١٤٢،٠٥٩ دونم

وتقول تفصيلات أعلنتها جامعة الدول العربية أن العرب يملكون في فلسطين المحتلة من المدن ومسطحات البناء والحمضيات والاشجار المثمرة الأخرى واراضي زراعية وأراضي غير قابلة للزراعة ما مجموعه ٧،٤٨١،٩٦٧ دونم ، وتملك الحكومة من البيانات السابقة ما مجموعه ١١،٣٥٥،٠٥٩ دونم، واذا جمعنا هذين البندين بأعتبار العرب أصحاب الحق في أملاك حكومة أنتدبت على بلادهم كان معنى هذا أن العرب يملكون في فلسطين المحتلة

(٤٤) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٨ — ٤٩ .
(٤٥) جامعة الدول العربية « املاك العرب واموالهم المجمدة في فلسطين المحتلة » ص ٢٦

مـا مقداره ١٨،٨٣٧،٠٢٦ دونم وكان ما تملكه طوائف ليست عربيـة ولا يهودية ١،٠٥،٢٣١ دونم وهنا يتضح ان ما يملكه اليهود في اسرائيـل نفسهـا هـو ١،٤٧٥،٧٦٦ دونم وتصبح النسبة المئوية حينئذ هي أن العرب يملكون ٩٢،٢٥ ٪ بينما لا يملك اليهود الا ٧،٢٣ ٪ ، وقد اقر الصهيونيون أنفسهم انهم أقاموا ٣٥٠ مستعمرة يهودية على أملاك الغائبين العرب من مجمـوع ٣٧٠ مستعمرة اقيمت بين سنوات ٤٨ / ١٩٥٣ ، كما يعيش اكثر من ثلث السكان اليهود في أملاك اللاجئين ، ويعيش ٢٥٠،٠٠٠ نسمة وهم ربـع المهاجرين حتى عام ١٩٥٣ في المدن بأملاك العرب ، بل ان مدنا كيافا واللـد والرملة وبيسان ومئات من القرى التي لم يكن بها ساكـن يهودي واحـد اصبحت بهم آهلة ، وتفيد المصادر اليهودية ذاتها ان دخل ٢٣ الـف دونم من بساتين الحمضيـات التـي تخص العرب بلـغ عـام ٥١/ ١٩٥٢ ١،٢٥٢،٠٠٠ صندوق من الاثمار ، وهذا يعادل نصف ما صدرته اسرائيل في ذلك العام ، ويقدم الخبير الفني الذي استعانت به الجامعة العربيـة احصائية مفصلة عما كان يملك اليهود في مختلف مناطق فلسطين كما يلي :

البلدة	عرب وآخرون	يهود
صفد	٦٨٪	١٨٪
طبريا	٥١٪	٣٨٪
الناصرة	٥٢٪	٢٨٪
جنين	٨٤٪	١٪
طولكرم	٧٨٪	١٧٪
القدس	٨٤٪	٢٪
يافا	٤٧٪	٣٩٪
بئر السبع	١٤٪	١٪
عكا	٨٧٪	٣٪
بيسان	٤٤٪	٣٤٪
حيفا	٤٢٪	٣٥٪
نابلس	٧٦٪	١٪
رام الله	٩٩٪	١٪
الخليل	٩٦٪	١٪
الرملة	٧٥٪	٤٪

يقول جون جلوب القائد الذي خطط للنكبة وأسهم فيها « أن افظع ظلم في مشروع التقسيم الذي اقرته الأمم المتحدة هو أن النقب الذي يمتد من بئر السبع الى العقبة مسافة مائتي ميل أعطي لليهود ولم يكن فيه يهودي واحد ولم يسكنه اليهود عبر التاريخ قط » (٤٦) .

وتفيد احصائية مهمة ان مساحة الأراضي المزروعة بفلسطين خـلال عام ٤٤/١٩٤٥ كانت تثبت ان العرب أصحاب المساحة الكبرى برغم كـل ما تعرضوا له خلال سنين طويلة من الانتداب ، وكانت تلك الاحصائيـة

(٤٦) « جندي مع العرب » ، ص ٦٤ .

تتضح فيما يلـي : « كان مجموع الأراضي العربية المزروعة خلال ذلـك العام بالحبوب والخضراوات والفواكه (عدا الحمضيـات) والزيتـون والبطيخ هو ٢،٤٤٢،٧٣٠٠٠ دونما بينما لم تتجاوز الاراضي اليهودية المزروعة نفس الأنـواع ٣٥٩،١٧٧ وقد أعطت تلك الأراضي العربية ما مجموعـه ٦٦٢،٧٢١ طنا بينما لم تعط الاراضي اليهودية اكثر من ١٠٢،٦٨٢ طنا»(٤٧) ولا يكون ناتـج هـذا الا أن العرب كانـوا يتصرفون خـلال عام ١٩٤٥ فيما نسبته ٩٢٪ من تلك الأراضي بينما كان اليهود لا يتصرفرن في غير مـا نسبته اقل مـن ٧،٥٪ منها ، وليس من ريب أن عام ١٩٤٥ كان عـام الأعداد للنكبة وكان اليهود في أوج قوتهم المادية والاقتصاديـة ومع هـذا لم يملكوا الا الجزء القليل من فلسطين .

١١ ـ حفاظ شعب فلسطين على ارضه :

وهذا البحث الذي سرنا فيه مع موضوع الأرض في فلسطين ، ليـس الا تجسيما للحقيقة المهمة التي تتلخص في أن عرب فلسطين حافظـوا على ارضهم محافظة مجهدة ، متعبة ومصممة ، بل محافظة لم يتحقق مثلها في بعض البلاد العربية الأخرى التي نكبت بالاستعمار ، فقد ملك الفرنسيون في تونس بوسائلهم العديدة ما يتجاوز ثلث أرضها ولم تعد الا بعد الاستقلال. وملكوا في الجزائر معظم اراضيها الزراعية حتى حطمت الثورة برنامـج الفرنسة ، بل ملك الاجانب في مصر نسبا كبيرة لم تلغ الا حينما صدر قانون الثورة بمنع تملك الأجانب ، وتملك الايطاليون كل الأرض الزراعية فـي ليبيا ، اغتصبوا بعضها وصادروا بعضها الآخر واشتروا بحيلهم اجزاء أخرى حيث كان شعب ليبيا يبعد الى الصحراء رويدا رويدا حتى أعاد له جهاده واستقلاله أرضه ، وأن كان قسم منها ما زال ملكا للايطاليين (٤٨)

غير ان تلك البلدان لم تمس في سمعتها ، ولم يفتر عليها ، ولم يشنـع بهـا ذلك لأنها تحالفت مع النصر وكتب لها أن تفوز في معركتها ، على حين لم ينتصر الفلسطينيون في معركة كانت أهم من معارك العرب الأخرى ، وكان الجهد عليهم أكبر وأقوى ، ولكن الصهيونية عدو خطير نشط ، أنها لـم

(٤٧) علي محمد علي وابراهيم الحمصاني : فلسطين في ماضيهـا العربي وحاضرهـا الصهيوني ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٨ .

(٤٨) ملك الايطاليون بليبيا كل السهل الساحلي والجبل الاخضر ، وعقدت اتفاقية بين البلدين عام ١٩٥٦ أعادت بعض الاراضي المغتصبة واعترفت للايطاليين بما تملكوا ، فباع كثير منهم املاكهم وما زال البعض يواصل تملكه .

تكتف باحتلال الديار وتهجير شعبها ، بل اذاعت على الأفواه وفي الأسماع انها انما اخذت أرضا اشترتها ، وسرعان ما تلقف ضعاف النفوس هـذا القول فصار لازمة يرمـون به كل فلسطيني ، وينالـون منه في اساءة بالغـة ، والتاريخ شاهد على غير مـا يقولون والمستنـدات تعطي لكـل فلسطينـي وسامـا واكبـارا .

يقول صحافي عربي مشهور : «من المؤلم حقا ان يقال في المجالس الخاصة او يكتب في الصحف من وقت الى آخر ان عرب فلسطين قد قصروا تجاه انفسهم وفي حق بلادهم ففرطوا في ارضهم وباعوهـا لليهـود ولم يدافعوا كما يجب عن وطنهم فلم يضحوا في سبيله الى غير ما هناك من تهم باطلة ، حرام ان يلصق بهؤلاء الأخوان الذين نكبوا في أشخاصهم وعائلاتهم وبلادهم وكل ما هو عزيز لديهم ، هذا الافتراء الذي يخالف الحقيقة بالواقع ويخدم العدو الذي سرق جزءا مـن الوطن العربـي ويتربص بالعرب ليسرق مـن وطنهم جزءا آخـر . يا ناس .. عرب فلسطين قـاوموا الى أبعد حدود المقاومة واقدموا على اعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهـم ويحافظوا على وطنهم . قاوموا الاغراء بالمال ، يوم كان اليهود يدفعون لهم الف جنيه ثمنا لارض تساوي مائة جنيه ، الانجليز حاربوهم بالارهاب ، واليهود حاربوهم بالدس والتزوير ، حكومة فلسطين الانجليزية سنت قوانيـن جائرة الغرض منها انتزاع الارض من العرب واعطاؤها لليهود ، كانت تحرم الحلال وتحلل الحرام ، لخدمة اليهود وللاضرار بالعرب .. منعت ابنـاء البلاد العربية ان يقيموا في فلسطين وفتحت اليها أبواب الهجرة اليهودية .. السجون امتلأت بالعرب الابرياء في حين أن المجرمين اليهود كانوا يمرحون في البلاد أحرارا .. ثار العرب مرة بعد مرة ، تظاهروا ، اضربوا عن العمل ، حملوا السلاح ، قاتلوا في المدن وفي القرى وفي الجبال ، شهداؤهم يعدون بالآلاف ، تضحياتهم الضخمة لاتتناسب مع عددهم ومساحة بلادهم .. حرام أن يظلمهم المفترون ، وعار ان يكون المفترون أحيانا من العرب انفسهم »(٤٩).

وهكذا يبين واضحا برغم المعركة غير المتكافئة طوال تاريخ الانتداب البريطاني ، أن عرب فلسطين كانوا هم الجانب الأكثر مناعة في الحفاظ على ارضهم والتشبث بها برغم سياسة الافقار ، واغتصاب الديار .

١٢ ـ توينبي يشهد لعرب فلسطين :

وكان موضوع تملك الفلسطينيين وتمسكهم بأرضهم ، موضوع بحث

(٤٩) حبيب جاماتي : مجلة المصور القاهرية عدد ١٩٢٧ تاريخ ١٥ من سبتمبر ١٩٦١ .

قد احدث دويا عالميا حين ارتفع من أوربي بل من بريطاني ، بـل من استاذ التاريخ الدولي في جامعة لندن ارنولد توينبي ، حيث حاضر في جـامعـة كندا ثم حين ناظر السفير الاسرائيلي في تلك البـلاد ياماكوف هرتزوك فقـال : « أنني لا زلت أقول بأن اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهـة شرعية ملكا لعرب فلسطين الذين نزحوا عنها اثناء القتال مع الدول العربية، أما ممتلكات اليهود الحقيقية فهي الممتلكات التي اشتروها بحق خـلال ثلاثين عاما من الانتداب او قبل ذلك ، وهذه الأرض التي اشتروها خـلال سنوات الانتداب انما تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التي تسيطر عليها اسرائيل في الوقت الحاضر ، أما النسبة الكبرى من الأرض في اسـرائيـل الحالية والبيوت فيها والاموال المنقولة التي يستعملها اليهود وأشجـار الفاكهة وغيرها ، فهي لا تزال حقا شرعيا للاجئين العرب الذين يعيشون على مدى البصر من تلك البيوت في ظروف قيد الشقاء والقنوط » (٥٠)

وتبعا لهذا التصريح الذي يلقيه أستاذ التاريخ الدولي في جامعـة لندن وهو الخبير بحقائق الامور في فلسطين أيام انتداب دولته ، تنهـار تماما دعوى اليهود بأنهم انما يملكون ارضا تملكوها شراء ، وأن فلسطين اصبحت ملكا لهم بذلك ، ويدحض ايضا ما نتج عن هذه الفرية من ترهات تناقلتها السن بعض العرب في عديد من الأوطان أساءوا بهـا للفلسطينيين وللتـاريخ .

على أن الاستاذ توينبي برغم اعلانه أن اسرائيل لا تملك الا مساحـة صغيرة في فلسطين ، لم يغرب عن باله ماذا كان يحدث هناك أيام سياسـة تمليك اليهود ، فهو لا يقول انهم يملكون ما اشتروه ، ولكنه يضع مفهومـا لذلك الذي اشتري ، ويقيده بأن ممتلكات اليهود الحقيقية هي الممتلكات التي اشتروها بحق ، ولست اشك في أنه يعني أن قسما من الارض قـد اشتروها ولكن بغير حق ، وهذه لا تدخل في أحصائية أملاكهم الشرعية ، ومن ذلك ما أخذوه في المزاد تحت طائلة قانون نزع الملكية ، وما أخـذوه بالممارسة تحت طائلة قانون تسوية الاراضي ، وما أخذوه هبة من دولة الانتداب لمجرد الرغبة في تمليك اليهود ، وما اخذوه انتزاعا نتيجة سياسة الافلاس التي سارت عليها بريطانيا ضد العرب في تلك العهود .

اذا طرحنا ما ملكه اليهود ومقداره على اكبر تقدير ما يوازي مليونين و ٧٥ الف دونم من ارض فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم تحت اثقـال القوانين والحيل التي اشرنا اليها فيما سبق ، تصبح النظرة الى كشـف

(٥٠) ارنولد توينبي : جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديراوي ، دار العلم للملايين بيروت، ص ١٠٨ - ١٠٩

بياني كافية جدا لايضاح ان هذه المساحة الصغيرة ملك اليهود منها مليونين وسبعة الاف من غير الفلسطيفيين بوسائل مختلفة ، وهي حين تقع تحت طائلة الفحص والتدقيق ، تتضح جوانبها كما يلي :

٦٥٠ الف دونم ما تملكه اليهود تملكا عاديا خلال قرون طويلة مدة الحكم العثماني

٣٠٠ الف دونم ما منحته بريطانيا للوكالة اليهودية مجانا .

٢٠٠ الف دونم ما باعته بريطانيا للوكالة اليهودية بثمن رمزي .

٧٥ الف دونم ـ ما منحته بريطانيا لشركة البوتاس اليهوديه مجانا

٦٤ الف دونم ما باعته بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية بثمن رمزي

١٨ الف دونم ما منحته بريطانيا لشركه الكهرباء اليهودية مجانا.

٢٢ الف دونم ما باعته بريطانيا لليهود من الاوقاف المسيحية .

١٦٥ الف دونم ما باعته اسرة سلام لليهود .

٤٠٠ الف دونم ما باعه آل سرسق لليهود .

٣٩ الف دونم ما باعته اسرة التيان لليهود .

٧٤ الف دونم ما باعته اسر التويني والقباني وشمعة والقوتلي والجزائرلي وآل يوسف .

٢٠٠٧ آلاف المجموع

ما ملكه اليهود حتى انتهاء الانتداب البريطاني	٢،٠٧٥،٠٠٠ دونم
ما سلب حسب الكشف اعلاه	٢،٠٠٧،٠٠٠ دونم
ما ملكه اليهود من اهل فلسطين باوامر المندوب السامي والاغتصاب ومختلف القوانين وغيرها	٦٨،٠٠٠ دونم

والنتيجة لهذا كله ان عرب فلسطين لم يمكنوا الصهيونية بكل اثقالها الخطيرة من ان تتسرب الى ارضهم الا بنسبة قليلة جدا ، ويتضح لنا انه اذا كانت الاحصائية قد اوضحت ان كل ما ملكوه من عرب فلسطين مباشرة هو ٦٨ الف دونم ، جاز لنا ان نقدر من هذه المساحة كم كان النصيب الذي اغتصبته الاوامر وقوانين نزع الملكية وغيرها ليبقى بعد ذلك جزء صغير جدا لا يتعدى بضعة آلاف صغيرة مما باع بعضه اهل فلسطين ، ويقل جدا عما بيع للاجانب في أي بلد عربي آخر .

كتبت اديبة لبنانية فنالت من شعب فلسطين واتهمته بالتفريط في ارضه ، فقالت الاديبة الفلسطينية سميرة عزام بمجلة الاسبوع العربي اواخر عام ١٩٦٢ : « لن نسمح بان يأتي الحكم ادانة قاطعة للنتائج بعد تجريدها

من الظروف ، وفي سطور لا تسمح بأكثر من الانفعال العاطفي لا يمكن تقديم دراسة تشرح كيف بيعت الأرض ، وبستان الليمون ، ومركب الصيد ، لا يمكن ان نقول لها بأكثر من التلميح كيف كانت ثمة يد فوق يد الفلاح والمزارع والصياد والتاجر ، تعرف كيف تخلق كل الظروف لتباع الأرض والحقل ومركب الصيد ، وكيف تخنق كل وعي ينبه الى ان بيع ارض او حقل او مركب معناه صك لبيع وجود كامل ، ولا يمكن أن نقول لها ايضا ان الذين باعوا ليسوا كل الفلسطينيين ولا نصفهم ولا ربعهم ، وان بينهم من هم ليسوا بفلسطينيين (٥١) ، ولا يمكن لنا ان نفصل كيف ان بيع الارض قد لا يختلف كثيرا عن التمكين للاقتصاد اليهودي ـ قبل النكبة ـ بأن يمتص خيرات اكثر العواصم العربية ليرفد الصهيونية بما تستطيع ان تشتري به الارض والحقل ومركب الصيد في فلسطين » (٥٢) .

هكذا كان وضع فلسطين ، ضحية لمؤامرة كبرى دبجتها وسيَّرتها الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية خلال ثلاثين عاما ، وكان هدف هذه المؤامرة الاستيلاء على الأرض ، وأكثار اليهود حتى يكونوا أغلبية أو اقلية كبيرة فعالة ، وحرمان العرب أهل البلاد الأصليين من حقوقهم ، وثرواتهم ومزارعهم وأراضيهم ، ولقد كانت الأراضي مدار صراع عنيف بين العرب والصهاينة ، كان العرب يكافحون في سبيل الحفاظ على أرضهم ، وكان اليهود يسلكون كل السبل في سبيل الأستحواذ على الأرض وطرد العرب منها ، وأقول كل السبل لأن الحكم البريطاني في فلسطين خلال ثلاثين عاما من الانتداب كان مسيرا بأيدي اليهود ، وكان صك الانتداب من وضعهم ، وكان رجال الحكم البريطاني يلاحظ فيهم قبل تعيينهم ضرورة أن يكونوا يهودا بريطانيين ذوي ميول يهودية ، وتبعا لذلك كان صك الانتداب يحتم وضع فلسطين في وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي يضمن انشاء وطن قومي لليهود .

وهكذا صدرت سلسلة من القوانين كانت كلها تستهدف الاستيلاء على الأرض وتهويدها ، ولم يكن في حيلة العرب من قوة ولا طول الا الجهاد العنيف الذي بذلوا خلاله الأرواح والأموال وكانوا وحدهم في صراع دام مرير ، وفي ميدان يجابههم فيه عدو مستعد مدرب .

ومع كل هذا تبين مما نشرنا تفاصيله أن اليهود برغم العون البريطاني مع ثقل الحيل وجور القوانين ، وبرغم الملايين العديدة من أموال اليهود التي كانت تعتمدها الوكالة اليهودية لمشروعاتها العديدة ، برغم كل هذا لم يملك

(٥١) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في صفحات ٣٥٧ ـ ٣٦٩ من هذا الكتاب .

(٥٢) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الكتاب .

اليهود من الفلسطينيين الا اجزاء قليلة لا تعد صفقة في ميزان التملك للأوطان ، ولقد أضطر بعض الملاك العرب الى البيع وسط قوانين الأفلاس التي أصدرتها بريطانيا مما جعل العربي في موقف اقتصادي مرير تحت احكام الحجز البنكي بسبب القروض والرهونات مما أعترف به تقرير لجنة شو البريطانية التي أنحت باللائمة على حكومتها في هذا الشأن .

***

هذا هو وضع الارض في فلسطين شرحناه مدعما بالاسانيد ، واثبتناه واضحا مشرقا كالنهار ، ولكن كل هذا الذي سطرناه لا يمنعنا – ونحن نكتب للتاريخ – أن نسجل أن هناك فئة قليلة باعت أرضها في فلسطين الى السماسرة اليهود ، باعتها غير مرغمة وتصرفت بها غير مضطرة لهذا التصرف ، وكانت تلك الفئة الصغيرة منحرفة هوت بها شهواتها الى الأغراء المادي من اليهود ، وحين نسجل هذا ، نسجله مقررين أن ذلك الجزء الذي تصرفت فيه تلك الفئة القليلة لم يكن الا قدرا قليلا صغيرا اذا قورن بالمساحة الكلية لفلسطين لم يساو جزءا عشريا من الواحد في المائة ، واذا نظر اليه باعتباره بيعا عاديا كان شيئا صغيرا الى جانب ما بيع من أمثاله في بلاد عربية اخرى الى اليهود وغير اليهود .

ولكن وضع فلسطين وما احاط بها من مؤامرات سافرة جعل البيع غير الاضطراري مهما كان صغيرا عملا من أعمال الخيانة وتمكينا للعدو المتربص. (على أن نفرا ممن باعوا كانوا يموتون برصاص يعرف جيدا كيف يدين وكيف يحاكم) (٥٣) .

١٣ – الشعب يعاقب القلة المنحرفة :

على أن شعب فلسطين كان فعالا في معاقبته لتلك القلة المنحرفة ، ولعله الشعب العربي الوحيد الذي لاحق المنحرفين وانزل بهم العقاب ، وتحت يدنا الاسماء والاعداد نستطيع نشرها وأثباتها ، ولكن أولئك الذين تصرفوا في ارضهم فأثبتوا ضعف الرابط الوطني في ضمائرهم لهم أبناء واحفاد كانوا صغارا في تلك العهود لم يجرموا ولم ينحرفوا ، ولهذا كان نشر الاسماء عملا نبعد منه ونبرأ حفاظا على الشعور واحتراما لمن لم يذنب ولم يسهم في جريمة .

ولكن هذا لا يمنعنا من أن نثبت هنا ما يفيد أن الشعب الفلسطيني قد

(٥٣) مجلة فلسطين أيار ١٩٦٢ من مقال للكاتبة الفلسطينية سميرة عزام نشر بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية .

حكم بالاعدام على أولئك المنحرفين وقد أستطاع أن ينفذ حكم الاعدام الا فيمن غادر البلاد قبل النكبة بسنوات واتخذ في وطن آخر له مسكنا . ولنعد الى ما تداولته الصحف في مختلف السنوات مثبتين التواريخ والاماكن محتفظين بالاسماء ومشيرين الى المصادر .

وجدت جثة عربي من قرية قرب القدس ملقاة في اراضي القرية وبعد فحصها تبين ان صاحبها مات خنقا (٥٤) .

دخل مجهولان عنوة بيت مأمور البوليس السري العربي المسمى ... وهو قصاص أثر في بيسان بعد كسر الباب وكان البوليس المذكور مع زوجته نائمين فأطلق أحد المجهولين عيارا ناريا من بندقيته على البوليس وأطلق الثاني عيارا آخر على زوجته وفرا عائدين من حيث أتيا فتوفي البوليس على الفور اذ أصابه العيار في صدره وخرج من ظهره وأصيبت زوجته أسفل ظهرها (٥٥) .

أغتيل في يافا بالرصاص ... بينما كان في طريقه الى منزله ليلا وهو مشهور بالسمسرة على الاراضي لليهود وترأس بعض المحافل الماسونية العاملة لمصلحة الصهيونية وقيل أن سبب اغتيال ... هو تسببه في نقل مساحات واسعة من أخصب أراضي فلسطين لليهود وقد أغلق المسلمون جامع حسن بك بالمنشية لمنع الصلاة عليه فيه ولم يحضر لتشييعه سوى بعض أقاربه وليس كلهم وبعض الماسون وقد توقع أهله أن يمنع الناس دفنه في مقابر المسلمين فنقلوا جثته الى قرية قلقيلية بلدته الاصلية. وحصلت ممانعة لدفنه في مقابر المسلمين وقيل انه دفن في مستعمرة يهودية اسمها بنيامينا لانه متزوج من يهودية وأن قبره قد نبش في الليل وألقيت جثته على بعد عشرين مترا (٥٦) .

وخطف المجاهدون بوليسا أضافيا عربيا منذ أيام وقد وجد هذا البوليس في اليوم الثاني قتيلا مكبل اليدين بين نابلس وطولكرم ، وعثر على عربيين مقتولين في قضاء عكا كما عثر بجانبهما على جثة رجل مصري مقتول الى جانبهما ولم تعرف الحكومة شخصية القتيل المصري ، ودخل المجاهدون مدينة نابلس وخطفوا صاحب دكان ورجلا عربيا ، وقتل عربي بالرصاص في حيفا. وكان راهبان يونانيان قد خطفا منذ ايام وقد عثر عليهما

(٥٤) جريدة الاهرام العدد ٢٦ من مايو ١٩٣٧

(٥٥) جريدة الاهرام العدد ٢٥ من يونيو ١٩٣٧

(٥٦) جريدة الاهرام عدد ٢٨ و٢٩ من يوليو ١٩٣٧

في الصباح مقتولين (٥٧) . قتل المجاهدون عربيا في قرية الطيبة لاتهامهم اياه بالتجسس (٥٨) ، كما وجدت جثة ... قتيلا بالرصاص بالقرب من الحدود الشمالية ، وكذلك اطلق الرصاص على كونستابل عربي يدعى ... بينما كان جالسا في مقهى في مدينة عكا فقتل للحال ، وعثر البوليس على جثة شخص يدعى .. من اهالي بئر السبع موضوعة في احد منازل يافا ، وايضا عثر البوليس على جثة شخص عربي يدعى .. على الطريق بين الرملة ووادي جنين واتضح انه قتل بالرصاص (٥٩) كذلك اطلقت النار على احد موظفي بلدية اريحا وقتل للحال ، وعثرت الدورية العسكرية على جثة عربي قتل بالرصاص في طريق نابلس (٦٠) ، واقتحم مجاهدان مطاحن جلاد ... قرب يافا واعتقلا الحارس ثم تقدما الى غرفة الحاج .. وقتلاه بالرصاص (٦١) . وهاجم فريق من المجاهدين قرية برقة بالقرب من رام الله وقتلوا عمدتها ... و ... رميا بالرصاص ، واطلق الرصاص ايضا على .. من أهالي حيفا فاصيب بجراح شديدة ، وعثر على عربي قتيلا بالقرب من قرية كفر جنس ، واطلق عربي الرصاص على شخص يدعى .. من اهالي حيفا فأصابه بجراح شديدة (٦٢) ، ودخل المجاهدون قرية بلد الشيخ القريبة من حيفا وخطفوا كلا من .. و .. و .. و .. والثلاثة الاخرون اخوة وقتلوهم رميا بالرصاص في الطريق العام (٦٣) ، واطلق عربيان الرصاص على ... اثناء جلوسه في حانوته بيافا فقتلاه (٦٤) .

الى آخر هذه الامثلة العديدة التي احتفظنا بالاسماء فيها واشرنا الى مصادرها واغلبها تسبب عن انحراف قاومه الوطنيون .

١٤ ـ لم يكن الشعب الفلسطيني سلبيا برفضه العروض البريطانية :

لقد كان الشعب العربي في فلسطين رائعا في صلابته أمام المحن وهذه صفحات مشرقة أثبتناها في تاريخ شعب فلسطين الذي استمر طوال ثلاثين عاما يجاهد الصهيونية كرأس حربة للصليبية الاستعمارية ، واذا

---

(٥٧) جريدة الاهرام اعداد ٢٣ و٢٦ و٢٩ اغسطس ١٩٢٨

(٥٨) جريدة الاهرام العدد ٤ من سبتمبر ١٩٣٨

(٥٩) جريدة الاهرام اعداد ٣ و١٨ و٢٩ يناير ١٩٣٩

(٦٠) جريدة الاهرام اعداد ٣ و٦ و٢٢ فبراير ١٩٣٩

(٦١) جريدة الاهرام العدد ٤ من مارس ١٩٣٩

(٦٢) جريدة الاهرام الاعداد ٤ و١٤ و٣١ مايو ١٩٣٩

(٦٣) جريدة الأهرام العدد ١٥ من يونيو ١٩٣٩

(٦٤) جريدة الاهرام العدد ٢ من يوليو ١٩٣٩

كان شعب فلسطين لم يكتب له النصر فان جهاده ونضاله وسجلات مآسيه وآلامه ، وحقائق مواقفه واستبساله ، وصدق عزوفه عن التسليم بالهزيمة أو الاقرار للغاصب بحق الاحتلال ، أن كل ذلك ليبقى حافزا للامة العربية ولشعوب الاسلام يعيه شبابها في اجلال ، وتردده دراساتهم في اكبار واحترام .

على أن بعض الساسة العرب يأخذون على الشعب العربي في فلسطين انه طوال الانتداب بل منذ دخول الجيش البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧ الى يوم النكبة في ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ طوال هذا التاريخ لم يردد أمام سلطات الانجليز الا كلمة « لا » السلبية المانعة ، ويرى هؤلاء السياسيون أن الفلسطينيين لو جربوا مع الانجليز شيئا من الايجابية لتغير التاريخ بالنسبة لهم ، ولما كانت الصهيونية قد تربعت في بطاح يافا وربوع حيفا والناصرة ، وهم يرون أن مصر التي جاهدت الاستعمار البريطاني عشرات السنين مرت بها ظروف قبلت فيها انصاف الحلول ، ورضيت ببعض المعاهدات غير الكاملة ، وهي اليوم المستقلة المرهوبة الجانب ، وأن سوريا والعراق وغيرهما مرت كلها بظروف يرونها مشابهة حتى وصلت في النهاية الى تأكيد الاستقلال وتثبيت الحرية .

هكذا يقول بعض الساسة العرب وهو منطق رطب الملمس في ظاهره ، سهل التعبير ، مسالم لا متاعب فيه ، ولكنه في الواقع لا يمثل الا منطق أولئك الذين يرضون بأنصاف الحلول ، أو منطق من لم يحط علما وخبرا بقضية فلسطين ، كيف دبرت مؤامراتها ، والسبيل الذي سلكه الانجليز من أجل تهويدها ، والآلام والمآسي والمتاعب التي أثقلت كاهل شعب صغير وقف في المعركة وحده ثلاثين عاما .

ان اولئك حين يتحدثون عن مراحل استقلال مصر (الجمهورية العربية المتحدة) يتناسون أن الصراع فيها كان بين شعب الكنانة وبين بريطانيا وحدها ولم يحدث في ذلك التاريخ أن أعلن أي عهد أو اعطي أي وعد بأن مصر ستكون وطنا قوميا لغير شعبها ، ولم يحدث مطلقا ان تسلطت عليها مؤامرات خارجية تعاونت فيها سياسات جميع العواصم في أوروبا وأمريكا ، ولهذا حين قبلت مصر دستور ١٩٢٣ وحين رضيت بمعاهدة ١٩٣٦ لم يكن الا استلالا لاقرار الغاصب بكيان شعب يحاول أن يثبت وجوده ويغتصب حريته ، ولولا الانتفاضة التاريخية في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ التي جاءت بأبطال غيروا تاريخ المنطقة ، ولولا تأميم القناة الذي أذاب القاعدة البريطانية خلال العدوان الثلاثي ، لولا كل هذا لظل السرطان البريطاني

يعمل في جسم هذه الارض الطيبة ، وما قيل هنا عن مصر يقال أيضا عن غيرها من البلدان العربية التي نكبت بالاستعمار ثم جالدته طويلا حتى تحقق لها النصر ، وقبلت في ايجابية بعض الحلول وواصلت جهادها في سبيل الكمال .

ولكن فلسطين كانت شيئا آخر وقد أوضحنا في ثنايا هذا البحث كثيرا مما غمضت جوانبه على الكثيرين ، وأثبتنا أن سبيل التهويد الذي قصده الانجليز ، كانوا يسلكونه بمختلف الوسائل بالقوة وبالارهاب ، بالقوانين وباللوائح ، بجموع المهاجرين اليهود والهجرة الزاحفة ، باغتصاب الاراضي وطرد سكانها ، بافقار العرب وأثراء اليهود ، وأخيرا باعطاء المندوب كل حقوق خليفة المسلمين في ملكية الارض وأعطائه ايضا حق أهمال القانون وعدم تنفيذ شريعة العدل والمساواة كل ذلك في سبيل التهويد ، وهذه أحداث خطيرة وثقيلة ، لم يحدث مثلها ولا شبه لها في أي بلد آخر غير فلسطين ، ومع هذا فلنعد لتاريخ هذا الانتداب لنجد انه لم يقدم الى عرب فلسطين أي عرض قد يلومهم المؤرخون على رفضه .

لقد دخل الجيش البريطاني منطويا تحت وعد بالفور لليهود بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي لهم ، ثم باتفاق مشترك سعى اليهود لان تكون بريطانيا صاحبة الوعد هي الدولة المنتدبة على فلسطين ، وسعت بريطانيا بأن تصدر عصبة الامم باسمها صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا بل وضعه يهودي يسمى بنجامين كوهين بالتعاون مع سكرتير وزير الخارجية البريطانية وكان ذلك قبل اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين بحوالي ثلاثة أعوام ونصف عام فبراير (شباط) ١٩١٩ .

وجاء صك الانتداب يتضمن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ويعترف بالوكالة اليهودية حكومة داخل الحكومة ، ثم صدر الكتاب الابيض يحمل اسم وزير المستعمرات ونستون تشرشل ١٩٢٢ وصدر معه الدستور وهو ايضا ضمان جديد بانشاء الوطن اليهودي في فلسطين، وكل وعد او عمل على انشاء هذا الوطن، يتضمن حتما العمل على افقار العرب وارهاقهم وابعادهم وسلب الارض منهم ، وكان هذا الكتاب الابيض ايضا من صنع اليهودي البريطاني المعروف هربرت صموئيل الذي كان أول مندوب بريطاني لفلسطين ، وتحت هذه الوثائق الثلاث وعد بالفور وصك الانتداب ودستور فلسطين ، سارت السياسة البريطانية طوال عهد انتدابها الاثيم .

ولهذا نرى الفارق الكبير بين الاساليب في حكم العراق وسوريا ولبنان وأسلوب حكم فلسطين على الرغم من أن نوع الانتداب كان واحدا من نوع

أ) الذي قرره مجلس الحلفاء الاعلى فأنشئت في تلك البلدان حكومات لأدارة الشئون العامة ولضمان الشخصية القانونية للبلاد . أما في فلسطين فقد أهملت فكرة تأسيس حكومة وطنية ، واستمر الاعداد لخلق حكومة تنبثق من الاشباع في الهجرة اليهودية .

العرض الاول : لقد عينت بريطانيا عام ١٩٢٠ مجلسا استشاريا ليعود له المندوب السامي وقت اللزوم ، ورات أن يكون هذا المجلس مكونا من عشرين عضوا، نصفهم من الموظفين الانجليز وسبعة من العرب أربعة من المسلمين وثلاثة مسيحيون وثلاثة من اليهود ، وقابل العرب هذا المجلس بالرفض قائلين أنه لا يمكن أن يمثلهم وهم الاغلبية الساحقة ، وأن قبلوا هذا التشكيل فسوف لا يكونون وسط هذا المجلس الا سبعة أصوات بجانب ثلاثة عشر صوتا هم مجموع أصوات البريطانيين واليهود ، واستمر العرب يطالبون بخلق جهاز للحكم يتولون فيه التعاون مع سلطات الانتداب لادارة شئون بلادهم في طريق الاستقلال ، واستمرت بريطانيا ترفض هذه المطالب .

العرض الثاني : وخلال عام ١٩٢٢ صدر مرسوم دستور فلسطين الذي أشرنا اليه قبلا ، وتضمن في مادته التاسعة عشرة تكوين مجلس تشريعي من اثنين وعشرين عضوا يضاف اليهم المندوب السامي ، كان عشرة منهم يمثلون الحكام البريطانيين في فلسطين وعشرة من العرب ثمانية مسلمون ومسيحيان وأثنان من اليهود ، وبذلك يكون هذا المجلس الذي تضمنه دستور فلسطين مكونا من عشرة من العرب الذين يرفضون سياسة التهويد ولا يعترفون بوعد بالفور ، ومن أثني عشر عضوا يعملون علنا ورسميا على فتح الابواب للهجرة اليهودية وتحقيق انشاء الوطن القومي اليهودي، فوق أن نسبة التمثيل ظالمة جدا فالعرب الذين يمثلون أكثر من تسعين في المائة لا يمثلهم الا عشرة اعضاء. لم يقف الامر في سخرية العروض البريطانية على العرب عند حد ، بل أشترط الدستور الفلسطيني في مادته الثانية عشرة الا يصدر هذا المجلس أي قانون يكون مناقضا أو مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه ثم أضاف في المادة الخامسة والعشرين أن المندوب السامي له كامل الحرية في أن يعلن موافقته أو عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته .

وأن مجلسا تشريعيا هذه صورته ، وتلك حدوده في الحقوق والواجبات لا يمكن ان يراد به تقدم فلسطين ولا تثبيت الحرية والديمقراطية فيها ، ولا يمكن ان يراد به الا استلال الاعتراف من الشعب العربي في فلسطين

بوعد بالفور وسياسة التهويد ، حتى لا يكون هناك اي جانب معارض لتلك النكبة التي كانت تعد في تصميم وفي احكام .

العرض الثالث : وتقدمت بريطانيا بعرض ثالث ، وكان ذلك خلال مارس (آذار) ١٩٢٣ اذ اقدمت على تعيين مجلس استشاري من عشرة اعضاء بريطانيين وعشرة من العرب واثنين من اليهود ، وتبين للعرب أن الانجليز ما زالوا في طغيانهم يعمهون ، اذ هم يضمنون بهذا التعيين اغلبية يهودية هي مجموع الاثني عشر عضوا بريطانيا ويهوديا ، وفوق ذلك في قبول هذا العرض من المهانة ما يزلزل قواعد الكرامة في النفوس اذ لا يمثل العرب الا عشرة اعضاء وهم سكان البلاد واهلها ولا تقل نسبتهم فيها عن التسعين بالمائة .

وأعلن الشعب العربي رفضه لهذا العرض أيضا ، بل وأمتنع الاعضاء العرب من مسلمين ومسيحيين عن الاشتراك في جلسات ذلك المجلس الهزيل واعلنوا رفضهم لذلك التعيين .

العرض الرابع : وتقدمت بريطانيا من العرب بخطوة جديدة ، ولكنها خطوة لصالح اليهود ايضا ، فعرضت خلال اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ أن يؤلف العرب « وكالة عربية » يكون لها نفس الصلاحية المخولة للوكالة اليهودية ، وصلاحيات الوكالة اليهودية هي الاشراف على الهجرة اليهودية والعمل على اكتساب الأراضي لليهود والتعاون مع الانجليز بجميع الوجوه لتنفيذ وعد بالفور وصك الانتداب ، ولم يكن من المنطق ان يقبل العرب القيام بهذه الصلاحيات ، اي أن يكون العرب كاليهود مشغولين بالتهويد ، وعاملين على احترام وعد بالفور وصك الانتداب .

ورفض العرب هذا العرض أيضا ، ولو قبل عرب فلسطين عرضا من هذه العروض البريطانية ، ثم أنتهت قضيتهم الى ما انتهت اليه (وهي طبعا حينئذ ستكون أسرع لذلك) لو حدث هذا لانزل عليهم المؤرخون جام غضبهم ، ولقيل لهم لو تمنعتم عن قبول تلك العروض ، ولو استمررتم في جهادكم وجلادكم ، ولو واصلتم كفاحكم ضد الانتداب ، لكان الامر يختلف تماما ، اما النصر وذلك هو المرغوب ، واما الهزيمة وحينئذ لا تلامون ، اما قبولكم للعروض البريطانية فقد أوقعكم تحت طائلة اللوم والعتاب ، وقد اسهمتم في التهويد ورضيتم بالوعد وصفقتم للصك .

واليوم وقد تبين تاريخيا أن عرب فلسطين رفضوا تلك العروض لهوانها ، ولانهم صمموا على الكفاح وبذل الضحايا ، وجاءت النتيجة كما هي

الآن : وطن محتل وشعب أبي مشرد ، يبرز ناصر النشاشيبي * فيقول ان رفضه تلك العروض كان « غلطة » ، وهكذا تضيع مع الايام معالم الصواب حتى تنعكس المسميات .

ولقد حدث أن قبل العرب الفلسطينيون بعض العروض البريطانية ، قبلوها على الرغم من انها لا تحقق لهم آمالهم ، ولكنها كانت توقف النكبة عند حدود معينة قد يسهل تلافيها مستقبلا ، ولكن بريطانيا كانت تسرع بالغاء تلك العروض والرمي بعيدا بايجابية العرب ، فذلك كتابها الابيض ** عام ١٩٣٠ الذي نص على وقف الهجرة اليهودية وتقييد بيع الأراضي لليهود، اعلن العرب قبولهم له ، ولكن اليهود رفعوا أصواتهم رافضين وتحركت الصهيونية في كل مكان فأعلنت بريطانيا سحبها للكتاب الابيض .

وتقدمت بريطانيا بعرض جديد في أواخر عام ١٩٣٥ تضمن تشكيل مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا يكون نصفهم من العرب ونصفهم من الانجليز واليهود ، واعلن المندوب السامي أن الحكومة مصممة على تنفيذ المشروع ، ولو اضطرت الى تعيين الاعضاء من الفريق الذي يرفض الاشتراك فيه(٦٥) وقبل العرب هذا العرض البريطاني لانه كان أكثر العروض تمثيلا لهم منذ نكبتهم بالانتداب ، ثم الغت بريطانيا عرضها هذا لان اليهود رفضوه وطالبوا ان يكون لهم النصف من اعضاء المجلس .

وعبثا نبحث علاقة السلبية والايجابية بقضية فلسطين ، فلقد كان البرنامج البريطاني واضحا في تهويد فلسطين .

ولقد نوقشت بريطانيا في عصبة الامم بجنيف عام ١٩٢٥ حول تأسيس مجلس تشريعي بفلسطين فكان رد ممثلها واضحا لا يقبل تأويلا : لا يمكن انشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين حسب عددهم ، لان ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بانشاء الوطن القومي اليهودي .

وهكذا يتبين الفرق بين السلبية التي يتهم بها عرب فلسطين ، وبين الايجابية التي عزفوا عنها ورفضوها ، ونحن لا نتهم السودان بالسلبية حين رفض تقسيم بلاده الى شمال وجنوب، ولا نتهم سوريا بالسلبية حين رفضت خلق كيانات تقسيمية ارادها الفرنسيون ، ولا نتهم العراق بالسلبية حين قاوم فكرة تقسيمه بين عرب وغير عرب ، ولا نتهم مصر بالسلبية حين رفضت فكرة الاحلاف بما في ذلك حلف بغداد وشرقي السويس ومبدأ

* كان كاتبا فلسطينيا معروفا بمصر ، ثم تولى عملا للاهرام باوروبا ، واعلنت وكالات الانباء عودته الى القدس المحتلة بعيد نكبة حزيران .

** راجع تفاصيل الموضوع في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٦٥) امين الحسيني ، حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٤ — ٢٠٤

ايزنهاور ، ولم يكن عرب الجزائر سلبيين حين لم يتفرنسوا واستمروا يحنون الى يوم الثورة والجلاء ، ولا كان عرب ليبيا سلبيين حين رفضوا التمتع بالجنسية الايطالية لتكون لهم نفس حقوق الايطاليين .

لا .. ان تلك السلبية هي الايجابيـة بعينهـا ، وأن موقف شعب فلسطين لموقف يدل على وعي القيادة فيه ، حيث ادركت تعاون الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية على تهويد فلسطين فسلك الشعب طريق الكفاح موليا ظهره لكل عرض بريطاني مجحف لا يراد به الا الاعتـراف بوعد بالفور وصك الانتداب وسلوك سياسة التهويد .

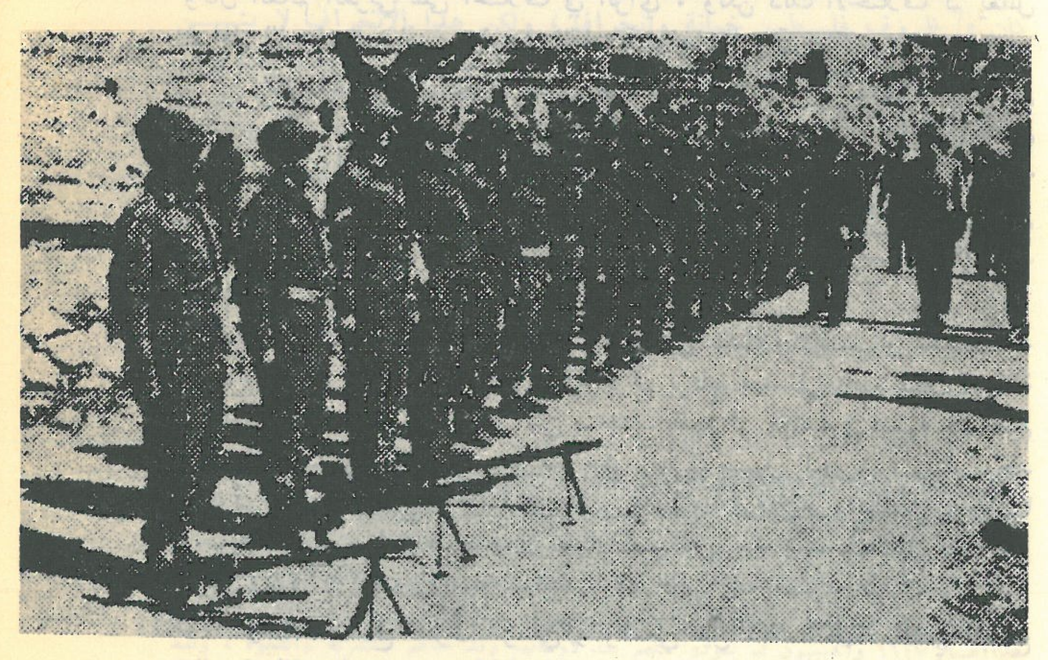
اما لماذا يبرز بين الحين والآخر من يتهم هذا الشعب المناضل بهذه الفرية او تلك ، فذلك لان خاتمة الصراع لم تكن في صالحه ، والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ...

١٥ ـ الجزائر وفلسطين :

ونحن ندرك ان شعب الجزائر لو لم يسعد بنصره التاريخي الخالد ، لما كان ينعم بهذه السمعة بين الشعوب ولا كان ينال مكانة الاحترام والتبجيل التي يسعد بها الآن ، ولو حدث ذلك لسمعنا من يقول انهم لم يكونوا ايجابيين مع فرنسا ، وانهم لم يكونوا متحدين في نضالهم لها ، وان بعضهم كان يحبذ بقاءها وكان يحارب معها ، ولقيل الكثير غير هذا ادعاء وزورا ولبحث العديد عن الانحرافات يلفقونها ويذيعونها، ولكن النصر الجزائري العظيم اصمت كل لسان واوضح كل بيان .

وما دمنا قد وصلنا الى الحديث العطر عن الجزائر ، فهل هنـاك شبه بين البلدين المجاهدين ؟ ان كبر المساحة مجال للثورة ومتسع للكر والفـر ، وبراح للهجرة ، وموطن للاختفـاء والنضال ، ومـع هـذا كانت الرقعة الصغـيرة في فلسطين ميدانا لكـل ذلك سنوات طويلـة ، وشعب الجزائر يزيد عـن الاثني عشر مليونا ، وفي هـذه الاعداد البشرية صلابة تزيد الصراع قوة ، واحتياطي يمكن التمول منه والاستعانة به ، وشعـب فلسطين لا يصل المليون طوال سنوات الكفاح ، جهده البشري محدود ، ومواطن التمويل منه غير متسعة ، ومع ذلك ترافـق الشعبـان في بطولـة النضال والجلاد ، واذا كانت الجزائر قد فقدت مليونا من الشهداء ، فقـد فقدت فلسطين الصغيرة ما يقارب مائة الف شهيد في ميادين القتال وعلى اعواد المشانق وخلال الثورات وأيام المحنة ، ولهذا فشهداء فلسطين لا يقلون





انهما صورتان لثورتين ماجدتين لا فرق بين ابطالهما ، ولا نكاد نفرق بين منظرهما رغم فروق القوة والظروف . الصورة العليا لابطال من ثورة الجزائر الظافرة والصورة الثانيـة لابطال من ثورات فلسطين المستمرة .

عن تلك التضحية الجزائرية الخالدة بالنظر الى مساحة الميدان وحجم السكان .

ولقد واصلت الجزائر ثورتها وسط عالم مهتم بها مشغول عليها ، ومراكز مساعدتها وتمويلها تحيط بها من كل جانب ، في الجمهورية العربية المتحدة حيث كانت قوافل السلاح والمؤن والملابس تمثل أعدادا طويلة من قطارات السكة الحديد ، وفي المغرب وتونس حيث كان الشعب هناك يشعر بالمأساة ويرى في حرية الجزائر استكمالا لحريته ، وفي ليبيا حيث كان الجميع يعيش مع الجزائر ماديا ومعنويا ، يرعون زعماءها ويحدبون على لاجئيها ويمررون السلاح المرسل لها من القاهرة أو من غيرها ، ويتسربون عبر الحدود يعطون ويساعدون ، ويتستر الآلاف من المجاهدين الجزائريين بجوازات سفر ليبية يدخلون بها كل مكان حتى فرنسا ذاتها ، وتتحول الافراح الى الحديث عن جهاد الجزائريين ، بل تتحول منادب البادية الى ذكر شهداء الجزائر وابطالها في أدب شعبي عظيم ، وكان العون للجزائر ممتدا من سوريا ولبنان والسعودية بل من تركيا وباكستان ، بل من روسيا والصين واكثر مناطق الوجود ، وكان العالم العربي على اختلاف في الراي ، ولكن ذلك الاختلاف لم يعطل قوافل الامداد للجزائر سواء من القاهرة أو من العراق مثلا .

ولكن الثورة العربية في فلسطين منذ عام ١٩١٧ الى ١٩٤٨ لم تكن تجد من كل هذه البلدان والاقوام الا قليلا وقليلا جدا ، بل أن القطار الذي أصبح يحمل السلاح الى صحراء مصر الغربية (١٩٦١/٥٥) توطئة لنقله الى الجزائر المشتعلة ، هذا القطار نفسه كان يحمل الجنود البريطانيين من محطة القاهرة لاخماد ثورة العرب في فلسطين المشتعلة ضد سياسة التهويد أعوام ٣٦ ، ٣٧ الى ١٩٤٨ .

كانت البلدان العربية المحيطة بفلسطين مكبلة بالاستعمار مهيضة الجناح ، وكان الشعب العربي في بلدانه لم يرتفع بعد الى تفهم عمق المشكلة وخطورتها ، أما شعوب أوربا التي ساعدت الجزائر فكانت في قضية فلسطين مخدرة بالمصل الصهيوني تسير مع حكوماتها في سبيل التهويد ، ولهذا وجد اليهود اطنان السلاح ترد عليهم من تشيكوسلوفاكية وايطاليا وبريطانيا وامريكا ، وحين اعترف ترومان بقيام اسرائيل بعد منتصف ليل ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ كانت روسيا تسابقه لذات الاعتراف السريع .

وهكذا يتضح الفرق الزمني والوضعي بين ذلك الجهاد الذي نجح والجهاد الذي لم ينجح وهكذا يلاقي شعب فلسطين المتاعب الان لان جهاده لم يكتب له النصر .

لقد مر الشعب العربي في ليبيا بمأساة تاريخية مع الاستعمار الايطالي منذ عام ١٩١١ وحين غلب على أمره وتوقف نضاله عام ١٩٣٢ وهاجرت أعداد من جموعه مضطرة الى مصر وسوريا والهند واوربا وكل قطر في الوجود ، لم تكن حالهم الا حال المهاجرين اللاجئين الذين لا يملكون وطنا ، ولا يضمنون سندا ، ولهذا لم يسلموا من كثيرمن المتاعب في بعض الاوطان التي استقروا فيها (٦٦) ، وحين كتب النصر لشعب ليبيا وتحقق له استقلاله وطرد منه الغزاة ، تذكرت الشعوب جهاده ، واعلنت فضله وامجاده .

والناس أعوان من والته دولته وهم عليه اذا دالته اعوان

١٦ ـ انحراف القلة لا يشين الشعوب :

حينما تحدثنا عن مجموع الارض في فلسطين ، استعرضنا جميع الملابسات وفصلناها ، وعلى الرغم من ان كل الاحداث تثبت ان شعب فلسطين لم يفرط في ارضه ، وانه احتفظ بها على الرغم من الاثقال والمتاعب التي تعرض لها ، لم نجد مانعا من ان نذكر ان هناك قلة قليلة انحرفت وتصرفت في ارضها دون اضطرار ، ومع ان عدد تلك الفئة كان قليلا ، ومع ان مساحة الاراضي كانت صغيرة الا ان الاقدام على ذلك كان في ظروف فلسطين خيانة وانحرافا ، ولكن هذا الانحراف لا يشين مجموع شعب فلسطين الذي لو تسربت اغلب ارضه الى الاعداء لما وجد التاريخ وجها للومه ، حيث يجد الاساليب والاثقال التي سلطتها عليه الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، فما بالنا اذا كان ذلك الشعب ظل يملك بلاده وان اعداءه الذين استفادوا من النكبة لا يملكون، برغم من الاحداث الاليمة والانتداب المرير الا نسبة لا تتعدى الثمانية في المائة من مساحة القطر كله .

ولكن من المؤسف انه ما فتئت جماعات تدين هذا الشعب وتنال

---

(٦٦) حدثني الاستاذ منصور الكيخيا قنصل ليبيا بالولايات المتحدة وخريج جامعة القاهرة قال : «كنت مع صديق لي نجلس في بهو احد الفنادق بالاسكندرية عام ٤٧ وبجانبنا رجل من قطر عربي آخر فتجاذبنا معه اطراف الحديث وسألناه هل عندكم في وطنكم ليبيون ، فقال نعم عندنا أعوذ بالله منهم متعبون ، تعبون ، استعماريون ، خبثاء ، قال الاستاذ منصور ونظرت الى صديقي الليبي وتبادلنا البسمات ، وهنا ادرك محدثي ما وقع فيه ، فقال هل انتم ليبيون ؟ فقلنا نعم ، قال لا تؤاخذوني حديثي عمن وصلنا ولعل فيكم الخيرين . كان هذا عام ١٩٤٧ والليبيون لم يعودوا كلهم بعد لأوطانهم وقد هدهم التشريد واللجوء ، ولقد تغيرت النظرة بعد ذلك .

منه بما لم يفعل ، وتتناسى امجاده وجهاده ، تقول كاتبة فلسطينية (٦٧) في رد لها على مقال جارح لابناء فلسطين نشر باحدى صحف العالم العربي :

« السؤال الاخير اين هم ابناء فلسطين ؟ تقولين انهم تماما حيث صمم لهم العدو يذوبون في البلاد الاخرى ، يحملون بطاقة الاعاشة ويتوظفون بها جواسيس للصهاينة ويهاجرون الى اية قارة ، ويتملكون عقارات ويتزوجون الاجنبيات ، شكرا ، ظل ان تقولي وتذهب بناتهم ، كل بناتهم الى حيث لا يجدر بكريمة ان تذهب ، لكأن المليونين بلا استثناء جواسيس وأفاكون وذئاب مال (٦٨) يا عزيزتي ، صفار النفوس موجودون دائما ، والجاسوس والخائن وذئب المال انماط عامة من البشر ، لا نملك أن ندعيهم وحدنا كفلسطينيين ، وهم ليسوا كذلك ـ مع كونهم لا يمثلون الا حالات فردية ـ الا انهم صفار النفوس ، لا لانهم فلسطينيون » .

وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ولا سمعتها ، وقد مرت بمختلف الاوطان احداث تاريخية عديدة جابهت فيها الاعداء ، وبرز بين صفوفها من هادنهم او عاونهم او ارشدهم او سار في صفوفهم ومع ذلك استمرت السمعة الاصيلة مثلها الاعلى ولونها المشرق الجذاب ، تعرضت فرنسا لغزو هتلر الساحق ، وركعت مستعمرة الشمال الافريقي ، وقاهرة سوريا ولبنان وصاحبة باريس مدينة النور ، ركعت تحت اقدام هتلر خاضعة ومستسلمة ، وتقدم لفيف من رجالها وزعمائها يحاولون انقاذ ما يمكن انقاذه ، ووقع الماريشال بيتان صك الاستسلام واصبح لالمانيا في ربوع فرنسا الحول والطول ، وطوال اربع سنوات كانت جموع الفرنسيين في الخارج يكونون حركة للجلاد ضد الغزاة ، ويعدون انفسهم ليوم الغزو ، وكانت حركة المقاومة في داخل فرنسا تنمو وتتزايد ، ولكن كان هناك فريق ضالع مع الالمان ، كان هناك من سالمهم وقدم لهم الغذاء ، وكان هناك من تقدم لهم بالمعلومات والارشاد ، وكان هناك من تعاون معهم وقدم لهم الاسطول

---

(٦٧) مقال ورد نشره بمجلة الاسبوع العربي بلبنان بين الاديبتين ليلى بعلبكي وسميرة عزام نقلته مجلة فلسطين مايو ١٩٦٢

(٦٨) نحن نشترك مع الكاتبة في لوم كل فلسطيني رضي ان يسعى الى كسب جنسية جديدة ، واصبح احد عوامل النسيان لواجب حتمي ، وتناسى اولئك الذين يعيشون في المخيمات يرنون بأبصارهم الى أراضيهم داخل الحدود، وعمل على ان يكسب او يعمل في شركات البترول وموارد المال ، ومن المؤسف ان بعض أوطاننا شهد عددا من هذا النوع ولسنا ندري سببا يدعوهم لهذا ما دامت كل امكانيات العمل اتيحت لهم بما في ذلك اعلى المناصب في القضاء والدولة مع احتفاظهم بجنسيتهم (راجع مقالنا بجريدة الليبي الطرابلسية يناير ١٩٦١ بتوقيع ابو الامين) .

ومخازن السلاح ، لا ريب ان ذلك كان انحرافا وخيانة للمعنى الوطني في فرنسا ، ولكن فرنسا التي حررها الحلفاء بعد غزو اوروبا تتربع اليوم معتزة بوطنيتها ، بل يقف ديجول رجل التاريخ الشجاع الصلب عملاقا امام مطامع استراتيجية امريكا ، يرفض لها طلباتها ، ويحطم كبرياءها ، ولو ادى ذلك الى خذلان حلف الاطلنطي. لم يشن فرنسا الماريشال بيتان، ولم يخدش من سمعتها الادميرال لافال ، ولا انزل من قيمتها جموع فتياتها على نهر السين ترحب بالجنود الغزاة وتعانقهم كما لو كانت معجبة بالنصر ، لم يشن فرنسا كل ذلك لان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

وبريطانيا ، حين سلط هتلر جموع طائراته يدكها بالقنابل ، وحين ارسل جيوشه تغمر القارة الاوربية ورحلت جيوش بريطانيا تجر اثواب الهزيمة والخيبة ، وحين اضطرهم هتلر ان يستعملوا البواخر والصنادل والاخشاب هاربين من دنكرك ، وحين عاش شعبها في الانفاق تحت الارض شهورا طويلة ، كان احد ابنائها يذيع من برلين كل مساء ان النظام البريطاني يجب ان يزول وان المانيا هي التي ارسلتها العناية الالهية لتقوم اعوجاجا جامله التاريخ وكان هذا هو المسمى اللورد « هوهو » وبعد الحرب العالمية الثانية عشنا سنوات طويلة ونحن نستمع لهروب عدد من علمائها ودبلوماسييها حاملين اسرار بلادهم الى روسيا جاعلين مصلحة اوطانهم في الحضيض ، وما قصة برجيس الدبلوماسي ولا فيلبي مراسل مجموعة الصحف البريطانية الكبرى وابن عبدالله فلبي احد اعمدة الاستعمار البريطاني في الشرق ما قصتهم على الجميع ببعيدة وهم يختفون هاربين الى موسكو وفي جعبهم الكثير من الاخبار والاسرار .

وفي اواسط عام ١٩٦٥ ضجت الدنيا مع ذلك الشاويش البريطاني الذي وكلت اليه وزارة الدفاع امانة الحفاظ على اسرارها ومخططاتها في لندن ، فاذا به يركع امام سفارتي العراق والجمهورية العربية المتحدة ويبيعهما ما خفي من اسرار وما حرصت بريطانيا على درسه وتخطيطه حول مستقبل المنطقة العربية من تحركات واعداد مثير خطير خطير .

ولكن هذه الحوادث كلها على ما فيها من هوان الوطنية وارخاصها ، لم تحطم سمعة شعب الجزيرة البريطانية من انه شديد الحفاظ على وطنيته ، صلب الجلاد قوي الاحتمال، يشهد التاريخ له بالصبر الذي قاده للنصر امام نكبات الحرب الماضية المريرة ولم يشنه وجود بعض من المنحرفين ، ذلك أن انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

ويطول بنا ضرب الامثلة واستعراض الشواهد لو تحدثنا عن كوسيلنجفي دول اسكندينافيا وكيف عاون الالمان وساعدهم ، وساق قسما من جيوش بلاده تدافع عن الاحتلال .

ويطول الحديث ايضا لو تحدثنا عن الخيانات في ايطاليا وكيف تحرك قسم من قادتها يجرون الكرسي من تحت زعيمها حتى هوى ، ثم كيف أخذوا زعيمها ورجلها الذي كان يخيف الدنيا مكبلا بالحديد الى ساحة دووموا في ميلانو وشنقوه من رجليه ثم انهالوا عليه بالرصاص . ومع هذا فشعب اسكندنافيا معتز بتاريخه المجيد وخيانة القلة لم تخدش من كبرياء الاكثرية شيئا . ومع هذا فشعب ايطاليا يكرر انه بذل في الحرب الكثير استهدافا للنصر وان الاحداث المختلفة او انحراف قلة من افراده لا تجعله يحاول التخلص من تاريخ المجد العريق .

ولماذا نتحدث عن شعوب اوربا ونحن في منطقة عربية ذاقت اهوال الاستعمار طويلا وعلى مختلف اشكاله والوانه ، وما من جزء فيها الا ونكب بالاحتلال وبمن عاون هذا الاحتلال ، أو لا يكون الحديث عن بلداننا اولى وانفع لا سيما ونحن نسطر تاريخ فلسطين ونسوق الادلة على اصالة الجهاد في شعبها ، وان انحراف القلة لا يشين تاريخه الكريم .

سرت الروح الوطنية الحقة في جيش مصر عام ١٨٨٢ وقاد عرابي جيشه الى ساحة عابدين ليقدم الى الخديوي مطالب جيش مصر وشعبها، وتطورت الامور بعد ذلك بين جبهتين ، جبهة تريد الوطن للشعب والمجد للوطن، وجبهة تريد مجد المظهر ولو كان على فساد المجد، واتكأ خديوي مصر على بريطانيا ذات الاطماع في الكنانة العزيزة ، وسرعان ما رست أساطيلها في الاسكندرية حيث أنزلت جيشها فهزمته الوطنية في كفر الدوار ، ولكن بريطانيا أسرعت بالنزول في قناة السويس واستطاعت أن تستميل اليها قسما من المنحرفين ، وان يسرع خنفس باشا لاستقبال جيشها وان يتقدم سلطان باشا ليكون عونا للمحتلين ، وانتهت معركة التل الكبير بهزيمة الجيش الوطني ونفي عرابي والبارودي وعديد من رجال يفخر بهم التاريخ، ومكّن للاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر مصر سبعين عاما واستمر جهاد شعب مصر وزعماؤها طوال هذه السنين مرا اليما حتى خرج جمال عبد الناصر ، فنادى بريطانيا « احملي عصاك وارحلي » وشنها عليها حربا واقلاقا واستطاع أن يكون الشوكة في حلقها الاستعماري وتحقق الجلاء وعاد الوطن الى ذويه .

هذه صورة تعطي وجهين في التاريخ ، وجه كله خيانة أردت الوطن

المصري الى الحضيض وكبلته عن انطلاقاته عشرات السنين ، ووجه مليء بالوطنية لم تخدش تلك الخيانة منه ولم تحط من قدره ، على أنه طوال عهد الاحتلال البريطاني وطوال عهد التحالف البريطاني ، كانت صور من الخيانة تظهر على مسرح التاريخ في مصر برغم الوطنية الاصيلة التي يتربع عليها شعب الكنانة العظيم ، فتلك حادثة دنشواي عام ١٩٠٦ حين تلهى الضباط البريطانيون بصيد الحمام في تلك القرية الهادئة البريئة ، ولما لفحت الشمس احدهم ومات عطشا وتعبا ، اتهمت القرية بالتجمهر والقتل والاضطراب ، ونصبت المشانق وذهب أربعة من كرام رجالها معلقين على الحبال .

كان شعب دنشواي مثلا للشجاعة ، وكان شعب مصر كله يهتز مع تلك الجريمة البريطانية ، ولكن القضاة الذين استمعوا الى المتهمين والذين قدم لهم الطبيب الشرعي البريطاني تقريره : ان الضابط البريطاني المتوفي انما مات من ضربة الشمس لا ذبحا ولا قتلا ، ان اولئك القضاة كان رئيسهم بطرس باشا غالي وكان احدهم فتحي بك زغلول وكان ممثل الاتهام ابراهيم الهلباوي ، رخصت لديهم القيم ، ولم يرفعوا رؤوسهم تجاه الباطل رافضين القضية أو مصدرين حكم البراءة ، وهم لا ريب صورة من التاريخ في الوطن العربي اعاده في أجزاء كثيرة منه يحفظه ابناء مناطقه المختلفة ولا ينسونه ، لقد أصدروا حكم الاعدام على اربعة من الشهداء فهانت عندهم القيم ، ولكنهم هانوا ايضا على التاريخ الكريم ولهذا حين تجمع بعض رجال القضاء ليقيموا حفل تكريم لوكيل وزارة العدل فتحي زغلول الذي كان احد قضاة دنشواي ، لم ينس لسان التاريخ وشاعر العرب احمد شوقي أن يبعث لهم بأبياته الخالدة :

اذا ما جمعتم أمركم وهممتمو   باهداء شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة   وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تجمعوا شيئا اله وحسبه   من الكتب حكم خطه بيمين

أما ممثل الاتهام الهلباوي ، فقد سجله في التاريخ شاعر النيل حافظ ابراهيم حين قال :

ايها المدعي العمومي مهلا   بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر   وضمنا لنجلك الاسعادا
انت جلادنا فلا تنس انا   قد لبسنا على يديك الحدادا

وهذا احد رجال الاحزاب وهو أمين عثمان يخطب فيؤكد في اعتزاز أن علاقة مصر وبريطانيا هو زواج كاثوليكي لا طلاق فيه ، بل ان أولاد عنايت

اولئك الوطنيين الذين ارادوا وضع حد للتدخل الاحتلالي ولهوان الوطنيين فساقهم تفكيرهم الى اغتيال السردار البريطاني في محطة مصر ، انما القي القبض عليهم بخيانة من زميل لهم اطمعهم في محاولة الهروب خارج الحدود ثم اسلمهم الى الجلاد .

انها أحاديث تنفر منها الوطنية، ومناظر تشمئز منها النفوس، وصور عديدة كثيرة ظهرت فيها خيانات وهانت معها المعاني السامية ، ولكن كل هذا لم ينل من شعب مصر العريق ، فقد كانت الصفة الغالبة فيه هي البطولة ، فالى جانب اولئك الذين هادنوا الاحتلال كان الابطال يعانقون الرصاص في جميع انحاء الكنانة في ثورة ١٩١٩ ، وثورات الجامعات المتوالية والصور العديدة التي قدمها شعب مصر قد نستطيع اثبات بعضها ولكن المجلدات العديدة لا تكفي لحصرها .

فتلك الانحرافات لن تشطب من التاريخ البطل مصطفى كامل ، وتلك الملايين التي سارت خلفه تبني الوطنية وتزرع روح الفداء والاخلاص، وذلك البطل محمد فريد الذي كان خليفة لمصطفى كامل وقدم الفا وخمسمائة فدان وعمارتين في معركة طويلة ضد الاحتلال ، ثم انتهى غريبا فقيرا يشعر بآلام الجوع في أرجاء برلين ، ولكن الوطنية كانت أعظم من آلام الجوع في ضلوع محمد فريد ، واولئك الابطال من امثال سعد زغلول وعلي شعراوي وغيرهم ممن ناضلوا الاستعمار ، وذاقوا آلام الغربة والابعاد ، ولكنهم سقوا شجرة الوطنية بالماء العذب من اخلاص لا يعرف الهوان .

ويستمر شريط الوطنية في شعب مصر لا يأخذ منه هوان المستضعفين ولا ضعف الانتهازيين ، وما مضى عام من أعوام الاحتلال الا ورصع بالشهداء وسالت في ارجاء الكنانة دماء ودماء من أبطال كانوا صورة مجد لا يبلى في تاريخ الشعوب .

احمد عصمت الشاب ابن الاثرياء والذي تمرغ في القصور والرفاهية ، لا يرى هذا شيئا اذا لم يطهر الوطن من الاحتلال ، انه يحول قصر ابيه في عين شمس الى ترسانة سلاح يقدمه للمتطوعين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ويجهز به كل مخلص شجاع ، فاذا انتهت المعركة وفرضت الهدنة ، آمن بأن الانجليز هم السبب فلا قيمة للسلاح اذا لم يوجه الى السبب واصل النكبة ، واشتعلت المعارك ضد معسكرات الانجليز في القناة واقام الانجليز الاسلاك الشائكة على الطريق الموصل الى القاهرة يفتشون المسافرين ، ويمنعون من يشاؤون ، ولكن احمد عصمت اختار اليوم ورسم المنهاج .

انه يغادر قصره في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ مسلحا ومتجها في طريق القاهرة بور سعيد ، ويصر الجنود الانجليز على تفتيشه ، ويصر على الرفض ، واستدار الجندي ليطلب قائده الكبير ، وكان هذا هو كل ما يرغبه احمد عصمت ، انه يريد هذا القائد الذي عرف عنه انه احرق القرى

وقتل الفلاحين ، واخرج احمد مسدسه في سرعة ، واردى القائد وعددا من جنوده صرعى ، واسرع ضابط بريطاني من بعيد فسلط رشاشه على البطل الشهيد الذي رسم لنفسه طريق الجنة وتاريخه .

وذلك جلال الدسوقي الذي قاوم بزوارق الطوربيد الصغيرة أسطول فرنسا عند شواطىء البرلس عام ١٩٥٦ واستهانت قطع الاسطول الكبير بالزوارق الصغيرة ، ولكن جلال الدسوقي الوطني المؤمن كان يدرك انه ليس بينه وبين انزال اكبر خسارة بالاعداء الا تقديم روحه هدية للوطن وفي سبيل الله ، فقدمها راضية ، وكان حصاد المعركة أغراق المدمرة الفرنسية «جورج ليج » والمدمرة « جان بارت » وكان هو الشهيد المنتصر في ساحة شرف عريق يرافقه بطلان شاركا في صنيعه بشجاعة هما اسماعيل عبد الرحمن والبطل السوري جول جمال .

وتلك صورة شرف يرسمها آخرون من أبناء مصر في ساحة سيناء ١٩٥٦ ، حينما هاجمت قوات الاعداء موقع رفح باثنتي عشرة كتيبة ، تؤيدها المدفعية وارتال الدبابات وتساندها قنابل الاساطيل الانجليزية من البحر ، ان محمد علي مكارم الذي يقود جنوده هناك كان يدرك أن القوى غير متكافئة وانه لا سبيل الى احراز نصر الا أن يكون نصر الفداء ، واخترقت قوات الاعداء حقول الالغام ، وجابهها الضابط الصغير الملازم ثان محمد علي مكارم وهو يحمل حقيبة مليئة بالقنابل اليدوية ويلقيها على جموع الغزاة الزاحفة ، حتى استشهد ومعه رفاقه الابطال .

وذاك جواد حسني الشاب اليافع الذي لم يتجاوز الواحد والعشرين ربيعا ، ابن وكيل الوزارة ووحيد والديه ، لم تمنعه النعمة في ارض النيل من أن يكون بطل جلاد واستشهاد امام الاعداء عام ١٩٥٦ ، لقد فارق اهله وعسكر في بور فؤاد ، وحين نزل الكولونيل الفرنسي باسان، راعه ذلك الحاجز الناري الذي عاق تقدمه ، فلما تمكن الاعداء بعددهم وعددهم من اسكات النار ، كان جواد حسني في غيبوبة ، وكان النزيف يغطيه من جراح المعركة الرهيبة ، واخذ للعلاج والاستجواب ، واقفل البطل فاه لا يفوه بحرف ، ولا يرشد الى اماكن الابطال ، ولا الى تحركات الفدائيين ، واغتاظ الكولونيل الفرنسي السفاح ، كيف يحمل الشاب العربي الصغير مدفعين رشاشين ومجموعة من القنابل ، وازداد غيظا حين ادرك انه لن يستفيد من استجوابه ، وتذكر ان عددا من جنوده الغزاة صرعهم هذا الشاب المقاوم ، وامر جنوده فحصدوه بالرصاص والقوه في مياه البحر .
وتولى الموج شرح كل الخفايا فحين قذفه الى الشاطىء أوضح كم رصاصة استقرت في صدره الصغير ، وقلبه الكبير ، وحين حررت بور فؤاد وجدت مذكراته مسطرة بأظافره على الجدران توضح تعذيب الغزاة له وحنقهم عليه،

وتوضح شجاعته وايمانه ورسوخ الوطنية في قلب الفتى البطل الشهيد .

واذا كنا سنسطر كل مظاهر الوطنية في شعب الكنانة فاننا في حاجة الى مجلدات وسنوات .

ولكن موقف شعب مصر والاعداء يدكون القاهرة بقنابلهم ، ومنبر الأزهر الشريف يهتز يوم الجمعة الخالدة تحت كلمات القائد المعبرة التاريخية « سنقاتل ولن نسلم » والارض ترتج تحت غزوات دول كبرى والاساطيل تهاجم بور سعيد والطائرات تهاجم ارض الكنانة . لقد كان موقفا خالدا في التاريخ . تسلح شعب مصر كله ، واستعد الكل ان يدافعوا من شارع الى شارع لم تبد منه خيانة ، ولم يرتجف فيه قلب فكان هذا ابلغ دليل على قوة الشعوب المؤمنة ضد تكتلات الباطل مهما كبرت قواه وارتفعت دعواه .

وهكذا نرى أن انحراف القلة في معارك التل الكبير أو غيرها ومظاهر التوجيه الاستعماري على مر السنين لا يبدو شيئا مطلقا الى جانب نصاعة الجهاد وقوة جلاد شعب مصر العريق باني الجمهورية العربية المتحدة .

والحديث في هذا الموضوع لا يمكن ان يمر من تاريخ اي بلد دون ان يجد ما يؤيده ، وتلك سوريا التي تربعت على عرش الكفاح والثورات الوطنية دائما ، سوريا التي كانت الشعلة القومية فيما اسموه الثورة العربية الكبرى برز بين صفوفها من انحرف عن نتائج تلك الثورة ومد يده للفرنسيين وما كاد جيش ميسلون ينهار امام جحافل فرنسا وغدرها ، وما كادت جيوش فرنسا تحتل دمشق وتحطم الحكم العربي حتى رحل فيصل الى حوران يحاول ان يقوي حكمه ويستمر كفاحه ، ولكن فرنسا استطاعت أن تجد في سوريا من يتعاون معها ، ويؤلف حكومة شكلية تحت نفوذها على الرغم من انها حلت الجيش وفرضت على البلاد الغرامات وجمعت الاسلحة واهانت كرامة الوطن ، وكان أول عمل لتلك الحكومة هي أن ارسلت انذارا الى فيصل تطالبه بأن يغادر الوطن السوري فورا ، داست بذلك لصالح فرنسا الثمرة الاولى التي كان ممكنا أن يستفيد بها العرب على الفور .

وطوال حكم فرنسا لسوريا وعلى تعدد الثورات والتضحيات برز عديد ممن تعاونوا مع فرنسا في سلك شرطتها ودوائر امنها وكانوا حربا على الوطنيين وشرا على المخلصين ، ولكن ذلك الانحراف لا يمكن أن يقلل شيئا من سلامة الوطنية في شعب سوريا الذي خاض الحروب الصليبية بشجاعة وقاتل مع غيره من المسلمين بالمنطقة في بطاح حطين. لقد ترعرعت في مرابعه فكرة الوحدة العربية وعلى بطاح وطنه سالت دماء الشهداء في ثورات عارمة ضد فرنسا ، وفي شوارع

دمشق . وانتشرت جثث شهدائه طوال عشرين عاما وذاق من ويل الحكم الاجنبي كل اساليب القمع فلم يرضخ ولم يهن ولم يستكن ولو هدمت القنابل ارجاءه ، ودكت برلمانه وشلت سلطانه، وهكذا يتأكد ان انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وذلك المغرب العربي الكبير بأقطاره الكبرى الثلاثة : تونس والجزائر ومراكش ، حين استقر بها الاستعمار الفرنسي ، كادت تذوب معالمها في تلك البوتقة الخطيرة لولا جذورعميقة من اصالة صحيحة في شعوبها، ولم يشنها أن تلك الجيوش التي كانت تحمل اسم فرنسا في حربين عالميتين طاحنتين كانت تتركز على قواعد تلك الشعوب وتتكون منها ، تجند في صفوفها ، وتموت في ميادينها وتدفع الارواح بلا ثمن وبلا هدف ، « وهكذا حدث ان مات المسلم دفاعا عن قاتله وازهقت روحه في سبيل سعادة الجلاد ونصره » (٦٩) .

ففي معركة العدم بليبيا خلال صيف ١٩٤٢ كان ابناء شمال افريقيا هم سدى المعركة ولظاها في سبيل انتصار فرنسا التي اذلت تونس واحرقت باستعمارها المغرب وحاولت فرنسة الجزائر على أمل فرنسي تحطم الآن واندثر ، وفي معارك اوربا حين نزل الحلفاء في شواطىء فرنسا وايطاليا غزاة محاربين ، كان ابناء الاقطار الثلاثة يصلون نار تلك المعارك الحارقة ، على حين كانت فرنسا تعتقل ملك تونس الشهيد المجاهد المنصف باي ، وتسلط قواها على الجزائريين والمغاربة والتونسيين في الداخل ، تخشى ثورتهم وتمعن في استغلالهم .

وحين اشعل الاحرار الابطال نار الثورة الجزائرية في صيف ١٩٥٥/٥٤ بقي قسم من جيش فرنسا الجزائري يحارب تلك الثورة ويحمل السلاح على الاعداء وقتا طويلا ، بل ان معارك فيتنام البعيدة التي خاضتها فرنسا دفاعا عن استعمارها هناك انما ذابت فيها عظام ابناء الجزائر ومراكش وما زال بعض قادة المغرب يحملون اوسمة ذلك المجد الفرنسي المنهار(٧٠)، ولا يسري بنا الحديث الى بعيد ، فان معركة ميسلون التي خاضها جيش فرنسا عند أبواب دمشق ضد أول حكم عربي نشأ بعد الحرب العالمية الاولى

---

(٦٩) البشير الابراهيمي مجلة البصائر ١٩

(٧٠) ذكرت مجلة روز اليوسف القاهرية في عددها الصادر في ٢٨ من اكتوبر ١٩٦٣ ان من اشهرهم الجنرال كتاني الذي تولى قيادة قوات المغرب الدولية في الكونغو وورد اسمه في الانقلاب الذي حدث ضد لومومبا والجنرال ادريس بن عمر ووصف بانه من المحاربين الفرنسيين الشجعان في الهند الصينية والجنرال محمد اوفقير وهو من المشهورين في معركة ديان بيان فو والجنرال فريان وما زال كل اولئك يرتبطون بحقوقهم المادية في جيش فرنسا .

واقامه فيصل حليف بريطانيا وفرنسا ضد تركيا ، تلك المعركة انما خاضها لصالح فرنسا عرب من شمال أفريقيا ضد العرب في ديار الشام ، يقول البلاغ الرسمي الفرنسي الذي أورده كاتب عربي (٧١) ان القوات الفرنسية في تلك المعركة كانت تتكون من آلاي المشاة ٤١٥ وآلاي الرماة الجزائريين الثاني وآلاي من السباهي المغاربة .. الى اخر ما ذكر البلاغ .

والجلاوي الذي قاوم وطنية الملك محمد الخامس وانضم الى جيش الاحتلال وقواده ضد استقلال المغرب ، انما كان مغربيا ، وابن عرفة الذي قبل على نفسه أن يجلس على كرسي ملك المغرب الوطني المبعد في حماية من جيش فرنسا وارهابها انما كان مغربيا ، بل ان روح الانحراف التي سرت في القلة جعلت جزءا من جيش الجزائر في يوم من الايام يقبل ارغام الفرنسيين بأن يسهم فيتطويع سلطان عربي آخر، يقول شيخ علماء الجزائر في مقال شهير له « رأينا المثال المجسم من انتصار الاستعمار بالمسلم على أخيه المسلم وترويع المسلم بأخيه المسلم وخوف المسلم من اخيه المسلم ، كل ذلك والدين واحد والوطن واحد والمصلحة واحدة والخصم المتربص واحد ، ولعمري أنها لاقصى غاية من الفساد بلغناها واقصى امنية للاستعمار نالها بنا فينا » (٧٢) .

ولا ريب أن فرنسا قد أفلحت زمنا في حكم تلك المنطقة الشاسعة بجزء من أبناء الشمال الافريقي غرر به أو ارغم حتى اعتقد بعضهم انهم مع فرنسا على ارتباط ابدي ، الفوا في ذلك الكتب ودبجوا المقالات ، لكن هذه الصورة من الانحراف لا تمثل الا أقلية صغيرة من ذلك الشعب العربي المسلم في تونس والجزائر ومراكش وهي بذلك لا يمكن ان تشين شعوب هذه المنطقة التي شهدت ثروة بالبطولات والتضحيات على مدى تاريخ طويل ، وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ، فمن شواطىء تونس وبشعبها زحف الاسلام فأنار صقلية مئات السنين بنوره الوهاج ، ومن جامعة الزيتونة الاسلامية أضيئت جوانب الشمال الافريقي كله بروح الوطنية والفداء ، وتشهد صحاريها المترامية كم لقيت الزعامة في غياهبها من ارهاق وأبعاد وأتعاب عمد اليه الاستعمار ليوقف زحفهم البطولي نحو الحرية واعادة الوطن لاهله ، وسوف يتذكر التاريخ على مداه البعيد ، الزعيم الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري النواة السياسية الاولى هناك ، ومحي الدين القليبي والشهيد صالح بن يوسف وتامر وحشاد والآلاف من شهدائها الذين ذهبوا على مذابح الاستعمار ، ويصور روح

(٧١) النضال بين العرب والفرنسيين والانجليز ، ص ١١٩
(٧٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ١٤٨ عام ١٩٥١

الكفاح الحر في شعب تونس قول الشابي شاعرها الخالد :

اذا الشعب يوما أراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي   ولا بد للقيد أن ينكسر

وتلك الصورة السلبية لا يمكن أن تشين جهاد الجزائر الخالد منذ أن رفع لواءه في وجه فرنسا الامير عبد القادر الجزائري ، ونازلها في صراع مجيدسنوات طويلة، يردده التاريخ فيتمجيد وفي اكبار، ودفع خلاله الشعب الجزائري تضحيات مريرة ولاقى من عنف الاستعمار وطغيانه أهوالا تنهد لجورها الجدران ، وتشيب لهولها الولدان ، من مصادرة للاراضي الى عنت في الحكم الى محاولة الابعاد عن العروبة والاسلام .

ولكن كل ذلك قوبل بالجهاد والثورات تتلاحق وتتتابع طوال قرن من الزمان ، ابتداء من أولئك الابطال الذين صمموا في قلب مدينة الجزائر أن يحموا مسجدها الكبير من تحويله كنيسة في بداية الاحتلال حتى ذهبوا الى الله في داخله شهداء مدافعين (٧٣) ، الى الخمسة والاربعين الف شهيد الذين حصدتهم مدفعية فرنسا وطائراتها في قسنطينة وسطيفة (٧٤) ، حيث تحركت الروح القومية تطالب بالتحرر ، الى المليون من شهدائها الابرار الذين قدموا الارواح زكية في ثورتهم العارمة الصادقة من سنة ١٩٥٤ الى أن حققوا استقلالهم ١٩٦٢ .

وليس من ريب في ان ذلك النداء الذي وجهه ملك فرنسا عام ١٨٣٠ الى جنوده يوم رحيلهم للجزائر وقال فيه : ان العمل الذي ستقوم به الحملة سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء (٧٥) ، لم يستطع أن يكون حقيقة عملية برغم الجور والظلم وطيلة قرن واثنين وثلاثين عاما ، وهذه مفخرة للشعب الجزائري العظيم الذي أعلنت ثورته في بيانها الاول عام ١٩٥٤ الرد الحاسم على ملك فرنسا شارل العاشر وقالت فيه « اننا نادي شعبنا ليتحرك حتى يعيد للجزائر حريتها ووجهها الاسلامي الصحيح» ولقد فعلوا برغم كل العقبات واثبتوا عن جدارة ان الاساس المتين السليم لا يمكن أن يضعف وأن انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

ويقال هذا ايضا عن المغرب (مراكش) حيث كانت مفاخر الوطنية فيه ليست من الايجاز حتى يحيط بها بحث، ولكن التاريخ لا يمكن مهما أوجز أن

(٧٣) انه جامع كيشاوة وقد سعدت بصلاة اول جمعة في الاستقلال حين تمت اعادته الى حقيقته في يوم مشهود خالد عام ١٩٦٢ .
(٧٤) الوحدة العربية ، ص ١٦٨
(٧٥) المصدر السابق ، ص ١٥٨

يتخطى ثورة عبد الكريم الخطابي والبطولات العديدة التي استطاعت أن تزلزل كيان دولتين مهمتين في اوربا هي فرنسا واسبانيا حتى سقطت في الاخيرة وزارات عديدة تحت ضربات الثورة ، وحتى تعاونت الصليبية في جميع ارجائها وارسلت مدينة نيويورك الامريكية سربا من الطائرات لتدك به أسبانيا معاقل المجاهدين .

بل ان جهاد المغرب بعيد الحرب العالمية الثانية وتضحيات شعبه في سبيل الحرية كان مضرب الامثال في البطولة وفي الرجولة حيث كانت المعارك تشمل فيافي المغرب يصلاها جيش التحرير فيه ، وكانت المدن تشهد بطولات فدائية ضد المستعمرين وضد المتعاونين معهم ، ولم يثن الشعب عن هذا ابعاد الملك الى الجزر البعيدة ولا تولية المعتدلين الراضين بالتعاون مع فرنسا ، وكان جهاده العسكري مفخرة ونضاله السياسي اعتزازا ، وذاق الشعب في الداخل متاعب الجهاد والقتال وتقبلها بروح الفداء والتضحية واحاطت بزعمائه في الخارج متاعب الاغتراب والشدة والفاقة وقابلوها بالابتسام في سبيل الهدف الذي ارغموا فرنسا اخيرا على قبوله وتربع المغرب حرا مستقلا ، وهكذا يثبت أن المعدن الكريم يتغلب دائما وان انحراف القلة لا يشين الشعوب .

واذا تحدثت عن وطني الاول ليبيا ، لا اجد الصورة تختلف عن اي جزء آخر في العالم ، فقد ظهر في الاعوام الثلاثين التي حكم فيها المستعمر ، من مالأه وهادنه وسار في ركابه ، بل لقد هانت الوطنية عند قلة قليلة فكانوا حربا على الوطنيين والمجاهدين ، ويعلم الله كم كابد وطني من متاعبهم وانحرافهم . لقد شهد الحاكم الايطالي غرزياني (٧٦) في احدى خطبه ان المجندين الليبيين كانوا يتركون رصاصهم في ارض المعارك ليتموّن منها (العصاة) وكانت هذه شهادة للوطنية الليبية حتى في اولئك الذين خدموا مع المستعمر ، ولكن التاريخ لا يغفل ان بعض مناطق الوطن قد شهدت جرائم بشعة خطيرة بسبب انحرافات يحتاج تفصيلها الى بحث مستقل . وتلك بعض جرائد ذلك العهد مليئة بتمجيد موسوليني ، وملك ايطاليا وتسطير النثر ونظم الشعر في مجد الرومان .

ويطول بنا الحديث لو عمدنا الى الامثلة نسوقها دليلا فيما لا يحتاج الى دليل ، ولكن هذه المواقف او تلك لم تنل من همة الشعب الليبي لانها مواقف القلة الصغيرة ، نشأت عن انحراف رخيص ، ونشأ البعض الآخر عن اضطرار فرضه حكم لم يشهد التاريخ ابشع منه ولا اشنع ، وانحراف

(٧٦) جريدة بريد برقة بنغازي ديسمبر ١٩٣٠

القلة لا يشين جهاد الشعوب ، اذ ان الصورة الطبيعية للشعب الليبي انما تتضح في رفعه السلاح ربع قرن من الزمان يجالد به دولة تفوقه عددا وعُددا وتسلّط عليه قوانينها وبرامجها التي تهدف الى اذابته ، وترسل بجموعها لتغتصب ارضه ، ومع هذا تستمر التضحيات ، ويدوم القتال في شواطىء طرابلس وبرقة ثم في جميع الفيافي والقفار والصحارى والجبال الشاسعة ، اشترك فيه الحضري والبدوي وساعد فيه الفقير والثري ، اضاعوا الثروات فلم يأبهوا بها ، وركبوا فرس الموت يسابقون بها المجد حتى شهد بجهادهم البعيد والقريب ، ولم يبق متر من ارض ليبية مأهولة لم يشهد قتيلا او مشنوقا ، وتلك المعتقلات الجماعية التي نام تحت ثراها عشرات الالاف لانهم لم يظهروا الولاء لايطاليا ولم يكفوا عن مساعدة المجاهدين ، وتكفي الاحصائية التي نشرت عن الشعب الليبي عام ١٩٥٥ التي افادت ان تعداده مليون وربع مليون ، وهو الشعب الذي كان قبل الاحتلال الايطالي بتقدير الادارة العثمانية مليونين ونصف المليون ، ضاع نصفه بل أكثر من نصفه أما في ميدان القتال او على اعواد المشانق او في صحارى المعتقلات او في ديار المهجر ، وحين اضطر الى القاء السلاح بعد واحد وعشرين عاما من حرب متصلة استقر في الخارج ، وفي ارض الكنانة كانت أكثر جموعه ، واستمر محتفظا بوحدته ، رافضا الخضوع لايطاليا ، معرضا عن عروضها له بالعودة ، موحدا قيادته في ظروف مرة من فقر وعوز وارهاق حتى اذا اشتعلت الحرب العالمية الثانية وناداه قائده المهاجر الامير السنوسي (الملك الآن) امتشق سلاحه من جديد وانضم اليه الكثير من المجندين الذين القوا سلاحهم في اول معركة ، رافضين القتال دفاعا عن العدو ، وأسهم الجميع في تحقيق النصر وعادوا الى بلادهم فاتحين محققين استقلاله مفتخرين باسلامهم محافظين على عروبتهم .

وهكذا لم يشن الشعب الليبي ذلك الانحراف من قلة تستوي عندها مفاهيم الحياة بل واثبت كغيره من الشعوب المؤمنة انه احد مفاخر الاسلام الذي به قاتل ، واثبت ايضا ان انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وبالتالي لا يشين شعب فلسطين انحراف قلة منه ضئيلة ما دام تاريخ الشعب يفرض على الباحث المنصف ان يحني رأسه احتراما لشعب صغير وقف في اعتزاز وقوة وتصميم يحارب اكبر قوتين في الارض : صليبية استعمارية ، وصهيونية عالمية ، وما خسر معركة الا استعد لمعركة لاحقة .

خاتمة البحث

وهكذا استعرضنا الأطوار العديدة التي مر بها جهاد شعب فلسطين منذ ١٩١٧ ، من اثقال بريطانية صهيونية تعاون فيهـا المال والحكم بأدوات القانون والحيل والعنف ، وأوضحنا كيف عمدت بريطانيا الى عزل هـذا الشعب الصغير في تعداده ، لتتمكن من اذابته وسط بوتقة الصهيونية وكيف تسابقت الدول الصليبية جميعها الى تأييد هذه المؤامرة الخطيرة ، ولكن الشعب الفلسطيني قاوم بكـل جهد يستطيعه الانسان ضد مخطط الصهيونية والصليبية الاستعمارية طوال ثلاثين عاما ، وهي مدة طويلة يقفها شعب صغير اعزل منفرد امام قوى كبرى عالمية لو تجمعت على عدد من الشعوب لقهرتها .

يقـول حاييم وايزمان زعيم الصهيونية المعروف ، « ان بريطانيا قد وعدت زعماء الصهيونية بأن تسلمهم فلسطين خالية من سكانها خلال سنوات قليلة ، ولكن مقاومة العرب هي التي اجّلت ذلـك الوعد ولم تكن تلك المقاومة في الحسبان(١) » .

ولا ريب ان تلك المقاومة العربيـة التـي ابداها شعب فلسطين قد استمرت على مدى التاريخ ، وتلاحقت حتى يوم النكبة الخطيرة عام ١٩٤٨ ، وحتى معارك العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، التي شهدت تضحيات الفلسطينيين في غزة والعريش وخان يونس .

واسرائيل المعلنة التـي تقف أمام العرب جميعهم اليـوم في وطنهم الكبير ، هي نفسها اسرائيل غير المعلنة التـي تقف قبل اليوم امام شعب فلسطين وحدهم في ميدانهم الصغير الضيق .

واذا كنا في بحثنا هذا قـد عمدنا الى مواجهة الحقيقة التاريخية في تقصير العالم العربي والاسلامي تجاه فلسطين ، فاننا نحصر ذلك في الفترة التاريخية الخطيرة التي صاحبت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حيث كانت شعوبنا مكبّلة بواقعها الاستعماري الرهيب وحيث كانت القوى

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٩ .

الكبرى تتحكـم في مصيرنا وتقرره ، وحيث كـان الوطن العربـي مكبلا بمعاهدات هي استعمار فظيع مقنّع ، وليس من ريب في ان الروح الصادقة المتحرقة للنضال كانت ترافق شعبنا في جميع اقطاره آنذاك ، ولو اتيحت له فرص العمل لأثبت كيانا سليما وجدارة فعالة .

ومن واجب شعوبنا ودولنا ان تدرك اليوم هذا الخطر الخطير الذي بدا بفلسطين وجاهده شعبها ثلاثين عاما طليعة في سبيل مقدسات الاسلام وكل العرب ، هذا الخطر بدا يقترب من كل اوطاننا وتبدو اهواله واضحة للجميع ، اقامه الاستعمار ركيزة ، واتخذته الصليبية الاستعمارية قاعده ، وبعثت في تفكيره آمالا خطيرة لا يمكن تحقيقهـا الا عـلى اشلائنـا جميعا ، فالصهيونية تنادي بوطن كبير يمتد مـن النيل الى الفرات ، ويضم بـين جنباته المسجد الأقصى المبـارك في القدس ، ومثوى الرسول الطـاهر في المدينة المنورة(٢) ، وتقيم كيانها محطما لوجودنا ، عابثا بحضارتنا ، مـذلا لكبريائنا وكرامتنا ، عاملا دون رحمة ولا خلق على تشريدنا وافنائنا ، واذا كان بعض منا أو من حكامنا يستغرب هذا القول ويراه تشاؤما لا محل له ، فان هذا هو الذي كانت تقابل به احداث فلسطين قبل نكبتها عـام ١٩٤٨ حين كانت بعض الأصوات تحذر من الخطر الصهيوني ، وتتفجع على مصير الشعب المجاهد في فلسطين ، وكان بعض من حكامنا أيضا وقليل من افراد شعوبنا يرى هذا شيئا من التشاؤم واغراقا في الخوف ، واستهانة بجموعنا ، حتى حدث ما حدث وسبق السيف العذل . (٣)

وفلسطين تحتلها الصهيونية باسم الدين ، وتربط بين احتلالها الحالي وذكريات سليمان وداود والشعب المختار (الذي قتل النبيين) ولا يمكن ان يكـون جهدنا متكاملا لانهـاء المشكلة مـن اساسها وتصفيتها ابديا الا باشتراك مئات الملايين من المسلمين في شتى بقاع العالم معنا فيها ، ونحـن بذلـك انما نسمـي الأشياء بأسمائها ، ففلسطـين للاسلام جميعا مهوى الأفئدة ، ومسرى الرسول ، والاسلام مطالب بالعمل من اجلها ، ولكننا نحن العرب مسلمين ومسيحيين مطالبـون بهذا العمـل باعتبارها مقدسة اولا ووطننا ثانيا ، واذا كـانت الامم المسيحية الاوروبية قـد غضت الطرف عن مقدساتها في فلسطين تلك التي حافظ عليها الاسلام قرونا طويلـة ، ولـم تتحرك لانقاذها من ايدي ابناء صهيون ، فان ذلك سيكون اكثر دفعـا لنـا

(٢) راجع خريطة المطامع الصهيونية في الوطن العربي ص ٥٢٠ من هذا البحث .

(٣) كان هذا الجزء من الكتاب قد سطر في اواخر ١٩٦٦ قبل الكارثة الكبرى في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

نحن العرب المسلمين والمسيحيين الى التحرك الجدي والعمل المفيد ، كل بجهده وقوته لا يدخره ولا يستهين به ، أما المسيحية في أمريكا وبعض اوربا ، « فقد آمنا بأن العالم المتحضر (فيها) قد تهود ، وآمنا بأن السحر الذي أبطله موسى قد احياه اتباعه ، ولكن بغير ادواته ، أبطله بعصا الخشب ، واحيوه بحبال الذهب ، وآمنا بسفسفة القضايا الفعلية التي تحيل اجتماع الضدين ، حين رأينا التضاد يجمع طرفيه في دائرة مغناطيسية فاذا هو ممكن .. واذا عقيدتا الصلب لعيسى والتأليه له تجتمعان في هالة من البريق المغشي للأبصار والبصائر ، فكأنه لا تأليه ولا صلب ... كل ذلك لانه لا ضمير ولا قلب » (٤) .

اننا نؤمن كامل الايمان واصدقه بأنه حين تتوحد صفوف العرب جميعا وحين يستطيع العرب المسلمون ضم مسلمي العالم في المعركة المقدسة والمصيرية وحين نسخّر كل قوانا وامكانياتنا لليوم الفاصل ، فاننا بذلك سوف نضمن لأجيالنا القادمة البقاء والحرية والعيش في سلام .

وسوف نقدم للانسانية جمعاء بما في ذلك المسيحيين في اوربا وأمريكا يدا تاريخية تنقذها من مهاوي الباطل والصهيونية وتسلطها ، وذلك حين نقيم في فلسطين ، عدلا انسانيا ونطوي الى غير رجعة باطل اليهود وصهيونيتهم ، ولن نفعل ذلك الا اذا ارتفع شعورنا بالواجب والمسئولية والخطر الى القمة في كل فرد حتى اذا تقابل اثنان من العرب او من المسلمين مهما تباعدت اوطانهما ، كان حديثهما فلسطين ، وكان وداعهما أن يبذلا الجهد ويتقابلا فيها، فلقد عاش اليهود آلاف السنين فاذا قابل الامريكي منهم الآخر الروسي ودّعه بكلمته المرجعة : نسيتني يميني ان نسيتك يا اورشليم ، سواء في ذلك الشعوب او الجماعات أو الافراد، ونحن العرب والمسلمين بذلك أولى وله أقرب .

اما من يتخاذل عن تقديم عونه وبذل جهده وتضحياته ، فسوف ينال عقاب الأجيال ولعنة الله والتاريخ ، وعلى الله التوفيق ، وما النصر الا من عند الله ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

— ● —

(٤) البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٨ .

للخامس من يونيو ... وما بعده

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير »

قرآن كريم (التوبة ٣٨/٣٧)

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ، او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

قرآن كريم (الانفال ١٥ و ١٦)

من جهّز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا .

(حديث شريف)

ان استوينا (مع العدو) في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا (وان أسأنا) ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم .

من خطاب الخليفة عمر
الى القائد سعد بن ابي وقاص يوم القادسية

ان ما اخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد الا بالقوة ، ولا مفاوضة ولا صلح ولا اعتراف باسرائيل ، ولا صفقات على حساب الشعب الفلسطيني ، وسنسترد الارض شبرا شبرا .

جمال عبد الناصر — ٢٣ يوليو ٦٨

يجب ان تشمل المعركة ضد اسرائيل الامة العربية بأسرها ، وعلى الفلسطينيين ان يقاتلوا حتى تتحرر ارضهم .

(هواري بومدين)

لقد استطاع الرئيس جونسون ان يخدع الروس ليمنعوا مصر من بدء الهجوم وخرج من ازمة الشرق الاوسط وكأنه سيد الموقف .

نيوزويك ١٠/٧/١٩٦٧

ابلغ ايادا وخلل في سراتهم — اني ارى الراي ان لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي ، ان كانت اموركم — شتى ، واحكم أمر الناس فاجتمعا
ما لي اراكم نياما في بلهنية — وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاقنوا جيادكم واحموا ذماركم
واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا
هيهات لا مال من زرع ومن ابل — يرجى لغابركم ، ان انفكم جدعا
يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا — على نسائكم ، كسرى وما جمعا
قوموا قياما على امشاط ارجلكم — ثم أفزعوا ، قد ينال الامر من فزعا

لقيط بن يعمر الايادي
الكاتب في ديوان كسرى يحذر قومه من غزو الفرس

لك قلبي يا شبابا ثائرا — شد في نحر الردى ثبت الجنان
قذف البغي به خلف الحمى — فانثنى سمح الفدا صعب المران
واعد الموت فلما التقيا — كبَّر الفتح وصلى الخافقان
وطني يا مد عيني ويدي — واماني اذا عزّت اماني
في غد اوراقنا الذبلى ترى — لمحة النور وتحيا فيك ثاني
ننفض الاكفان عنا فاذا — كل ميت مارد طلق العنان
تهتف الدنيا على اصدائنا — والربى تشدو وتزهو الضفتان

عبد المنعم الرفاعي
في قصيدته « عام » بعد الكارثة

الفصل الأخير

الاحداث الخطيرة قبيل الخامس من يونيو ١٩٦٧

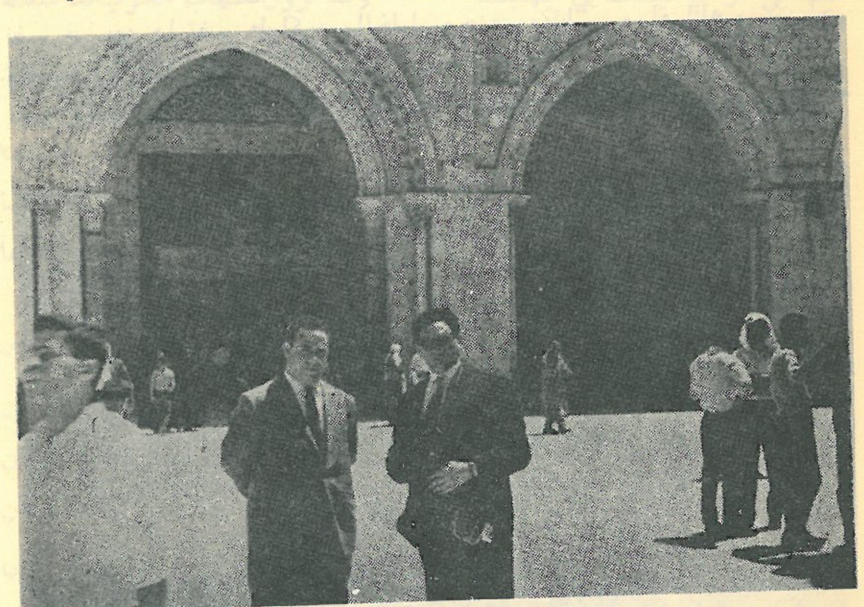
حين سطرت الصفحات الثلاث الاخيرة خاتمة لبحثي « جهاد شعب فلسطين » كان الموقف في هذا الجزء من العالم العربي يصور وجود الباطل الصهيوني في جزء من فلسطين يقف عند قطاع غزة الذي تشرف الجمهورية العربية على ادارته ويحكمه مجلس تنفيذي فلسطيني ، وعند هضاب تجاور بحيرة طبريا وتشرف عليها مرتفعات جولان السورية المحصنة والمسلّحة وعند خط يقسم ارض فلسطين الى اسرائيل والضفة الغربية للاردن التي تضم من بين ما تضم طولكرم والخليل وجنين ونابلس ورام الله وبيت لحم والقدس ، والتي تكوّن اهم أجزاء المملكة الاردنية .

ولقد زرت الضفة الغربية ووقفت عند ذلك السلك الذي يقسم قرية

بيت صفافا وجندي اردني يشرح لنا ما يبدو خلف الاسلاك المحتلة بالعدو .. ان القرية مشطورة نصفين ، وكان سكان النصف المحتل ينتظرون يوم التحرير .. اما اليوم فتنهما في ذلك الانتظار

بيت صفافا الى نصفين احدهما يحتله اليهود ويقف فيه اطفال عرب يرنون بابصار الشوق الى أمثالنا من الزوار .

وزرت رامات راحيل حيث آثار المعركة التي اشترك فيها ابناء وطني الصغير ليبيا واقيم لهم مع شهداء الشمال الافريقي نصب تذكاري يخلد التضحية في سبيل الوطن الكبير ، وزرت طولكرم وجنين ونابلس والبيرة ورام الله حيث كانت لي مع المؤرخ الثبت عارف باشا العارف لقاءات وبحوث ودراسات ، وزرت القدس الخالد وتجولت في المواطن التي شهدت معارك التاريخ منذ أمنت القدس في احضان الاسلام المجيد ، وشاهدت عن كثب تلك الاحياء والشوارع التي خاض الفلسطينيون فيها انهار الدماء ، القطمون والثوري وباب العمود والشيخ جراح وغيره وغيره ، ووقفت عند الصخرة المشرفة اتذكر فيها تاريخنا وامجاده وأستعيد منها احداث الزمان وتطورات الايام ، وصليت في الاقصى المبارك ورددت بلساني وفكري قول



الحرم الاسلامي في القدس الشريف بعيد صلاة الجمعة اغسطس ١٩٦٦ وتحت جدرانه تعمل المعاول اليهودية الآن بحثا عن هيكل سليمان ، واذا رضخ العرب والمسلمون فالمدينة المنورة هي هدف الاعداء القادم ...

الله العظيم « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » ، وتجولت في شوارع القدس الفسيحة والضيقة ، فما رأيت فيها الا روحا طيبا ، ومناطق محببة ، ولا شعرت

ورفاقي خلالها الا بجاذبية قوية وروحانية غامرة لمدينة يملأ القلب والبصر جمالها البسيط المحبب ، ولطفها القريب الى القلب واللذيذ في الوجدان ، ولقد اخذت بعزة افراد شعبها وكرامتهم حتى اولئك الذين يعملون على سيارات الاجرة ، او في الفنادق ، كانوا يمثلون روح الاعتزاز وسلامة التصرف القانع فلا طمع ولا سؤال ولا مضايقة للزائر او السائح ، وانك لواجد صعوبة في محاولة اكرام احدهم او مساعدته ماديا ، بل انك لواجدهم اسرع الى اكرامك والاهتمام بك ورعايتك .

هكذا رايت الضفة الغربية والقدس الخالد خلال اعوام ٦٤ و ٦٥ و ١٩٦٦ وهكذا كان الوضع حين فرغت من تسطير هذا البحث في مايو ١٩٦٧ .

ولكن هذا الوضع الذي أصفه لم يعد كما كان قبلا ، فلقد حدثت كارثة كبرى غطت احداث عام ١٩٤٨ الذي خلقت فيه اسرائيل نتيجة الانتداب البريطاني في خلال ٣٠ عاما .

فاسرائيل الان تحتل كل قطاع غزة وسيناء وترابط على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتعطل الملاحة في القناة وتصوب سلاحها الى ضفة القناة الغربية ، وهي تحتل كل الضفة الغربية لنهر الاردن بما في ذلك القدس الجريح الخالد ، وهي تحتل مرتفعات جولان السورية التي كانت تمثل يدا قوية فعالة تهبط صاعقة لاسرائيل بين وقت وآخر ، وكان يظن انها في مأمن من غزوها قادرة على ردها وردعها .

ولقد بدا هذا الاحتلال الجديد الذي يمثل حتى الان اسرائيل الكبرى وكاد يوصلها الى غاياتها من النيل الى الفرات ان لم يكن قد اوصلها فعلا ، بدأ في الساعات الاولى من صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ولنتحدث عن الوقائع من اولها ، لارتباطها بقضية فلسطين ، قضية المصير العربي ، ولارتباط الاحداث ايضا بجهاد شعب فلسطين على مدى التاريخ .

اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ :

تربعت اسرائيل في ارضنا العربية منذ ان فرضت شروط الهدنة الثانية في ١٩٤٩ واشترط لقبولها في الامم المتحدة ان تلتزم بتنفيذ ما سبق من قرارات حول حدودها الاقل واعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويض من لا يرغب العودة ، واعلنت اسرائيل التزامها بذلك وعلى هذا الاساس قبلت عضوا في هيئة الامم ، ولكن اسرائيل التي بنيت على الخداع لم تكن تنوي تنفيذ شيء من ذلك ولم تحاول القوى الكبرى في الامم المتحدة واعني بها

بريطانيا وامريكا وروسيا ان ترغمها على تنفيذ ما التزمت به فعلا وشرطا .

وتجمعت الدول العربية في جامعتها وقررت فرض حصار اقتصادي على اسرائيل لا يصدر اليها من العرب ولا يستورد منها الى العرب ، وان نقاطع كل شركة او سفينة في العالم يثبت تعاملها معها ، ولم يكن لاسرائيل منفذ الا على البحر الابيض فكانت منتجاتها تبدو بقلة في اسواق اوربا وكان الحصار العربي يأخذ عليها دور خناق فعال .

وحالة الحرب مستمرة فالهدنة لا تمثل صلحا والاحداث والاعتداءات تتوالى ، فتارة تعتدي اسرائيل على حدود سوريا واخرى على حدود الاردن ومرات على حدود قطاع غزة ، وملئت مكاتب الامم المتحدة باحتجاجات العرب واستنجاداتهم وهم في موقف الضعيف الذي يهان ويركل ويضرب دون ان يملك عن نفسه دفاعا مجزيا .

ولكن مجموعات من ابناء فلسطين تحركوا عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وبدأوا ضد اسرائيل حركات فدائية فجاسوا خلالها وفجروا الغامهم في مدنها وقراها ، وضجت اسرائيل ثم قامت بغزوة سريعة فضربت سوق غزة بالقنابل وقتلت عشرات من سكانها ، وكانت دول الغرب راغبة دائما عن بيع السلاح للدول العربية ، بل كانت تقيم في سبيل ذلك الصعوبات والعقبات ، وهكذا اتجه الرئيس جمال عبد الناصر الى الكتلة الشرقية وفاجا العالم في احدى خطبه عام ١٩٥٥ بأن السلاح في طريقه الى مصر وانه لا يمكن ان تستمر اسرائيل تغزونا في قلب غزة ونصمت عن فعلها ، اما الدول الكبرى الثلاث وهي بريطانيا وفرنسا وامريكا فلم تفعل اكثر من تكرار بيانها الثلاثي من انها تضمن حدود دول المنطقة ولا تسمح بانتقاص حدود اسرائيل ولا بتعديها على حدود جيرانها ، ولكن هذه الدول كانت قد اضطربت لحصول مصر على سلاح من مصدر آخر لا تقف امامه عقبات دول الغرب .

وتلاحقت الحوادث ، فسحبت امريكا وعدها بالمساعدة في انشاء السد العالي ، ورد عليهم الرئيس العربي بتأميم قناة السويس وارجاعها الى شعبها واقامة السد من وارد هذه القناة ، وتآمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل مما نتج عنه العدوان الثلاثي وشرحناه قبلا (*) .

واذا كانت جيوش الغزاة الثلاثة قد سحبت من سيناء وغزة وبور سعيد ، فقد جيء بقوات دولية ترابط بين مصر واسرائيل وفي جزيرة

(*) راجع الصفحات من ٤٤٨ الى ٤٥٢ من هذا الكتاب .

تيران وعلى مشارف خليج العقبة .

وهكذا استفادت اسرائيل من العدوان الثلاثي حيث حمت القوات الدولية سفنها وهي تعبر ذلك الخليج العربي وسرعان ما انتعش ميناء ايلات واصبح المتنفس اليهودي ، والمنفذ الى افريقيا وآسيا والشرق الاقصى .

واستمرت مصر في منع السفن اليهودية من عبور القناة ومنع أي مواد استراتيجية لها ، ولكن ميناء ايلات حل ازمات كثيرة لاسرائيل واستمر احد شرايين حياتها الدافقة .

وفي فبراير ١٩٥٨ اعلنت الوحدة بين مصر وسوريا، وبرز للوجود اسم الجمهورية العربية المتحدة وطوي العلم المصري الاخضر ذو الهلال والنجمة ورفرف علم عربي جديد يحمل الالوان الثلاثة ونجمتين للبلدين الموحدين .

وكان يوم اعلان الوحدة يوما خالدا في تاريخ العرب ، حيث وقف الرئيس السوري الذي عانى كثيرا في جهاد استعمار فرنسا واحكام اعدامها المرحوم شكري القوتلي ، وقف يعلن في القاهرة اني أسلم الامانة للرئيس العربي رمزا للوحدة ، وعملا على خلق أمة عربية واحدة تستعيد مجدها وتبني حضارتها ، وكان القوتلي صاحب تصريح مشهور منذ استقلال سوريا عام ١٩٤٧ « اني لا اسمح بأن يرتفع على العلم السوري اي علم الا ان يكون علم الوحدة العربية » . وعم السرور عالم العرب الكبير الذين اعتقدوا ان عهد الوحدة الكبرى قريب قريب .

وتغيرت معايير الامور لدى اسرائيل ، وكان يوم الوحدة يوم المحزنة لديها فلم تعاود اسرائيل الاعتداء طوال ايام الوحدة ، وحين نشبت معركة وحيدة فوق « التوافيق » بحدود سوريا تلقت اسرائيل درسا قاسيا كان آخر تحركاتها الاستفزازية في ذلك التاريخ ، واذا كانت الوحدة السورية المصرية قد دامت قرابة ثلاث سنوات فان انفصالها قد بعث الحياة في اسرائيل واشاع الفرح في ربوعها ، أعرب عن ذلك زعماؤها وكتّابها واتخذوا من يوم الانفصال يوم سرور وابتهاج ، واذا كان بحثنا يختص بجهاد شعب فلسطين وما تفرع عنه ، فان المجال يضيق امامنا للبحث في امور الوحدة واسباب انهيارها واستغلال الانفصاليين للظروف وتحطيم جدار قوي في بناء الامة العربية .

غير ان ما لا بد من ذكره هو ان العلاقات العربية لم تكن في مستوى الاحداث طوال تلك السنين ، وكانت المسافات تزداد بعدا في روابط الاخوة بين دول المنطقة ، وتولت كل اذاعة كيل السباب والاساءة الى الدولة الاخرى واستراحت اسرائيل ، فاعداؤها بعضهم أعداء لبعض ، وهم لذلك في صراع مرير .

مؤتمرات القمة العربية :

اعلنت اسرائيل خلال عام ١٩٦٣ انها ستحوّل مجرى نهر الاردن لتستفيد من مياهه في تعمير صحراء النقب ، وادرك العرب خطورة هذا القرار وما يتضمنه من تعد على مياه تنبع من اراضي عربية وتشرب منها شعوب عربية ، وما في ذلك من ازدهار لاسرائيل وازدياد في عدد سكانها والمهاجرين اليها .

وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٣ دعا الرئيس عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع للقمة لاتخاذ قرارات فعالة تحول دون الاجراء اليهودي الخطير قائلا :

« حتى نجابه اسرائيل اللي تحدتنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان حربها وقف وقال ان احنا حانحول المية غصب عن العرب ، والعرب يعملوا اللي يعملوه ، اقول لا بد من ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في اسرع وقت ممكن ، معركة فلسطين ممكن تكون مستمرة ، ومعركة الاردن جزء من معركة فلسطين(٥) » .

وتلاقى بالقاهرة ملوك العرب ورؤساؤهم في اول مؤتمر لهم ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ واصدر قراراته يوم ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ وجاء فيها :

بعد ان بحث المؤتمر ما أوشكت عليه اسرائيل من القيام بعدوان خطير جديد على المياه العربية بتحويل مجرى نهر الاردن والاضرار البالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه ، استهدافا منها لتحقيق المطامع الصهيونية التوسعية بجلب المزيد من قوى العدوان واقامة مراكز تهديد اخرى لأمن البلاد العربية وتقدمها وسلام العالم ، وقياما بواجب الدفاع الشرعي، وايمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس بتقرير مصيره والحد من الاستعمار الصهيوني لوطنه ، وبأن التضامن العربي هو السبيل الى درء المطامع الاستعمارية قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في ميدان الدفاع او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

واجتمع مؤتمر القمة للمرة الثانية بالاسكندرية خلال صيف ١٩٦٤ واجتمع للمرة الثالثة في الدار البيضاء اكتوبر ١٩٦٥ وعلى الرغم من الآمال الكبار التي علقتها الشعوب العربية على هذه اللقاءات القيادية الكبيرة فان تحويل اسرائيل لمجرى الاردن لم يتوقف وذهب كل مظهر للقوة كان نابعا

(٥) الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه ببور سعيد بمناسبة عيد النصر في ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ .

من اجتماعات القمة ادراج الرياح ، اذ لم يفكر العرب في مهاجمة اسرائيل، ولم يحاولوا منع استفادتها من النهر بوسائل عملية حاسمة مأمونة .

لقد انتجت تلك اللقاءات شيئين مهمين كان الاول : القيادة العربية الموحدة والتي نظرت اليها الشعوب العربية نظرة الامل لجمع جيوش العرب ، وتوحيد قيادتها ، والاستفادة منها وقت اللزوم ، وكان الثاني هو اعلان ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية وما يتبع ذلك من خلق جيش فلسطيني يعد لليوم المنتظر .

ولكن مؤتمرات القمة لم يكتب لها البقاء ، فقد عادت العلاقات العربية الى السوء من جديد ، وزالت الثقة بين رؤساء العرب ، واخذت مظاهر من البعد والعداء ليس هنا مكان شرحها ولا تسطيرها ، وعادت اجهزة الاعلام العربية تتحارب ، واستحال عقد مؤتمر القمة الذي كان مقررا عقده بالجزائر .

والواقع ان الخلاف بين الدول العربية على ما فيه من ضرر بالشعوب وبالمنطقة لم يكن غريبا نتيجة احداث عديدة تصارعت فيها المصالح والنظم الاجتماعية ، وكان الامل يداعب الجميع في ان اواصر الاخوة لا بد ان تكون اعظم من مظاهر الخلاف والشقاق . وان تلك العبارات القاسية والحملات الاذاعية ستذوب كأنها لم تكن حين تدعو المصلحة رؤساء العرب للعمل الموحد المجدي ، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية التي كان يراسها السيد احمد الشقيري لم تكن بعيدة عن تلك الخلافات والحملات الاذاعية ، واذا كان الرؤساء يجدون دافعا لهذا فان منظمة التحرير كان يجب ان تبقى بمنأى عن ذلك وان تستمر فوق الخلافات وان تمد يدها في صداقة وتعاون مع الجميع ، كان عليها ان تقلد جبهة التحرير الجزائرية حين كانت تجعل من قضيتها منبرا مقدسا وراية للجهاد ترفرف على الجميع ، هدفها مجالدة المحتل وتحرير الوطن ، حتى كان رئيس وزراء الحكومة الجزائرية عام ١٩٦٠ يتناول غداءه بالقاهرة وعشاءه ببغداد على شدة ما بين العاصمتين في ذلك التاريخ من صراع شديد حتمته احداث اليمة كان العراق مسرحها.

ونتج عن موقف منظمة التحرير التي زجت بنفسها في الخلافات ان تجمدت تقريبا فاعليتها ، وقل العون الذي كان ضروريا لجيشها ومكاتبها وفروعها ، واخذ رئيس المنظمة يدعو الى تخريب بعض المدن العربية والى قتل بعض المسئولين دعوة علنية وصحفية واذاعية ، مما دفع هؤلاء الى الحذر منه وحرم المنظمة من العمل في جهات كانت مواجهة لاراضي فلسطين المحتلة وهي اكثر مجابهة لمواقع اعدائها ، وانقسم الرأي العربي وسط هذا الخصم الخطير ، واستمرت اسرائيل تنفذ مشروعاتها ، وتسر لخصومات اعدائها فيما بينهم .

العمل الفدائي الفلسطيني :

وسط هذه الاحداث كان الشعب الفلسطيني موزعا بين الاقطار والافكار ، ومنذ ان تربعت اسرائيل في ارضه وقضيته في المجامع الدولية لم تتعد قضية لاجئين ، يغتنم العرب فرصة التقرير المقدم من مدير وكالة الغوث ليزجوا بأسباب اللجوء ، وانشاء اسرائيل ، وحرمان العرب من ديارهم ، وكانت هذه الفرصة تتيح للهيئة العربية العليا منذ عام ١٩٥٠ ان ترفع صوتها باسم الفلسطينيين وتتلقى المساعدة من وفود الدول العربية جميعا ، ولكن تلك المجادلات والخطب وسط اللجنة السياسية والجمعية العامة على الرغم مما نتج عنها من قرارات توجب ارجاع شعب فلسطين الى دياره وتعويض من لا يرغب العودة ، فان اسرائيل استمرت تصم اذنيها عن كل قرار من هذا القبيل ، وتجد من الدول الكبرى صمتا وتناسيا واستهانة بتلك القرارات وفاعليتها .

والشعب الفلسطيني وسط هذا عرضة لمتاعب اللجوء ، وقوانين الاقطار العربية والتشديد في اجراءات سفر افراده ، وتحركاتهم ، والحذر من توطنهم ومتابعة افكارهم وآرائهم ، والحق ان ما تعرض له الشعب الفلسطيني من تضييق وعنت كان شيئا ثقيلا في موازين الحياة العامة ، ولكنه يمثل ما اعتاد كل شعب في مثل وضع شعب فلسطين ان يجده في اعقاب المعارك التي تحقق النصر لاعدائه ، ومعلوم ان كل عمل للشعب الفلسطيني يجب ان يبنى على عون وتأييد من الدول العربية المحيطة باسرائيل وفي اغلب الاحيان كانت هذه الدول تشعر انها في اوضاع لم تستعد بعد للمعركة وانه ليس من المصلحة ان تعطي اسرائيل فرصة فرض المعركة وتحديد وقتها كما تشاء .

وكانت اسرائيل تشعر بتباعد العرب وتنافرهم ، وتستفيد من ذلك كل الفائدة ، وحدث ان ادركت اسرائيل ان العمل في منع روافد الاردن بأراضي سوريا يسير سيرا مفيدا ، فسرعان ما أرسلت طائراتها في غارة خاطفة حطمت المشروعات وادواتها التي دفعت فيها مبالغ عربية طائلة .

وكان المفروض ان تتلقى اسرائيل درسا قاسيا على عملها الخطير هذا ، ولكن الامر ذهب بلا عقوبة ، ثم اعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان السلاح الجوي العربي يحتاج لقواعد في سوريا ليتمكن من اداء واجبه وقت اللزوم ، وان تلك القواعد لم تتم الموافقة عليها بعد(٦) .

ولم يذهب وقت طويل حتى هاجمت اسرائيل قرية « السموع »

(٦) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في احتفال منظمة التحرير بذكرى ١٥ مايو بجامعة القاهرة ١٩٦٦ .

الاردنية بضواحي الخليل فهدمت مساكنها وقتلت عددا من سكانها ثم قفلت راجعة الى حدودها ، والحق ان العالم العربي كان في دهشة من توالي الاعتداءات الاسرائيلية ، ولكن هذه الدهشة لا تلبث ان تخمد لما هو ظاهر من خلافات عربية باعدت بين الصفوف ، واستمرت الاحداث وتوالت ، وظهرت اسرائيل في صورة المعتدي المتعجرف الطاغي الذي لا يخشى لوما ولا عقابا ، ولم تكن اجراءات مجلس الامن ضدها الا بعض عبارات اللوم الخفيف المهذب .

وسط هذا الجو المشحون المربك كان الشعب الفلسطيني يتطلع الى الفرص التي تمكنه من العمل ليعيد الى الاذهان بطولات التضحية والفداء التي شهدها العالم منه خلال ثوراته ضد الانتداب البريطاني .

اول بلاغ للثورة :

وفي اليوم الاول من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ اصدرت منظمة فلسطينية تتخذ لها اسم حركة التحرير الفلسطينية (فتح) اول بلاغ لها وقالت فيه :

« اتكالا منا على الله ، وايمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وايمانا منا بواجب الجهاد المقدس ، وايمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط الى الخليج ، وايمانا بمؤازرة شرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت اجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٦٥ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة في الارض المحتلة ، وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة واننا لنحذر العدو من القيام باية اجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب اينما كانوا لان قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة ، وستعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب ، كما اننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو باي شكل كان لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار اينما كانت .

عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة بلاده وكرامته » .

وكان هذا البلاغ الذي اذاعته منظمة « فتح » عن اولى عملياتها الفدائية فاتحة لعمل كبير في الارض المحتلة ، وفوجيء الراي العام العربي بذلك البلاغ وتلك المنظمة ، واخذت التساؤلات تتلاحق من هم اعضاؤها ، وكيف تكونت ؟ من اين تمول ؟ وثبت مع الايام انها مجموعة من شباب فلسطين ثقلت عليهم آلام النكبة ، وطال بهم الانتظار فقرروا العمل باذلين اموالهم وارواحهم في سبيل ذلك ، تخلوا عن مناصبهم الكبيرة في بعض

الدول واستمروا سرا مغلقا وعملا منظما لينجح عملهم وينمو(٧) .



ثلاثة من فدائيي منظمة (فتح)

واستمرت « فتح » في اعمالها تقلق اسرائيل وتقض مضجعها ، وتوجه هذه بين الحين والحين اعتداءاتها على مظان الفدائيين كما فعلت في قريـة « السموع » الاردنية مما ذكرناه قبلا .

مقدمات الحرب :

وارتفع صوت اسرائيل تهدد الدول المجاورة بعمل اكبر ، اذا لم تعمل هذه الدول على وقف العمل الفدائي ، وردت تلك الدول انه من غير الممكن وقف شعب ثائر احتلت ارضه وشرد ، وصمم على استمرار النضال ضد اعدائه ، واوضحت تلك الدول انها غير مسئولة عن تلك الاعمـال وغير ملزمة بالبحث والتحري عمن يقوم بها .

وفي اوائـل مايو ١٩٦٧ خطب ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل

(٧) عرف الكثير عن هذه المنظمة حين بدأت تنشر اسمـاء شهدائها واكثرهم من الشباب المثقف والجامعي واعلن رسميا في ابريل ١٩٦٨ ان المهندس ياسر عرفات هو المتحدث الرسمي باسم « فتح » في جميع الشؤون .

واعلـن ان الجيش الاسرائيلي سيلاحق اعداءه وانـه سيحتل دمشق في سبيل ذلك .

واخذ تهديد اسرائيل لسوريا يأخذ مظهرا خطيرا ، وقلقت الشعوب العربية ودولها ، وتصور الجميع جيوش اسرائيل وهي تحتل عاصمة بني امية ، وتدخل زاحفة الى قبر صلاح الدين ، وانتشر القلق لدى شعوب المنطقة ، واتجهت الانظار الى الجمهورية العربية المتحدة كقاعـدة كبرى تمثل القوى الفعالة والامكانيات الهائلة من عسكرية وشعبية .

واذا كنا الان نؤرخ الاحداث بعد عـام من حرب يونيو ١٩٦٧ فقـد اتضح ما لم يكن متضحا يومئذ ، وثبت انه فضلا عن خطاب اشكول الذي هدد فيه باحتلال دمشق ، فان الوفد البرلماني العربي الذي كـان يزور موسكو خلال مايو ١٩٦٧ ابلغ رسميا مـن رجـال الاتحاد السوفييتي ان اسرائيل تعد لهجوم كبير على سوريا وان هذا الهجوم على وشك الوقوع (٨)

ونهضت الجمهورية العربية المتحدة بواجبها العربي التاريخي واعلنت ان اي اعتداء على قطر عربي من اسرائيل سيعتبر اعتداء عـلى الجمهورية العربية المتحدة ، وكان البوليس الدولي يرابط في سيناء وقطاع غزة وخليج العقبة للحفاظ على حدود الهدنة ، وسرعـان ما اصدرت القيادة العربية امرها لهذه القوات بالانسحاب في خطاب رسمي هذا نصه :

الجمهورية العربية المتحدة

القيادة العليا للقوات المسلحة

١٩٦٧/٥/١٦

الجنرال ج.ا. ريكي قائد قوات الطوارىء الدولية ـ غزة

احيطكم علما انني اصدرت تعليماتي الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد اي دولة عربية .

وتنفيـذا لهـذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء عـلى حدودنا الشرقية ، ولضمان امن قوات الطوارىء الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودنا ، اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشان .

فريق اول

محمد فـوزي

رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة

للجمهورية العربية المتحـدة

(٨) اعلن هذا رسميا الرئيس جمال عبد الناصر في التاسع مـن يونيـو حين اعلن استقالته يوم وقف اطلاق النار مع اسرائيل .

وبينما كانت اسرائيل تقيم في منتصف مايو عرضا عسكريا في القدس المحتلة لمناسبة ذكرى انشائها، تحركت القوات المصرية في سرعة بالغة الى سيناء واحتشدت على خط طوله ١٤٠ كلم . وتبع ذلك اغلاق مضايق تيران، وتوقفت الملاحة في ذلك الخليج العربي الذي تقيم على سواحله ثلاث دول عربية هي السعودية والاردن والجمهورية العربية المتحدة ، والذي استفادت منه اسرائيل فائدة كبرى منذ ان استعملته للاتصال الخارجي ، ونقل مصدراتها بعيد عدوانها عام ١٩٥٦ ، ولقد جاء اغلاق الخليج باعلان الرئيس جمال عبد الناصر : ان العلم الاسرائيلي لن يمر من خليج العقبة ، وان سيادتنا على مدخل الخليج لا تقبل المناقشة ، واذا ارادت اسرائيل الحرب فنحن نقول لها اهلا وسهلا(٩) .

وفي هذه الاثناء ووسط الجو الذي صحب هذه الاجراءات سلم السفير السوفييتي الى الرئيس جمال عبد الناصر رسالة تأييد من الحكومة السوفييتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي موجهة اليه والى شعب الجمهورية العربية المتحدة والى الشعوب العربية في وقوفها دفاعا عن اوطانها ومبادئها ضد مؤامرات الاستعمار(١٠) .

تحرك الاعداء :

واتخذت اسرائيل اجراءات مضادة فأعلن ليفي اشكول رئيس وزرائها في البرلمان الاسرائيلي : « ان الاحداث الاخيرة حتمت على اسرائيل اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للتعبئة ولتدارك اية تطورات محتملة » وسرعان ما تحركت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا تعارض الاجراءات العربية في الخليج ، وانها تعتبره ممرا دوليا ، وتنظر الى الامر نظرة خطيرة. واعلنت امريكا أيضا ان عليها التزاما مستمرا يصون السلام في الشرق الاوسط ، وذلك على اساس التصريح الثلاثي بينها وبين بريطانيا وفرنسا الصادر في عام ١٩٥٠.(١١) .

واخذ الغليان يزداد في جهات عديدة من العالم الغربي دفاعا عن اسرائيل وتمسكا لها بخليج العقبة ، واعلن متحدث عسكري بريطاني في الرابع والعشرين من مايو أن السفن الحربية والقوات البريطانية فيمنطقة

(٩) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لمركز القيادة الجوية بسيناء ١٩٦٧/٥/٢٢

(١٠) جريدة الاهرام ١٩٦٧/٥/٢٣

(١١) اتضح ان ذلك التصريح لا يعني عند الغرب الا صون حدود اسرائيل وسلامتها .

البحر الابيض قد وضعت في حالة تأهب تنفيذا لقرار مجلس الوزراء البريطاني وقد شمل ذلك القرار السفينتين الحربيتين (ويبتي) و (دنكان) ومعهما ٦ كاسحات الغام وحاملة الطائرات (فيكتوريا) والغواصة (ابنياس) ثم اعلن رئيس وزراء بريطانيا انضمام بلاده لامريكا في ضرورة ابقاء خليج العقبة ممرا دوليا تعبره سفن اسرائيل بحرية . وواصلت بريطانيا حماسها لاسرائيل فلم تمض أيام حتى اعلن وزير خارجيتها أن بلاده تعتبر اي اغلاق فردي لخليج العقبة عملا حربيا ، وقال « اننا لسنا على استعداد أن نعترف لاحد بحق القضاء على دولة اخرى بالشرق الاوسط ولو جرّنا ذلك للحرب (١٢) » .

وفي نهاية شهر مايو صرح الاميرال وليم مارتن قائد الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض انه مستعد لتنفيذ اي أمر يتلقاه ، وصاحب ذلك تحرك للاساطيل الامريكية لارهاب العرب وتقوية اسرائيل وتعزيز معنوياتها فعبرت قناة السويس حاملة الطائرات الاميريكية « انتربيد » وعلى ظهرها ٤٦ طائرة مقاتلة والفان وخمسمائة بحار وسبعة وثمانون ضابطا .

وتحركت الدول العربية فأرسل بعضها(١٣) قسما من جيشه للمرابطةفي الجبهة المصرية ، واصبحت القاهرة هدف الوفود من رؤساء العرب وملوكهم يحملون رسائل التأييد ويعرضون التعاون .

وعبئت الجماهير العربية تعبئة معنوية هائلة وانتظر الجميع اليوم الفاصل لهذه المأساة المرة المزمنة الثقيلة .

اما اسرائيل فقد تظاهرت بمظهر الضعف والمسكنة ، واخذت وفودها تقطع الاجواء الى بريطانيا وامريكا وفي الاخيرة تتم مقابلات على اعلى مستوى من الاهمية ولم يكن الرئيس الامريكي نفسه عنها ببعيد ، بل كان عمادها وعمودها ، ووصل يوثانت للقاهرة والصهيونية تلسعه بسببها لانه وافق على سحب القوات الدولية . وشرح له الموقف العربي والحق الذي يدعمه .

وبينما تنشر وكالات الانباء ان اسرائيل تستقدم المتطوعين من عدة دول اوروبية ، اذ يصرح ابا ايبان قائلا : « لن نقاتل ريثما نستنفد الوسائل

(١٢) ان الدولة الوحيدة التي يعني براون حمايتها هي اسرائيل التي ترى اليوم احتلالها وعدوانها وتحديها لقرارات مجلس الامن ، وبريطانيا صاحبة هذا التصريح المهم لا تحاول ضغطا جديا على الدولة التي صنعتها اثناء انتدابها الكريه .

(١٣) وصل سيناء قسم من الجيش العراقي والجيش الكويتي والجيش السوداني

الدبلوماسية بمعاونة هيئة الامم ومجلس الامن والدول الكبرى » (١٤) .

وكان تصريح ايبان هذا نوعا من الخداع والتضليل اذ ان اسرائيل حزمت امرها ونوت حربا ، ولكن ايبان كان محقا في اعتماده على الدول الكبرى ، لان هذه الدول على استعداد دائم لمساعدة اسرائيل .

وفي السلم وفي الحرب يهدد زعماء اسرائيل بالهجوم على سوريا ، وباحتلال دمشق ، ويحشدون جيشهم فلا تفعل تلك الدول الكبرى شيئا ، بل تنظر الى اسرائيل نظر الوالد الحنون الى طفله الشقي ، ويبادر العرب الى الدفاع عن انفسهم ، وحماية أرضهم من العدوان الاسرائيلي المبيت ، فتتباكى اسرائيل ودول الاستعمار على السلام العالمي ، وحرية الملاحة في خليج العقبة » . (*)

واستمرت الأحداث تتطور بسرعة ، ففي آخر مايو (ايار) هبط الملك حسين في القاهرة وأذيع فجأة أن اتفاقية للدفاع المشترك قد عقدت بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة ، وغادر القاهرة في نفس اليوم مصطحبا معه القائد العسكري المصري المعروف عبد المنعم رياض والاستاذ احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد مقاطعة طويلة وخصومة حادة ، واسرعت العراق ايضا فانضمت لتلك المعاهدة فتنسَّق بذلك العمل بين الدول الثلاث ، وكانت سوريا مرتبطة بالجمهورية العربية المتحدة ، بل هي أصل الاحداث .

حرب او لا حرب :

ولكن هذه الوقائع كلها لم تجعل المهتمين بالامور يجزمون بالحرب ، برغم الضيق والقلق والتكبيل التي اصبحت فيه اسرائيل منذ اغلاق خليج العقبة في وجه سفنها ، ذلك ان جهودا كبيرة بدأت على المسرح في سبيل خلق تفاهم حول الاحداث وتطورها :

وصل يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة للقاهرة واجتمع بالمسئولين وانتهى معهم الى تفاهم مبدئي ريثما تبحث الامور كلية شريطة الا تهاجم الجمهورية العربية اسرائيل مبتدئة .

امريكا في صميم المعركة :

وتدخل لندون جونسون الرئيس الامريكي فكتب للرئيس جمال

---

(١٤) مؤتمر صحفي بتل ابيب في ١٩٦٧/٥/٣٠

(*) اللواء الركن محمود شيت خطاب من سلسلة مقالات قبيل الحرب بجريدة العرب ببغداد .

عبد الناصر خطابا مسهبا كان مما جاء فيه قوله : « ان المنازعات الكبرى في عصرنا هذا ، يجب الا تحل باجتياز غير مشروع للحدود بالسلاح وبالرجال» وابدى الرئيس الامريكي رغبته في ارسال نائبه هيوبرت همفري لاجراء مباحثات مباشرة في المنطقة وحول موضوع الساعة ، وختم جونسون خطابه « اني اتوجه اليكم بهذا الخطاب في هذه اللحظة الحرجة آملا ان تشاركوني هذا التقييم ، وأن يكون في امكانكم التصرف وفقه في الساعات والايام المقبلة» وقدمت مذكرة من حكومة أمريكا الى الجمهورية العربية في نفس تاريخ رسالة جونسون السابقة وكان أبرز ما فيها : « ان حكومة الولايات المتحدة تعتقد انه من الضروري بصفة خاصة أن يتوقف الاتجاه الحالي لتعبئة القوات وحشدها على الجانبين ، ولقد اخذت امريكا بعين الاعتبار أن بيانات القاهرة وتل أبيب تشير الى أن تحركات قواتها المسلحة ذات غرض دفاعي، وأكدت ان الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة أي عدوان في المنطقة من اي نوع مكشوف او في الخفاء » (١٥) .

ورد الرئيس عبد الناصر على الرئيس الامريكي موضحا الموقف الذي نشأ عن تهديد اسرائيل باحتلال دمشق ، وان الاجراء العربي كان دفاعا عن النفس ، وان احتلال شرم الشيخ هو استعمال لحق السيادة وازالة لآخر أثر من آثار عدوان ١٩٥٦ . ثم ذكّر جونسون بقرارات الامم المتحدة وحقوق شعب فلسطين « وهي في نظرنا اهم حقيقة ينبغي الاعتراف بها ، لقد استطاعت القوة المسلحة المعتدية أن تطرد هذا الشعب من وطنه وتحوّله الى لاجئين على حدود هذا الوطن ، وتقف قوى السيطرة والعدوان اليوم حائلا دون حقهم الثابت في العودة اليه والعيش فيه ، برغم قرارات الامم المتحدة التي كان آخرها في العام الماضي » .

لا يمكن وقف الفلسطينيين :

واشار الرئيس العربي الى قول جونسون « ان مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اختراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح» قائلا : « اذا كان قصدكم هو عبور بعض أفراد الشعب الفلسطيني خطوط الهدنة فانني أود هنا أن أشير الى ضرورة بحث هذا الجانب في نطاق النظرة الشاملة لقضية فلسطين ، وهنا ايضا أتساءل عن مدى قدرة أية حكومة في أن تسيطر على مشاعر أكثر من مليون فلسطيني فات ما يقرب من العشرين عاما دون ان تهتم العائلة الدولية باعادتهم الى أوطانهم ، ان ما يقوم به بعض أفراد الشعب الفلسطيني من عبور خطوط الهدنة ان هو في الواقع الا مظهر من

---

(١٥) الرسالة والمذكرة تحملان تاريخ ٢٣ مايو (ايار) ١٩٦٧ .

مظاهر الفضب الذي أصبح – عن حق – يتملك هذا الشعب ازاء الانكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ومن جانب القوى التي تقف مع اسرائيل وتعاونها ماديا وادبيا . »

ورحب الرئيس العربي بوصول مستر همفري وانه سوف يكلف نائب الرئيس السيد زكريا محي الدين بالسفر لمقابلة الرئيس جونسون وشرح الموضوع مواجهة (١٦) .

وهكذا قدمت الولايات المتحدة اطمئنانها الى بيانات الجانبين من ان الحشود لأغراض دفاعية وأنها تعارض معارضة كاملة أي عدوان في المنطقة ، فأصبح واضحا أن واجب العرب هو الا يبدأوا هجوما ، وان اليهود لن يهاجموا لأن امريكا وهي حاميتهم وصانعتهم قد ضمنت أن يكون موقفهم دفاعيا .

على ان هذه الرسائل ليست كل شيء في الموضوع ، فلقد ثبت ما هو اكبر واهم ، ان الولايات المتحدة تبدي من الاهتمام ما هو أعظم من أن يكون اهتماما دوليا بأحداث الشرق الاوسط ، ويتركز هذا الاهتمام في تكرار أن الجمهورية العربية يجب أن تتحلى بضبط النفس فلا تبدأ باطلاق النار ، وأن امريكا ضامنة الا تبدأ اسرائيل ذلك ، ففي السادس والعشرين من مايو (ايار) سلمت للسفير العربي بواشنطن رسالة في هذا المعنى تنذر أن مصر ستواجه نتائج خطيرة اذا بدات اطلاق النار (١٧) بل لقد تعدى هذا الاهتمام الامريكي الاتصال المباشر ، وسرعان ما رفع الرئيس الامريكي سماعة الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو ليقول لسادة الكرملين : ان العالم مهدد بخطر حرب عالمية ، اذا تحركت القوات المصرية ضد اسرائيل ، داعيا لهم بالتدخل بينما

(١٦) كان هذا الرد يحمل تاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ .

(١٧) كان النص الرسمي الذي سلمه والت روستو مستشار الرئيس جونسون للسفير العربي بواشنطن هو : ان أبا ايبان نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير الخارجية حضر وطلب مقابلة المستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية لامر لا يحتمل الانتظار دقيقة واحدة، وذلك لانه قد وصلتهم معلومات بأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم في هذه الليلة بهجوم مفاجىء على اسرائيل وأنه مكلف شخصيا من الرئيس ليندون جونسون بابلاغ الجمهورية العربية المتحدة بأن هذا لو تم سيؤدي الى نتائج خطيرة للغاية ، وأنه يود أن يؤكد لنا ان الحكومة الامريكية من ناحيتها سوف تبذل كل جهد من اجل منع اسرائيل من البدء بأي عمليات عسكرية ضد الجمهورية العربية المتحدة . نشر هذا في مقال (بصراحة) لمحمد حسنين هيكل بالاهرام ٢٣ يونيو ١٩٦٧ وعن وثائق وزارة الخارجية المصرية التي عرضت في اجتماع وزراء الخارجية العرب .

ضمنت امريكا الا يتحرك الجيش الاسرائيلي » (١٨) . وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وبينما سكن كل شيء في القاهرة كانت سيارة واحدة تنهب الطريق الى منزل الرئيس جمال عبد الناصر ليبلغه سفير الاتحاد السوفييتي شخصيا الا تكون مصر البادئة بالهجوم . (١٩) وارادت امريكا أن يكون تدخلها أفعل من كل هذا ، فأكد وزير الخارجية الامريكية للسفير العربي في واشنطن في اليوم الاول من يونيو أن أمريكا لن تسمح لأي طرف بأن يبدأ قتالا مسلحا ، بل لقد كانت الخدعة الامريكية أعمق واكبر حتى انها قدمت مشروعا لمجلس الامن يدعو الى التهدئة وقال مندوبها الامريكي الصهيوني المستر غولد برغ : « ان مشروعه يدعم نداء السكرتير العام لايجاد فترة تنفس كي يسمح للتوتر بأن ينخفض عن مستواه الحالي ، ومن أجل هذا حث هذا القرار جميع الاطراف على ممارسة ضبط النفس اللازم ، لكي يتاح لهذا المجلس وللدبلوماسية الدولية بأن تلاحق الخطوات الاخرى اللازمة لتهدئة الحالة والاتجاه نحو السلام . »

تجمعت كل هذه الاتصالات : تأكيدات أمريكية على جميع المستويات وبكل السبل ، اتصال سوفييتي يرجو ويؤكد ويضمن ، تدخل السكرتير العام للامم المتحدة والاتفاق معه على عدم الهجوم ، وانتظار بحث دبلوماسي أشمل ، ورأي بعض المهتمين بل رأي بعض القادة العسكريين ممن كان في يدهم تحريك الجيوش،ان المسألة ستسوى بأي طريق الا طريق الحرب (٢٠) ، على أن الوقائع أثبتت أن يوم الهجوم الاسرائيلي لم يكن سرا مغلقا على الجميع ، فقد اكد الرئيس عبد الناصر انه أبلغ القواد جميعا توقع الهجوم الاسرائيلي في الخامس من يونيو ، كما أعلن رئيس وزراء الاردن ان الملك حسين أبلغ من يهمهم الامر بهذا التاريخ الذي علمه من مخابراته ، وأذاعت وكالة الاسوشتدبرس في اليوم الرابع من يونيو (حزيران) ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يستبعد اقدام اسرائيل على اتخاذ خطوة متهورة ، ويدفعنا التسجيل التاريخي أن نذكر أن باحثا عسكريا عربيا كتب في اليوم الثلاثين من شهر مايو (ايار) يقول « ان اسرائيل اعلنت التعبئة العامة في اليوم الثالث والعشرين وسوف تتم التعبئة في الرابع من يونيو (حزيران) وهي حتما ستهاجم الدول العربية في صباح الخامس من يونيو » (٢١) .

(١٨) محمد صبيح ، المعتدون اليهود من موسى الى ايام دايان، القاهرة ١٩٦٨

(١٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم وقف اطلاق النار ٩ يونيو ١٩٦٧ .

(٢٠) محمد حسنين هيكل ، الاهرام ١٩٦٨/٦/٢١

(٢١) هو اللواء الركن محمود شيت خطاب بجريدة العرب ببغداد .

الراي العالمي مع اسرائيل :

وكانت الامور لدى اسرائيل تأخذ شكلا آخر ، فقد كانت التعبئة عامة وشاملة ، وكانت الاسلحة تتدفق عليها من امريكا وبريطانيا وغيرهما ، ولم تأبه اسرائيل بمزارع القمح تترك بلا حصاد ولا بالمرافق تترك بلا عمال في سبيل شمول التعبئة وعمومها ، وتولت الدعاية الصهيونية تصوير الموضوع للعالم صورة مزورة ولكنها مؤثرة ، دويلة صغيرة تتزاحم عليها شعوب عربية كبيرة كثيرة للفتك بها والتهامها ، وكتبت كل أسرة يهودية بل كل سيدة او رجل الى اصدقاء لهم في اوروبا وامريكا بعضهم يشرح الاحداث وما ينتظر من خطر ، وبعضهم يسألون اصدقاءهم أن يعملوا على تجهيز غرفة صغيرة ـ كان يسكنها قبل ان يسكن اسرائيل ـ ليعود لها مع اطفاله وأسرته لاجئا من العرب ، وأقيمت الصلوات في العواصم الاوروبية بمعابد اليهود تحت اعلانات شارعية وصحفية كبيرة دعاء لانقاذ اسرائيل من محنتها ، وجسمت الدعاية الاسرائيلية تحركات العرب فصورت جنود العرب من كل بلاد وهي تستعد للفتك باسرائيل ، وأخذت خطابات السيد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين بما فيها من تهديد ووعيد ونشرتها بين الشباب والاسر في العالم (٢٢) وفشلت الدعاية العربية الرخيصة في ايضاح الحق العربي ، واستغلت الصهيونية اذاعاتنا التي كانت لا تنفك تهدد وتتوعد وتعلن أن ساعة الفصل مع اسرائيل قد حلت ولا سبيل الى ارجائها ، وكان واضحا أن هذه الاحداث بصورها المختلفة أثّرت في أوروبا وشهدت بنفسي كيف كان اغلب الراي العام في بريطانيا وايطاليا يقف الى جانب اسرائيل لا معنويا ولكن حتى بوسائله المادية (٢٣) ، واذا كنا لسنا في حاجة الى شرح موقف الشعبين البريطاني والامريكي حيال هذا الموضوع فرأي أغلبيتهم معروف ولكننا نسوق وصفا لوضع الرأي العام الفرنسي الذي يحكم بلاده الرئيس ديجول وهو رجل قوي

---

(٢٢) نشرت جريدة العمل اللبنانية بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ أحد أحاديث السيد الشقيري وفيها هدد بابادة كل اليهود الذين هاجروا الى فلسطين فلما سئل عن مصير اليهود الذين ولدوا في فلسطين قال ان من يبقى منهم حيا يبقى في فلسطين وان تقديراتي أن أحدا لن يبقى منهم على قيد الحياة وكان له خطاب في المسجد الاقصى يوم الجمعة السابقة للعدوان اعلن السيد سعد جمعة رئيس وزراء الاردن ان الشقيري لم يستجب للنصح بعدم القائه وكان مليئا بالوعيد والتهديد .

(٢٣) عدت من لندن الى روما يوم ٣١ مايو ١٩٦٧ وطلبت من شركة اليطاليا السماح لي بالعودة الى مصر فاعترضت مشترطة ان امضي بقية الايام التي يحددها قانون السفر السياحي الا اذا كنت ذاهبا لتل ابيب ، فالتعليمات تقضي بعدم التقيد بالشروط في تلك الظروف ، ولما جادلتها أصرت بعنف ، وكلفت الصديق الايطالي امبرتو كانيجو فاتصل بكبار الشركة واتضح انها مستعدة لتسهيل السفر الى تل ابيب فقط واضطررت لالغاء تذكرتي وشراء تذكرة جديدة.

لم يخضع للصهيونية ولم يبد اي عداء للعرب في موقفهم المهم هذا . تصف جريدة سويسرية ذلك فتقول : « يتابع الرأي العام الفرنسي بقلق وتحفز مجرى احداث الازمة في الشرق الاوسط فالاذاعات ومحطات التلفزيون والصحافة حتى اكثرها شعبية تلك التي لا تهتم عادة الا قليلا بالاحداث العالمية راحت تخصص كل يوم أمكنة فسيحة جدا للموقف في هذا الجزء من العالم ، واذا كانت الحكومة الفرنسية اتبعت سياسة محايدة ، ولكن القسم الاكبر من الرأي العام الفرنسي يقف مؤيدا اسرائيل ، ولقد كان رد الفعل الشعبي هذا من القوة والعنف بحيث شمل طبقات الشعب ، وأجبر الحزب الشيوعي على تخفيض دعمه لمصر وعلى الاصرار الآن على حق اسرائيل في البقاء ويتضح هذا التأييد لشعب اسرائيل في المظاهرات وبرقيات التأييد والتصريحات وتحديد الموقف ، والاجتماعات الشاملة والالتزام بخدمة اسرائيل بسائر اشكال الدعم ، وقد ضمت المظاهرات في باريس عشرات الالوف من الاشخاص ومنذ أمد بعيد لم يؤد اي حدث دولي الى اجتماع مثل هذا العدد ، وأطلقت نداءات في الصحافة تحض المتطوعين على تسجيل اسمائهم ، وهكذا تم خلال عدة ايام وصول ثلاثة او اربعة آلاف فرنسي الى شارع (هوش) حيث يوجد مقر « التجمع الفرنسي من اجل اسرائيل » وتنبغي الاشارة الى « صندوق التضامن مع اسرائيل » الذي اقيم لجمع الاموال ، ان الراي العام مندفع بحركة سخية تعبر في آن واحد عن قلقه أمام تطور النزاع ودعمه الاجماعي لاسرائيل » (٢٤) .

على ان الصهيونيين الذين نجحوا في استعطاف الرأي العام العالمي ، والذين سيّروا أمريكا لتكون مطيتهم في منع العرب من اتخاذ اجراء حاسم سريع ، والذين استطاعوا أيضا تسخير الاتحاد السوفييتي بواسطة أمريكا من أن يسهم هو ايضا في مطالبة العرب بضبط النفس وعدم الهجوم ، هؤلاء الصهيونيون استمروا حتى آخر يوم قبل هجومهم الخطير يواصلون خداع العرب ، صرح موشى دايان وزير الدفاع (٢٥) الاسرائيلي في مؤتمر صحفي عقده بتل ابيب ونشر في الرابع من يونيو (حزيران) ان اسرائيل ترحب بما تستطيع الحصول عليه من مساعدة في المجال الدبلوماسي واننا ننتظر المفاوضات الدبلوماسية قبل ان نقدم على عمل من طرف واحد » وقال « ان ما لدى اسرائيل من الدبابات والجنود أقل مما لدى الجانب الآخر غير أن الكثير يتوقف على المكان الذي ستقع فيه المعركة » وقال « بما ان قاذفات القنابل البريطانية لن تقصف المطارات المصرية كما فعلت في عام ١٩٥٦ فان

---

(٢٤) جريدة تربيون دي جنيف ٣ يونيو ١٩٦٧

(٢٥) وكالة روتر في برقية من تل أبيب نشرتها صحف لبنان يوم ٦٨/٦/٤

احدا ما يجب بطبيعة الحال ان يدفع الثمن اذا وقعت الحرب ، وسيسرني جدا اذا عمل جانب آخر على تامين حرية المرور في الخليج بالوسائل الدبلوماسية واعتقد ان هذا العمل يجب ان يأخذ نصيبه من الاهتمام » .

وحين سئل دايان عما اذا كانت مصر ستستعمل الصواريخ او الغاز ، قال : « قد يحاولون وفي وسعهم ان يحاولوا » .

والذي يطلع الآن بعد أحداث الخامس من يونيو (حزيران) على هذا المؤتمر يدرك كيف كان عمق الحيلة والخديعة الصهيونية ، فليس في هذه التصاريح أي تهديد باستعمال العنف او الحرب وكلها تتعلق بانتظار المساعي الدبلوماسية ، وتكبر من الحجم العددي للدبابات والجنود العرب وتقر بأن في وسعنا ان نستعمل الصواريخ والغاز .

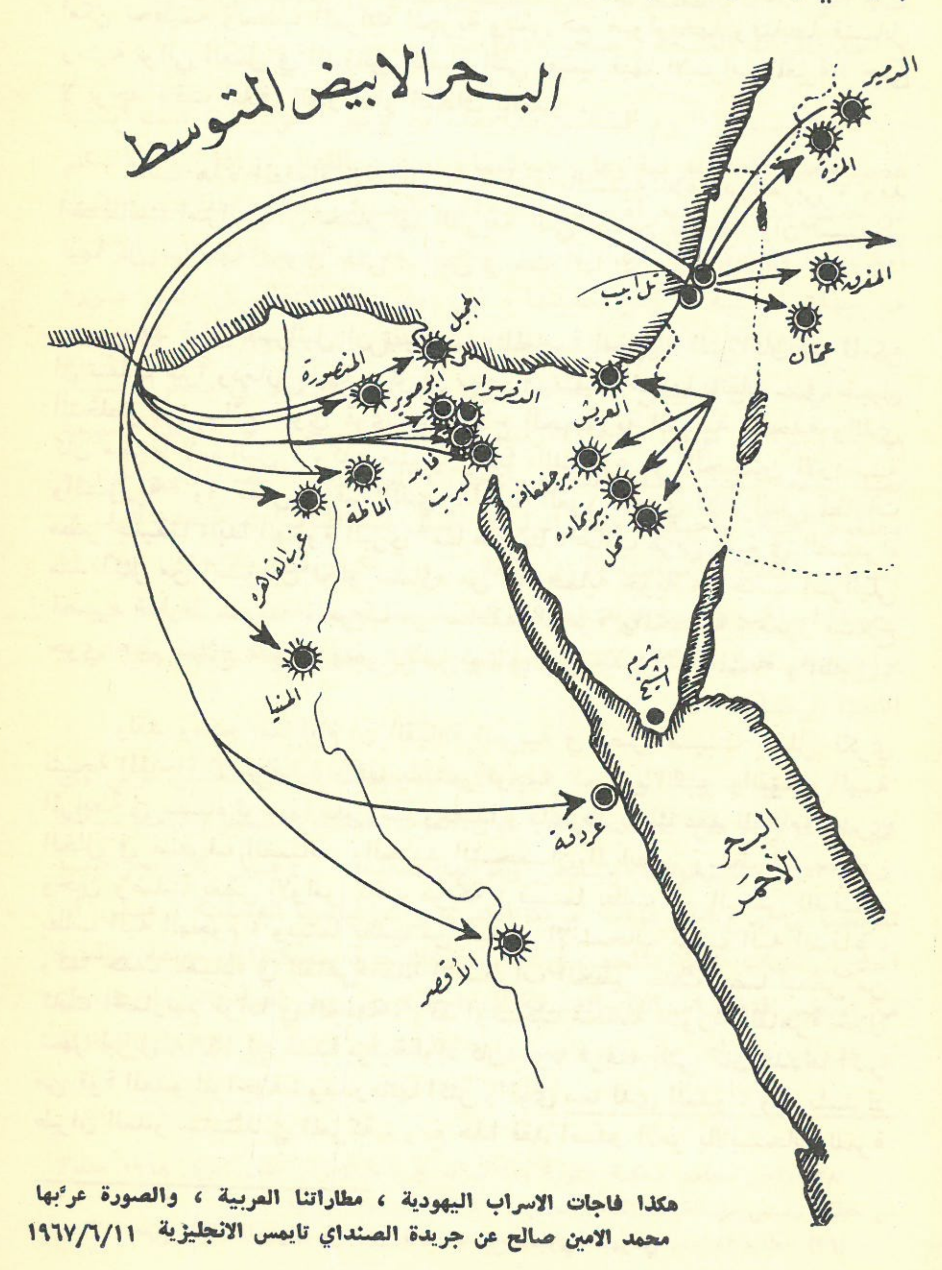
وكانت كل هذه التعبيرات تخفي الحقيقة المحددة لدى موشى دايان ، وهو أنه حين كان يلقي هذا التصريح كان قد أعد فعلا سلاحه وطائراته ، وحدد لها المكان المهم الذي يجب أن يهاجم اولا ، وعيَّن لها أيضا الزمان المناسب الذي تبدأ فيه عملها ، ولم يكن كل ذلك ببعيد عن تصريحاته الا ساعات تعد وتحصى ، حيث نفذت الخديعة التاريخية التي نسجتها الصهيونية في اسرائيل وعملت على اخفائها امريكا وأشركت فيها اكبر الدول عونا لنا ومساعدة ، نفذت تلك الخديعة التي أصابت الامة العربية في صميم وطنها وكبريائها بعيد الساعة الثامنة من صباح الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ (٢٦) .

الصباح المشؤوم (الخامس من يونيو « حزيران » ١٩٦٧) :

حين آوى الناس الى مخادعهم في مساء الرابع من يونيو (حزيران) كان آخر ما في اسماعهم ذلك النبأ الذي أذيع من واشنطن ويفيد « ان الرئيس جونسون اكد ان الولايات المتحدة تكرر تعهدها بالمحافظة على الحدود الاقليمية لكل دول المنطقة بالشرق الاوسط ، وانها لن تكون الى جانب الدولة المعتدية » ، وكان تصريح رئيس الولايات المتحدة هذا يمثل القمة في استعمال الفاظ الخداع الدولي على مستوى العالم كله ، والدخول في مؤامرات وضيعة لتحطيم شعوب وبلدان واذلالها لصالح عصابات مغتصبة وجماعات فرضها باطل هزيل ، ولعل التاريخ لا يعرف مثل هذا الاسلوب من الخداع الخطير الذي استعملته امريكا ضد الامة العربية طوال ايام الازمة والى صباح الخامس من يونيو (حزيران) حيث اتضح كل شيء ، لقد دبرت اسرائيل امرها ، وخططت لحرب مفاجئة بعد ان بذلت هي وامريكا كل ما في وسع الفكر من اساليب الخديعة طوال اسبوعين كاملين .

(٢٦) انها الساعة التاسعة بتوقيت الجمهورية العربية المتحدة الصيفي .

ففي الثامنة صباحا كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم جميع المطارات المدنية والعسكرية في الجمهورية العربية المتحدة ، استطاعت ان تغير عليها جميعا في وقت واحد وبأسراب متلاحقة .



هكذا فاجات الاسراب اليهودية ، مطاراتنا العربية ، والصورة عرَّبها محمد الامين صالح عن جريدة الصنداي تايمس الانجليزية ١٩٦٧/٦/١١

استطاعت الطائرات الاسرائيلية أن تخرج من مطاراتها في الساعة المحددة وان تطير متجهة غربا فوق البحر بارتفاع منخفض حتى اذا تجاوزت الاسكندرية اتجهت متوزعة في طيرانها المنخفض الى جميع المطارات تحطم ما أمكن تحطيمه وتعطب الممرات الجوية وتلقي مع صواريخها وقنابلها قنابل زمنية توالي العمل في الدقائق القليلة التي تغيب فيها الاسراب المغيرة ، حتى لا يوجد وقت لتلافي الكارثة او اللحاق بالعدو .

كانت هذه المفاجأة الاسرائيلية خطيرة بالنسبة للاعداد العربي ، وقد استطاعت اسرائيل ان تختار لها الطريقة التي تضمن نجاحها وان تستعمل فيها كل سلاحها الجوي حتى لم تبق في مطاراتها الا ثماني طائرات (٢٧) .

وقد قبلت اسرائيل ان تقوم بهذه المغامرة الخطيرة التي كان من الممكن ان تنقلب شرا ودمارا عليها — لو لم تنجح في تنفيذ خطتها باتقان — في سبيل التخلص من سلاح جوي قوي هو سلاح الجمهورية العربية المتحدة والذي كان مخيفا لاسرائيل ، وكان ملتزما ايضا بالدفاع عن الجبهتين الاردنية والسورية ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الغزو الجوي الاسرائيلي لمطارات مصر جميعها ، بدأ الهجوم البري آمنا مطمئنا ، جانب عربي يقبع في الصحراء منذ اكثر من اسبوعين تخلو سماؤه من اية حماية جوية ، وجانب اسرائيلي قصيرة خطوط تموينه ، قريب من مناطقه العامرة والمحصنة ، معزز بسلاح جوي حطم سلاح عدوه ، وتفرغ لأن يكون في عون الدبابات والمشاة والمظليين.

ولقد وضح بعد أيام أن القيادة العربية في مصر أصيبت بشلل فكري نتيجة المفاجأة الاسرائيلية ، فلم يستمر توجيه الجيش الكبير والقوات المهمة المرابطة في سيناء توجيها مدروسا ومفيدا ، فانفرط بذلك عقد النظام، وسرى الخلل في صفوف الضباط والجنود الشجعان المرابطين وسط الصحراء ، وحين وصلت بعض الاوامر كانت مربكة ، فبينما يطلب من البعض الدفاع يطلب اليه الهجوم ، وبينما يطلب من البعض الانسحاب يطلب اليه الدفاع ، وكما حدث للقيادة في القاهرة هذا الاضطراب الخطير حدث ايضا لبعض من كانت اختارتهم قوادا في الجبهة ، وقد أوضحت محكمة الثورة بالقاهرة خلال شهر ابريل ١٩٦٨ أن قائدا برتبة لواء كان يقود فرقته التي كان عددها أكبر من قوة العدو المواجهة ، ومدرعاتها أكثر وأقوى مما لدى العدو ، ولم يشترك طيران العدو ساعتئذ في المعركة ، ومع هذا فقد اصدر الامر بالانسحاب للمرة

(٢٧) صرح بذلك الجنرال مردخاي قائد السلاح الجوي اليهودي .

الاولى ثم للمرة الثانية ، ثم ادّعى انه مطلوب في مكان بعيد وتخلى عن فرقته، الامر الذي سبب خسائر جسيمة لتلك الفرقة الشجاعة التي قاتلت وهي تنفذ امر القائد بالانسحاب حتى استطاع العدو أن يتغلب على دفاعها المجيد في أحد الممرات الضيقة بالصحراء (٢٨) .

ولا ريب أن اليوم الخامس وما بعده من يونيو (حزيران) كانت أياما عصيبة على الامة العربية وعلى جيوشها في ميادين القتال ، واذا كنا هنا نتكلم عن جيش مصر في صحراء سيناء فلأنه أكبر الجيوش وأكثرها تدريبا وأعظمها امكانات ، واذا كانت أكثر التفاصيل الكاملة لحرب الصحراء غير متوافرة الا من جهات أجنبية لا يؤمن حديثها ، فان بعض تلك التفاصيل تعطي صورة عن الاحداث الاليمة التي حلت بجيش كان امل العرب والاسلام لتواريخ بعيدة ، لقد كان الجيش الممتد على طول مائة واربعين ميلا في صحراء سيناء مخيفا لاسرائيل مرعبا لها ، ولا ريب ان بعضنا كان يرى لو انه بدأ هجومه بعيد تجمعه لتغيّر وضع المنطقة ولتحدّث العرب عن النصر الذي أحرزوه وعلموه لأجيال وأجيال ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر شرح عدم البدء في المعركة واطلاق الرصاصة الاولى وقال : « لو كنا فعلنا ذلك لكنا عرّضنا انفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان في مقدورنا احتماله ، ولقد كان ما سوف نواجهه هو عمل عسكري امريكي مباشر ضدنا يجد الحجة والعذر من أننا اطلقنا الرصاصة الاولى » (٢٩) .

والحق ان هذا الموضوع يأخذ الآن بالأحاديث في كل مجلس عربي وفي كل بلد عربي ، هل كان ممكنا أن يكون العرب البادئين بالهجوم ؟ مع تأكد تدخل امريكا باسطولها السادس وقواتها المستعدة ، وهل كان يجرحنا تاريخيا أن نهزم أمام قوات امريكا الكبرى وأساطيلها العاملة ؟ على أن احدى وجهات النظر تتلخص في أن بدءنا بالهجوم سيمكننا في سرعة فائقة من تحطيم قوات اسرائيل الضيقة المساحة ، وسيمكن لقواتنا من أن تدخل او تشرف على أهم مدنها وعاصمتها ، وبذلك ان لم نفرض شروطنا العادلة

(٢٨) راجع محاضر محكمة الثورة وما نشرته جريدة الاهرام خلال ابريل ١٩٦٨ منقولا عن خطاب رسمي من القيادة العامة الجديدة للقوات المسلحة العربية .

(٢٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٦٧ .

وحقنا المهدور   فلا اقل من ان نكسب جولة في حرب طويلة ومع عدو دخيل وسط وطننا العربي ، ولا اقل من ان ننفذ قرارات الامم المتحدة باعادة اهل الوطن الى وطنهم ، وتدخل أمريكا ضدنا في حالة انتصارنا الخاطف قد لا يمنعنا من ان نفرض (كمرحلة أولى لنصرنا) حدود اسرائيل الضيقة كما شاء لها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أو مشروع برنادوت الذي جعل النقب عربيا لا يفصل فيه حاجز بشري اجنبي بين الوطن الواحد ، ان هزيمة عربية امام قوات أمريكا واستعداداتها سوف لا تكون عارا يدين القيادة العسكرية العربية ويضفي هالة مجد على اعدائنا . على ان الدارسين لاعماق الامور يرون ان الموضوع لا ينحصر في ان هزيمتنا امام قوات أمريكا سوف تجد لها تبريرا في المقارنة بين الحجم والاستعداد والامكانات ، ولكن الموضوع يتعلق بالنتائج ، فلو اننا بدأنا الضربة الاولى لما وجدنا وسط ذلك التيار العالمي المعبأ ضدنا أي صوت يقف الى جانبنا ، ولفرضت علينا قوات امريكا صلحا مريرا مع اسرائيل يضمن لها حدودا جديدة واراضي شاسعة وامتدادا لدولة صهيون من النيل الى الفرات ، ويختلف هذا عن وضعنا الراهن ، فقد وقفت الى جانبنا فرنسا التي تمسك رئيسها ديغول بكلمته الصادقة قبيل الحرب : « ان الدولة التي ستكون البادئة باطلاق الرصاصة الاولى لن تنال موافقة فرنسا ، ومن باب أولى تأييدها » ووقفت معنا اغلب دول العالم في جمعية الامم حين أدانت اسرائيل وطالبتها بالانسحاب وشجبت اعلانها بضم القدس ، ثم جاء قرار مجلس الامن الذي قرر انسحاب اسرائيل ولم تهمله الا امريكا وكندا ، ثم ها هي شعوب أوروبا بدات تدرك ان ذلك الحمل الوديع الذي خدع الجميع قبيل العدوان مدّعيا الضعف والمسكنة ، ليس الا ذئبا مفترسا يتقمص دولة توسعية ارهابية (٣٠) . ونحن الان في وضع لا نلام فيه اذا تمكنا من مهاجمة اسرائيل التي ترفض قرار مجلس الامن وتتمسك بارضنا وتقيم فيها المستعمرات ، وهكذا يتضح الفرق فيما يرى البعض بين أن نبدأ الهجوم أو نستعد للدفاع قبيل الخامس من يونيو (حزيران) .

وكيفما كان تصارع الآراء الآن بعد وضوح الهزيمة العربية المحزنة ، فان هذا لا يبعد بنا عن ذكر حقيقة لا يمكن الانفصام عنها ، وهي أن تخديرات اسرائيل لنا وخدعها قبيل العدوان ومشاركة امريكا لها في تلك الخدع المريرة ، وتسخير الاتحاد السوفياتي ليسهم في مطالبتنا بضبط

---

(٣٠) خرجت المظاهرات في السويد وبعض المدن الاوروبية خلال شهر ابريل ١٩٦٨ تهتف لمنظمة فتح وتقابل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل بالغضب والسخط حتى أخرج من ابواب جانبية .

النفس ، كل هذه لا تسمح بأن نغفل عن اجوائنا وحدودنا فنؤخذ على غرة، ونهاجم فجأة ونجد انفسنا عزلا من سلاحنا الجوي ودرعنا المهم الذي تتعلق به مصائر أجيالنا وأنظار شعوبنا في كل وطن عربي ، ان التحذير الامريكي والرجاء السوفياتي هو الا نبدأ الهجوم ، لا أن نترك الدفاع تصديقا للضمان الامريكي واستنتاجا من الرجاء السوفياتي .

على ان هذه الهزيمة المنكرة التي حلت بالأمة العربية كشفت عن اشياء كثيرة (٣١) استلزمت اعادة البناء من جديد ، فلقد أوضح الكاتب العربي محمد حسنين هيكل (٣٢) ان قيادتنا العسكرية لم تكن في مستوى المعركة منذ أن أصيبت بكارثة السلاح الجوي ، وأن الحرب كانت بين جيشين استوعب احدهما العلم وطبّقه ، وبعد الآخر عن ذلك في جهل بيّن واضح ، وأن تلك القيادة ربطت بين الانسحاب الضروري الذي كان في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين ما يجب أن يكون حين حطّم الطيران في الخامس من يونيو (حزيران) فأصدرت أمرها بالانسحاب مستعجلة ومرتبكة ، وكان ذلك سببا جوهريا من أسباب الكارثة (٣٣) .

ان هذه الهزيمة المنكرة ليست صورة صحيحة لشعبنا العربي في مصر ولا في غيره من الاوطان ، فقد وضحت الاسباب مما ذكر عن القيادة وضعف مستواها وارتباكها ، كما وضحت بطولات عديدة وسط ميدان القتال لم تستطع أن تدوم بسبب انحلال الجبهة ، وبعد القيادة العسكرية عن التفكير السليم والتنظيم الصحيح ، لقد صمم أفراد من الطيارين العرب أن يقودوا طائراتهم رغم المدارج المحطمة والوقود القليل ، فهاجموا طوابير العدو ومقاتلاته ومطاراته ، فعلوا الكثير من ذلك بشجاعة وهم يدركون أن وقودهم لا يكفي للعودة وأنهم ملاقون آخرتهم ، وقد استشهد من هؤلاء الابطال ما لا يقل عن اربعين شهيدا (٣٤) ركبوا فرس المجد ووجب لهم الخلود بيننا وفي جنات النعيم . وحدث التحام مع العدو من بعض القطاعات في

---

(٣١) ثبت أن قيادة المخابرات ايضا كانت أقل من مستوى الاحداث وأنها ارتكبت أخطاء كبيرة كثيرة ضد الافراد والاسر ونشرت الصحف في القاهرة نص الاتهام المهين عن تلك الافعال المشينة التي تنظرها محكمة الثورة .

(٣٢) مقالاته (بصراحة) أعداد الجمعة شهر يونيو ١٩٦٨ .

(٣٣) يقول الاستاذ هيكل في مقاله ٢١ يونيو ١٩٦٨ : لقد كان جو الارتباك النفسي بالغ الاثر على ميدان القتال وربما كانت المحنة التي تعرضت لها الفرقة الرابعة المدرعة من ابرز النماذج الحية في تصوير حقيقة ما حدث في مساء اليوم الثاني من ايام المعركة ، صدر الامر بانسحابها دون ان تتاح لها اية فرصة للقتال وفي اليوم الثالث طلب اليها العودة الى سيناء وفي اليوم الرابع واجهت عدوها في ظرف مادي ونفسي غير ملائم بينما قائدها في القاهرة .

(٣٤) انعم عليهم بنياشين البطولة بعد استشهادهم تخليدا لشجاعتهم .

سيناء الكبيرة وفي الجبهة الاردنية مجدّها العدو نفســه واقر بشجاعــة افرادها .

وما حدث في الجبهتين الاردنية والسورية لا يكاد يختلف الا قليلا مما حدث في الجبهة العربية بسيناء ، فلقد دخلت الاردن المعركة قبيل منتصف نهار الخامس من يونيو التزاما بمعاهدة الدفاع المشترك وكان لنجاح اسرائيل في تحطيم السلاح الجوي المصري اثر جوهري في نتائج المعركة ، فلقد تعرض الجيش الاردني وتعرضت القدس الخالدة لهجمات جوية متواصلة ، لقد كان القتال البري في الساعات الاولى يأخذ دور الانتصار للجيوش العربية، حتى صرح أشكول رئيس وزراء الاعداء أن القتال يدور في ارض اسرائيل (٣٥) . واحتلت الاردن جبل المكبّر وتنادى جنودها للمعركة على خطوط فاصلة تمتد ستمائة كيلومتر ، وبدأت المدافع السورية تدك المستعمرات اليهودية وتشعل فيها النار، ولكن ما ان اطمأنت اسرائيل على تحطيم القوة الجوية المصرية خلال ثلاث ساعات والتي كانت شغلها الشاغل ، حتى تفرغت ابتداء من عشية الخامس من يونيو لمعركتها مع الاردن ووجهت كل قوتها لاحتلال القدس ، كان الجيش الاردني قد قسم بين الدفاع عن القدس وبين الاتجاه جنوبا قصد الالتحام مع الجيش المصري الزاحف من سيناء ، وحين تأكدت فجيعة الطيران اتضحت معالم المعركة ومصيرها(٣٦)، ولكن القدس الخالد شهد دفاعا مجيدا استمر ايام الخامس والسادس من يونيو (حزيران) وكان القتال مريرا استعمل العدو فيه قنابل النابالم المحرّمة دوليا ، وسلط سحابات متلاحقة من طائراته تدك المدافعين والآليات والمستشفيات ليلا ونهارا ، حتى صباح السابع من يونيو (حزيران) حيث اخذ القتال مواجهة بالسلاح الابيض ومن شارع الى شارع، لقد اطمأنت اسرائيل الى الربكة التي حدثت في الجبهة الام ، وانفردت بجبهة القدس التي دفعت فيها قتلى كثيرين من جنودها وضباطها حتى دخلتهـا منتصرة ، وحققت بها حلم التاريخ الذي تكسر على صلابة المدافعين عنهـا طوال معارك عام ١٩٤٨ .

ولقد اشترك في الدفاع عن بعض خطوط الاردن وفي معركة القدس مع جيش الاردن الابي قسم من الجيش العراقي وفئة من صاعقة الجيش المصري وجموع من فدائيي منظمة « فتح » ، وبرغم احتلال اليهود للقدس فقد بقيت

(٣٥) برقية وكالة الصحافة الفرنسية يوم ٦ يونيو ١٩٦٨ .

(٣٦) قال الملك حسين في خطابه اثر وقف اطلاق النار « ان قواتنا لم تخف تكاثر العدو وتفوقه خاصة في سلاح الجو بعد ان فل على غرة وبمكيدة مدبرة سلاح اخواننا الجوي الذي كان معتمدنا ونصيرنا مع كل طائرات سلاحنا ، فواجهت العدو دون غطاء وما كان لها من خيار. عن جريدة الدستور ــ عمان ٦٨/٦/٨

أعمال القناصة العرب مستمرة في تلالها ومرتفعاتها وشوارعها حتى اليوم العاشر من يونيو .

وتعلقت أنظار العرب بالجبهة السورية ذات المرتفعات المنيعة والمحصنة بالخطوط الدفاعية العسكرية المسلحة ، وحين جاء اليوم السابع من يونيو (حزيران) كانت اخبار دمشق أن جيشها يزحف على المستعمرات اليهودية يحطمها ويحتلها ، وانه في الطريق الى الناصرة ، ولكن الاحداث اوضحت صورة اخرى بالغة الحزن والالم ، فقد استطاعت قوات اسرائيل أن توجه ثقلها الى جبهة مهمة ، فتراجع الجيش السوري ككل جيوش العرب في تلك الايام السوداء ، وبلغ من ربكته ان المرتفعات لم تأخذ حقها من الدفاع ، ثم اذيع سقوط القنيطرة واضطرت سوريا ان تبعث الى مجلس الامن شاكية اسرائيل انها لم تلتزم بوقف اطلاق النار (٣٧) .

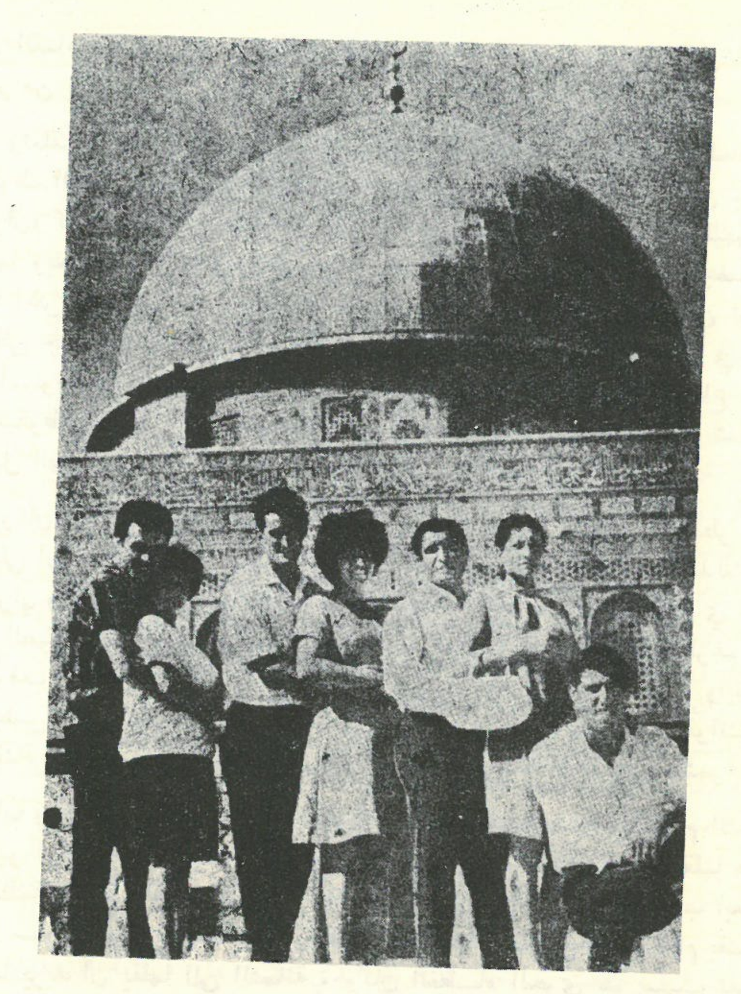
وكان واضحا أن اسرائيل اغتنمت النصر المفاجىء والذي لم يخطر لأي اسرائيلي أن يناله منذ ان وجدوا في التاريخ قبل آلاف السنين ، وبذلك لم تأبه لقرار وقف اطلاق النار في اية جبهة عربية ، لقد كان البلاغ المصري قبل الاخير الصادر صباح التاسع من يونيو (حزيران) يقول : « على الرغم من قرار وقف اطلاق النار الذي التزمت به الجمهورية العربية المتحدة وأبلغته الى مجلس الامن فان قوى العدو ما زالت تواصل هجماتهـا ضد قواتنا في غرب قناة السويس وما زالت الغارات الجوية على منطقة القناة مستمرة» .

اما في الجبهة الاردنية فقد جاء في خطاب الملك حسين في اليوم الثامن من يونيو (حزيران) قوله : « اننا لا نمانع في وقف اطلاق النار ونقلنا هذا الى المنظمة الدولية والدول الاربع الكبرى ، لكن المؤامرة كانت أرحب ابعادا من كل سلوك اخلاقي واذا بالعدو يقذف بكل ما لديه من قوى امام بقـايا سيوفنا يريد أن يفلها الى الثمالة ، وكان الغطـاء الجوي هو سبب تفوق العدو » .

اما في سوريا فقد ذكرت البلاغات الرسمية من رقم ٥٦ الى رقم ٦٣ الصادرة في التاسع من يونيو (حزيران) ان القوات الاسرائيلية بدأت هجومها على المواقع السورية الامامية على الرغم من ان القوات السورية التزمت بقرار مجلس الامن وتوقفت عن اطلاق النار .

وهكذا احتلت اسرائيل بعد وقف قرار اطلاق النار بساعات وأيـام

(٣٧) كان مجلس الامن قد قرر وقف اطلاق النار في السادس والسابع من يونيو (حزيران) وقبلت الاردن ومصر ذلك في يومي ٧ و٨ يونيو على التوالي .



الصخرة المشرفة وقد تخاصر حولها ابناء صهيون في وضع لا اخلاقي
ستبقى الصخرة منتظرة شاخصة الى كل مسلم حتى تنهض النفوس ويبدأ الزحف

مساحات شاسعة من الاردن وسوريا وتوقف جيشها في وطننا العربي على الضفة الشرقية لقناة السويس وفوق مرتفعات جولان السورية المهمة وعلى ضفاف نهر الاردن مستحوذة على كل الضفة الغربية .

لا نصر بلا طيران :

لا يكفي بحث عاجل للتحدث عن أسباب الكارثة التي حلت بنا منذ الخامس من يونيو (حزيران) فالموضوع يتعلق بمصير مائة مليون عربي

يحيون في رقعة تحتل أهم مناطق العالم ، ويتعلق بشرف ومعتقدات ستمائة مليون مسلم ينتشرون في أصقاع عديدة على جانب كبير من الاهمية العالمية، وكتابنا هذا انما يتحدث عن هذه الكارثة من خلال علاقتها بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، وما يتطور بذلك وعن ذلك من احداث ، ولكن هذه الهزيمة العربية النكراء لو لم تحدث لحقق النصر لفلسطين وشعبها الابي ، ولأمكن للامة العربية ان تطوي صفحة القلق التي عاشتها منذ عشرات السنين، ومنذ ان اتضحت الاسس البريطانية لاقامة دولة اليهود . ولهذا فان اختصار الحديث لا يسمح بأن نصمت عن ذلك السبب الجوهري المهم الذي حقق هزيمتنا في الوسط العالمي ، لقد استعمل اليهود سلاح المباغتة فنجحوا فيه، والمباغتة نوع من الاسلحة المعروفة لا تقل أهمية عن الاسلحة الجوية والبرية والبحرية ، ولكنها اكثر فعالية لأنها اذا نجحت عطلت الفكر الذي يدير الاسلحة الاخرى ، وهذا تماما ما حدث معنا في ذلك الصباح الكئيب ، حيث نجحت أسراب العدو في التسلل القدير الى جميع مطارات السلاح العربي فحطمته وحطمت جميع ممراته ، وبذلك أصبحت تلك الجيوش التي ترابط في الصحراء البعيدة ، او في مناطق الاردن وتحت مرتفعات سوريا معرضة لطيران العدو وفاقدة القدرة الكاملة على التحرك الصحيح .

ترد هنا تساؤلات كثيرة ، فحواها أن الطيران لم يكن ضروريا في حماية مرتفعات جولان المحصنة والمتحكمة فيما تحتها من مستعمرات يهودية ، وانه ايضا كان يمكن الا يكون اختفاؤه كبير الضرر لو ان جيوشنا في سيناء التحمت مع العدو واستطاعت أن تنقل المعركة الى اراضيه المزروعة والعامرة، وانه تبعا لهذين الوضعين كانت المعركة في الاردن ستكون اقل ثقلا حيث تشغل قوات اسرائيل بزحفين في داخل اراضيها يمكنان للجبهة الاردنية من عمل مجيد فعال .

وعلى ما في هذا القول من قوة تعبير تأخذ بتفكير الكثيرين ، فان الامر الذي يجب الا يغرب عن كل مهتم ومشغول بأحداثنا انشغالا صادقا نظيفا ، هو ان المفاجأة بضرب السلاح الأهم وتحطيمه لا تحصر اثرها في التحطيم المادي للسلاح ، بل هي تتعداه الى التحطيم الفكري للقادة ، ولا تكون المفاجأة ناجحة وقديرة الا بقدر ما ينتج عنها من ربكة العدو ، وسبقه الى اتخاذ اجراء مقابل واصلاح أحداث المباغتة ، حتى تضيع إمامه معالم المعركة ويغرق في بحر من التوهم والارتباك ، ولهذا كانت دراسة العدو لمهاجمتنا واخذنا على غرة والغدر بنا دراسة قدرت كل الاحتمالات ، حتى ان الاوامر التي صدرت الى طياريه كانت واضحة ان تعود مسرعة دون التحام مع الطيران العربي في حالة ان يكتشف امرها قبل تنفيذ المخطط الغادر .

على انه من الواضح لو أن القيادة لم ترتبك كما هو متوقع ككل قيادة في مثل هذه الحالة ، فان الوضع لا ينتظر ان يقود الى النصر ، بل ينحصر في ان تقل الخسائر ويتم الثبات المؤقت والانسحاب في ظل دفاع متين (٣٨) ولكن تلك الاوامر المربكة جعلت الجيش الاكبر يتلقى في انسحابه خسائر كبيرة جدا لا تقارن بخسائره اثناء الالتحام .

ومعلوم ان ضعف الغطاء الجوي وانعدامه امر حتمي في تقرير الهزيمة، ولقد روت وكالات الانباء تصريحا لمعلق عالمي أن المفاجأة التي حدثت للسلاح الجوي العربي لو حدثت لأي بلد آخر لما كانت النتيجة تختلف عما حدث للعرب .

على أن هذا ليس امرا جديدا ولا غريبا ، يقول المارشال رومل القائد الالماني الشهير حين يصور يأسه من النصر : « اثبت التفوق الجوي البريطاني والامريكي مرارا مدى فاعليته لدرجة ان اي تحركات للتشكيلات الكبيرة في الجبهة ، وخلفها نهارا وليلا ، قد اصبحت في حكم المستحيل » (٣٩) .

بل ان حديث رومل التفصيلي عن أثر سلاح الجو في عرقلة الجيوش وتجميدها وتحطيمها لخليق بأن يثبت هنا لندرك كم كانت قاضية تلك الضربة الموجهة لطيراننا وانفراد العدو بالسيطرة الجوية ، يقول رومل : «كان للعدو التفوق الجوي وتوقف (لذلك) تحركاتنا بالنهار تماما على وجه التقريب ، على الطرق والخطوط الحديدية والمدقات والارض المفتوحة وذلك لنشاط تشكيلات القاذفات المقاتلة وينتج عن هذا شلل حركة قواتنا في المعركة ، ويتحرك العدو بحرية ويصبح من الصعب للغاية توصيل الامدادات الضرورية للقوات المقاتلة » (٤٠) .

والمارشال رومل يتحدث عن القتال حين بدأ الحلفاء غزوهم في منطقة نورماندي باوروبا حيث يمكن الاختفاء والحماية ، فاذا كانت سيطرة العدو الجوية في صحراء سيناء المكشوفة العارية كان الموقف رهيبا واكثر سوءا ، يقول رومل : « وفي النهار تضطر قواتنا المقاتلة والرئاسات للبحث عن سواتر في الارض المغطاة بالغابات والاراضي الضيقة بغرض الهروب من الضرب الجوي المستمر » (٤١) .

---

(٣٨) الاستاذ هيكل في مقاله « بصراحة » عدد الاهرام ٢١ يونيو ١٩٦٨ : « ان الاوامر المربكة سببت لاحدى الفرق المدرعة في سيناء خسارة ٧٥٪ من المعدات .

(٣٩) مذكرات رومل ج ٦ ص ٧٧٧ تعريب فتحي عبدالله النمر .

(٤٠) المصدر السابق ص ٨١٤ .

(٤١) المصدر السابق ص ٨١٤ .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا الشواهد التاريخية عن نتائج القتال حين يفتقد احد الجوانب حمايته الجوية ، ويصاب بضربة خاطفة في هجوم مباغت ، وهجوم اليابان على الميناء الامريكي بيرل هربر حيث حطم اسطول امريكا الفعال مثل سيطرة اليابان الجوية في معارك الشرق الاقصى ، حيث مكّن لها من ان تحتل سنغافورة وسومطرة وماليزيا وغيرها من الاوطان والارجاء ، وانسحبت قوات بريطانيا مضطرة كسيرة لم تستطع البقاء امام القوات الجوية المتفوقة لليابان في اوائل الحرب (٤٢) .

وهكذا يتضح بما لا يدع مجالا لباحث ان يتشكك ان سبب الهزيمة كان نجاح العدو في تحطيم السلاح الجوي للجمهورية العربية المتحدة والذي كان السند المعد للمعركة الكبرى في الميادين العربية كلها (*) .

صدى الكارثة وآثرها :

قضت شعوب الأمة العربية يومي الخامس والسادس من يونيو (حزيران) في سرور غامر ، فالمعركة المنتظرة التي أعددنا لها وربطنا بها المصير قد بدأت ، وبلاغاتنا الرسمية التي تنقلها اجهزة الاعلام تفيد بالنصر العربي ، وبالغت القيادات العربية في بلاغاتها ، فذكر بعضها اسقاط مئات الطائرات ، وذكر الآخر تقدّم جنوده في أرض العدو ، وذكر الثالث أن مدنا كبيرة على وشك السقوط بيد جيشه الظافر المتقدم ، حتى اذا عرفت حقيقة الكارثة تحوّل ذلك السرور الغامر في شعوبنا جميعها الى حزن اليم شديد ، ولقد كانت تلك القلوب الطاهرة في أمتنا الكبيرة تعيش الأحداث ساعة بساعة ويوما بيوم ، وتحرّكت الجماهير في بلداننا انفعالا بتلك الأحداث ترسل النقمة والحقد على أعوان الأعداء وممثليهم ، وتظاهرت الجموع في لبنان وليبيا وتونس والمغرب والكويت والسعودية وغيرها في الشرق والغرب تتظاهر تأييدا لجيوشها ومرسلة غضبها وحقدها على الاعداء ، واشعلت الحرائق في كثير من المحال واعتدي على

---

(٤٢) ان تلك الاخطاء التي رددتها الصحافة والتي تتلخص في حشد الجيش كله في سيناء اياما طويلة ثقيلة ، وعدم ترك احتياطي خلف الجبهة والزج بجنود ليسوا على مستوى عال من التدريب الى الخطوط الامامية في بعض الجبهات وفشل مخابراتنا في الاحاطة بقوة العدو وعدم امتثال القيادة لنصائح بعض المخلصين من الافراد والدول الصديقة ، كلها عوامل هامة ولكن كارثة الطيران كانت حاسمة .

(*) قال انتوني ناتنج الوزير البريطاني المعروف في حديث لروز اليوسف ١٩٦٧/٦/٢٦ « لقد كنت في فرنسا سنة ١٩٤٠ وشهدت كيف انهارت معنويات الجيش الفرنسي ومعنوياتي أنا شخصيا عندما تحققت سيادة الطيران الالماني على سماء فرنسا » .

سفارات بريطانيا وامريكا ،واشتدت الدعوة الى مقاطعة هذه الدول وسحبت الودائع في ليبيا من البنوك البريطانية والامريكية . واضطرب حبل الأمن واضطر المسؤولون الى فرض منع التجول اسابيع طويلة ، واضطربت البلاد الاسلامية فخرجت المظاهرات في بلاد الافغان والباكستان واندونيسيا وتركيا تنادي بالانتصار للعرب (٤٣) . وسارت المظاهرات الضخمة في بعض دول اوروبا وامريكا ، ولكنها كانت لتأييد اسرائيل وشحن الهمم لها ومعها .

وحين اعلن وقف اطلاق النار واتضح الموقف في جبهات القتال ، كانت الصدمة شديدة مربكة على الامة العربية ، ولم تصدق الجموع الكبيرة البريئة أن ذلك الاعداد الكبير الذي مضى عليه عشرون عاما في كل جبهة عربية ، انهار فجأة امام الاعداء كما تنهار كثبان الرمال ، وان أعداءنا والخطر الذي يتهددنا اصبح أكبر مما كان ، وأخطر مما نظن ، وأقرب الى أهدافه مما أمل العدو وانتظر وتمنى .

وبلغ الم الصدمة لدى بعض الأفراد مبلغا خطيرا حتى ظهرت صور لأشخاص فقدوا قواهم العقلية ولأشخاص تركوا لحاهم دون تشذيب حزنا والما ، ولغيرهم من حرّموا صناعة الأكل في بيوتهم فلم تجتمع أسرهم على مائدة ولم يلتقوا في حديث غير حديث الحرب والكارثة ، وخطورة الاعداء . واغلقت في بعض البلدان دور السينما واللهو فلم يعد لدى الشعب وقت للاستمتاع رغم بعد المسافة عن حدود المعركة ، وعمّ عديد من بلاد العرب والاسلام مظهر عميق من الحزن الكئيب ، والكل ينتظر ساعات الفرج ، أو زحفا مقدسا تهون فيه الارواح وتعلو فيه كلمة الجهاد والتضحية ، لغسل العار وتحرير الديار .

استقالة الرئيس جمال عبد الناصر :

ولقد كان من آثار هذه الكارثة في الجمهورية العربية المتحدة اعلان الرئيس جمال عبد الناصر التخلي عن الحكم وكل عمل سياسي حيث كان خطابه للأمة العربية في اليوم التاسع من يونيو (حزيران) بالغ الخطورة والاهمية اذ شرح النكسة بمقدماتها وتطوراتها ثم قال :

« لقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه ، لقد قررت

---

(٤٣) اصدرت السفارة العربية المصرية في أنقره يوم الثالث من يونيو بيانا تثني فيه على ابناء الشعب التركي الذين تقدمت أعداد كبيرة منهم تطلب التطوع للقتال مع جيوش الامة العربية .

ان اتنحى تماما ونهائيا عن اي منصب رسمي واي دور سياسي ، وان اعود الى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر » .

وكان اعلان الرئيس عبد الناصر عن رغبته في التخلي ، صدمة اخرى لشعوب الامة العربية ورجالها ، فمصر هي القوة الكبرى وسط هذه الامة ، والرئيس عبد الناصر هو الزعيم الذي استطاع ان يقف في وجه دول الاستعمار بشجاعة وصلابة ، وتنحيه في ذلك اليوم العصيب وان كان سوف يثبت للاعداء ومن وراءهم « ان الامة العربية هي الباقية وان اي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ اسهامه هو اداة لارادة شعبية (٤٤) » ولكنه ايضا سوف يمد الاعداء بقوة من السعادة الفامرة التي لا تحد ، وسوف يعتبر ذلك التنحي نصرا آخر يضاف الى نصرهم العسكري ، وسوف يكون عاملا من عوامل الايلام الشديدة لهذه الامة التي عقدت العزم على التحرر ، وليس في امكانها تلقي مزيد من الصدمات ، ولهذا هبّ الشعب في الجمهورية كما هبت شعوب العرب وحكامها جميعا مطالبينه بالعدول عن ذلك القرار الخطير وان يستمر في القيادة امام طوفان الاعداء وطغيانهم .

ولم يكن ممكنا ان تحدث هذه الهزيمة المنكرة دون مسؤولية فأعلنت استقالة المشير عبد الحكيم عامر (٤٥) وعدد من القواد والوزراء ، ثم بدىء في تحقيق قضائي عن اسباب الكارثة ، ونحن نسطر هذه الاحداث ولم تصدر بعد الاحكام في هذا الحدث الجليل الخطير * ولقد اتضح بمرور الايام أن الكارثة كانت أكبر مما تعيها عقول المشاهدين عن بعد حيث ثبت أن الاعداء استطاعوا أن يحطموا ليس فقط السلاح الجوي العربي ، بل لقد دمروا وغنموا المعدات الثقيلة وفتكوا بالآلاف في خطوط القتال ، حتى اصبح زحفهم الى القاهرة ميسورا لا يكاد يكون في الامكان أن يجد جيشا يصده ويدفعه الى وراء (٤٦) .

وبذلك اصبح من اللازم اعادة بناء القوات العربية بناء جديدا وسلاحا جديدا وعنصرا جديدا وهذا ما اعلن حين تقرر في مصر تجنيد رجال المؤهلات العالية دون استثناء ، حتى يكون تفهم الآلات والتصرف فيها أيسر مما كان لدى الجنود العاديين .

مؤتمر القمة بالخرطوم :

وحان للعرب أن يلتقوا بعد هذه الهزيمة ، فانعقد في التاسع والعشرين

(٤٤) جزء من خطاب الرئيس عبد الناصر ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧

(٤٥) انتحر المشير عامر في اواخر اغسطس (آب) ١٩٦٧ . وقصة ذلك مفصلة في صحف الشهر المذكور .

* بعد صدور الطبعة الاولى صدرت الاحكام ، ويقضي المحكومون الآن فترات العقوبة في السجن .

(٤٦) اعلن ذلك الرئيس عبد الناصر خلال نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ .

من اغسطس (آب) اجتماعهم في الخرطوم (٤٧) حيث تعلقت أنظار الامة العربية رانية الى أقطابها في وقت غاصت فيه الكرامة العربية الى الاعماق.

واذا كان هذا المؤتمر قد جاء والعرب أحوج ما يكونون اليه ، بعد تلك العواصف التي حالت دون انعقاده قبلا ، فان بعض الرؤساء لم يحضروا المؤتمر ، اذ تخلفت عنه سوريا واكتفت الجزائر والمغرب وتونس بايفاد مندوبين ، وكان لكل منهم عذر صحي أو غير صحي ، ولكن المفهوم أن الجزائر كانت ترى ضرورة مواصلة الحرب ، وان أي مؤتمر لا يكون جدول أعماله يهدف لهذا هو مؤتمر غير ناجح ، « وان ثلاثة اشهر مضت يومئذ على العدوان دون ان تتحسن اوضاع الامة العربية بل على النقيض من ذلك ازدادت خطورتها في الوقت الذي يقوى فيه المعتدي الصهيوني ويدعم موقفه في المراكز التي استولى عليها » (٤٨) .

ومع تخلف هذا العدد من الرؤساء والاكتفاء بالمندوبين فقد حقق اجتماع الخرطوم تلاقيا هاما بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ، ذلك التلاقي الذي وضعت فيه الخطوط الرئيسية في العودة الى اتفاقية جدة بين البلدين حول مشكلة اليمن (٤٩) ، وحقق أيضا بحث شؤون الساعة تلك التي تشغل امة العرب ، وكان أهم قراراته ان يعاود العرب ضخ البترول الى جميع الاطراف في العالم بحجة ان منع البترول عن اوربا سوف يحقق خسارة للدول المنتجة لا تمكنها من أداء رسالتها في العالم العربي وفي داخل بلادها أيضا ، وان ضخ البترول والاستفادة بأمواله أفيد للقضية العربية من استعماله كسلاح مؤثر لصالح تلك القضية .

البترول بين المنع والضخ :

وكان قرار ضخ البترول مفاجئا للجميع ، فقد عاشت الامة العربية عشرين عاما وهي تقرأ لكتابها وادبائها مئات المؤلفات التي كانت تسجل الحزن والألم لأن البترول لم يمنع عن المستثمرين الاجانب عام ١٩٤٨ وانه لو تم ذلك لركعت أوربا على ركبتيها وأيقنت ان بترول العرب أهم لها من مجاملة ومناصرة اسرائيل ، وحين انعقد مؤتمر الخرطوم كانت الدول المنتجة توقف ضخ البترول منذ أيام الحرب الستة ، بعضها يوقفه عن الدول التي أيدت

(٤٧) لقد بذل حكام السودان جهدا كريما في دعم موقف اخوانهم وفي تحقيق عقد المؤتمر والدعوة له واستضافته فكان جهدهم طوال ايام النكبة وبعدها جهدا مخلصا يستحق التسجيل الثناء .

(٤٨) جريدة المجاهد الجزائرية ٣٠ اغسطس (آب) ١٩٦٧

(٤٩) تم بعد ذلك جلاء الجيش المصري عن اليمن وكان قد استقر بها منذ ثورتها ضد النظام الملكي ، وما زلنا برغم ذلك الجلاء نرى الصراع مستمرا في داخل اليمن دون الوصول الى استقرار كامل فيه .

العدوان ، وعمدت ليبيا الى ايقاف الضخ عن الجميع ، وقد بدا واضحا ان ذلك الايقاف كان مهما وثقيلا على اوروبا التي ارتفع لديها سعر البترول يوما بعد يوم ، وأمريكا التي اضطرت الى تموين اوربا من احتياطيها الذي ادخرته لغير تلك الايام ، وزاد في أهمية ذلك الاجراء العربي غلق قناة السويس مما زاد في أسعار البترول المنقول عبر رأس الرجاء الصالح من حقول ايران ، وكان الوقت صيفا ولم تكن استهلاكات البترول بأوروبا بالقدر الكبير الذي سوف يكون حين تبدأ أيام الشتاء القارص في أرجائها ولم تكن تلك الايام لتبعد عن مؤتمر القمة الا شهرين اثنين .

وهكذا في جلسة واحدة لذلك المؤتمر المنتظر تغيرت نظرية عشرين عاما عاشها العرب وأسفوا على عدم استعمالها ، وترقبوا الوقت المناسب لها ، ثم سرعان ما انتصرت نظرية جديدة نادت بها بعض دول البترول وقدمت لها المعاذير ، سوف تتوقف المشروعات الانتاجية ، سوف تعجز الميزانيات عن دفع مرتبات الموظفين ، سوف يضطر بعضها الى الاستغناء عن الموظفين الذين يمثلون هيكل جهازه وأغلبهم من الفلسطينيين ، وسوف يكون ذلك اعلانا للعداء الصريح مع دول الغرب الذي يخشى ما تعمد اليه من تصرف بعد ذلك . والواقع ان كل هذه الحجج كان يمكن التغلب عليها ، فقد كان المنع يقلق تماما دول الغرب ويثقل كاهلها ويتعبها ، وكان وزراء الخارجية العرب بل ووزراء البترول انفسهم قد قرروا منع البترول عن الدول التي ساعدت أو أيدت العدوان ، وكان هذا القرار قد نفذ فعلا منذ بدأ العدوان وخسرت الدول المنتجة واردات نقدية ولكنها كسبت بترولها بقي في آبارها . أما دول اوربا فان منع البترول عنها يعني منع أهم وسيلة من وسائل حياتها وحضارتها ومكاسبها . ولو استمر العرب في موقفهم الصلب حتى حلت شهور الشتاء في اوربا وتوقفت وسائل النقل والانتاج والتدفئة ومصانع الكيماويات البترولية لخرج سكان اوربا يطالبون بضرورة التفاهم مع العرب ، وضرورة حل المشكلة الفلسطينية حلا يتلاءم مع العدل والانصاف ، ولأدركت تلك الشعوب تحت وطأة الضغط العربي ان العرب الذين عزفوا عن المال ورضوا بشهور من التقشف لا يمكن ان يفعلوا هذا الا وهم يدفعون به ظلما جائرا ، ونيرا قاتلا يستحق ان يدرس وان يعالج.

بل لقد كان من الممكن ان يكون العرب اكثر هيمنة على ارادتهم وأموالهم وذلك باباحة البترول للدول التي تقف الى جانب حقهم ، وكان مثل هذا الراي يقضي بضخ البترول الى فرنسا وتركيا واليونان واسبانيا واليابان وغيرها من الدول التي لا ريب سوف تتسابق الى تأييد حقنا والشعور بخطورة الامر ، ولقد قيل ان مثل هذا الضخ قد يؤدي الى تسرب البترول لدول لا يفيد تمويلها ولا يجوز ، وسوف تقفل اسواق أمام بعض الدول

المنتجة وتفتح امام اخرى ، ولكن علاج هذا لن يكون مستحيلا حين يكون العرب في مستوى مسئولياتهم ، واكثر ادراكا للاخطار حيث لا يصعب عليهم تأليف لجنة للاحصاء والاستفادة بالعائدات لكل الدول المنتجة في نظام حسابي لا يحابي فريقا ولا يضر غيره ، وسوف لا يكون صعبا عليهم أيضا خلق لجان مراقبة تتولى الاشراف على الضخ والشحن تقابلها لجان في البلدان المستوردة للتأكد ان المشحون لهـا وحدها ، ثم ان الكشوف الحسابية قبل العدوان كانت كافية لادراك كم كان احتياج كل بلد مستوردة للبترول حتى لا يتسرب منه الى من يقرر العرب حرمانهم .

اما الآثار الاقتصادية على منتجي البترول ، وعلى الدول التي اصيبت بالعدوان ، فلنكن تجاهها صريحين مع انفسنا ، صادقين للتاريخ وللاجيال ، موضحين الحقـائق دون تردد ، ان شيئـا من التقشف يجب أن يعود له عالم العرب كله اليوم ، لانه عالم مهدد بالفناء ، مهدد بالابادة ، مهدد بتقويض حضارته ، ودياناته ، ومثله . وما ايسر ان يتخلى هؤلاء العرب عن كماليات الحيـاة ، في سبيل الابقـاء على الحيـاة ذاتهـا ، وما أيسر أن تتوقف بعض المشاريع في مختلف الاوطان في سبيل الابقاء على الاوطان ذاتها ، وما أيسر ان يحرم شعبنا مؤقتا من بعض مجددات الرقي ، او منجزات المدنية ، في سبيل ان يبقى شعبنا ذاته ، ان الشعب العربي مهدد في وجوده من الخليج الى المحيط ولا معنى لميزانيات ضخمة تستهدف الحضارة دون ميزانيـات إكبر للدفاع ، ان تلك المنشآت العظمى والانجازات الهائلة في كل بلد عربي تحتاج الى حماة وسلاح وايمان ، والا فاننا نبني للاعداء ونعد للخصوم * . ان شعبنـا يحيـا اليوم وكأن الحرب التي اذلته كانت حلما لا حقيقة ، وكان اولى بنا ان نحيـا ظروف الحرب كاملة كمـا عـاش غيرنا من الشعوب : تحديد للتموين ، وتقنين لكل شيء يتعلق بالمجتمـع . ان شعبنـا لا ريب مهـدد ، ومهدد بأخطـار لم يعرفهـا تاريخه لا امـام جحـافل التتار ، ولا تجاه تجمعات الصليبية ، انه خطر الابادة والافناء . ولنراجع انفسنا الان وقد مضى شهران بعد عام من الهزيمة ، ومضى ما يقرب من عام على مؤتمر القمة الذي ابلح ضخ البترول ، هل توقف تيار الاسراف في عديد من الدول العربية ، هل ادركت الامة العربية انها على شفا جرف ، وانها توشك أن تقع في هاوية سحيقة لن ينجيها منها الا العمل المنظم السريع ، اقسم لو ادرك

* بعث لقيط بن يعمر الايادي الكاتب في ديوان كسرى يحذر العرب من غزو الفرس ويقول :

أمـا تخافون قومـا لا أبا لكم ... امسوا اليكم كأمثال الدبا سرعا
في كل يوم يسنـون الحراب لكم ... لا يهجعون اذا مـا غـافل هجعا
لا تثمروا المـال للاعـداء انهم ... ان يظهروا يحتووكم والتلاد معا

كل فرد وكل دولة اخطار ما نحن فيه ، وما نحن مقبلون عليه ، لمـا تمسكوا بأموال ولا ثروات ، ولما تأخروا لحظة في السير الى التقشف بنفوس راضية . ولن يكون النصر شاملا للامة العربية ما لم تدرك حقيقتها ويسرع أفرادهـا مع حكوماتهـا وقبلهـا على ذلك ، وما لم نرغم العالم على معرفتنـا ، واننا نستطيع ان نستغني عن أموال البترول المفتعلة واننا في حالات الخطر يستطيع كل فرد منا أن يدفع بقوته للمعركة وان يعيش كغيره متقشفا في حياته ، مترفعا في اهدافه ، باذلا من ماله ، في سبيل ان يبقى جزءا من أمته ، وفي سبيل ان تبقى أمته ، وفي سبيل ان تبقى الاوطان لأجيالنا القادمة مـع تطورها الحضاري العريق .

ان الوطن العربي يمثل وطنا واحدا امام عدو واحد ، وهو الآن محتل بخطر مدمر ، خطر لا ينوي الجلاء ، ولا يملك وطنا يعود اليه ، فاذا لم نفق مع هذه الكارثة ترى هل نحتاج لكارثة أكبر لكي نفيق ، وهل يمكن أن يكون هناك شيء اكبر ؟؟

ونحن نقابل عدوا يمتاز بالفكر والدراسة والاعداد ، فمن الواجب ان يقابل بالفكر الرصين ، والدراسة الثاقبة والاعداد القوي ، وامتنـا ليست قاحلة ولا ممحلة وفيها جهابذة يجب الاستفادة بهم ومنهم ، وامتنا ليست فقيرة ولكن تسخير المال كله للمعركة فرض لا يقبل الجدل ، واذا كنا نعتقد ان اموال اليهود في العالم على كثرتها وكثرة المساعدات الاجنبية جعلت من اسرائيل جنة لابنائها ، فاننا مخطئون ، لان هؤلاء الاعداء يدركون حقيقـة وجودهم المصنوع ، وبذلك فكل ثرواتهم تذهب الى حيث يقوون عسكريا ، ويحاربون بها امة العرب وشعب الاسلام . « ان اخواننا في الضفة الغربية الذين زاروا يافا وحيفا وتل ابيب يقررون ان الشعب اليهودي عاش طيلة هذه السنين ، حياة تقشف وعري وفاقة وحاجة ، في حياة بسيطة ووسائل نقل قديمة ، لأن اسرائيل تؤمن بالتقشف وشد الاحزمة ، بالعمل الجدي الحازم ، تؤمن بالعقل والايمان لتستطيع ان تثبت وسط هذا البحر المتلاطم مـن الامة العربية » (*) .

واذا كان اليهود يتقشفون رغم ملايينهم ومليار اتهم ، فأنهـم يعدون انفسهم للبقاء اولا ولالتهامنا ثانيا ، وما اجدرنا نحن المغزية بلادهم ، المحتلة ارضهم ، المهددة حضارتهم والمهزوز بقاؤهم ، ما أجدرنا بذلك وبأكثر منه ، وهو وحده الذي يقصر الطريق الى النجاح .

لقد ارتفعت دون جدوى أصوات خبيرة تنادي بوجـوب الاستمـرار

(*) جريدة الدستور الاردنية من خطاب رئيس وزراء الاردن السابق ٦٨/٧/٦

في استعمال سلاح البترول ، قال عبدالله الطريقي الخبير العربي المعروف :

« ان الشيء الذي يجب أن ندركه ونتأكد منه ، هو ان اوربا تستهلك الان من الاحتياطي وربما استهلكت من المخزون ما يعادل حصيلة شهر تقريبا وكل الكلام الذي يقال من ان اوربا تستطيع الاستغناء عن البترول العربي قصد به التأثير على سياسة الحكومات العربية التي لا تتابع الاحداث كما يجب ، وتشعر بأن قطع البترول عن الغرب معناه هي التي تخسر وحدها ، وان الغرب يستطيع ان يأتي بالبترول من مصادر أخرى .

ان المعركة بيننا وبين المستعمرين والمعتدين هي معركة ينتصر فيها صاحب النفس الطويل ، وان مقاطعتنا لاوربا الغربية ستصيبها بأضرار اقتصادية جسيمة وستخلق بطالة في صناعاتها المختلفة خصوصا وان الشتاء قد اقبل وهي قلقة على امداداتها البترولية ولهذا فهم ينشرون الاراجيف والاشاعات ليمنعوا العرب من الاصرار على قطع البترول عن المعتدين . ان العملية اقتصادية بحتة ولن يدمروا اقتصادياتهم خدمة لاسرائيل » (٥٠) .

ولا يطول بنا البحث في هذا الموضوع فقد اصدر مؤتمر القمة بالخرطوم قراراته وتنادت أغلب الصحف في العالم العربي بنجاح ذلك المؤتمر ، وانه في وقته لم يكن ممكنا شيء آخر احسن منه ، وانه استطاع ان يجعل من ضخ البترول سلاحا مفيدا تقدمه الدول المنتجة للدول التي أصابها العدوان ، وجاءت قرارات المؤتمر كما يلي :

اولا : اكد المؤتمروحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي .

ثانيا : قرر ان الاراضي المحتلة يجب استردادها على الدول العربية جميعا.

ثالثا : اتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم على الصعيد الدولي لازالة آثار العدوان وذلك على أساس عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحقوق شعب فلسطين في وطنه .

رابعا : عدم الأخذ براي مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول

(٥٠) عبدالله الطريقي ، جريدة الانوار البيروتية ٩ أغسطس ١٩٦٧ .

الداعي لعدم ضخ البترول ، ذلك لان ضخ البترول يمكن ان يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يصلح لدعم الدول العربية التي تأثرت بالعدوان مباشرة .

خامسا : اقر المؤتمر مشروع الكويت لانشاء صندوق الاستثمار الاقتصادي والاجتماعي العربي .

سادسا : قرر المؤتمر ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الامداد العسكري لمواجهة كافة احتمالات الموقف .

سابعا : قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الاجنبية في الدول العربية.

وقررت كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والمملكة الليبية ان يلتزم كل منها بدفع المبالغ الآتي بيانها سنويا ، ومقدما عن كل ثلاثة أشهر ابتداء من منتصف اكتوبر الى حين ازالة آثار العدوان :

المملكة العربية السعودية	:	٥٠ مليون جنيه استرليني
دولة الكويت	:	٥٥ مليون جنيه استرليني
المملكة الليبية	:	٣٠ مليون جنيه استرليني

وبهذا تضمن الامة العربية انها تستطيع ان تسير في هذه المعركة لحين الانتهاء من ازالة آثار العدوان .

وقد بدات فعلا الدول الثلاث المذكورة تنفيذ هذا الالتزام المالي تجاه الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الاردنية بحيث يدفع للاولى خمسة وتسعون مليونا ويدفع للثانية اربعون مليونا من الجنيهات . والواقع ان هذا القرار كان صورة طيبة للموقف الواجب تجاه ظروف خطيرة ، وهي ظروف لا تتعلق بوطن دون آخر بل هي تخص كل عربي يحيا في هذا الوجود بعد مكانه او قرب ، ولا نكون قد بذلنا اكثر من طاقتنا حتى لو كانت ميزانيات كل العرب مجندة لازالة آثار العدوان وتأديب المعتدين ، ولنثبت الحق العربي وسط وطنه وفوق ارضه .

ويطول بنا الحديث لو سمحنا للفكر ان يسير مع الخامس من يونيو (حزيران) المشئوم كيف حدث ، وبأي صورة ختم ، ولماذا هزمنا وأين مسئولية ذلك الحدث الخطير ، وكيف وقعت الكارثة ، كيف نجحت اسرائيل وفشلنا نحن ، « هل كانت هناك مؤامرة مبيتة ضدنا في الغرب أم اننا فشلنا في اكتساب الغرب الى جانبنا ، هل خذلنا الاتحاد السوفياتي أم نحن الذين خذلناه ، هل كانت الخلافات العربية هي السبب،

هل دخلنا الحرب على غير استعداد (٥١) . هل كنا نتحدث عن الحرب دون أن نعي تبعاتها ؟ » (٥٢)

واذا كنا قد تناولنا الاحداث الاخيرة في ايجاز فذلك لأن كتابنا يتعلق بجهاد شعب فلسطين ، ولكنها أحداث كانت من الثقل على كل باحث عربي حتى لا يجوز ان تمر دون ان تحدث في قلمه امرا ، وتترك على صفحاته اثرا ، انها أحداث المصير العربي سوف لا تكون تاريخا يدرس فقط بل انها بداية لتاريخ جديد يؤرخ بها وتحسب منها الايام والاعوام (٥٣) .

على ان هذه الهزيمة المنكرة والشنيعة ، قاربت الى حد كبير ، بين الامة العربية وزعمائها ، وجسمت لهم الخطر الحقيقي للعدو الذي يقيم بينهم وفي أرضهم ، ثم انها أعطت للشعب الفلسطيني فرصة العمل ، ذلك العمل الذي حاربته الظروف طوال العشرين عاما الماضية .

فلم يعد ممكنا أن تتولى الدول العربية المحيطة باسرائيل حمايتها من الفدائيين أبناء الوطن السليب ولاسيما بعد أن ضمت اسرائيل الى كيانها المعروف أراضي جديدة وحيوية من الاقطار الثلاثة المجاورة سوريا والاردن ومصر .

واذا كانت حركة التحرير الفلسطيني (فتح) قد بدات جهادها في أوائل ١٩٦٥ وتعرضت منذ ذلك التاريخ لمتاعب جسيمة وتضحيات مروعة في سبيل توحيد عملها ضد اسرائيل المغتصبة وفي سبيل استمرار فدائيتها طليعة لثورة شعبية ضد الكيان الذي نصبه الاستعمار في وطنها ، اذا كانت حركة (فتح) قد تعرضت لكثير من المتاعب فان احداث الخامس من يونيو (حزيران) اتاحت لها أن يكون جهادها علنيا وأن تتربع في صدور العرب الذين هدتهم الهزيمة وأحزنتهم الكارثة ، فرأوا فيها معنى استمرار الجهاد ومواصلة العمل الصحيح وحمل الارواح على الراح في ايمان وتصميم وبذل.

(٥١) يقول الاستاذ هيكل في « بصراحة » باهرام الجمعة ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٨ اننا لم نكن مستعدين للحرب وان الهزيمة كان يمكن ان تكون أشد اذ ان ضرب الطيران على الارض لم يفقدنا الطيارين الذين لا يعوضون لو ضربوا مع طائراتهم في الجو .

(٥٢) انها تساؤلات من جريدة الدستور الاردنية في ٤ أغسطس (آب) ١٩٦٧ ثم تضيف انها تشغل اذهان الجماهير بعد ان كشفت النكسة اخطاء خطيرة وثغرات هائلة في التفكير والتخطيط للمعركة دلت على عيوب كبيرة .

(٥٣) تصلني رسائل عديدة شهريا من اصدقاء كرام جمعت بيننا روح الوطنية والانشغال بأمتنا ومستقبلها وتحمل تلك الرسائل الى جانب التاريخ الهجري والميلادي تاريخا جديدا منذ الهزيمة ، فيقال مثلا السابع من الشهر الخامس للهزيمة وهكذا ، وكان المواطن الليبى السيد الهادي المشيرقي اول من فعل ذلك واستمر عليه . وما وصلتني رسالة من اولئك الاحباب ورميت البصر الى ذلك التاريخ الجديد الا توجهت بقلب خافق الى الله العظيم ان يحقق الامل المنتظر فيضع لهذا التاريخ نهاية وللنصر المرتقب بداية .

What 'Fatah', means

To the Editor of The Jerusalem Post

Sir, — In the opening instalment of extracts from the new book on the Six Day War by David Kimche, and Dan Bavly, published in today's issue, the authors, in a footnote, mentioned that "the full name of the Fatah organization is *Harakat Tahrir Falastin*, Fatah being the inverted initials of the name. While this is quite correct, my conjecture is that there are two reasons for this inversion of initials. First there is the positive one, in that the word means "opening," and both noun (*patah*) and verb have their similar equivalents in the Hebrew words (*petah*) פתח and פתח It also means "an opening from a strait or unpleasant situation," usually vouched by the grace of God, and in the Koran it actually connotes "victory, also in the beautiful and musical combination "*fat'h-un mubin*," which means "manifest victory." The word is thus charged with emotional and religious connotation.

The other reason for the inversion of the initials of the name of the *Haraka* (organization or movement) is obviating the very negative meaning of the word that might otherwise have been formed by putting the initials in their right order, namely *HATF*, which means death pure and simple, that is, natural death, or as *Al-Munjid*, the Arabic equivalent of the (Concise) Oxford English Dictionary, defines it: "Death brought about neither by killing nor beating."

ELIAHU KHAZOUM

Jerusalem, May 10.

تشغل «فتح» اسرائيل فلا تخلو صحيفة فيها من الحديث عنها ، وهذه صورة زنكوغرافية تفسر معنى « فتح » نشرته جيروساليم بوست في ١٠ مايو (ايار) ١٩٦٨ يقول : « ان فتح معنى ايجابي ماخوذ من القرآن « الكريم » وتعني النصر والفرج بعد الضيق والمتاعب ، مثل « نصر من الله وفتح قريب » وفتح تتصل بالمشاعر والاحاسيس الدينية وهي قلب لحروف (حركة تحرير فلسطين) اذ بدونه تعني « حتف » الموت الطبيعي غير الناجم عن القتل او الضرب .»

الفلسطينيون لا يوقفون اطلاق النار :

توقف اطلاق النار بين اسرائيل والدول العربية الثلاث، وعين مندوب من الامم المتحدة ليشرف على خطوط وقف النار في قناة السويس (٥٤) ومرتفعات جولان ونهر الاردن ، ولكن شعب فلسطين كان هو صاحب الارض المغتصبة وهو الذي شاء له القدر أن يكون خط الدفاع الاول عن أمة العرب والاسلام ، هذا الشعب لا يعترف بايقاف اطلاق النار وليس لاحد أن يمنعه أو يقف في وجهه فان المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاجنبي عمل شرعي أقرته الشرائع واعترفت به الامم المتحضرة (٥٥) ، وشعب فلسطين

(٥٤) ان وقف اطلاق النار لا يكاد يعني الا وقف الحرب الشاملة ، اذ لم تهدأ المنطقة منذ ذلك التاريخ وقد كان اغراق الصواريخ المصرية للمدمرة اليهودية « ايلات » عملا كبيرا اصاب اسرائيل في الصميم وشهدت منطقة القنال في تواريخ متعددة معارك بالمدفعية بين الضفتين ، كان أكبرها هو التركيز الاسرائيلي على مخازن ومصافي البترول المصرية في السويس وضرب المدنيين ومنشآتهم . اما على ضفاف نهر الاردن فلا يكاد تبادل اطلاق النار يهدأ يوما واحدا منذ الخامس من يونيو وحتى الان وقد تحول في مرات عديدة الى استعمال اليهود للطائرات والمدفعية تدك بها الاردن مدنه وقراه وكان آخرها ضرب مدينة اربد خلال يونيو ١٩٦٨ ويقف الاردن جميعه بب الة وشجاعة رغم الخسائر كل يوم .

(٥٥) أعلن الرئيس ديجول في مؤتمر صحفي له أن الذين تسميهم اسرائيل ارهابيين هم رجال مقاومة وطنية كما كان يفعل الفرنسيون أيام الاحتلال النازي . واكد ديجول أن اسرائيل ذات طبيعة توسعية وحربية .

الذي بدأ نضاله المسلح منذ ان بدأت بريطانيا سياسة التهويد في بلاده ، لا يقدم الان على عمل جديد ولكنه يمتشق سلاحه على عادته ليواصل ثورته التاريخية وليوصل جهود اليوم بجهاد الامس .

فاجأت (فتح) العالم ببلاغها الرسمي الاول ، وكانت النظرة اليها تحمل كثيرا من الاستغراب وعددا من التساؤلات ، فالحكومات العربية ترى ان تحديد وقت المعركة يجب ان يصدر عن القيادات السياسية والعسكرية لتلك الحكومات ، ويجاري الحكومات العربية في هذا المعنى بعض الحزبيين ومن بينهم حركة القوميين العرب . ولكن « فتح » كانت تنادي « بأن العمل المسلح هو الذي سيؤدي الى تفاعل جماهير الامة العربية في حركة التحرير ، وانه اذا كانت ستة عشر عاما منذ ١٩٤٨ والى ١٩٦٥ غير كافية للبدء بمحاولة جديدة لتحرير فلسطين فان انتظار أعوام اخرى لن يؤدي الا الى اماتة القضية ، وتبين ان (فتح) كانت مصيبة . فحرب حزيران كانت بحجة العمل الفدائي ، وكان يمكن ان تقوم بأية حجة اخرى ، ولكنها حرب اظهرت ان الدول العربية القادرة عسكريا لم تكن قادرة عسكريا » (*) .

وليس معنى هذا الا السير في خط طويل من الانتظار حتى تجد اسرائيل ان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها التوسعي وتبدأ المعركة كما تشاء ومتى تشاء ، ولا سبيل الى تغيير التفكير الاسرائيلي الا القيام بحرب شعبية وثورة متصلة ، يشعلها أبناء فلسطين ، ويساندهم اخوتهم في الامة العربية والعالم الاسلامي والبلدان الحرة . وبذلك تعود قضية فلسطين الى الاذهان صحيحة غير مشوهة ويشعر الاعداء ان للقضية اصحابا لا يبالون الموت في سبيلها وان تغيير الخرائط ومسح اسم فلسطين منها كما فعلت اسرائيل ودول الاستعمار لا يمنع اصحاب الحق من ان يعيدوا الحقائق الى مكانها .

ولهذا لم يكن منطقا مستغربا حتى تناقلت الاسماع ذلك النداء المؤثر من مفكرين عديدين والموجه الى الدول العربية « بأن يسمحوا للفلسطينيين بالحركة وان يعطوهم حق الموت داخل أرضهم وان يمكنوهم من ان يموتوا واقفين مواجهين (٥٦) » .

وهكذا بدأت (فتح) حركتها وهي تفرض الشخصية الفلسطينية في دور الجهاد والفدائية « وتنظر الى نفسها كونها المولود الذي خرج من

(*) من تعبير الاستاذ انطون بطرس في كتابه « الفدائيون » .

(٥٦) كان هذا حديث الكثير من المفكرين في الصحف والمجالس وقد نشرت الاسبوع العربي البيروتية بحثا قيما في هذا الشأن في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .

Al Fatah men on trial

Jerusalem Post Military Reporter

LYDDA. — Two Al Fatah men faced a military court here yesterday morning on charges bearing the death penalty. The two, "Castro" (Mohammed Ahmed Mohammed Farhat) from Tulkarm and Salah Ibrahim Mohammed Abu Taye from Irbid in Jordan are both 23 years old.

The charges against them include an attempt to blow up a train on the Haifa-Lydda-line in mid-October. They are also accused of illegal possession of arms, infiltration and belonging to a terrorist organization. Any of these charges could lead to the imposition of the death sentence, mandatory under the emergency regulations under which these men are being tried.

"We came to liberate Palestine" Abu Taye said.

Both men refused the defence counsels offered to them by the court. The presiding judge then ordered them to accept the lawyers provided by the courts all the same.

صورة زنكوغرافية لحديث محرر جيروساليم بوست العسكري بالقدس الذي يقول : « ان عضوي « فتح » محمد فرحات وصلاح ابو تاية كل منهما ٢٣ سنة واجها احتمال الاعدام بالحكمة بتهمة نسف قطار ، حيازة اسلحة ، التسلل والانضمام لمنظمة ارهابية. قال ابوتاية: « لقد جئنا لنحرر فلسطين » ورفضا المستشارين المقدمين من المحكمة للدفاع عنهما . وهكذا يستمر شعب فلسطين في شجاعته البطولية حتى بين قضبان الاعداء .

صلب الشعب الفلسطيني نتيجة المعاناة ليجسد العمل المسلح بشكل واع » (٥٧) .

وهذا المعنى الذي نشرته الفتح قبل عام من الان هو نفسه الذي أعلنه موشي ديان في أواخر يونيو ١٩٦٨ حيث قال : « ان (فتح) تعني استمرار الفلسطينيين في الثورة وانها تكبد اسرائيل كثيرا من الخسائر في الاموال والارواح » (٥٨) .

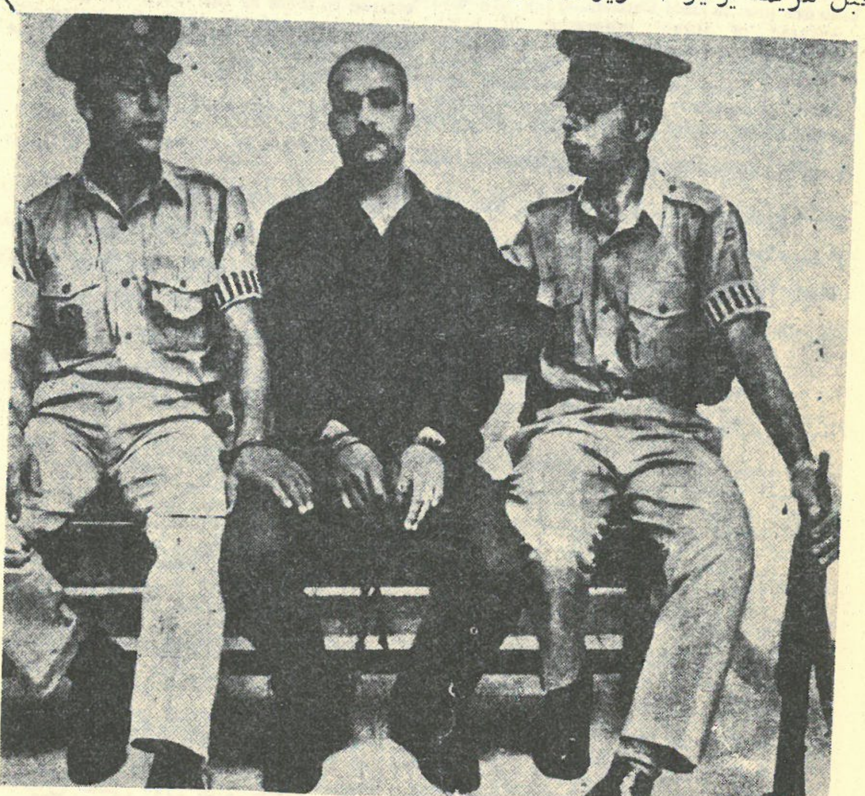
وبالعودة الى أعمال (فتح) حين بدأت مسيرتها الثورية يثبت أن حركتها اتعبت فعلا دولة الصهاينة وفاجأتها حين اعتقدت انه لم يبق للفلسطينيين أثر في حياة وطنهم السليب . حتى قال التقرير الخارجي لجريدة الايكونوميست البريطانية في أوائل مارس (آذار) ١٩٦٥ : ان أعمال الفدائيين تمثل أول غزو حقيقي لاسرائيل منذ حملة سيناء » . ومنذ بدء نشاط « فتح » وجناحها العسكري ، العاصفة ، الى الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ غطى جهازها الاعلامي كل المناطق العربية بالثورة الجديدة ، كما غطت أعمالها الفدائية معظم ارض فلسطين المحتلة (اسرائيل) حتى انها استطاعت أن تقوم بأكثر من ٣٥٥ هجوما على محطات المياه في المدن والمستعمرات الاسرائيلية وعلى منشآت تحويل نهر الاردن وعلى

---

(٥٧) تحرير الاقطار المحتلة — من مطبوعات حركة التحرير الوطني الفلسطيني اغسطس (آب) ١٩٦٧ .

(٥٨) برقية لرويتر من تل ابيب نشرتها الاهرام في ٣٠ يونيو ١٩٦٨

محطات الكهرباء ومعسكرات الجنود ، بل استطـاعت ان توجـه انـذارا بواسطة الصليب الاحمر الدولي الى سلطات اسرائيل ، أن تكف عن تعذيب اسيرها الاول محمود حجازي ، وانها سوف تنتقم اذا لم يسمع نداؤها هذا . وحين ثبت ان التعذيب ما زال في عنفوانه اعلنت انها ستقتل ليفي مـدير بوليس حيفا ونفذت وعيدها الذي اعلنته . وكان لنشاط (فتح) المستمر قبل هزيمة يونيو (حزيران) وبعدها تأثير على مصانـع العـدو ومشاريعه



البطل محمود حجازي الاسير الاول من «فتح» ، لدى الاعداء ، كان شجاعا في جهاده وفي محاكمته حكم بالمؤبد ، ويبدو في الصورة مكبلا بالحديد بين جنديين يهوديين .

وحدث الدمار في القطارات والجسور والكباري ومستودعات الذخيرة (٥٩) وتضاءلت السياحة وهي مورد هام لاسرائيل وأصبح العالم يتكلم عن شعب فقد أرضه وتحرك لضرب أعدائه وربكهم .

---

(٥٩) قدرت المصادر الاسرائيلية والاجنبية خسائر اسرائيل في مستودع الذخيرة المنسوفة بملايين الجنيهات الاسترلينية (انظر الصورة في ص ٥٦١) .

بل أصبحت شعوب الامة العربية تتحدث عن هذا الجهـاد الجديد ، وتقلص على أفواهها ذلك السؤال الدائم : أين شعب فلسطين ؟ ولما لم يثر؟ وما هي العقبات في طريق تحركه وفدائيته كما كان آباؤه الاولون .

وكانت « فتح » فاتحة الطريق لعديد من الهيئات الفلسطينية الـتي اعلنت بدءها العمل الفدائي ولكن « فتح » ظلت التنظيم السري الفـدائي



منظر وزعته وكالة اسوشيتدبريس في أواسط يونيو ١٩٦٨ التقط على بعد ١١ كيلومترا من الحريق الذي سببه هجوم (فتح) على مستودع الذخيرة والصواريخ في قرية تبعد ١٢ ميلا عن تل أبيب وقد هز الانفجار المنطقة جميعها .

الوحيد المعروف طوال عامين في محور القضيـة الفلسطينيـة ، عملت في ظروف قاسية وشديدة لانها كانت تعمل فيما يشبـه الفـراغ ، خـلاف المنظمات الفدائية الاخرى التي اعقبتها ، وعملت في ظروف خلقتها « فتح »

بجهاد استغرق عامين من الزمن والتضحيات الكبرى (٦٠) .

ودخول منظمات فلسطينية جديدة للعمل الفدائي أمر لا تحاربه « فتح » فهي لا تتبجح باطلاق الرصاصة الاولى لتكريس زعامتها لشعب فلسطين ، « فليبارك الله كل الزنود التي ستحمل معنا شعلة النصر » كما يقول بيانها .

وكانت تلك الهيئات التي تابعت خطوات « فتح » تتمثل في « أبطال العودة » ذات الصلة بالقوميين العرب .

وتلاحقت هيئات اخرى تعلن عن اتخاذها الطريق الفدائي سبيلا لعملها وهي من الكثرة والتنوع حتى زادت عن ثلاث عشرة منظمة (٦١) .

ولكن أغلب هذه المنظمات لم يرسخ قدمها في العمل الكبير الخطير ، فصدر عن بعضها بلاغ واحد او بلاغان حتى اذا حدثت وقائع الخامس من يونيو (حزيران) أصبح حتما ان تبذل الجهود لمعرفة بواطن وقوة هذه المنظمات والعمل على توحيدها في سبيل خلق حركة كبرى تسهم اسهاما جديا وسريعا في محاربة العدو .

وفي الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ دعت « فتح » الى مؤتمر عقد بالقاهرة « لضمان استمرار الثورة وتصعيدها وشمولها » .

على ان ذلك المؤتمر الذي دعت اليه « فتح » (ورغم تخلف الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية) قد انتج توحيد الاجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين ولحركة الشباب الثوري الفلسطيني وللهيئة العاملة لدعم الثورة ولحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على أن تصدر بلاغاتها باسم « قوات العاصفة » .

كما توحدت الاجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية ولجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . اما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم أن تكون باسم فرقة خالد بن الوليد .

---

(٦٠) انطوان بطرس « الفدائيون » ص ١٢ .

(٦١) من بين تلك الهيئات كانت منظمة التحرير الفلسطينية المعروفة وطلائع حرب التحرير وطلائع الفداء الفلسطيني وجبهة ثوار فلسطين والنضال الشعبي وجبهة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية الفلسطينية والشباب الثوري الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية والجبهة القومية لتحرير فلسطين والهيئة العليا لدعم الثورة وحركة اسماعيل بن ابراهيم .

وهذا التجمع الذي خلقت (فتح) ركيزته وقوته ، لا ريب انه يفيد الحركة الفدائية ، على الرغم من ان بعض تلك الهيئات لا تمثل جماعة متكاملة في فدائييها وتنظيمها ومعداتها ، ولكنها بأي نوع من أنواع العمل الفدائي أو دعمه سيكون توحيد عملها مفيدا ومثمرا .

واليوم وقد مضى عام وشهران على هزيمة الخامس من يونيو (حزيران) وتصاعد العمل الفدائي الفلسطيني تصاعدا مشرفا اقر به الصديق والعدو، فقد بدات بوادر توحيد هذا العمل للعيان واصبحنا نقرأ بلاغات عن عمليات مشتركة بين العاصفة الجناح العسكري لفتح وبين الجناح العسكري لمنظمة التحرير . علما بأن هذا الاشتراك لا يمثل الا جزءا صغيرا قليلا من العمليات التي تحدث كل يوم من قوات (فتح) و (فتح) وحدها .

والعمل الفدائي الذي بدأته « فتح » وقادته وقدمت في تياره كثيرا من الشهداء تتلخص أهدافه كما سجلتها « فتح » لمؤتمر القمة العربي الثالث في سبعة بنود هي :

١ — التحرك في محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن .

٢ — الايمان بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين.

٣ — ما دام الزمن في مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غدا .

٤ — ثبوت افلاس العمل السياسي والانشغال بالكلام في وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومي .

٥ — العمل الفدائي تمهيد لحرب شعبية .

٦ — المعركة لكل الشعب العربي ، والشعب الفلسطيني طليعة ذلك العمل .

٧ — القيادة للشعب الفلسطيني وتلاقي المنظمات يجب أن يكون في ارض المعركة .

وبهذه البنود المحددة المدروسة تهدف « فتح » الى غايات محددة هي :

١ — تعزيز الثقة لدى الفلسطينيين ومحاربة عوامل اليأس .

٢ — اقناع العالم العربي بامكان زلزلة الوجود الصهيوني وكشف اكذوبة قوة ومناعة اسرائيل .

٣ — اظهار الخطر الصهيوني حتى يشعر العرب بواجب الحذر والاستعداد .

٤ ـ خلق ادراك الخطر والقتال لدى ساكني الحدود في البلدان المجاورة ولو نتيجة للعمليات الانتقامية التي تقوم بها اسرائيل .

ولا تشك « فتح » ويشاركها الكثير من ابناء الامة العربية المهتمين بالامور ، ان عملها سوف يقضي على الاستقرار في داخل اسرائيل والارض المحتلة ، ويتبع ذلك اضعاف الاقتصاد الاسرائيلي والهجرة اليهودية ، وافهام اليهود الواردين والمولودين باسرائيل انهم ليسوا اصحاب هذا الوطن .

ولا يرى احد ان اليهود سوف يجلون بين يوم وليلة ، او انهم سوف يضجون من ضربات أوائل الحركة الفدائية ، فهم قوم اغتصبوا بلدا ودعموا فيه قواعد الاغتصاب ، وهم يدركون ان عملهم لم يكن سهلا وانهم وصلوا اليه بمساعدات قوى عالمية كبرى استغرقت عشرات السنين في سبيل اقرارهم وتمكينهم ، ولهذا فهم سوف يتحملون الضربات ويدافعون وسوف ينزلون بالسكان العرب الواقعين تحت سلطانهم اشد انواع الاذى والاذلال، ولسوف يكررون تحرشاتهم بالحدود المجاورة ، يعتدون يوما على الاردن وآخر على لبنان . وهكذا يهدفون الى اشاعة الرعب ، وتقويض العمل في الاراضي الزراعية وانزال الانتقام بالمدنيين والآمنين حتى أولئك الذين لا شأن لهم بالعمل الفدائي ، ولكن هذا العمل اليهودي يحتاج الى احتمال عربي أيضا ، احتمال في تلقي الضربات وتقديم التضحيات ، ومواصلة للاستعداد والاعداد ، وتشجيع وتقوية للفدائيين الذين يستطيعون ان يردوا على تحركات اسرائيل ،وينزلوا بها الرعب ويرغموها على حياة الحذر الدائم القلق، فلقد أثبتت الاحداث ان جيش اسرائيل الذي لا يهزم هو اطوعها للهزيمة حين يجد ايمانا ودفاعا واستعدادا، وما يوم الكرامة عنا ببعيد .

يوم الكرامة :

شملت حركة « فتح » كل أجزاء الارض المحتلة حتى غطت المناطق المختلفة في شرقيها وغربيها ، وفي قلب اسرائيل ، وكان لذلك أثره الواضح في زعزعة الثقة التي احاط بها جيش اسرائيل نفسه من انه قوة رادعة حطم جيوش ثلاث دول عربية ، وتربع على كرامة العرب ، وانه مستطيع ان يواصل هذا السحق فلا تقف أمامه قوة ، ولا يجالده أحد ، وادركت اسرائيل ان العرب لم يموتوا وان روح القتال في سبيل الواجب هي فيهم من القوة بقدر كبير ، فقررت ان تتخذ لذلك عملا .

وطوال شهر مارس (آذار) ١٩٦٨ ووكالات الانباء تنقل التصاريح الاسرائيلية بأن حركات التخريب والاعتداء في داخل اسرائيل انما تتم من

الاردن وعلى الاردن ان يتحمل مسئولية ذلك .

وتتابعت هذه التصريحات من اشكول رئيس وزرائها ، وديان وزير دفاعها ، ومناحم بيجن وزير دولتها ورئيس العصابة الارهابية المعروف ، واصبح واضحا لدى الراي العام العالمي ان اسرائيل تعد لغزو كبير شامل ربما استهدفت فيه احتلال الاردن بكامله ، وتحت حجة كبح جماح الفدائيين .

وفي ١٩ مارس (آذار) ١٩٦٨ أصدرت قيادة « فتح » تصريحا هاما لفتت فيه الانظار الى ان العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الاردن ، وانه يدعي ان « فتح » تنبع من خارج أرض فلسطين، « فتح » التي سبق ان ادعى اشكول انه قضى على ٩٥ بالمئة من رجالها ، وختم التصريح بالعبارة التالية :

« ليفهم الراي العام العالمي ان شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعي في النضال من اجل تحرير وطنه ، بعد ان عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عاما ، وهو ماض في طريقه يحقق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير » .

وكان السؤال هو ، بما ان اسرائيل تنوي ضرب مدينة الكرامة وغزوها غزوا شاملا ضمن مخططها لغزو الاردن ، هل يصمد الفدائيون أم ينسحبون ؟ يقول بيان حركة التحرير الوطني الفلسطيني : « وكان الاختيار صعبا وكان القرار خطيرا » وكان لابد من الصمود لان الشعب العربي في حاجة الى معنويات جديدة بعد نكسة يونيو (حزيران) ولأن قوات العدو لابد ان تحطم بانزال أكبر الخسائر بها ، ولان قوات الفدائيين لابد انتتعاون مع أفراد الجيش الاردني الباسل .

وهكذا تواجد معظم أفراد « فتح » في ساحة المعركة المنتظرة وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨ بدأ العدو يهاجم الاردن بمئات الدبابات والطائرات وجنود المظلات ، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الامة العربية ، معركة اثبتت ان الانسحاب ليس دائما شرط السلامة وان ابناء العرب والاسلام يستطيعون ان يوقفوا العدوان بصمود شريف ، يقول « ايتريش شكرومان » مراسل صحيفة ذي نسيت الالمانية :

« في الساعة الخامسة واربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الاسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الاردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الاردنية .

وفي نفس الوقت تقريبا نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الاسرائيلية للعمل وشرعت تلقي قنابلها في كل مكان ، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الهليوكوبتر) تنزل المظليين في منطقة الكرامة وسادت الامور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل ابيب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا اعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الاسرائيليين . بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالايدي ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالاسنان ، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين واظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الاسرى الاسرائيليين دليلا ظاهرا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم » .

وليس أبلغ من هذا الوصف الاجنبي لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوي المدافع بطلقات الرصاص ، بصكيك الاسنان تنطبق على اعناق جنود اسرائيل وفي وجناتهم ، انها حرب الشوارع والمواجهة ، انها حرب الفداء ، انها حرب الايمان الذي يقرر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » .

لقد ظهر جليا ان اسرائيل كانت تستهدف احتلال الاردن واذا تعسر ذلك فسوف تكتفي بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر . ولكن الوقفة البطولية التي وقفها ابطال « فتح » ورجال جيش الاردن الباسل كانت فاجعة لاسرائيل ، فلم تستطع ان تحتل الاردن ولم تستطع ان تبقى في مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تجر قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات .

يقول تقرير مستقى من الصحفيين الاجانب ذوي العلاقة باسرائيل امكن الحصول عليه بعد نحو اسبوعين من المعركة ما يلي : « اتصل مسئول اسرائيلي بعدد من الصحفيين الاجانب معظمهم من الامريكيين والاوربيين واليابانيين مساء يوم الاربعاء ٢٠ اذار (مارس) وطلب منهم التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعدادا لاطلاعهم على ما وصفه بأنه « مفاجأة كبيرة » . وفي الموعد اخذوا الى أريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب : ستنتقلون الى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في انهاء جيوب المخربين وقد نتناول القهوة معا في عمان هذا المساء » (٦٢) .

ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلا عن عمان ،

(٦٢) جريدة الانوار اللبنانية ٦ ابريل ١٩٦٨

فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعيد العاشرة صباحا وأبلغهم ان الرحلة ستكون لتل ابيب حيث حضروا مؤتمرا صحفيا لا قيمة له » .

لقد كانت خسائر اسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرته في حرب يونيو (حزيران) . فقد قدرت الاوساط والصحف الغربية بأن اسرائيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطبت .

ولقد سمعت بأذني من شيخ يسكن القدس وسمح له بزيارة أقاربه في عمان وقابلته شخصيا في مكان آخر : « ان سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفا من نتائج الهجوم الاسرائيلي على الضفة الشرقية ، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر . وانهم بدأوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحا حين اخذت طائرات الهيليوكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا ، يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى ، وحين أخذت طوابير سيارات الاسعاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهابا وايابا الى منطقة القتال مما افهم العرب في القدس ان غزو اسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وان خسائرهم كبيرة وكبيرة جدا » . قال هذا الشيخ وعدنا الى بيوتنا نعانق اطفالنا ونحدثهم ان اطمئنوا فان امتكم ما زالت بخير ، ان أمتكم لم تمت كما يقول لكم اطفال اليهود منذ الخامس من يونيو » (٦٣) .

ويصف متحدث رسمي لمنظمة « فتح » ساعات من ذلك اليوم في تصريحه أثناء المعركة فيقول :

« استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق اي من اهدافه ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منتظمة امام الضربات المذهلة التي سددتها له قواتنا ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره الى طلب وقف اطلاق النار عندما ادرك ان تفوقه الجوي والآلي لا يحميه من رجال صمموا على النصر » .

ويصف مراسل مجلة « الثورة الفلسطينية » العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول :

«بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من

(٦٣) اني احتفظ باسم هذا السيد الذي عاد من جديد للقدس داعيا الله ان الاقيه من جديد في رحاب الاقصى المقدس .

سنائه ، استطاع ابطال العاصفة في الاغوار أن يعيدوا الى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص ، وعكرمة وجعفر وكل أبطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين أسماء أبو امية ورؤوف وربحي وابو العيد وأبوشريف ، اسماء ابتدأت بالشهيد احمد موسى عام ١٩٦٥ ولن تنتهي الا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن ان الباطل كان زهوقا » .

لقد أثبتت الاصابات في الشهداء انها كلها كانت في الصدر والوجه وثبت ان طيران العدو ليس الا وهما وان براعته القتالية لا تخيف الابطال والمجاهدين ، وان جيش الدفاع الاسرائيلي ليس الا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا .

وهكذا مضى يوم الكرامة يوما خالدا دفعت فيه « فتح » مجموعة كريمة من ابنائها شهداء ، ولكنهم كانوا الثمن للنصر ولازالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران) ولاثبات ان المقاتل العربي يستطيع ان يصمد وان يصد وأن يدحر عدوه دون انسحاب ، وان كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود أبدا ظروفها المربكة بعون الله .

وكان يوم الكرامة ميدانا لبطولة الجيش الاردني ايضا . فقد دافع هذا الجيش دفاع الابطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح والى أن تم جلاء الاعداء ودفع هذا الجيش ايضا كثيرا من رجاله شهداء في ميدان الشرف والتضحية .

وقد بدأت البلاغات الرسمية الاردنية تصف القتال في الميدان الطويل العريض ، وتعلقت الانظار والخواطر في العالم العربي بتلك البقاع الملتهبة والتي اخذت اسرائيل ترسل اليها فضلا عن دباباتها وجنودها اسرابا من طائراتها تدك المدن والقرى والطرق ، وكان خطاب الملك حسين الذي اذيع في منتصف النهار الى ملوك العرب ورؤسائهم صورة من ذلك اليوم الكبير حيث أكد ان اسرائيل لو اعتقدت بصدق وقوفنا جميعا وبعدنا عن الخلف لما تجرأت بهجومها الذي لا ندري له نهاية ، وان القتال يدور بشدة من شبر الى شبر « وانني أخاطبكم الآن فتسمعون منا وقد لا تسمعون الا عنا » ، ودعاهم الى مؤتمر سريع للقمة يقرر ما يجب ان يتخذ ، ولكن تلك الدعوة الاردنية لقمة جديدة لم تستجب حتى الآن وكان من بين الردود على رسالة الحسين ما اذاعه الملك فيصل من انه يجب اعلان فشل يارنج رسميا لتكون هناك جدوى لمؤتمر قمة جديد (٦٤) . وكان رد الرئيس عبد الناصر

(٦٤) تبادل الملكان حسين وفيصل رسائل هامة في هذا الموضوع يمكن الرجوع اليها في صحافة ذلك الاسبوع ، وأعلن أخيرا في منتصف يونيو (حزيران) ١٩٦٨ ان الملك فيصل فتح اعتمادا لتحويل ما قيمته ١٥ مليون جنيه اسلحة للاردن .

ينادي بوجوب تسخير جميع القوى العربية لتقف صفا واحدا امام العدوان المستمر .

وما زال الوضع على ضفة نهر الاردن كما كان منذ الانسحاب الارغامي لاسرائيل من الضفة الشرقية في الواحد والعشرين من مارس (آذار) الماضي ١٩٦٨ ، ولا يكاد يمر يوم دون أن يتبادل جيش الاردن اطلاق النار مع قوات الاعداء وتدعي اسرائيل ان هذه القوات تستعمل مدافعها بين الحين والآخر لحماية الفدائيين بعد كل عملية في داخلها . وترابط قوات عراقية بدباباتها ومدافعها في بقاع مختلفة الان في الاردن ، كما ترابط قوات سعودية قرب خليج العقبة .

تأييد جهاد الفلسطينيين :

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطبه المهمة التي القاها في بداية عام ١٩٦٨ انه يؤيد العمل الفدائي ويمده بكل امكاناته المادية والمعنوية . *

وكان الملك حسين قد اعلن أيضا « ان المقاومة العربية في المناطق المحتلة هي حق من حقوق الشعب وان الاردن يقدم عونا ادبيا وماديا الى المقاومة في الضفة الغربية ، ويقدم جيشه نار تغطية للعاملين ... » (٦٥) وليس من ريب في أن ثوار الجزائر كانوا على ود ومساندة (لفتح) على الدوام وواضح الآن ان هذه الهيئة الفتية الشجاعة يجب ان تتلقى من العون اضعاف ما كانت تجد سواء ممن ذكرنا ، أو من ليبيا والكويت والسعودية وسوريا ولبنان والعراق وغيرها ، ذلك ان الشعب الفلسطيني حين يواصل تحركه للجهاد وتقديم ارواحه على مذبح حرية الامة العربية جميعها ، فلا اقل من أن يدرك العرب والمسلمون في كل مكان ، ان هذا الخطر الذي يدفعه الفلسطينيون ليس خطرا خاصا بفلسطين ولا هو احتلال لها او لجزء منها ، ولكنه برنامج خطير ينوي لو نجح أن يقطع على التاريخ خط الرجعة وهو حينئذ سوف يكبل العالم العربي بسلاسل العبودية والابادة والافناء .


عمليات المقاومة تغطي كل الارض المحتلة وقلب مدينة القدس

تصاعد جهاد شعب فلسطين الفدائي حتى اخذ العناوين الكبرى في امهات الصحف

* من الثابت أن الفدائيين يتلقون عونا مثمرا من الجمهورية العربية المتحدة .

(٦٥) هيرالد تربيون عن واشنطون بوست في ١٠ نوفمبر ١٩٦٧ .

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع ارجاء فلسطين سطروا بدمائهم حروف التضحية ، وقووا العزم لدى جماهير امتنا العربية كلها ، لقد بلغ عدد شهداء « فتح » حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيدا ولا نشك ان قرابة مائتي شهيد لحقوا باخوانهم بعد ذلك حى اليوم ، ولكن خسائر اسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها ديان وزير حربية الاعداء نفسه وليس بامكاننا في هذه العجالة ان نعدد معارك « فتح » والفدائيين ، ولكن هذا لا يمنعنا ان نعيد للاذهان هجوم فتح على مطار أريحا والهجوم على مخازن البترول في ميناء ايلات حيث بقي الحريق ثلاثة ايام بلياليها ، والهجوم على معسكرات الاعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث ، والهجوم على قرى مجاورة لتل ابيب ، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي أعد لموشى ديان فأبقاه شهرا تحت علاج خطير ، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها اسرائيل اكثر من سبعين جنديا بين قتيل وجريح وكانت ثأرا للعرض العسكري بالقدس وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين . ويعلن بلاغ لفتح انه في احدى عشر عملية فدائية خسرت اسرائيل اكثر من ١٥ جندي وبعض السيارات العسكرية ، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو حتى اربكها طوال شهر مايو (ايار) ١٩٦٨

ويواصل الفدائيون عملهم كل يوم وقد بذلت الجبهة الشعبية جهدا كبيرا فيمعركة بيت فوريك حيث قاومت تشكيلات منطائرات العدو وسريتين من المظليين حتى فقد العدو نحوا من ستين بين قتيل وجريح .

ويطول بنا الحديث لو تناولنا المعارك مفصلة سواء من فتح او الجناح العسكري التابع للمنظمة او الجبهة الشعبية . ولقد وضح ان العمليات المشتركة بين فتح وجناح المنظمة كانت ذات اثر كبير وقوي .

ونحن نسطر هذه الصفحات وقد اذاعت الجبهة الشعبية بلاغها المهم التالي : تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن خطف طائرة (العال) اليهودية من طراز بوينج ٧٠٧ بين روما وتل ابيب (مطار اللد) في ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، وقد قامت احدى وحداتنا المتخصصة بالسيطرة على الطائرة اثناء تحليقها في الجو ، وارغمت ملاحيها على الهبوط في مطار الجزائر ، اننا نرجو من الحكومة الجزائرية ان تعتبر الطائرة وملاحيها وركابها من الاسرائيليين رهائن لديها مقابل الاسرى والمعتقلين من رجال المقاومة الفلسطينية المنتمين الى كل التنظيمات المقاتلة والذين تقوم اسرائيل بتعذيبهم تحت ظروف قاسية وغير انسانية . ان

الجبهة تعلن مسئوليتها بمفردها وتؤكد انه لم يكن للجزائر علم مسبق بذلك . ان حركة المقاومة الفلسطينية حركة مشروعة ضد الاغتصاب الصهيوني لأرض فلسطين وهي ككل حركات المقاومة في التاريخ تتطلع بأمل الى شعوب العالم وتطلب منها الدعم والتأييد وان شركة (العال) هي شركة ساهمت في معركة حزيران وليست شركة مدنية » *

كان هذا البيان يشرح العمل الفدائي المهم اذ سافر بالطائرة المذكورة بعض شباب هذه الجبهة وحين كانت فوق البحر الابيض رفع احدهم قنبلة يدوية وصاح : لقد فقدت امي وابي في الحرب ولم يعد لي شيء اريده اذا لم ترفعوا ايديكم جميعا فجرت بكم الطائرة . فرضخ الجميع خاضعين وكانوا ٣٨ راكبا و١١ ملاحا . واتجه في نفس اللحظة شاب اخر الى قائد الطائرة فأرغمه بمسدسه على تغيير وجهة سيرها ، وحين عارض مساعد القائد تلقى ضربة أدمت رأسه ، اما الثالث فقد وقف بمسدسه امام باب القيادة ليضمن تنفيذ كل شيء . **

واجباتنا تجاه معركة المصير :

وهكذا يتصاعد العمل الفدائي ، ويتضح ان العون للفدائيين ولكل مجهود حربي عربي هو ليس فرض كفاية يمكن ان يقوم به البعض دون البعض ، بل هو واجب حتمي على كل فرد ، وفي كل قطر وصقع من عالمنا العربي الكبير ، ولا أعتقد أن الموضوع في حاجة الى اقناع ، فان اسرائيل تهدف الى تفتيت الوطن العربي وتمزيقه ، وهي تعمل الى اخضاع جزء من مصر يضم الاسكندرية والدلتا الى سيناء تحت علمها ، والى احتلال الاجزاء الهامة من العراق وسوريا ثم احتلال الجزيرة العربية حيث تريد أن تقع المدينة المنورة واطلال بني النضير وبني القينقاع القديمة تحت علم اسرائيل، وقد صرح موسى ديان يوم دخوله القدس في السابع من يونيو الكارثة : لقد وصلنا اورشليم وما زال امامنا يثرب وأملاك قومنا فيها . ولسنا ندري لو تم هذا ماذا بقي للعالم العربي من كيان او كرامة او وجود ، ولا نتصور ان هذا احتمال يجب الا يشغل الناس الان ، فان اسرائيل نفسها كانت احتمالا قبل عشرين عاما وان احتلالها القدس كان احتمالا قبل عام من الان .

ولا نتصور ان يكون الامر خاصا بالعرب المجاورين لفلسطين ، فان

* بعد صدور الطبعة الاولى من كتابنا هذا حدث ان حجزت الطائرة وحقق مع ملاحيها ، وأعلن اتحاد الطيران الدولي تهديده بمقاطعة الجزائر ، وتضافرت المطارات العربية ضده ، وبعد انتظار طويل بوساطة ايطالية ، عادت الطائرة الى مطار رومة فسلمت لاسرائيل ، وقد اطلقت هذه سراح بعض المساجين العرب والاسرى بحسب رأيها واختلفت التعليقات حول ارجاع الطائرة للعدو .

** هاجم جماعة من الجبهة الشعبية بالقنابل طائرة العال في مطار أثينا ، والفدائيان معتقلان رهن المحاكمة حتى الآن ؛ كما هاجم ثلاث شبان ومعهم الفدائية امينة دحبور طائرة العال في زيورخ ، وقتل اليهودي مردخاي الشهيد عبد المحسن حسن بعد القاء سلاحه للشرطة السويسرية، وقبلت سلطات سويسرا الافراج عنه بضمانة ، ورفضت ضمانة جزائرية مماثلة للابطال العرب . واعتقلت الفتاة منى السعودي وشاب فلسطيني بكوبنهاجن بتهمة حيازة سلاح لاغتيال بن غوريون أثناءرحلته في امريكا الجنوبية . وأعلن رفع فتح لعلم فلسطين على الحمة واحتلالها ثلاث ساعات واعتبر هذا تطورا في عملها المستمر كل يوم

الموضوع خاص بالجميع وخطر على لجميع ولنأخذها من اولها : ان السعودية يجب ان تقدم كل امكاناتها للمعركة فان هدف اسرائيل في اجزائها وفي مدينة الاسلام التي تعتبر السعودية حفيظة عليها لم يعد سرا يحتاج الى اعلان ، وان دول الخليج العربي يجب ان تقدم كل امكاناتها فانه لا ينتظر ان يكون لها مكان ولا كيان اذا استطاع الاعداء قهر السعودية ومدينة الاسلام فيها . ان العراق يجب ان تقدم كل امكاناتها فان المعنى المرسوم على باب البرلمان اليهودي «من النيل الى الفرات وطنكم الموعود» ، ولسنا في حاجة للحديث عن واجبات الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والمملكة الاردنية فان سيف اسرائيل قد استطاع ان يعمل في اجسامهم جميعا .

اما دول شمال افريقيا ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فليكن واضحا امامها جميعا انه من غير المنطق ولا المعقول (اذا استطاعت اسرائيل ان تكبل منطقة المشرق العربي بغزوها) ان تبقى تلك الدول راغدة هانئة ، آمنة لبعد المسافة ، ومتعللة بانعدام الاطماع . أما بعد المسافة فلم يعد العالم يعترف به. وحديثا غزت هولندا في غربي اوروبا بلاد اندونيسيا في شرقي آسيا ، وما زالت أساطيل امريكا (العون الاكبر لاسرائيل) تجوب بحارنا وتستقبل موانئنا رغم بعد أمريكا عنا. أما عدم الاطماع فمنطق ضعيف، فمن اهداف الصهيونية السيطرة على العالم، ولا أرى السيطرة على عالمنا العربي اذا تهاونا الا أقرب وادنى ، وحين بحث خلق وطن لليهود قبل نصف قرن كانت برقة (٦٦) من ليبيا محلا مقترحا لذلك ، فالصهيونية تتغنى بتاريخ لها في بعض الاجزاء الليبية ، وبثورة احرقت فيها الاخضر واليابس هناك ، قبل ألف ومئات السنين ، واذا استطاعت الصهيونية ان تخلق امبراطورية فوق أجسادنا ، فلا ريب انها تستطيع أن تعترض على أي مشروع اقتصادي ينشأ في الرباط والدار البيضاء باعتباره ينافس منتجاتها ، وسوف تعترض على أي مطار يقام في ليبيا او تونس او الجزائر باعتباره يهدد أمنها . قد يقول بعض القراء ان هناك مجلس الامن وهناك الدول الكبرى ، وأنا لا أجادلهم في المعنى الخرافي لهذه المسميات ، ولكني أعيد عليهم ما سبق أن تردد في التاريخ ، من أن لهذه الدول مصالح لا اصدقاء ، ومجلس الامن مجمع سياسي ليس محكمة قانون ولا مجمع ضمير ، ولا أحيل احدا الى بعيد بل أحيلهم الى قرار مجلس الامن الذي صدر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ وها هو يترنح متأوها ضعيفا في حقيبة السفير يارنج ، ومجلس الامن صامت كأن الامر لا يعنيه .

(٦٦) تحت يدنا تقرير رسمي منقول عن جمعية يهودية انجليزية يشرح رحلة الخبراء الصهيونيين الى ليبيا وتفحصهم احوال برقة في اواخر العهد العثماني وفي ذلك التقرير ما يثبت اطماعهم المحددة زمنا ومكانا .

هل ندرك لماذا يصمت مجلس الامن ؟ انه يصمت لأن احدا من اعضائه لم تتأثر مصالحه بوضعنا الذليل ، لم يفتقد البترول ولم تفل أسعاره لديه ، ولم تتأثر حياة بلادهم بمقاطعة تجارية ولو غير معلنة ، وبالاعراض عن شركاتهم ولو بالخفاء ودون اعلان ، ولم يتأكدوا اننا على قوة من سلاح واننا سنحارب قريبا فيخشون تأثر مصالحهم ويدركون اننا نستطيع ان نعمل ، هذا هو مجلس الامن .

اما الدول الكبرى فقبل صداقتنا لها، يجب انندرك صداقاتها او على الاقل احترامها لبعضها ، وما اقدر هذه الدول على خلق المعاذير والتفاسير ، ان امريكا شجبت ضم القدس لاسرائيل ، ثم بعد قليل وجد رئيسها تفسيرا لذلك فصرح بأنه يدرك المعنى العميق لتعلق شعب اسرائيل بالقدس وحرمانه منها بفعل معتقدات (٦٧) الآخرين سنين طويلة ، وامريكا نفسها هي التي اعلنت انها سوف تكون ضد من يبدأ القتال ثم ها هي تحاول ان تستغل نصر اسرائيل لاعترافنا باسرائيل ، وتنادي بارغامنا ان نفاوضها وجها لوجه مفاوضة المنهزم امام سيده الظافر .

وتلك روسيا — وهي الصديق الكبير للعرب الآن — لم تسلمنا في ساعات الكارثة عوضا عن طائراتنا المحطمة نتيجة خدعة امريكية ، انطلت علينا واقنعتنا قبيل المعركة بها ، وكان واجب الشرف يلقي عليها مسئولية محددة ، ولو فعلت لكان ممكنا حماية جيوشنا من التردي تحت طائرات العدو في الصحراء والسهول ، ولقلبت موازين الاعداء .

اذن فليدرك العرب والمسلمون انه لا مجلس للامن(٦٨) الا أمنهم، وقوتهم، ومالهم ، وحسن ادراكهم وتصرفهم ، وليدرك العرب والمسلمون أن الدول

(٦٧) انه يغمر معتقداتنا ويتناسى اننا اصحاب البلاد وغيرنا هو المغتصب المعتدي، وان ديننا لم يضطهد طوال تاريخه اي دين آخر .

(٦٨) اعلنت منظمة (فتح) رفضها لهذا القرار منذ صدوره ، ثم أعد المجلس الفلسطيني المنعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ رفضه كذلك له ونحن نكتب هنا نصه دون تعليق :

« ان مجلس الامن اذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الاوسط ، واذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على اراضي بواسطة الحرب والحاجة الى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بأمن .

واذ يؤكد ان جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

اولا — يؤكد ان تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ويستوجب تطبيق المبدأين التاليين وهما :

أ — سحب القوات الاسرائيلية من اراض محتلة في القتال الاخير .

ب — انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود ←

الكبرى لن تحميهم من اسرائيل ، وانه لا كبرى الا الامة العربية الكبرى مع امة الاسلام تتوحد جهودها وتنظم امورها وتتعاون اجزاؤها في سبيل يوم خالد لا بد فيه من نصر مهما ثقلت الاعباء . *

ان ذلك المجمع الذي انعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ وضم مائة عضو من شعب فلسطين تحت اسم المجلس الوطني ، على الرغم من الفهم العميق انه لم يضم كل شخصية فلسطينية ذات أثر وعلاقة بالكفاح، وعلى الرغم من الفهم العميق ايضا ان شخصياته المائة ليسوا جميعا على مستوى الاحداث او فوقها ، وليسوا ايضا خلاصة لشعب فلسطين ، ولكن ذلك الاجتماع كان ضرورة ليتعارف السياسيون والمراقبون والمقاتلون من شعب فلسطين ، وقد كانت افكار الشعب العربي ترتقب ان تتحول منظمة التحرير الى هيئة فدائية تتكون من (فتح) والفريق المقاتل من جيش التحرير والجبهة الشعبية لتكرس هذه الهيئة جهدها للقتال وتصعيد الحرب الفدائية حتى تتحول الى حرب شعبية لا تقل عما يجري الان في فيتنام .

ولكن صفة التكوين لذلك المجلس لم تكن مطابقة تماما للاحداث فوصل الى نتائج مؤقتة كان اهمها تأييد العمل الفدائي ، ورفض قرار مجلس الامن الذي يدعو الى حدود آمنة لاسرائيل ومرور في المياه الدولية والتخلي عن اراض (٦٩) احتلت في حرب الخامس من يونيو وان تبقى الهيئة التنفيذية الاولى ورئيسها الذي جاء خلفا للسيد الشقيري حتى ينعقد مجلس جديد بتكوين جديد في مدة لا تتجاوز الشهور الستة .

→
مأمونة ومعترف بها وحرة من التهديد او اعمال القوة .

ثانيا ـ يؤكد ايضا الحاجة الى :

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج ـ ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح » .

* لقد بذلت باكستان من الجهد في المحافل الدولية لقضيتنا ما يذكر بالاجلال والاكبار، ولم تتخلف تركيا عن الوقوف معنا كذلك ، ويبدو ان التقارب بين العرب والاتراك يأخذ طريقا ممهدا سوف يكون فيه التعاون ضد الصهيونية الباغية . قال الصحفي التركي شهاب خان بصحيفة « ابو جون » التركية في حديثه عن زيارة وزير الزراعة الليبي في يونيو ١٩٦٨ : « ان الذين يحملون العقيدة الاسلامية يتمتعون باطلاع واقعي على نوايا الصهيونية التدميرية تجاه العالم الاسلامي وان الاستعمار جعل من الصهيونية اخطبوطا فظيعا ، دسه بأفعى اسرائيل في قلب أقطار الاسلام ، وقد أدرك رؤساؤنا ضرورة التقارب والتكاتف بينهم للالتفاف حول انوار القرآن الكريم » .

(٦٩) كانت هذه الكلمة محل صراع طويل في مجلس الامن وبقيت بلفظها الحالي اراض لا الاراضي وفي هذا بعد عن شمول الانسحاب من كل الاراضي المحتلة في حرب الايام الستة .

لقد واصلت (فتح) دعوتها : ان الوحدة انما تكون بين المقاتلين وفي جبهات العمل الفدائي ، وان المجلس ليس مجلس مغانم ولا مكاسب ، وانها تعترض فقط على ان يكون الفدائيون جيشا تقليديا يرابط في خطوط منتظرة ، او ان يتولى غيرها جباية العون من الشعوب العربية، لقد أكدت (فتح) ان رجالها يتناولون القليل من العون من صندوقها ويتناولونه في اباء ، وانها تصرف على اسر الشهداء ، وانها تشعر بالاعتزاز والمنة لشعوب الامة العربية من ليبيا الى الكويت الى جميعها في المشرق والمغرب ، وانها قد استطاعت خلال جهاد اربع سنوات ربط الود الثوري مع شعوب الامة العربية ودولها ولا توافق ان ينقطع حبل الود هذا ، ولا ترى لها عونا خيرا منه ، ولا تعترف قبل هذا وبعده بطريق سليم للتحرير الا الحرب والحرب وحدها ، مهما كثرت الضحايا وازداد عدد الشهداء . ويشاركها في هذا الرأي رجال الجبهة الشعبية الذين ما فتئوا يواصلون عملهم الفدائي .

ونحن نسجل خاتمتنا لهذا البحث عن شعب فلسطين والانباء تحمل لنا بيانات اسرائيلية عن معارك مع « فتح » حدثت بالامس (العشرين من يوليو ١٩٦٨) وان عشرة من شبابها قد لقوا الشهادة. ولكن بلاغ (فتح) يشير الى خسائر اسرائيل الكثيرة في العتاد والرجال في منطقة شاسعة تحركت في الجنوب والشمال ، وفاجأت العدو في اكثر من مكان .

ان هذه الحركة التي تريد للثورة في مراحلها الاولى « ان تكون



في معسكر ما من معسكرات (فتح) مع ابي عمار ياسر عرفات

فلسطينية الوجه واليد ، عربية القلب والعون » (٧٠) تأخذ طريقها الفدائي كل يوم وهي في حاجة الى كل عون ، ومساندة ، لا يجوز ان يقف في طريق ذلك عائق ، ولا ان تحول الحوائل . لقد قررت « فتح » ان تكون لقضية فلسطين فقط فوق الاحزاب ، وفوق كل خلاف عربي ، وفوق كل رأي يحدث خلافا او يخلق تصدعا ، وهي مقررة ان تأخذ من كل بلد عربي الوجهة الايجابية لصالح الثورة والقضية ، حتى تصل ثورتها والثورة الفدائية كلها الى عمل حاسم تدرك به اسرائيل واعوانها انه التصميم والعزم والفداء ، وانه الطريق الى هزيمتها ونصرنا بعون الله .

وليس بعد هذا الا أن تندمج في (فتح) ومعها ، الهيئات الاخرى حتى تكون الوطنية في أوضح صورها ، وأحلى معانيها ، ولتكن فلسطين حصن العرب الاول أهم عند ابنائها من شعارات وهتافات ، ولتكن معركة المصير ادنى الى قلوبهم من اي نداء مرجع، او فكر مميع. لقد بذلت الجبهة الشعبية بعد يوم الكرامة جهدا طيبا وشهداء كراما، وهي تدعو للوحدة العربية كعقيدة للقوميين العرب (٧١) أفلا ندعوها الى وحدة فدائية . ان في الجبهة الشعبية مجموعات كريمة من شباب صدق الوعد مع نفسه ووطنه، ولن يكون جهدهم متكاملا وقويا وحاسما الا بالاتحاد الكامل مع (فتح) ، اتحاد قوي في العمل، كقوة العمل في نفوسهم .

ان شعوب الامة العربية بل شعوب الاسلام كلها تؤمن بالحركة الفعالة الفدائية ، وقد اصبحت « فتح » هي عنوان تلك الحركة، فلتتوحد معها كل هيئة او جماعة ليتوحد الجهد كله من العرب والمسلمين لصالحها ، وليتوجد العمل ضد الاعداء .

اننا على ابواب جديدة من التاريخ، ولسنا نعرف كيف ستكون خريطة الوطن العربي خلال هذه السنوات المرة ، فالدعوة الحقة هي الدعوة الى العمل والصدق، والترفع عن سفساف الامور والاتجاه الى وحدة الجهد كله من المحيط الى الخليج .

ان هزيمة الخامس من حزيران، كشفت عن قصور وتقصير في كثير من أجهزتنا، وعرّت افرادا وجماعات كانوا مسئولين كبارا هم الان رهن المحاكمات، والاستفادة من تلك الدروس هي اول مظاهر تقدم امتنا وسيرها على الدرب

---

(٧٠) من حديث معنا للفدائي ابو عمار ياسر عرفات الناطق الرسمي باسم (فتح) .

(٧١) اصدرت الجبهة الشعبية بيانا في صحف لبنان خلال ابريل ١٩٦٨ اعلنت فيه انها لا صلة لها بالقوميين العرب ، ثم علم ان ذلك البيان كان يمثل فقط قسما منها .

الصحيح .. ان المعركة خطيرة وطويلة وسيتحمل مسئوليتها كل فرد من الذين يعيشونها الان . والشعوب العربية التي نطالبها بالسخاء والعمل، من حقها ان نضمن لها سلامة اموالها المدفوعة ، وثرواتها المسلمة . وانها لخير العمل الجماعي لا خوف عليها من يد عابثة ، ولا احتمال فيها لأيد ناكثة . وبذلك تخلق الثقة بين حكوماتنا وشعوبها ، ويطمئن الجميع ان الجهد مسخر لمعركة مفروضة علينا ، وليس لنا عنها بديل .

لقد ذكرنا في هذا البحث الكثير من اوجه الحقد والعداوة التي تحملها الصهيونية لعالمنا العربي ، ولم يكن اليهود قد وجدوا امنا ولا سلاما الا في ارض العروبة والاسلام . وكأنما على شعبنا ان يتحمل وزر ما لاقى اليهود في مجالات اوروبا ، فيخوض معركة طويلة دفاعا عن بقائه وتجاه قوى بريطانيا التي بنت وطن اليهود القومي ، وقوى امريكا التي تقف معادية لأمتنا عداوة لم نتسببها ولسنا فيها بالمهاجمين .

اننا لسنا اعداء بالخلقة لهذه الدول ، ولكنه الصراع في سبيل البقاء، وعليها وحدها تقع مسئولية التاريخ ، على بريطانيا أن تصحح اخطاءها التاريخية ضدنا ، وعلى امريكا أن تدرك ان دفاعنا المشروع عن وجودنا يحتمه موقفها ضدنا ، وان صداقتنا ليس اقرب منها ولا أسهل ، اذا آمنت بحقنا في حريتنا ، ونزعت عن منهاجها سبيل مناصرة اعدائنا ، والعمل على تقويض اوطاننا ، ان دول العالم كلها شرقيها وغربيها ، حين تمد يدها لامتنا باخلاص ودون تحكم ، ستجد ايادي مئات الملايين ترحب ، وتصافح. لسنا عدوانيين بطبعنا ولكنه حق الحياة والحرية .

وهكذا يستبين الصبح لكل ذي عينين وتدرك شعوبنا وحكوماتنا طريقها السوي .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

المـلاحق

(نشرنا في هذه الملاحق المواد ذات العلاقة ببحثنا ، اما النصوص الكاملة باللغة العربية مصورة من مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت ، وباللغة الانجليزية مصورة من المتحف البريطاني بلندن فقد أودعناها مجلدا خاصا بمكتبه قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعـة الازهـر)

من تشريعات الانتداب البريطاني بفلسطين :

ملحق رقم ١

قانون يقضي بتعديل التشاريع العثمانية
فيما يتعلق بالاراضي الموات

(١٦ شباط سنة ١٩٢١)

المادة ١ ــ يطلق على هذا القانون اسم قانون الاراضي (الموات) .

المادة ٢ ــ تستبدل الفقرة الاخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الاراضي العثماني بما يلي :

« كل من نقب ارضا مواتا او زرعها دون ان يحصل على موافقة مدير الاراضي لا يحق له ان يحصل على سند ملكية بشأن تلك الارض ويعـرض نفسه فضلا عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الارض » .

ملحق رقم ٢

مرسوم دستور فلسطين

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩٢٢

الحضـــور

صاحب الجلالة الملك

رئيس الامناء	الوزير شورت
اللورد ستامفورد هام	المستر مكردي

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على ان يعهد بادارة فلسطين

التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها ، من اجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته في الاصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واقرته الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على ان يفهم بجلاء بأنه لا يؤتى امر من شانه ان يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الان في فلسطين او بالحقوق والاحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد اخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالته للانتداب على فلسطين

ولما كان جلالته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة او ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة .

لذلك وعملا بالسلطات المخولة لجلالته بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وبغير ذلك من الصلاحيات وتنفيذا لتلك الصلاحيات وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم جلالته ما يأتي :

* السلطة التنفيذية : —

منصب المندوب السامي :

المادة ٤ — يجوز لجلالته ان يعين ببراءة موقعة بتوقيعه ومختومة بختمه شخصا من ذوي اللياقة لادارة حكومة فلسطين يلقب بالمندوب السامي والقائد العام او بأي لقب آخر يروق لجلالته ويشار الى الشخص المعين على هذه الصورة فيما يلي من هذا المرسوم بالمندوب السامي .

* سلطات المندوب السامي :

المادة ٥ — يقوم المندوب السامي بتنفيذ كافة المهام المناطة بمنصبه بالصورة الواجبة وفقا لمنطوق المراسيم التي قد يصدرها جلالته في مجلسه

الخاص بشأن فلسطين واية براءة تصدر اليه موقعة بتوقيع جلالته ومختومة بختمه ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه من آن الى آخر بتوقيع وختم جلالته من اجل تنفيذ احكام صك الانتداب ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه بمرسوم من جلالته في المجلس الخاص او بواسطة احد وزرائه ووفقا لكافة التشاريع والقوانين المعمول بها الآن او التي سيعمل بها فيما بعد في فلسطين .

* المجلس التنفيذي :

المادة ١٠ — يتألف المجلس التنفيذي لاسداء المشورة للمندوب السامي قوامه الاشخاص الذين يشير بهم جلالته بموجب تعليمات يرسلها الى المندوب السامي من آن الى آخر تحت ختم وتوقيع جلالته ، ويشكل بالصورة التي يوعز بها جلالته في تلك التعليمات ويحتفظ هؤلاء الاشخاص بمراكزهم في المجلس حسب مشيئة جلالته ويراعي المجلس التنفيذي في تصريف اشغاله القواعد التي قد تقرر في مثل تلك التعليمات من حين الى آخر .

* الاراضي العمومية :

المادة ١٢ (١) تناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الاراضي العمومية او الحقوق المتعلقة بها وله ان يمارس تلك الحقوق بصفة كونه امينا عن حكومة فلسطين .

(٢) تناط بالمندوب السامي كافة المناجم والمعادن على اختلاف انواعها واوصافها سواء اكانت فوق اليابسة او المياه ام تحتها وسواء اكانت تلك المياه انهرا داخلية ام بحيرات ام مياها ساحلية ، على ان يراعى كل حق ممنوح لاي شخص لاستثمار هذه المعادن او المناجم بمقتضى امتياز يكون نافذا في تاريخ هذا المرسوم .

* سلطة المندوب السامي في هبة الاراضي :

المادة ١٣ — للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الاراضي العمومية او اي معدن او منجم وله ان ياذن باشغال مثل هذه الاراضي بصفة مؤقتة وبالشروط وللمدد التي يراها ملائمة على ان تراعى في ذلك احكام اي قانون :

ويشترط في ذلك ان تجري كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لمرسوم او تشريع او قانون معمول به الآن في فلسطين او سيعمل به فيما بعد او وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع

جلالته وختمه او بواسطة الوزير ، تنفيذا لاحكام صك الانتداب(١) .

* تعيين الموظفين :

المادة ١٤ — للمندوب السامي ان يعين او يجيز تعيين من يستنسب تعيينهم من الموظفين لحكومة فلسطين بالالقاب التي يراها ملائمة، وله أن يقرر حدود وظائفهم ، على ان يكون ذلك خاضعا لما ينهي به الوزير ، ويبقى هؤلاء الموظفون في مراكزهم حسب مشيئة المندوب السامي ، الا حيث ينص القانون على خلاف ذلك .

* توقيف الموظفين عن العمل :

المادة ١٥ — للمندوب السامي ، مع مراعاة التعليمات التي يتلقاها من حين الى آخر ، ان يعزل اي شخص يشغل وظيفة عامة في فلسطين او ان يوقفه عن ممارسة مهام وظيفته وله ، مع مراعاة التعليمات الانفة الذكر ، ان يتخذ بحقه الاجراءات التأديبية التي يستصوبها اذا ظهر له ان هناك سببا كافيا يبرر ذلك .

* منح العفو :

المادة ١٦ — اذا ارتكبت جريمة او جرم في فلسطين او ارتكبت جريمة من الجرائم التي يجوز محاكمة مرتكبها في فلسطين فللمندوب السامي ، اذا ما راى مبررا ، ان يصدر عفوا عن اي شريك في تلك الجريمة او الجرم يعطي اية معلومات وشهادة تؤدي الى ادانة الفاعل الاصلي او الفاعلين الاصليين ، وله ايضا ان يعفو عن اي مجرم ادين بارتكاب جرم من قبل اية محكمة او قاض او حاكم صلح في فلسطين اما عفوا مطلقا او عفوا مقيدا بقيود مشروعة او ان يخفف الحكم الذي صدر بحق المجرم المذكور او ان

---

(١) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

13. The High Commissioner may make grants or leases of any such public land or mines or minerals or may permit such lands to be temporarily occupied on such terms or conditions as he may think fit subject to the provisions of any Ordinance.

Provided that such grant or disposition shall be in conformity either with some Order-in-Council or Law or Ordinance now or hereafter in force in Palestine, or with such instructions as may be addressed to the High Commissioner under His Majesty's Sign Manual and Signet, or through a Secretary of State, for the purposes of executing the provisions of the Mandate.

يؤجل تنفيذه للمدة التي يستصوبها وله ايضا ، اذا ما رأى مبررا ، ان يتجاوز عن اية غرامة او جزاء نقدي او مصادرة تنشأ أو تصبح مستحقة الدفع بمقتضى حكم صادر من محكمة او حاكم صلح في فلسطين .

السلطة التشريعية : —

* المجلس التشريعي :

المادة ١٧ — اعتبارا من تاريخ يعينه المندوب السامي في المجلس التنفيذي بمنشور ينشر في الوقائع الفلسطينية يشكل مجلس تشريعي لفلسطين وفقا لما هو منصوص عليه في هذا المرسوم ويقوم ذلك المجلس مقام اي مجلس استشاري يكون موجودا حينئذ .

ويبقى المندوب السامي متمتعا بالسلطات المخولة له الان لسن القوانين بعد استشارة المجلس الاستشاري حتى تاريخ انتخاب اعضاء المجلس التشريعي المشار اليه .

* صلاحيات المجلس التشريعي :

المادة ١٨ — للمجلس التشريعي السلطة والصلاحية التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من اجل السلام والنظام وحسن ادارة الحكم في فلسطين دون اخلال بالسلطات المنوطة بجلالته او المحتفظ له بها في هذا المرسوم ، على ان تراعى في ذلك دائما جميع الشروط والقيود المقررة في اية تعليمات يصدرها جلالته بختمه وتوقيعه بشرط ان لا يصدر قانون من شأنه ان يقيد الحرية التامة في العقيدة وحرية القيام بشعائر العبادة على اختلاف انواعها الا بمقدار ما قد يكون ضروريا لحفظ النظام العام والآداب العامة، وان لا يصدر اي قانون من شأنه أن يميز بين اهالي فلسطين على اي وجه كان على اساس العنصر او المعتقد او اللغة .

ولا يجوز ان يصدر قانون يكون مناقضا او مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه (٢) .

* توقيف أعمال المجلس وحله :

المادة ٢٢ — للمندوب السامي بمنشور يصدره في اي وقت من الاوقات

---

(٢) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

No Ordinance shall be passed which shall be in any way repugnant to or inconsistent with the provisions of the Mandate.

ان يفض المجلس او يحله ، ويترتب على المندوب السامي ان يحل المجلس عند انقضاء ثلاث سنوات من تاريخ اول جلسة يعقدها .

* عدم العمل بالقوانين قبل الموافقة عليها :

المادة ٢٤ – لا يعمل بأي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي ويقترن بتوقيعه ايذانا بتلك الموافقة أو مـا لـم يقره جلالته بمرسوم أو بواسطة الوزير (٣)

المادة ٢٥ – للمندوب السامي ان يعلن موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته مع مراعاة التعليمات الصادرة اليه بتوقيع جلالة الملك وختمه .

* التشاريع الواجب تطبيقها :

المادة ٤٦ – تمارس المحاكم النظامية صلاحيتها وفقا للتشاريع العثمانية التي كانت نافذة في فلسطين في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وسائر القوانين العثمانية الصادرة بعد ذلك التاريخ والتي أعلن او قد يعلن باعلان عام سريانها في فلسطين ، ووفقا للمراسيم والقوانين والانظمة المعمول بها في فلسطين عند سريان هذا المرسوم او التي قد تطبق او تصدر بعد تاريخ هذا المرسوم ، ومع مراعاة احكام القوانين والمراسيم والانظمة المذكورة اعلاه وفي الاحوال التي لا تتناولها تلك القوانين والمراسيم والانظمة او لا تكون منطبقة عليها ، تمارس هذه الصلاحية وفقا لروح التشريع العام ومبادىء العدل والانصاف المتبعة في انكلترا ووفقا للصلاحيات المخولة لمحاكم العدل ومحاكم الصلح في انكلترا او للاصول والعادات المتبعة امام تلك المحاكم او من قبلها وبمقتضى صلاحياتها وسلطاتها المختلفة في ذلك التاريخ الا بمدى ما طرأ او ما قد يطرأ فيما بعد على تلك الصلاحيات او الاصول او العادات من التعديل او الالغاء أو التغيير او الاستبدال بموجب احكام اخرى :

ويشترط في ذلك دائما ان لا يطبق التشريع العام المذكور ومبادىء العدل والانصاف المشار اليها اعلاه في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف

---

(٣) النص الانجليزي هو كما يلي :

24. No Ordinance shall take effect until either the High Commissioner shall have assented thereto and shall have signed the same in token of such assent, or until the assent of His Majesty thereto has been given by Order-in-Council or through a Secretary of State.

فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالة الملك فيها وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال المحلية (٤) .

* ابعاد المجرمين السياسيين :

المادة ٦٩ (١) اذا ثبت للمندوب السامي ببينة مشفوعة باليمين أن شخصا يسلك سلوكا خطرا على الامن والنظام في فلسطين او أنه يسعى لاثارة العداء بين اهالي فلسطين والدولة المنتدبة او انه يكيد لسلطة الدولة المنتدبة في فلسطين ، فيجوز للمندوب السامي اذا استصوب ذلك ان يصدر امرا موقعا بتوقيعه ومختوما بالختم العمومي يقضي فيه بابعاد ذلك الشخص من فلسطين الى المكان الذي يعينه .

* عدم استئناف أمر الابعاد :

المادة ٧٠ – لا يستأنف امر الابعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

* عقوبة الشخص المبعد اذا رجع بدون اذن :

المادة ٧١ (١) اذا رجع الى فلسطين شخص كان قد ابعد بمقتضى هذا المرسوم بدون اذن كتابي من المندوب السامي الذي يجوز له ان يمنح مثل هذا الاذن فيعتبر انه ارتكب جرما ويعاقب لدى ادانته بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر مع غرامة لا تزيد على الخمسين جنيها مصريا او بدونها ويعرض نفسه للابعاد ثانية في الحال .

* الاجراءات المتعلقة بالابعاد :

المادة ٧٢ (١) اذا تقرر نقل شخص او ابعاده من فلسطين بمقتضى هذا المرسوم يوقف ذلك الشخص اذا دعت الحاجة الى ذلك تحت الحفظ او في السجن بمذكرة من المندوب السامي موقعة بتوقيعه ومختومة بالختم العمومي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله او ابعاده واذا كان المراد ابعاده الى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالته الحربية ، او اذا لم يكن ثمة سفينة كهذهفيوضع على ظهر باخرة بريطانية او اية باخرة اخرى ملائمة .

---

(٤) النص الانجليزي هو كما يلي :

Provided always that the said common law and doctrines of equity shall be in force in Palestine so far only as the circumstances of Palestine and its inhabitants and the limits of His Majesty's jurisdiction permit and subject to such qualification as local circumstances render necessary.

المادة ٨٢ ـ تنشر باللغات الانكليزية والعربية والعبرية، كافة القوانين والاعلانات الرسمية والنماذج الرسمية التي تصدرها الحكومة وجميع الاعلانات الرسمية التي تصدرها السلطات المحلية والبلديات في المناطق التي يعينها المندوب السامي بمرسوم ويجوز استعمال اللغات الثلاث في المناقشات والمباحثات التي تدور في المجلس التشريعي ويجوز استعمالها ايضا في دوائر الحكومة ومحاكمها مع مراعاة الانظمة التي تصدر بين الاونة والاخرى بهذا الصدد .

المادة ٨٤ (١) يترتب على المندوب السامي ان يستنير برأي لجنة مؤلفة مما لا يقل عن نصف اعضاء المجلس التشريعي غير الموظفين في جميع الامور المتعلقة بتنظيم الهجرة الى فلسطين ، ويصدر مرسوم بمنح هذه اللجنة التفويض والسلطات اللازمة لتنظيم اعمالها وادارتها كما يتطلبه تنفيذ احكام هذه المادة .

المادة ٨٥ ـ اذا كانت أية طائفة دينية أو فريق كبير من سكان فلسطين يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب فيحق للطائفة أو الفريق المذكور أن يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي ، بواسطة عضو من اعضاء المجلس التشريعي وكل مذكرة رفعت على هذا الوجه ينظر فيها بالصورة التي يقررها جلالته وفقا للاصول التي يوصي باتباعها مجلس عصبة الامم (١) .

المادة ٨٩ ـ يحتفظ لجلالته ولورثته وخلفائه من بعده بعد استشارة المجلس الخاص بسلطة اصدار التشاريع والقوانين التي يرونها ضرورية بين الآونة والاخرى لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين وفقا للانتداب الممنوح له .

---

(١) كان صك الانتداب كله ينص على التهويد وهذه المادة تبيح الشكوى من عدم تنفيذه لا من عدم عدله وصلاحيته وكان النص الانجليزي كما يلي :

85. If any religious community or considerable section of the population in Palestine complains that the terms of the Mandate are not being fulfilled by the Government of Palestine, it shall be entitled to present a Memorandum through a member of the Advisory Council or other advisory body constituted under Article 17 (I) (b) of this Order or of the Legislative Council as the case may be to the High Commissioner. Any memorandum so submitted shall be dealt with in such manner as may be prescribed by His Majesty in conformity with the procedure recommended by the Council of the League of Nations.

الملحق رقم ـ ١ ـ

دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٢٣

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام
في اليوم الرابع من شهر ايار سنة ١٩٢٣

الحضور

صاحب الجلالة الملك

الرئيس — الوزير السير صموئيل هور
رئيس الامناء — السير فردريك بونسنبي

بما ان المرسوم الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص المؤرخ في ١٠ آب سنة ١٩٢٢ والمسمى بمرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢ (ويعرف فيما بعد بالمرسوم الاصلي) قد نص على انشاء مجلس تشريعي في فلسطين وانتخاب قسم من اعضائه .

وبما انه من المناسب تعديل المرسوم المذكور وفقا لما هو وارد ادناه .

لذلك فان صاحب الجلالة الملك بمقتضى السلطات الممنوحة له بقانون الاختصاص الاجنبي لسنة ١٨٩٠ وخلافها وعملا بهذه السلطات وبعد استشارة مجلسه الخاص قد رسم ما يأتي : ـ

❋ اسم المرسوم :

المادة ١ ـ يطلق على هذا المرسوم اسم مرسوم دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٢٣ ويقرأ ويفسر مع المرسوم الاصلي كمرسوم واحد .

المادة ١٧ (١) (أ) ـ يكون للمندوب السامي السلطة التامة لوضع القوانين الضرورية لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين بدون اخلال بالسلطات المستقرة في جلالته او المحتفظ بها لجلالته بمقتضى هذا المرسوم ، مع مراعاة الشروط والقيود التي تنص عليها التعليمات التي قد يصدرها له جلالته مختومة بختمه وتوقيعه او بواسطة الوزير .

(ج) ـ لا ينفذ اي قانون يكون مخالفا أو مناقضا لاحكام صك الانتداب ولا ينفذ قانون يتعلق بأمور ورد نص خاص بشأنها في أحكام صك الانتداب

ما لم يكن مشروع ذلك القانون قد عرض على الوزير وصادق عليه بتعديل او بدون ذلك (٥) .

الملحق رقم — ٤ —

دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٣٣

صدر عن البلاط الملكي في قصر سندرنهام
في اليوم السابع من شهر شباط سنة ١٩٣٣

الحضور
صاحب الجلالة الملك

الرئيس : دوق لانكستر

الايرل ستانهوب

بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الاراضي « الميري » الى أراض « ملك » وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الاراضي العثماني والمادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير المنقولة المؤرخ في ٣٠ مارت سنة ١٣٢٩ :

وبما ان من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الاراضي الميري في فلسطين :

لذلك فان صاحب الجلالة الملك ، استنادا الى الصلاحية المخولة له بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وفي غيره من القوانين ، وعملا بمشورة المجلس الخاص يرسم ما يلي : —

* اسم المرسوم :

المادة ١ — يطلق على هذا المرسوم اسم « مرسوم دستور فلسطين

(٥) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

(c) No Ordinance shall be promulgated which shall be in any way repugnant to or inconsistent with the provisions of the Mandate, and no Ordinance which concerns matters dealt with specifically by the provisions of the Mandate shall be promulgated until a draft there of has been communicated to a Secretary of State and approved by him, with or without amendment.

(المعدل) لسنة ١٩٣٣ » ويقرأ ويفسر مع مرسوم دستور فلسطين الصادر في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩٢٢ (المشار اليه فيما بعد بالمرسوم الاصلي) كمرسوم واحد .

المادة ٢ — تضاف المادة التالية الى المرسوم الاصلي بعد المادة ١٦ كمادة ١٦ (مكررة) : —

المادة ١٦ (مكررة) — يجوز للمندوب السامي ، اذا استصوب ذلك ، أن يحول بمرسوم يصدره بتوقيعه وينشر في الوقائع الفلسطينية ، اية أرض في فلسطين يسميها في المرسوم من صنف «الميري» الى صنف «الملك»

المادة ٣ — ينشر هذا المرسوم في الوقائع الفلسطينية ويعمل به اعتبارا من نشره .

م.ب.ا.هانكي

الملحق رقم — ٥ —

قانون نزع الملكية

(١ آب سنة ١٩٢٦)

* اسم القانون :

المادة ١ — يطلق على هذا القانون اسم قانون (نزع ملكية) الاراضي.

المادة ٢ — يكون للالفاظ التالية الواردة في هذا القانون المعاني المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك —

تعني لفظة « المحكمة » محكمة الاراضي الواقعة الارض ضمن دائرة اختصاصها .

وتشمل لفظة « الارض » كل نوع من الاراضي او الاجارة وكل بناية أو شجرة أو شيء آخر ثابت في الارض وكل قسم من بحر او شاطىء او نهر وكل حق ارتفاق في اية ارض او مياه او عليها .

وتعني لفظة « المنشئين » الحكومة او اي مجلس بلدي او محلي او سلطة اخرى محلية او شخص يقوم او هو على وشك القيام بمشروع كما هو معرف اعلاه .

وتعني لفظة « مشروع » اي مشروع يشهد المندوب السامي ان المراد

به المنفعة العامة وكل مشروع آخر منح به المندوب السامي امتيازا تسوغ شروطه نزع ملكية الارض المعرفة في هذا القانون من اجل مقاصد الامتياز .

المادة ٣ – مع مراعاة احكام هذا القانون ، يحق لمنشئي اي مشروع ان يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم ومع كافة الاشخاص الذين لهم حقوق في تلك الارض اما من اجل شرائها شراء باتا او للتصرف فيها او استعمالها لمدة معينة او لاستملاك اي حق ارتفاق فيها ضروري للمشروع .

المادة ٤ – يحق لجميع مالكي اية ارض يقتضيها المشروع او اية حقوق فيها ان يبيعوا تلك الارض او الحقوق لمنشئي المشروع او يؤجروها لهم أو يتصرفوا فيها لهم بأي وجه آخر وأن يعقدوا معهم كافة الاتفاقات اللازمة لذلك . ويجوز بوجه خاص لاية شركة او متول او وصي او ولي او قيم او اي شخص آخر ينوب عن شخص فاقد للاهلية القانونية ان يبيع او يؤجر او يتصرف بتلك الارض او الحقوق وان يعقد الاتفاقات اللازمة لذلك بحكم هذا القانون بالرغم من ورود ما يخالف ذلك في اي تشريع او عقد تأسيس شركة او نظام شركة او اي مستند آخر .

المادة ٥ (١) – اذا عجز منشئو اي مشروع عن الاتفاق مع صاحب او اصحاب ارض يحتاج اليها المشروع او مع اي شخص له حق فيها فيجوز لهم ان يرفعوا الى المندوب السامي لاجل موافقته اعلان او اعلانات المفاوضة المشار اليها في الفقرة التالية وللمندوب السامي السلطة اما ان يمسك عن ابداء موافقته او ان يمنحها بعد اجراء التعديلات التي يستصوبها في اعلان او اعلانات المفاوضة ، ثم يبلغ المنشئون اعلان او اعلانات المفاوضة بالصورة التي وافق عليها المندوب السامي الى الاشخاص المذكورين في الفقرة (٤) بالكيفية المعينة .

المادة ٦ – يجوز تعيين مقدار التعويض الواجب دفعه عن الارض المذكورة في اعلان المفاوضة بالاتفاق بين المنشئين وسائر الفرقاء الذين يملكون حقوقا فيها .

المادة ٧ – اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم تفاصيل ادعائه بالارض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوما من تاريخ تبليغه الاعلان المذكور او تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض الذي يدفع له او اذا لم يتفق المنشئون مع هؤلاء الاشخاص على مقدار ذلك التعويض خلال خمسة عشر يوما .

(أ) – فيحق للمنشئين ان يضعوا يدهم في الحال على الارض المشار

اليها في الاعلان المذكور :

ويشترط في ذلك انه اذا رفض اصحاب الارض او مشغلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الارض فيجوز للمنشئين ان يقدموا طلبا بذلك الى رئيس المحكمة ، فاذا اقتنع رئيس المحكمة بأن للمنشئين الحق في وضع اليد على الارض بمقتضى هذه المادة ، يصدر قرارا بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الارض للمنشئين :

ويشترط في ذلك ايضا انه اذا اريد استملاك الارض من قبل هيئة او شخص خلاف الحكومة فيجوز للرئيس ان يأمر بايداع المبلغ الذي يستصوبه في المحكمة قبل اصدار القرار المذكور .

(ب) – ويعين مقدار التعويض الواجب دفعه من قبل المنشئين عن الارض التي وضعوا يدهم عليها بمقتضى هذه المادة وفقا للاحكام التالية من هذا القانون .

المادة ١٥ – يجوز للمنشئين ، لدى او بعد مرور ثلاثة اشهر من التاريخ الذي تم فيه الاتفاق على مقدار التعويض عن اية ارض او من تاريخ تقديره بصورة اخرى ، اذا تعذر ايجاد الاشخاص المستحقين للتعويض المذكور او اذا عجز هؤلاء المستحقون عن اثبات حقهم فيه او اذا لم يتمكن المنشئون لاي سبب كهذا من الحصول على ابراء صحيح لقاء دفع ذلك التعويض أو اي قسم منه ، أن يدفعوا ذلك التعويض للمحكمة ، وتبرأ ذمة المنشئين لدى دفع التعويض على هذا الوجه من كل تبعة بشأن المقدار المدفوع من التعويض .

المادة ١٧ – تستقر ملكية الاراضي المطلوب استملاكها بمقتضى هذا القانون من حين دفع التعويض عنها في المندوب السامي بالنيابة عن حكومة فلسطين ، اذا كانت حكومة فلسطين هي المنشئة ، او في المنشئين اذا كان المنشئون سلطة أخرى أو شخصا آخر ، وتعتبر شهادة المحكمة الدالة على ان التعويض المحكوم به قد دفع وفقا لاحكام هذا القانون سلطة كافية لمدير الاراضي لاجراء القيد الضروري في سجلات الاراضي .

المادة ٢٠ (١) – اذا أصبحت الارض المستملكة أو اي قسم منها حسب رأي المنشئين في وقت ما غير لازمة لغايات المشروع فيحق لهم أن يتفاوضوا مع اي شخص لبيعها له :

ويشترط في ذلك ان يكون لصاحب الارض السابق الذي استملك المنشئون منه الارض ان كان لا يزال على قيد الحياة ، حق الشفعة فيها

لقاء دفعه التعويض المتفق عليه او المحكوم به مع قيمة ما اجري في الارض من تحسينات منذ اشغالها مـن قبل المنشئين ، فان تعذر الاتفـاق بين الفريقين حول قيمة تلك التحسينات فتقدرها المحكمة .

الملحق رقم — ٦ —

قانون المهاجرة

(٣١ آب سنة ١٩٣٣)

المادة ١ — يطلق على هذا القانون اسم قانون المهاجرة .

المادة ٢ — يكون للالفاظ والعبارات التالية الواردة في هـذا القانون المعاني المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك : —

تعني لفظة « المعال » شخصا تتوقف معيشته واعالته كليا ومباشرة على احد المهاجرين او احد المقيمين اقامة دائمة في فلسطين اما قبل وصوله اليها أو لدى وصوله ويكون من اقارب ذلكالمهاجر أو المقيم الدائم ، اي انه :

(أ) زوجته ، أو

(ب) احد والديه او جديه او احد والدي زوجته او جديها ، او

(ج) ابنته او حفيدته او اخته او ابنة اخته او ابنة زوجته او حفيدتها او اختها او ابنة اختها سواء أكانت غير متزوجة ام ارملة مطلقة ، او

(د) — ابنه او حفيده او اخوه او ابن زوجته او حفيدها او اخوها او ابن اخيها اذا كانت سنه دون الثامنة عشرة او اذا تجاوز هذه السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها اعالة نفسه .

وتعني لفظة « المدير » الموظف الذي يعينه المندوب السامي بأمر او مرسوم للاشراف على تنفيذ هذا القانون .

وتعني لفظة « اجنبي » كل شخص غير فلسطيني الجنسية .

وتعني لفظة « مهاجر » كل اجنبي لا يقيـم في فلسطين اقامة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع بقصد الاقامة فيها بصورة دائمة .

وتعني عبارة « مأمور المهاجرة » كل موظف يعينه المندوب السامي للقيام بأية وظيفة لها علاقة بمراقبة المهاجرة سواء أكان يقوم بهذه الوظيفة وحدها ام بالاضافة الى واجباته الاخرى .

وتعني عبارة « فلسطيني » كل شخص فلسطيني الجنسية بمقتضى قانون الجنسية المعمول به اذ ذاك .

وتعني لفظة « مسافر » كل اجنبي لا يقيم في فلسطين بصورة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع لا يقصد الاقامة الدائمة فيها ولا سعيا وراء عمل ولا لاجل القيام بعمل سبق ان قبل به .

المادة ٥ (١) — لا يحق لاجنبي تنطبق عليه احكام هـذا القانـون ان يدخل فلسطين —

(ت) — ثم عددت المادة انواع المنوعين من معتوه أو غير مرغوب فيه من المندوب السامي : ثم قالت :

(ز) — اذا رغب في دخول فلسطين كمسافر دون ان يكون حاملا جواز سفر قانوني صادر اليه من حكومة البلاد التي هو من رعاياها او تبعتها او بالنيابة عنهـا او مستندا آخر يثبت جنسيته وهويته لدرجة يقنـع بها المندوب السامي ، على أن يكون هذا الجواز مظهرا تظهيرا قانونيا ان كان بريطانيا ، او ان كان غير بريطاني فمؤشرا عليه بالاعتماد (فيزا) القانوني من قنصل أو ضابط مراقبة جوازات بريطاني أو مفتش مهاجرة وعليه صورته الشمسية ، الا اذا كانت حاملة الجواز امراة مسلمة :

ويشترط في ذلك ان يجـوز للمندوب السامي في بعض الاحـوال الاستثنائية ان يمنح اذنا بالدخول الى فلسطين كمسافر الى اي شخص لا يستطيع حقيقة ان يحصل على جواز او مستند سفر اما لعدم اعتراف اية دولة بانه من رعاياها او تبعتهـا او لاي سبب آخر ولكنه حسب رأيه شخص يليق دخوله الى فلسطين ، او

(ح) — اذا رغب في دخول فلسطين كمهاجر دون ان يكـون حامـلا شهادة مهاجرة او اذنا ممنوحا له من المدير وفقا لاي نظام صادر بمقتضى هذا القانون بالاضافة الى جواز السفر او المستند المطلوب بالفقرة(ز) :

المادة ١٥ (١) — يحق للمندوب السامي في المجلس التنفيذي ان يصدر انظمة لتأمين مراقبة المهاجرة الى فلسطين بصورة وافية .

الملحق رقم — ٧ —

نظام المهاجرة (الذيل)

نظام صادر من المندوب السامي لفلسطين بمقتضى قانون المهاجرة

اسم النظام

المادة ١ —يطلق على هذا النظام اسم نظام المهاجرة .

المادة ٢ — لا يحق لاي مسافر ان يقيم في فلسطين مدة تتجاوز ثلاثة اشهر :

ويشترط في ذلك ان يجوز لاي مسافر ان يقدم طلبا الى المدير حسب النماذج المثبتة صيغتها في الملحقين السابع والاول لهذا النظام لمنحه اذنا

(أ) — اما بتمديد اقامته في فلسطين لمدة لا تزيد على تسعة اشهر ، ويعود منح الاذن لراي المدير ، او

(ب) — بالاقامة الدائمة في فلسطين كمهاجر ، وللمدير ان يصدر هذا الاذن اذا اقتنع بأنه يجوز السماح للطالب بدخول فلسطين كمهاجر فيما لو لم يكن موجودا في البلاد عندئذ .

المادة ٤ (١) — لا يمنح احد شهادة مهاجرة او اذنا الا اذا كان ينتسب الى احد الاصناف التالية : —

الصنف (آ)

ذوو الوسائل المستقلة ، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي : —

(١) — كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأسمال لا يقل عن الف جنيه :

ويشترط في ذلك انه اذا اراد هذا الشخص تعاطي الزراعة فيجوز ان يشمل راس المال ثمن الارض والادوات الزراعية والمواشي ، وان تحسب منه قيمة الارض والادوات الزراعية والمواشي التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي واي مال تسلفه له على ان يسدده على مدار عدد من السنين . واذا اراد تعاطي الاشغال الصناعية يجوز ان يشمل راس المال موقع الارض

الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات والماكنات دون ان تحسب منه قيمة الارض التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية واي مال تسلفه له على ان يسدده على مدار عدد من السنين .

(٢) — كل شخص ينتسب الى احدى المهن الحرة ولديه وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن، رأسمال لا يقل عن خمسمائة جنيه:

ويشترط في ذلك —

(أ) — ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حسبان راس المال الذي يملكه ذلك الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لمهنته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من راس المال .

(ب) — ان يقتنع المدير بوجود حاجة في فلسطين لزيادة عدد المنتسبين الى تلك المهنة .

(٣) — كل شخص حاذق في احدى الحرف او المهن او الصنائع ولديه وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن ، رأس مال لا يقل عن مائتين وخمسين جنيها :

ويشترط في ذلك —

(أ) — ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حسبان راس المال الذي يملكه هذا الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لحرفته او صناعته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .

(ب) — ان يقتنع المدير بأن طاقة فلسطين من الوجهة الاقتصادية تسمح باستيعاب ذلك الشخص في المهنة او الحرفة او الصناعة التي ينتسب اليها .

(٤) — كل شخص له ايراد ثابت لا يقل عن اربعة جنيهات في الشهر ما عدا الايراد الذي يكسبه بنفسه .

(٥) — كل من يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق راس مال لا يقل عن خمسمائة جنيه :

ويشترط في ذلك —

(أ) — ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حسبان رأس المال الذي

يملكه ذلك الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها والمتعلقة بالشغل أو العمل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من راس المال .

(ب) ــ ان يقتنع المدير ــ

(١) ــ بأن استيطان هذا الشخص في فلسطين لن يؤدي الى ايجاد منافسة لا مبرر لها في العمل او الشغل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه .

(٢) ــ وان راس المال الذي يملكه يكفي لتأمين نجاح العمل او الشغل الذي ينوي تعاطيه نجاحا معقولا .

(٣) ــ وانه اهل للقيام بذلك العمل او الشغل وتمكنه بنيته من ذلك.

الصنف (ب)

الاشخاص المؤمنة لهم اسباب المعيشة، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي:

(١) ــ كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة او بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

(٢) ــ كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

(٣) ــ كل طالب امن دخوله الى معهد علمي في فلسطين وضمنت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف (ج)

الاشخاص الذين لهم امل ثابت في الاستخدام في فلسطين .

الصنف (د)

(١) ــ الذين يعيلهم احد المقيمين الدائمين او المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الاصناف (أ) و (ب) و (٢) و (ج) :

ويشترط في ذلك ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، ان يمنح شهادة مهاجرة الى اقارب المقيم الدائم او المهاجر الادنون او لخطيبته ، ممن تتوقف معيشتهم عليه كليا ومباشرة (وان كانوا لا يعتبرون مموليه ايفاء للغاية المقصودة من هذا القانون) .

(٢) ــ يجوز لمعيل حامل شهادة المهاجرة او الاذن ، ان يصحب حامل

الشهادة وفي هذه الحالة يذكر اسمه في الشهادة او الاذن .

(٣) ــ يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بفلسطين ان تبلغ المدير، حسب صيغة النموذج المثبت في الملحق الخامس لهذا النظام ، وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الاشخاص في فلسطين ، سواء بذكر اسمائهم أم بدون ذكرها ، وان تطلب منه أن ياذن لهم بدخول فلسطين على أن ترفق كل طلب بكفالة لاعالة الشخص أو الاشخاص الذين قدمت الطلبات بشانهم لمدة لا تقل عن سنة واحدة .

المادة ٨ (١) رغبة في تعيين عدد الاشخاص الذين يقعون تحت الصنف (ج) ويجوز ادخالهم الى فلسطين يعد المدير ، من حين الى آخر ، جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بذلك الشأن ويعد جدولا واحدا عن الاشهر الستة التي تنتهي في ٣٠ ايلول وجدولا آخر عن الاشهر الستة التي تنتهي في ٣١ اذار ويذكر في كل جدول اقصى عدد من اصحاب الحرف والصناعات والمهن المختلفة من كلا الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات مهاجرة كمهاجرين من الصنف (ج) خلال المدة المشمولة بذلك الجدول .

(٢) ــ لدى اتمام وضع كل جدول من جداول العمال يرفع الى المندوب السامي في الوقت الذي يعينه ، فاذا اقترن بموافقته يبدي موافقته عليه تحريريا .

المادة ٩ ــ اذا راى المدير انه يوجد عمل لعدد من المهاجرين من الصنف (ج) لم يرد لهم ذكر في الجدول لسبب وجود حاجة ماسة لعمال من المهاجرين ظهرت بعد اتمام جدول العمال والموافقة عليه فيجوز له ان يصدر شهادات مهاجرة اضافية لعدد من الاشخاص اللائقين (٦) .

---

(٦) واضح من جميع ما اثبتنا من قوانين انجليزية ان كل التسهيلات التي تضمنتها هي خاصة بتسهيل غزو المهاجرين اليهود لفلسطين واغتصابهم الارض وتمكينهم فيها .

المؤلف

ملحق رقم ٨

الاراضي التي استولت عليها بريطانيا من ملاكها العرب واسمتها غابات حكومية ليتصرف بها المندوب السامي *

الغــابات

الموقع	المساحة بالدونمات المترية
أ) ضمن منطقة قرية قباطية	٥٥٢
أ) ضمن منطقة قرية حرفيش	٤٧٤
أ) ضمن منطقة قرية سعسع	٦١٧
ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سعسع وبيت جان	١٢٨٩
ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سعسع وجنس	١٦
أ) ضمن منطقة قرية صفصاف	٨٥١
أ) ضمن منطقة قرية جش	١١
أ) ضمن منطقة قرية مبرون	٩٣١

الاراضي المفتلحة ـ الجرمق

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات المترية	مجموع مساحة الغابة المحفوظة
ورثة عبد المجيد قدورة وشركاهم	١٥٣	٧١٥
		٤٧٤
اسعد قدورة وعبدالغني السيد	٢١	
اسعد ابو الشهاب وشركاه	٤٧	١٩٩٠
مشاع قرية صفصاف	٦٢	
		٩٢٤
علي حسن	٦٩	
جميل قدورة	٢٢	

* صدر بذلك امر رسمي منشور في الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٣٩ في ٢٤ ايلول ١٩٤٢

الغــابات

الموقــع	المساحة
أ) ضمن منطقة قرية بيت جان	٧٠٠٩
ب) ضمن المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان ومبرون	٤٢٨ر٥
أ) ضمن منطقة قرية سحماتا	٦١٨ر٤
المجمــوع	**١٢٧٩٧ر٩**

القطع المفتلحة ـ الجرمق

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات	مجموع المساحة
حسين ومحمد زيدان	٢٣	١٠٣٢
محمد حسين العلي	٣٧	
ورثة احمد حسن نفاع	١٣	
كنج قبلان وشركاه	٨٩	
سعيد اسعد طاقش	٢٣	
قاسم صالح ملحم وزيد ابو سوده	١٠	
ضامن اسعد محمد الحسين	٥٨	
حسين علي قبلان	١٣	
سليمان علي السويد	٢٤	
علي يوسف وشركاه	٢٣٦	
علي فارس سليمان وشركاه	٢٢	
جبر قبلان	١٣	
حمد سعيد نجم	١ر٥	٧٦٩٨
حسين عبدالله	٢ر٦	٦٢١
	٨٣٨ر١	**١٣٧٥٤**

الغابات	
الموقع	المساحة
	١٢٦٣
	١٠١٢
أ) ضمن منطقة قرية سحماتا	١٥٣٨ر١
أ) ضمن منطقة قرية البقيعة	٣٣٦٦ر١

القطع المفتلحة ـ الجرمق

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات	مجموع المساحة
ورثة يوسف قبلان	١٢	١٢٩
ورثة حامد جمولة	١٨	
ناجي محمد الحلبي	٥	
ملحم صالح قبلان	٢	
نوفل قاسم جمولة	٢	١٠٢٩
ورثة حسين ومحمد الحمد	٣ر٤	
احمد المحمود	٢	
احمد المحمود وشركاه	٢٢ر٥	
نعيم سليمان	٢٩	
سليمان خير	٤ر٣	
علي الحسين	١ر٣	
محمود الصالح	٨	
مشاع قرية بقيعة	١٢٢	١٧٩٢
محمد سلامة الحمره	١٢٣	١٧٩٣
محمود يوسف الاحمد	٤٠	
احمد سليمان الحمره	١ر٦	
محمد علي الزين وشركاه	١٠ر٥	
محمود صالح السليمان	٢٥	

الغابات	
الموقع	المساحة
أ) ضمن منطقة قرية بيت جان	١٤٢٦
المجموع الكلي	**٨٥٩٥ر٢**
أ) ضمن منطقة قرية سحماتا	٢٧٠ر٥
ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سحماتا وفسوطة	٥٧٧ر٣
المجموع	**٨٤٧ر٨**

القطع المفتلحة ـ الجرمق

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات	مجموع المساحة
مشاع قرية المقيعة	١٣٥ر٥	
علي حمد العلي	٢٢	
صالح احمد عبدالله	١٤	
نايف سليمان وشركاه	٧٢	
فارس محمد سعيد	١٠ر٣	
فارس حايم مزراحي	١٦	٤١٢٩
حسن محمد نفاع	١١	
احمد يوسف العلي	٦	
فايز محمد سعيد نجم	٦٠	
	٦٨٣ر٤	**٨٨٧٢**
اسعد سعد عثمان	٦ر٥	
مصطفى حسين علي	٦	٢٨٣
صالح محمد الاسعد	٦ر٧	٥٨٤
	١٩ر٢	**٨٦٧**

الموقـــع	المساحة
أ) ضمن منطقة قرية بيت جان	٥٢٣٩

الغـــابات

القطع المفتلحة – حيدر

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات	مجموع المساحة
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٩٠	
علي اليوسف وشركاه	٧٠	
فرحان صالح ابراهيم وعلي اليوسف وشركاه	١١٩	
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٢٢	
محمد قبلان	٩٩	
مصطفى صالح مصطفى	١٥	
محمد اسعد ابو قاسم	٣٦	
زيدان صالح المصطفى	١٠	
عبدالله مربوط	٢	
نعمـان حرب	٥٢	
محمد سلامة الخطيب	٥٠	
احمد ابو القاسم	٧	
فرحان صالح	٥	
فارس حسين علي الفارس	٢٤	
سليمان قاسم ابراهيم	٤	
ورثة حسين المحمد	٥	
هاني محمد الخطيب	٦	

الغـــابات

الموقـــع	المساحة
ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان والرامة	٥٩٢
ج) المنطقة المتنازع عليها بين قرية بيت جان والمسوعى	٢٤٥
د) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان وميرون	٩٠٢
المنطقة ضمن قرية الرامة	٩٥
ب) ضمن منطقة قرية فراضية	٤٧٧٣ر٥
ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي فراضية ومغار	٥٣
د) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي فراضية والشونه	١٠٦
المجموع	**١٢٠٠٥ر٥**

القطع المفتلحة – حيدر

اسم المدعي ملكيتها	المساحة بالدونمات	مجموع المساحة
علي قبلان	١٠	٥٧.٥
		٥٩٢
		٢٤٥
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	١٢	
فرحان صالح ابراهيم وشركاه	٤	٩١٨
محي الدين الصالح	٧	
حسن السوقي	٤	
جابر رشيد	٤	
عبدالله الحسن وشركاه	٣٦	
مشاع قرية فراضية	١٩٠	
ابراهيم علي خليل	٤٠	
صالح يوسف كروم	٣١	
يوسف الجيشي	٦٨ر٥	٥٧٦٤
		٥٣
		١٠٦
	١٠٢٢ر٥	**١٣٣٨٣**

المصادر والمراجع

المصادر :

اولا : وثائق لم يسبق نشرها صورت من المتحف البريطاني في لندن :

١ ـ مرسوم دستور فلسطين (باللغة الانجليزية) الصادر في ١٩٢٢ .

ثانيا ـ وثائق لم يسبق نشرها صورت من مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت ومحفوظة بها تحت رقم ٥٦٩ ـ ٣٤٩ :

١ ـ قانون الاراضي الموات ١٩٢١ .

٢ ـ مرسوم دستور فلسطين ١٩٢٢ .

٣ ـ مرسوم الجنسية ١٩٢٣ .

٤ ـ قانون نزع ملكية الأراضي ١٩٢٦ .

٥ ـ قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي ١٩٢٨ .

٦ ـ قانون المهاجرة ١٩٣٣ . *

٧ ـ مجموعة اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص الأراضي التي تحت يد أصحابها العرب .

٨ ـ اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تمليك الجمعيات اليهودية أراضي قرى عربية .

٩ ـ اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تشكيل لجان تسوية ملكية الأراضي من اغلبية يهودية ساحقة .

١٠ ـ صورة اخذت لعقد سلم لنا من الأستاذ فوزي الفصين مستشار وزارة العدل في ليبيا حاليا والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقا ومساعد النائب العام في فلسطين سابقا بخصوص نقل ملكية اراضي قرى عربية كاملة الى اليهود .

ثالثا ـ وثائق منشورة :

(١) ـ وثائق نشرتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية ـ الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين بين عامي ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ، القاهرة ١٩٥٧ .

* كل هذه المستندات اودعناها مصورة مكتبة قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة الازهر .

(٢) ـ الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٢٢ .

(٣) ـ الكتاب الأبيض البريطاني ١٩٣٠ .

رابعا ـ تقارير :

١ ـ تقرير لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني بفلسطين . ١٩٢١ .

٢ ـ تقرير لجنة والترشو البرلمانية ١٩٢٩ .

٣ ـ تقرير لجنة جونسون وتقرير فرانش ١٩٣٢ .

٤ ـ تقرير لجنة بيل الملكية لتقسيم فلسطين ١٩٣٧ .

٥ ـ تقرير اللجنة الفنية البريطانية باستحالة التقسيم ١٩٣٨ .

٦ ـ تقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية المشتركة ١٩٤٦ .

٧ ـ تقرير لجنة التحقيق الدولية ١٩٤٧ .

الراجع :

١ ـ احمد سويلم العمري

الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٤ .

٢ ـ دكتور احمد طربين

محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الصهيونية حتى نشوب الثورة الكبرى ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٥٨ .

٣ ـ احمد الشقيري

محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٤ .

٤ ـ دكتور احمد الشرباصي

امير البيان ، شكيب أرسلان ، القاهرة ١٩٦٥ .

٥ ـ اميل الغوري

المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ومحق العرب ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ١٩٥٥ .

٦ ـ امين الحسيني

حقائق عن قضية فلسطين الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، دار الكتاب العربي .

٧ ـ امين سعيد

الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن ، ثلاثة أجزاء ، مطبعة الحلبي بمصر .

٨ ـ امين سعيد
الدولة العربية المتحدة ، جزءان ، مطبعة الحلبي بمصر ، لم يذكر سنة الطبع .

٩ ـ انيس صايغ
الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ .

١٠ ـ انيس صايغ
الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .

١١ ـ أرسكين تشيلدرز
في الطريق الى السويس ، تعريب خيري حماد .

١٢ ـ أرسكين تشيلدرز
حول العالم العربي ، ترجمة محمد عبدالله الشفقي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

١٣ ـ ارنولد توينبي
فلسطين جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديراوي ، دار العلم للملايين ، بيروت .

١٤ ـ اكرم زعيتر
القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ .

١٥ ـ برجير المر
اليهودية دين لا قومية ، دار المعارف ، القاهرة .

١٦ ـ ب. جنسبين
مؤامرة فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر .

١٧ ـ بشير كعدان
هؤلاء الصهيونيون ، تعريب شفيق شالاتي .

١٨ ـ بيير روندو
مستقبل الشرق الاوسط ، تعريب ناجدة هاجر ، سعيد الفزي ، بيروت .

١٩ ـ جامعة الدول العربية
الامانة العامة لادارة فلسطين ، الهجرة اليهودية في فلسطين، القاهرة.

٢٠ ـ جامعة الدول العربية
الامانة العامة لادارة فلسطين ، املاك العرب واموالهم المجمدة في فلسطين .

٢١ ـ جامعة الدول العربية
الامانة العامة لادارة فلسطين ، اللاجئون الفلسطينيون .

٢٢ ـ دكتور جلال يحي
المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦

٢٣ ـ جلال كامل
فلسطين وتجميع القوى العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة اخترنا لك .

٢٤ ـ جورج انطونيوس
يقظة العرب ـ تاريخ حركة العرب القومية ، تعريب الدكتورين ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، بيروت ١٩٦٢ .

٢٥ ـ جورجي زيدان
تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، القاهرة .

٢٦ ـ حافظ وهبه
جزيرة العرب في القرن العشرين .

٢٧ ـ حسين فوزي النجار
السياسة الاستراتيجية في الشرق الأوسط ، مكتبة النهضة المصرية.

٢٨ ـ حاييم وايزمان
التجربة والخطأ ، مطبعة المنار بدمشق ، ١٩٥٠ .

٢٩ ـ خيري حماد
التطورات الأخيرة في قضية فلسطين ، كتب قومية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .

٣٠ ـ ع . ك . كارنيجيا
خنجر اسرائيل ، ترجمة مروان الجابري بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر .

٣١ ـ سعدي بسيسو
اسرائيل جناية وخيانة ، حلب مطبعة الشرق ١٩٥٦ الطبعة الثانية.

٣٢ ـ سعدي بسيسو
الصهيونية دراسة علمية وسياسية وتاريخية وقانونية للصهيونية والانتداب البريطاني القدس ، المطبعة التجارية .

٣٣ ـ سيد نوفل
رواية بن جوريون للتاريخ ، جامعة الدول العربية ادارة الاستعلامات، القاهرة ١٩٦٢ .

٣٤ ـ شاكر عمار
العرب واسرائيل ، دار الكشاف بيروت ١٩٥٤

٣٥ ـ **شحاته الخوري ونقولا الدر**
تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية
٣٦ ـ **شفيق ارشيدات**
فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦٢
٣٧ ـ **شكيب ارسلان**
لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم .
٣٨ ـ **صلاح دسوقي**
امريكا مستعمرة صهيونية ، مطابع الناشر العربي القاهرة 1957 .
٣٩ ـ **عارف العارف**
نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود سبعة اجزاء المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت .
٤٠ ـ **عارف العارف**
المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف القدس ١٩٦١ .
٤١ ـ **عبدالله التـل**
كارثة فلسطين ، مطبعة مصر ، ١٩٥٩ .
٤٢ ـ **عبدالله التل**
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية دار القلم ، القاهرة ١٩٦٤
٤٣ ـ **عبد الرحمن الرافعي**
مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ١٩٥٠ .
٤٤ ـ **عجاج نويهض**
مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٦٥ .
٤٥ ـ **علي محمد علي**
فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
٤٦ ـ **عز الدين فودة**
الاستعمار الصهيوني ، الدار القومية للطباعة والنشر
٤٧ ـ **عيسى السفري**
فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، القدس ١٩٣٧
٤٨ ـ **فتحي الرملي**
الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ .
٤٩ ـ **فخري البارودي**
كارثة فلسطين العظمى ، مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٥٠ .
٥٠ ـ **قسطنطين زريق**
معنى النكبة ، دار العلم للملايين ، بيروت

٥١ ـ **كامل اسماعيل**
صفحات من التاريخ الاسلامي ، القاهرة1953
٥٢ ـ **محمد علي الطاهر**
كتاب احمر عن فظائع الانجليز وغدر اليهود ، مكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي ، القاهرة .
٥٣ ـ **محمد فوزي وعمر رشدي**
الصهيونية وربيبتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٢
٥٤ ـ **محمد عزة دروزه**
الوحدة العربية ، بيروت ١٩٥٨ .
٥٥ ـ **محمد حافظ غانم**
المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي ، معهد الدراسات العربية ١٩٦٥
٥٦ ـ **محمد كمال عبد الحميد**
الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩
٥٧ ـ **محمد عطية واكد**
اسرائيل وكر الاستعمار ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ .
٥٨ ـ **محمد البشير الابراهيمي**
مجلة البصائر الجزائرية .
٥٩ ـ **محمد عبدالله عنان**
نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين
٦٠ ـ **محمد علي علوية**
فلسطين والضمير الانساني .
٦١ ـ **محمد علي علوية**
الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب .
٦٢ ـ **محمد طلعت الغنيمي**
قضية فلسطين امام القانون الدولي منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦١
٦٣ ـ **محمد عمر الخطيب ، مكسيموند**
تاريخ الحروب الصليبية من اثر النكبة .
٦٤ ـ **ناصر الدين النشاشيبي**
تذكرة عودة ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦٢
٦٥ ـ **نجيب صدقة**
قضية فلسطين ، دار الكتاب العربي بيروت

٦٦ ـ نقولا الدر
هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٣
٦٧ ـ وليد قمحاوي
النكبة والبناء في الوطن العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .
٦٨ ـ وديع تلحوق
الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ :
٦٩ ـ يحيى عويس
اسرائيل والدول الكبرى ، دار المعارف القاهرة .
٧٠ ـ جريدة الاهرام ـ اعداد مختلفة من السنوات :
١٩١٨ ـ ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ ـ
١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ .
٧١ ـ جريدة المصري لأعوام ٣٦ و ٣٧ و ١٩٣٨
٧٢ ـ جريدة الشورى لأعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٦
٧٣ ـ جريدة الشباب لأعوام ١٩٣٧ و ١٩٣٨
٧٤ ـ جريدة القبس الدمشقية ١٩٤٨
٧٥ ـ جريدة صوت الاحرار البيروتية ١٩٤٨
٧٦ ـ جريدة الحياة البيروتية ١٩٥٠
٧٧ ـ جريدة الحارس العراقية ١٩٥١
٧٨ ـ جريدة بريد برقة الليبية ١٩٣٠

مراجع ومصادر غير عربية :

— Hurewitz. J.C. Diplomacy in The Near and Middle East 2 Vols New-York 1956 T. 2.
— Kimche Jon; Seven Fallen Pillars, The Middle East, 1915-1950 London 1950.
— Steiv Leonard; The Balfour Declaration, London, 1961.
— Middle East Journal January, 1948.
— Bloomfield L.M. Egypt, Israel and The Gulf of Aeqaba in international Law. Toronto, Canada 1957.
— Chain Weizmann; Trial and Error. London 1950.
— David Hunter Miller; My Diary at the Conference of Paris. New York 1924.
— John Bagot Glubb. Soldier with The Arabs. London, 1957.
— Antonius George The Arab Awekening. Beyrouth, 1955.
— Kermit Roosevelt; Arabs Oil and History. (Londo n1949)
— Alfered M. Liliental, What Price Israel, Chicago, 1953.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني	٦٥ – ٨٤
بعض النتائج السريعة للثورة العربية	
١ ـ روح صليبية صهيونية عنيفة	٦٥
٢ ـ تفتيت الوطن العربي الاسيوي	٧٠
٣ ـ الحسين يصر على عروبة فلسطين	٧٣
٤ ـ ابعاد الحسين الى قبرص	٧٤
٥ ـ ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الاتراك ؟	٧٧
٦ ـ لم يجمع العرب على حرب الاتراك	٨٠
أقوال منهم	٨٣
الفصل الثالث	٨٥ – ١١١
شعب فلسطين يواجه المحنة	
١ ـ اليهود يمهدون لفرض الانتداب البريطاني على فلسطين	٨٥
٢ ـ الثورة الاولى (ابريل ١٩٢٠)	٨٩
٣ ـ تعيين صهيوني بريطاني مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين	٩١
٤ ـ عزل الفلسطينيين عن العرب لاذابتهم	٩٣
٥ ـ تهويد اجهزة الحكم	٩٦
٦ ـ اخضاع اقتصاديات فلسطين لليهود	٩٩
٧ ـ اشتداد وطأة الاضطرابات	١٠٣
٨ ـ وحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين	١٠٦
٩ ـ اللجنة البريطانية الاولى	١٠٧
الاغتصاب وحكم الغاب	١١١
الفصل الرابع	١١٢ – ١٣٥
صور من تآمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين	
١ ـ الصهيونية العالمية تضع صك الانتداب	١١٢
٢ ـ نظرات ونصوص في صك الانتداب على فلسطين	١١٣
٣ ـ بريطانيا تصدر دستورا لفلسطين لدعم وضع اليهود	١١٨
٤ ـ بريطانيا تصدر قانون المهاجرة لاغراق فلسطين باليهود	١٢٢
٥ ـ غفلة الجماهير العربية عن اخطار الصهيونية	١٢٥
٦ ـ المؤتمرات الفلسطينية الوطنية	١٢٨
٧ ـ الكتاب الابيض البريطاني ١٩٢٢	١٣٠
الحق والباطل	١٣٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس	١٣٦ – ١٧٩
ثورة العرب ١٩٢٩	
١ ـ بداية الثورة	١٣٦
٢ ـ المندوب السامي يندد بالثوار العرب	١٣٨
٣ ـ العرب يتحدون المندوب السامي	١٣٨
٤ ـ المندوب السامي ينكل بالعرب	١٤٠
٥ ـ الابطال الثلاثة	١٤١
٦ ـ امعان في سياسة التنكيل	١٤٣
٧ ـ لجنة شو ١٩٢٩	١٤٦
٨ ـ الكتاب الابيض ١٩٣٠	١٥٠
٩ ـ الكتاب الاسود	١٥٤
١٠ ـ مقارنة لوعود بريطانيا المتناقضة	١٥٦
١١ ـ المؤتمر الاسلامي في القدس ١٩٣١	١٥٩
١٢ ـ تقتير العرب وبذل اليهود	١٦١
١٣ ـ تقريرا جونسون وفرانشي	١٦٥
١٤ ـ اصوات الحق العربي لا تسمع في بريطانيا	١١٧
١٥ ـ اشتداد النضال الفلسطيني	١٦٨
١٦ ـ مؤتمر العلماء	١٧٥
١٧ ـ ثورة الشهيد عز الدين القسام	١٧٥
صور ... مكتوبة	١٧٨
الفصل السادس	١٨٠ – ٢١٥
ثورة العرب الكبرى ١٩٣٦	
١ ـ الاضراب الشامل	١٨٠
٢ ـ اشتعال الثورة	١٨٣
٣ ـ صور من الفدائية والبطولة	١٩٤
٤ ـ المعارك تتوالى	٢٠٢
٥ ـ الوصف البريطاني الرسمي للثورة	٢٠٤
٦ ـ تدخل الملوك والرؤساء العرب	٢٠٨
٧ ـ البيان العربي امام اللجنة الملكية البريطانية	٢١١
لكي لا ننسى ...	٢١٤

للمؤلف

ذكريـات ومذكرات

او سياسة عشرين عامـا

(تحت الطبع)

مراحـل الجهاد الليبي

منذ استشهاد عمر المختار الى اعلان الاستقلال

(تحت الاعداد)

يرجو المؤلف الأخوة القراء اذا تبينت لهم اية حقيقة او مستند او تصحيح يحتاجه هذا الكتاب أن يتكرموا بالاتصال على عنوانه ص ب ٩٢٥ ـ القاهرة

من مطبوعات دار الفتح للطباعة والنشر

سلسلة قادة الفتــح الاسلامي

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

صدر منها :

ـ قادة فتح بلاد فارس	٧٠٠ ق.ل
ـ قادة فتح الشام ومصر	٧٠٠ ق.ل
ـ قادة فتح المغرب العربــي (جـ ١)	٦٠٠ ق.ل
ـ قادة فتح المغرب العربي (جـ ٢)	٧٥٠ ق.ل

المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب من رجالات الأمة العربية الذين نذروا أنفسهم لقضاياها ، فهو يبذل في سبيلها ماله وجهده ووقته ، لا تستطيع أن تميز في بيته ومكتبه ، بين أبناء ليبيا ومختلف أبناء العروبة والإسلام ، ولا يمكنك ان تدرك مقره الثابت ، فهو في أوربا يبحث مشاكل الطلاب الذين حرمتهم النكبة الأخيرة من مواردهم ، وهو في المكتبات والمتاحف العالمية يبحث عن مصادر التاريخ، وهو في المعسكرات النائية ، له بالفدائيين صلات الود والأخوة والتعاون .

ولد المؤلف في بنغازي عام ١٩٢٥ ، ودرس بالمدارس الايطالية هناك ، ثم انتظم بالأزهر الشريف عام ١٩٣٨ الى ١٩٤٤ ، ثم عاد لوطنه وأصبح أحد المؤسسين في حقل الصحافة الليبية ، وتمثل مقالاته فترة مهمة للتاريخ الليبي ، ثم انتخب عضواً في مجلس النواب الليبي ثم وكيلا له حتى عام ١٩٥٥ ، حيث اضطر الى الهجرة ، فجاء الى مصر وبقي فيها الى ان قامت الثورة الليبية عام ١٩٦٩ وكرمته باختياره وزيراً للوحدة والخارجية في اول وزارة ثورة . وظل في هذا المنصب يشارك في اخطر احداث التاريخ الليبي اكثر من سنة . وهو يعمل اليوم مع أبطال الثورة وزيراً للإعلام .

يحمل المؤلف ليسانس الآداب ، والماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، ويعد الآن بحثاً للدكتوراه .

أما مؤلفه هذا، فانه يعتبر صيحة حق صادقة ، تنصف شعب فلسطين الذي تعرض لأبشع انواع الظلم والاتهام الباطل ، بالاضافة الى أنه الكتاب الجامع المانع الذي يروي مأساة فلسطين من بدايتها الى فصلها الأخير – هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، بأسلوب أدبي سلس ، نابع من نفس المؤلف الأبية الصافية ، ولأول مرة يحوي كتاب حول قضية فلسطين، القوانين والمستندات والأوامر الظالمة ، التي لولا اقتباسها من مصادر رسمية ، لما صدقنا أنها يمكن ان تصدر في بلد متحضر أو حتى في القرون الوسطى، ولأول مرة أيضاً يتحدث كاتب عربي عن هزيمة حزيران وطريقة علاجها بصرخات صادقة لا مواربة فيها ولا إخفاء .

ولا ريب أن تناول كاتب ليبي تفاصيل قضية فلسطين بدقة مستندية ، وهو من بلد يبعد عنها آلاف الأميال دليل صادق على وحدة هذه الأمة العربية والمسلمة مها تباعدت ديارها ، ونأت أمصارها .

و « دار الفتح » تعتز بأن تقدم الى قراء العربية هذا الكتاب ، راجية ان ينفع الله به الوطن في محنته الكبرى .

« دار الفتح »

الثمن : ١,٤٠٠ فلس ليبي